

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الكتاب والسنة

تم إجراء التصويبات حسب

توجيهات لجنة المناقشة

د / أحمد محمد نور سيف

د / أحمد ناصر محمد الحمد

د / الشريف منصور بن عون العبد لي

د / سيد عبد العزيز السيلي

موقف المدرسة الحقلية

من السنة النبوية



رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة

إعداد الطالب

الأمين الصادق الأمين

إشراف

الدكتور

الدكتور

أحمد ناصر محمد الحمد

أحمد محمد نور سيف

١٤١٤ هـ

الجزء الأول

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وبعد ..

عنوان الرسالة : موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية.

وقد تمت الدراسة من خلال تمهيد وثلاثة أبواب .

أما التمهيد فقد كان عن السنة النبوية ، والعلاقة بين الشرع الإسلامي والعقل .

وأما الباب الأول فكان عن المعتزلة التي هي مثال للمدرسة العقلية القديمة ، حيث تناولت الدراسة موقفهم من العقل وعلاقة ذلك بأصولهم الخمسة ، ثم موقفهم العقلي من الحديث المتواتر وحديث الأحاد .
وأما الباب الثاني فكان عن المستشرقين وشبههم حول الوحي النبوي وحول صحة الحديث مع الجواب عنها .

وأما الباب الثالث فكان عن المدرسة العقلية الحديثة حيث تناولت الدراسة اعتمادها على المعتزلة والمستشرقين في التعامل العقلي مع الأحاديث وإثارة الشبه حول السنة مع الجواب عن ذلك .
وملخص ما عولج من خلال الدراسة :

أهمية السنة ، وإجماع الأمة على الأخذ بها وعدم معارضتها بعقل أو رأي ، وحفظ الله لها في كل زمان بما هيا من علماء أفاضل قاموا بخدمتها ودفع الشبه عنها حتى دوت في كتب الحديث المختلفة وبيان اهتمام الإسلام بالعقل ، حيث لم ينقصه حقه ولم يرفعه فوق مقامه ، وأن العقل السليم لا يخالف النصوص الصحيحة لعجزه عن إدراك كثير من الحقائق ، وعقول الخلق ناقصة متباينة فلا تجعل حاكمة على شرع الله تعالى .

والمعتزلة جعلوا العقل أصلاً في الاستدلال فدفعهم ذلك إلى رد كثير من نصوص السنة رداً عقلياً ، وقد بان ذلك جلياً من خلال منهجهم في صفات الله تعالى ، ورؤيته ، وأفعال العباد ، وصاحب الكبيرة ، والشفاعة ، وعذاب القبر .

وورث المستشرقون عنهم شيئاً من ذلك الرفض فلم يصدقوا بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم عداً للإسلام فاثاروا الشبه حول الوحي النبوي والتشكيك في صحة الحديث بالوضع والاختلاف والطعن في رجاله لينفخوا بعد ذلك إلى الطعن في القرآن ، إذ همهم محو الإسلام وإذلال أهله والاستيلاء على ثروات بلادهم .

وورثت المدرسة العقلية الحديثة منهج المعتزلة العقلي في معاملة النصوص ، كما ورثت شبه المستشرقين التي أثاروها حولها ، فتمخض من ذلك تهوين أمر السنة وتهميشها تطبيقياً في حياة بعض المسلمين .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه ، ،

العميد

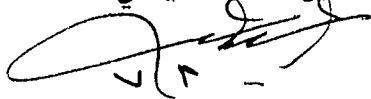
المشرف

الطالب

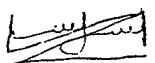
عبدالله بن عمر الدميحي

الدكتور أحمد محمد نور سيف

الأمين الصادق الأمين



والدكتور أحمد ناصر محمد الحمد



كلمة شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .
وبعد :

اعترافا بالفضل وإسداء للجميل أتقدم بجزيل الشكر ووافره إلى جامعة أم القرى ، وأخص بالشكر كلية الدعوة وأصول الدين على ماتقدمه من خدمة جليلة ، ورعاية كريمة لطلبة العلم فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء . كما أخص بالشكر رابطة العالم الإسلامي والقائمين عليها لما لها من دور مهم في تيسير السبل لتعليم أبناء المسلمين .

كما أتقدم بوافر الشكر للدكتورين الفاضلين ، الدكتور أحمد محمد نور سيف والدكتور أحمد ناصر محمد الحمد على ماأولياني من رعاية وعناية وتوجيهات كريمة ، ونصائح نافعة ، وإرشادات قيمة ، واستدراكات مفيدة كان لها أبلغ الأثر في خروج هذا الموضوع بهذه الصورة .

فجزاهما الله خير الجزاء على ماقاما به من جهد مشكور ، وتضحية وبذل ، وجعل الله ذلك في ميزان حسناتهما ، ونضر الله به وجهيهما وأعلى منزلتهما ، ورفع درجاتهما في عليين .

كما أتقدم بجزيل الشكر للإخوة الذين ساعدوني في هذا العمل بتوجيه أو إشارة أو نصيحة أو غير ذلك .

ولايفوتني كذلك أن أزجى شكرى وتقديرى للدكتورين الفاضلين الدكتور الشريف منصور بن عون العبدلى والدكتور سيد عبد العزيز السيلي اللذين تكرما بقبول مناقشة الرسالة وتكبدا المشاق في متابعتها وتقويمها . فجزاهما الله خيرا على ماقاما به ، وأسأل الله أن يرزقهما دوام الصحة والعافية في الدنيا والآخرة .

والله تعالى أسأل أن أكون قد وفقت في هذا الموضوع ووفيته حقه كاملا ، وأن يجزينى به الجزاء الأوفر ، ويجعله عملا صالحا متقبلا ، إنه ولى ذلك وهو على كل شىء قدير .

(أ)

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .
وإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله
عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ،
وكل ضلالة في النار .

أما بعد : فإن الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم على
فترة من الرسل ، حين انغمست الإنسانية في لجج الضلال ، واخترفت عن نهج
الأنبياء وسلكت سبل الغواية ، فأثار الله بيعته العقول وأحيا بها القلوب ،
فظهر الحق بعد أن كان عافيا ، وأضاء الكون بعد أن كان مظلمًا ، وأنزل
عليه وحيين عظيمين :

أولهما : كتاب الله تعالى الذى وصفه بقوله : {وكذلك أوحينا إليك
روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي
به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم} (١).

فهو الروح لأن به الحياة الحقة ، وهو النور لتوقف الهداية عليه .
وهو المحفوظ من التبديل والتغيير كما قال تعالى : {لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد} (٢).

وثانيهما : السنة الغراء ، التى أبان الله بها كتابه ، وفصل فيها مجمله
وأوضح فيها مشكله ، وحفظها كما حفظ كتابه ، ولم يفرق بينهما فى إقامة
الحجة على العباد .

(١) سورة الشورى : آية ٥٢

(٢) سورة فصلت : آية ٤٢

(ج)

وقد وجد هؤلاء بين أبناء الإسلام من انخدع بأفكارهم وآرائهم ، وتأثر بثقافتهم ومناهجهم ، وبعض هؤلاء يمثلون رموزا بارزة في بلدانهم مما كان له أبلغ الأثر في نشر تلك الأفكار بين المسلمين ، فاستجاب لها السذج ، وتفلت بعض منهم بسببها من الالتزام بالشرع وأحكامه .

ومن المؤسف حقا أن يتبنى فكرة رد السنة بالعقل أناس يحسبون من أهل العلم ويشار إليهم بالبنان ، ويشق بهم وبعلمهم كثير من المسلمين . ولقد أصبح هؤلاء في هذا العصر حجر عثرة أمام موكب الإسلام المتقدم الذى بدأت ثماره في جيل الصحوة الإسلامية ، كما أنهم أصبحوا أداة تخريب وتشكيك لهذا الجيل . ويبقى خطرهم عظيما وشرهم جسيما ، إن لم يجدوا رادعا ، وكاشفا ومبينا لضلالهم .

وقد بذلت في ذلك جهود لا يستهان بها من علماء أفاضل حرصا منهم على حماية السنة النبوية من أن يتناول إليها من جهل مقامها وأخطأ في فهمها ، وقصرت به همته أن يساير ركب العلماء .

ولقد دفعني إلى خوض غمار هذا البحث الخطير أمور أردت أن أسجلها لكي تكون شافعة لى في تناول هذا الموضوع .

أولا : كثرة الأعاصير التى تهب فى وجه السنة النبوية مستهدفة نحو أثرها وقلع جذورها ، وخاصة فى هذا العصر ، فأحببت أن تكون لى مشاركة فى صد تلك الأعاصير وإيقاف زحفها مع من بذلوا جهودا فى الدفاع عن السنة لحماية حصنها من التهديم والتخريب ، راجيا بذلك المثوبة من الله تعالى .

ثانيا : بيان أن العقل السليم لا يمكنه أبدا أن يخالف نصا صحيحا ، وبيان خطورة مسلك من رد السنة بالعقل ، وتحذير المسلمين منه مع العلم بأنه لم تسبق فيه دراسة مستوفاة حسب علمى (١) .

ثالثا : تأثر عدد من أبناء الإسلام الذين قلت بضاعتهم وثقافتهم من علم الكتاب والسنة ، بتيار رد السنة بالعقل ، ووقوعهم فريسة لهذا النهج الخاطيء المنحرف عن جادة الصواب مما يوجب على من عرف الحق أن يأخذ بأيديهم إلى بر الأمان .

(١) من تلك الدراسات : القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لحادم حسين إلهى بخش ، منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير لابن الرومى .

(د)

رابعاً : إرادة الإسهام في كشف القناع عن مخططات أعداء الإسلام من المستشرقين الذين يحكون الدسائس لأبناء ديننا الحنيف ، وتحذير المسلمين من الوقوع في شراكهم والتأثر بشبهاتهم .

خامساً : إرادة الإسهام في تنبيه أبناء الإسلام الذين يسايرون ركب الغرب بعلّة المدنية والحضارة كي يعودوا إلى دينهم الحق حيث تكمن سعادة الدنيا والآخرة ، وليعلموا أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان .

سادساً : تعظيم وتبجيل بعض من رموز المدرسة العقلية وعدم قبول الطعن فيهم ممن جهل حقيقتهم من المسلمين ، فأردت أن أكشف تلك الأقنعة المزيفة التي تنكر بها أولئك ، لتظهر حقيقتهم ، ويبدو عوارهم ، ويتضح أمرهم ، والحق لا يعرف بالرجال ، وإنما يعرف الرجال بالحق .

سابعاً : الرغبة في المشاركة في دفع عجلة الصحوة الإسلامية بإرجاع أمة الإسلام إلى التمسك بالسنة النبوية وتعظيمها وتوقيرها وعدم الاستهانة بأمرها .

ولكن ثمة عقبات اعترضت مساري وأنا في بداية هذا البحث ، من ذلك :

(١) عدم وضوح الرؤية الكافية ، للسير بين ثنايا هذا الموضوع ، والتهيب من اقتحام لججه ، لما يحدثه من آثار في نفوس كثير ممن ينتسب إلى الإسلام .

(٢) اتساعه وتشعبه ، وكثرة الشبه وتداخلها مما دفعني لمطالعة العديد من الكتب في أنواع العلوم المختلفة مما أدى إلى استنفاد جهد ووقت ليس بالقليل .

ولكن أحمد الله الذي أعانني على ذلك ، فيسر تلك الصعوبات وأزال تلك العقبات وهياً لي من أعانني على اجتيازها وتخطيها ، وهما الدكتوران الفاضلان ، الدكتور أحمد محمد نور سيف ، والدكتور أحمد ناصر محمد الحمد اللذان شجعاني على السير قدماً في هذا الموضوع ، وكان لإشرافهما أكبر الأثر وأطيبه في إخراج هذا البحث بصورته الحالية .

وقد قسمت هذا الموضوع إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة .
أما التمهيد فهو في مطلبين :

المطلب الأول : أتناول فيه الحديث عن السنة النبوية من حيث تعريفها ، وحجيتها ومنزلتها من القرآن الكريم .

المطلب الثانى : أتناول فيه العلاقة بين الشرع الإسلامى والعقل ، وأبين فيه أهمية العقل فى الإسلام حتى لا يفهم أحد أن الإسلام يحارب العقل أو ينقص من مقامه ، كما أتناول الصلة التى يجب أن تكون بين الشرع والعقل ، وأوضح أن العقل لا يمكن أن ينافى نصوصاً صحيحاً .

وأما الباب الأول :

وقد جعلته فى فصلين :

وهو عن المدرسة العقلية القديمة ، وسيكون الحديث منصبا على طائفة المعتزلة لأنها أهم الطوائف الإسلامية التى أعطت العقل سلطانا واسعا وحكمته فى النصوص ، وأجعلها مثالا للمدرسة القديمة ، وأتناول فى حديثى عنها موقفها من العقل وعلاقة ذلك بالأصول الخمسة عندهم ، وهو الفصل الأول . ثم أتناول فى الفصل الثانى أثر ذلك الموقف فى رد الأحاديث الصحيحة ، وأمثلة لذلك بعدة أمور كى يتبين هذا المنهج الخاطىء . وهى : صفات الله تعالى ، رؤية الله سبحانه وتعالى ، أفعال العباد ، صاحب الكبيرة ، الشفاعة ، عذاب القبر .

وأما الباب الثانى :

فهو خاص بالحديث عن المستشرقين .

وقد جعلته فى فصلين :

الأول : أمهد له بالحديث عن صلة المستشرقين بالفكر الإسلامى وأثر تلك الصلة فى إثارة الشبهات حول السنة النبوية .

وأضمن ذلك الحديث عن مفهوم الاستشراق ، وتاريخه وأهدافه ، ومنهجه . ثم أعرض شبهاتهم حول الوحي النبوى، التى هى عنوان الفصل، مع الإجابة عنها .

الثاني : موقفُ المستشرقين من صحة الحديث النبوي .
 وأتناولُ من خلاله شبهَ المستشرقين حولَ صحة الحديث مع الجواب
 عن كل شبهة .
 وأما البابُ الثالثُ :

فهو عن المدرسة العقلية الحديثة . وفيه فصلان :
 الأولُ : علاقةُ المدرسة العقلية الحديثة بالمدرسة العقلية القديمة ، وأثرُ
 تلك العلاقة في ردِّ الأحاديث النبوية ، وسأتناولُ ذلك من خلال مجموعة
 من الأحاديث التي ردها هؤلاء بعقولهم مع اختيار ثلاثة منها للدراسة حتى
 يتبينَ منهجُ هذه المدرسة وتنكشف حقيقتُهُ .

الثاني : تأثرُ المدرسة العقلية الحديثة بالمستشرقين ، وأثرُ ذلك في إثارة
 الشبه حول السنة . سأبينُ في هذا الأثر والتأثر ثم أُوردُ تلك الشبهات مع
 الجواب عنها .
 وأما الخاتمةُ :

فأبرزُ فيها أهمَ النتائج التي أتوصلُ إليها من خلال البحث .
 وسوف أسيرُ في هذا البحث على المنهج الذي يسيّرُ عليه الباحثون في
 الغالب ، مع التنبيه على أمور منها :

(١) قد أستخدمُ طبعاتٍ مختلفةً في توثيق المعلومات ، ففي هذه الحالة أُوثقُ
 الطبعة التي أستخدمُها نادراً بين ثنايا البحث ، وأُوثقُ الأخرى في ثبَتِ
 المراجع .

(٢) قد أُوثقُ بعضَ الكتب بين ثنايا البحث ولو لم أستخدمُ إلا طبعةً
 واحدةً ، وهذا يكونُ غالباً في الكتب التي أخذتُ عنها نادراً .

(٣) سوف أتعاملُ مع طبعتين مختلفتين من كتاب العقيدة والشرعية لجوليد
 زيهري ، وهما الطبعة الأولى والثانية ، وأرُمزُ للأولى بعبارة "الأولى" ،
 وأتركُ الثانيةَ بغيرِ رمزٍ .

(٤) كذلك سوف أتعاملُ مع نسختين من شرح النخبة للحافظ ابن حجر ،
 أحدهما باسم نزهة النظر ، والأخرى باسم شرح نخبة الفكر .

التمهيد

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : السنة النبوية

المطلب الثاني : العلاقة بين الشرع والعقل في
الدين الإسلامي

المطلب الأول السنة النبوية

(١) **السنة في اللغة** : السنة في الأصل مأخوذة من السن وهو الطريق والوجه والقصد^(١).

وقد أطلقت على عدة معاني . من ذلك :

أ - السيرة : حسنة كانت أو قبيحة .

قال خالد بن عتبة الهذلي :

لا تجز عن من سيرة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها

وفي الحديث : « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده ... ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده » الحديث^(٢) يريد من عمل بها ليقترني به فيها^(٣) .

وكل من ابتدأ أمراً فعمل به أحد بعده ، قيل هو الذي سنه .

قال نصيب :

كأنني سننت الحب أول عاشق من الناس أو أحببت من بينهم وحدي^(٤)

وسن فلان طريقاً من الخير يسُنّه إذا ابتدأ أمراً لم يعرفه قومه فاستنوا به واتبعوه فيه^(٥) .

ويقال : فلان من أهل السنة : إذا كان على الطريقة المحمودة المستقيمة^(٦) .

ب - الطبيعة والخلق والوجه والصورة^(٧) .

قال ذو الرمة :

تريك سنة وجهه غير مقرّفة
ملساء ليس بها خالٌ ولانذب

(١) انظر لسان العرب : ٢٢٦/١٣ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه . من حديث جرير . كتاب الزكاة : (١٢) . باب الحث على الصدقة : (٢٠) . برقم

: (١٠١٧) . ٧٠٤ - ٧٠٥ .

وبلفظ مقارب في كتاب العلم : (٤٧) . باب من سن سنة حسنة أو سيئة : (٦) . برقم (١٠١٧) . ٢٠٥٩/٤ .

(٣) انظر : لسان العرب : ١٣ / ٢٢٥ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة : ٣٠٦/١٢ ، لسان العرب : ٢٢٥/١٣ . وبيت الشعر في كتاب شعر نصيب بن

ربيع : ٨٤ : ٥٥

(٥) انظر : لسان العرب : ١٣ / ٢٢٦ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة : ٢٩٨/١٢ .

(٧) المعجم الوسيط : ٤٥٦/١ .

يريد بذلك صورة الوجه ودوائره ^(١) .

وسنة الخد : صفحته ^(٢) .

د - الإمام المتبع المؤتم به .

هـ - الأمة ، والسنن الأمم .

ومن ذلك قول المفضل :

ما عاين الناس من فضل كفضلهم ولا رأوا مثلهم في سالف السنن ^(٣)

و - العادة المتبعة :

ومن ذلك قول الله عز وجل :

(وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا) ^(٤) .

قال القرطبي :

« سنة الأولين عادة الأولين في عذاب الاستئصال » ^(٥)

وقد استخدم الجاهليون لفظ السنة بأنها العادة المتبعة سواء كانت حميدة أو ذميمة .

قال ليبيد :

ممن معشر سنت لهم أبائهم ولكل قوم سنة وإمامها ^(٦)

وقال حسان بن ثابت :

إن الذوائب ممن فهر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع ^(٧)

(١) الصحاح للجوهري : ٢١٣٩/٥ . وبيت الشعر في ديوان ذي الرمة ٢٩/١

(٢) الفائق في غريب اللغة : ٢٠١/٢ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢١٦/٤ .

(٤) سورة الكهف : الآية : (٥٥) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٦/١١ .

(٦) شرح ديوان ليبيد : ص : ٣٢٠ .

(٧) انظر : دراسات في الحديث النبوي : ٢/١ والبيت في ديوان حسان بن ثابت : ص : ١٤٥ .

ز - الخط الأسود على متن الحمار^(١)

وضرب من تمر المدينة ، معروفة^(٢) .

وقد كثر استعمال السنة في القرآن بمعنى الطريقة والعادة المتبعة^(٣) .

قال الراغب :

« السنن . جمع سنة ، وسنة الوجه طريقته ، وسنة النبي طريقته التي كان يتحراها ، وسنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته نحو : (سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً)^(٤) (ولن تجد لسنة الله تحويلاً)^(٥) »^(٦) .

وقد صار في عرف كثير من علماء أهل الحديث أن السنة عبارة عما سلم من الشبهات في الاعتقادات ، خاصة في مسائل الإيمان والقدر ، وفضايا الصحابة . وبالتالي صنفوا في هذا العلم تصانيف متعددة وسموها : كتب السنة^(٧) .

وأهل السنة والجماعة هم سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ومن سار على نهجهم ، الذين اجتمعوا على الحق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ^(٨) .

[٢] السنة في الشرع :

قال ابن الأثير : « وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه ونذب إليه قولاً وفعلاً مما لم ينطق به الكتاب العزيز . ولهذا يقال في أدلة الشرع الكتاب والسنة : أي القرآن والحديث »^(٩) .

قال الإمام الشاطبي رحمه الله :

« يطلق لفظ السنة على ما جاء منقولاً عن النبي ﷺ على الخصوص مما لم ينص عليه في

(١) تهذيب اللغة : ٣٠٤ / ١٢ .

(٢) المرجع السابق : ٣٠٦ / ١٢ .

(٣) انظر : دراسات في الحديث النبوي : ١ / ٥ ، السنة والعلم الحديث : ص : ١٣ .

(٤) سورة الفتح : الآية : (٢٣) .

(٥) سورة فاطر : الآية : (٤٣) .

(٦) المفردات في غريب القرآن : ص : ٢٤٥ .

(٧) انظر : أهل السنة والجماعة معالم الإنطلاقة الكبرى : ص : ٤٤ .

(٨) انظر : شرح العقيدة الواسطية : ص : ١٦ ، أهل السنة والجماعة : ص : ٤٥ .

(٩) النهاية في غريب الحديث : ٤٠٩ / ٢ .

الكتاب العزيز بل إنما نص عليه من جهته عليه الصلاة والسلام كان بياناً لما في الكتاب أولاً» (١) .

وإذا أريد سنة غير النبي ﷺ فإنها تقيد بذلك ولا تطلق .

روى البخاري بسنده إلى ابن شهاب (٢) عن سالم (٣) بن عبد الله عن أبيه في قصته مع الحجاج (٤) حين قال له : « إن كنت تريد السنة فهجراً بالصلاة » .

قال ابن شهاب : « فقلت لسالم : أفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : وهل تتبعون في ذلك إلا سنته » ؟ (٥) .

وقد نقل السيوطي هذا الحديث ثم قال عقبه :

« فنقل سالم وهو أحد الفقهاء السبعة من أهل المدينة وأحد الحفاظ من التابعين عن الصحابة أنهم إذا أطلقوا السنة لا يريدون بذلك إلا سنة النبي ﷺ » (٦) .
وقال السرخسي رحمه الله : « مطلق السنة يتناول سنة رسول الله ﷺ فقط » (٧) .

(١) الموافقات في أصول الفقه : ٢/٤ .

(٢) ابن شهاب : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري ، القرشي ، أبو بكر ، الفقيه الحافظ ، متفق على جلالته واتقانه . روى عن أنس بن مالك ، والسائب بن يزيد ومحمود بن الربيع ، وعنه عطاء وعمر بن عبد العزيز وعمر بن دينار . مات سنة ١٢٥ و قيل قبل ذلك .

انظر : الجرح والتعديل : ٧١/٨ ، تذكره الحفاظ : ١٠٨/١ ، ١١٣ ، تهذيب التهذيب : ٤٤٥/٩ ، تقريب التهذيب : ٢٠٢/٢ .

(٣) سالم : هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، أبو عمر أو أبو عبد الله ، المدني ، أحد الفقهاء السبعة ، وكان ثباتاً عابداً فاضلاً ، يشبه بأبيه في الهدى والسمت . روى عن أبيه وأبي هريرة . وعنه الزهري ، وصالح بن كيسان . مات سنة ١٠٦ هـ .

انظر : الجرح والتعديل : ١٨٤/٤ ، الكاشف : ٣٤٤/١ ، تقريب التهذيب : ٢٨٠/١ .

(٤) الحجاج : هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي ، الأمير ، المشهور ، الظالم ، المبير ، وقع ذكره وكلامه في الصحيحين وغيرهما ، وليس بأهل أن يروى عنه ، ولي إمرة العراق عشرين سنة . روى عن أنس بن مالك . وعنه مالك بن دينار وثابت . مات سنة ٩٥ هـ .

انظر : الجرح والتعديل : ١٦٨/٣ ، ميزان الاعتدال : ٤٦٦/١ ، تقريب التهذيب : ١٥٤/١ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب الحج : (٢٥) . باب الجمع بين الصلاتين بعرفة : (٨٩) ، ١٧٤/٢ - ١٧٥ .

(٦) تدريب الراوي : ١٨٩/١ .

(٧) أصول السرخسي : ١١٤/١ .

وقد تطلق السنة على ما عمل عليه الصحابة رضوان الله عليهم وجد ذلك في الكتاب أو السنة أو لم يوجد لكونه اتباعاً لسنة ثبتت عندهم لم تنقل إلينا ، أو اجتهداً مجمعاً عليه منهم أو من خلفائهم . وذلك كحد شارب الخمر ، وجمع المصحف وحمل الناس على القراءة بحرف واحد من الحروف السبعة وتدوين الدواوين . والدليل على ذلك قوله ﷺ « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين » (١) (٢) .

ومما يدل على ذلك أيضاً قول علي رضي الله عنه في حد شارب الخمر : « جلد النبي ﷺ أربعين ، وأبو بكر أربعين ، وكملها عمر ثمانين ، وكل سنة » (٣) .

كما تطلق السنة في مقابلة البدعة ، أي فيما يحدثه الناس من قول أو عمل في الدين مما لم يؤثر عنه ﷺ أو عن أصحابه (٤) .

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله : « فيقال فلان على سنة إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي ﷺ وكان ذلك مما نص عليه في الكتاب أولاً . ويقال فلان على بدعة إذا عمل على خلاف ذلك . وكان هذا الإطلاق إنما اعتبر فيه عمل صاحب الشريعة فاطلق عليه لفظ السنة من تلك الجهة وإن كان العمل بمقتضى الكتاب » (٥) .

وقد تطلق السنة على النوافل من العبادات غير المفروضة مما جاء عن النبي ﷺ سواء

- (١) جزء من حديث أخرجه : أبو داود في سننه . من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه . كتاب السنة . باب في لزوم السنة . رقم : (٤٦٠٧) . ٢٠٠/٤ - ٢٠١ والترمذي في سننه . كتاب العلم : (٤٢) . باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع : (١٦) . برقم (٢٦٧٦) . وقال : « هذا حديث حسن صحيح » ٤٤-٤٣/٥ وابن ماجه في سننه . المقدمة . باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين : (٦) . برقم : (٤٢) ، (٤٣) ، (٤٤) . ١٧-١٥/١ .
- والدرامي في سننه . المقدمة . باب اتباع السنة : ٤٤-٤٥ .
- وأحمد في المسند : ١٢٦/٤ ، ١٢٧ . والحاكم في المستدرک . يطرق إلي العرياض . وقال : « هذا حديث صحيح ليس له علة » ووافقه الذهبي . ٩٥-٩٧/١ .
- وقال الشيخ ناصر الدين الألباني : « صحيح » إرواء الغليل : برقم (٢٤٥٥) . ١٠٧-١٠٩/٨ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة : برقم : (٩٣٧) . ٦٤٧-٦٤٨ ، صحيح الجامع : برقم (٢٥٤٦) ١٠/٣٤٦ .
- صحيح سنن أبي داود : ٨٧١/٣ ، صحيح سنن ابن ماجه : ١٣/١ - شرح العقيدة الطحاوية : ص : ٣٨٣ هامش : (٥٠١) ، وص : ٤٨٥ هامش : (٧١٥) .
- (٢) انظر : الموافقات : ٤/٢-٣ .
- (٣) أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب الحدود : (٢٩) . باب حد الخمر : (٨) . برقم : (١٧٠٧) . ٣٠/١٣٣٢ - ١٣٣١ .
- (٤) انظر : توثيق السنة : ص : ١٦ .
- (٥) الموافقات : ٤/٢ .

كانت مؤكدة يكره تركها أو غير ذلك (١) .

وإذا نظرنا إلى علماء الحديث والأصول والفقهاء نجد أن كل فئة أطلقت اصطلاحاً معيناً لتعريف السنة حسب ما تقتضيه أغراض كل فئة :

فالسنة عند المحدثين ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة أو سيرة ، سواء كان قبل البعثة أو بعدها (٢) .

والسنة عند الأصوليين :

هي ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن الكريم من قول أو فعل أو تقرير مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي (٣) .

والسنة عند الفقهاء :

هي كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب (٤) .

ويتضح مما سبق من تعريفات أن اصطلاح المحدثين أوسع الاصطلاحات لتعريف السنة وأجمع لجوانبها وأشمل .

فأقواله ﷺ كحديث « قل آمنت بالله فاستقم » (٥) وأفعاله ، كأداء الصلوات (٦) ومناسك الحج (٧) .

(١) انظر : توثيق السنة : ص : ١٦ ، ١٧ .

(٢) انظر : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : ص : ٧٤ أصول الحديث : ص : ١٩ .

(٣) انظر : أصول الحديث ، ص : ١٩ . أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف : ص : ٣٦ .

(٤) انظر : إرشاد الفحول : ص : ٣٣ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه . من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي .

كتاب الإيمان : (١) . باب جامع أوصاف الإسلام : (١٣) . برقم : (٣٨) . ٦٥/١ .

(٦) قال صلى الله عليه وسلم في حديث مالك بن الحويرث : « صلوا كما رأيتموني أصلي الحديث » أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الأذان : (١٠) باب الأذان للمسافر : (١٨) . ١٥٥/١ . وفي كتاب الأدب : (٧٨) . باب رحمة الناس بالبهائم : (٢٧) . ٧٧/٧ . وفي كتاب أخبار الأحاد : (٩٥) . باب ماجاء في إجازة خبر الواحد : (١) . ١٣٣/٨ .

(٧) قال رسول الله ﷺ في حديث جابر بن عبد الله : « لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه » .

أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب الحج : (١٥) . باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر ركباً : (٥١) . برقم : (١٢٩٧) . ٩٤٣/٢٠ .

وتقريراته كإقراره للعب الأحباش بالحراب في المسجد أيام الأعياد (١) .

وأما صفاته فمنها غير الاختيارية كحركات الأعضاء مما وضع فيه أمر الجبلة ولا يتعلق بالعبادات كالقيام والقعود ، ومنها ما يحتمل أن تخرج من الجبلة إلى التشريع بمواظبته ﷺ عليها على هيئة مخصوصة كالأكل والشرب والنوم واللبس وتكون في هذه الحالة داخلة في أفعاله (٢) .

وأما سيرته قبل البعثة كتحننه في غار حراء الليالي ذوات العدد (٣) .

والسنة بتعريف علماء الحديث ترادف تعريف الحديث وذلك عند كثير من علماء الحديث.

مع أن فريقاً من العلماء فرق بين مدلول لفظ السنة والحديث فأطلق «الحديث» على ما نقل عن النبي ﷺ من قول ، أو فعل أو تقرير ، أو صفة .

وأطلق السنة على الواقع العملي في تطبيق الشريعة من عصر الرسول ﷺ إلى آخر عهد الصحابة رضوان الله عليهم (٤) .

وعلى هذا يحمل قول عبد الرحمن بن مهدي (٥) في الإمام الثوري (٦) إذ يقول : « الناس

(١) روى البخاري بسنده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : « رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا انظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذي أسأم » الحديث .

صحيح البخاري : كتاب النكاح : (٧٦) . باب نظر المرأة إلى الحبشة . (١١٤) . ١٥٩/٦ .

(٢) انظر : نزهة النظر : ص : ٧ .

(٣) انظر : صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي : (١) . باب (٣) . ٣/١٠ .

كتاب التفسير : (٦٥) . تفسير سورة اقرأ : (٩٦) . باب (١) . ٨٨/٦ .

كتاب التعبير : (٩١) . باب التعبير : (١) . ٦٢/٨ .

صحيح مسلم : كتاب الإيمان : (١) . باب بدء الوحي : (٧٣) . برقم : (١٦٠) ، ١٤٠/١ .

(٤) انظر ، أدب الحديث النبوي : ص : ١٠ .

(٥) عبد الرحمن بن مهدي :

هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري ، مولا هم ، أبو سعيد البصري ، ثقة ثبت ، حافظ عارف بالرجال والحديث . قال ابن المدني : « ما رأيت أعلم منه » انظر : الجرح والتعديل : ٢٨٨/٥ - ٢٩٠ ، الكاشف ١٨٢/٢ - ١٨٨ ، تقريب التهذيب : ٤٩٩/١ .

(٦) الثوري :

هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أبو عبد الله الكوفي ، ثقة حافظ فقيه ، عابد إمام حجة . روى عن أيوب السخثياني ، وثور بن يزيد ، وحמיד وعنه شعبه ومعه ، وأبو اسحاق الفزاري وخلق مات سنة ١٦١ انظر : الجرح والتعديل : ٣١١/١ - ٥٥/١ ، ١٢٦ ، ٢٢٢/٤ ، ٢٢٥ تذكرة الحفاظ : ٢٠٣/١ - ٢٠٧ تهذيب التهذيب : ١١١/٤ - ١١٥ ، تقريب التهذيب : ٣١١/١

على وجوه ، فمنهم من هو إمام في السنة إمام في الحديث ، ومنهم من هو إمام في السنة وليس بإمام في الحديث ، ومنهم من هو إمام في الحديث ليس بإمام في السنة ، فأما من هو إمام في السنة وإمام في الحديث فسفيان الثوري ^(١) .

وكقوله « لم أر أحداً قط أعلم بالسنة ولا بالحديث الذي يدخل في السنة من حماد بن زيد » ^(٢) ^(٣) .

وهذا لا يناقض قوله رحمه الله الآخر إذ يقول :

« سفيان الثوري إمام في الحديث والأوزاعي ^(٤) إمام في السنة ، ومالك إمام فيهما جميعاً »

فهو يريد أن الثوري كان إماماً في استحضر الأحاديث والآثار في كل باب من أبواب الفقه فيفتي بها . والأوزاعي كان إماماً في معرفة قواعد السلف في كل باب من أبواب الفقه فيفتي بموجبها . ومالك كان إماماً في كلا الأمرين فيفتي بموجبهما . ^(٥) .

[٣] حجية السنة :

لا شك إن السنة النبوية هي المصدر التشريعي الثاني بعد كتاب الله تعالى ، ولا يمكن لدين الله أن يكتمل ، ولا لشريعته أن تتم إلا بأخذ سنة النبي ﷺ جنباً إلى جنب مع كتاب الله تعالى .

ولقد جاءت آيات القرآن الكريم **المكاثرة** وأحاديث الرسول ﷺ **اترة** تأمر بطاعة رسول الله ﷺ والتمسك بسنته والاحتجاج بها . إضافة إلى ماورد من إجماع من الأمة ،

(١) الجرح والتعديل : ١١٨/١ .

(٢) حماد بن زيد :

هو حماد بن زيد بن درهم الأزدي ، الجهمي ، أبو اسماعيل البصري ، ثقة ثبت فقيه . قال عنه الذهبي : « أحد الأعلام ، أضر ، وكان يحفظ حديثه كالماء » . روى عن أبي عمران الجوني وثابت وأبي جمرة . وعنه مسدد وعلي . مات سنة : ١٢٩ هـ .

انظر : الجرح والتعديل : ٣/١٣٧-١٣٩ ، الكاشف : ١/٢٥١ ، تقريب التهذيب : ١/١٩٧ .

(٣) الجرح والتعديل : ١/١٢٧ .

(٤) الأوزاعي :

هو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي ، أبو عمرو ، الفقيه ، ثقة جليل . قال عنه الذهبي : « وكان رأساً في العلم والعبادة » . روى عن عطاء ومكحول والتميمي ، وعنه قتادة ويحيى بن أبي كثير وغيرهم . مات سنة ١٥٧ هـ . انظر : الجرح والتعديل : ٥/٢٦٦-٢٦٧ ، الكاشف : ٢/١٢٩ ، تقريب التهذيب : ١/٤٩٣ .

(٥) نزهة النظر : ص ٧-٨ .

وأقوال الأئمة ، في إثبات حجيتها ووجوب الأخذ بها .

ونذكر من ذلك شيئاً يسيراً على سبيل المثال لا الحصر .

أولاً : الأدلة من القرآن الكريم :

١ - قال الله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) (١) .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في بيان هذه الآية :

« يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً ولهذا قال : « ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير مما نعة ولا مدافعة ولا منازعة » (٢) .

٢ - وقال سبحانه : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه » الآية (٣) قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

« فإذا جعل الله من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبون مذهباً إذا كانوا معه إلا باستئذانه ، فالأولى أن يكون من لوازمه أن لا يذهبوا إلى قول ولا مذهب علمي إلا بعد استئذانه ، وإذنه يعرف بدلالة ما جاء به على أنه أذن فيه » (٤) .

٣ - وقال جل ذكره : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً » (٥) .

قال الشاطبي رحمه الله : « وسائر ما قرن فيه طاعة الرسول بطاعة الله فهو دال على أن

(١) سورة النساء : الآية : (٦٥) .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٥٢٠/١ .

(٣) سورة النور الآية : (٦٢) .

(٤) أعلام الموقعين : ٥٤-٥٥/١ .

(٥) سورة النساء : الآية : (٥٩) .

طاعة الله ما أمر به ونهى عنه في كتابه ، وطاعة الرسول ما أمر به ونهى عنه مما جاء به مما ليس في القرآن إذا لو كان في القرآن لكان من طاعة الله « ^(١) والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته وإلى سنته بعد موته ^(٢) .

٤ - وقال تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » ^(٣) .

قال المباركفوري :

« أمر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية كل من يدعي محبته أن يتبع محمداً ﷺ ، وما معنى اتباعه إلا اتباعه ﷺ في جميع أقواله وأفعاله وأحواله وهديه . ومجموع أقواله وأفعاله وأحواله وهديه هو المعنى بالأحاديث النبوية . فثبت أن من لم يتبع الأحاديث النبوية ولم ير العمل بها واجباً فهو في دعوى محبته لله تعالى كاذب ، ومن كان في هذه الدعوى كاذباً فهو في دعوى إيمانه بالله تعالى كاذب بلامرية » ^(٤) .

٥ - قال سبحانه وتعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) ^(٥) .

قال ابن كثير رحمه الله :

(فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله ، فما وافق ذلك قبل ، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان ... فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً وظاهراً « أن تصيبهم فتنة » أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة « أو يصيبهم عذاب أليم » أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك » ^(٦) .

(١) الموافقات : ٧/٤ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٦١/٥ .

(٣) سورة آل عمران : الآية (٣١) .

(٤) مقدمة تحفة الأحوذى : ص : ٤١ .

(٥) سورة النور : الآية (٦٣) .

(٦) تفسير القرآن العظيم : ٣٠٧/٣ .

ثانياً : الأدلة من السنة النبوية :

١ - روى البخاري بسنده إلى أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلبوا فانطلقوا على مهملهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق » (١) .

٢ - وروى بسنده إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « وكل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى » قالوا يا رسول الله : ومن يأبى ؟ قال : « من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » (٢) .

٣ - روى ابن ماجه بسنده إلى المقدام بن معد يكرب الكندي أن رسول الله ﷺ قال : « يوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل . فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرماناه . ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله » (٣) .

٤ - قال ﷺ (نضر الله امرأً سمع مقالتي فحفظها فوعاها فأدأها كما سمعها فرب مبلغ

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : (٩٦) . باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (٢) . ١٤٠/٨ . ولفظ مقارب في كتاب الرقاق : (٨١) . باب الانتهاء عن المعاصي : (٢٦) . ١٨٦/٧ .
وأخرجه مسلم في صحيحه . كتاب الفضائل : (٤٣) . باب شقيقته صلى الله عليه وسلم على أمته : (٦) . برقم : (٢٢٨٣) . ١٧٨٨/٤ - ١٧٨٩ .

(٢) صحيح البخاري . كتاب الاعتصام : (٩٦) . باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (٢) . ١٣٩/٨ .

(٣) سنن ابن ماجه : المقدمة : باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(٢) ، برقم : (١٢) . وأخرج نحوه من حديث أبي رافع : برقم (١٣) . ٧-٦/١ . وأخرج ، أبو داود نحوه من حديث المقدم . برقم (٤٦٠٤) ، وأبى رافع برقم : (٤٦٠٥) . كتاب السنة ، باب في لزوم السنة . ٢٠٠/٤ .
والترمذي نحوه من حديث أبي رافع . كتاب العلم : (٤٢) . باب مانه عن أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم : (١٠) . برقم (٢٦٦٣) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » . ٣٧-٣٦/٥ .



٢٠٢

أوعى من سامع) (١) .

ثالثاً : الإجماع :

قال الإمام الشافعي رحمه الله :

« لم أسمع أحداً نسبته للناس أو نسب نفسه إلى علم ، يخالف في أن فرض الله عز وجل اتباع أمر رسول الله ﷺ والتسليم لحكمه بأن الله عز وجل لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه وأنه لا يلزم قول بكل حال إلا بكتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ ، وأن ماسواهما تبع لهما ، وأن فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد ، لا يختلف في أن الفرض والواجب قبول الخبر عن رسول الله ﷺ » (٢) .

وقال الإمام ابن حزم رحمه الله في قوله تعالى : « فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » (٣) .

والدرامي . بلفظ مقارب عن المقدم . المقدمة باب السنة قاضية على كتاب الله ، ١/١٤٤ وأحمد بلفظ مقارب عن المقدم . ١٣٢/٤ .

ونحوه عن أبي رافع ٨/٦٠ .

والحاكم بلفظ مقارب عن المقدم ١٠٩/١ . ونحوه عن أبي رافع .

وقال : وهو صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه « ووافقه الذهبي . ١٠٨/١ - ١٠٩ والحديث صحيح كما نص على ذلك الترمذي والحاكم ، والشيخ ناصر الدين الألباني . انظر : صحيح الجامع الصغير : برقم : (٨٠٣٨) . ٦/٣٦٥ . صحيح سنن أبي داود : ٢/٨٧١ .

(١) حديث متواتر : انظر دراسة وافية عنه في كتاب « دراسة حديث نضر الله امرأاً سمع مقالتي ... رواية ودراية » للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد . فإنه ذكر له أربعة وعشرين صحابياً ممن رواه عن الرسول صلى الله عليه وسلم . وذكره السيوطي في قطف الأزهار المتناثرة ص : ٢٨ . وانظر بعض طرقه في :

سنن أبي داود : عن زيد بن ثابت في كتاب العلم ، باب فضل نشر العلم برقم ٣٦٦٠ / ٣/٣٢٢ ، سنن الترمذي . عن زيد بن ثابت برقم ٢٦٥٦ ، وعبد الله بن مسعود برقم ٢٦٥٧ ، ورقم ٢٦٥٨ . وقال الترمذي « وفي الباب عن ومعاذ بن جبل وجبير بن مطعم وأبي الدرداء وأنس » ٣٣-٣٤ . سنن ابن ماجه ، من حديث زيد بن ثابت برقم ٢٣٠ ، وجبير بن مطعم برقم ٢٣١ وابن مسعود برقم ٢٣٢ ، وعن أنس برقم ٢٣٦ .

المقدمة ، باب من بلغ علماً (١٨) ، ١/٨٤ - ٨٦ .

(٢) الأم : ٢/٢٧٣ .

(٣) سورة النساء الآية : ٥٩ .

قال : « الأمة مجمعة على أن هذا الخطاب متوجه إلينا وإلى كل من يخلق ويركب روحه في جسده إلى يوم القيامة من الجنة والناس ، كتوجهه إلى من كان على عهد رسول الله ﷺ وكل من أتى بعده عليه السلام وقبلنا ولا فرق » (١) .

رابعاً : أقوال الأئمة :

١ - قال حسان بن عطية :

« كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن » (٢) .

٢ - قال الشافعي رحمه الله :

« وضع الله رسوله من دينه وفرضه وكتابه الموضع الذي أبان جل ثناؤه أنه جعله علماً لدينه بما افترض من طاعته وحرّم من معصيته وأبان من فضله بما قرن من الإيمان برسوله مع الإيمان به » (٣) .

٣ - وقال ابن حزم رحمه الله :

« والقرآن والخبر الصحيح بعضها مضاف إلى بعض وهما شيء واحد في أنهما من عند الله تعالى ، وحكمهما حكم واحد في باب وجوب الطاعة لهما... قال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (٤) .

وقال تعالى : « قل إنما أنذركم بالوحي » (٥) فأخبر تعالى ... أن كلام نبيه صلى الله عليه وسلم كله وحي ، والوحي بلا خلاف ذكر ، والذكر محفوظ بنص القرآن » (٦) .

[٤] **منزلة السنة** : تتبوأ السنة المشرفة منزلة عظيمة من كتاب الله العزيز فهي التطبيق

(١) الإحكام في أصول الأحكام : ٩٧/١ .

(٢) سنن الدرامي : ١٤٥/١ .

(٣) الرسالة : ص : ٧٣ .

(٤) سورة الحجر : الآية : (٩) .

(٥) سورة الأنبياء : الآية : (٤٥) .

(٦) الإحكام في أصول الأحكام : ٩٨/١ .

العملي لما جاء فيه وذلك لأنها معضدة لآياته كاشفة لغوامضه ، مجلية لمعانيه ، شارحة لألفاظه ، موضحة لإبهامه كما جاءت بأحكام لا توجد في كتاب الله ولم ينص عليها فيه وهي لا تخرج عن قواعده وغاياته، فلا يمكن الاستغناء عنها بحال من الأحوال أو إهمالها في وقت من الأوقات ، وذلك لأهميتها القصوى في فهم دين الله والعمل به .

وقد أوضح العلماء **أوجه** السنة من القرآن وأنها معه على ثلاثة أنواع :

النوع الأول :

أنها تأتي مؤكدة لآياته مقرررة لأحكامه معضدة لها ، ومثاله أحاديث وجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج ، من ذلك قوله ﷺ في حديث ابن عمر رضي الله عنهما « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان » ^(١) .

فهو يؤكد لقوله سبحانه وتعالى في شأن الصلاة والزكاة « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » ^(٢) وفي شأن الصوم لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » ^(٣) .

وفي شأن الحج لقوله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » ^(٤) ^(٥) .

وهذا القسم هو الذي عناه الإمام الشافعي رحمه الله بقوله : « ما أنزل الله فيه نص كتاب فبين رسول الله مثل ما نص الكتاب » ^(٦) .

النوع الثاني :

أنها تأتي مبينة لكتاب الله عز وجل كما قال سبحانه في شأن رسوله ﷺ :

(١) أخرجه : البخاري في صحيحه كتاب الإيمان : (٢) . باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « بني الإسلام على خمس » : (١) ، ٨ / ١ . ولفظ مقارب . موقوفاً على ابن عمر . في كتاب التفسير : (٦٥) .
تفسير سورة البقرة : (٢) ، باب « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » : (٣٠) ، ١٥٧ / ٥ . ومسلم في صحيحه . كتاب الإيمان : (١) . باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام : (٥) برقم : (١٦) . ٤٥ / ١ .

(٢) سورة البقرة : الآية : (٨٣) .

(٣) سورة البقرة : الآية : (١٨٣) .

(٤) سورة آل عمران : الآية (٩٧) .

(٥) انظر : معالم على طريق السنة : ص : ٢٣ .

(٦) الرسالة : ص : ٩١ - ٩٢ .

«وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون» ^(١) وهي ما عناه الشافعي بقوله : « مما أنزل الله فيه جملة كتاب فيين عن الله معنى ما أراد » ^(٢) ويتمثل بيانها للقرآن في عدة جوانب من ذلك :

١ - بيان مجمله : هو : ما لم تتضح دلالاته ^(٣) .

ولقد جاءت كثير من أحكام القرآن العملية مجملية **فبيئت** السنة إجمالها ، من ذلك أن الله أمر بأداء الصلاة من غير بيان ^(٤) فبيئت السنة كل ذلك بتطبيق رسول الله ﷺ ذلك عملياً وبتعليمه كيفيتها للمسلمين كما قال ﷺ « صلوا كما رأيتموني أصلي » ^(٥) .

وفرض الله الزكاة من غير بيان لمقاديرها وأوقاتها وانصبتها وتعيين ما يزكي مما لا يزكي ، فجاءت السنة وافية ببيان كل ذلك وتفصيله .

وشرع الحج من غير أن يبين مناسكه ، فبين ﷺ تلك المناسك فقال في حجة الوداع « لتأخذوا مناسككم » الحديث ^(٦) .

وكذلك بيانه ﷺ لأحكام الصوم مما لم ينص عليه في الكتاب ، والطهارة والذبائح والصيد والأنكحة .

وأحكام البيوع والجنايات والحدود مما وقع مجملاً في القرآن ففصله النبي ﷺ ^(٧) .

٢ - تخصيص عامه :

العام : هو اللفظ المستغرق لما يصلح له من غير حصر .

والتخصيص : هو إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام ^(٨) .

(١) سورة النحل : الآية : (٤٤) .

(٢) الرسالة : ص : ٩٢ .

(٣) الاتقان في علوم القرآن : ٣٩ / ٢ .

(٤) لأوقاتها وأركانها وركوعها وسجودها وعدد ركعاتها

(٥) انظر : أصول الفقه الإسلامي لبدران أبي العنين : ص : ١٠٣ والحديث : سبق تخريجه . انظر : ص : ٦

(٦) انظر : أصول الحديث : ص : ٤٧ . والحديث سبق تخريجه . انظر : ص : ٦

(٧) انظر : الموافقات : ١٤ / ٤ .

(٨) مباحث في علوم القرآن : ص : ٢٢١ .

وفي القرآن وردت أحكام عامة جاء في السنة تخصيصها من ذلك قوله تعالى «يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين» ^(١) فالآية عامة في كل أصل موروث ، فخصص ﷺ ذلك بغير الأنبياء فقال : « لانورث ما تركنا صدقة (٢) (٣) » .

ومن ذلك قوله تعالى « وأحل الله البيع » ^(٤) فهي عامة في كل بيع فخصصت السنة جميع البيوع الفاسدة وهي كثيرة ^(٥) .

٣ - تقييد مطلقه :

المطلق هو ما دلّ على الحقيقة بلا قيد .

ويعارضه المقيد الذي يدل عليها بقيد ^(٦) .

فمما ورد في القرآن مطلقاً فقيدته السنة . قوله تعالى : « من بعد وصية يوصى بها أو دين » ^(٧) فأمرت الآية بإخراج الوصية من مال الميت ولم تحدد مقدارها ، فجاءت السنة مقيدة للوصية

(١) سورة النساء : الآية : (١١) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب فرض الخمس : (٥٧) . باب فرض الخمس : (١) . ٤٢/٤ ، ٤٣ . وفي كتاب المغازي : (٦٤) باب حديث بني النضير : (١٤) ٢٣/٥ . وفي كتاب النفقات : (٦٩) . باب حيس نفقه الرجل : (٣) . ١٩٠/٦ . وفي كتاب الاعتصام : (٩٦) باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم : (٥) . ١٤٦/٨ .

وأخرجه مسلم في صحيحه . كتاب الجهاد والسير : (٣٢) . باب حكم الفياء : (١٥) . برقم : (١٧٥٧) . ١٣٧٨ - ١٣٧٩ . وفي باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لانورث ما تركنا فهو صدقة » : (١٦) برقم : (١٧٥٨) ، (١٧٥٩) . ١٣٧٩/٣ - ١٣٨١ .

(٣) انظر : أصول الفقه الإسلامي لبدران : ص : ١٠٣ ، ١٠٤ ، أصول الحديث : ص : ٤٨ .

(٤) سورة البقرة : الآية : ٢٧٥ .

(٥) انظر : الالتقان في علوم القرآن : ٣٦/٢ .

(٦) انظر : مباحث في علوم القرآن : ص : ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٧) سورة النساء : الآية : (١١) .

بالثالث (١) .

٤ - توضيح المشكل :

لقد كانت بعض الآيات يشكل فهمها على بعض الصحابة رضوان الله عليهم فيوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يشكل عليهم .

من ذلك ما رواه البخاري بسنده إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « لما نزلت هذه الآية : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » (٢) شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا : أينما لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إنه ليس بذلك ألا تسمعون إلى قول لقمان : « إن الشرك لظلم عظيم » (٣)(٤) .

فقد فهم الصحابة أن المراد بالظلم في الآية عموم الظلم ويدخل في ذلك ظلم الإنسان نفسه بتقصيره في بعض الحقوق فأزال الرسول ﷺ الإشكال بإيضاحه لهم أن الظلم ليس على عمومهم وإنما المقصود نوع من الظلم وهو الشرك بالله وهو أعظم أنواع الظلم .

(١) انظر : المدخل إلى توثيق السنة : ص : ١٣ .

روى البخاري بسنده إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : مرضت فعادني النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ادع الله أن لا يرديني على عقبي قال : « لعل الله يرفعك وينفع بك ناساً » قلت أريد أن أوصي وإنما لي ابنة ، قلت أوصي بالنصف ؟ قال : « النصف كثير » قلت : فالثالث ؟ قال : « الثلث والثالث كثير أو كبير » قال : فأوصي الناس بالثلث وجاز ذلك لهم .

صحيح البخاري : كتاب الوصايا : (٥٥) . باب الوصية بالثلث : (٣) . ١٨٧/٣ وانظر : باب أن يترك ورثته أغنياء : (٢) ، ١٨٦/٣ . كتاب الجنائز : (٢٣) ، باب رثى النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن خولة : (٣٧) ، ٨٢/٢ . كتاب مناقب الأنصار : (٦٣) ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم امضي لأصحابي هجرتهم » : (٤٩) ، ٦٣/٤ . كتاب النفقات : (٦٩) ، باب فضل النفقة على الأهل : (١) ، ١٨٩/٦ . كتاب المرضى : (٧٥) ، باب وضع اليد على المريض : (١٣) ، ٦/٧ . وباب قول المريض إني وجع : (١٦) ، ٩ ، ٧ ، ٨٠ . كتاب الدعوات : (٨٠) . باب الدعاء برفع الوباء والوجع : (٤٣) ، ١٦٠/٧ . كتاب الفرائض : (٨٥) ، باب ميراث البنات : (٦) ، ٥/٨ . صحيح مسلم : كتاب الوصية : (٢٥) ، باب الوصية بالثلث : (١) . برقم : (١٦٢٨) ، ٣/١٢٥٠ - ١٢٥٣ . (٢) سورة الأنعام : الآية : (٨٢) . (٣) سورة لقمان : الآية : (١٣) .

(٤) صحيح البخاري : كتاب استتابة المرتدين : (٨٨) ، باب : (١) ، ٤٨/٨ وأخرجه بلفظ مقارب : في كتاب الأنبياء : (٦٠) ، باب قول الله تعالى : « ولقد آتينا لقمان الحكمة » الآية : (٤١) ، ١٣٧/٤ . وفي كتاب التفسير : (٦٥) تفسير سورة الأنعام : (٦) ، باب « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » : (٣) ، ١٩٣/٥ وأخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب ، وفيه ، قالوا : « أينما لا يظلم نفسه » ، كتاب الإيمان : (١) ، باب صدق الإيمان وإخلاصه : (٥٦) برقم : (١٢٤) ، ١١٤-١١٥ .

٥ - بسط مختصره :

تشير بعض آيات القرآن الكريم إلى بعض الحوادث التي وقعت في عهد النبي ﷺ أو في العهود السابقة وتتناولها بشيء من الإيجاز ، فيأتي في السنة بسط لما أشار إليه القرآن ، وإيضاح لبعض الجوانب التي لم تذكر فيه .

مثال ذلك حادثة الثلاثة : الذين خلفوا عن غزوة تبوك فقد تعرض القرآن لذكرها باختصار بالغ في قوله تعالى : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » الآية (١) .

وقد جاء بسطها في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه وهو حديث طويل استوعب جزئيات تلك القصة (٢) .

ومثال ذلك في العهود السابقة ما ذكره الله عز وجل في شأن أصحاب الأخدود ، فأورده باختصار فذكر رسول الله ﷺ جانباً مما وقع لهم وما لا قوه من ابتلاء وامتحان (٣) .

٦ - ناسخة لحكم ثبت بالقرآن :

النسخ هو : رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي متراخ عنه (٤) ونسخ السنة للقرآن موضع اختلاف بين العلماء .

ومن يجوز ذلك يستند في ذلك لقوله تعالى : « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين » (٥) .

فقد نصت الآية بالوصية للوالدين ، وهما من الورثة ، ولهما حق مقرر معلوم ، فجاءت السنة ناسخة : حكم الوصية لكل وارث وذلك في قوله ﷺ :

(١) سورة التوبة : الآية : (١١٨) .

(٢) انظر : في الحديث النبوي : ص : ٢٨ .

وانظر : صحيح البخاري : كتاب المغازي : (٦٤) ، باب حديث كعب ابن مالك : (٧٩) ، ١٣٥-١٣٠/٥ .
صحيح مسلم : كتاب التوبة : (٤٩) ، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه : (٩) : (٢٧٦٩) . ٢١٢٠/٤ - ٢١٢٩ .

(٣) انظر : صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق : (٥٣) . باب قصة أصحاب الأخدود : (١٧) . برقم : (٣٠٠٥) ، ٤ ، ٢٢٩٩-٢٣٠١ .

(٤) مباحث في علوم القرآن : ص : ٢٣٢ .

(٥) سورة البقرة : الآية : (١٨٠) .

« إن الله قد أعطى لكل ذي حق حقه فلا وصية لوارث »^(١) فنسخت الآية بالسنة الثابتة لا بالإرث على الصحيح من أقوال العلماء ، لأن الكل حكم الله تعالى وأمره عنده وإن اختلفت الأسماء^(٢) .

٧ - مفرعة على أصل تقرر في الكتاب :

مثال ذلك منع بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها ، ففي قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم »^(٣) .

تحريم على الناس أكل أموالهم بينهم بالباطل وبغير حق وإباحة الأكل بشرط عقد التراضي .

فجاء النبي ﷺ إلى المدينة فوجد الناس قد وقعوا في أعراف وعادات آباحوا بها أكل أموالهم بصور كانت مصدراً لنزاع دائم من ذلك ، بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها ، فقد يأتي مرض أو جائحة على ذلك الثمار فتفسده فيقع الخصام والنزاع . فلذلك حرم رسول الله صلى

(١) أخرجه أبو داود في سننه عن أبي أمامة . كتاب الوصايا ، باب ماجاء في الوصية للوارث . برقم (٢٨٧٠) .
 ٣/ ١١٤ . وفي كتاب البيوع ، باب في تضمين العارية ، برقم (٣٥٦٥) ، ٣/ ٢٩٦ - ٢٩٧ .
 والترمذي في سننه ، عنه رضي الله عنه ، برقم : (٢١٢٠) ، وعن عمرو بن خارجة برقم : (٢١٢١) ، كتاب الوصايا :
 (٣١) ، باب ماجاء لا وصية لوارث : (٥) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » . ٤/ ٣٧٦ - ٣٧٨ .
 والنسائي في سننه عن عمرو بن خارجة ، في كتاب الوصايا ، باب إبطال الوصية للوارث ، ٦/ ٢٠٧ .
 وابن ماجه في سننه عنه رضي الله عنه برقم : (٢٧١٢) ، وابن أبي عمير برقم (٢٧١٣) وأنس برقم : (٢٧١٤) . كتاب
 الوصايا : (٢٢) ، باب لا وصية لوارث : (٦) ، ٢/ ٩٠٥ - ٩٠٦ .
 والدارمي في سننه ، عن عمرو بن خارجة ، كتاب الوصايا ، باب الوصية للوارث ٢/ ٤١٩ .
 والبيهقي في سننه ، عن أبي أمامة وعمرو بن خارجة وأنس . ٦/ ٢٦٤ - ٢٦٥ وأحمد في المسند عن عمرو بن خارجة :
 ٤/ ١٨٦ ، ١٨٧ .

وقال الشيخ ناصر الدين الألباني عنه : « صحيح » صحيح الجامع : ١/ ٩٦ برقم (١٧١٦) صحيح سنن أبي داود :
 ٢/ ٥٥٤ ، ٦٨٠ . وأورده في أرواء الغليل برقم : (١٦٥٥) . وذكر طريقه ثم قال : « إن الحديث صحيح لاشك فيه ، بل
 هو متواتر كما جزم بذلك السيوطي وغيره من المتأخرين » . ٦/ ٨٧ - ٩٦ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢/ ٢٦٣ .

(٣) سورة النساء : الآية : (٢٩) .

الله عليه وسلم بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها^(١) وقال في ذلك أيضاً : « أرايت إذا منع الله الثمرة بم يأخذ أحدكم مال أخيه » (٢)(٣) .

قال الإمام الشافعي بعد ذكره للنوعين السابقين - أي السنة المؤكدة والسنة المبينة - قال : « وهذان الوجهان اللذان لم يختلفوا فيهما » (٤) .

النوع الثالث :

أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه ، أو محرمة لما سكت عن تحريمه (٥) .

وهي القسم الذي عناه الشافعي بقوله : « ما سن رسول الله فيما ليس فيه نص كتاب » (٦) .

ومثالها الأحاديث التي تحرم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها (٧) .

وهذا النوع هو الذي وقع الخلاف فيه بين العلماء. فهل تعتبر أحكاماً مستقلة عما في

(١) انظر : صحيح البخاري : كتاب الزكاة : (٢٤) ، باب من باع ثماره .. (٥٨) ، ١٣٤/٢ كتاب البيوع ، (٣٤) ، باب بيع المزمنة : (٨٢) ، وباب بيع الثمر على رؤوس النخل : (٨٣) ، وباب بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها : (٨٥) ، وباب بيع النخل قبل أن يبدو صلاحها : (٨٦) ، وباب إذا باع الثمار قبل أن يبدو صلاحها : (٨٧) . ٣١/٣ - ٣٤ . وكتاب المساقاة : (٤٢) ، باب الرجل يكون له ممر أو شرب في حائط : (١٧) ، ٨١/٣ . صحيح مسلم : كتاب البيوع : (٢١) ، باب النهي عن بيع الثمار قبل بدء صلاحها : (١٣) حديث رقم : (١٥٣٤) ، (١٥٣٨) ، ٣/١١٦٥ - ١١٦٨ .

وفي باب تحريم بيع الرطب بالتمر إلا في العرايا : (١٤) . برقم : (١٥٣٩) ، ٣/١١٦٨ . (٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك في كتاب البيوع : (٣٤) ، باب إذا باع الثمار قبل أن يبدو صلاحها : (٨٧) . ٤٣/٣ ، ويلفظ مقارب في باب بيع المخاضرة : (٩٣) . ٣٦/٣ . وأخرجه مسلم في صحيحه بالفاظ مقاربة ، كتاب المساقاة : (٢٢) ، باب وضع الجوائح : (٣) ، برقم : (١٥٥٥) . ١١٩٠/٣ .

(٣) انظر : بداية المجتهد : ١٤٩-١٦٣ ، المدخل إلى علم أصول الفقه : ص : ٧٢ ، ٧٣ .

(٤) الرسالة : ص : ٩٢ .

(٥) أعلام الموقعين : ٢/٣١٤ .

(٦) الرسالة : ص : ٩٢ .

(٧) روى البخاري بسنده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال :

« نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها » وروى قريباً منه عن أبي هريرة . في كتاب النكاح : (٦٧) ، باب لا تنكح المرأة على عمتها : (٢٧) . ١٢٨/٦ .

وأخرجه مسلم في صحيحه . من حديث أبي هريرة ، في كتاب النكاح : (١٦) ، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ، (٤) ، برقم : (١٤٠٨) ، ١٠٢٨/٢ - ١٠٣٠ .

القرآن؟ أو هي داخلة تحت نصوصه ، ولو اتبع في ذلك شيء من التأويل والتكلف؟ ذهب المحدثون وأكثر العلماء على أن السنة قد تستقل بالتشريع وتأتي بما ليس في كتاب الله تعالى لأنها من عند الله حقيقة فهي موحى بها من الله إلى رسوله ﷺ (١) فوحى الله إلى رسوله قسمان ، قال عنهما الإمام ابن حزم : « أحدهما وحي متلو مؤلف تأليفاً معجز النظام وهو القرآن ، والثاني وحي مروي منقول غير مؤلف ولا معجز النظام ولا متلو ولكنه مقروء وهو الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ » (٢) .

وذهب آخرون على أن السنة لا تستقل بالتشريع وإنما تدخل أحكامها تحت نصوص القرآن .

قال الشاطبي : « السنة راجعة في معناها إلى الكتاب فهي تفصيل مجمله ، وبيان مشكله ، وبسط مختصره . وذلك لأنها بيان له وهو الذي دل عليه قوله تعالى « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » (٣) .

فلا تجد في السنة أمراً إلا والقرآن قد دل على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية (٤) .

وقال أبو زهرة : « لانكاد نجد مثلاً لحكم أتت به السنة إلا وجدنا له أصلاً قرآنياً قريباً كان أو بعيداً » (٥) .

وقد استند كل فريق على أدلة تؤيد ما ذهب إليه (٦) مع اتفاقهما على وجود أحكام جديدة لم ترد في القرآن صراحة ، وهذا ما عناه الفريق الأول باستقلال السنة في التشريع ، بينما عني الفريق الثاني أن عدم وجودها صراحة في القرآن لا يخرجها عن دخولها تحت نصوص أو قواعد عامة دل عليها القرآن (٧) .

وفي الحقيقة إرجاع كل ما ورد في السنة إلى القرآن الكريم وإدخاله تحت نصوصه فيه

(١) انظر : مقاييس نقد متون السنة : ص : ٢٦٩ .

(٢) الأحكام في أصول الأحكام : ٩٧/١ .

(٣) سورة النحل : الآية : (٤٤) .

(٤) الموافقات : ٦/٤ .

(٥) أصول الفقه : ص : ١١٣ .

(٦) انظر : الموافقات : ٦/٤ - ٨ . السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : ص : ٣٨١ .

(٧) المرجع السابق : ص : ٣٨٥ .

نوع من التكلف والتأويلات البعيدة ، وقد اعترف الإمام الشاطبي بذلك .
 فبعد إيراده لمجموعة من الأحاديث التي حاول بعض العلماء إدخالها تحت نصوص القرآن ،
 قال :

« ولكن القرآن لا يفي بهذا المقصود على النص والإشارة العربية التي تستعملها العرب أو نحوها فالملتزم بهذا لا يفي بما ادعاه إلا أن يتكلف في ذلك مأخذ لا يقبلها كلام العرب ولا يوافق على مثلها السلف الصالح ولا العلماء الراسخون في العلم » (١) .
 ويتبين مما سبق من خلاف ، أنه لا يتعدى أن يكون لفظياً إذ الكل مقر بوجود أحكام ثابتة في السنة لم ترد في القرآن بل إن الجميع اتفقوا على حجيتها (٢) .
 ولذلك قال الإمام الشافعي بعد ذكره للخلاف السابق :

« وأي هذا كان فقد بين الله أنه فرض فيه طاعة رسوله ، ولم يجعل لأحد من خلقه عذراً بخلاف أمر عرفه من أمر رسول الله وأن قد جعل الله بالناس كلهم الحاجة إليه في دينهم إن سنته ﷺ إذا كانت سنة مبينة عن الله معنى ما أراد من مفروضه فيما فيه كتاب يتلونه ، وفيما ليس فيه نص كتاب أخرى : فهي كذلك أين كانت ، لا يختلف حكم الله ثم حكم رسوله ، بل هو لازم بكل حال » (٣) .

وهذا القسم على اعتبار أنه زائد على القرآن فهو تشريع مبتدأ من رسول الله ﷺ يجب طاعته فيه ولا تحل معصيته ، امتثالاً لما أمر الله به من طاعة رسوله ، ولو كان لا يطاع في هذا القسم ، لم يكن لطاعته معنى ، وسقطت طاعته المختصة به ، لأنه إذا لم تجب طاعته إلا إذا وافق القرآن لا فيما زاد عليه لم يكن له طاعة خاصة تختص به ، وقد قال تعالى « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (٤)(٥) .

(١) الموافقات : ٢٨ / ٤ .

(٢) انظر : أعلام الموقعين . ٣١٥ / ٢ ، ٣١٦ .

(٣) الرسالة : ١٠٤ - ١٠٥ .

(٤) سورة النساء الآية : (٨٠) .

(٥) انظر : أعلام الموقعين : ٣١٤ / ٢ ، ٣١٥ .

المطلب الثانى العلاقة بين الشرع والعقل فى الدين الإسلامى

ماهية العقل :

العقل صفة قائمة بنفس الإنسان التى تعقل ، وأما من البدن فهو متعلق بالقلب لقوله تعالى : {أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها} (١)(٢).

وظيفته :

العقل شرط فى معرفة العلوم ، وفى الأعمال وصلاتها ، وبه يكمل الدين والعمل ، ولكنه لا يستقل بذلك ، إذ هو غريزة فى النفس وقوة فيها كقوة البصر ، إن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار ، وإن انفرد لم يبصر الأمور التى يعجز وحده عن إدراكها وإن أبعد بالكلية كانت الأقوال والأفعال أمورا حيوانية (٣).
موقف أرباب المذاهب منه :

لقد تباينت أقوال الناس وأحكامهم فى العقل ودلالته على الحق ، وذهب فيه كل منهم مذهبا .
فأهل الكلام والفلسفة (٤) جعلوا العقل من أصول العلم

(١) سورة الحج : آية ٤٦

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٣٠٣/٩ .

(٣) انظر المرجع السابق ٣٣٩،٣٣٨/٣ .

(٤) الفلسفة : لفظ الفلسفة مشتق من اليونانية وأصله (فيل - صوفيا) ومعناه محبة

الحكمة . ويطلق على العلم بحقائق الأشياء ، والعمل بما هو أصلح . وتعنى عند الأوائل جميع العلوم ، وأما فى الحديث فهى تطلق على دراسة المبادئ الأولى التى تفسر المعرفة تفسيرا عقليا كفلسفة العلوم ، وفلسفة الأخلاق .

انظر : المعجم الفلسفى ١٦٥-١٦٠/٢ .

وجعلوا الوحي تابعاً له ، بل حكموه في نصوص الوحي فلا يقبل منها إلا ما أيده العقل ووافقه ويدفع منها ما عارضه وخالفه (١) .

وكثير من المتصوفة يذمون ^{هذا} العقل ويعيبونه ، ويرون أن الأحوال والمقامات لا تكون إلا مع عدم وجوده ، ويقولون ويصدقون بما يكذب به صريح العقل ، ويمدحون الأمور التي تؤدي إلى زواله كالسكر والجنون (٢) . وظن الأولون أن دلالة الكتاب والسنة قاصرة فقط على الأخبار المجردة الخالية من الدلالات العقلية ، وهذه الأخبار موقوفة على العلم بصدق المخبر ، ويجعلون ما يبني عليه صدق المخبر معقولات محضة (٣) .

فهؤلاء عظموا عقولهم وقدموها وأخضعوا لها نصوص الوحي . فالحق عندهم ما جاء به ، والباطل ما رفضته ، وجرّدوا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عن الدلائل العقلية ، بل جعلوا الشرع والعقل ضدين استحكمت بينهما العداوة والتنافر .

وأما الذين عطلوا عقولهم وكبلوها ، وذموا العقل وعابوه فهؤلاء ذمهم الله ، ووصفهم بأنهم شر الخليقة في الأرض ، وذلك في قوله تعالى : ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون . ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ﴾ (٤) .

ولذا كان جوابهم يوم القيامة عندما يطرحون في النار : ﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير . فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير ﴾ (٥) .

١- سوف يأتي بسط الكلام عن هذه الفئة ، وما يؤيد ما ذكرت من أقوالهم وشبههم ، والجواب عنها .

٢- انظر : مجموع الفتاوى : ٣/٣٣٨ ، ٣٣٩ .

٣- انظر : درء تعارض العقل والنقل : ١/٢٨ ، ٢٩ .

٤- سورة الأنفال : الآيات : (٢٢) ، (٢٣) .

٥- سورة الملئ : الآيات : (١٠) ، (١١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :
 "عدم العقل والتمييز ... لا يحمد لخال من جهة نفسه ، فليس في كتاب
 الله ولا سنة رسوله مدح وحمد لعدم العقل والتمييز والعلم . بل قد مدح
 الله العلم والعقل والفقه ونحو ذلك في غير موضع واذم عدم ذلك في
 مواضع" (١).

فقد مدح الله وأثنى على أصحاب العقول السليمة التي أحسن
 أصحابها استخدامها فهداهم الله بها إلى الحق . تلك العقول التي تتدبر في
 خلق الله وتجول بفكرها في مخلوقاته تتلمس فيها قدرة الخالق وربوبيته لجميع
 الخلق ، {إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات
 لأولى الأبصار} . الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون
 في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ففنا عذاب
 النار} (٢) . ولم تعارض شرع الله ودينه ، وإنما وقفت عند حدودها التي
 حدها الله لها ، فلم تنتهك حرمة النصوص ، ولم تغفل تدبرها وفهمها . فهي
 التي عرفت الحق وصارت على الصراط المستقيم حيث لا إفراط ولا تفريط .

(١) الاستقامة ١٥٧/٢ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٩٠، ١٩١

اهتمام الإسلام بالعقل :

إن الإسلام اهتم بالعقل اهتماماً بالغاً فجعله مناط التكليف ، فإذا فقد ارتفع التكليف وعد فاقده كالبهيمة لا تكليف عليه (١).

بل جعله الإسلام أحد الضروريات الخمس التي أمر الشارع بحفظها ورعايتها ، لأن مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة عليها (٢).

والعقل الذي يستطيع أن يؤدي وظيفته على أكمل وجه هو الذي تجرد من الهوى وخلص من ربة التقليد ، فلم يتأثر بالآراء والأفكار المنحرفة التي تدفعه للوقوع في الضلال ، كما أنه لم يعطل قواه باتباع أعمى فينجر إلى الانحراف والزيغ .

فهذا هو العقل الذي يمكنه أن يحمل رسالة الإسلام حملاً صحيحاً ، منصاعاً لتكاليف الإسلام ، منقاداً لأوامره ، منتهياً عن نواهيه .

وأحكام الإسلام كلها معقولة لم تخاطب إلا العقل ، ولم توجه إلا إليه ، فحث الإسلام العقل على التفكير والتدبر والتبصر ونهاه عن التقليد ، والخضوع الأعمى للسادة والكبراء ، ووجه الدعوة إليه معزولة عن وسائل الضغط والشدة والقصر والإكراه كما قال تعالى : {الإكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي} (٣)(٤).

والقرآن والسنة مملوءان بالأدلة العقلية التي تقصر عنها عقول أهل الكلام والفلسفة .

(١) انظر : الموافقات ١٣/٣ .

(٢) المرجع السابق ٨/٢ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٥٦

(٤) انظر : لمحات في وسائل التربية الإسلامية - وغايتها ص ١٢٣-١٢٧ .

فالله سبحانه وتعالى قد ضمن كتابه العزيز من الأدلة العقلية والحجج البينة الباهرة والأقيسة التي هي الأمثال المضروبة ما يتضح لكل ذي عقل ، فخطب بذلك أولى الألباب ، والنهي ، والحجى ، ومن يعقل ويسمع . فضمنه سبحانه وتعالى من الأدلة العقلية ما أخبر به عن نفسه وأسمائه وصفاته ، وأمر المعاد ، وثبوت الأوامر والنواهي ، والوعد والوعيد (١) .

قال شيخ الإسلام بن تيمية :

« قد تدبرت عامة ما يذكر المتفلسفة والمتكلمة ، والدلائل العقلية فوجدت دلائل الكتاب والسنة تأتي بخلاصته الصافية عن الكدر ، وتأتي بأشياء لم يهتدوا لها ، وتحذف ما وقع منهم من الشبهات والأباطيل مع كثرتها واضطرابها » (٢) .

وقال : « إنما عند النظر أهل الكلام والفلسفة من الدلائل العقلية على المطالب الإلهية . فقد جاء القرآن الكريم بما فيها من الحق ، وما هو أبلغ وأكمل منها على أحسن وجه ، مع تنزهه عن الأغاليط الكثيرة الموجودة عند هؤلاء ، فإن خطأهم فيها كثير جداً ، ولعل ضلالهم أكثر من هداهم ، وجهلهم أكثر من علمهم » (٣) .

وقد جاءت البراهين العقلية في القرآن الكريم في أعظم المطالبة الإلهية ، ففي الدلالة على توحيد الله وتفرده بالعبادة دون سواه ، خاطب الله أصحاب العقول مبيناً لهم بطلان الآلهة التي اتخذت من دونه فقال : ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف

١- انظر : « بيان تلبيس الجهمية » ١ / ٢٤٦ - ٢٤٧ .

٢- مجموع الفتاوى ١٩ / ٢٣٢-٢٣٣ .

٣- المرجع السابق ٩ / ٢٢٥ .

الطالب والمطلوب» (١) .

فهذه الآلهة التي عبدت مع الله عز وجل آلهة ضعيفه عاجزة لا تملك لمعبوديهها نفعا ولا ضرا .

فإذا كان الذباب وهو أضعف الحيوان وأحقره ، لا يقدر من عبده من دون الله على خلق مثله ، ودفع أذيته ، فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين وأربابا مطاعين . وهذا من أقوى الحجج وأوضح البراهين (٢) .

وقال تعالى ﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيماكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ﴾ (٣) .

وهذا من أقوى الأدلة في نفي الشريك عن الله سبحانه وتعالى ، فهو خطاب موجه إلى المشركين الذين صرفوا العبادة لغير الله سبحانه .

فهل يرضى أحدهم أن يكون مملوكه في نفسه وماله مثله ، فإذا لم يرضوا هذا لأنفسهم فكيف جعلوا لله شركاء ؟ (٤) .

وهذا مثل ضربه الله لكي ينتفع به أصحاب العقول السليمة كما قال تعالى ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ (٥) .

فالأمثال المضروبة في القرآن أورد الله فيها خلاصة الحجج والأقضية العقلية التي ينتفع بها أصحاب العقول النيرة ، والأفهام المدركة ، قال تعالى

١- سورة الحج الآية (٧٣) .

٢- انظر الجامع لأحكام القرآن ٩٧/١٢ .

٣- سورة الروم الآية (٢٨) .

٤- انظر المرجع السابق ٢٣/١٤ .

٥- سورة العنكبوت الآية (٤٣) .

﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون ﴾ (١) . (٢)

وقد دل الله عز وجل على معاد الأجسام بأبلغ الأدلة التي يقف العقل أمامها متحيراً بعظم الاستدلال وقوة الحجة ، وذلك في قوله تعالى ﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون . أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم . . إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ﴾ (٣) .

فقد ذكر الله في هذه الآيات عدة أدلة عقلية على المعاد : فبين أنه خلق الإنسان من نطفة وهي ماء مهين حقير ضعيف في غاية من الضعف والعجز فصار خلقاً سوياً تام العقل والإدراك والقدرة على التصرف وكسب المصالح لنفسه ودفع المضار عنها .

فإذا هو يخاصم ويجادل في نشأته ومن يقدر على إعادة خلقه .

ألا يقدر من أوجده من ذلك الأصل المוגل في الضعف والعجز أن يعيد نشأته إذا توفاه وصار رميمًا ؟

وإذا سلم بهذه الحقيقة ، وأصل نشأته فما الذي يستبعده عقله من القدرة على الإعادة ؟ أليس من الأمر البدهي أن إعادة الشيء بعد تلفه وتفرقه أهون من إنشائه أول مرة من العدم ؟

١- سورة الزمر الآية (٢٧) .

٢- انظر درء تفاوض العقل والنقل ٢٩/١ .

٣- سورة يس الآيات (٧٧-٨٣) .

ولتقرير هذا المعنى وإثبات قدرة الخالق المطلقة على هذا وعلى ما هو أعجب من ذلك ضرب لذلك مثلاً بالنار التي تخالف طبيعتها الرطب والماء حيث لا يجتمعان، وفي ذلك دلالة على عظمة قدرة الخالق الذي لا يعجزه شيء (١) .

ثم أخبر عن عظم قدرته في خلق السموات وما فيها من كواكب ، والأرض وما فيها من جبال ورمال وبحار وقفار وما بين ذلك ، وهذا أعظم في الإيجاد من خلق الأجساد كما قال تعالى ﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ (٢) . (٣)

والعلوم والأعمال التي يستفيد منها الخلق نوعان : نوع يحصل بالعقل كعلم الحساب والطباعة والصناعة والحياكة وغير ذلك .

ونوع لا يعلم بمجرد العقل : كالعلوم الإلهية ، وعلوم الديانات ، وهذه منها ما يمكن أن يقام عليه أدلة عقلية ، والرسل عليهم السلام هم الذين هـدوا الخلق وأرشدوهم إلى دلالة القدرة عليها ، وهي عقلية شرعية (٤) .

١- انظر : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول : ٤٧/١ ، ٤٨ .

٢- سورة غافر الآية (٥٧) .

٣- انظر : تفسير القرآن العظيم : ٢٨٢/٣ .

٤- انظر : مجموع الفتاوي ٢١٠/٤ ، ٢١١ .

لاتعارض بين الشرع والعقل :

وقد وضع علماء الكلام قاعدة عامة سموها قانونا كليا يرجع إليه في جميع أمور الدين . فقالوا : إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية ، أو النقل والعقل فإما أن يجمع بينهما وهو محال ، لأنه جمع بين النقيضين ، وإما أن يردا جميعا ، وإما أن يقدم السمع وهو محال ، لأن العقل أصل النقل ، فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحا في العقل الذى هو أصل النقل ، والقدح في أصل الشئ قدح فيه ، فكان تقديم النقل قدحا في النقل والعقل جميعا ، فوجب تقديم العقل ، ثم النقل إما أن يقال بعدم صحته ، وإما أن يتأول أو يفوض (١).

فبهذه القاعدة الباطلة استطاع هؤلاء أن يردوا نصوص الوحي الثابتة وأن يجعلوا لعقولهم سلطانا عليها يحول في النصوص فيرد ما شاء ويقبل ما شاء ويدعى معارضته لما شاء ، وحكموها على النصوص وقدموها عليها . وما كانت الشريعة الغراء بقسميها الكتاب والسنة تعارض العقول أو تخالفها .

لأن كل ما فيها يوافق العقل ، والمعقول الصحيح دائر مع أخبارها وجودا وعدما ، فلم يخبر الله ورسوله بما يناقض صريح العقل ، ولم يشرع ما يناقض الميزان والعدل (٢).

(١) انظر أساس التقديس في علم الكلام ص ١٧٢، ١٧٣ .

(٢) انظر أعلام الموقعين ٧١/٢ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة ، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط ... »

وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه ، فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها ، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع ... ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط ، بل السمع الذي يقال إنه يخالفه : إما حديث موضوع ، أو دلالة ضعيفة ، فلا يصلح أن يكون دليلاً لو تجرد عن معارضة العقل الصريح ، فكيف إذا خالفه صريح المعقول ؟

ونحن نعلم أن الرسل لا يخبرون بمحالات العقول بل بمحارات العقول ، فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاءه ، بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته (١) .

فكيف ينقدح في ذهن المؤمن أن في نصوص الوحي المنزلة من عند الله عز وجل ما يخالف العقول السليمة ، بل كيف ينفك العقل الصريح عن ملازمة النص الصحيح ؟ بل هما أخوان لا يفترقان وصل الله بينهما في كتابه فقال ﴿ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ (٢) .

فذكر ما يتناول به العلوم وهي السمع والبصر والفؤاد الذي هو محل العقل (٣) .

١- درء تعارض العقل والنقل ١/١٤٧ .

٢- سورة الأحقاف الآية (٢٦) .

٣- انظر : مختصر الصواعق المرسلة ص ٦١ .

وكيف بعد هذا يجوز لأحد أن يقول إن في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الثابتة الصحيحة ما يعلم أحد من الخلق أنه باطل ، وأن كل من اشتبه عليه شيء مما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم قدم رأيه عليه ودفعه به ، خاصة في أنباء الغيب التي ضل فيها عامة من دخل فيها بمجرد رأيه ، بدون الاستهداء بهدي الله ، والاستضاء بنوره الذي بعث به رسوله ، وأنزل به كتبه ، مع علم كل أحد بقصوره . وتقصيره في ذلك؟ (١) .

وعلى المعتزلة الذين حكموا عقولهم في نصوص الوحي ومن سار على نهجهم وتتبع خطاهم ، أن يعلموا أنه لا يوجد حديث واحد على وجه الأرض يخالف العقل إلا أن يكون ضعيفاً أو موضوعاً ، بل لا يعلم حديث صحيح في الأمر والنهي أجمع المسلمون على تركه إلا إذا كان منسوخاً ، بل لا يعلم حديث أجمعوا على نقيضه ، فضلاً أن يكون نقيضه معلوماً بالعقل الصريح البين لعامة العقلاء . فإن ما يعلم بالعقل الصريح أظهر وأوضح مما يعلم بالإجماع (٢) .

فالعقلاء متفقون على أن العقل الصريح لا يخالف نقلاً صحيحاً (٣) .

وواجب على هؤلاء أن يخالفوا قاعدتهم ، فمتى ما تعارض الشرع والعقل عندهم . وجب عليهم تقديم الشرع ، وذلك لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به ، والشرع لم يصدقه في كل ما أخبر به ، ولا العلم

١- انظر درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٥٥ .

٢- انظر المرجع السابق ١/ ١٥٠ ، ١٥١ .

٣- انظر الصفات الإلهية ص ١٥ .

بصدق الشرع موقوف على كل ما يخبر به العقل .

فالعقل متول ، ولي الرسول ثم عزل نفسه ، لأن العقل دل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم يجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر (١) .

ولذا قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

« إذا تعارض النقل وهذه العقول أخذ بالنقل الصحيح ، ورمى بهذه العقول تحت الأقدام ، وحطت حيث حطها الله وأصحابها » (٢) .

وجوب انقياد العقل واستسلامه للشرع :

لقد بعث الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وجعله خاتم الأنبياء ، وإمام الأتقياء ، فأقام به الملة بعد إعوجاجها ، وأوضح به الحجة بعد اندثارها ، فأرسله كافة للناس بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

وقد أغلق الله جميع الطرق إلا طريقاً واحداً هو الموصل إليه ، كما قال ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ (٣) .

والرسول صلى الله عليه وسلم هو الدليل الهادي إلى هذا الصراط كما قال تعالى : ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ (٤) .

١- انظر : درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٣٨ .

٢- مختصر الصواعق ص ٨٢ ، ٨٣ .

٣- سورة الأنعام الآية (١٥٣) .

٤- سورة الأحرار الآية (٤٥) ، (٤٦) .

وقال : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ (١) . (٢)

وقد ألزم الله العباد بطاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر والانتهاز عما عنه نهى وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرعه على لسانه صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾ (٣) .

فالواجب على كل مسلم كمال التسليم له ، والانقياد لأمره ، وتلقي خبره بالقبول والتصديق ، دون أن نعارض خبره بخيال باطل نسميه معقولاً ، أو نحمله شبهة أو شكاً ، أو نقدم عليه آراء الرجال وذبالة أذهانهم ، فنوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان ، كما نوحده المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل (٤) .

قال الطحاوي رحمه الله : « ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام ، فمن رام علم ما حظر عنه علمه ، ولم يقنع بالتسليم فهمه ، حجبته مرامه عن خالص التوحيد ، وصاف المعرفة ، وصحيح الإيمان ، فيتذبذب بين الكفر والإيمان ، والتصديق والتكذيب ، والإقرار والإنكار ، موسوساً تائهاً ، شاكاً ، لا مؤمناً مصداً ، ولا جاحداً مكذباً » (٥) .

١- سورة الشورى الآية (٥٢) .

٢- انظر : مجموع الفتاوى ٥٧،٥٦/٤ .

٣- سورة النساء الآية (١١٥) .

٤- انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠٠ .

٥- متن العقيدة الطحاوي ص ١٠ .

أي لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين ، وينقاد إليها ، ولا يعترض عليها ، ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسيه ، كما قال ابن شهاب : « من الله الرسالة ، ومن الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم » (١) .

وقد ضرب العلماء مثلين في انقياد العقل واستسلامه للرسول صلى الله عليه وسلم .

الأول : أن العقل مع خبره صلى الله عليه وسلم كالعامي المقلد مع الإمام المجتهد - بل هو دون ذلك بكثير - فلو عرف العامي المقلد عالماً مجتهداً فدل عليه مستفتياً ثم اختلف الدال والمفتي فعلى المستفتي قبول خبر المفتي دون الدال ، لأن الدال شهد للمفتي بالعلم دونه وأنه أعلم منه ، بل على العامي الدال التصديق بفتية العالم والتسليم له بذلك وعدم الاعتراض (٢) .

الثاني : مثله كمثل استسلام الصبي الصغير لأستاذه ومربيه ، فإنه لا يعارضه ولا يخالفه بل يجب أن يكون استسلام العقل للرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من ذلك بكثير ، فإن التباين بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين صاحب المعقول أضعاف أضعاف التباين بين الصبي وأستاذه .

ومن العجب ، أن هؤلاء المقدمين عقولهم على الوحي ، خاضعون لأئمتهم وسلفهم ، مستسلمون لهم في أمور كثيرة ، ويقولون : هم أعلم فيها منا ، وعقولهم أكمل من عقولنا ، فليس لنا أن نعترض عليهم ، فكيف جوزوا الاعتراض على الوحي بعقولهم مع أن النسبة بين عقولهم وبين الوحي أدنى بكثير من نسبة عقولهم إلى عقول أئمتهم؟ (٣) .

١- انظر : شرح العقيدة الطحاوية ٢٠١ .

٢- انظر : درء تعارض العقل والنقل ١/١٣٨ ، ١٣٩ ، شرح العقيدة الطحاوية ٢٠١ ، ٢٠٢ .

٣- انظر : الصواعق المرسله ٣/٨٩٣ ، ٨٩٤ .

إكمال الدين :

قد أكمل الله دينه على يدي نبيه صلى الله عليه وسلم ولم يحوجه هو ولا أمته من بعده إلى عقل ولا إلى نقل ولا إلى رأي سوى ما جاء به .

فقال سبحانه وتعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (١) .

«وأنكر على من لم يكتف بالوحي المبين ولجأ إلى شبهات العقول وترهاتها فقال : ﴿ أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ (٢) ، (٣)

فما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمور الدين كامل كاف لا يحتاج إلى مزيد تقذف به عقول ناقصة ولا آراء واهمة ، كما أنه ليس فيه نقصان ولا تقصير . لأنه لا يجوز أن يخلو كتاب الله وسنة رسوله من مهمات الدين ، فما خلى عنهما فليس من مهام الدين بل ذلك زيادة في الدين محرمة (٤) .

وكذا النقص يعد خللاً في الدين ، ولو كان ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ناقصاً ما حكم الله له بالكمال وشهد لرسوله بالبلاغ كما قال تعالى ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالتك والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ (٥) .

١- سورة المائدة : الآية ٣ .

٢- سورة العنكبوت : الآية ٥١ .

٣- انظر : مختصر الصواعق المرسلة : ٩ .

٤- انظر : إيثار الحق على الخلق : ص ١٠٨ .

٥- سورة المائدة : الآية ٦٧ .

وقد أشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بتبليغه الدين بعد أن شهد له أفضل هذه الأمة في أفضل يوم ، في حجة الوداع فقال لهم : « هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : اللهم اشهد » (١) .

فما أوحاه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم من كتاب وسنة مغنى عما سواه ، ولا حاجة للناس لزيادة عليه .

قال الخطيب البغدادي رحمه الله : « ولو أن صاحب الرأي المذموم شغل نفسه من العلوم ، وطلب سنن رسول رب العالمين ، واقتضى آثار الفقهاء والمحدثين ، لوجد في ذلك ما يغنيه عما سواه ، واكتفى بالأثر عن رأيه الذي رآه » (٢) .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم « أعلام الموقعين » تحت عنوان : « لا حاجة للناس بعد رسول الله ودينه » .

قال : « وبالجمل فجاءهم بخير الدنيا والآخرة برمته ، ولم يحوجهم الله إلى أحد سواه ، فكيف يظن أن شريعته الكاملة التي ما طرق العالم شريعة أكمل منها ناقصة تحتاج إلى سياسة خارجة عنها تكملها ، أو إلى قياس أو حقيقة

١- أخرجه البخاري في صحيحه . عن ابن عباس ، وأبي بكرة وابن عمر رضي الله عنهم .

في كتاب الحج : (٢٥) . باب الخطبة أيام منى ، (١٣٢) . ١٩١/٢ - ١٩٢ .

وفي كتاب الفتن : (٩٢) باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا ترجعوا

بعدي كفارا... » (٨) ، ٩١/٨ . وأخرجه مسلم في صحيحه : كتاب القسامة :

(٢٨) ، باب تغليظ تحريم الدماء : (٩) برقم : (١٦٧٩) . ١٣٠٧/٣ .

٢- شرف أصحاب الحديث : ص ٧-٨ .

أو معقول خارج عنها ، ومن ظن ذلك فهو كمن ظن أن بالناس حاجة إلى رسول آخر بعده ﴿١﴾ .

فما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم هو النعمة المهداة إلى الخليقة جمعاء بل هو العلم الحق والهدى والرحمة كما قال تعالى ﴿ ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ (٢) .

وإنما يظن عدم اشتمال الكتاب والسنة على بيان ذلك من كان ناقصاً في عقله وسمعه ومن له نصيب من قول أهل النار : ﴿ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ (٣) ، (٤)

فليس العلم في الحقيقة إلا ما أخبرت به رسل الله عن الله عز وجل طلباً وخبراً ، فهو العلم الذي زكى الله به النفوس ، وكمل به الفطر وصح به العقول وأزال به الشكوك ، ودحض به الشبه وأقام به الحجة وهدى به الخلق ، كما قال تعالى في شأن رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ (٥) .

وقال : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ (٦) وأما ما عند هؤلاء المعارضين

١- أعلام الموقعين ٢٧٦/٤ .

٢- سورة يوسف الآية (١١١) .

٣- سورة الملك الآية (١٠) .

٤- انظر : مجموع الفتاوى ٢٩٥/٣ ، ٢٩٦ .

٥- سورة البقرة الآية (١٥١) .

٦- سورة النساء الآية (١١٣) .

لنصوص الوحي بعقولهم فهو ظن لا يغني من الحق شيئاً ، وتخرص وكذب مناف للحق ومجاف للعلم كما قال تعالى ﴿ قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴾ (١) وقال ﴿ وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً . فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ﴾ (٢) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد ، فمن أعظم نعم الله على عباده ، وأشرف منة عليهم ، أن أرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، وبين لهم الصراط المستقيم ، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم بل أشر حالاً منها ، فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية ، ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية ، وأسوأ حالاً من الكلب والخنزير والحيوان البهيم ﴾ (٣) .

فإذا كان عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل عقول أهل الأرض على الإطلاق ، بل لو وزن عقله بعقولهم جميعاً لرجح عقله عليها ، ومع ذلك فقد أخبر الله أنه قبل الوحي ما كان يدري ما الكتاب والإيمان كما قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك

١- سورة الأنعام الآية (١٤٨) .

٢- سورة النجم الآية (٢٨-٣٠) وانظر: الصواعق المرسله ٣/ ٨٧٨ - ٨٧٩ .

٣- مجموع الفتاوى ١٩/ ١٠٠ .

لتهدي إلى صراط مستقيم ﴿ (١) . بل ما حصل له الهدى إلا بالوحي كما قال تعالى : ﴿ قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلى ربي إنه سميع قريب ﴾ (٢) . فكيف يحصل لسفهاء العقول وأخفاء الأحلام الاهتداء إلى حقائق الإيمان بمجرد عقولهم دون الوحي، حتى اهتدوا بتلك الهداية إلى معارضة النصوص بالعقل : ﴿ لقد جئتم شيئاً إدا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ﴾ (٣) ، (٤) .

فهل يعتقد هؤلاء أنهم أعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحقائق الأمور وأحرص منه على هداية العباد ، وأنه قد يأتي بالمتناقضات التي تدفعها العقول ولا تقبلها القلوب ، فإذا كان الأمر كذلك فكيف يكون رسولاً لله ؟ ويأمنه الله على رسالته ودينه ويأمره بتبليغ ذلك للإنس والجن ؟ .

بل هو رسول الله حقاً ، وهو أعلم الخلق بالحق ، وأقدر الناس على بيان الحق ، وأنصح الخلق للخلق ، وأفصحهم لساناً وأصحهم بياناً ، وأحرصهم على هدى العباد كما قال تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ (٥) ، بل كلامه وبيانه أكمل وأتم من كلام وبيان غيره ، فلا يجوز عليه صلى الله

١- سورة الشورى الآية (٥٢) .

٢- سورة سبأ الآية (٥٠) .

٣- سورة مريم الآية (٨٩ - ٩٠) .

٤- انظر : مختصر الصواعق المرسله ص ٧٥ ، ٧٦ .

٥- التوبة الآية (١٢٨) .

عليه وسلم أن يتكلم بالكلام الذي مفهومه ومدلوله باطل ، ويسكت عن بيان الحق المراد ، ولا يجوز أن يريد من الخلق أن يفهموا من كلامه ما لم يبينه لهم ويدلهم عليه لإمكان معرفة ذلك بعقولهم ، لأن ذلك يعد قدحاً فيه صلى الله عليه وسلم (١) .

وعجب من هؤلاء المعارضين لنصوص الوحي بعقولهم ، كيف يوجب أحدهم على عقله أن ينقاد إلى طبيب يهودي فيما يأمره به من علاجات وطرق استعمالها بما فيها من كلفة وألم ومشقة ، لظنه أن ذلك الطبيب أعلم بهذا منه ، وأن ذلك العلاج قد يؤدي إلى شفائه ، مع علمه بأن الطبيب قد يخطئ ، بل قد يكون ما وصفه له سبباً في هلاكه ، ومع ذلك يقبل قوله ويقلده . فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يقول إلا الحق ، ولا يخبر إلا بالحق ، ولا يمكن أن يكون في خبره ما يخالف الواقع والحق . ؟ (٢) .

فرسل الله معصومون فيما يبلغونه عن الله ، فلا يجوز أن يستقر في خبرهم شيء من الخطأ كما أتفق على ذلك جميع المقرين بالرسول من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم ، فليس عندهم ما يناقض العقل ، فمتى ما علم المؤمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بشيء جزم جزمًا قاطعاً أنه حق ، وأنه لا يكون في الباطن خلاف ما أخبر به ، وأنه يمتنع أن يعارضه دليل قطعي ، عقلي أو سمعي ، وإن كل ما ظن أنه عارضه فإنما هو حجج داحضة وشبه باطلة (٣) .

١- انظر : درء تعارض العقل والنقل ٢٣/١ .

٢- انظر : المرجع السابق ١٤١/١ ، ١٤٢ .

٣- انظر : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ١٣٧/١ ، ١٣٨ .

فمن قال : يجب تصديق ما أدركته بعقلي ، ورد ما جاء به الرسول لرأي وعقلي ، وتقديم عقلي على ما أخبر به الرسول ، مع تصديق بأن الرسول صادق فيما أخبر به ، فهو متناقض ، فاسد العقل ، ملحد في الشرع . وأما من قال : لا أصدق ما أخبر به حتى أعلمه بعقلي ، فكفره ظاهر ، وهو ممن قيل فيه :

﴿ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ﴾ (١) وممن قيل فيه : ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزون . فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ﴾ (٢) ، (٣) .

وقد أقسم الله سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن هؤلاء الذين يقدمون العقل على ما جاء به الرسول ، لأنه لا يثبت لأحد إيمان حتى يحكم رسوله في جميع أموره ولا يبقى في نفسه حرج لحكمه ويسلم لذلك تسليماً كاملاً فلا يعارضه بعقل ولا رأي لقوله تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ (٤) ﴿ (٥) .

١- سورة الأنعام الآية (١٢٤) .

٢- سورة غافر الآية (٨٣ - ٨٥) .

٣- انظر : درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٨٩ ، ١٩٠ .

٤- سورة النساء الآية (٦٥) .

٥- انظر : مختصر الصواعق المرسلة ص ٩٠ .

وتحكيم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يعصم الأمة من الزيف والانحراف والاختلاف ، فالناس لا يفصل بينهم في النزاع إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد عقل (١) . ولذلك أمرهم بالرد عند التنازع إلى الكتاب والسنة فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ (٢) .

والأمة متفقة على أن المراد بالرد إلى الله ورسوله الرد إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يكونا وافيين ببيان مهمات الدين ما أمرهم الله بالرجوع إليهما عند الاختلاف (٣) .

والله عز وجل قد أقام الحجة على البشرية ببعثة الرسل لا بحجج العقول كما قال تعالى ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ (٤) .

وقال : ﴿ وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا ﴾ (٥) .

فلو كانت الحجة لازمة بنفس العقل لم يكن بعثة الرسل شرطاً لوجوب العقوبة (٦) .

١- انظر : مجموع الفتاوي ١٦٣/٢٠ ، بيان تلبيس الجهمية ٢٤٨/١ .

٢- سورة النساء الآية (٥٩) .

٣- إشار الحق على الخلق : ص ١١١ بتصرف .

٤- سورة النساء الآية (١٦٥) .

٥- سورة الإسراء الآية ١٥ .

٦- انظر : المرجع السابق ص ١١٠ .

وفي الجملة فالناس محتاجون إلى شرع الله أكثر من احتياجهم إلى الطعام والشراب ، لأنه لاصلاح في الآخرة إلا به ، ولا سعادة في الدنيا إلا به ، كما قال شيخ الإسلام : « فإن الإنسان مضطر إلى الشرع ، فإنه بين حركتين ، حركة يجلب بها ما ينفعه ، وحركة يدفع بها ما يضره ، والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره ، والشرع نور الله في أرضه وعدله بين عباده ، وحصنه الذي من دخله كان آمناً » (١) .

والشرع ثابت في نفسه لا يحتاج في إثباته إلى عقول البشر . بل العقول هي التي تحتاج إلى أن تعلمه ، فإن العقل إذا علم ما هو عليه الشرع في نفسه صار عالماً به ، وبما تضمنه من الأمور التي يحتاج إليها في دنياه وآخرته ، وانتفع بعلمه به ، وأعطاه ذلك صفة لم تكن له قبل ذلك ، ولو لم يعلمه لكان جاهلاً ناقصاً (٢) .

١- مجموع الفتاوي : ٩٩/١٩ .

٢- انظر : درء تعارض العقل والنقل ٨٨/١ ، ٨٩ .

الصحابه والسلف الصالح لم يعارضوا الشرع بالعقل :

والصحابه رضوان الله عليهم كيف كانوا يتلقون الوحي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل كانوا يعارضونه بعقولهم وآرائهم أم كانوا ينقادون له ، ويستسلمون لأحكامه ويصدقون بأخباره ؟ وهل كانوا يدفعون من النصوص ما رفضته عقولهم ؟ ويقدمون العقل عليها ؟

فإن العقل لا يجب أن يتقدم بين يدي الشرع ، فإنه من التقدم بين يدي الله ورسوله ، بل يكون ملبياً من وراء وراء .

وهذا هو مذهب الصحابة رضي الله عنهم الذي عليه دأبوا ، وإياه اتخذوا طريقاً إلى الجنة فوصلوا ، ولم ينكروا ، بل أقروا وأذعنوا لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يصادموه ، ولا عارضوه بإشكال ، ولو كان شيء من ذلك لنقل إلينا ، فلما لم ينقل دل على أنهم آمنوا به وأقروه كما جاء من غير بحث ولا نظر (١) .

فلم يعارضوا ما جاء في السنن بآرائهم وعقولهم علموا معناه أو جهلوه ، جرى لهم على معهودهم أولاً ، فليعتبر بذلك من قدم الناقص وهو العقل على الكامل وهو الشرع (٢) .

وقد اكتفوا رضوان الله عليهم بما جاءهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمهم أن الحق فيه ووفقهم الله للعمل به ففتحوا البلاد شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً ، فتفتقت لعلمهم الأذهان ، واستنارت بهم القلوب ، فنشروا دين الله في الأرض صافياً نقياً ، خالياً من الشبه والشكوك والأوهام والظنون .

١- انظر الاعتصام ٣٣١/٢ ، ٣٣٢ .

٢- المصدر السابق ٢٣٦/٢ بتصرف .

بل كانوا من أشد الناس بغضاً لاعتراض الشرع بالآراء والعقول ، لأنهم يعلمون أن ذلك مناف للإيمان والتسليم لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك حذروا منه أيما تحذير .

عن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال « يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله صلى الله عليه لرددته .. » (١) .

وقد كانوا يستشكلون بعض النصوص ويوردون استشكالاتهم على النبي صلى الله عليه وسلم فيجيبهم عنها . (٢) وكانوا يسألونه عن الجمع بين النصوص التي يوهم ظاهرها التعارض ، فيوفق بينها لهم ، وما كان أحد فيهم يورد عليه معقولاً ليعارض به نصاً من النصوص ، ولا عرف عن أحد منهم - وهم أكمل الأمة عقولاً - أنه عارض نصاً بعقله . (٣)

وانظر إلى عائشة رضوان الله عليها عندما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك » فقلت : يا رسول الله : إليس قد قال الله تعالى : ﴿ فأما من أوتى كتابه يمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ (٤) ، فقال رسول الله

١- أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب الاعتصام : (٩٦) ، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس : (٧) ، ١٤٨/٨ . ومسلم في صحيحه . كتاب الجهاد والسير : (٣٢) ، باب صلح الحديبية : (٣٤) . برقم : (١٧٨٥) . ١٤١٢/٣ ، ١٤١٣ .

٢- انظر : ما سبق في الحديث عن السنة في توضيح المشكل ص : ١٧

٣- انظر : مختصر الصواعق المرسلة . ص ١٤٣ .

٤- سورة الإنشقاق : الآيات : (٧-٨) .

صلى الله عليه وسلم : « إنما ذلك العرض وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب » (١) .

فعائشة رضوان الله عليها لم تعترض على النص بعقلها ورأيها ، وإنما أوهم في ذهنها أنه يخالف ما في الآية فاستفسرت رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يزيل الإشكال من ذهنها ، وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأين هؤلاء الذين جعلوا نصوص الوحي ألعية تتقاذفها العقول ، وتتجاذبها الأهواء وتتحكم فيها الآراء ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين عظم في نفوسهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهانت عليهم عقولهم أن يقدموها عليه . بل قد بلغ من تعظيم الصحابة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لا يرضون ترك سنة كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يقبلون مع سنته رأي أحد مهما بلغ شأنه وعظمت مكاتته بل كانوا يغضبون غضباً شديداً ، وينكرون إنكاراً قوياً على من لا يستجيب لسنته ولو كان من أقرب الناس إليهم (٢) .

١- أخرجه : البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق : (٨١) ، باب من نوقش الحساب عذب : (٤٩) . ١٩٨/٧ . ولفظ مقارب في كتاب التفسير : (٦٥) تفسير سورة إذا السماء انشقت : (٨٤) ، باب فسوف يحاسب حساباً يسيراً : (١) . ٨١/٦ . ومسلم في صحيحه ، بلفظ مقارب ، في كتاب الجنة وصفة نعيمها : (٥١) باب إثبات الحساب : (١٨) ، برقم : (٢٨٧٦) . ٢٢٠٤-٢٢٠٥ .

٢- انظر : السنة قبل التدوين : ص ٨٧ .

إن قريباً لعبد الله بن مغفل خذف (١) . فنهاه وقال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الخذف وقال : « إنها لا تصيد صيداً ولا تنكأ (٢) عدواً . ولكنها تكسر السن وتفقأ العين » قال فعاد ، فقال : « أحدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه ثم تخذف لا أكلمك أبداً » (٣) .

وروى الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس قال : « تمتع النبي صلى الله عليه وسلم » فقال عروة بن الزبير (٤) « نهى أبو بكر وعمر عن المتعة » فقال ابن عباس « ما يقول عروة ؟ » قال : يقول « نهى أبو بكر وعمر عن المتعة » فقال ابن عباس : (أراهم سيهلكون) أقول : (قال النبي صلى الله عليه وسلم : ويقول نهى أبو بكر وعمر) (٥) .

-
- ١- خذف : الخذف هو : وضع الحصة أو النواة بين السبابتين ثم الرمي بها . انظر النهاية في غريب الحديث : ١٦/٢ .
 - ٢- تنكأ : ويكتب بغير همز ، والمعنى : تكثر الجراح والقتل في العدو . انظر : المرجع السابق : ١١٧/٥ .
 - ٣- أخرجه البخاري في صحيحه . بلفظ مقارب : في كتاب الذبائح والصيد : (٧٢) ، باب الخذف والبندقة : (٥) . ٢١٩/٦ . وفي كتاب الأدب : (٧٨) ، باب النهي عن الخذف : (١٢٢) ، ١٢٤/٧ . ومسلم في صحيحه . واللفظ له ، في كتاب الصيد والذبائح : (٣٤) ، باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدو وكراهة الخذف : (١٠) برقم : (١٩٥٤) . ١٥٤٨/٣ .
 - ٤- عروة بن الزبير : هو ابن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي ، أبو عبد الله المدني ، ثقة ، فقيه مشهور ، كثير الحديث . روى عن أبويه وخالته عائشة وعلى ، وعنه بئوه والزهرى . مات سنة ٩٤هـ على الصحيح . انظر : الجرح والتعديل : ٣٩٥/٦ ، الكاشف : ٢٦٢/٢ تقريب التهذيب : ١٩/٢ .
 - ٥- مسند أحمد : ٣٣٧/١ . قال الشيخ أحمد محمد شاكر « إسناده صحيح » مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر : ٤٨/٥ هامش : (٣١٢١) .

هكذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظمون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقفون عنده ولا يتعدونه ، وينصاعون له ويلتزمون به مع سعة علمهم ، ورجاحة عقولهم ، وصفاء أذهانهم ، حتى رفع الله منزلتهم ، وأعلى من شأنهم ، ورضي عنهم في قوله : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات ... » (١) الآية .

أفما وجد أذيال الغرب ، والمقتفون آثار المستشرقين في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة لهم وقدوة ، فيكفوا عقولهم القاصرة عن العبث بنصوص الشرع والتهجم عليها . قال ابن مسعود رضي الله عنه : « من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقدمها هدياً ، وأحسنها خلالاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وإقامة دينه ، فأعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم » (٢) .

والصحابة رضوان الله عليهم مع أنهم أكمل الأمة عقولاً ومعارف لم يسألوا نبيهم : لما أمر الله بكذا ؟ ولم نهى عن كذا ؟ ولم قال كذا ؟ ولم فعل كذا ؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإسلام والإيمان . فأول مراتب تعظيم الأمر : التصديق به ، ثم العزم على امتثاله ، ثم المسارعة والمبادرة إليه ، والحذر عن القواطع والموانع ، ثم بذل الجهد والنصح في الإتيان به على أكمل الوجوه ، ثم فعله لكونه مأموراً به ، فلا يتوقف

١- سورة التوبة : الآية : (١٠٠) .

٢- الاعتصام ٣٣٧/١ . وقد أخرجه أبو نعيم بإسناد مقبول عن عبد الله بن عمر في طلبية الوليد ، ٣٠٥/١ - ٣٠٦ .

الإتيان به على معرفة حكمته ، لأن مبنى العبودية والإيمان بالله على التسليم وعدم الأسئلة والتفصيل عن الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع (١) .

وأما المعارضون للشرع بعقولهم فهمهم أن يقحموا هذه العقول بين ثنايا النصوص لاستكشاف الحكم ، فإن عجزوا عن الوصول إلى ذلك سارعوا بردها، وحجتهم أنها تخالف العقول .

وقد سار السلف الصالح والأئمة رضوان الله عليهم على منهج الصحابة رضوان الله عليهم في الاعتصام بالكتاب والسنة والتمسك بهما، وعدم معارضتهما بآراء وشبه ، وعقول وأوهام .

بل يجعلون كلام الله ورسوله هو الأصل الذي يعتمد عليه ويرد ما يتنازع فيه الناس إليه ، فما وافقه كان حقاً وما خالفه كان باطلاً ، ونصوص الوحي أكبر وأعظم في صدورهم من أن يقدموا عليها عقلاً أو شبهاً (٢) .

وهم رحمهم الله لا ينكرون العقل والتوصل به إلى المعارف والتدبر في الآيات الكونية ، ولكنهم لا يسلكون في شأنه مسلك أهل الكلام في الاستدلال به وحده والاكتفاء به ، ولا يقرون بالتعارض الذي يزعمه أهل الكلام بين العقل والشرع ، ولا يقدمون العقل على نصوص الوحي لإيمانهم بأن الله أرسل الرسل ليبينوا للناس دين الله عز وجل ، وبيانهم يغنى عن كل شيء ، ولا يغني عنه غيره (٣) .

١- انظر : شرح العقيدة الطحاوية : ٢٦١ .

٢- انظر : الصواعق المرسله ٣/ ٩٩١ ، ٩٩٢ .

٣- انظر : الصفات الإلهية : ص ٥٨ ، ٥٩ .

فقد كان سلف الأمة وأئمتها يجعلون كلام الله ورسوله هو الإمام والفرقان الذي يجب اتباعه ، فيثبتون ما أثبتته الله ورسوله ، وينفون ما نفاه الله ورسوله ، وأنه حق يجب قبوله ، وإن لم يفهم معناه ، وكلام غير المعصوم لا يجب قبوله حتى يفهم معناه (١) .

فالمتمسكون بالحديث هم أخص الناس بالرسول وأتباعه ، فلهم من فضل الله وتخصيصه إياهم بالعلم والحلم وتضعيف الأجر ما ليس لغيرهم .

لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق وأعلمهم بالحقائق وأقومهم قولاً وحالاً ، فلزم أن يكون أعلم الناس به ، أعلم الخلق بذلك ، وأن يكون أعظمهم موافقة له واقتداء به أفضل الخلق ، وهم أهل الحديث وشيعته (٢) .

ولهذا جاءت أقوالهم رحمهم الله تتراً تأمر بالتمسك بالسنة ، والالتزام بها ، والاهتداء بالأحاديث وعدم الاعتراض عليها ، قال عمر بن عبد العزيز (٣) رحمه الله :

١- انظر : درء تعارض العقل والنقل : ٧٦/١ .

٢- انظر : مجموع الفتاوى : ١٤٠/٤ - ١٤٣ .

٣- عمر بن عبد العزيز : هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي ، أمير المؤمنين ، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، ولى إمرة المدينة للوليد ، وكان مع سليمان كالوزير ، وولى الخلافة بعده ، فهو من الخلفاء الراشدين . مدة خلافته سنتان ونصف . روى عن عبد الله بن جعفر وأنس وابن المسيب ، وعنه ابنه وأيوب . انظر : الجرح والتعديل : ١٢٢/٦ ، الكاشف : ٣١٧/٢ ، تقريب التهذيب : ٥٩/٢ - ٦٠ .

« سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاية الأمر من بعده سنناً ،
الأخذ بها اتباع لكتاب الله عز وجل ، واستكمال لطاعة الله عز وجل ،
وقوة على دين الله ، ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها ولا النظر
في شيء خالفها ، من اهتدى بها فهو المهتد ، ومن انتصر بها فهو
منصور ، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله تعالى ما
تولاه ، وأصله جهنم وساءت مصيراً » (١) .

وقال الشافعي رحمه الله :

« أجمع الناس على أن من استبان له سنة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس » (٢) .

كما جاءت عنهم الآثار تذم الرأي المعارض للحديث ، وتحذر من معارضة
السنة بالعقل . كتب عمر بن عبد العزيز إلى الناس « إنه لا رأي لأحد
مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٣) .

وقال الأوزاعي :

« عليك بآثار من سلف ، وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء
الرجال، وإن زخرفوا لك القول » (٤) .

وقال ابن عبد البر :

« ليس لأحد من علماء الأمة يشبث حديثاً عن النبي صلى الله

١- الشريعة للأجري ص : ٤٨ ، ٦٥ .

٢- أعلام الموقعين : ٢٨٢/٢ .

٣- الشريعة للأجري : ص : ٥٣ ، جامع بيان العلم : ٤٢/٢ .

٤- الشريعة للأجري : ص : ٥٨ ، جامع بيان العلم : ٢٧٧/٢ .

عليه وسلم ثم يرده دون إدعاء نسخ عليه بأثر مثله ، أو إجماع ، أو بعمل يجب على أصله الانتقياد إليه ، أو طعن في سنده ، ولو فعل ذلك أحد سقطت عدالته ، فضلاً أن يتخذ إماماً ، ولزمه إثم الفسق» (١).

مزلق من عارض الشرع بالعقل :

قد بين العلماء رحمهم الله الطوائف التي عارضت الوحي بعقولها وآرائها وأنهم خمس فرق :

طائفة عارضته في الخبريات ، وقد منّ عليه العقل ، فقالوا لأصحاب الحديث لنا العقل ولكم النقل .

وطائفة عارضته بآرائهم وقياساتهم فقالوا : لكم الحديث ولنا الرأي والقياس .

وطائفة عارضته بحقائقهم وأذواقهم ، وقالوا : لكم الشريعة ولنا الحقيقة .

وطائفة عارضته بسياساتهم وتديبرهم ، فقالوا : أنتم أصحاب الشريعة ونحن أصحاب السياسة .

وطائفة عارضته بالتأويل الباطل ، فقالوا : أنتم أصحاب الظاهر ونحن أصحاب الباطن . (٢)

والحديث هنا ينحصر في الطائفة الأولى التي قدست العقل وأعطته سلطاناً يتحكم في الشرع ويعترض عليه ، من المعتزلة (٣) ومن نحل

١- المرجع السابق : ١٨٢/٢ .

٢- انظر : الصواعق المرسلة ١٠٥١/٣ .

٣- سوف يأتي الحديث عنهم : انظر ص : ٦٨ فما بعدها

منحاهم في رد النصوص بالعقل من المستشرقين (١) وأذنبهم ممن سقط في براثن الحضارة الغربية ، وانبهر بوميضها الكاذب فانعكست أمامه الموازين ، وتشعبت عليه السبل ، وانطفأ أمامه نور الهدى . فظل في ظلام دامس لو أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

ولعلى ها هنا أحاول جاهداً أن أبين خطورة موقف هؤلاء ، والعظائم التي تلزم من معارضتهم لنصوص الوحي بعقولهم ، والمزالق التي وقعوا فيها بسبب سلوك هذا النهج الخاطيء والمسلك المنحرف .

فأول مزلق سقط فيه أولئك هو مضاهاتهم لإبليس لعنه الله حين اعترض على الله عز وجل ولم يسلم لأمره بالسجود لآدم وعارضه بعقله فقال : « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » (٢) . فكانت العاقبة : الطرد من رحمة الله والخلود في جهنم ، قال تعالى : ﴿ قال اخرجها من آدم مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأ جهنم منكم أجمعين ﴾ (٣) ، (٤) .

ثانياً : مشابهة الكفار في اعتراضهم على الشرع في أكثر من موضع ، بل ذلك من أخص صفاتهم التي أوضحها الله في القرآن ، من ذلك : معارضتهم لنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » (٥) . ومعارضتهم لقدر الله ،

١- سوف يأتي الحديث عنهم انظر ص : ٣٤٣ فما بعدها

٢- سورة الأعراف الآية (١٢) .

٣- السورة السابقة الآية (١٨) .

٤- انظر : شرح العقيدة الطحاوية : ص : ٢٠٧ .

٥- سورة الزخرف الآية (٣١) .

في قوله سبحانه : ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمانا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون . قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ (١) . وعارضوا تحريم الربا بعقولهم بتسويته بالبيع ، قال تعالى : ﴿ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ (٢)، (٣) .

ثالثاً : يلزم من ذلك تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وتخطئته ، وإبطال دلالة السمع ، وسد طريق العلم بما أخبر به الأنبياء والمرسلون ، بل تكذيب بالكتاب وبما أرسل الله تعالى به رسله ، ومنع الاستدلال بخبر الرسول صلى الله عليه وسلم على شيء . لأنه من علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق ، وأن ما أخبر به ثابت ، وأن إخباره لنا بالشيء يفيد تصديقاً بثبوت ما أخبر به ، فمن كان هذا معلوماً له امتنع أن يجعل العقل مقدماً على خبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل يضطره الأمر إلى أن يقع في هذه اللوازم السابقة (٤) .

رابعاً : إنما تأتي معارضة العقل لنصوص الوحي لمن يقر بالنبوة على قواعد الفلسفة ، إذ الوحي عندهم تابع لا متبوع ، ولا تأتي على قواعد المسلمين المؤمنين بالنبوة حقاً .

١- سورة الأنعام الآية (١٤٨ - ١٤٩) .

٢- سورة البقرة الآية (٢٧٥) .

٣- انظر : الصواعق المرسل : ٨٩٥/٣ ، ٨٩٧ .

٤- انظر : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ١٤٠/١ .

وكل طائفة ممن تنتسب إلى الإسلام وجدوا الوحي على خلاف مذهبهم وقول من قلدوه فلجأوا إلى معارضته بعقولهم واعتصموا بها دونه، وهذا يناقض الإيمان بالنبوة .

وأمر النبوة وما يخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فوق مدارك الحس والعقل والخيال والوهم .

فالعقل معزول عما يدرك بنور النبوة وطرق الوحي كعزل الحواس عن إدراك المعقولات (١) .

قال شيخ الإسلام :

« والداعون إلى تمجيد العقل ، إنما هم في الحقيقة يدعون إلى تمجيد صنم سموه عقلاً ، وما كان العقل وحده كافياً في الهداية والإرشاد، وإلا لما أرسل الله الرسل » (٢) .

خامساً : لم يستند هؤلاء من جهة الرسول شيئاً ، لأنهم لا يرجعون إليه صلى الله عليه وسلم في المطالب الإلهية ، فصار وجوده عندهم كالعدم ، بل أضر من العدم ، لأنهم لم ينتفعوا منه شيئاً ، واحتاجوا أن يدفعوا ما جاء به إما عن طريق التكذيب أو التعريض أو التأويل (٣) .

سادساً : من حكمة الله عز وجل في خلقه إفساد عقول من خالفوا رسله (٤) .

١- انظر : الصواعق المرسله ٩٥٥/٣ - ٩٥٧ .

٢- موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ٢١/١ .

٣- انظر : درء تعارض العقل والنقل : ١/١٣٥ ، ١٣٦ .

٤- انظر : الصواعق المرسله ٨٦١/٣ .

وكلما كان الرجل عن الرسول صلى الله عليه وسلم أبعد كان عقله أقل وأفسد ، ولذلك كان أكمل الناس عقولا أصحاب الرسل ، وأفسدهم عقولا المعرضين عنهم ، وعما جاءوا به ، ولهذا كان أهل السنة والحديث أعدل الأمة ، وهم في الطوائف كالصحابة في الناس .

ومن أعظم معصية العقل إغراضه عن كتاب الله ووحيه الذي هدى به رسله ، والمعارضة بينه وبين كلام غيره ، فأى فساد أعظم من فساد هذا العقل (١).

سابعاً : اتباع الهوى ، وهو ينتج من عدم الاهتداء بشرع الله والاستجابة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : {فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين} (٢).

وأهل الهوى في الحقيقة هم الذين لم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها ، والتعويل عليها حتى يصدروا عنها ، بل قدموا أهواءهم ، واعتمدوا على آرائهم ، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك . فردوا كثيرا من الأحاديث الصحيحة بعقولهم ، وأساءوا الظن بما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحسنوا ظنهم بآرائهم الفاسدة ، حتى ردوا كثيرا من أمور الآخرة وأحوالها من الصراط والميزان ، وحشر الأجساد ، والنعيم والعذاب الجسمي ، وأنكروا رؤية الباري ، وأشبهوا ذلك ، بل صيروا العقل شارعا ، جاء الشرع أو لا . بل إن جاء فهو كاشف لمقتضى ماحكم به العقل (٣) ، وإن لم يجيء فإنهم يكتفون بالعقل بناء على قاعدتهم في التحسين والتقبيح .

(١) انظر المصدر السابق ٣/٨٦٤، ٨٦٥ .

(٢) سورة القصص : آية ٥٠ .

(٣) انظر الاعتصام ١٧٦/٢ .

قال ابن القيم رحمه الله :

« وكل من له مسكة عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي ، والهوى على العقل ، وما استحکم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحکم هلاكه ، وفي أمة إلا فسد أمرها ، أتم فساد فلا إله إلا الله كم نفى بهذه الآراء من حق ، وأثبت بها من باطل ، وأميت بها من هدى ، وأحيى بها من ضلالة وكم هدم بها من مغفل الإيمان وعمر بها من دين الشيطان ، وأكثر أصحاب الجحيم هم أهل هذه الآراء الذين لا سمع لهم ولا عقل ، بل هم شر من الحر ، وهم الذين يقولون يوم القيامة : ﴿ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ (١) ، (٢) .

ثامناً : دفعهم هذا النهج الخاطيء على القول على الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير علم .

لأن الذي يعارض الوحي بعقله ليس عنده علم ولا هدى ولا كتاب مبين كما قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ (٣) فمعارضته باطلة ، وليس عنده إلا الجهل والضلال ، لأن العلم هو ما جاء به الوحي كما قال تعالى : ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ﴾ (٤) ، (٥) .

١- سورة الملك الآية (١٠) .

٢- أعلام الموقعين ١/٦٨ - ٦٩ .

٣- سورة الحج الآية (٨) .

٤- سورة آل عمران الآية ٦١ .

٥- انظر : الصواعق المرسله ٣/١٠٨٦ .

وقال عز وجل في حق الذين يؤمنون بالوحي ويعترفون بأنه الحق ولم يعارضوه برأي ولا عقل قال في شأنهم : ﴿ ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد ﴾ (١) .

وهذا دليل ظاهر في أن الذي نراه معارضاً للوحي ، ويقدم العقل عليه ليس من الذين أوتوا العلم في شيء (٢) .

فلما فارق هؤلاء الوحي وانصرفوا عنه إلى عقولهم كان حرى بهم أن يقولوا على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بغير علم . يقول ابن قتيبة رحمه الله :

« وقد تدبرت ... مقالة أهل الكلام فوجدتهم يقولون على الله ما لا يعلمون ، ويفتنون الناس بما يأتون ، ويبصرون القذي في عيون الناس ، وعيونهم تطرف على الأجذاع ، ويتهمون غيرهم في النقل ، ولا يهتمون آراءهم في التأويل ومعاني الكتاب والحديث ... ولو ردوا المشكل منهما إلى أهل العلم بهما ، وضع لهم المنهج ، واتسع لهم المخرج ، ولكن يمنع من ذلك طلب الرياسة ، وحب الاجتماع ، واعتقاد الإخوان بالمقالات .. » (٣) .

وقد حرم الله القول عليه بغير علم فقال : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ (٤) . ولذلك نهى وحذر عنه في قوله ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع

١- سورة سبأ الآية (٦) .

٢- انظر : المرجع السابق ٣/ ٨٥٠ ، ٨٥١ .

٣- تأويل مختلف الحديث ١٣-١٤ .

٤- سورة الأعراف الآية (٣٣) .

والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴿ (١) .

تاسعاً : من أميز الصفات والسمات التي وصم بها أولئك واتسموا بها التفرق والاختلاف والتنازع .

بل هم من أكثر الناس اختلافاً ، لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد في الدين (٢) .

فلما كانت صفة الاختلاف لازمة لهم لا تنفك عنهم ، أشار الى ذلك الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في خطبة كتابه « الرد على الجهمية » فقال :

« الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عقال الفتنة ، فهم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، مجمعون على مفارقة الكتاب ، ويقولون على الله ، وفي الله ، وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتن المضلين » (٣) .

وذلك لأن العقول التي حكموها في الشرع متفاوتة متباينة ، فقد يعلم زيد بعقله ما لا يعلمه بكر ، بل ما يعلمه الإنسان بعقله في وقت ما قد يجهله في وقت آخر . فلو قدم العقل على الشرع والعقول بهذه المثابة من التباين والاضطراب لوجب أن يحال الناس على شيء لا سبيل إلى ثبوته ومعرفته ، ولا اتفاق للناس عليه . ولهذا وقع بينهم التنازع في أصول المسائل والعلوم الضرورية فكيف بسواها . أما الشرع فهو صادق

١- سورة الإسراء الآية (٣٦) .

٢- انظر : تأويل مختلف الحديث ص ١٤ .

٣- الرد على الجهمية ضمن عقاد السف ص ٥٢ .

في نفسه ، لا يختلف صدقه باختلاف أحوال الناس للزوم صفة الصدق له. ولذا أمر الله المؤمنين عند التنازع بالرد إليه فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ (١) إذ لو ردوا إلى غير ذلك من عقول الرجال وآرائهم ومقاييسهم وبراهينهم لم يزددهم هذا الرد إلا اختلافاً واضطراباً وشكاً وارتياباً (٢) .

ويزداد تنازعهم واختلافهم كلما بعدوا عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « كل من كان من السنة أبعد كان التنازع والاختلاف بينهم في معقولاتهم أعظم » (٣) .

عاشراً : وقوعهم في الشك والحيرة :

إن أساطين الفلسفة الذين بلغوا في الذكاء والنظر الغاية ، ودأبوا ليلاً ونهاراً في التعمق ودراسة هذه العقليات لم يصلوا إلى معقول صريح واحد يناقض الوحي ، بل وصلوا إلى الحيرة والشك أو الاختلاف والارتياب ، فكيف بمن سواهم ممن لم يبلغ ذكاؤه ذكاءهم ومعرفته معرفتهم (٤) .

١- سورة النساء الآية (٥٩) .

٢- انظر : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ١/١٢٠-١٢٢ .

٣- درء تعارض العقل والنقل : ١/١٥٧ .

٤- انظر : موافقة صحيح المنقول : ١/١٣٤ ، ١٣٥ .

ولقد اعترفوا بحيرتهم وشكوكهم .

فالرازي (١) مع سبقه في باب المعقول ، وفرط ذكائه يشكو حيرته وعجزه فيقول :

« نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسوننا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
فكم قد رأينا في رجال ودولة فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال

لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفى عيلاً ، ولا تروى غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في الإثبات : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ (٢) .

«إليه يصعد الكلم الطيب» (٣) وأقرأ في النفي : ﴿ ليس كمثله

١- الرازي : هو محمد بن عمر بن الحسين القرشي ، فخر الدين الرازي ، ويقال له : ابن خطيب الري ، الإمام المفسر ، الأصولي ، المتكلم ، له كثير من التصانيف منها : « مفاتيح الغيب » ، و « أساس التقديس » ، « المحصول في علم الأصول » . مات سنة ٦٠٦ هـ . انظر : الكامل في التاريخ : ١٢٠/١٢ ، وفيات الأعيان : ٢٤٨-٢٥٢ ، سير أعلام النبلاء : ٥٠٠/٢١ - ٥٠١ ، البداية والنهاية : ٥٦-٥٥/١٣ ، طبقات الشافعية : ٣٣/٥ - ٤٠ ، الأعلام : ٣١٣/٦ .

٢- سورة طه الآية (٥) .

٣- سورة فاطر الآية (١٠) .

شيء (١) ولا يحيطون به علماً (٢) . ثم قال : « ومن جرب
مثل تجربتي عرف مثل معرفتي » (٣) .

وقال الشهرستاني (٤) :

« فقد أشار إلى من إشارته غنم ، وطاعته حتم ، أن أجمع له
مشكلات الأصول ، وأحل له ما انعقد من غوامضها على أرباب العقول
لحسن ظنه بي أني وقفت على نهاية النظر ، وفزت بغايات مطارح الفكر
، ولعله استسمن ذا ورم ، ونفخ في غير ضرم لعمري :

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادماً (٥)

١- سورة الشورى الآية (١١) .

٢- سورة طه الآية (١١٠) .

٣- شرح العقيدة الطحاوية : ص ٢٠٨-٢٠٩ وانظر : سير أعلام النبلاء :
٥٠١/٢١ .

٤- الشهرستاني : هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني ،
الملقب بالأفضل ، كان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة ،
له معرفة بالأصول والأدب ، وكان يغلو في التشيع ، وينصر مذهب الفلاسفة .
مات سنة ٥٤٨ هـ . من آثاره : « الملل والنحل » ، و « نهاية الإقدام » ،
« الإرشاد إلى عقائد العباد » وغير ذلك . انظر : وفيات الأعيان : ٢٧٣/٤ -
٢٧٥ ، تذكرة الحفاظ : ١٣١٣/٤ ، سير أعلام النبلاء : ٢٨٦/٢٠ -
٢٨٨ ، طبقات الشافعية : ١٢٨/٦ - ١٣٠ لسان الميزان : ٢٦٣/٥ - ٢٦٤ ،
الوافي بالوفيات : ٢٧٨/٣ - ٢٧٩ ، شذرات الذهب : ١٤٩/٤ ، الأعلام :
٢١٥/٦ .

٥- نهاية الإقدام في علم الكلام : ص : ٣ .

وغير هذين كثيرون ممن سلكوا هذا المسلك فآل أمرهم إلى الحيرة والشك والضلال (١) .

والحق يقال : إن أهل الكلام المقدسين للعقل المعظمين له المحتكمين إليه ، قد أطالوا الكلام ، ووعروا الطريق في إثبات علوم قل نفعها وفائدتها فهي كلحم جمل غث على رأس جبل وعر ، لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقل ، وأحسن ما عندهم فهو في القرآن أصح تقريراً ، وأحسن تفسيراً ، وليس عندهم إلا التكلف والتطويل والتعقيد (٢) .

ولعل السائرين على منهجهم ، المقتفين آثارهم ، يعرفون حقيقة ما هم فيه ، وما وصل إليه أولئك من الانحراف والضياع ، فينتبهون لأمرهم ، ويعيدون النظر فيما عندهم ، فينصاعون إلى الحق ، ويلتزمون بالشرع ، ويدعون هذه المغالطات والشبهات التي لا تسمن من جوع ، وإنما تقذف بصاحبها إلى هوة سحيقة حيث لا نجاة ولا فلاح . فالحق هو ما جاء به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والنجاة إنما تكمن في شرع الله لا في شبه الأذهان وظلمات الأفكار ، وترهات العقول .

ورحم الله ابن القيم إذ يقول :

« فعلى عقولكم العفاء فإنكم	عاديتم العقول والمنقولا
وطلبتم أمراً محالاً وهو إدراك	الهدى لا تبتغون رسولا
وزعمتم أن العقول كفيلا	بالحق أين العقل كان كفيلا
وهو الذي يفضى فينقض حكمه	عقل ترون كليهما معقولا

١- انظر الى طائفة من أقوال أولئك في شرح العقيدة الطحاوية : ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

٢- انظر : المرجع السابق ص : ٢٠٦ بتصرف .

وتراه يجزم بالقضاء ويعد ذا
لا يستقل العقل دون هداية
فإذا النبوة لم ينلك ضياؤها
نور النبوة مثل نور الشمس
طرق الهدى محدودة إلا على
فإذا عدلت عن الطريق تعمداً
يا طالباً درك الهدى بالعقل
كم رام قبلك ذاك من متلذذ
مازالت الشبهات تغزو قلبه

يلقى لديه باطلاً معلولاً
بالوحي تأصيلاً ولا تفصيلاً
فالعقل لا يهديك قط سبيلاً
للعين البصيرة فاتخذه دليلاً
من أم هذا الوحي والتنزيلاً
فاعلم بأنك ما أردت وصولاً
دون النقل لن تلق لذاك دليلاً
حيران عاش مدى الزمان جهولاً
حتى تشحط بينهن قتيلاً» (٢)

الباب الأول

موقف المدرسة العقلية القديمة
- المعتزلة - من السنة النبوية

وفيه فصلان :

الفصل الأول : موقف المعتزلة من العقل
وعلاقة ذلك بالأصول الخمسة .

الفصل الثاني : موقف المعتزلة من الحديث
المتواتر وحديث الآحاد .

الفصل الأول

موقف المعتزلة من العقل وعلاقة ذلك بالأصول الخمسة

إن المعتزلة^(١) من أهم الفرق الكلامية في الإسلام ، وقد احتلت مكانة بارزة في تاريخ علم الكلام ، وذلك بسبب النزعة العقلية التي غلبت عليها وأثرت في منهجها تأثيراً بالغاً .

ولما كانت المعتزلة تنبؤاً مركز الصدارة بين فرق الإسلام في تمجيد العقل وتعظيمه وإعطائه منزلة فوق منزلة الكتاب والسنة ، ووضوح ذلك في منهجها، تم اختيارى لها كفرقة قديمة تمثل المدرسة العقلية القديمة تمثيلاً واضحاً .

ولاشك أن السنة النبوية وهى المصدر التشريعي الثانى وجدت مواجهات سافرة وحملات عنيفة من طائفة أهل الاعتزال . مما كان سبباً في رد كثير من نصوصها وعدم الاعتماد على حجيتها وتقديم العقل عليها . وسوف يتبين ذلك كله من خلال عرضي لشبه هذه المدرسة والرد عليها .

(١) ذكر الشهرستاني سبب تسميتهم بالمعتزلة فقال :

"دخل واحد على الحسن البصرى فقال : يا إمام الدين ، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر . والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة ، وهم وعيدية الخوارج ، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر . والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان ، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان ، ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الأمة . فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء : أنا لأقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ، ولا كافر مطلقاً ، بل هو في منزلة بين المنزلتين : لا مؤمن ولا كافر ، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن . فقال الحسن : اعتزل عنا واصل . فسمى هو وأصحابه معتزلة" . الملل والنحل ٤٨/١ .

وذكر في تسميتهم غير ذلك . انظر : المعتزلة لزهد جار الله ص ٢-٥ .

(١) موقف المعتزلة من العقل :

(أ) العقل هو أول الأدلة :

قال القاضي عبد الجبار^(١) في معرض حديثه عن الأدلة :

"أولها دلالة العقل ، لأن به يميز بين الحسن والقبح ، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة وكذلك السنة والإجماع .

وربما تعجب من هذا الترتيب بعضهم ، فيظن أن الأدلة هي الكتاب والسنة والإجماع فقط ، أو يظن أن العقل إذا كان يدل على أمور فهو مؤخر ، وليس الأمر كذلك ، لأن الله تعالى لم يخاطب إلا أهل العقل ، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة ، وكذلك السنة والإجماع ، فهو الأصل في هذا الباب" (٢).

والقرآن والسنة موقوفان في صحة دلالتهما على العقل ، لأن صحة معرفة الشيء من جهتهما موقوف على أنه تعالى على صفة معها لا يختار فعل القبيح ، وهذه لا تعلم إلا من جهة العقل ، ومتى أمكن معرفة ذلك صح أن يعلم بخبره سائر ما يخبر به (٣).

(١) القاضي عبد الجبار :

هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني ، الأسدي ، أبو الحسين ، قاضي ، أصولي ، كان شيخ المعتزلة في عصره . يلقبونه قاضي القضاة ، ولا يطلقون ذلك على غيره ، كان من كبار فقهاء الشافعية . ولى قضاء الرى . وله كثير من التصانيف . مات سنة ٤١٥ هـ .

من آثاره : "تزيه القرآن عن المطاعن" ، "شرح الأصول الخمسة" ، "المغنى في أبواب التوحيد والعدل" وغير ذلك .

انظر : تاريخ بغداد ١١/١١٣-١١٥ ، الأنساب ١/٢١١-٢١٢ ، ميزان الاعتدال ٢/٥٣٣ ، سير أعلام النبلاء ١٧/٢٤٤-٢٤٥ ، طبقات السبكي ٥/٩٧-٩٨ ، لسان الميزان ٣/٣٨٦-٣٨٧ ، شذرات الذهب ٣/٢٠٢-٢٠٣ ، الأعلام ٣/٢٧٣-٢٧٤ .

(٢) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ١٣٩ .

(٣) انظر : المحيط بالتكليف ٤/١٧٣ .

وقال أبو علي الجبائي^(١):

"إن سائر ماورد به القرآن في التوحيد والعدل ورد مؤكدا لما في العقول . فأما أن يكون دليلا بنفسه يمكن الاستدلال به فمحال"^(٢).

وقال عبد الجبار :

"وإذا وجدنا في كتابه المحكم والمتشابه . عرضنا ذلك على ماركبه في قلوبنا ، لنحمل أحدهما على وفاق الآخر ، فكيف يصح فيما طريقه الدين أن نتبع قول الكثير ، وقد آتانا الله من العقل مانعرف به البصيرة"^(٣).

(ب) حجة العقل وإعماله أول الواجبات على العباد ، وأن معرفة الله لا تكون إلا بالعقل :

قال عبد الجبار :

"إن سأل سائل فقال : ما أول ما أوجب الله عليك ؟
فقل النظر^(٤) المؤدي إلى معرفة الله تعالى ، لأنه تعالى لا يعرف ضرورة ولا بالمشاهدة ، فيجب أن نعرفه بالتفكير والنظر"^(٥).
وقال :

(١) أبو علي الجبائي :

هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي . ينسب إلى جبي - من قرى البصرة - كان من أئمة المعتزلة ، ورئيس علماء الكلام في عصره . وإليه تنسب الطائفة الجبائية . له مقالات وآراء انفرد بها . مات سنة ٣٠٣ هـ.

من آثاره : "كتاب الأصول" ، "التعديل والتجوير" ، "التفسير الكبير" وغير ذلك . انظر : وفيات الأعيان ٢٦٧/٤ - ٢٦٩ ، سير أعلام النبلاء ١٨٣/١٤ - ١٨٤ ، البداية والنهاية ١٢٥/١١ ، الوافي بالوفيات ٧٤/٤ - ٧٥ ، لسان الميزان ٢٧١/٥ ، شذرات الذهب ٢٤١/٢ ، الأعلام ٢٥٦/٦ .

(٢) المحيط بالتكليف ١٧٤/٤ .

(٣) فضل الاعتزال ص ١٨٩ .

وسوف يأتي بيان للمحكم والمتشابه .

(٤) قال عبد الجبار في تعريفه للنظر :

"النظر هو التفكير في الأدلة ليتوصل بها إلى المعرفة" . شرح الأصول ص ٤٥ .

(٥) المرجع السابق ص ٣٩ .

"سائر الشرائع من قول وفعل لا تحسن إلا بعد معرفة الله تعالى ،
ومعرفة الله لا تحصل إلا بالنظر فيجب أن يكون النظر أول الواجبات" (١).
وقال في معرض ذكره لأنواع الأدلة مرتبا إياها الأهم فالمهم :
"حجة العقل ، والكتاب ، والسنة ، والإجماع ، ومعرفة الله لا تنال
إلا بحجة العقل" (٢).

(٢) الأصول الخمسة هي التي كلف الله بها العباد :

قال عبد الجبار :

"فأما جملة ما كلف المرء به ... يلزمه أن يعرف التوحيد ، والعدل ،
والوعد والوعيد ، والمثلة بين المثلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر" (٣).

وقال أبو الحسين (٤) :

"وليس يستحق أحد اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول
الخمس" (٥).

(١) المصدر السابق ص ٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٨٨ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٩ .

وسوف يأتي بيان لهذه الأصول عند المعتزلة .

(٤) أبو الحسين :

هو محمد بن علي بن الطيب البصري ، أبو الحسين ، أحد أئمة المعتزلة . قال
الخطيب البغدادي : له تصانيف وشهرة بالذكاء والديانة على بدعته . مات سنة
٤٣٦ هـ .

من آثاره : "المعتمد في أصول الفقه" ، "تصفح الأدلة" ، "غرر الأدلة" .

انظر : طبقات المعتزلة ص ١١٨ ، تاريخ بغداد ١٠٠/٣ ، الكامل في التاريخ ٥٢٧/٩ ،
وفيات الأعيان ٢٧١/٤ ، ميزان الاعتدال ٦٥٤-٦٥٥/٣ ، سير أعلام النبلاء
٥٨٧-٥٨٨/١٧ ، البداية والنهاية ٥٣-٥٤/١٢ ، لسان الميزان ٢٩٨/٥ ، الوافي
بالوفيات ١٢٥/٤ ، شذرات الذهب ٢٥٩/٣ ، الأعلام ٢٧٥/٦ .

(٥) فضل الاعتزال ص ١٧ .

الجواب على ذلك :

ولكى أجيب على هذه الشبه لابد من وقفة نعرف من خلالها الدافع الذى دفع أهل الاعتزال إلى إحاطة العقل بهذه الهالة من التعظيم والتقديس والتمجيد الذى خرج به عن حده الذى حده له رب العالمين .

ذلك الدافع هو وقوعهم فى براثن الفلسفة اليونانية التى ارتضعوا من ثديها ، وتغذوا بلبانها ، فجرت فى عروقهم ، وأثرت فى منهجهم تأثيرا بالغا صرفهم عن الصراط المستقيم .

قال أحمد أمين :

"وكان المعتزلة أسرع الفرق للاستفادة من الفلسفة اليونانية وصبغها صبغة إسلامية ، والاستعانة بها على نظرياتهم وجدلهم ، وكان من أشهر من استخدم الفلسفة فى ذلك أبو الهذيل العلاف^(١) ، والنظام^(٢) ،

(١) أبو الهذيل العلاف :

هو محمد بن الهذيل بن عبيد الله البصرى العلاف ، من أئمة المعتزلة ، وشيخ الكلام . له مقالات فى الاعتزال ، وانفرد بآراء . مات سنة ٢٣٥هـ وقيل غير ذلك . وله تصانيف كثيرة .

انظر : طبقات المعتزلة ص ٤٤-٤٩ ، تاريخ بغداد ٣/٣٦٦ ، وفيات الأعيان ٤/٢٦٥-٢٦٧ ، سير أعلام النبلاء ١٠/٥٤٢-٥٤٣ ، ١١/١٧٣-١٧٤ ، لسان الميزان ٥/٤١٢-٤١٣ ، الوافى بالوفيات ٥/١٦١-١٦٣ ، شذرات الذهب ٢/٨٥ ، الأعلام ٧/١٣١ .

(٢) النظام :

هو إبراهيم بن سيار بن هانىء البصري ، أبو اسحاق النظام ، شيخ المعتزلة ، تبحر فى علوم الفلسفة ، وانفرد بآراء تابعته فرقة من المعتزلة سميت "النظامية" . اتهم بالزندقة ، وكفره جماعة . مات سنة بضع وعشرين ومائتين ، وله كتب فى الفلسفة والاعتزال .

انظر : طبقات المعتزلة ص ٤٩-٥٢ ، تاريخ بغداد ٦/٩٧-٩٨ ، سير أعلام النبلاء ١٠/٥٤١-٥٤٢ ، لسان الميزان ١/٦٧ ، الوافى بالوفيات ٦/١٤-١٩ ، الأعلام ١/٤٣ .

والجاحظ " (١) (٢) .

وهؤلاء الثلاثة هم من قادة المعتزلة وزعمائها ، الذين عن حماها ،
المدافعين عن منهجها .

يقول الشهرستاني عن الأول في معرض نقده لبعض آرائه :

" وإنما اقتبس هذا الرأي من الفلاسفة " (٣) .

وعن الثاني : " قد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام
المعتزلة " (٤) .

(١) الجاحظ :

هو عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى ، مولا هم ، أبو عثمان ، المشهور بالجاحظ ،
البصري ، المعتزلي ، كان متبحراً في الأدب ، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ،
مات سنة ٢٥٥ هـ .

له تصانيف كثيرة منها : " الحيوان " ، " البيان والتبيين " ، " مجموع رسائل " ،
وغيرها الكثير .

أنظر : تاريخ بغداد ٢١٢/١٢ - ٢٢٠ ، وفيات الأعيان ٤٧٠/٣ - ٤٧٥ ، ميزان
الاعتدال ٢٤٧/٣ ، سير أعلام النبلاء ٥٢٦/١١ - ٥٣٠ ، البداية والنهاية
١٩/١١ - ٢٠ ، لسان الميزان ٣٥٥/٤ - ٣٥٧ ، شذرات الذهب ١٢١/٢ - ١٢٢ ،
الأعلام ٧٤/٥ .

(٢) فجر الإسلام ص ٢٢٩ ، وانظر : مشكل الحديث وبيانه ص ٧ الهامش .

(٣) الملل والنحل ٥٠/١ .

(٤) المرجع السابق ٥٣/١ ، ٥٤ .

وعن الثالث : "وقد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة ، وخلط وروج كثيرا من مقالاتهم بعباراته البليغة ، وحسن براعته اللطيفة" (١).
وقد بين الشيخ أبو زهرة الأسباب التي أدت إلى وقوع المعتزلة في أحضان الفلسفة فقال :

"وقد دفعهم إلى دراسة الفلسفة أمران :

أحدهما : أنهم وجدوا فيها ما يرضى نهمهم العقلي وشغفهم الفكري ، وجعلوا فيها مرانا عقليا جعلهم يلحنون بالحجة في قوة .

وثانيهما : أن الفلاسفة وغيرهم لما هاجموا بعض المبادئ الإسلامية ، تصدى هؤلاء للرد عليهم ، واستخدموا بعض طرقهم في النظر والجدل ، وتعلموا كثيرا منها ليستطيعوا أن ينالوا الفوز عليهم" (٢).

فقد حاول المعتزلة مناهضة الفلاسفة والرد عليهم ولكنهم علموا أنهم لاقدرة لهم عليهم إلا بدراسة الفلسفة ، والانكباب عليها ، لدعم حججهم وتقوية أقوالهم ، إذ الأدلة النقلية من الكتاب والسنة غير كافية وحدها - هكذا زعموا - لإفحام الغير والزامه الحجة ، وإنما يفتقر ذلك إلى البراهين العقلية (٣).

ولقد كان المعتزلة يفخرون بغوصهم في مجور الفلسفة والجدل ، وخوضهم لجج تلك المفاوز والوهاد .
يقول أبو الحسين الخياط (٤) :

"والكلام في الأصوات على أي وجه تسمع؟ من لطيف الكلام وغامضه وليس لأحد فيه قول يعرف إلا المعتزلة لأنهم أرباب الكلام وأهل النظر والمعرفة بدقيق الكلام وغامضه بعد إحكام جليل الكلام وظاهره" (٥).

(١) الملل والنحل ٧٥/١ .

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٣١ .

(٣) انظر : علم الكلام ومدارسه ص ١٧٢-١٧٣ .

(٤) أبو الحسين الخياط : هو عبد الرحيم بن محمد بن عثمان ، شيخ المعتزلة البغدادية ، من نظراء الجبائي ، وله مكانة عند المعتزلة .

من آثاره : كتاب الاستدلال ، كتاب الانتصار .

انظر : الأنساب ٢٥٠/٥ ، الفرق بين الفرق ص ١٧٩-١٨٠ ، تاريخ بغداد ٨٧/١١ ،

سير أعلام النبلاء ٢٢٠/١٤ ، لسان الميزان ٨/٤-٩ .

(٥) كتاب الانتصار ص ٤٣ .

وقد فتحوا بذلك باب شر عظيم على أمة الإسلام دخل من خلاله جحافل من أبناء المسلمين ، انغمس الكثير منهم في مجور الفلسفة ولم يفلت منهم إلا القليل .

يقول دكتور خفاجي :

"ما تميزت به المعتزلة على غيرها من الفرق الكلامية مما أثارت من مسائل وبسطت من شرح ووضعت من أصول ، وكان المنفذ الأول الذى دخل منه فلاسفة المسلمين إلى الفلسفة اليونانية ، لأن المعتزلة أول من استعان بالفلسفة اليونانية" (١).

ونتيجة لذلك تكونت عقائد ، ونشأت مناهج ، وظهرت إلى السطح أقوال وآراء ، وكثر الجدل ، وتشعبت السبل بسالكها .

(أ) زعمهم أن العقل هو أول الأدلة وتقديمه على الكتاب والسنة ؛ زعم مخالف لما دل عليه الكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف الأمة رحمهم الله .

قال تعالى : {يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم} (٢).

وقال سبحانه : {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا} (٣).

فكيف يؤخر ما أمر الله بتقديمه ، ويقدم ما من شأنه التأخير ، بل الكتاب والسنة لهما الحكم المطلق على سواهما ، وسواهما لاحكم له عليهما بل هو تابع لهما .

(١) في العقيدة الإسلامية ص ٣٨ .

(٢) سورة الحجرات : آية ١

(٣) سورة الأحزاب : آية ٣٦

قال الإمام الشاطبي رحمه الله :

"هنالك أمران مما يقتضيهما العاقل :

أحدهما : أن لا يجعل العقل حاكما باطلاق ، وقد ثبت عليه حاكم باطلاق وهو الشرع ، بل الواجب عليه أن يقدم ماحقه التقديم - وهو الشرع - ويؤخر ماحقه التأخير - وهو نظر العقل - لأنه لا يصح تقديم الناقص حاكما على الكامل ، لأنه خلاف المعقول والمنقول ، بل ضد القضية هو الموافق للأدلة فلامعدل عنه ، ولذلك قال : اجعل الشرع في يمينك والعقل في يسارك ، تنبيهها على تقدم الشرع على العقل .

والثاني : أنه إذا وجد في الشرع أخبار تقتضى ظاهراً خرق العادة الجارية المعتادة ، فلا ينبغي له أن يقدم بين يديه الإنكار باطلاق^(١).

والسلف رحمهم الله لم يستعوضوا نصوص الوحي بغيرها ، ولم يقدموا عليها سواها ، ولم يطلقوا لعقولهم الأعنة لتنتهك حرمة النصوص ، بل وقفوا بها عند الحد الذي حده الله لها ، والقيد الذي قيده بها ، فلا تجاوزا لحدودها ولا قصور بها عن موضعها ، فأعملوها حيث جاز لها أن تعمل ، وأوقفوها حيث حق لها أن تقف ، فلا إفراط ولا تفريط .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله في معرض رده على الفلاسفة والمتكلمين :
"وأما السلف والأئمة فكانوا في ذلك من العدل والاستقامة وموافقة المعقول الصريح والمنقول الصحيح بحال آخر ، فالعصمة وإن كانت شاملة لجماعتهم فأحاديثهم مع ذلك لا يجتزؤون في مخالفة النصوص المشهورة والمعقولات المعروفة على ما يجترأ عليه هؤلاء المسفستون^(٢) ، وكانوا

(١) الاعتصام ٣٢٦/٢ - ٣٢٧ .

(٢) المسفستون : أو "السوفسطائية" :

وهم الذين ينسبون إلى السفطة ، وهي كلمة يونانية تعنى عند الفلاسفة الحكمة المموهة ، وعند المنطقيين القياس المركب من الوهميات ، والغرض منه تغليط الخصم واسكاته . وقد صارت هذه الكلمة ينسب إليها كل من ركب شيئا من الباطل يريد أن يدحض بها الحق .

انظر : المعجم الفلسفي ٦٥٨/١ - ٦٦٠ ، إحصاء العلوم ص ٢٤ ، مفاتيح العلوم ص ٩١ التعريفات للجرجاني ، مادة (سفسطة) ص ١٥٨ .

يستعملون القياس العقلي^(١) على النحو الذى ورد به القرآن فى الأمثال التى ضربها الله تعالى للناس ، فإن الله ضرب للناس فى القرآن من كل مثل ، وبين الأقيسة العقلية المقبولة بالعقل الصريح من المطالب الإلهية والمقاصد الربانية ما لاتصل إليه آراء هؤلاء المتكلمين فى المسائل^(٢).

فهذا هو الانصاف والعدل من دلالة العقل ، وهو الموقف الوسط الذى لا إجحاف فيه ولا غلو ، فأين موقف طائفة أهل الاعتزال من هذا الموقف فانهم يقفون على النقيض منه ، فلاسلطان عندهم يكبح جماح عقولهم التى أطلقوا لها القياد لتعصف بنصوص الوحي ، منتهكة حرمتها ، عابثة بقدسياتها ونائلة من شرفها ورفعتها ، فكم من آية أولوها ، وكم من حديث صحيح ردوه ، وإن سلم من الرد ووجه بسلاح التأويل الذى هو تحريف وتعطيل . ويمكن أن نرد على هؤلاء المعتزلة فى تقديمهم لحجية العقل على النصوص ، وإخضاع النصوص له بأمور نجملها فيما يأتى :

(١) العقل الصريح لا يمكنه أن يناقض نصاً صحيحاً ، لأن العقل متى ماكان سليماً معافى أذعن لسلطان النصوص وخضع لأدلة الوحي ، وتجرد من الكبر والغرور لعلمه بأن نصوص الوحي معصومة عن الخطأ ، محفوظة بحفظ الله لها ، كما قال تعالى : {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} (٣).

(١) القياس العقلي :

القياس فى اللغة هو : رد الشئ إلى نظيره .

وهو نوعان عقلي وشرعي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

"فإن القياس عند أصحابنا والجمهور ينقسم إلى : عقلي وهو مايكتفي فيه بالعقل .

وإلى شرعي وهو ما لا بد فيه من أصل معلوم بالشرع" . مجموع الفتاوى ٢٥٩/٩ .

والقياس العقلي هو الذى يسمونه بالمنطقي وهو : قول مؤلف من أقوال إذا

وضعت لزم عنها بذاتها قول آخر غيرها اضطرارا .

انظر : التعريفات ص ٩٦ ، المعجم الفلسفي ٢٠٧/٢-٢١١ .

(٢) بيان تلبيس الجهمية ٣٢٦/١-٣٢٧ .

(٣) سورة الحجر : آية ٩

(٢) العقل عاجز عن إدراك كثير من الحقائق بل عاجز عن إدراك حقيقة نفسه لضعفه وقصوره فكيف يجعل حكما على الوحي الكامل الذى جاء من عند الله سبحانه وتعالى الذى لا تخفى عليه خافية ولا تغيب عنه غائبة ، وصدق الله إذ يقول : {وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين} (١).

وقال عن هذا الإنسان الضعيف : {ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً} (٢)، والآية فيها مثال قوى لبيان عجز العقل وضعفه . فهذه الروح التى هى مادة الحياة فى الأجساد وهى مخلوقة لله سبحانه ، هل استطاع العقل أن يدرك كنهها أو حقيقتها؟ إنه عاجز عن كل ذلك فكيف يجعل أصلا لشرع تقوم عليه سعادة الدنيا والآخرة؟

(٣) العقول مختلفة متباينة فى إدراكاتها وفهمها فما هو العقل الأمثل الذى يمكن أن يختار من بينها ليحكم على النصوص؟

وهل بإمكان طائفة المعتزلة أن تنتخب لنا من أساطينها من يكون عقله فى منزلة من الكمال والنضوج حتى نخضع له نصوص الوحي؟ بل بان ضعف عقولهم جلياً فى تناقضهم وكثرة اختلافهم فى أمور هى من أظهر وأبرز ما يكون ، قال شيخ الإسلام رحمه الله :

"المتكلمون والفلاسفة كلهم على اختلاف مقالاتهم هم فى قياس الغائب على الشاهد مضطربون كل منهم يستعمله فيما يشته ، ويرد على منازعه ما استعمله فى ذلك، وإن كان قد استعمل هو فى موضع آخر ما هو دونه ، وسبب ذلك أنهم لم يمشوا على صراط مستقيم ، بل صار قبوله ورده هو بحسب القول لا بحسب ما يستحقه القياس العقلي ، كما نجدهم أيضاً فى

(١) سورة الأنعام : آية ٥٩

(٢) سورة الإسراء : آية ٨٥

النصوص النبوية كل منهم يقبل منها ما وافق قوله ويرد منها ما خالف قوله ، وإن كان المردود من الأخبار المقبولة باتفاق أهل العلم بالحديث ، والذي قبله من الأحاديث المكذوبة باتفاق أهل العلم والحديث . فحالهم في الأقيسة العقلية كحالهم في النصوص السمعية لهم في ذلك من التناقض والاضطراب ما لا يحصىه إلا رب الأرباب" (١).

(٤) ما يدعيه هؤلاء من عقليات مخالفة للنصوص لاحقيقة لها عند الاعتبار الصحيح ، بل هي أوهام وخيالات عارية من الصواب . بل إذا أعطى النظر في المعقولات حقه من التمام وجدها براهين ناطقة بصدق ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن نفى فلإنما نفى لجهله بحقيقة الأمر وعجزه عن إدراك الحق الجلى البين (٢).

(ب) قولهم بأن حجة العقل أو إعماله هو أول الواجبات التي أوجبها الله على العباد ، وهو ما يعرف بالنظر قول عار عن الصحة ولا يسنده دليل بل الدليل بخلافه .

فقد عقد الإمام البيهقي رحمه الله في كتابه "الاعتقاد" بابا قال فيه : "باب أول ما يجب على العاقل البالغ معرفته والاقرار به" ، ثم ساق الأدلة التي تدل على أن أول واجب على العبد هو معرفة الله معرفة حققة والإقرار به وهو توحيد الله عز وجل فذكر قوله تعالى : {فاعلم أنه لا إله إلا الله} (٣) وقوله : {فاعلموا أن الله مولاكم} (٤) ، وقوله : {فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون} (٥) ، وقوله : {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا} الآية (٦).

(١) بيان تلبيس الجهمية ٣٢٦/١ .

(٢) انظر المرجع السابق ٦٢٩/١ .

(٣) سورة محمد : آية ١٩

(٤) سورة الأنفال : آية ٤٠

(٥) سورة هود : آية ١٤

(٦) سورة البقرة : آية ١٣٦

ثم قال : "فوجب بالآيات قبلها معرفة الله تعالى وعلمه ، ووجب بهذه الآية الاعتراف به والشهادة له بما عرفه ، ودلت السنة على مثل ما دل عليه الكتاب " .

ثم ساق بسنده إلى أبي هريرة وجابر قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل" (١) ، ومن حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "يا أبا هريرة - وأعطاني نعليه - اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة" (٢) . ومن حديث عثمان بن عفان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة" (٣) ، ومن حديث معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة" (٤) .

(١) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه ، بلفظ مقارب من حديث ابن عمر رضى الله عنهما . كتاب الإيمان (٢) ، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة (١٧) ، ١٢-١١/١ ، ومن حديث أنس بن مالك . كتاب الصلاة (٨) ، باب فضل استقبال القبلة (٢٨) ، ١٠٢/١-١٠٣ . ومن حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه معلقا ، كتاب الاعتصام (٩٦) ، باب قول الله تعالى {وأمرهم شورى بينهم} (٢٨) ، ١٦٢/٤ . وأخرجه مسلم فى صحيحه بألفاظ مقاربة من حديث عمر بن الخطاب برقم (٢٠) ، وأبى هريرة برقم (٢١) ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر برقم (٢٢) ، كتاب الإيمان (١) ، باب الأمر بقتال الناس (٨) ، ٥١/١-٥٣ .

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان (١) ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (١٠) برقم (٣١) ، ٦١-٥٩/١ .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه فى الكتاب والباب السابقين برقم (٤٣) ، ٥٥/١ .

(٤) أخرجه أحمد فى مسنده ٢٤٧،٢٣٣/٥ .

وأخرجه أبو داود فى سننه ولفظه : "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة" . فى كتاب الجنائز ، باب فى التلقين برقم ٣١١٦ ، ١٩٠/٣ .

وقال الشيخ ناصر الدين الألبانى : صحيح . صحيح سنن أبى داود ٦٠٢/٢ .

ثم قال رحمه الله : " وفي الحديث الأول بيان ما يجب على المدعو أن يأتي به حتى يحقن به دمه ، وفي الحديث الثاني بيان ما يجب عليه من الجمع بين معرفة القلب والإقرار باللسان مع الإمكان حتى يصح إيمانه ، وفي الخبر الثالث والرابع شرط الوفاة على الإيمان حتى يستحق دخول الجنان ، بوعد الله تعالى جده " (١).

فهذه الأدلة التي ساقها رحمه الله تدل دلالة واضحة على أن أول ما يجب على المكلف توحيد الله تعالى لا النظر ولا الدعوة إليه . إذ إن التوحيد هو الذي يدخل به الإنسان الإسلام وذلك بنطقه بالشهادتين . والله لا يقبل من أحد عملاً ما لم يحقق التوحيد كما قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم { ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين } (٢)

وقد حرم الله الجنة على من أخفق في تحقيق توحيد ربه فقال تعالى : { إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ومال للظالمين من أنصار } (٣). ولذا أوصد باب التوبة ومغفرة الذنوب أمام من انخرم توحيدهم فقال : { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } (٤). ولما كان التوحيد بهذه المثابة من الأهمية بدأ رسول الله عليهم السلام أقوامهم في أول مابدأوا بالدعوة إليه ، فقال تعالى في شأن نوح عليه السلام : { لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم } (٥). وفي شأن هود عليه السلام : { وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون } (٦). وهكذا

(١) الاعتقاد ص ١٩-٢١ .

(٢) سورة الزمر : آية ٦٥

(٣) سورة المائدة : آية ٧٢

(٤) سورة النساء : آية ١١٦، ٤٨

(٥) سورة الأعراف : آية ٥٩

(٦) السورة نفسها : آية ٦٥

عن صالح وعن شعيب عليهما السلام ، بل كل الرسل ساروا في قومهم بهذه الدعوة كما قال تعالى : {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} (١). وقال : {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون} (٢).

وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ عندما بعثه إلى اليمن : "يامعاذ إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ماتدعوهم إليه أن يوحدوا الله" الحديث (٣).

فتبين من هذا أن التوحيد هو أول ما يجب على المكلف وأن الدعوة إليه أول ما يجب على الدعاة إلى الله .

وهذا التوحيد لا يعرف إلا من جهة الرسل عليهم السلام ، أما العقول فلا مجال لها في معرفته كما تدعى طائفة أهل الاعتزال .

قال الإمام اللالكائي رحمه الله : "سياق ما يدل من كتاب الله عز وجل وماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن وجوب معرفة الله تعالى وصفاته بالسمع لا بالعقل" . ثم ذكر قوله تعالى : {فاعلم أنه لا إله إلا الله} (٤). وقوله : {اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن

(١) سورة النحل : آية ٣٦

(٢) سورة الأنبياء : آية ٢٥

(٣) وانظر : فتح المجيد ص ١٦، ١٧ ، تيسير العزيز الحميد ص ٣٦، ٣٧ .
أخرجه البخارى بألفاظ مقاربة في كتاب الزكاة (٢٤) ، باب وجوب الزكاة (١) ، ١٠٨/٢ ، وفي باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (٤١) ، ١٢٥/٢ . وفي باب أخذ الصدقة من الأغنياء (٦٣) ، ١٣٦/٢ . وفي كتاب المغازي (٦٤) ، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن (٦٠) ، ١٠٩/٥ . وفي كتاب التوحيد (٩٧) ، باب ماجاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله (١) ، ١٦٤/٨ . وأخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مقاربة في كتاب الإيمان (١) ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (٧) برقم (١٩) ، ٥١-٥٠/١ .

(٤) سورة محمد : آية ١٩

المشركين} (١). وقوله تعالى : {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون} (٢).

ثم قال رحمه الله : "فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أن بالسمع والوحي عرف الأنبياء قبله التوحيد" (٣).

وقال السفاريني رحمه الله :

"فإن الله تعالى خلق العقول وأعطاهها قوة الفكر وجعل لها حداً تقف عنده من حيث ماهي مفكرة لامن حيث ماهي قابلة للوهاب الإلهي ، فإذا استعملت العقول أفكارها فيما هو في طورها وحدها ووفت النظر حقه أصابت بأذن الله تعالى ، وإذا سلطت الأفكار على ماهو خارج عن طورها ووراء حدها الذي حده الله لها ركبت متن عمياء ، وخطبت بخط عشواء ، فلم يثبت لها قدم ولم ترتكز على أمر تطمئن إليه ، فإن معرفة الله تعالى وراء طورها ، مما لاتستقل العقول بإدراكها من طريق الفكر وترتيب المقدمات ، وإنما تدرك ذلك بنور النبوة وولاية المتابعة ، فهو اختصاص إلهي يختص به الأنبياء وأهل وراثتهم مع حسن المتابعة وتصفية القلب من وضر (٤) البدع ، والفكر من نزغات الفلسفة والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

... ومما يوضح ذلك أن العقول لو كانت مستقلة بمعرفة الحق وأحكامه لكانت الحجة قائمة على الناس قبل بعث الرسل وإنزال الكتب ،

(١) سورة الأنعام : آية ١٠٦

(٢) سورة الأنبياء : آية ٢٥

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٩٣/١ - ١٩٥ .

(٤) وضر :

قال صاحب القاموس : "الوضر ، محركة : وسخ الدسم واللين ، أو غسالة السقاء والقصعة ونحوهما" .

القاموس المحيط ص ٦٣٣ - ٦٣٤ .

واللازم باطل بالنص . قال تعالى : {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا} (١). وقال تعالى : {ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى} (٢)، فكذا الملزوم ، فلما بعث الله الرسل وأنزل الكتب وجبت لله على الخلق الحجة البالغة وانقطعت علة الاعتذار " (٣).

فمن أين للعقول أن تعرف ما يجب لله من أنواع العبادات التي يتم بها توحيده سبحانه؟ ومن أين لها أن تتعرف على أسمائه الحسنی وصفاته العليا لتصفه بها؟ بل هذا باب مغلق وطريق مسدود لا يلج به إلا أنبياء الله الذين يوحى إليهم من قبل الله سبحانه .

وأما معرفة ربوبية الله تعالى على العباد ، والإقرار بالصانع الذي يتعب أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم في حشد الأدلة للوصول إليه ، وإجهاد العقول وكد الأذهان للدلالة عليه ، فهو أمر فطري فطر الله عليه القلوب والنفوس فهو لا يحتاج إلى دليل لأنه مركز في الفطر ، مستقر في القلوب (٤).

والأدلة على ذلك شاهدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . من ذلك :

قوله تعالى : {وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين} الآية (٥).

(١) سورة الإسراء : آية ١٥

(٢) سورة طه : آية ١٣٤

(٣) لوامع الأنوار ١٠٥/١ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٤٨/١ ، ١٦،٦/٢ ، موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول

١٣٤/٢، ١٣٥ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٤٥ .

(٥) سورة الأعراف : آية ١٧٢

فقد أخرج الله ذرية بنى آدم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم على أنه ربهم ومليكهم فأقروا بذلك ، وقد وردت أحاديث تدل أيضا على أن الله استخرج من صلب آدم ذريته وهم في عالم الذر فأقروا بربوبية الله تعالى . من ذلك ما رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان^(١) يعنى عرفة ، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا^(٢) ، قال : "ألست بربكم؟ قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين" أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون"^(٣)(٤).

ومن الأدلة قوله تعالى :

{فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون}{^(٥)

- (١) نعمان : واد بين مكة والطائف . وقيل واد لهذيل على ليلتين من عرفات . انظر : معجم البلدان ٢٩٣/٥ .
- (٢) قبلا : أى خاطبهم عيانا ومقابلة لامن وراء حجاب . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٨/٤ .
- (٣) سورة الأعراف : آية ١٧٢، ١٧٣
- (٤) أخرجه أحمد في المسند ٢٧٢/١ .
- قال الهيثمي : "ورجاله رجال الصحيح" . مجمع الزوائد ٢٥/٧ .
- وقال الشيخ أحمد محمد شاكر : "إسناده صحيح" . مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٥١/٤ .
- ورواه الحاكم في المستدرک بلفظ مقارب . وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبي ٥٤٤/٢ .
- وذكره الشيخ ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٥٨/٤ ، وأورد له مجموعة من الطرق والشواهد ، وحكم بصحته ، بل قال : "هو متواتر المعنى" . ١٦٢/٤ .
- وذكره جماعة من المفسرين عند تفسير الآيات السابقة . انظر : تفسير ابن كثير ٢٦٢، ٢٦١/٢ .
- (٥) سورة الروم : آية ٣٠

روى البخارى بسنده إلى أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال "ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء؟" . ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه : "فطرة الله التى فطر الناس عليها". الآية (١). وروى مسلم بسنده إلى عياض بن حمار المجاشعى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم فى خطبته : "ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا . كل مال نخلته عبدا ، حلال . وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم . وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا ... الحديث (٢)".

(١) صحيح البخارى ، كتاب الجنائز (٢٣) ، باب اذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (٨٠) ، ٩٨،٩٧/٢ .

وبلفظ مقارب : فى باب ما قيل فى أولاد المشركين (٩٣) ، ١٠٤/٢ ، وفى كتاب التفسير (٦٥) ، باب تفسير سورة الروم (٣٠) ، ٢٠/٦ ، وفى كتاب القدر (٨٢) ، باب الله أعلم بما كانوا عاملين (٣) ، ٢١١/٧ . وأخرجه مسلم فى صحيحه بألفاظ مقاربة فى كتاب القدر (٤٦) ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٦) برقم ٢٦٥٨ ، ٢٠٤٧-٢٠٤٩ . قال النووى :

"وأما قوله صلى الله عليه وسلم "كما تنتج البهيمة بهيمة" فهو بضم التاء الأولى وفتح الثانية ، ورفع البهيمة ونصب بهيمة ، ومعناه : كما تلد البهيمة بهيمة (جمعاء) بالمد أى مجتمعة الأعضاء سليمة من نقص لا توجد فيها جدعاء - بالمد - وهى مقطوعة الأذن أو غيرها من الأعضاء . ومعناه : أن البهيمة تلد البهيمة كاملة الأعضاء لانقص فيها ، وإنما يحدث فيها الجدع والنقص بعد ولادتها" . شرح النووى على مسلم ٢٠٨/١٦-٢٠٩ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٥١) ، باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار (١٦) برقم ٢٨٦٥ ، ٢١٩٧-٢١٩٨ .

وحنفاء : جمع حنيف وهو المائل إلى الإسلام . وهو عند العرب من كان على دين إبراهيم عليه السلام . والمعنى خلقهم طاهرين الأعضاء من المعاصى ، أو أنهم مؤمنين ومقرين بربوبية الله تعالى . انظر : النهاية فى غريب الحديث ٤٥١/١ . =

والإقرار بربوبية الله ، وبالصانع لاينجى صاحبه من عذاب الله ، ولايكفى للإيمان بالله سبحانه. وهو الذى يحرص أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم إلى معرفته والإقرار به ، فقد أخبرنا ربنا سبحانه أن المشركين الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وناهضوه العداء وأخرجوه من أرضه وحاربوه فقتل منهم من قتل وأسر من أسر كانوا مقرين بهذا النوع من التوحيد ومع ذلك لم يشفع لهم عند ربهم ، كما قال سبحانه مبينا اعترافهم بربوبيته : {قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون . فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون}{(١)}

وقال تعالى : {قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فأنى تسحرون}{(٢)}

فهم أقروا بالله الخالق الرازق المحيى المميت المدبر لأمر الكون ، وإنما أتوا من اتخاذهم الوسائط بينهم وبين الله وصرفوا لها العبادات التى لا تجوز إلا لله سبحانه ، كما قال تعالى مبينا قولهم فى ذلك : {مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى}{(٣)}.

فهذا هو التوحيد الذى يسعى المعتزلة إلى الإقرار به وسلوك الطرق المتشعبة التى لا تخلو من الخلل والطول وكثرة التعب للوصول إليه (٤).

= واجتالهم الشياطين : أى استخففتهم فجالوا معها فى الضلال .

المرجع السابق ٣١٧/١ .

(١) سورة يونس : آية ٣١-٣٢

(٢) سورة المؤمنون : آية ٨٤-٨٩

(٣) سورة الزمر : آية ٣

(٤) انظر موافقة صحيح المنقول ١٣٥/٢ .

وأما التوحيد الذى علمه السلف الصالح رضوان الله عليهم وحدوه وبينوه ، فهو علم العبد واعترافه واعتقاده ، وإيمانه بتفرد الرب بكل صفة كمال وتوحيده فى ذلك ، واعتقاده أنه لا شريك له فى كماله وأنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين^(١).

وهو الشامل لأنواعه الثلاثة : الربوبية والألوهية والأسماء والصفات وهو الذى دعت إليه الرسل عليهم السلام ، وأوضحته كتب الله المنزل .
(٢) أما الحديث عن أصول أهل الاعتزال الخمسة التى وضعوها بإزاء أصول دين الإسلام الخمسة وهى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وهدموا بها كثيراً من دين الإسلام فهى أصول مبتدعة^(٢) لم تبين على كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإنما بنيت على مقاييس عقلية فاسدة ومقدمات منطقية تستلزم رد كثير مما جاء به كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم^(٣). ولهذا لما سلك المعتزلة الطرق الفاسدة والأقيسة العقلية المعوجة التى يعلم بالاضطرار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدع الناس بها ، فلما سلکوها فى بيان أصول الدين التزموا لأجلها كثيراً من اللوازم الفاسدة كنفى صفات الرب سبحانه ، والقول بخلق القرآن ، وإنكار رؤية الله تعالى ، إلى غير ذلك مما التزموه^(٤).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله فى معرض حديثه عن طرق المعتزلة التى يثبتون بها أصولهم :

"وهذه الطرق فيها فساد كثير من جهة الوسائل ، والمقاصد . أما المقاصد فإن حاصلها بعد التعب الكثير والسلامة خير قليل ، فهى لحم جمل

(١) الكواشف الجليلة ص ٤١٧ .
(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٩٩ .
(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٨/٢ .
(٤) انظر : موافقة صحيح المنقول ٥١/١ - ٥٣ .

غث ، على رأس جبل وعر ، لاسهل فيرتقى ، ولاسمين فينتقل . ثم إنه يفوت بها من المقاصد الواجبة والمحمودة مالا ينضبط هنا .

وأما الوسائل : فإن هذه الطرق كثيرة المقدمات ، ينقطع السالكون فيها كثيراً قبل الوصول ، ومقدماتها في الغالب إما مشتبهة يقع النزاع فيها ، وإما خفية لا يدركها إلا الأذكياء . ولهذا لا يتفق منهم اثنان ... على جميع مقدمات دليل إلا نادراً . فكل رئيس من رؤساء الفلاسفة ، والمتكلمين له طريقة في الاستدلال ، تخالف طريقة الرئيس الآخر ، بحيث يقدر كل من أتباع أحدهما في طريقة الآخر ، ويعتقد كل منهما أن الله لا يعرف إلا بطريقته ، وإن كان جمهور أهل الملة ، بل عامة السلف يخالفونه فيها" (١).

والعجب من هؤلاء المبتدعة الذين يبتدعون في دين الله ما ليس منه ، ثم يجعلون ما ابتدعوه أصول الدين ، ثم يلزمون الناس بالتزامها ، ويوالون ويعادون عليها ، بل ويكفرون من خالفهم فيما ابتدعوه (٢).

بل والعجب من هؤلاء الذين يتكلمون في أصول الدين وهم لا يتلقون ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أترى الله سبحانه يترك أصول دينه التي يقوم عليها بنيان الإسلام وينبني عليها صرحه ، ويدع ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يبينها للناس حتى يأتي أهل الاعتزال ليشرعوا للناس ديناً ما أنزل الله به من سلطان ، وأصولاً ليس عليها دليل ولا برهان ، ويزعموا أنها أصول الدين الذي شرعه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم . سبحانه هذا بهتان عظيم . بل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بينا أصول الدين وفروعه أتم بيان وأوضحاً ذلك أكمل توضيح بحيث لم يدع لأحد منفذاً ينفذ من خلاله لابتدع في دين الله ما ليس منه .

(١) مجموع الفتاوى ٢٢/٢ .

(٢) انظر موافقة صحيح المنقول ٢٠٥/١ .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله :

"وذلك أن أصول الدين إما أن تكون مسائل يجب اعتقادها قولاً ، أو قولاً وعملاً كمسائل التوحيد ، والصفات ، والقدر ، والنبوة ، والمعاد . أو دلائل هذه المسائل .

... فكل ما يحتاج الناس إلى معرفته ، واعتقاده ، والتصديق به من هذه المسائل قد بينه الله ورسوله بياناً شافياً قاطعاً للعذر . إذ هذا من أعظم ما بلغه الرسول البلاغ المبين ، وبينه للناس ، وهو من أعظم ما أقام الله به الحجة على عباده فيه بالرسول الذين بينوه وبلغوه . وكتاب الله الذى نقل الصحابة ثم التابعون عن الرسول لفظه ومعانيه ، والحكمة التى هى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى نقلوها أيضاً عن الرسول مشتملة من ذلك على غاية المراد ، وتقام الواجب ، والمستحب" (١).

قال : "وأما ما يدخله بعض الناس فى هذا المسمى من الباطل فليس ذلك من أصول الدين ، وإن أدخله فيه مثل المسائل والدلائل الفاسدة مثل نفى الصفات ، والقدر ، ونحو ذلك من المسائل" (٢).

وقال رحمه الله :

"وإذا عرف أن مسمى أصول الدين فى عرف الناطقين بهذا الاسم فيه إجمال وإيهام - لما فيه من الاشتراك بحسب الأوضاع والاصطلاحات - تبين أن الذى هو عند الله ورسوله وعباده المؤمنين أصول الدين فهو موروث عن الرسول ، وأما من شرع ديناً لم يأذن به الله فمعلوم أن أصوله المستلزمة له لا يجوز أن تكون منقولة عن النبى صلى الله عليه وسلم إذ هو

(١) مجموع الفتاوى ٢٩٥/٣ ، وانظر موافقة صحيح المنقول ٤٣/١ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣٠٣/٢ .

باطل وملزوم الباطل باطل كما أن لازم الحق حق" (١).

وقد بين صلى الله عليه وسلم أصول دين الإسلام في حديث جبريل عليه السلام عندما سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أركان الإسلام وأركان الإيمان وركن الإحسان (٢). بعد هذا يتبين لنا أن المعتزلة بابتداعهم أصول دين لم يعرفها سلف الأمة الأخيار بل علموا نقيضها ، ارتكبوا عظام أربع :
أولها : ردهم النصوص .

الثاني : ردهم ما يوافق النصوص من معقول العقلاء .

الثالث : جعل ماخالف ذلك من أقوالهم المجملة أو الباطلة هي أصول الدين .

الرابع : تكفيرهم ، أو تفسيقهم ، أو تخطئتهم لمن خالف هذه الأقوال المبتدعة المخالفة لصحيح المنقول وصريح المعقول (٣).

(١) المرجع نفسه ٣/٣٠٥-٣٠٦ .

وانظر في بيان الله ورسوله لأصول دين الإسلام : بيان تلبيس الجهمية ١/١٠١، ٢٤٦ موافقة صحيح المنقول ١/٥١-١٧٩، ٥٣-١٨٠ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٥-١٩٦ الرياض الناضرة ص ١٧٩-١٨٠ .

(٢) الحديث أخرجه البخارى في صحيحه من حديث أبى هريرة كتاب الإيمان (٢) ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان (٣٧) ، ١/١٨ ، وفي كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة لقمان (٣١) ، باب قوله "إن الله عنده علم الساعة" (٢) ، ٦/٢٠-٢١ .

وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب برقم (٨) ، ومن حديث أبى هريرة برقم (٩) ، كتاب الإيمان (١) ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (١) ، ١/٣٦-٤٠ .

(٣) انظر : موافقة صحيح المنقول ١/٢٠٦ .

الفصل الثانى

موقفهم من الحديث المتواتر وحديث الآحاد .

١ - ذم تعلم الحديث وأهله :

لقد ذم أهل الاعتزال من تعلم الحديث ، وحذروا من تعلمه وقللوا من فائده والاستدلال به ، ونصوا على أنه لا حاجة إليه ، إذ العقول تغنى عنه والأذهان تكتفى بغيره .

ويستدل عبد الجبار على ذلك بإيراده أقوال بعض أهل الحديث التى يزعم أنها تبين كراهيتهم لطلبه ، وذمهم لمن أكثر منه .
فنقل عن شعبة^(١) أنه قال : "مأنا من شيء أخوف منى أن يدخلنى النار من الحديث" .

وعن أبى إسحاق الفزارى^(٢) قال : "كتبت إلى سفيان الثورى إياك والحديث" .

وذكر أن الواحد من أصحاب الحديث يجب الاستكثار من طريق حديث واحد ، ولا يكون فيه كبير فائدة ، إلا تخيير الزيادات فيه .
ثم علل ماسبق من نقول فقال :

(١) شعبة :

هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى مولاهم ، أبو بسطام الواسطى ، ثم البصرى ، ثقة ، حافظ متقن ، أول من فتش بالعراق عن الرجال ، وذبح عن السنة . وكان عابداً . مات سنة ١٦٠هـ .

انظر : التاريخ الكبير ٢٤٤/٤-٢٤٥ ، الجرح والتعديل ٣٦٩/٤ ، تاريخ بغداد ٢٥٥/٩-٢٦٦ ، الكاشف ١١/٢ ، تذكرة الحفاظ ١٩٣/١-١٩٧ ، سير أعلام النبلاء ٢٠٢/٧-٢٢٨ ، تهذيب التهذيب ٣٣٨/٤-٣٤٦ ، تقريب التهذيب ٣٥١/١ .

(٢) أبو إسحاق الفزارى :

هو إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء ، الفزارى ، الإمام ، أبو إسحاق ، ثقة حافظ . له تصانيف . مات سنة ١٨٥هـ وقيل بعدها .

انظر : تذكرة الحفاظ ٢٧٣/١ ، سير أعلام النبلاء ٥٣٩/٨-٥٤٣ ، تهذيب التهذيب ١٥١/١ ، تقريب التهذيب ٤١/١ .

"يحمل ماروى عن شعبة وغيره من ذم أصحاب الحديث ، لفساد طريقتهم وقلة تمييزهم" .

وذكر أن المعتزلة لم يشتهروا بالفقه والحديث لأنهم توفروا على ما عندهم ، وهو أجدى في الدين من طلب الفقه والحديث .

ثم ذيل على ذلك بقوله :

"الحديث بمزلة سائر ما يجب أن يتحرز الإنسان فيه ، لأن من حدث عن غيره بما لا يعلم أنه قد سمع منه ، إما على جملة أو تفصيل فهو مقدم على قبيح لا يحل منه ذلك ، كما لا يحل منه لو علمه كذبا ، فمن يشتد تحرزه ، يرى أن ذلك لو وجب لكان من فروض الكفايات والسعيد فيه قد كفى بغيره" (١).

٢ - الحديث المتواتر (٢) :

ذهب النظام إلى جواز وقوع الكذب في الخبر المتواتر (٣) ، والحجة العقلية عنده كفيلة بنسخ الأخبار (٤) . كما جوز إجماع الأمة في كل عصر وفي جميع الأعصار على الخطأ من جهة الرأي والاستدلال (٥) .

وأبو الهذيل العلاف يرى أن الحجة في طريق الأخبار فيما غاب عن الحواس من آيات الأنبياء عليهم السلام ، وفيما سواها لا تثبت بأقل من عشرين نفسا ، فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر . ولم يوجب بأخبار

(١) فضل الاعتزال ص ١٩٣-١٩٤ .

(٢) المتواتر :

هو الخبر الذى رواه عدد كثير تحيل العادة تواطؤهم على الكذب ، عن مثلهم إلى منتهاه ، وأن يكون مستند خبرهم الحس وإفادة العلم لسامعه .

انظر : شرح نخبة الفكر ص ١٠ ، تيسير مصطلح الحديث ص ١٩-٢٠ .

(٣) انظر : الفرق بين الفرق ص ١٤٣ .

(٤) انظر : تأويل مختلف الحديث ص ٤٣ .

(٥) انظر : الفرق بين الفرق ص ١٤٣ .

الكفرة والفسقة حجة وإن بلغوا عدد التواتر الذى لا يمكن معه تواطؤهم على الكذب ، إذا لم يكن فيهم واحد من أهل الجنة .
 وزعم أن خبر مادون الأربعة لا يوجب حكما ، ومن فوق الأربعة إلى العشرين قد يصح وقوع العلم بخبرهم وقد لا يصح .
 واستدل على العشرين حجة بقوله تعالى : {إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين} (١).
 وقال : "لم يبح لهم قتالهم إلا وهم عليهم حجة" (٢).

٣ - حديث الآحاد :

(أ) تعريفه ، وأنه لا يعد من السنة :

لقد عرف المعتزلة حديث الآحاد بأنه الذى لا يعلم كونه كذبا أو صدقا (٣).

ومن هنا يقبح أن يقال عنه إنه سنة تضاف إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، لأن السنة هى ما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم ليدام عليه ، أو فعله ليدام الاقتداء به ، وحديث الآحاد لا يؤمن فيه من الكذب فلا يقال إنه من السنة إلا على وجه التعارف ، وذلك بعد موافقته للعقل ، ولهذا لا يجوز فى العقل أن يقال فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعا وإنما يجوز أن يقال روى عنه صلى الله عليه وسلم (٤).

(ب) عدم الاحتجاج به مطلقا فى أمور الدين :

إن الاحتجاج إنما يكون بالإجماع القاطع دون أخبار الآحاد التى قد يتعمد فيها الكذب ، ويقع فيها السهو والنسيان والتغيير والتبديل (٥).

(١) سورة الأنفال : آية ٦٥

(٢) انظر : الفرق بين الفرق ص ١٢٧-١٢٨ .

(٣) انظر : شرح الأصول ص ٧٦٩ .

(٤) انظر : فضل الاعتزال ص ١٨٥-١٨٦ .

(٥) انظر : المرجع السابق ص ١٩٥ .

قال أبو الحسين :

"وقد كان السلف ينكرون كثرة الرواية . وحكى عن شعبة أنه قال :
"ثلاث الحديث كذب" ، وكثيراً ما يتضمن الجبر والتشبيه^(١) ما لا يمكن تأويله إلا
بتعسف شديد ، لا يتعذر مثله في كل كلام متناقض . وذلك يمنع أن يقوله
النبي صلى الله عليه وسلم . ولا يمنع أن يكون من روى ذلك من المتأخرين
قد تعمد الكذب . ولا يمنع أن يثبت أن بعض الصحابة الذى رواها أن
يكون لحقه سهو وغلط ، وأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم حكاه عن
غيره ، وظن الراوى أنه حكاه عن نفسه ، أو خرج عن سبب يغير فائدته ،
أو تقدم ما يعين حكمه"^(٢).

وقد تعلقوا ببعض الشبه التى زعموا أنها تؤيد ما ذهبوا إليه فى ردهم
لخبر الواحد وعدم قبوله .

من ذلك قصة ذى اليمين وكون النبي توقف فى خبره حتى تابعه عليه
غيره^(٣).

(١) سوف يأتى بيان لمعنى الجبر والتشبيه عند المعتزلة .

(٢) المعتمد فى أصول الفقه ٥٥٠/٢-٥٥١ .

(٣) روى البخارى بسنده إلى أبى هريرة قال : "صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى صلاتى العشى - قال ابن سيرين : قد سماها أبو هريرة ولكن نسيته أنا - قال : فصلى بنا ركعتين ثم سلم فقام إلى خشبة معروضة فى المسجد فاتكأ عليها كأنه غضبان ووضع يده اليمنى على اليسرى وشبك بين أصابعه ، ووضع خده الأيمن على ظهر كفه اليسرى ، وخرجت السرعان من أبواب المسجد ، فقالوا قصرت الصلاة ، وفى القوم أبو بكر وعمر فهابا أن يكلماه ، وفى القوم رجل فى يديه طول يقال له ذو اليمين ، قال : يارسول الله أنسيته أم قصرت الصلاة؟ قال : "لم أنس ولم تقصر". فقال : "أكما يقول ذو اليمين؟" فقالوا : نعم . فتقدم فصلى ما ترك ثم سلم ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول ، ثم رفع رأسه وكبر ، ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع رأسه وكبر ، فربما سأله ثم سلم . صحيح البخارى ، كتاب الصلاة (٨) ، باب تشبيك الأصابع فى المسجد وغيره (٨٨) ، ١٢٣/١-١٢٤ .

وقصة أبي بكر حين توقف في خير المغيرة في ميراث الجدة حتى تابعه محمد بن مسلمة (١).

= وأخرج نحوه في كتاب الأذان (١٠) ، باب هل يأخذ الإمام إذا شك بقول الناس (٦٩) ، ١٧٥/١ ، وفي كتاب السهو (٢٢) ، باب من لم يتشهد في سجدة السهو (٤) ، وباب يكبر في سجدة السهو (٥) ، ٦٦/٢ ، وفي كتاب الأدب (٧٨) ، باب ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم الطويل والقصير (٤٥) ، ٨٥/٧ ، وفي كتاب أخبار الأحاد (٩٥) ، باب ماجاء في إجازة خبر الواحد (١) ، ١٣٣/٨ ، وأخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مقاربة من حديث أبي هريرة برقم ٥٧٣ ، وبنحوه من حديث عمران بن حصين برقم ٥٧٤ ، كتاب المساجد (٥) ، باب السهو في الصلاة (١٩) ، ٤٠٣/١ - ٤٠٥ .

(١) روى مالك بسنده إلى قبيصة بن ذؤيب أنه قال : جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها . فقال لها أبو بكر : مالك في كتاب الله شيء . وما علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً . فارجعى حتى أسأل الناس . فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة : حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاهما السدس . فقال أبو بكر : هل معك غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة . فأنفذها أبو بكر الصديق ، ثم جاءت الجدة الأخرى إلى عمر بن الخطاب تسأله ميراثها ، فقال لها : مالك في كتاب الله شيء . وما كان القضاء الذي قضى به إلا لغيرك . وما أنا بزائد في الفرائض شيئاً . ولكنه ذلك السدس . فإن اجتمعتما فهو بينكما ، وأيتكما خلت به فهو لها . الموطأ ، كتاب الفرائض (٢٧) ، باب ميراث الجدة (٨) ، ٥١٣/٢ . وأخرجه أبو داود في سننه بلفظ مقارب ، كتاب الفرائض ، باب في الجدة برقم ٢٨٩٤ ، ١٢٢/٣ - ١٢١ .

والترمذي في سننه بلفظ مقارب ، في كتاب الفرائض (٣٠) ، باب ماجاء في ميراث الجدة (١٠) ، برقم ٢١٠١ ، ٢١٠٠ ، ٣٦٥/٤ - ٣٦٦ . وابن ماجه في سننه بلفظ مقارب ، في كتاب الفرائض (٢٣) ، باب ميراث الجدة (٤) برقم ٢٧٢٤ ، ٩٠٩/٢ - ٩١٠ . وأحمد نحوه في مسنده ٢٢٥/٤ - ٢٢٦ . والحاكم نحوه في مستدركه ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي ٣٣٨/٤ - ٣٣٩ .

وتوقف عمر في خبر أبي موسى في الاستئذان حتى تابعه أبو سعيد الخدرى (١).

(ج) عدم الاحتجاج به اذا خالف العقل :
قال أبو الحسين :

"لم يقبل ظاهر الخبر في مخالفة مقتضى العقل ، لأننا قد علمنا بالعقل على الإطلاق أن الله عز وجل لا يكلف إلا ما يطاق ، وأن ذلك قبيح . فلو قبلنا الخبر في خلافه ، لم يخل إما أن نعتقد صدق النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فيجتمع لنا صدق النقيضين ، أو لانصدقه فنعدل عن مدلول المعجز . وذلك محال" (٢).

(د) عدم الاحتجاج به في باب الاعتقاد :

وقد ذهب فريق الاعتزال إلى أن خبر الآحاد لا يقبل فيما طريقه الاعتقاد لأن الاعتقاد إنما يبنى على اليقين لا الظن ، وخبر الآحاد إنما يفيد

= وأورده الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير وقال : "وإسناده صحيح لشدة رجالة ، إلا أن صورته مرسل ، فان قبيصة لا يصح له سماع من الصديق" . ٩٥/٣ .
(١) انظر : المعتمد في أصول الفقه ٦٢٣/٢ ، تدريب الراوى ٧٣/١ .

روى البخارى بسنده إلى أبي سعيد الخدرى قال : كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال : استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت . فقال : مامنك؟ قلت استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع" . فقال : والله لتقيمن عليه بينة . أمنكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبي بن كعب : والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم . فكنت أصغر القوم فقامت معه فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك " .

صحيح البخارى ، كتاب الاستئذان (٧٩) ، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً (١٣) ، ١٣٠/٧ ، وأخرج نحوه في كتاب البيوع (٣٤) ، باب الخروج في التجارة (٩) ، ٦/٣ .

وأخرج نحوه مسلم في صحيحه ، كتاب الآداب (٣٨) ، باب الاستئذان (٧) برقم ١٦٩٧-١٦٩٤/٣ ، ٢١٥٤، ٢١٥٣ .

(٢) المعتمد في أصول الفقه ٥٤٩/٢ .

الظن^(١)، وأما اليقين فأنما يؤخذ من حجج العقول . كما قال الجاحظ :
 "وما الحكم القاطع إلا للذهن ، وما الاستبانة الصحيحة إلا للعقل"^(٢).
 وقال : "والاستنباط هو الذى يفضى بصاحبه إلى برد اليقين ، وعز الثقة ،
 والقضية الصحيحة ، والحكم المحمود"^(٣).

وقال أبو الحسين :

"وقولنا فى خبر الواحد العدل إنه لا يوجب علماً"^(٤).

قال عبد الجبار :

"وإن كان - أى خبر الآحاد - مما طريقه الاعتقادات ينظر ، فإن كان
 موافقاً لحجج العقول قبل واعتقد موجه ، لالمكانه بل للحجة العقلية ، وإن
 لم يكن موافقاً لها ، فإن الواجب أن يرد ويحكم بأن النبى لم يقله ، وإن
 قاله فإنما قاله على طريق الحكاية عن غيره ، هذا إذا لم يحتمل التأويل إلا
 بتعسف ، فأما إذا احتمله فالواجب أن يتأول"^(٥).

وقال بعد ذكره لبعض أحاديث الرؤية :

"وقد قال أصحابنا : إن خبر الواحد لا يقبل فى مثل ذلك ، وإنما يقبل
 خبر الواحد فيما طريقه العمل"^(٦).

(هـ) عدم الاحتجاج به فى الأعمال إلا بشروط :

شرط بعض أهل الاعتزال شروطاً لقبول حديث الآحاد فيما طريقه
 العمل . فأبو على الجبائى لا يقبل الخبر إذا رواه العدل الواحد ، إلا إذا انضم
 إليه خبر عدل آخر ، أو عضده موافقة ظاهر الكتاب ، أو ظاهر خبر آخر ،

(١) انظر : المعتمد فى أصول الفقه ٥٧٧/٢، ٥٧٨، ٥٧٩ ، شرح الأصول ص ٧٦٩ .

(٢) رسالة التبريع والتدوير ، ضمن رسائل الجاحظ ٥٨/٣ .

(٣) كتاب المعلمين . ضمن رسائل الجاحظ ٢٩/٣ .

(٤) الانتصار ص ٥٥ ، وانظر : المعتمد فى أصول الفقه ٥٦٦/٢ .

(٥) شرح الأصول ص ٧٧٠ ، وانظر المعتمد فى أصول الفقه ٥٤٩/٢ .

(٦) فضل الاعتزال ص ١٥٨ ، وانظر ص ١٥٦ .

أو يكون منتشراً بين الصحابة ، أو عمل به بعضهم (١).
بل زعموا أن من أخبار الآحاد ما يعلم أنه بروايته ارتكب عظيماً كما
روى في باب التشبيه والجبر وغيرهما من ضروب الخطأ، ولولا الدلالة على
وجوب العمل به على بعض الوجوه لم يكن في نقله فائدة (٢).

(١) تدريب الراوى ٧٣/١ .

وانظر : المعتمد في أصول الفقه ٦٢٢/٢ ، النكت على ابن الصلاح ٢٤٢/١ .

(٢) انظر : فضل الاعتزال ص ١٩٤ .

الجواب على شبه المعتزلة :

لقد فضل الله عز وجل هذه الأمة على الأمم السابقة وجعلها شاهدة عليهم لأنها أمة العدل والإنصاف فقال تعالى : {وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً} (١)، وقال سبحانه : {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله} (٢).

وحفظ لها دينها من بين سائر الأديان بحفظه لكتابه الذى {لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد} (٣)، فقال سبحانه : {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} (٤)، وأوكل حفظ الكتب الأخرى إلى الربانيين والأخبار كما قال : {بما استحضروا من كتاب الله} (٥)، ولكنهم بدلوا وغيروا (٦).

وحفظ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم كما حفظ كتابه لأنها بيان له كما قال سبحانه : {لتبين للناس ما نزل إليهم} (٧). ومن حفظ الكتاب حفظ بيانه معه . وهى وحى من عند الله لقوله تعالى : {وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى} (٨). وقال : {إن أتبع إلا ما يوحى إلى} (٩).

قال ابن حزم : "ولاخلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة فى أن كل وحى نزل من عند الله فهو ذكر منزل وهو محفوظ بحفظ الله تعالى

-
(١)	سورة البقرة : آية ١٤٣
(٢)	سورة آل عمران : آية ١١٠
(٣)	سورة فصلت : آية ٤٢
(٤)	سورة الحجر : آية ٩
(٥)	سورة المائدة : آية ٤٤
(٦)	انظر : روح المعانى ١٦/١٤ .
(٧)	سورة النحل : آية ٤٤
(٨)	سورة النجم : آية ٣
(٩)	سورة الأنعام : آية ٥٠

بيقين . لا يضيع منه شيء ولا يحرف تحريفاً لا يأتي البيان بطلانه" (١).

وحديث النبي صلى الله عليه وسلم مصدر من مصادر التشريع كصنوه القرآن ، وإن كان دونه في المتزلة فهو مثله في الحجية وذلك لقوله سبحانه وتعالى : {من يطع الرسول فقد أطاع الله} (٢)، ولقوله صلى الله عليه وسلم "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه" (٣).

وما أثاره المعتزلة حوله من شبه ، فهي شبه واهية ، لاتستند إلى دليل ولا تؤيدها حجة .

ولم يفعلوا غير أنهم أوعروا بتلك الشبه الطريق وأوصدوا بها الأبواب أمام معرفة الله وأسمائه وصفاته ، ومعرفة دينه وأحوالوا الناس على أمور وهمية ، ومقدمات خيالية ، سموها قواطع عقلية ، وبراهين يقينية ، وهى فى التحقيق "كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب . أو كظلمات فى بحر لى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكدرها ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور" (٤). ومن العجب أنهم قدموها على نصوص الوحى ، وعزلوا لأجلها النصوص ، فأققرت قلوبهم من الاهتداء بالنصوص ، ولم يظفروا بالعقول الصحيحة المؤيدة بالفطرة السليمة والنصوص النبوية . ولو حكموا نصوص الوحى لفازوا بالمعقول الصحيح ، الموافق للفطرة السليمة (٥).

ويجاب على ما أثاروه من شبه حول الحديث بالآتى :

(١) الإحكام فى أصول الأحكام ١٢١/١ .

(٢) سورة النساء : آية ٨٠

(٣) الحديث سبق تخريجه . انظر ص : ١١

(٤) سورة النور : آية ٣٩-٤٠

(٥) شرح الطحاوية ص ٣٥٤ بتصرف .

١ - ذمهم تعلم الحديث ، ومن تعلمه واشتغل به من أهل الحديث ينبيء عن جهلهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقلة معرفتهم به ، وعدم الاعتناء والاهتمام به ، ولذلك قل استدلالهم بالحديث في كتبهم . وكثير منهم بل أفضلهم عند أصحابه لا يعتقد أنه روى في الباب الذي يتكلم فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء أو يظن أن المروى فيه حديث أو حديثان كما يجده لأكابر شيوخهم كأبي الحسين البصري فهو لا يعتقد أنه روى في الرؤية إلا حديث جرير ، ولم يعلم أنه فيها مايقارب ثلاثين حديثاً (١).

وأما أهل الحديث فهم الذين حفظ الله بهم دينه ، وأيد بهم شرعه ، لأنهم ورثاء نبيه صلى الله عليه وسلم ، والذابون عن سنته . والمطلع على سيرتهم يجدهم من أعظم الناس صدقا وأمانة وديانة ، وأوفر الناس عقولاً ، وأشدهم تحفظاً وتحريماً في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يجابى أحدهم فيه أباه ولا ابنه ولا شيخه ولا أحداً من الخلق ، وأنهم حرروا الرواية عنه صلى الله عليه وسلم تحريراً لم يبلغه أحد سواهم . وهم أصدق الطوائف قاطبة . قال عبد الله بن المبارك (٢):

"وجدت الدين لأهل الحديث ، والكلام للمعتزلة ، والكذب

(١) انظر مختصر الصواعق ص ٤٧١ . وسوف يأتي الحديث والكلام عنه .

(٢) عبد الله بن المبارك :

هو عبد الله بن المبارك بن واضح ، أبو عبد الرحمن الحنظلي ، مولاهم التركي ، المروزي ، ثقة ثبت فقيه ، عالم جواد مجاهد ، جمعت فيه خصال الخير . مات سنة ١٨١ هـ .

انظر : التاريخ الكبير ٢١٢/٥ ، الجرح والتعديل ١٧٩/٥ ، تاريخ بغداد ١٥٢/١٠ ، الكاشف ١٢٣/٢ ، تذكرة الحفاظ ١٧٤/١ ، سير أعلام النبلاء ٣٧٨/٨ - ٤٢١ ، تهذيب التهذيب ٣٨٢/٥ ، تقريب التهذيب ٤٤٥/١ .

للمرافضة^(١)، والحيل لأهل الرأي ، وسوء الرأي والتدبير لآل بني فلان^(٢).
قال القاضي عياض رحمه الله :

"رحم الله سلفنا من الأئمة المرضيين ، والأعلام السابقين ، والقادة الصالحين ، من أهل الحديث وفقهائهم ، قرنا بعد قرن ، فلولا اهتبالهم بنقله وتوفرهم على سماعه وحمله ، واحتسابهم في إذاعته ونشره ، وبحثهم عن مشهوره وغريبه ، وتنخيلهم لصحيحه من سقيمهم لضاعت السنن والآثار ، ولاختلط الأمر والنهي ، وبطل الاستنباط والاعتبار ، كما اعتري من لم يعتن بها ، وأعرض عنها بتزيين الشيطان ذلك له من الخوارج^(٣) والمعتزلة وضعفة أهل الرأي ، حتى انسل أكثرهم عن الدين ، وأتت فتاويهم ومذاهبهم مختلفة القوانين ، وذلك لأنهم اتبعوا السبل وعدلوا عن الطريق ، وبنوا أمرهم على

(١) المرافضة :

اسم يطلق على كل من تبرأ من الشيخين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، وكذلك على كل من تبرأ من الصحابة .

وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر ، وهم مجمعون على أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه ، وإن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . وقد ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة ولم يجوزوا ثبوتها في غيرهم .

انظر : مقالات الإسلاميين ٨٩/١ ، الملل والنحل ١٥٤/١، ١٥٥ .

(٢) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٧١، ٤٧٢ .

(٣) الخوارج :

هم الذين خرجوا من جيش أمير المؤمنين على رضى الله عنه بعد وقعة صفين ، ورفضوا التحكيم وقالوا له : لم حكمت الرجال لاحكم إلا لله . وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان فقاتلهم على رضى الله عنه ، وتكونت منهم فرق شتى يجمعهم القول بالتبرىء من عثمان رضى الله عنه . وتكفير أصحاب الكبائر ، والخروج على الإمام إذا خالف السنة .

انظر : الملل والنحل ١١٤/١-١١٥ .

غير أصل وثيق . {أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار} الآية" (١).

وقال ابن أبي العز في فضلهم وتخريهم :

"وكانوا بحيث لو قتلوا لم يساحوا أحداً في كلمة يتقولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا فعلوا هم بأنفسهم ذلك ، وقد نقلوا هذا الدين إلينا ما نقل إليهم ، فهم ترك (٢) الإسلام وعصابة الإيمان ، وهم نقاد الأخبار وصيارفة الأحاديث .

فإذا وقف المرء على هذا من شأنهم ، وعرف حالهم ، وخبر صدقهم وورعهم وأمانتهم ، ظهر له العلم فيما نقلوه ورووه . ومن له عقل ومعرفة يعلم أن أهل الحديث لهم من العلم بأحوال نبيهم وسيرته وأخباره ، ما ليس لغيرهم به شعور" (٣).

هكذا عرف علماؤنا فضل أهل الحديث وشرفهم وسمو منزلتهم بين أهل العلم كافة ، وكيف لا يكونون كذلك وهم الذين دعا لهم رسول الهدى صلى الله عليه وسلم بنضارة الوجه فقال :

"نضر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع" (٤).

وكيف تكون طريقتهم فاسدة وهم الذين جعلهم الله أوعية لحديث نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهو أشرف العلوم وأعظمها منزلة بعد كتاب الله عز وجل ، وإنما شرف أهل الحديث بشرفه وعظموا بين علماء الأمة لعظمة الحديث وفضله .

(١) الاملاص ص ٧ .

والآية هي ١٠٩ من سورة التوبة.

(٢) ترك : جمع تريكة . وهي بيضة الحديد . انظر : القاموس المحيط ص ١٢٠٧ .

شبههم بالبيضة لأنهم حماة الإسلام والذابون عنه .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٦ .

(٤) سبق تخريجه . انظر ص : ١٢

يقول الإمام الشافعى رحمه الله :

"فإذا كان موجوداً في العامة وفي أهل الكذب الحالات يصدقون فيها الصدق الذى تطيب به نفس المحدثين . كان أهل التقوى والصدق في كل حالاتهم أولى أن يتحفظوا عند أولى الأمور بهم أن يتحفظوا عندها ، في أنهم وضعوا موضع الأمانة ، ونصبوا أعلاماً للدين ، وكانوا عالمين بما ألزمهم الله من الصدق في كل أمر ، وأن الحديث في الحلال والحرام أعلى الأمور وأبعدها من أن يكون فيه موضع ظنة ، وقد قدم إليهم في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء لم يقدم إليهم في غيره ، فوعد على الكذب على رسول الله النار" (١).

فلا يطعن فيهم إلا من جهل مقامهم ، وعلو منزلتهم ، وليس ذلك بغريب على من جهل شرف العلم الذى حملوه ، والتضحية التى بذلوها ، والأمانة التى حفظوها ، والخير الذى قدموه .

قال الرامهرمزي :

"فمن عرف للإسلام حقه ، وأوجب للرسول حرمة أكبر أن يحتقر من عظم الله شأنه ، وأعلى مكانه ، وأظهر حجته ، وأبان فضيلته ، ولم يرتق بطعنه إلى حزب الرسول وأتباع الوحي ، وأوعية الدين ، ونقله الأحكام والقرآن ، الذين ذكرهم الله عز وجل في التنزيل ، فقال : {والذين اتبعوهم بإحسان} (٢)(٣)

وكيف يقدح فيهم بإكثارهم من الحديث وتعدد طرقه وتلك محمداً يحمدون عليها لامسبة يذمون بها ، وهذا دليل حبهم لحديث النبى صلى الله عليه وسلم وحرصهم على حفظه ، وقد كان أحدهم يقطع الفياض والقفار ، ويترك المال والولد والأوطان بحثاً عن حديث واحد ، ليحفظ به على الأمة دينها ، وينفع به أمة الإسلام .

(١) الرسالة ص ٣٩٤ .

(٢) سورة التوبة : آية ١٠٠

(٣) المحدث الفاصل ص ١٦٠ ، وانظر الكفاية ص ٦ .

يقول الامام الرامهرمزي رحمه الله مخاطباً أهل الحديث ، محذراً اياهم مما يعيرون به :

"فتمسكوا - جبركم الله - بحديث نبيكم صلى الله عليه وسلم وتبينوا معانيه ، وتفقهوا به ، وتأدبوا بآدابه ، ودعوا مابه تعيرون من تتبع الطرق وتكثير الأسانيد ، وتطلب شواذ الأحاديث ، ومادلسه المجانين ، وتبلبل فيه المغفلون ، واجتهدوا في أن توفوه حقه من التهذيب والضبط والتقويم ، لتتشرفوا به في المشاهد ، وتنطلق ألسنتكم في المجالس ، ولا تحفلوا بمن يعترض عليكم حسداً على ما آتاكم الله من فضله ، فإن الحديث ذكر لا يحبه إلا الذكران ، ونسبه لا يجهل بكل مكان ، وكفى بالمحدث شرفاً أن يكون اسمه مقروناً باسم النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكره متصلاً بذكره وذكر أهل بيته وأصحابه" (١).

وتكثير الطرق وجمعها له فائدة عظيمة تقصر عنها عقول المعتزلة . وذلك أن جمع الطرق هو سبيل لمعرفة العلة (٢) في الحديث المعلن (٣) ، وهو نوع من أجل علوم الحديث وأشرفها وأدقها ، ولا يتمكن منه إلا أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب . وهو وسيلة إلى معرفة الحديث المتواتر .

(١) المحدث الفاصل ص ١٦١ .

(٢) العلة : سبب غامض خفى قادح في الحديث ، مع أن الظاهر السلامة منه . انظر : تدريب الراوى ٢٥٢/١ ، الباعث الحثيث ص ٦٢ ، تيسير مصطلح الحديث ص ٩٩ .

(٣) المعلن :

هو الحديث الذى اطلع فيه على علة قادحة ، مع أن ظاهره السلامة منها . انظر : شرح نخبه الفكر ص ٨٣ ، تدريب الراوى ٢٥٢/١ ، الباعث الحثيث ص ٦٢ ، تيسير مصطلح الحديث ص ٩٩ .

ولذا قال ابن المديني^(١) رحمه الله : "الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه" (٢).

وأما ما نقله عبد الجبار عن بعض أئمة الحديث من أقوال زاعماً أنها تدل على ذم طلب الحديث وتعلمه ، فهي لا تؤيده فيما ذهب إليه ، لأن أهل العلم وجهوها توجيهها يناسب ما عرف من أحوال أولئك القوم ، وما علم من شدة حرصهم على تحمل الحديث وروايته ، وحث طلبه العلم على تعلمه وحفظه . فشعبة الذى يحمل قوله عبد الجبار مالا يحتمله هو القائل : "إني لأذكر الحديث فيفوتني فأمرض" (٣).

وقال له الثورى : "يا شعبة أنت أمير المؤمنين فى الحديث" (٤).

وقال الخطيب البغدادى :

"وليس يجوز لأحد أن يقول : كان شعبة يثبط عن طلب الحديث . وكيف يكون كذلك ، وقد بلغ من قدره أن سمي أمير المؤمنين فى الحديث ؟ كل ذلك لأجل طلبه له واشتغاله به . ولم يزل طول عمره يطلبه حتى مات على غاية الحرص فى جمعه . لا يشتغل بشيء سواه ، ويكتب عمّن دونه فى السن والإسناد ، وكان من أشد أصحاب الحديث عناية بما سمع ، وأحسنهم

(١) ابن المديني :

هو على بن عبد الله بن معمر بن نجيح ، السعدى مولا هم ، أبو الحسن بن المديني البصرى ، ثقة ثبت إمام ، أعلم أهل عصره بالحديث وعلمه . قال البخارى : ما استصغرت نفسى إلا عند على . قال شيخه بن عيينة : يلومونى على حب ابن المديني ، والله لأتعلم منه أكثر مما تعلم منى . وقال شيخه ابن مهدى : على بن المديني أعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر : الجرح والتعديل ١٩٣/٦-١٩٤ ، الكاشف ٢٨٨/٢-٢٨٩ ، تقريب التهذيب ٣٩/٢-٤٠ .

(٢) انظر : النكت على كتاب ابن الصلاح ٧١١،٧١٠/٢ ، تدريب الراوى ٢٥٣،٢٥١/١ .

(٣) شرف أصحاب الحديث للخطيب ص ١١٥ .

(٤) الكامل فى ضعفاء الرجال ٧١/١ ، شرف أصحاب الحديث للخطيب ص ١١٥ ، سير أعلام النبلاء ٢٢٤/٧ .

اتقاناً لما حفظ "(١).

ومأثله عبد الجبار عنه فيحمل على خوفه على نفسه أن لا يكون قد قام بحق الحديث ، والعمل به ، فخشى أن يكون ذلك حجة عليه (٢).

قال الذهبي بعد ذكره لكلمة شعبة السابقة :

"كل من حاقق نفسه في صحة نيته في طلب العلم يخاف من مثل هذا ،
يود أن ينجو كفافاً" (٣). وما قيل في قول شعبة يقال في قول أبي إسحاق
الفزاري . فليس فيما قيل دلالة على ذم الحديث أو الطعن فيمن طلبه .
٢ - الحديث المتواتر :

لقد قسم بعض العلماء الأخبار المقبولة عنه صلى الله عليه وسلم في
أمور الدين إلى أربعة أقسام :

أحدها : متواتر لفظاً ومعنى .

الثاني : متواتر معنى وإن لم يتواتر في اللفظ .

الثالث : أخبار مستفيضة (٤) متلقة بالقبول بين الأمة .

الرابع : أخبار آحاد (٥).

ومنهم من قسمه إلى : متواتر ومشهور (٦) وآحاد .

(١) شرف أصحاب الحديث للخطيب ص ١١٥ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ١١٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢١٣/٧ .

(٤) الخبر المستفيض :

هو في الاصطلاح : مرواه ثلاثة فأكثر - في كل طبقة - ولم يبلغ حد التواتر .
ويشترط فيه أن يستوى طرفاً لإسناده . وقيل في تعريفه غير ذلك .

انظر : شرح نخبة الفكر ص ١٤ ، تيسير مصطلح الحديث ص ٢٣ .

(٥) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٧٠ .

(٦) الخبر المشهور :

المشهور في الاصطلاح هو مرواه ثلاثة فأكثر - في كل طبقة - ولم يبلغ حد
التواتر .

وأما في غير الاصطلاح يقصد به ما اشتهر على الألسنة من غير شروط تعتبر .

انظر : تيسير مصطلح الحديث ص ٢٣-٢٤ ، وانظر شرح نخبة الفكر ص ١٤ .

ومنهم من قسمه إلى متواتر وآحاد^(١).

ومن المتيقن أن الصحابة ماكانوا يفرقون بين المتواتر والآحاد في الأخبار^(٢)، ولكنه تقسيم اصطلاح عليه فيما بعد وأقره العلماء .
فأما الحديث عن المتواتر فقد تبين لنا موقف أهل الاعتزال منه ، وكيف جوز النظام وقوع الكذب فيه وأبو الهذيل وضع له من الشروط مايؤيد به عقائد الاعتزال . وهو وإن كان في مرتبة عندهم أفضل من حديث الآحاد إلا أنه مع ذلك عرضة للتأويل والرد متى ماخالف عقولهم .
وأما علماء السلف لم يضعوا الحديث المتواتر تحت طائلة البحث لأنه ليس من مباحث علم الإسناد ، الذي يبحث فيه عن صحة الحديث أو ضعفه ليعمل به أو يترك ، بل يجب العمل به من غير بحث^(٣). ولذا لم يختلفوا في أنه قطعى الثبوت^(٤). يفيد العلم اليقيني الذي يضطر الإنسان إليه بحيث لايمكنه دفعه^(٥).

يقول أبو محمد بن حزم رحمه الله في شأن الخبر المتواتر :
"وهو ماقلته كافة بعد كافة حتى تبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم .
وهذا خبر لم يختلف مسلمان في وجوب الأخذ به ، وفي أنه مقطوع على غيبه لأن بمثله عرفنا أن القرآن هو الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ، وبه علمنا صحة مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وبه علمنا عدد ركوع كل صلاة ، وعدد الصلوات ، وأشياء كثيرة من أحكام الزكاة ، وغير ذلك مما لم يبين في القرآن تفسيره ...إن البرهان قائم على صحته ... وإن الضرورة والطبيعة توجبان قبوله ، وإن به عرفنا ما لم نشاهد من البلاد ، ومن كان

(١) انظر : أصول الحديث ص ٣٠١-٣٠٢ .

(٢) انظر : رد شبهات الاحاد ص ٣٢

(٣) انظر : شرح نخبة الفكر ص ١٢ ، أصول الحديث ص ٣٠١-٣٠٢ .

(٤) انظر : الباعث الحثيث ص ٣٥ ، أصول الفقه وابن تيمية ٢٤٩/١ ، المسودة في

أصول الفقه ص ٢٣٣ ، إرشاد الفحول ص ٤٧ .

(٥) انظر : شرح نخبة الفكر ص ١١ ، مختصر الصواعق ص ٤٧٠ .

قبلنا من الأنبياء والعلماء والفلاسفة والملوك والوقائع والتوالييف ، ومن أنكر ذلك كان بمنزلة من أنكر ما يدرك بالحواس الأول ولا فرق . ولزمه أن لا يصدق بأنه كان قبله زمان ولأن أباه وأمه كانا قبله ولأنه مولود من امرأة" (١).

ولا يشترط للتواتر عدد معين كما زعم أبو الهذيل وغيره ، بل الحق ما ذكره والد شيخ الإسلام (٢) في قوله : "ولا يعتبر في التواتر عدد محصور ، بل يعتبر ما يفيد العلم على حسب العادة في سكون النفس إليهم وعدم تأني التواطؤ على الكذب منهم ، إما لفرط كثرتهم ، وإما لصلاحهم ودينهم ونحو ذلك" (٣).

لذا لم تتفق كلمة العلماء في شرط عدد معين لنقله التواتر . وسلفنا الصالح رحمهم الله لم يتوقفوا في قبول الحديث المتواتر والاحتجاج به في جميع أبواب الدين من عقائد وأحكام وغير ذلك ، بل لم يبحشوا في إسناده ومتنه لأنه ليس موضعاً للبحث والتنقيب ، بل يضطر المرء إلى قبوله اضطراراً . وهذا موقف نابع عنه طائفة الاعتزال فإنهم ردوا كثيراً من الأحاديث المتواترة وأنكروها كالأحاديث الواردة في عذاب القبر والشفاعة ورؤية الرب سبحانه وتكليمه عباده يوم القيامة وغير ذلك (٤) ، والتي سلمت عندهم من الرد لم تسلم من التحريف والتأويل كما سيتبين من ثنايا البحث.

(١) الإحكام في أصول الأحكام ١٠٤/١ .

(٢) هو عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني شهاب الدين أبو المحاسن وأبو أحمد ، ولد بجران سنة ٦٢٧هـ . سمع من والده وغيره ، وكان من أعيان الحنابلة ، عنده فضائل وفنون وياشر بدمشق مشيخة دار الحديث السكرية ، وله تعاليق وفوائد ، وصنف في علوم عديدة ، توفي بدمشق سنة ٦٨٢هـ .

انظر : ذيل طبقات الحنابلة ٣١٠/٢ ، ٣١١ ، البداية والنهاية ٣٠٣/١٣ .

(٣) المسودة في أصول الفقه ص ٢٣٥ .

(٤) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٧٠ .

٣ - حديث الآحاد :

(أ) تعريفه وأنه لا يعد من السنة .

تناول الإمام ابن حزم رحمه الله أوجه النقل عند المسلمين ، فبين نقلهم لكتاب ربهم ، وذكر أنه ليس عند اليهود ولا عند النصارى في هذا النقل شيء أصلاً ، ثم تعرض لنقل الحديث المتواتر الذى نقلته كافة عن مثلها حتى يبلغ الأمر إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وليس عند اليهود والنصارى كذلك من هذا النقل شيء أصلاً . ثم قال :

"والثالث ما نقله الثقة عن الثقة كذلك حتى يبلغ إلى النبى صلى الله عليه وسلم يخبر كل واحد منهم باسم الذى أخبره ونسبه وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان على أن أكثر ما جاء هذا المجيء فإنه منقول نقل الكواف إما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق جماعة من الصحابة رضى الله عنهم وإما إلى الصاحب وإما إلى التابع وإما إلى إمام أخذ من التابع ، يعرف ذلك من كان من أهل المعرفة بهذا الشأن . والحمد لله رب العالمين . وهذا نقل خص الله تعالى به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها وأبقاه عندهم غرضاً جديداً على قديم الدهور منذ أربعمئة عام وخمسين عاماً فى المشرق والمغرب والجنوب والشمال يرحل فى طلبه من لا يحصى عددهم إلا خالقهم إلى الآفاق البعيدة ويواظب على تقييده من كان الناقد قريباً منه قد تولى الله تعالى حفظه عليهم . والحمد لله رب العالمين . فلاتفوتهم زلة فى كلمة فما فوقها فى شيء من النقل إن وقعت لأحدهم ولا يمكن لفاسق أن يقحم فيه كلمة موضوعة ولله تعالى الشكر" (١).

وقد عني ابن حزم رحمه الله بنقل الثقة عن الثقة حتى يبلغ إلى النبى صلى الله عليه وسلم حديث الآحاد الذى وقف منه المعتزلة ذلك الموقف المشين . وأوردوا الشبه من حوله .

وماعرفوه به لم يكن هو التعريف الذى عرفه به علماء الحديث رحمهم الله ، وارتضوه .

فخير الآحاد عند علماء الحديث هو مارواه واحد أو أكثر ولم يجمع شروط المتواتر (١).

وأما أهل الاعتزال إنما عرفوه بذلك التعريف الخاطئ لكى يتسنى لهم رده والقدح فيه وعدم الاحتجاج به ، وحتى يسقطوا بذلك جملة عظيمة من الأحاديث الصحيحة التى تعارض ماابتدعوه فى دين الله عز وجل من بدع برىء منها الإسلام .

وأما قولهم إنه لا يعد من السنة فقد سبق أن بينت أن السنة ترادف الحديث عند المحدثين ، والحديث يشمل أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته (٢)، وحديث الآحاد لا يخرج عن ذلك .
(ب) زعمهم أنه لا يحتج به مطلقا فى أمور الدين .

هذا زعم واه ، وقول مناف للحق والصواب ، ولعل المعتزلة جهلوا أو تناسوا أن خير الآحاد أصل من أصول الدين وليس سائر الأصول أولى بالقبول منه (٣).

ولو ترك الاحتجاج به لتهافت أركان الشريعة الإسلامية ، واندثر الحق وغاب الهدى ، وأصبح للباطل صولته ، وللضلال سلطته .
والأدلة شاهدة من كتاب الله عز وجل وحديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وأقوال السلف ، بل وإجماعهم على الاحتجاج ، وقبول الاستدلال به ، وهى كثيرة لا تحصى .
وسوف نورد منها مايناسب المقام ، ويتضح به السبيل ، وتستبين به الحجة .

(١) انظر : شرح نخبه الفكر ص ١٩ ، تيسير مصطلح الحديث ص ٢٢ ، أصول الحديث ص ٣٠٢ .

(٢) انظر ص ٦ ، ٧ .

(٣) انظر : الإحكام فى أصول الأحكام ١/ ١١٧ .

أولاً : القرآن الكريم .

(١) قال تعالى :

{فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون}{(١)} .

أورد الإمام البخارى رحمه الله هذه الآية في ترجمة أول باب من كتاب أخبار الآحاد ليدلل بها على جواز العمل به والقول بأنه حجة (٢) . ولفظ "طائفة" في الآية يتناول الواحد فما فوقه ولا يختص بعدد معين . وذلك منقول عن ابن عباس وغيره (٣) .

فقد أوجب الله بهذه الآية على كل فرقة أن تقبل نذارة النافر منها في تبليغهم الدين ، وحذرها من مخالفته ، ولو كان النافر واحدا (٤) .

(٢) قوله تعالى :

{ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا} . في قراءة أخرى "فتثبتوا" (٥) .

ففى الآية دلالة على أن العدل إذا جاء بخبر فالحجة قائمة بخبره ، ولا يلزم التثبت فيه ، بل يجب قبوله في الحال . أما إن كان فاسقا فقد أمرنا بالتثبت في خبره (٦) . وكذلك إذا جهلنا حاله .

(٣) قوله تعالى :

{ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك}{(٧)} .

(١) سورة التوبة : آية ١٢٢

(٢) انظر : صحيح البخارى ١٣٢/٤ ، فتح البارى ٢٣٣/١٣ .

(٣) انظر المرجع السابق ٢٣٤/١٣ .

(٤) انظر : الإحكام لابن حزم ١١٢، ١٠٩/١ ، مختصر الصواعق المرسله ص ٤٩٧ .

(٥) سورة الحجرات : آية ٦ . وانظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكى أبى طالب ٣٩٤/١ ، النشر في القراءات العشر لابن الجزرى ٢٥١/٢ .

(٦) انظر : الإحكام في أصول الأحكام ١١١/١ ، مختصر الصواعق المرسله ص ٤٩٦ ، فتح

البارى ٢٣٤/١٣ ، الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام ص ٥٠ .

(٧) سورة المائدة : آية ٦٧

فقد أمر صلى الله عليه وسلم بتبليغ الدين للناس كافة ، فلو كان خبر الواحد غير مقبول لتعذر إبلاغ الشريعة إلى الكل ضرورة ولتعذر خطاب الجميع مشافهة ، وتعذر إرسال عدد التواتر إليهم^(١) ، والتبليغ باق إلى يوم القيامة ، والحجة قائمة به^(٢).

ثانيا : السنة النبوية .

(١) عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ... " الحديث^(٣).

قال الإمام الشافعي رحمه الله :

"فلما ندب رسول الله إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها إمرأاً يؤديها والإمرأ واحد . دل على أنه لا يأمر أن يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه ، لأنه إنما يؤدي عن حلال ، وحرام يجتنب ، وحد يقام ، ومال يؤخذ ويعطى ، ونصيحة في دين ودنيا"^(٤).

(٢) روى البخارى بسنده إلى عبد الله بن عمر قال :

"بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها ، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة"^(٥).

(١) انظر : فتح الباري ٢٣٥/١٣ .

(٢) انظر : الأحكام في أصول الأحكام ١٢٤/١-١٢٥، ١٢٨-١٣١ .

(٣) الحديث سبق تخريجه . انظر ص : ١٢

(٤) الرسالة ص ٤٠٢-٤٠٣ . وانظر : مختصر الصواعق المرسلة ص ٥٠١ .

(٥) صحيح البخارى ، في كتاب الصلاة (٨) ، باب ماجاء في القبلة (٣٢) ، ١٠٥/١ .

وأخرجه بالفاظ مقاربة في كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة البقرة (٢) ، باب {وماجعلنا القبلة التي كنت عليها} الآية (١٤) ، وباب {ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب} الآية (١٦) ، وباب {الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه} الآية (١٧) ، وباب {ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام} الآية (١٩)، (٢٠) ،

والحجة في هذا الحديث بينة ظاهرة ، فإن أهل قباء كانوا على قبلة فرض الله عليهم التوجه لها ، وهى بيت المقدس ، فتحولوا عنها بخير الذى قال لهم إن النبى صلى الله عليه وسلم أمر أن يستقبل الكعبة ، فلو لم تكن الحجة قائمة بخبره ماتركوا القبلة التى كانوا عليها ، وهى فرض عليهم (١).

(٣) وروى بسنده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه قال :

"كنت أسقى أبا طلحة الأنصارى وأبا عبيدة بن الجراح وأبى بن كعب شراباً من فضيخ وهو تمر ، فجاءهم آت فقال : إن الخمر قد حرمت . فقال أبو طلحة : يا أنس ، قم إلى هذه الجرار فاكسرها . قال أنس : فقممت إلى مهران (٢) لنا فضربت بها بأسفله حتى انكسرت" (٣).

فأبو طلحة ومن معه قبلوا خبر المخبر لهم وهو واحد ، فى تحريم ما كان حلالاً عندهم ، وأكد أبو طلحة ذلك بإتلاف الجرار وهى مال ، وإراقة الخمر وهى سرف ، فلو لم يكن الخبر عندهم حجة لما أقدم على ذلك (٤).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

= وأخرجه فى كتاب أخبار الآحاد (٩٥) ، باب ماجاء فى إجازة خير الواحد (١) ، ١٣٤-١٣٣/٨ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب المساجد (٥) ، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة (٢) برقم ٥٢٦ ، ٣٧٥/١ .

(١) انظر : الرسالة ص ٤٠٧ ، مختصر الصواعق المرسله ص ٤٩٦ ، فتح البارى ٢٣٧/١٣

(٢) المهراس : صخرة أو حجر منقور كالخوض ، يسع كثيراً من الماء ، يتوضأ فيه ، ولا يقدر على تحريكه .

انظر : الفائق ١٠٢/٤ ، النهاية فى غريب الحديث ٢٥٩/٥ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب أخبار الآحاد (٩٥) ، باب ماجاء فى إجازة خير الواحد (١) ، ١٣٤/٨ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظ مقارب ، فى كتاب الأشربة (٣٦) ، باب تحريم الخمر (١) برقم ١٩٨٠ ، ١٥٧٢/٣ .

(٤) انظر : الرسالة ص ٤١٠ ، مختصر الصواعق المرسله ص ٥٠٢ .

"وإن من جملة ماورد في بعض طرقه "فوالله ماسألوا عنها ولاراجعوها بعد خبر الرجل" (١) وهو حجة قوية في قبول خبر الواحد لأنهم أثبتوا به نسخ الشيء الذي كان مباحاً حتى أقدموا من أجله على تحريمه والعمل بمقتضى ذلك" (٢).

(٤) وروى بسنده إلى مالك بن الحويرث قال :

"أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شعبة متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيقاً ، فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا - أو قد اشتقنا - سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه قال : ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم - وذكر أشياء أحفظها ولا أحفظها - وصلوا كما رأيتموني أصلي ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ، وليؤمكم أكبركم" (٣).

(١) أخرج هذه الرواية مسلم في صحيحه . ولفظ الحديث :

قال عبد العزيز بن صهيب : سألوا أنس بن مالك عن الفضيخ؟ فقال : "وما كانت لناخمر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه الفضيخ . إني لقائم أسقيها أبا طلحة وأبا أيوب ورجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا . إذ جاء رجل فقال : هل بلغكم الخبر؟ قلنا : لا . قال : فإن الخمر قد حرمت . فقال : يأنس أرق هذه القلال . قال : فما راجعوها ولاسألوا عنها ، بعد خبر الرجل * . في الكتاب والباب السابقين ١٥٧١/٣ .

(٢) فتح الباري ٢٣٨/١٣ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب أخبار الآحاد (٩٥) ، باب ماجاء في إجازة خبر الواحد (١) ، ١٣٢/٨ - ١٣٣ .

وأخرج نحوه في كتاب الأذان (١٠) ، باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد (١٧) ، ١٥٤-١٥٥ ، وفي باب الأذان للمسافر (١٨) ١٥٥/١ ، وفي باب اثنان فما فوقهما جماعة (٣٥) ، ١٦٠/١ ، وفي باب إذا استووا في القراءة فليؤمهم أكبرهم (٤٩) ، ١٦٧/١ ، وفي باب المكث بين السجدين (١٤٠) ، ١٩٩/١ .

وفي كتاب الجهاد (٥٦) ، باب سفر الاثنين (٤٢) ، ٢١٥/٣ .

وبلفظ مقارب في كتاب الأدب (٧٨) ، باب رحمة الناس بالبهايم (٢٧) ، ٧٧/٧ ، وأخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب في كتاب المساجد (٥) ، باب من أحق بالإمامة (٥٣) برقم ٦٧٤ ، ٤٦٥-٤٦٦ .

فقد أمر صلى الله عليه وسلم كل واحد من هؤلاء الشبهة أن يعلم أهله وأن يأمرهم بشرائع الإسلام التي علمهم إياها ، فلو أن خبر الآحاد لا تقوم به حجة ما كان لهذا الأمر من معنى (١).

(٥) روى الشافعى بسنده إلى عطاء بن يسار :

« أن رجلاً قبل امرأته وهو صائم ، فوجد من ذلك وجداً شديداً ، فأرسل امرأته تسأل عن ذلك ، فدخلت على أم سلمة أم المؤمنين ، فأخبرتها فقالت أم سلمة : إن رسول الله يقبل وهو صائم . فرجعت المرأة إلى زوجها فأخبرته ، فزاده ذلك شراً وقال : لسنا مثل رسول الله ، يحل الله لرسوله ما شاء . فرجعت المرأة إلى أم سلمة فوجدت رسول الله عندها فقال رسول الله : ما بال هذه المرأة ، فأخبرته أم سلمة ، فقال : ألا أخبرتها أنى أفعل ذلك ؟ فقالت أم سلمة : قد أخبرتها فذهبت إلى زوجها فأخبرته فزاده ذلك شراً ، وقال : لسنا مثل رسول الله ، يحل الله لرسوله ما يشاء ، فغضب رسول الله ، ثم قال : «والله إني لأتقاكم لله ولأعلمكم بحدوده» .

قال الشافعى رحمه الله بعد إيراد الحديث :

"في ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : "ألا أخبرتها أنى أفعل ذلك" دلالة على أن خبر أم سلمة عنه مما يجوز قبوله ، لأنه لا يأمرها بأن تخبر عن النبي إلا وفي خبرها ما تكون الحجة لمن أخبرته ، وهكذا خبر امرأته إن كانت من أهل الصدق عنده" (٢).

(١) انظر : الحديث حجة بنفسه ص ٥٢ .

(٢) الرسالة ص ٤٠٤-٤٠٦ ، ورقم الحديث ١١٠٩ .

والحديث أخرجه مالك في الموطأ بلفظ مقارب مرسلًا في كتاب الصيام (١٨) ، باب ماجاء في الرخصة في القبلة للصائم (٥) ورقم ١٣ ، ٢٩١/١-٢٩٢ . وأخرج عبد الرزاق في مصنفه نحوه مرسلًا باب القبلة للصائم برقم ٨٤١٢ ، ١٨٤/٤ .

وقد صحح الحافظ ابن حجر إسناده عبد الرزاق . انظر فتح الباري ١٥١/٤ . وأخرج نحوه الإمام أحمد في المسند من طريق عبد الرزاق ٤٣٤/٥ . قال الهيثمي "رجال أحمد رجال الصحيح" . مجمع الزوائد ١٧٠/٣ . وقال الشيخ أحمد محمد شاكر : "وهو كما قال" . الرسالة ص ٤٠٥ الهامش .

والأحاديث في ذلك أكثر من أن تحصر . وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسله إلى ملوك الأرض المجاورين لبلاد العرب وكانوا آحاداً وأمرهم بتعليم من أسلم شرائع الدين وألزم كل ملك بقبول ما أخبره به الرسول كما بعث كثيراً من أصحابه إلى جهات متعددة ليعلموا الناس وليقيموا شعائر الإسلام . فبعث معاذاً إلى اليمن ، وأباموسى إلى زبيد ، وأبا بكر على موسم الحج ، وأتبعه بعلى ، وبعث علياً قاضياً إلى اليمن ، وأبا عبيدة إلى نجران ، وبعث أميراً إلى كل جهة أسلمت ، وبعث إلى كل طائفة معلماً يعلمهم دينهم ، ويبلغهم أحكام الشرع ، وكانت الحجة قائمة بتبليغ كل واحد من هؤلاء على من بلغهم ، وهم ملزمون بقبول ما أمرهم به (١).

قال الشافعى رحمه الله :

"ولم يكن رسول الله ليبعث إلا واحداً الحجة قائمة بخبره على من بعثه إليه ، إن شاء الله" (٢).

وقال الحافظ :

"وهو استدلال قوى لثبوت خبر الواحد من فعله صلى الله عليه وسلم لأن خبر الواحد لو لم يكن قبوله ما كان في إرساله معنى" (٣).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتى بالفتيا ويحكم بالحكم لمن حضره من أصحابه ، وإن الحجة قائمة على سائر من لم يحضره بنقل من حضره وهو واحد واثنان وأكثر (٤).

(١) انظر : الرسالة ص ٤١٣ فما بعدها ، الأحكام في أصول الأحكام ١١٠/١ ، خبر

الواحد وحجيته ص ١١٠ .

(٢) الرسالة ص ٤١٥ .

(٣) فتح البارى ٢٣٤/١٣ .

(٤) انظر : الأحكام في أصول الأحكام ١١٤/١ .

وقد أجمع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم وسلف الأمة بل والأمة بأسرها على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى حدث متكلموا المعتزلة بعد المائة فخالفوا الإجماع^(١). وقد نقل جماعة من العلماء هذا الإجماع^(٢).

وأما ماأثاره أهل الاعتزال من شبه اعتقدوا أنها تدل على عدم قبول خبر الواحد ، فهي شبه واهية لا تؤيد مذهبوا إليه ، والإجابة عنها واضحة جلية .

فتوقف النبي صلى الله عليه وسلم في خبر ذى اليدين لظنه خلاف ماأخبر به ، واستبعد انفراده بمعرفة ذلك دون من حضره من الجمع الغفير ، ولذا قال له : «لم أنس ولم تقصر الصلاة» وهذا في ظنه صلى الله عليه وسلم ، ولايكلف الإنسان بقبول خبر مع ظنه عدم صدقه ، فلما وافقه غيره ارتفع الوهم عنه ، وعمل النبي صلى الله عليه وسلم بموجب خبره^(٣).

وتوقف أبى بكر رضى الله عنه في خبر المغيرة في ميراث الجدة لم يكن منه ردأ لخبر الآحاد ، وإنما قصد الاستظهار بشهادة غيره معه ، وذلك لزيادة الثبوت والاحتياط ، فلما شهد محمد بن مسلمة أنه سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم لم يتردد أبوبكر رضى الله عنه في العمل بخبر المغيرة^(٤). وشهادة محمد بن مسلمة لم ترفع الخبر عن كونه خبر آحاد .

(١) انظر : المرجع السابق ١١٣/١-١١٤ .

(٢) انظر : الرسالة ص ٤٥٣ ، المسودة ص ٢٣٨ ، فتح البارى ٢٣٤/١٣ ، إرشاد الفحول ص ٤٩ .

(٣) انظر : فتح البارى ٢٣٧/١٣ ، السنة ومكائنها في التشريع الإسلامى ص ١٧٠ ، حديث الآحاد وحجيته ص ١٠٨-١٠٩ .

والحديث سبق تخريجه . انظر ص : ٩٥ ، ٩٦

(٤) انظر : تدريب الراوى ٧٣/١ ، السنة ومكائنها في التشريع ص ١٧٠ ، حديث الآحاد وحجيته ص ١٠٩ .

والخبر سبق تخريجه . انظر ص : ٩٦

وقد قبل أبو بكر خبر عائشة في قدر كفن النبي صلى الله عليه وسلم (١).

وأما عمر رضى الله عنه فإن أبا موسى أخبره بالحديث عقب إنكاره عليه فأراد عمر الثبوت والاحتياط سداً للذريعة لئلا يكون الناس كلما توجه لأحدهم لوم وضع حديثاً يرفع به اللوم عن نفسه ، ولذا قال عمر رضى الله عنه لأبي موسى : "أما إني لم أتهمك ، ولكني خشيت أن يتقول الناس على رسول الله" (٢)(٣). وتعزيد أبي سعيد لأبي موسى لا يخرج الحديث عن دائرة حديث الآحاد (٤).

وقد قبل عمر رضى الله عنه خبر الضحاك بن سفيان في "تورث المرأة من دية زوجها" (٥).

(١) روى البخارى بسنده إلى عائشة رضى الله عنها قالت : دخلت على أبي بكر رضى الله عنه فقال : في كم كفنتم النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت : في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة ... الحديث .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الجنائز (٢٣) ، باب موت يوم الاثنين (٩٤) ، ١٠٦/٢ . هذه الرواية أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب ، باب كيف الاستئذان برقم ٥١٨٤ ، ٣٤٧/٤ .

(٣) قال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "صحيح الإسناد" . صحيح سنن أبي داود ٩٧٤/٣ وأخرجها مالك في الموطأ ، كتاب الاستئذان (٥٤) ، باب الاستئذان (١) ، ٩٦٤/٢ . انظر : الرسالة ص ٤٣٤-٤٣٥ ، فتح البارى ٢٣٥/١٣ ، تدريب الراوى ٧٣/١ ، السنة ومكانتها في التشريع ص ١٧٠-١٧١ ، حديث الآحاد وحجيته ص ١٠٩ .

(٤) انظر : فتح البارى ٢٣٥/١٣ ، السنة ومكانتها في التشريع ص ١٧١ .

(٥) روى أبوداود بسنده إلى سعيد بن المسيب قال : كان عمر بن الخطاب يقول : "الدية للعاقلة ، ولاترث المرأة من دية زوجها شيئاً" ، حتى قال له الضحاك بن سفيان : "كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أورث امرأة أشيم الضبابى من دية زوجها" ، فرجع عمر .

سنن أبي داود ، كتاب الفرائض ، باب في المرأة ترث من دية زوجها برقم ٢٩٢٧ . ١٣٠-١٢٩/٣ .

قال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "صحيح" . صحيح سنن أبي داود ٥٦٥/٢ =

وقبل خبر عبد الرحمن بن عوف في "أمر الطاعون" (١)، وقبل غير ذلك من أخبار الآحاد (٢).

فالصحابة رضوان الله عليهم لم يتوقفوا في الاحتجاج بخبر الآحاد والعمل به ، بل أجمعوا على قبوله كما سبق ، وتوقف بعضهم أحيانا لبعض الأسباب ، ليس توقفا عن العمل به .
قال ابن دقيق العيد رحمه الله :

"وعلى الجملة فلم يأت من خالف في العمل بخبر الواحد بشيء يصلح للتمسك به ، ومن تتبع عمل الصحابة من الخلفاء وغيرهم وعمل التابعين فتابعيهم بأخبار الآحاد وجد ذلك في غاية الكثرة بحيث لا يتسع له إلا مصنف

= وأخرج نحوه الترمذى في سننه في كتاب الديات (١٤) ، باب ماجاء في المرأة هل تراث من دية زوجها (١٩) ، برقم ١٤١٥ .
وقال : "هذا حديث حسن صحيح ، والعمل على هذا عند أهل العلم" ١٩/٤ . وفي كتاب الفرائض (٣٠) ، باب ماجاء في ميراث المرأة من دية زوجها (١٨) برقم ٢١١٠ ، ٣٧١/٤ .

وابن ماجه في كتاب الديات (٢١) ، باب الميراث من الدية (١٢) برقم ٢٦٤٢ ، ٨٨٣/٢ .
وأحمد في المسند ٤٥٢/٤ .

(١) روى مسلم بسنده إلى عبيد الله بن عامر بن ربيعة أن عمر خرج إلى الشام . فلما جاء سرغ بلغه أن الوباء قد وقع بالشام . فأخبره عبد الرحمن بن عوف ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا سمعتم به بأرض ، فلا تقدموا عليه . وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه" فرجع عمر بن الخطاب من سرغ . وعن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله ، أن عمر إنما انصرف بالناس من حديث عبد الرحمن بن عوف .

صحيح مسلم ، كتاب السلام (٣٩) ، باب الطاعون (٣٢) ، ١٧٤٢/٤ .
والحديث أخرجه البخارى في صحيحه مطولاً من حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنه ، كتاب الطب (٧٦) ، باب ما يذكر في الطاعون (٣٠) ، ٢١/٧ .
وأخرجه مسلم كذلك عن ابن عباس ، في الكتاب والباب السابقين برقم ٢٢١٩ ، ١٧٤٠/٤-١٧٤١ .

(٢) انظر : فتح البارى ٢٣٥/١٣ .

بسيط ، وإذا وقع من بعضهم التردد في العمل به في بعض الأحوال فذلك لأسباب خارجة عن كونه خبر واحد من ريبة في الصحة أو تهمة للراوى أو وجود معارض راجح أو نحو ذلك" (١).

والإمام الشافعى رحمه الله يضع لنا القاعدة الصحيحة في قبول الأخبار وردها فيقول :

"فلا يجوز عندى على عالم أن يثبت خبر واحد كثيراً ويحل به ويحرم ويرد مثله إلا من جهة أن يكون عنده حديث يخالفه ، أو يكون ماسمعه ومن سمع منه أو وثق عنده ممن حدثه خلافه ، أو يكون ممن حدثه ليس بحافظ ، أو يكون متهماً عنده ، أو يتهم من فوقه ممن حدثه ، أو يكون الحديث محتملاً لمعنيين ، فيتأول فيذهب إلى أحدها دون الآخر ... فإن لم يسلك واحداً من هذه السبل فيعذر ببعضها ، فقد أخطأ خطأ لا عذر فيه عندنا والله أعلم" (٢).

فالشافعى لم يورد فيما ذكر رد الحديث بكونه آحاداً ، أو رده بالعقل ، بل اعتبر ذلك من الخطأ الذى لا يعذر فيه صاحبه .

وأما امتناعهم عن روايته والاحتجاج به بعلّة أنه قد يقع فيه الكذب والخطأ والسهو والنسيان والتغيير والتبديل ، فذلك زعم واه وحجة داحضة يمكن أن يجاب عنها بعدة أوجه :

الأول : لا يجوز أن يكون الخبر الذى تعبد الله به الأمة ، وتعرف به إليهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم كذباً وباطلاً ، لأنه من حجج الله على عباده ، وحجج الله لا يمكن أن تكون كذباً أو باطلاً (٣).

وقد قال سبحانه : {هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله} (٤)

(١) إرشاد الفحول ص ٤٩ .

(٢) الرسالة ص ٤٥٨-٤٥٩ .

(٣) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٧٩ .

(٤) سورة الفتح : آية ٢٨ ، سورة الصف : آية ٩

فلا بد أن يحفظ الله حججه وبياناته لئلا تبطل تلك الحجج والبيانات (١).

الثاني : لا يمكن أن يختلط الحق بالباطل ولا يتميز ، فالفرق بين الحق والباطل ، والصدق والكذب ، ووحى الملك ووحى الشيطان أظهر من أن يشتبه أحدهما بالآخر ، بل الفرق بينهما كما بين الليل والنهار ، والضوء والظلام ، ولكن إنما يعرف ذلك من كان له عناية بمحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته .

وأما الذين عميت بصائرهم وأبصارهم فليس بمستنكر أن يشتبه عليهم الحق والباطل كما اشتبه عليهم الليل والنهار ، فقد جعل الله للحق نوراً كنور الشمس يظهر للبصائر المستنيرة ، وألبس الباطل ظلمة كظلمة الليل . قال معاذ بن جبل رضى الله عنه :

"تلق الحق ممن قاله ، فإن على الحق نوراً" (٢).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

"لما أظلمت القلوب وعميت البصائر بالإعراض عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وازدادت الظلمة باكتفائها بآراء الرجال ، التبس عليها الحق بالباطل ، فجوزت على أحاديثه الصحيحة التي رواها أعدل الأمة وأصدقها أن تكون كذباً ، وجوزت على الأحاديث الباطلة المكذوبة المختلقة التي توافق أهواءها أن تكون صدقاً فاحتجت بها" (٣).

الثالث : لقد تكفل رب العالمين بحفظ دينه كله ، وإظهاره على الأديان كافة ، ولذلك فضح الله من كذب على رسوله صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته .

(١) انظر : المرجع السابق ص ٤٨٤ ، شرح الطحاوية ص ٣٥٥ .

(٢) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٧٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٧٩ .

قال سفيان بن عيينة^(١): "ماستر الله أحداً يكذب في الحديث".
وقال عبد الله بن المبارك: "لو هم رجل أن يكذب في الحديث
لأصبح والناس يقولون: فلان كذاب"^(٢).

ولذا كشف لنا جهابذة الحديث ونقاده عن أسماء الكذابين وفضحوهم
وأخرجوا الأحاديث المكذوبة وبينوها، وألفت الكتب في ذلك، فلا يعجز
طالب للحق أن يقف على حكم أى حديث ليعرف درجته من الصحة أو
الضعف أو الوضع.

الرابع: لا يمكن لأحد أن يدعى أن رواة الحديث معصومون عن الخطأ
أو الغلط أو السهو، ولكن متى وقع ذلك فلا بد أن يعرف ويبان، وأن
يقام دليل على بيانه^(٣).

وقد هيا الله لذلك علماء الحديث وجهابذة النقاد الذين ينخلون
الأحاديث نخلًا، ويكشفون مابها من خطأ وسهو وزلة، قاصدين بذلك وجه
الله والدار الآخرة، وحفظ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن
تشوبها شائبة أو تكدرها كدرة.

(١) سفيان بن عيينة:

هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، مولا هم، أبو محمد، الكوفي
ثم المكي، الأعور، أحد الأعلام، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أنه تغير
حفظه بآخرة، وربما دلس ولكن عن الثقات.

روى عن الزهري وعمر بن دينار وكان أثبت الناس فيه، وعنه أحمد، ومن
شيوخه الأعمش وابن جريج. مات في رجب سنة ١٩٨هـ.

انظر: الجرح والتعديل ٢٢٥/٤-٢٢٧، الكاشف ٣٧٩/١، تقريب التهذيب
٣١٢/١.

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٨٥، شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٦، ٣٥٥.

(٣) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ص ٥٠١، ٥٠٠.

(ج) زعمهم أنه لا يحتج به إذا خالف العقل :

سبق أن بينا في التمهيد^(١) أن الحديث الصحيح لا يخالف العقل الصريح بحال من الأحوال ، ومتى ما وقعت مخالفة بين نص وعقل ، فيما أن يكون النص غير صحيح أو أن يكون العقل واهماً فيما ذهب إليه خطأ فيما ظنه ، وحينئذ يصبح معارض النص عبارة عن شبه وأوهام لاحقيقة لها من الصحة فلا يرد النص بسببها .

(د) زعمهم بأن خبر الآحاد لا يحتج به في العقيدة لأن الاعتقاد يبنى على اليقين لا الظن وخبر الآحاد يفيد الظن .
وفرقوا بين الاعتقاد والعمل في الاستدلال به .
فانه يجاب عليهم في ذلك بعدة أوجه :

أولاً : الأدلة من الكتاب والسنة جاءت على العموم والإطلاق في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم والنهي عن عصيانه ، وذلك يشمل العقيدة والأحكام ، فلا استثناء للعقيدة ، فهي داخلة في العموم ، وتخصيص الأحكام دونها تخصيص بدون مخصص وهو باطل . من تلك الأدلة قوله تعالى :
{وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم}^(٢) . فقوله "أمراً" يشمل كل أمر سواء كان في العقيدة أو الأحكام .

وقوله تعالى : {وما آتاكم الرسول فخذوه}^(٣) ، هو أيضاً على عمومته^(٤) .

وقوله سبحانه : {وما كان المؤمنون لينفروا كافة ... الآية}^(٥) .

(١) انظر ص : ٣١ فما بعدها

(٢) سورة الأحزاب : آية ٣٦

(٣) سورة الحشر : آية ٧

(٤) انظر : الحديث حجة بنفسه ص ٤٦ .

(٥) سورة التوبة : آية ١٢٢

نصت الآية على تعلم الدين ، وذلك ليس خاصاً بالأحكام بل هو يشملها ويشمل العقيدة ، بل هي الأهم ، ولولا أن الحجة تقوم بحديث الآحاد في العقائد والأحكام ماحض الله الطائفة على التبليغ حضاً عاماً معللاً بإياه بقوله "لعلهم يحذرون" الصريح في أن العلم يحصل بإنذار الطائفة . فالآية نص في أن خبر الواحد حجة في التبليغ عقيدة وأحكاماً^(١).

ومثل الآية حديث معاذ رضى الله عنه عندما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وأمره بأن يدعوهم في أول ما يدعواهم إليه "أن يوحدوا الله" وهو من أقوى الحجج في أن حديث الآحاد حجة في العقائد والأحكام^(٢).

ثانياً : إن الاحتجاج به في العقائد والأحكام هو الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام لا خلاف في ذلك^(٣).

بل لم يزل الصحابة والتابعون ومن تبعهم وأهل السنة على الاحتجاج به في مسائل الصفات والقدر والأسماء والأحكام ولم ينقل عن أحدهم خلاف في ذلك^(٤).

وأهل الحديث لا يفرقون بين أحاديث الأحكام وأحاديث العقائد ، ولا يعرفه أيضاً أحد من الصحابة ولا التابعين ولا تابعيهم ولا عن أحد من أئمة الإسلام ، وإنما يعرف ذلك عن أهل البدع ومن تبعهم^(٥). بل الإجماع منعقد على وجوب الأخذ به في العقائد والأحكام قبل الخلاف في المسألة^(٦).
ثالثاً : التفريق بين العقائد والأحكام تفريق بين أمرين متلازمين لأن العقيدة تتضمن حكماً ، والحكم يتضمن عقيدة ، بل التفريق في ذلك أمر

(١) انظر : المرجع السابق ص ٥٠، ٤٩ .

(٢) انظر : الأدلة والشواهد ص ٤٥، ٤٤ ، والحديث سبق تخريجه انظر ص : ٨٢

(٣) انظر : المرجع السابق ص ٥١ .

(٤) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ص ٥٠٩ ، أصول الفقه وابن تيمية ص ٥٦٥ .

(٥) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ص ٥٢٥ .

(٦) انظر : لوامع الأنوار ١/١٩ ، الأدلة والشواهد ص ٧٩ .

مبتدع حادث لادليل عليه البتة^(١). بل هو فلسفة دخيلة على الإسلام لاعهد لسلف هذه الأمة بها^(٢).

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطى رحمه الله :

"وبهذا تعلم أن ماأطبق عليه أهل الكلام ومن تبعهم أن أخبار الآحاد لا تقبل فى العقائد ولا يثبت بها شىء من صفات الله زاعمين أن أخبار الآحاد لا تفيد اليقين وأن العقائد لابد فيها من اليقين باطل لا يعول عليه . ويكفى من ظهور بطلانه أنه يستلزم رد الروايات الصحيحة الثابتة عن النبى صلى الله عليه وسلم بمجرد تحكيم العقل"^(٣).

رابعاً : القول بأن "حديث الآحاد لا تثبت به عقيدة ، هو قول فى حد ذاته عقيدة ، فما الدليل على صحته؟" بل هو مجرد دعوى لأساس لها . ومثله يرد فى الأحكام دعك عن العقيدة^(٤).

وهذا قول يحمل بين طياته مؤامرة تسعى للنيل من عقائد الإسلام الحقة التى حملها سلف هذه الأمة ودافعوا عنها دفاعاً مستميتاً ، بل والفتك بها بحجة أنها أسست على شفا جرف هار من الظن والتخمين ، والظن لا يغنى من الحق شيئاً^(٥).

والظن المعاب هنا هو الذى بمعنى الشك والحرص والتخمين ، وهذا لا يؤخذ به فى الأحكام فكيف يؤخذ به فى العقائد ، وهو الذى نعه الله على المشركين بقوله : {إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون}^(٦). وبقوله : {إن يتبعون إلا الظن وماتهور الأنفس}^(٧).

(١) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ص ٥١٥، ٥١٦، ٥٢٥ ، الأدلة والشواهد ص ٤٥-٤٦، ٨٩

(٢) انظر : الحديث حجة بنفسه ص ٥٥، ٤٨ .

(٣) مذكرة أصول الفقه ص ١٠٥ .

(٤) انظر : الحديث حجة بنفسه ص ٤٩ .

(٥) انظر : الأدلة والشواهد ص ٤ .

(٦) سورة الأنعام : آية ١١٦ ، سورة يونس : آية ٦٦

(٧) سورة النجم : آية ٢٣

فألله أنكره عليهم إنكاراً مطلقاً لم يخصه بعقيدة دون حكم ، بل قد صرحت بعض الآيات بأن الإنكار يشمل القول به في الأحكام أيضاً ، وذلك في قوله سبحانه : {سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا - فهذا عقيدة - ولا حرماً من شيء - وهذا حكم - كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون} (١).

وأما الظن الذى تفيده أحاديث الآحاد-على قول من يقول بذلك-إنما هو الظن الراجح لا المرجوح الذى عابه الله على المشركين لأنه مبنى على اتباع الهوى والحرص والتخمين فهو أولى بالذم . وأما الراجح فقد مدحه الله فى أكثر من آية . كقوله سبحانه : {إني ظننت أنى ملاق حسابه . فهو فى عيشة راضية} (٢) ، وقوله فى وصف المؤمنين : {الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون} (٣).

ومن هنا يتضح خطأ أهل الاعتزال الذين فسروا الظن الذى تفيده أحاديث الآحاد بظن المشركين ، وهو زعم لا دليل عليه (٤).

والقول بأن أحاديث الآحاد تفيد الظن ليس موضع اتفاق بين العلماء بل الخلاف بينهم قائم فى ذلك ، فجمهور الأصوليين على أنه يفيد الظن ، وذهب جمهور أهل الحديث وأهل الظاهر وجماعة من العلماء على أنه يفيد العلم اليقيني ، وذهب جماعة آخرون على أنه يفيد العلم إذا احتف بالقرائن (٥).

(١) انظر : الحديث حجة بنفسه ص ٤٧ ، الأدلة والشواهد ص ١٦ .

والآية هى ١٤٨ من سورة الأنعام .

(٢) سورة الحاقة : آية ٢٠، ٢١

(٣) سورة البقرة : آية ٤٦

(٤) انظر : الأدلة والشواهد ص ٢٢ .

(٥) انظر : مذكرة أصول الفقه ص ١٠٣ ، الباعث الحثيث ص ٣٥-٣٧ ، خبر الواحد

وحجيته ص ٩٢، ٧٣ .

والذى يترجح من أقوال العلماء وتطمئن له النفس أن حديث الآحاد متى ثبتت روايته ولم يكن فيه طعن فإنه يفيد العلم اليقيني^(١).
قال الشيخ ناصر حفظه الله :

"والحق الذى نراه ونعتقد أنه كل حديث آحادى صحيح تلقته الأمة بالقبول من غير نكير منها عليه ، أو طعن فيه ، فإنه يفيد العلم واليقين ، سواء كان فى الصحيحين أو فى غيرهما .

وأما ما تنازعت الأمة فيه ، فصحه بعض العلماء وضعفه آخرون فإنما يفيد عند من صححه الظن الغالب فحسب . والله أعلم"^(٢).
والأدلة السابقة فى وجوب العمل تدل دلالة واضحة على إفادته للعلم ، إذ العمل بموجبها فرع ثبوت العلم بها^(٣).
ويقول الشيخ أحمد شاكر رحمه الله :

"والحق الذى ترجحه الأدلة الصحيحة ماذهب إليه ابن حزم ومن قال بقوله ، من أن الحديث الصحيح يفيد العلم القطعى سواء كان فى أحد الصحيحين أم فى غيرهما . وهذا العلم اليقيني علم نظرى برهاني ، لا يحصل إلا للعالم المتبحر فى الحديث العارف بأحوال الرواة والعلل .

وهذا العلم اليقيني النظرى يبدو ظاهراً لكل من تبحر فى علم من العلوم ، وتيقنت نفسه بنظرياته ، واطمأن قلبه إليها . ودع عنك تفريق المتكلمين فى اصطلاحاتهم بين العلم والظن ، فإنما يريدون بهما معنى آخر غير ما نريد"^(٤).

(١) انظر : الأحكام فى أصول الأحكام ١/١٠٨، ١١٩ ، أصول الفقه وابن تيمية ٥٦١/٢-٥٦٢ .

(٢) الحديث حجة بنفسه ص ١٥ .

(٣) انظر : أصول الفقه وابن تيمية ٥٦٢/٢ .

(٤) الباعث الحثيث ص ٣٧ .

وأهل الاعتزال إذ زعموا أن أحاديث الآحاد لا تفيد علماً فإنما تحدثوا عن أنفسهم أنهم لم يستفيدوا منها ذلك ، فهم صادقون فيما أخبروا به عن أنفسهم ، وذلك لا يقدح في حصول العلم لغيرهم من أهل الحديث .
قال شيخ الإسلام رحمه الله :

"فإن ماتلقاه أهل الحديث وعلماءؤه بالقبول والتصديق فهو محصل للعلم مفيد لليقين ، ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين ، فإن الاعتبار في الإجماع على كل أمر من الأمور الدينية بأهل العلم به دون غيرهم ، كما لم يعتبر في الإجماع على الأحكام الشرعية إلا العلماء بها دون المتكلمين والنحاة والأطباء ، وكذلك لا يعتبر في الإجماع على صدق الحديث وعدم صدقه إلا أهل العلم بالحديث وطرقه وعلمه ، وهم علماء أهل الحديث العالمون بأحوال نبيهم ، الضابطون لأقواله وأفعاله ، المعتنون بها أشد من عناية المقلدين بأقوال متبوعيههم" (١).

(هـ) ماذهب إليه الجبائي من اشتراط العدد في قبول الحديث يرد عليه بوجهين :

الأول : إن اشتراط العدد لقبول الحديث لم يصرح به أحد من المحدثين (٢).

الثاني : إن الجبائي قاس الرواية على الشهادة وهذا مذهب باطل بإجماع من يعتد به من العلماء (٣).

والفروق بين الرواية والشهادة فروق ظاهرة لا تخفى على أهل العلم ، من ذلك :

(١) الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ليس كالكذب على غيره ، كما قال صلى الله عليه وسلم :

(١) مختصر الصواعق ص ٤٨٣-٤٨٤ ، وانظر ص ٤٧٢، ٤٨٦ .

(٢) انظر : النكت على كتاب ابن الصلاح ٢٣٨/١ .

(٣) انظر : مذكرة أصول الفقه ص ١١١ .

- "إن كذباً على ليس ككذب على أحد" (١)، لأنه لو كذب عليه ولم يظهر لزم من ذلك إضلال الخلق ، وهذا بخلاف مايقع في خبر الشاهد.
- (٢) الخبر عنه صلى الله عليه وسلم لا بد من اشتراط الثقة في رواته (٢).
- (٣) إن الله تعالى تكفل بحفظ الدين ، ولم يتكفل بحفظ دمائنا وفروجنا وأبشارنا وأموالنا في الدنيا ، بل إن كثيراً من ذلك يؤخذ بغير وجه حق . كما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : "إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار" (٣).
- (٤) رواية المرأة كرواية الرجل وليس شهادتها كشهادته . ورواية النساء مقبولة في الدماء والحدود ونحو ذلك ولا تقبل شهادتهن في ذلك . والشهادة في الزنا لا بد فيها من أربعة بخلاف الرواية . إلى غير ذلك من الفوارق التي لانزاع فيها بين أهل العلم (٤).

- (١) الحديث أخرجه البخارى في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة في كتاب الجنائز (٢٣) ، باب ما يكره من النياحة على الميت (٣٤) ، ٨١/٢ .
- وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث المغيرة أيضاً في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ، برقم ٤ ، ١٠/١ .
- (٢) انظر : الأدلة والشواهد ص ٨٠ .
- (٣) انظر : الإحكام في أصول الأحكام ١٣١/١-١٣٢ .
- والحديث أخرجه البخارى في صحيحه من حديث أم سلمة ، كتاب الأحكام (٩٣) ، باب موعظة الإمام للخصوم (٢٠) ، ١١٢/٨ .
- وأخرجه بلفظ مقارب في كتاب الشهادات (٥٢) ، باب من أقام البيعة بعد اليمين (٢٧) ، ١٦٢/٣ .
- وفي كتاب الحيل (٩٠) ، باب (١٠) ، ٦٢/٨ .
- وأخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب ، كتاب الأقضية (٣٠) ، باب الحكم بالظاهر واللعن بالحجة (٣) ، برقم ١٧١٣ ، ١٣٣٧/٣-١٣٣٨ .
- (٤) انظر : مذكرة أصول الفقه ص ١١١ ، وانظر إلى فوارق أخرى بين الرواية والشهادة في الرسالة للإمام الشافعى ص ٣٧٣ .

والذى دفع أهل الاعتزال إلى رد أخبار الآحاد وعدم الاحتجاج بها فى كثير من الأمور التى قرروها بعقولهم وجعلوها عقيدة يدينون الله بها ويوالون عليها ويعادون عليها . ذلك أن أخبار الآحاد تتعارض مع ماقرروه فى نظرياتهم العقدية تلك التى كانت من إفرازات عقولهم وشبهات أذهانهم . وسوف أتناول أبرز الأمور التى يتضح من خلالها موقفهم من حديث الآحاد .

(١) صفات الله تعالى .

إن أول من يذكر عنه أنه تكلم في صفات الله تعالى في الإسلام وابتدع القول بنفيها وتعطيلها هو الجعد بن درهم^(١)، ثم أخذ عنه ذلك تلميذه الجهم بن صفوان^(٢) الترمذى ، وتولى كبر نشر تلك المقالة فكثر أتباعه .

فلما ظهرت المعتزلة أخذت عن جهم قوله في نفى الصفات^(٣) .
وقد أجمع المعتزلة على نفى صفات الله تعالى الأزلية ، سواء منها ما كان من صفات الذات^(٤) ، أو صفات الأفعال^(٥) .

(١) الجعد بن درهم :

هو مؤدب مروان الحمار . من الموالي . يعد في التابعين . زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى ، وابتدع القول بخلق القرآن ، وكان زنديقاً . قتله خالد القسرى يوم النحر .

انظر : ميزان الاعتدال ٣٩٩/١ ، سير أعلام النبلاء ٤٣٣/٥ ، البداية والنهاية ٣٥٠/٩ ، لسان الميزان ١٠٥/٢ ، الأعلام ١٢٠/٢ .

(٢) الجهم بن صفوان :

هو أبو محرز الراسبي ، مولاهم ، السمرقندى ، الكاتب المتكلم ، الضال المبتدع ، رأس الجهمية ، كان ينكر الصفات ، ويقول بخلق القرآن ، وإن الله في الأمكنة كلها ، والإيمان عقد بالقلب ، وإن تلفظ بالكفر . قتل بمرور في عام ١٢٨ هـ بعد أن زرع شرأعظيماً .

انظر : تاريخ الطبرى ٢٢٠/٧ ، الكامل في التاريخ ٣٤٢/٥ - ٣٤٤ ، ميزان الاعتدال ٤٢٦/١ ، سير أعلام النبلاء ٢٦/٦ - ٢٧ ، الأعلام ١٤١/٢ .

(٣) انظر : الملل والنحل ص ٨٦ مع الهامش ، جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامى ص ٧٢-٧٣ .

(٤) الصفات الذاتية :

هى الصفات الأزلية الثابتة لله تعالى التى لاتنفك عنه كصفة النفس والعلم والحياة والقدرة والسمع . انظر : الكواشف الجليلة ص ٤٢٩ .

(٥) الصفات الفعلية :

هى الصفات الثابتة لله تعالى التى تتعلق بالمشيئة والقدرة ، وهى قديمة النوع حادثة الآحاد كصفة الاستواء والتزول والضحك والمجىء .

انظر : الكواشف الجليلة ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

وزعموا بأنه ليس له سبحانه علم ، ولا قدرة ، ولا حياة ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا غير ذلك من الصفات (١).

واتفقوا على أن صفاته سبحانه هي إثبات لذاته (٢). كما اتفق جمهورهم على أن الله تعالى عالم ، قادر ، حي ، بذاته ، لا يعلم ، وقدرة ، وحياة ، هي صفات ومعاني قائمة به (٣).

وكانت هذه المقالة في مبدئها غير ناضجة ، وكان واصل بن عطاء (٤) يشرع فيها على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين ، وإنما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة (٥).

والذى دفعهم إلى نفى صفات الله تعالى ، الخوض في ذلك بعقولهم والاعتماد عليها في معرفة الله سبحانه وصفاته (٦).

ولذا شرطوا في إثبات الصفة لله أن تكون معقولة ليصح إثباتها لله تعالى ، لأن إيراد الدلالة على إثبات الشيء فرع على كونه معقولاً في نفسه (٧).

والاستدلال بالسمع على ذلك غير ممكن (٨).

(١) انظر : الفرق بين الفرق ص ١١٤ ، في العقيدة الإسلامية ص ٢٤٤ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٢٤٤ .

(٣) انظر المرجع نفسه ص ٣٩٩ .

(٤) واصل بن عطاء :

هو واصل بن عطاء الغزال ، أبو حذيفة ، مولى بني ضبة أو بني مخزوم ، ولد بالمدينة ونشأ بالبصرة ، رأس المعتزلة ، ومن أئمة البلغاء والمتكلمين ، تنسب إليه الطائفة الواصلية . له تصانيف . منها : "أصناف المرجئة" ، "المنزلة بين المنزلتين" ، "معاني القرآن" . مات سنة ١٣١ هـ .

انظر : وفيات الأعيان ١١٧/٦ ، ميزان الاعتدال ٣٢٩/٤ ، سير أعلام النبلاء ٤٦٤/٥-٤٦٥ ، لسان الميزان ٢١٤/٦ ، شذرات الذهب ١٨٢/١ ، الأعلام ١٠٨/٨-١٠٩ .

(٥) انظر : الملل والنحل ٤٦/١ .

(٦) انظر : المحيط بالتكليف ص ٣٠-٣٣ ، ٣١ .

(٧) انظر المرجع السابق ص ١١٠ .

(٨) انظر : شرح الأصول ص ٢٠١ .

وبالتالى لايجوز عندهم الاحتجاج بأحاديث الآحاد فى هذا الباب لأنه لااعتماد عليها ههنا ، وإنما فارس الميدان فى هذا المقام هو العقل فلامنافس له البتة ولامشارك له . ولازم ذلك أن يرد كل حديث مهما كانت صحته قام بمعارضة عقولهم فى إثبات صفة لله تعالى .

ولما كان الاعتماد على العقول فى إثبات صفات الله تعالى عند المعتزلة سولت لهم عقولهم شبهتين بهما عطلوا صفات الخالق وجردوه عنها :
الأولى : إن من أثبت لله صفة قديمة فقد قال بتعدد القدماء ، لأن صفاته لو شاركته فى القدم لشاركته فى الألوهية ، وأدى ذلك إلى تعدد القديم سبحانه (١) .

قال عبد الجبار :

"فالقديم تعالى لو استحق هذه الصفات (الحياة - العلم - القدرة - الوجود - ...) لمعان قديمة لوجب أن تكون مثلاً لله تعالى" (٢) .
وقال :

"فلو كان له علم قديم لوجبت مماثلته له فى كل صفة ، لأن الاشتراك فى صفة من صفات الذات يوجب الشركة فى سائرهما ويوجب المماثلة" (٣) .
الثانية : إن إثبات تلك الصفات يلزم منه أن يكون الله جسماً محدثاً كما تقتضيه حجة العقل (٤) .

وقد علل عبد الجبار ذلك بقوله :

"ومن جملة ماينفى عنه تعالى أن يكون بصفة الجواهر والأجسام ، والأصل فى ذلك أن الكلام فى نفى الجسمية على الحقيقة كالوجه فيه ، أنه إذا كان كذلك لم يكن بد من تحيزه ، فإنه إذا لم يكن كذلك لم ينفصل عن غيره ، وإذا كان متحيزاً وجب أن لاينفصل تحيزه عن كونه كائناً فى جهة ،

(١) انظر : الملل والنحل ١/٤٤-٤٦ .

(٢) شرح الأصول ص ١٩٧ .

(٣) المحيط بالتكليف ص ١٨٠ .

(٤) انظر : فضل الاعتزال ص ١٥٣ .

وقد مضى الكلام فى أنه لا يكون الكائن كائناً فى جهة إلا لمعنى محدث والقول بأنه جسم يعيده إلى أنه محدث ، ... ومما يدل على هذا أيضاً أن الدلالة قد دلت على أن الأجسام متماثلة ، وإذا ثبت تماثلها لم يصح إلا أن يستوى الكل فى استحقاق الصفة الذاتية^(١).

فالصفات التى تطلق ألفاظها على البشر لا يجوز أن تطلق على الله سبحانه وتعالى لأنه يستوى عندئذ الكل فى استحقاق هذه الصفات ، ويلزم من ذلك مماثلة الله للبشر وتشبيهه بهم ، وبالتالي يؤدى إلى أن يكون الله جسماً كالأجسام .

قال عبد الجبار :

"لو كان الله عالماً بعلم لكان يجب فى علمه أن يكون مثلاً لعلمنا"^(٢).
وقال :

"فكل ما كان مما لا يجوز إلا على الأجسام ، فيجب نفيه عنه تعالى"^(٣).
لأنه لو كان حياً ب حياة وقادراً بقدرة لوجب أن يكون سبحانه جسماً محلاً للأعراض^(٤).

والموحد لله هو الذى ينفى عنه مشابهة الأجسام .

قال عبد الجبار :

"تمام التوحيد لا يكون إلا بأن تنفى عن الله شبه الأجسام"^(٥).
وإثبات الصفات لله تشبيهه لله بخلقه ، وحال صاحبه أشد من حال من يعبد الأصنام^(٦).

وأهل السنة المثبتون لصفات الله تعالى مشبهة ، غير موحدين لله ، ولا يعرفون ربهم ، لأنهم وصفوه بالأعضاء والزوال والاستواء ويلزم من

(١) المحيط بالتكليف ص ١١٨ .

(٢) شرح الأصول ص ٢٠١ .

(٣) المحيط بالتكليف ص ٢٠٠ .

(٤) انظر : شرح الأصول ص ٢٠٠-٢٠١ .

(٥) المحيط بالتكليف ص ٣٧ .

(٦) انظر : فضل الاعتزال ص ١٥٢ .

ذلك أن يكون جسماً (١).

وأما آيات القرآن الكريم التي تثبت صفات الله تعالى فهي آيات متشابهة كما يزعمون ، فيجب أن تأول لموافقة الأدلة القاطعة وهي أدلة العقول ، لأنها موهمة للتشبيه ، ولأنها محتملة الدلالة ، وأما العقل فلا احتمال في دلالاته . وما وقع التشبيه في الأمة إلا بسبب التعلق بالآيات المتشابهة وترك تأويلها على ما يوافق دليل العقل والآيات المحكمة (٢).

قال عبد الجبار :

"إذا ورد في القرآن آيات تقتضي بظاهرها التشبيه ، وجب تأويلها ، لأن الألفاظ معرضة للاحتمال ، ودليل العقل بعيد عن الاحتمال" (٣).

ويورد أبو الحسين عدداً من آيات الصفات ثم يقول :

"فكل هذه الآيات وما أشبهها من الآيات ، فإنما يريد عز وجل ذاته ، لأن ثم نفساً ووجهها ويدا ، وعينا ويمينا سواء" (٤).

منهج السلف في صفات الله والرد على المعتزلة :

الكلام عن صفات الله عز وجل له أهمية عظيمة بالنسبة للفرد المسلم وذلك لأن الإيمان بالله الذي هو الركن الأول من أركان الإيمان لا يتحقق إلا إذا وصف الله سبحانه بما يستحقه من صفات الكمال اللائقة به ، ونعوت الجلال التي تعرف العبد بربه تعالى . بل لا يكون العبد موحداً لله إلا إذا عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأقر بذلك ، إذ الإقرار بأسماء الله وصفاته تحقيق لأحد أقسام التوحيد الثلاثة (٥) التي لا ينفك بعضها عن بعض . ولما كانت أسماء الله وصفاته بهذه الأهمية كثر ذكرها في كتاب الله عز وجل وفي حديث رسوله صلى الله عليه وسلم .

(١) انظر : فضل الاعتزال ص ١٩٦-١٩٧ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ١٤٩ .

(٣) المحيط بالتكليف ص ٢٠٠ .

وانظر : شرح الأصول ص ٢١٢ ، فضل الاعتزال ص ١٤٩، ١٥٢ .

(٤) رسائل العدل ص ١١٥ .

(٥) وهي توحيد : الربوبية ، والألوهية ، والأسماء والصفات .

ولوضوح هذا التوحيد لم يقع خلاف بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، ولم يتنازع اثنان منهم في أمر واحد منه ، بل الجميع كانوا على اتفاق تام بالإقرار به والتسليم بما جاء في القرآن والحديث منه .
يقول ابن القيم رحمه الله :

"وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام ، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيماناً ، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال ، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة ، من أولهم إلى آخرهم ، لم يسوموها تأويلاً ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً ، ولم يبدوا لشيء منها إبطالاً ، ولا ضربوا لها أمثالاً ، ولم يدفعوا في صدورهم وأعجازها ، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها ، بل تلقوها بالقبول والتسليم ، وقابلوها بالإيمان والتعظيم ، وجعلوا الأمر فيها كلها أمراً واحداً ، وأجروها على سنن واحد ، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوها عشرين ، وأقروا ببعضها وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين ، مع أن اللازم لهم فيما أنكروه كاللازم فيما أقروا به وأثبتوه" (١).

وقد ظلت القرون الخيرة تنهج نهج صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إثبات صفات الله والإقرار بها إلى أن نجم التجهم في الأمة وابتدع القول بنفى صفات الله ، فاحتضن أهل الاعتزال تلك المقالة وجعلوها عقيدة يدينون الله بها (٢).

وأما أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة فإنهم أثبتوا لله تعالى ما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم من أسمائه الحسنى

(١) أعلام الموقعين ٤٩/١ ، وانظر : لوايح الأنوار ٦/١ .

(٢) انظر : الملل والنحل ص ٨٦ مع الهامش .

وصفاته العليا من غير تحريف (١)، ولا تعطيل (٢)، ولا تكييف (٣)، ولا تمثيل ، كما نفوا عنه ما لا يليق به من صفات النقص التي نفاه عن نفسه سبحانه ونفاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مستنديين في ذلك إلى قوله سبحانه : {ليس كمثله شيء} (٤) إثبات لصفات الله بالتمثيل . {وهو السميع البصير} تنزيه لله عن صفات النقص بلا تعطيل (٥).

يقول الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله :

"أصحاب الحديث ، حفظ الله أحياءهم ، ورحم أمواتهم ، يشهدون لله بالوحدانية ، وللرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة والنبوة . ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله ، أو شهد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماوردت الأخبار الصحاح به ، ونقلته العدول الثقات عنه ، ويشبتون لله جل جلاله ما أثبتته لنفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله

(١) التحريف : هو التغيير . القاموس المحيط ص ١٠٣٣ .

وفي الاصطلاح هو تغيير ألفاظ أسماء الله وصفاته ومعانيها . وهو قسمان : تحريف لفظ : كتحرير اليهود لقوله تعالى "وقولوا حطة" فقالوا : "حنطة" . وتحريف معنى : كتفسير المبتدعة لصفة الغضب بإرادة الانتقام . انظر : الكواشف الجليلة ص ٨٦ .

(٢) التعطيل : هو التفرغ والإخلاء ، وترك الشيء ضياعا .

القاموس المحيط ص ١٣٣٥ .

والمراد به هنا : نفى صفات الله تعالى ، وإنكار قيامها بذاته أو إنكار بعضها دون بعض .

انظر : الكواشف الجليلة ص ٨٧ .

(٣) التكييف : من الكيف وهو القطع .

انظر : القاموس المحيط ص ١١٠١ .

والمراد به هنا القطع بحقيقة صفات الله ، وتعيين كنهها ، وأن لها حقيقة معلومة .

انظر : الكواشف الجليلة ص ٨٩ .

(٤) سورة الشورى : آية ١١

(٥) انظر : مجموع الفتاوى ٣/٣٧٣ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٨٤، ١٠٨-١٠٩ ،

لوامع الأنوار ١/٩٤، ٩٧، ١١٦، ١٢٨، ١٢٩ ، إيضاح الدليل ص ٣٩ ، شرح لمعة

الاعتقاد ص ٢٢ .

صلى الله عليه وسلم ، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه ، فيقولون إنه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه في قوله عز من قائل : {يا إبليس مامنك أن تسجد لما خلقت بيدي} (١) ، ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين ، أو القوتين ، تحريف المعتزلة الجهمية ، أهلهم الله ، ولا يكيّفونهما بكيف ، أو تشبيهما بأيدي المخلوقين ، تشبيه المشبهة (٢) خذلهم الله ، وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكليف ، ومن عليهم بالتعريف والتفهم ، حتى سلكوا سبل التوحيد والتزيه ، وتركوا القول بالتعليل والتشبيه ، واتبعوا قول الله عز وجل : {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} (٣)(٤) .

وهناك بعض القواعد المهمة التي يتضح من خلالها منهج السلف في صفات الله عز وجل . من ذلك :

(١) القول في الصفات كالقول في الذات :

فإذا كان لله سبحانه ذات حقيقية لا تماثل ذوات المخلوقين ، فذاته متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر صفات الخلق .

فما يقال عن ذاته سبحانه يقال عن صفاته ، إذ الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات يحتذى حذوه (٥) .

(١) سورة ص : آية ٧٥

(٢) المشبهة :

هم الذين يشبهون الخالق بالمخلوق ، فيقولون له وجه كوجه المخلوق ويد كيد المخلوق ونحو ذلك . ومنهم من يزعم أن معبودهم جسم ذو أبعاد ، محدودة . انظر : مقالات الإسلاميين ١٠٦/١-١٠٧ ، الملل والنحل ١٠٣/١-١٠٥ ، منهاج السنة النبوية ٥٢٣،٥٢٢/٢ ، الكواشف الجليلة ص ٨٩ .

(٣) سورة الشورى : آية ١١

(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٧٥ .

(٥) انظر : مجموع الفتاوى ١٦٧،٢٥/٣ ، تلييس الجهمية ٧٦/١ ، الكواشف الجليلة ص ٤٣٠،٢٣٠ .

(٢) القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر (١):

فإثبات صفة لله تعالى يلزم منه إثبات بقية الصفات ، ونفى صفة واحدة يلزم منه نفى بقية الصفات ، إذ لا فرق بين صفة وصفة . وإن من نفى شيئاً وأثبت شيئاً مما دل الكتاب والسنة على إثباته فهو متناقض لا يستقيم له دليل لامن الشرع ولا من العقل (٢).

(٣) الاتفاق في الأسماء لا يقتضى التساوى في المسميات :

فالله سبحانه سمي نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات مختصة به لا يشركه فيها غيره ، كما سمي بعض مخلوقاته بأسماء ووصفهم بصفات تخص بهم ، فلا يلزم من اتفاق الأسماء والصفات تماثل مسماهما (٣).

فإن الله سبحانه أخبرنا عن الجنة وما فيها من أصناف المطاعم والملابس والمساكن ، وأن فيها لبناً وعسلاً وخمراً ، ولحماً وحريراً وذهباً وفضة ، وفاكهة وقصوراً ، وهى موافقة لأسماء الحقائق الموجودة فى الدنيا وليست مماثلة لها ، كما قال ابن عباس رضى الله عنهما : "ليس فى الدنيا شىء مما فى الجنة إلا الأسماء" . فإذا كان بينهما من التباين ما لا يعلمه إلا الله ، وكلاهما مخلوق ، فالخالق سبحانه وتعالى أعظم من مباينة المخلوق للمخلوق (٤).

وهذه الروح التى خلقها فىنا وصفت بصفات عدة ، فهى تصعد من سماء إلى سماء ، وتقبض من البدن ، وتسل كما تسل الشعرة من العجينة ، وهى موجودة حية ، ومع ذلك لا يدرك كنهها أحد . فإذا كانت متصفة بهذه الصفات مع عدم مماثلتها للمخلوقات ، وهى مخلوقة ، فالخالق عز وجل أولى فى مباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحق من الأسماء والصفات (٥).

(١) انظر : مجموع الفتاوى ١٧/٣ .

(٢) انظر : الكواشف الجلية ص ٢٣٠ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ١٠/٣ ، الكواشف الجلية ص ٤٢٨-٤٢٩ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٢٨/٣ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٨٨ .

(٥) انظر : مجموع الفتاوى ٣٣، ٣١/٣ .

(٤) الله سبحانه له المثل الأعلى فلا يجوز أن يقاس على غيره بقياس تمثيل يستوى فيه الأصل والفرع ، ولا بقياس شمول يستوى أفراده في حكمه ولكن يستعمل في حقه قياس الأولى ، والمثل الأعلى ، وهو أن كل ما تصف به المخلوق من كمال فالخالق أولى به ، وكل ما ينزه عنه المخلوق فالخالق منزّه عنه .

فالله يثبت له من صفات الكمال ما يليق به ، وهو متصف بها على وجه لا يماثله فيها أحد^(١).

وبعد هذه القواعد المهمة التي يتضح من خلالها منهج سلفنا الصالح في صفات الله عز وجل ، نتتبع ما أثاره المعتزلة من شبه حول الصفات ، مع بيان ردها وعدم صحتها .

إن السمة البارزة التي يتسم بها أهل الاعتزال والجهمية وجميع الفرق المنحرفة عن المنهج السوي في صفات الله جل وعلا ، هذا النفي أي نفي صفاته سبحانه ، الذي جعلوا منه منهجاً لهم يدينون الله به ويوحدونه من خلاله ، وهم أبعد ما يكونون عن توحيده سبحانه لأنهم بهذا النفي المبتدع عطلوا صفات رب العالمين وجردوه منها ، فوقعوا بذلك في الإلحاد الذي حذر الله منه في قوله : {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون}^(٢). فإن من الإلحاد أن تعطل أسماء الرب سبحانه عن معانيها وأن تجحد حقائقها ، وذلك من أعظم الإلحاد فيها عقلاً ولغة وشرعاً وفطرة^(٣). ولادليل معهم يستندون إليه في هذا النفي ، بل هو أمر حادث مبتدع في دين الله^(٤).

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٣٢٧/١-٣٢٨ ، شرح الطحاوية ص ١١٩ ، لوامع الأنوار ٢١٦/١-٢١٧ ، الكواشف الجلية ص ١٠٢-١٠٣ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٨٠ .

(٣) انظر : لوامع الأنوار ١٢٨/١ .

(٤) انظر : موافقة صحيح المنقول ١٨٩/١ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"الصواب عند السلف والأئمة وجماهير المسلمين أنه لا يجوز النفى إلا بدليل كالإثبات ، فكيف ينفى بلا دليل مادل عليه دليل : إما قطعى وإما ظاهرى ؟ بل كيف يقال ما لم يقم دليل قطعى على ثبوته من الصفات يجب نفيه ، أو يجب القطع بنفيه ، ثم يقال فى القطعى إنه ليس بقطعى . فهذه المقدمات الفاسدة هى وسائل الجهل والتعطيل وتكذيب المرسلين" (١).

فنفىهم لصفات الله مخالف لظاهر النصوص التى تدل على إثباتها ، ومخالف لطريقة سلف الأمة ونهجهم (٢).

بل ذلك مخالف لما جاء به رسل الله وأنبيأؤه عليهم السلام ، فإنهم جاءوا بإثبات مفصل ، ونفى مجمل ، فأثبتوا الأسماء والصفات لله على طريق التفصيل ونفوا عنه مماثلة المخلوقات على طريق الإجمال ، وأما المعتزلة ومن على نهجهم عكسوا الأمر فجاءوا بنفى مفصل ، وإثبات مجمل ، فيقولون : ليس كذا ، ليس كذا (٣).

وهؤلاء النفاة لصفات الله لم يفهموا منها إلا ما هو لائق بالمخلوق ، ولم تتسع عقولهم للفرق الشاسع بين صفات الخالق وصفات المخلوق ، فشرعوا فى نفيها عن الله ، فجمعوا بين شرين هما التمثيل والتعطيل . فلما وقع فى أذهانهم تمثيل صفات الله بصفات خلقه ، وأن إثباتها يقتضى ذلك ، لجأوا إلى نفيها عن الله فوقعوا فى التعطيل (٤). وظنوا أن قوله تعالى : { ليس كمثله شئ } (٥) مستنداً لهم ، وأنه يشفع لهم فيما ذهبوا إليه ، وتناسوا عجز الآية الذى يحوى أبلغ رد عليهم . وذلك قوله تعالى : { وهو السميع البصير } ،

(١) بيان تلبيس الجهمية ٧٩/١ .

(٢) انظر : شرح لمعة الاعتقاد ص ١٣ .

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٨٥٣/٢ ، لوامع الأنوار ١٣٠، ١٢٩/١ .

(٤) انظر : طريق الهجرتين ص ٢٣٥-٢٣٦ ، لوامع الأنوار ٩٤/١ .

(٥) سورة الشورى : آية ١١

فألله نفى فى الآىة مماثلة صفاته لصفات المخلوقات ، ثم أثبت لنفسه مايليق به من الصفات (١). وهذا هو الواجب فى صفاته : أن يوصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله من غير تشبيه ولاينفى عنه ماوصف به نفسه ووصفه به رسوله فإن ذلك تعطيل . فالآىة ردت بصدورها على من شبه وردت بعجزها على من عطل (٢). وليس فى قوله تعالى : {ليس كمثله شىء} دلالة على نفى الصفات ، بل هى دالة على إثباتها ووصف الله بها .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

"قوله تعالى : {ليس كمثله شىء} وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها ، وإلا فلو أريد بها نفى الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه ، مع أن جميع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل فلان لامثل له وليس له نظير ولاشبيه ولامثيل ، أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها، وكلما كثرت أوصافه ونعوته فات أمثاله وبعد عن مشابهة أضرابه ، فقوله {ليس كمثله شىء} من أدل شىء على كثرة نعوته وصفاته" (٣).

زعمهم أن الصفات لا تثبت إلا بالعقل ، وأن العقل هو الذى يلجأ إليه فى إثبات كل صفة لله تعالى .

يجاب على ذلك :

إن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية ، والمراد بذلك أنها تتلقى من طريق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز بها ماورد فى الكتاب والسنة .

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٦-٣٥٧ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٥٢٠ .

(٣) حادى الأرواح ص ٢١٨ .

ولذا قال السلف رضوان الله عليهم : لانصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولانسميه إلا بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم (١).

وقد نزه الله نفسه عما يصفه به العباد ، إلا بما وصفه به المرسلون بقوله سبحانه : {سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين} (٢).

فزه نفسه سبحانه في الآية عما يصفه به الكافرون ، ثم سلم على المرسلين ، لسلامة ما وصفوه به من النقائص والعيوب ، ثم حمد نفسه على تفرد به بالأوصاف التي يستحق عليها كمال الحمد (٣).

وأما العقل فلا تثبت به أسماء الله وصفاته ، لأن العقل لا يمكنه أن يدرك ما يستحقه الله سبحانه من الأسماء والصفات ، فوجب الوقوف على الشرع ، ولأن تسمية الله أو وصفه بما لم يسم أو يصف به نفسه ، أو إنكار ماسمى أو وصف به نفسه جناية في حقه تعالى ، فيجب سلوك الأدب في ذلك (٤).

قال الإمام الشافعي رحمه الله :

"لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها ، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر ، وأما قبل قيام الحجة فانه يعذر بالجهل ، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الروية والفكر" (٥).

والعقل السليم لا يدل على نفى صفات الله ، بل هو دال على إثباتها ، وإن كانت لا تثبت به ، لأنه دال على أن الذي يفعل أكمل من الذي لا يقدر

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية ١/١٤٨ ، شرح الطحاوية ص ٢١٨ ، لوامع الأنوار

٣٨/١ الهامش ، ١/١٣٤ ، الكواشف الجلية ص ٤٢٧ .

(٢) سورة الصفات : آية ١٨٠-١٨٠

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٧١-٧٢ .

(٤) انظر : شرح لمعة الاعتقاد ص ٩ .

(٥) مناقب الشافعي ص ٨١٤

على الفعل ، وأن فعله سبحانه الذى يتعلق بنفسه والذى يتعلق بخلقه هو كمال (١).

وبالتالى العاقل إذا تمعن فى أدلة نفاة الصفات وتدبرها تمام التدبر ، وأعطائها حقها من النظر العقلى السليم ، علم بالعقل فساد تلك الأدلة وثبوت نقيضها (٢).

الجواب عن الشبهة الأولى : وهى زعمهم بأن إثبات الصفات يؤدى إلى تعدد القدماء .

هذا الزعم منهم قول مجمل يتضح مع التفصيل والبيان وهو شأن السلف فى الألفاظ المجملة . فإن أراد المعتزلة بذلك تعدد آلهة خالقة للمخلوقات مع الله سبحانه فهذا قول مستحيل . وإن قيل بتعدد معان وصفات لله سبحانه فذلك جائز ، ولا يلزم من تعدد الصفات تعدد الذات الموصوفة بهذه الصفات (٣).

قال السفاريني :

"المحذور فى تعدد القدماء المغايرة ونحن نمنع تغاير الذات مع الصفات والصفات بعضها مع بعض فينتفى التعدد والتكثر ، ولئن سلم مازعموا من تعدد القدماء فالممتنع تعدد القدماء إذا كانت ذوات مستقلة لاتعدد ذات وصفات لها" (٤).

وكل من الذات والصفات ملازم للآخر (٥). فالذات الموصوفة لاتنفك عن الصفات أصلاً ، ولا يمكن وجود ذات خالية عن الصفات (٦). والذات المجردة عن الصفات كالعلم والقدرة لاحقيقة لها فى الخارج ولاهى الله .

(١) انظر : الكواشف الجلية ص ٢٢٩ .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١/١٤٨ .

(٣) انظر : بيان تلييس الجهمية ١/٥٤١-٥٤٢ .

(٤) لوامع الأنوار ١/٢١٧ .

(٥) انظر : بيان تلييس الجهمية ١/٥٤١ .

(٦) انظر : مجموع الفتاوى ٣/٣٣٦ .

والله هو الذات الموصوفة بالصفات اللازمة لها ، واسم الله يتضمن الذات والصفات ، ولم يطلق السلف على الصفات أنها غير الله ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك" (١). وثبت في الصحيح الحلف بعزة الله (٢)، وعمر الله (٣)، فالحلف بذلك ليس حلفاً بغير الله (٤).

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى سننه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فى كتاب النذور والأيمان (٢١) ، باب ما جاء فى كراهية الحلف بغير الله (٨) برقم ١٥٣٥ ، وقال : "هذا حديث حسن" . ٩٤/٤ .
وأحمد فى المسند بألفاظ مقاربة من حديث ابن عمر ٤٧/١ ، ٨٧-٨٦، ٦٩، ٣٤/٢ ، ١٢٥ .

والحاكم فى المستدرک عن ابن عمر . وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبى ٢٩٧/٤ .
وأخرجه فى مواضع أخرى بألفاظ مقاربة ٥٢، ١٨/١ .
وعبد الرزاق فى المصنف بلفظ مقارب عن ابن عمر ، باب الأيمان ، ولا يحلف إلا بالله برقم ١٥٩٢٦ ، ٤٦٧/٨-٤٦٨ ، وأورده الشيخ ناصر الدين الألبانى فى صحيح الجامع وقال : صحيح . ٢٨٢/٥ . وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٧١-٦٩/٥ ، حديث رقم ٢٠٤٢ .

(٢) انظر : صحيح البخارى ، كتاب الغسل (٥) ، باب من اغتسل عريانا (٢٠) ، ٧٤/١ كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة الفرقان (٢٥) ، باب قوله {الذين يحشرون على وجوههم} الآية (١) ، ١٤/٦ ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب الصراط جسر جهنم (٥٢) ، ٢٠٦/٧ ، كتاب الأيمان (٨٣) ، باب الحلف بعزة الله (١٢) ، ٢٢٤/٧-٢٢٥ ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى : {وهو العزيز الحكيم} من حلف بعزة الله وصفاته (٧) ، ١٦٧-١٦٦/٨ .

صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب معرفة طريق الرؤية (٨١) ، حديث رقم ١٨٢ ، ١٦٦/١ ، كتاب صفات المنافقين (٥٠) ، باب يحشر الكافر على وجهه (١١) حديث رقم ٢٨٠٦ ، ٢١٦١/٤ .

(٣) انظر : صحيح البخارى ، كتاب الشهادات (٥٢) ، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً (١٥) ، ١٥٦/٣ ، كتاب الإيمان (٨٣) ، باب قول الرجل لعمر الله (١٣) ، ٢٢٥/٧ .

(٤) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٩٨، ٩٩ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"ومن تدبر كلام هؤلاء وجدهم مضطرين إلى إثبات الصفات ، وأنهم لا يمكنهم أن يفرقوا بين قولهم وقول المثبتة بفرق محقق ، لأنهم أثبتوا كونه تعالى حيا وكونه عالما وكونه قادرا ولا يجعلون هذا هو هذا ولا هذا هو هذا ، ولا هذه الأمور هذه الذات ، فقد أثبتوا معاني زائدة على الذات المجردة ، فقولك^(١) "أثبتوا قدما كثيرة" لفظ مجمل يوهم أنهم أثبتوا آلهة غير الله في الأزل ، وأثبتوا مع الله غيره ، وهذا بهتان عليهم . وإنما أثبتوا صفات قائمة به ... فهل ينكر هذا إلا مخذول مسفسط ، واسم "الله" يتناول الذات المتصفة بالصفات ، ليس هو اسما للذات المجردة"^(٢).

الجواب عن الشبهة الثانية : وهي زعمهم أن إثبات الصفات يلزم منه أن يكون الله سبحانه جسما كالأجسام .

وهذه شبهة طالما دندن بها المبتدعة من أهل الاعتزال وغيرهم لتنفير الناس عن وصف الله بما يليق به من صفات . وقد اعتاد هؤلاء أن يبتدعوا ألفاظا ومعاني ويجعلوها أصلا معقولا محكما عندهم ، يجب اعتقاده والبناء عليه ، ثم نظروا في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فحملوا مافيهما على ماأصلوه ، فتأولوا مارأوا تأويله ، وحكموا بالتشابه على ما عجزوا عن تأويله^(٣).

ومن تلك الألفاظ لفظ الجسم . وأول من تكلم به نفيا وإثباتا هم طوائف من الشيعة والمعتزلة^(٤).

ورموا كل من أثبت صفة لله عز وجل بأنه مجسم وذلك عن طريق اللزوم ، لأنهم يزعمون أن الصفات لا تقوم إلا بجسم ، وذلك جريا على اصطلاحهم في معنى الجسم وهو كل ما يشار إليه ، خلافا للمعهود في اللغة ،

(١) المخاطب بذلك ابن مطهر صاحب كتاب "منهاج الكرامة" الذي رد عليه شيخ الإسلام في كتاب منهاج السنة .

(٢) المرجع السابق ص ٩٧ .

(٣) انظر بيان تلبيس الجهمية ٥٢٣/١ .

(٤) انظر المرجع السابق ٥٤/١ .

فإن الجسم فى اللغة هو البدن ، ويلزم من قولهم ذلك أن كل ما جاء به الكتاب والسنة وفطر الله عليه عباده وأقره سلف الأمة وأئمتها من صفات الله تجسماً^(١).

ولفظ الجسم لفظ مجمل لا يتضح معناه إلا عند التفصيل ، فقد يراد به المركب الذى كانت أجزاؤه مفرقة فجمعت ، أو ما يقبل التفريق والانفصال أو المركب من مادة وصورة ، أو المركب من الأجزاء المفردة التى تسمى الجواهر المفردة ، والله متزه عن ذلك . وكذلك يطلق على ما كان متفرقا فاجتمع ، أو ما يقبل التفريق والتجزئة ، أو غير ذلك من التركيب الممتنع عنه .

وقد يراد بالجسم ما يشار إليه أو ما يرى أو ما تقوم به الصفات ، والله سبحانه يرى فى الآخرة وتقوم به الصفات ويشار إليه عند الدعاء بالأيدى والأوجه والقلوب والأعين ، وهذا معنى ثابت بصحيح المنقول وصریح المعقول ، ولا يستطيع من نفاه أن يقيم على نفيه دليلاً ، وأما لفظ الجسم فبدعة فى نفيه وإثباته لله تعالى . فليس فى كتاب الله سبحانه ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا جاء عن أحد من سلف الأمة وأئمتها إطلاق لفظ الجسم فى صفات الله تعالى لانفياً ولا إثباتاً^(٢).

ولذا لما ناظر أبو عيسى محمد بن عيسى بر غوث^(٣) الإمام أحمد وألزمه التجسيم ، أجابه الإمام أحمد بأن هذا اللفظ لا يدرى مقصود المتكلم به ، وليس له أصل فى الكتاب والسنة والإجماع ، فلا يجوز لأحد أن يلزم

(١) انظر المرجع السابق ٦٢٥/١-٦٢٦ .

(٢) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٨٦ ، بيان تلبيس الجهمية ٥٥٠/١ .

(٣) محمد بن عيسى :

هو أبو عبد الله محمد بن عيسى الجهمي ، بر غوث ، رأس البدعة ، وأحد من كان يناظر الإمام أحمد وقت المحنة . من تصانيفه : "كتاب الاستطاعة" ، "كتاب المقالات" ، "كتاب الاجتهاد" . مات سنة ٢٤٠هـ وقيل ٢٤١هـ .

انظر : سير أعلام النبلاء ٥٥٤/١٠ .

الناس بالنطق به ولا ببدلوله ، وقال له : "إني أقول هو أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وبين أنه لا يقول بأنه جسم أو ليس بجسم ، لأن ذلك بدعة محدثة ، وليس ذلك من الحجج الشرعية التي يجب إجابة من دعا إلى موجبها ، لأن الناس إنما عليهم أن يجيئوا من دعاهم إلى مادعا إليه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا إلى قول مجمل مبتدع لا يعرف إلا بعد الاستفصال (١) .

يقول شيخ الاسلام رحمه الله :
 "وإذا قدر أن المعارض أصر على تسمية المعاني الصحيحة التي ينفيها بألفاظه الاصطلاحية المحدثه ، مثل أن يدعى أن ثبوت الصفات ومباينة المخلوقات يستحق أن يسمى في اللغة تجسيماً وتركيباً ونحو ذلك ، قيل له : هب أنه سمى بهذا الاسم ، فنفيك له إما أن يكون بالشرع ، وإما أن يكون بالعقل ، أما الشرع فليس فيه ذكر هذه الأسماء في حق الله ، لا بنفى ولا إثبات ، ولم ينطق أحد من سلف الأمة وأئمتها في حق الله تعالى بذلك ، لانفياً ولا اثباتاً ، بل قول القائل : إن الله جسم أو ليس بجسم ، أو جوهر أو ليس بجوهر ، أو متحيز أو ليس بمتحيز ، أو في جهة أو ليس في جهة ، أو تقوم به الأعراض والحوادث أو لا تقوم به ، ونحو ذلك ، كل هذه الأقوال محدثة بين أهل الكلام المحدث ، لم يتكلم السلف والأئمة فيها ، لا بإطلاق النفي ولا بإطلاق الإثبات ، بل كانوا ينكرون على أهل الكلام الذين يتكلمون بمثل هذا النوع في حق الله تعالى نفياً وإثباتاً . وإن أردت أن نفى ذلك معلوم بالعقل ، وهو الذي تدعيه النفاة ، ويدعون أن نفاهم المعلوم بالعقل عارض نصوص الكتاب والسنة . قيل له : فالأمور العقلية المحضة لا عبرة فيها بالألفاظ ، فالمعنى إذا كان معلوماً إثباته بالعقل لم يجز

(١) انظر : موافقة صحيح المنقول ١٧٧/١ - ١٧٨ .

وانظر : منهج السلف في بيان الألفاظ المجملة كالجسم في : بيان تلبيس الجهمية ١٨٩، ١٨٥، ١٨٤/١ ، موافقة صحيح المنقول ٤٧٨، ٣٩٧، ١٠٠، ٥٤، ٤٧، ٤٦/١ ، لوامع الأنوار ١٨٣، ١٨٢/١ الهامش .

نفيه ، لتعبير المعبر عنه بأى عبارة عبر بها ، وكذلك إذا كان معلوماً انتفاؤه بالعقل لم يجز إثباته ، بأى عبارة عبر بها المعبر ، وبين له العقل ثبوت المعنى الذى نفاه ، وسماه بالأفاظه الاصطلاحية ... " (١) .

ونفى الجسم عن الله مع أن السلف لا يقولون بإثباته ليس فيه دليل على مذهب نفاة الصفات ، بل وليس فيه دليل على تنزيه الله سبحانه عن شىء من النقائص ، لأن من نفى الصفات على أن إثباتها يستلزم التجسيم ، لابد أن يثبت شيئاً يلزمه فيه ما ألزمه غيره فيما نفاه . وبالتالي المعتزلة الذين يثبتون الأسماء لله وينفون عنه الصفات ، ويقولون ليس بجسم مع أن ذلك ليس معقولاً عندهم ، جاز لمن يثبت الصفات أن يلزمهم بأن الموصوف بها ليس بجسم ، لأنه لافرق بين إثبات الأسماء وإثبات الصفات ، فما يقال فى مسمى الأسماء يقال فى موصوف الصفات (٢) .

وأما القول بأن إثبات الصفات يلزم منه إثبات الجسمية ، ويلزم من ذلك أن يكون الله فى جهة وأن يكون متحيزاً .

الكلام فى الجهة والتحيز سبق بيانه قريباً فى الكلام عن الألفاظ المجملة (٣) ، وهى التى لم يأت فى الشرع لها نفى أو إثبات . ومثل الجهة والتحيز لفظ الجسم والجوهر والعرض والمركب والمنقسم وغير ذلك من الألفاظ المبتدعة . والبدعة فى نفيها كالبدعة فى إثباتها إن لم تكن أعظم ، لأن المثبت أثبت ما أنشأته النصوص ، والنافى عارض بها النصوص ، ورد على من خالف موجبها (٤) .

وقد ذم السلف هذه الألفاظ لما بها من الاشتباه ولبس الحق ، كما قال الإمام أحمد رحمه الله : " يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويلبسون على

(١) موافقة صحيح المنقول ١٨٣/١ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٢٠/٣ ، موافقة صحيح المنقول ١٠٩/١-١١٠ .

(٣) انظر ص ١٥٠ .

(٤) انظر موافقة صحيح المنقول ١٨٨/١ .

جهال الناس بما يشبهون عليهم" (١). كما أنها عرضة للاحتتمالات ، فهى تحوى معانى باطلة لاتليق بالله تعالى كما أنها تحوى معانى حقّة ، وهذا بخلاف الألفاظ الشرعية فإن معانيها صحيحة سالمة من الاحتمالات ، ولذا لايجوزالعدول عنها . حتى لايثبت معنى فاسد فى حالة التعلق بالألفاظ المجملّة (٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا قاعدة عظيمة فى هذه الألفاظ . فيقول :

"والأصل فى هذا الباب أن الألفاظ نوعان :

مذكور فى كتاب الله وسنة رسوله ، وكلام أهل الإجماع ، فهذا يجب اعتبار معناه ، وتعليق الحكم به ، فإن كان المذكور به مدحا استحق صاحبه المدح ، وإن كان ذما استحق الذم ، وإن أثبت شيئا وجب إثباته ، وإن نفى شيئا وجب نفيه ، لأن كلام الله حق ، وكلام رسوله حق ، وكلام أهل الإجماع حق ... ومن دخل فى اسم مذموم فى الشرع كان مذموما ، كاسم الكافر والمنافق والملحد ونحو ذلك ، ومن دخل فى اسم محمود فى الشرع كان محمودا ، كاسم المؤمن والتقى والصديق ، ونحو ذلك ، وأما الألفاظ التى ليس لها أصل فى الشرع فتلك لايجوز تعليق المدح والذم والإثبات والنفى على معناها ، إلا أن يبين أنه يوافق الشرع والألفاظ التى تعارض بها النصوص هى من هذا الضرب ، كلفظ "الجسم" و"الحيز" و"الجهة" و"الجوهر" و"العرض" فمن كانت معارضته بمثل هذه الألفاظ لم يجز له أن يكفر مخالفه ، إن لم يكن قوله مما يبين الشرع أنه كفر ، لأن الكفر حكم شرعى متلقى عن صاحب الشريعة ، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه ، وليس كل ماكان خطأ فى العقل يكون كفرا فى الشرع ، كما أنه

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية ص ١٠٠ .

وكلام الإمام أحمد فى كتابه : الرد على الجهمية والزنادقة ص ٨٥ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢١ .

ليس كل ما كان صواباً في العقل تجب في الشرع معرفته" (١).
وقد كان السلف يطلبون الاستفصال في معناها ، لأن عدم الاستفصال
يوقع في الجهل والضلال والقيـل والقال (٢).
فإن كان المعنى صحيحاً قبل ، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص
، إلا عند الحاجة مع قرائن تبين المراد (٣).
ونضرب مثلاً لاستفصال السلف في الألفاظ المجملة بلفظ "الجهة"
ليتضح منه منهجهم في الاستفصال .
فإنهم يقولون "إن لفظ "الجهة" قد يراد به أمر موجود وقد يراد به
أمر معدوم ، فإذا أريد الأول أمكن أن يقال إن كل جسم في جهة ، وإذا
أريد الثاني امتنع أن يكون كل جسم في جهة .
فمن قال : الباري في جهة وأراد بها أمراً موجوداً فكل ماسواه مخلوق
له في جهة بهذا التفسير ، فهذا مخطيء ، وإن أراد بالجهة أمراً عديمياً - وهو
فوق العالم - وقال إن الله فوق العالم فقد أصاب ، وليس فوق العالم موجود
غيره ، فلا يكون سبحانه في شيء من الموجودات (٤).
وأما الزعم بأن الأجسام متماثلة ، وتماثلها يؤدي إلى استوائها في
استحقاق الصفات .

فهو زعم لا أساس له من الصحة ، ولا حجة فيه ، وليس أحد من
العقلاء يقول بأن كل جسم يماثل الآخر ، وليس في اللغة التي جاء بها
القرآن إطلاق "لفظ المثل" على كل جسم ، ولا يقال : إن السماء مثل
الأرض . والشمس والقمر والكواكب مثل الجبال . والجبال مثل الأنهار (٥).

(١) موافقة صحيح المنقول ١٨٤/١ - ١٨٥ .

(٢) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٨٨ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٨ .

(٤) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١١٧ .

(٥) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٥٨٨/١ .

بل قد تتساوى كثير من الأشياء في الأسماء وتباين في مسمياتها وصفاتها .

وأما زعمهم أن إثبات الصفات تشبيه لله بخلقه :
فهو زعم أكثر من ذكره أهل الاعتزال وقذفوا كل من أثبت صفة لله بأنه مشبه لله بخلقه ، كما رموه من قبل بالتجسيم ، وذلك لضيق عقولهم وعجزها عن إدراك معاني صفات الله تعالى ، وإدراك الفرق الشاسع بينها وبين صفات المخلوقين ، وتقاصرت بهم عقولهم التي اغتروا بها فلم تعلو بهم إلى الفهم الصحيح الذي وصلت إليه عقول السلف الصالح من قبل ، لما استنارت بنور الوحي ، واستضاءت بضوئه . ولم تعرف فلسفة اليونان ، وحثالة أذهانهم إلى تلك العقول طريقاً ، وأما التي لبس عليها الشيطان ، ومزج ماعندها بشبه أعداء الإسلام ، أنى لها أن تعرف الحق ويستبين لها الطريق؟.

والمراد بالتشبيه إثبات مشابه لله فيما يختص به من حقوق أو صفات ، وهو صنو التمثيل الذي يراد به إثبات مماثل لله فيما يختص به أيضاً من حقوق وصفات ، وكلاهما كفر وشرك بالله لما تضمننا من نقص في حق الله تعالى (١).

والتمثيل قد جاء نفيه عن الله تعالى في أكثر من موضع كقوله تعالى : { ليس كمثله شيء } (٢)، وقوله : { هل تعلم له سمياً } (٣)، وقوله : { ولم يكن له كفواً أحد } (٤)، وقوله : { فلا تجعلوا لله أنداداً } (٥)، وقوله : { فلا تضربوا لله الأمثال } (٦) (٧).

(١) انظر : شرح لمعة الاعتقاد ص ١٩ .

(٢) سورة الشورى : آية ١١

(٣) سورة مريم : آية ٦٥

(٤) سورة الإخلاص : آية ٤

(٥) سورة البقرة : آية ٢٢

(٦) سورة النحل : آية ٧٤

(٧) انظر : بيان تلبيس الجهمية ١/٥٨٧ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١١٠ .

وأما لفظ التشبيه فلم يرد نفيه أو إثباته في الكتاب أو السنة لأنه من الألفاظ المجملة التي تحتاج إلى إيضاح وتفصيل ، فقد يراد به مجاء نفيه في القرآن ودل عليه العقل من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته .

وقد يراد به عدم إثبات شيء من الصفات اللائقة بالله تعالى لأن العبد موصوف بها (١).

وهذا الأخير هو الذي يعنيه أهل الاعتزال عند إطلاقهم لفظ التشبيه . ولكن قد ورد ذم التشبيه والمشبهة في كلام السلف رضوان الله عليهم قال نعيم بن حماد (٢):

"من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، فليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه" . وقال إسحاق بن راهويه (٣):

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٩٨-٩٩ .

(٢) نعيم بن حماد :

هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي ، أبو عبد الله المروزي ، نزيل مصر ، حافظ ، فقيه ، عارف بالفرائض . صدوق يخطئ كثيراً . روى عن أبي حمزة السكري ، وإبراهيم بن سعيد . وعنه البخاري مقروناً ، والدارمي ، وحمزة الكاتب . مات سنة ٢٢٨هـ على الصحيح .

انظر : الجرح والتعديل ٨/٤٦٣-٤٦٤ ، الكاشف ٣/٢٠٧ ، تقريب التهذيب ٣٠٥/٢ .

(٣) إسحاق بن راهويه :

هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي ، أبو محمد بن راهويه ، المروزي ، الإمام عالم خراسان ، ثقة حافظ مجتهد ، قرين الإمام أحمد ، ذكر أبو داود أنه تغير قبل موته بيسير . روى عن جرير ، والداروردي ، ومعتمر ، وعنه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود وغيرهم . له مسند . مات سنة ٢٣٨هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٢/٢٠٩-٢١٠ ، الكاشف ١/١٠٦ ، تقريب التهذيب ١/٥٤ .

"من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم لأنه وصف بصفاته ، وإنما هو استسلام لأمر الله ولما سن الرسول" (١).

وقال أبو حنيفة رحمه الله : "لا يشبه شيئاً من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه... وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين ، يعلم لا كعلمنا ، ويقدر لا كقدرتنا ، ويرى لا كرؤيتنا" (٢).

وهم لا يريدون بنفى التشبيه نفى الصفات ، ولا يصفون به من أثبت الصفات ، وإنما يريدون بذلك أن الله لا يشبه المخلوق في أسمائه وصفاته وأفعاله كما قال أبو حنيفة رحمه الله (٣). والمشبهة الذين ذمهم هم الذين يمثلون صفات الله بصفات خلقه ، وذكروا أن المشبه هو الذى يقول : بصرى كبصرى ، ويد كيدى ، وقدم كقدمى (٤). وهذا أحد نوعى التشبيه ، لأن التشبيه فى الحقيقة نوعان :

أحدهما : تشبيه الخالق بالمخلوق ، وهو الذى يتعب أهل الكلام فى رده وبيان بطلانه ، وأهله فى الناس أقل من أهل النوع الثانى .

ثانيهما : تشبيه المخلوق بالخالق ، كعباد المشايخ ، وعزير ، والشمس والقمر ، والأصنام ، والملائكة ، والنار ، والماء ، والعجل ، والطيور ، والجن ، وغير ذلك . وهؤلاء هم الذين أرسل الله لهم الرسل يدعونهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له (٥).

والتشبيه إنما قام فى مصادمة نفى الصفات وتعطيلها . وهما مرضان من أمراض القلوب ، فإن أمراض القلوب نوعان :

-
- (١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٣٢/٢ .
 - وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٧-١١٨ .
 - (٢) شرح الفقه الأكبر لأبى منصور الحنفى ص ١٠٣-١١٢ ، شرح ملا على القارى على الفقه الأكبر ص ٣٢-١٥ .
 - (٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٨-١١٩ .
 - (٤) انظر بيان تلبيس الجهمية ١٠٩، ٥١/١ .
 - (٥) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٧ .

مرض شهوة كالذى فى قوله تعالى : {فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض} (١).

ومرض شبهة كالذى فى قوله سبحانه : {وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم} (٢). وهذا أردأ من مرض الشهوة ، والنفى والتشبيه من شبه الصفات ، وشبه النفى أردأ من شبه التشبيه ، لأن النفى رد وتكذيب لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، بينما التشبيه غلو ومجاوزة للحد فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكلاهما كفر بالله تعالى (٣).

وأهل السنة متفقون على إثبات صفات الله من غير تشبيه أو تمثيل لها بصفات خلقه ، كما أنهم متفقون على تنزيه الله عن صفات النقص من غير تعطيل ، لأن دين الإسلام وسط بين التشبيه والتعطيل ، وذلك لقوله تعالى : {ليس كمثله شىء} ردأ على من مثل ، {وهو السميع البصير} ردأ على من عطل (٤). وقد قال الإمام الطحاوى رحمه الله : "ومن لم يتوق النفى والتشبيه ، زل ولم يصب التنزيه" (٥).

وقال ابن أبى العز رحمه الله :

"وما أحسن المثل المضروب للمثبت للصفات من غير تشبيه ولا تعطيل باللبن الخالص السائغ للشاربين ، يخرج من بين فرث التعطيل ودم التشبيه . والمعطل يعبد عدماً والمشبّه يعبد صنماً ... وليس ما وصف الله به نفسه ولا ما وصفه به رسوله تشبيهاً ، بل صفات الخالق كما يليق به ، وصفات المخلوق كما يليق به" (٦).

(١) سورة الأحزاب : آية ٣٢

(٢) سورة التوبة : آية ١٢٥

(٣) انظر المرجع السابق ص ٢١٦-٢١٧ .

(٤) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٠٨-١٠٩ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٢٠

(٥) متن العقيدة الطحاوية ص ١٠ .

(٦) شرح الطحاوية ص ١٨٨ .

فالله منزّه عن مشاركة العبد في خصائصه ، وإذا اشتركا في الأسماء والصفات فهذا المشترك مطلق كلى في الذهن لا وجود له في الخارج ، والموجود في الأعيان مختص لا اشتراك فيه ، فإذا سمي الله بهذه الأسماء كان مسماهاً معيناً مختصاً به ، وإذا سمي العبد بها كان مسماهاً مختصاً به (١).
فالاتفاق في الأسماء لا يقتضى التساوى في المسميات كما سبق ذكره في قواعد السلف (٢).

ومن هنا يتبين لك ضلال كل من المشبهة والمعطلة ، فإن المشبهة أحسنوا في إثبات صفات الله ولكنهم أساءوا بزيادة التشبيه ، فضلوا ، وإن المعطلة أحسنوا في تنزيه الله عن التشبيه بخلقه ، ولكن أساءوا في نفى المعانى الثابتة لله فضلوا . والحق ما دل عليه كتاب الله الذى تعقله العقول السليمة الصحيحة ، وهو الحق المعتدل الذى لا انحراف ولا اعوجاج فيه (٣).
وقد وقع المعتزلة في أربعة أنواع من المحاذير :

- (١) كونهم مثلوا مافهموه من النصوص بصفات المخلوقين ، وظنوا أن مدلول النصوص هو التمثيل .
- (٢) جنوا على النصوص بتعطيل معانيها الإلهية اللائقة بالله ، وظنوا ظناً سيئاً بالله ورسوله حيث اعتقدوا أن الذى يفهم من كلامها هو التمثيل الباطل .
- (٣) أنهم نفوا تلك الصفات عن الله عز وجل بغير علم ، فكانوا بذلك معطلين لما يستحقه الرب من صفات .
- (٤) وصفوا الرب سبحانه بنقيض تلك الصفات ، من صفات الأموات والجمادات والمعدومات ، فعطلوا بذلك صفات كماله ، وجمعوا بين التمثيل والتعطيل ، فأصبحوا ملحدين في أسمائه وآياته (٤).

(١) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٨٤ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٠٢، ١٠٣
(٢) انظر ص . ١٤١
(٣) انظر المرجع السابق ص ١٠٣ .
(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٤٨/٣ - ٤٩ .

وأما زعمهم بأن إثبات الصفات تشبيه وذلك مناف للتوحيد ، لأن تمام التوحيد يكون بنفى مشابهة الله للخلق .

وهذا من تسمية الأمور بغير مسمياتها ، ومن تلبيس الباطل بالحق . فانهم فسروا التوحيد تفسيراً لم يدل عليه كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا قاله أحد من سلف الأمة وأئمتها^(١). بل هو أمر مبتدع باطل فى الشرع والعقل واللغة^(٢).

فإن التوحيد الذى جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب يتناول التوحيد فى العلم والقول وهو وصف الله ما يستحق من صفات الكمال ونعوت الجلال ، ونفى النقص عنه ، والتوحيد فى الإرادة والعمل ، وهو أن يعبد وحده ولا يشرك به شيئاً فى عبادته ، كما دل على ذلك سورتا الإخلاص والكافرون ، فالأولى فى التوحيد العلمى ، والثانية فى التوحيد العملى^(٣).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله :

"وأما تفسير التوحيد بما يستلزم نفى الصفات أو نفى علوه على العرش ، بل يستلزم نفى ما هو أعم من ذلك فهو شىء ابتدعته الجهمية لم ينطق به كتاب ولا سنة ولا إمام ، وكذلك جعل التشبيه ضد التوحيد ، وتفسير التشبيه بما فيه إثبات الصفات ، هو أيضاً باطل ، فإن التوحيد نقيضه الإشراف بالله تعالى ، والتمثيل له بخلقه وإن كان ينافى التوحيد فليس المراد بذلك ما يسمونه هم تشبيهاً"^(٤).

ومن هنا يتبين أن قولهم "إن تمام التوحيد يكون بنفى مشابهة الله للخلق" الذى يقصدون به نفى الصفات وتعطيلها ، إنما هو نقض للتوحيد ، ونفى له . بل من تمام التوحيد أن يوصف الله بما وصفه به نفسه من صفات

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية ١٣٢/١ .

(٢) انظر : المرجع السابق ٤٧٨/١ .

(٣) انظر : موافقة صحيح المنقول ٢١١/١ ، بيان تلبيس الجهمية ٤٧٩/١ .

(٤) بيان تلبيس الجهمية ١٣٣/١ .

الكمال وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم دون تحريف أو تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل (١).

وأما زعمهم أن أهل السنة مشبهة لإثباتهم الصفات وأنهم لا يعرفون التوحيد ولا يعرفون ربهم .

يجاب على ذلك بأن المعتزلة إنما أطلقوا ذلك على أهل السنة نسبة لا اعتقادهم الفاسد في ربهم سبحانه الذى جردوه من صفاته وعطلوه منها (٢). وذلك لضلال عقولهم التى حجبها الباطل عن رؤية الحق ، فاختلفت عندها الموازين ، وغشيتها ظلام دامس ، فرأت الحق باطلاً والباطل حقاً.

ورميهم أهل السنة بأنهم مشبهة ، من أبرز الأدلة وأقوى الحجج على نفيهم لصفات الله تعالى ، لأنه مامن أحد ينفى شيئاً من صفات الله إلا ويسمى المثبت لها مشبهاً (٣).

قال أبو زرعة الرازى (٤) رحمه الله :

"المعطلة النافية الذين ينكرون صفات الله عز وجل التى وصف بها نفسه فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويكذبون بالأخبار الصحاح التى جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصفات ويتأولونها بآرائهم المنكوسة على موافقة ما اعتقدوا من الضلالة وينسبون روايتها إلى التشبيه ، فمن نسب الواصفين ربهم تبارك وتعالى بما وصف به نفسه فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من غير تمثيل ولا تشبيه

(١) انظر موافقة صحيح المنقول ٢١١/١ .

(٢) انظر : لوامع الأنوار ٢١٦/١ .

(٣) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٠٩ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٨ .

(٤) أبو زرعة الرازى :

هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ ، أبو زرعة الرازى ، أحد الأعلام . إمام حافظ ، ثقة مشهور . قال ابن راهويه : "كل حديث لا يعرفه أبو زرعة فليس له أصل" . مات سنة ٢٦٤ هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٣٢٤/٥ - ٣٢٦ ، تاريخ بغداد ٣٢٦/١٠ - ٣٣٧ ، الكاشف

٢٣٠/٢ ، تذكرة الحفاظ ٥٥٧/٢ - ٥٥٩ ، تقريب التهذيب ٥٣٦/١ .

إلى التشبيه فهو معطل ناف ويستدل عليهم بنسبتهم إليهم إلى التشبيه أنهم معطلة نافية ، كذلك كان أهل العلم يقولون منهم : عبد الله بن المبارك ، ووكيعة بن الجراح " (١) (٢) .

وقد نقل الإمام اللالكائي رحمه الله عن إسحق بن راهويه وأبي حاتم (٣) نحو كلام أبي زرعة (٤) .

وقال شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني رحمه الله :
 "وعلمة أهل البدع شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي صلى الله عليه وسلم ، واحتقارهم لهم ، وتسميتهم إليهم حشوية (٥) ، و"جهلة" و"ظاهرة" ومشبهة اعتقاداً منهم في أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها بمعزل عن العلم ، وأن العلم مايلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة ،

(١) وكيعة بن الجراح :

هو وكيعة بن الجراح بن مليح الرؤاسي ، أبو سفيان الكوفي ، ثقة حافظ عابد . قال عنه الذهبي : وكان من بحور العلم وأئمة الحفظ . مات سنة ١٩٧ هـ .
 انظر : الجرح والتعديل ٣٧/٩ ، تاريخ بغداد ٤٦٦/١٣-٤٨١ ، تذكرة الحفاظ ٣٠٦/١ ، الكاشف ٢٣٧/٣ ، سير أعلام النبلاء ١٤٠/٩-١٦٨ ، تهذيب التهذيب ١٢٣/١١ ، تقريب التهذيب ٣٣١/٢ .

(٢) الحجة في بيان المحجة ١٨٧/١ ، بيان تلبيس الجهمية ١٠٥/١-١٠٦ .

(٣) أبو حاتم :

هو محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي ، أبو حاتم الرازي ، أحد الحفاظ ، قال موسى بن إسحاق الأنصاري : مارأيت أحفظ منه . مات سنة ٢٧٧ هـ .
 انظر : الجرح والتعديل ٢٠٤/٧ ، تاريخ بغداد ٧٣/٢-٧٧ ، تذكرة الحفاظ ٥٦٧/٢-٥٦٩ ، الكاشف ١٨/٣ ، تهذيب التهذيب ٣١/٩-٣٤ ، تقريب التهذيب ١٤٣/٢ .

(٤) انظر : أصول اعتقاد أهل السنة ٥٣٢/٢-٥٣٣ .

(٥) الحشوية :

هو لفظ لا يدل على شخص معين ولا على مقالة معينة ، ولذا أطلق عدة إطلاقات من ذلك : إطلاقه على العامة الذين هم حشو الناس . وعلى المجسمة الذين يصفون الله بالجسمية ، وعلى الذين لا يرون البحث في آيات الصفات . وفرق المبتدعة تطلقه على أهل السنة الذين يشبتون صفات الله تعالى .
 انظر : منهاج السنة ٥٢٠/٢-٥٢١ مع الهامش .

ووساوس صدورهم المظلمة ، وهو اجس قلوبهم الخالية عن الخير العاطلة ، وحجبهم بل شبههم الداحضة الباطلة، بل {أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم} (١)، {ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء} (٢)(٣).

وأهل السنة متفقون جميعاً على تنزيه الله عن مماثلة الخلق ومشابھتهم ، وأما المشبهة فهم الذين يمثلون صفات الله بصفات خلقه (٤). وأما قولهم بأن التشبيه وقع في الأمة نتيجة للتعلق بالآيات المتشابهة التي توهم التشبيه - يعنون بذلك آيات الصفات - والتي يجب أن تأول لتوافق دليل العقل والآيات المحكمة .

فهو قول نتج من قصور فهم المعتزلة للآيات المتشابهة في كتاب الله ، والآيات المحكمة . أضف إلى ذلك تحريفهم النصوص وتعطيلهم لها بحجة أن ذلك تأويل سائغ .

ولكى ينكشف هذا الزعم ويزول مابه من لبس لابد من بيان المحكم والمتشابه في كتاب الله تعالى . وهل آيات الصفات تعد من المتشابه ؟ ثم نخرج بعد ذلك إلى بيان التأويل ومايجوز منه وما لايجوز . وهل نصوص الصفات تخضع للتأويل كما يزعم أهل الاعتزال ؟

أما المحكم والمتشابه في كتاب الله فعلى نوعين :

النوع الأول : هو الأحكام العام والتشابه العام :

فقد وصف الله القرآن كله بأنه محكم ، كما وصفه بأنه متشابه .

وذلك في قوله : {الر . كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير} (٥) .

(١) سورة محمد : آية ٢٣

(٢) سورة الحج : آية ١٨

(٣) بيان تلبيس الجهمية ١٠٦/١ . "صبيحة إسماعيل" ص ١٠٦ ، طبع في دار إسماعيل المكي ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م

(٤) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٠٨ .

(٥) سورة هود : آية ١

وقال تعالى : {الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني} (١).
فإحكامه هنا : إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره ، والرشد
من الغي في أوامره .

والمراد بالتشابه هنا : تماثل الكلام وتناسبه ، وهو ضد الاختلاف
المذكور في قوله تعالى : {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً
كثيراً} (٢).

فلا تجد فيه أمراً ونقيضه ، ولانهيأً ونقيضه ، وإنما يشبه بعضه بعضاً
ويصدق بعضه بعضاً .

وهذا التشابه العام لا ينافي الإحكام العام ، بل هو مصدق له (٣).
النوع الثاني : الإحكام الخاص والتشابه الخاص .

فإن الله وصف بعض القرآن بأنه محكم ، كما وصف بعضه بأنه
متشابه ، فقال تعالى :

{هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب
وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به
كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب} (٤).

فالمحكم هنا بخلاف المتشابه ، وهو الذى لا التباس فيه ولا احتمال
لوضوحه ، وأما المتشابه فهو المشتبه بغيره المحتمل للالتباس .

ويتعين معنى التشابه هنا على موضع الاختلاف فى الوقوف على الآية .
فجمهور سلف الأمة وخلفها على أن الوقف على قوله تعالى : {وما يعلم
تأويله إلا الله}.

فعلى هذا فإن الله قد استأثر بعلم التشابه ولا يعلمه أحد سواه .

(١) سورة الزمر : آية ٢٣

(٢) سورة النساء : آية ٨٢

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٥٩/٣ - ٦١ ، الجامع لأحكام القرآن ١٠/٤ .

(٤) سورة آل عمران : آية ٧

وجاء عن ابن عباس ومجاهد أن الراسخين في العلم معطوف على اسم الله وأنهم داخلون في علم المتشابه .
وعند التحقيق نجد أنه لامنافاة بين القولين .

فمراد الجمهور بالمتشابه الذى لا يعلمه إلا الله ، هو الذى طوى الله غيبه عن جميع الخلق مثل وقت قيام الساعة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، والدجال وعيسى ، ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور . فهذا لا يعلمه أحد من الخلق .

ومراد ابن عباس ومجاهد بالمتشابه المتشابه النسبى الإضافى الذى يشته على بعض الناس دون بعض ، ومثل هذا يعرف منه أهل العلم مايزيل عنهم هذا الاشتباه (١).

وعلى هذا فمن أطلق على آيات الصفات وأحاديثها بأنها من المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله ، يستفصل في مراده . فإن أراد حقائقتها وكيفياتها فذلك قول صحيح لأنه لا أحد يعلم كنه صفات الله وكيفياتها إلا هو .

وإن أراد بذلك معانيها فإن الراسخين في العلم يعرفون معانيها ويفرقون بين صفة وأخرى ، فالسمع ليس هو البصر ، والعلم ليس هو القدرة ، فإن السلف لا يفوضون معانى صفات الله ، وإنما يفوضون كيفياتها .

وهكذا قال مالك رحمه الله لما سئل عن قوله تعالى : {الرحمن على العرش استوى} (٢). قال : "الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة" .

فبين أن الاستواء معلوم ، أى معناه في اللغة ، وكيفية ذلك مجهولة فلا يعلمها إلا الله سبحانه (٣).

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٩/٤-١٨ ، مجموع الفتاوى ٣/٥٤، ٥٥، ٦٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٣-٢١٤ .

(٢) سورة طه : آية ٥

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٣/٥٨-٦٥، ٦٦ ، وانظر ١٨١/٢ الهامش .

وأما التأويل فقد صار بتعدد الاصطلاحات يستعمل في ثلاثة معان : أحدها : هو اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله . وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقتزن به ، وهذا الذى عناه من تكلم في تأويل نصوص الصفات . الثانى : التأويل بمعنى التفسير . وهو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن كابن جرير ونحوه ، ومرادهم بذلك بيان الكلام ، سواء وافق ظاهره أو خالفه ، ويحمد منه ما كان حقاً ويرد ما كان باطلاً .

الثالث : التأويل فى كتاب الله وسنة رسوله وهو الحقيقة التى يؤول إليها الكلام . فتأويل الخبر هو عين المخبر به . وتأويل الأمر هو عين المأمور به . قال تعالى : {هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق} (١) . وقوله تعالى : {هذا تأويل رؤياى من قبل} (٢) إلى غير ذلك من الآيات .

وفى السنة ما جاء عن عائشة رضى الله عنها : "كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثّر أن يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك . اللهم اغفر لى" يتأول القرآن (٣) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد ذكره لأنواع التأويل

السابقة :

(١) سورة الأعراف : آية ٥٣

(٢) سورة يوسف : آية ١٠٠

(٣) انظر : المرجع السابق ٥٥/٣-٥٦ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٣ .

والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الأذان (١٠) ، باب التسييح والدعاء فى السجود (١٣٩) ، ١٩٩/١ ، وفى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة النصر (١١٠) ، باب (٢) ، ٩٣/٦ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الصلاة (٤) ، باب ما يقال فى الركوع والسجود (٤٢) برقم ٤٨٤ ، ٥٠/١ .

"وأما التأويل المذموم والباطل ، فهو تأويل أهل التحريف والبدع الذين يتأولونه على غير تأويله ، ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك ، ويدعون أن في ظاهره من المحذور ماهو نظير المحذور اللازم فيما أثبتوه بالعقل ، ويصرفونه إلى معاني هي نظير المعاني التي نفوها عنه ، فيكون مانفوه من جنس ما أثبتوه ، فإن كان الثابت حقاً ممكناً كان المنفى مثله ، وإن كان المنفى باطلاً ممتنعاً كان الثابت مثله" (١).

فهذا في الحقيقة ليس تأويلاً وإنما هو تحريف للنصوص عن معانيها ، وصرفها عن مدلولاتها ، وإن سموا ذلك تأويلاً تزييناً للباطل وزخرفة له ، وقد ذم الله المزخرفين للباطل في قوله : {وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً} (٢). وقد صيروا لفظ التأويل مستعملاً في غير معناه الأصلي (٣).

والذى دفعهم إلى ذلك ظنهم الفاسد إن ظاهر نصوص الصفات يفيد التشبيه وهو كفر وضلال ، فيجب صرفها عن هذا الظاهر .

وهذا نتج لقصور فهمهم وقلة علمهم كما قيل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

فمعاذ الله أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يفيد الضلال والكفر ، بل كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هو الحق ولا يدل إلا على حق ، ومحال أن يدل على باطل أو ضلال ، وليس المعاني الفاسدة ظاهره ولا مقتضاه (٤).

(١) مجموع الفتاوى ٦٧/٣ .

(٢) سورة الأنعام : آية ١١٢

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٣ .

(٤) انظر : المرجع السابق ص ٢١٥ .

فالرسول صلى الله عليه وسلم مع كمال بيانه وفصاحة لسانه وحسن تعبيره عن المعاني ، وكمال معرفته وعلمه ، وكمال نصحه وإرادته لهداية الخلق ، يستحيل عليه أن يخاطبهم بشيء وهو لا يريد منهم ما يدل عليه خطابه ، بل يريد منهم أمراً بعيداً يدل عليه كدلالة الألفاظ والأحاجي ، ويوقع الأمة بذلك في أودية التأويلات وشعاب الاحتمالات . سبحانك هذا بهتان عظيم .

فيستحيل عليه صلى الله عليه وسلم أن يريد من كلامه ما يحمله عليه المحرفون للكلم عن مواضعه ، المتأولون له تأويلاً باطلاً . وأن يكون كلامه من جنس الألفاظ والأحاجي (١).

وقد فتحوا بذلك باب شر عظيم على أمة الإسلام ، دخلت من خلاله أنواع من الضلالات والبدع ، وذلك لما سوغوا صرف القرآن عن دلالة المفهومة بغير دليل شرعى . ولم يحددوا الضابط فيما يجوز تأويله مما لا يجوز؟ فإن زعموا أن الضابط العقل ، ومادل على استحالة أولناه . ولكن ماهو العقل الذى يرجع إليه عند تأويل النصوص عن ظواهرها؟ هل هو عقل القرمطى (٢) الباطنى الذى يزعم به بطلان ظواهر الشرع ، أم هو عقل الفيلسوف الذى يزعم به بطلان حشر الأجساد ، أم هى عقولكم يا أهل الاعتزال التى تزعمون بها نفى صفات الله ورؤيته؟

(١) انظر : طريق الهجرتين ص ٢٣٥ .

(٢) القرمطى :

نسبة إلى القرامطة . وهى حركة باطنية هدامة ، اعتمدت التنظيم السرى العسكرى . ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وحقيقتها الإلحاد والشيوعية والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية . سميت بهذا الاسم نسبة إلى حمدان قرمط بن الأشعث الذى نشرها فى سواد الكوفة سنة ٢٧٨هـ .

الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٣٩٥ .

فتسليط العقول على نصوص الوحي بالتأويلات التى لاضابط لها ،
ولادليل عليها يلزم منه محذوران عظيمان :

الأول : عدم الإقرار بشيء من معانى الكتاب والسنة واستنفاذ الجهد
فى بحوث طويلة يقررها العقل ، والعقول مختلفة متباينة ، وكل يدعى أن
الحق ماذهب إليه عقله ، فيؤول الأمر إلى الحيرة .

الثانى : يستحيل على القلوب أن تجزم بشيء تعتقده مما جاء به الرسول
صلى الله عليه وسلم ، لأن ظاهر ذلك غير مراد . فتعزل نصوص الوحي عن
الدلالة والإرشاد ، وتصبح تابعة بعد أن كانت متبوعة وتهوى من مقام
الاعتماد لتكون فى موضع الاعتقاد كما يفعل بها أهل التأويل الذين قدموا
العقل على التنزيل، وهل ذلك إلا فتح لباب الزندقة (١)(٢) .

أما زعمهم بأن المراد بالآيات التى ذكرت فيها الصفات ، ذات الله تعالى.

يلزمهم من هذا الزعم أمران :

الأول : وجود ذات بغير صفات .

وهذا أمر يستنكره كل عاقل ، لأنه لا توجد ذات مجردة عن الصفات، إلا
وجوداً ذهنياً لا حقيقة له فى الخارج، فالذات المستلزمة للصفة لا توجد إلا وهى
متصفة بالصفة (٣) .

(١) الزندقة :

الزندقة تطلق ويراد بها عدة معان ، فقد كانت تطلق على أتباع " مانى " ثم
أطلقت على الملاحدة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا النبوات ، ثم على
من أسر الكفر وأظهر الإسلام ، فتكون مرادفة للنفاق ، ثم اتسع هذا اللفظ فشمل
أهل المجون والخلاعة وكل ماكان فيه خروج عن الدين بالقول والعمل .
وكل اتجاهات الزنادقة تلتقى فى هدف واحد وهو الوقوف فى وجه الإسلام .
النفاق والزندقة وأثرهما فى مواجهة الدعوة الإسلامية : ص : ٣٥ .
وانظر : لسان العرب : ١٤٧/١ ، مجموع الفتاوى : ٦٣/٥ ، فتح البارى :
٢٧١-٢٧٠/١٢ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٣) انظر : بيان تلبيس الجهمية ص ٥٠٩/١ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٩٨ .

الثانى : إن الله هو الذات المجردة عن الصفات .

وهذا قول باطل ، والحق خلافه ، لأن الله تعالى ذكره هو الذات الموصوفة بالصفات اللازمة ، ولا يتناول اسم الله ذاتا مجردة عن الصفات أصلا ، لأنه لا يمكن وجود ذلك أبدا ، ولذا قال الإمام أحمد رحمه الله فى مناظرته للجهمية :

"لأنقول الله وعلمه ، والله وقدرته ، والله ونوره ، ولكن نقول : الله بعلمه وقدرته ونوره : هو إله واحد" (١).

وعند التحقيق تجد أن هؤلاء مضطرين لإثبات صفات لله تعالى ، لأنهم أثبتوا كونه حيا ، وكونه عالما ، وكونه قادرا ، ولا يجعلون هذا هو هذا ، ولا هذا هو هذا ، ولا هذه الأمور هى الذات ، فأثبتوا بذلك معانى زائدة على الذات المجردة (٢).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم بتصرف ٧٩١/٢-٧٩٢ ، وانظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٩٩ .

وقول الإمام أحمد فى كتابه الرد على الجهمية والزنادقة ص ١٣٣-١٣٤ .

(٢) منهاج الاعتدال بتصرف ص ٩٧ .

(٢) رؤية الله تعالى :

لقد أجمعت المعتزلة على القول بنفى رؤية الله تعالى بالأبصار يوم القيامة ، وقد نص المعتزلة أنفسهم على هذا الإجماع ، كما أشارت كثير من كتب الفرق إليه (١).

وزعموا أن القول بإثباتها قول حادث ومبتدع بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته (٢).

ولقد خيم طاغوت التجسيم على أذهان المعتزلة فرأوا في إثبات الرؤية حصوله فنفوها كما نفوا إثبات الصفات بمثل ذلك .

يقول عبد الجبار :

"لأحد يدعى أنه يرى الله سبحانه إلا من اعتقده جسماً مصوراً بصورة مخصوصة ، أو يعتقد فيه أنه يحل في الأجسام" (٣).

فكل ما يقع عليه البصر إنما هو محدود ضعيف ، محوى ، محاط به ، له كل وبعض ، وفوق وتحت ، ويمين وشمال ، وأمام وخلف ، ولا يمكن أن يوصف الله بذلك لأن ذلك من صفات الأجسام ، والله ليس بجسم (٤). فمن أثبتها فقد انغمس في وحل التشبيه وتغطى بدثاره (٥). وبالتالي يتبع إثباتها لوازم باطلة - على رأيهم - يقول القاضي عبد الجبار :

"إن إثبات الرؤية يؤدي إلى حدوثه ، وإلى حدوث معنى فيه ، وإلى تشبيهه بخلقه ، وإلى تجويره في حكمه ، وإلى تكذيبه في خبره ، لأن الشيء إنما يرى إذا كان مقابلاً ، أو حالاً في المقابل ، وهذه من صفات الأجسام ، فيجب أن يكون القديم تعالى جسماً ، وإذا كان جسماً يجب أن يكون محدثاً

(١) انظر : المغنى ١٣٩/٤ ، باب ذكر المعتزلة ص ٦ ، مقالات الإسلاميين ٢٣٨/١ ،

الفرق بين الفرق ص ١١٤-١١٥ ، الملل والنحل ٤٥/١ .

(٢) انظر : فضل الاعتزال ص ١٥٨ .

(٣) المغنى ٩٩/٤ .

(٤) انظر : رسائل العدل والتوحيد ص ٧٠ ، قصيدة الصاحب ص ٥٦ .

(٥) انظر : المحيط بالتكليف ص ٢٠٨ ، فضل الاعتزال ص ١٩٦-١٩٧ .

لأن الأجسام لا تخلو من المعاني المحدثة فيؤدي إلى حدوثه ، وكذلك إذا كان جسمًا تجوز عليه الحاجة ، وتجوز عليه الزيادة والنقصان ، وإذا جازت عليه الحاجة جاز أن يجور في حكمه ، ويكذب في خبره ، تعالى عن ذلك ، فإذا كان إثبات الرؤية لله تعالى يؤدي إلى كل هذه المحالات ، فيجب أن ينفي عنه على ما نقوله "(١)".

وتطاول بعضهم فكفر من قال برؤية الله ، لأنه مشبه لله بخلقه والمشبه كافر (٢).

وليس هذا منتهى قولهم في نفى الرؤية ، بل زعموا أنه يستحيل أن يرى نفسه ، لأنه يستحيل في ذاته أن يرى ، فذاته لا ترى (٣). وهل يرى غيره؟ فهذا موضع اختلاف بينهم ، أجازة قوم ومنعه آخرون (٤).

كما اختلفوا في رؤيته بالقلوب ، فقال أبو الهذيل وأكثر المعتزلة : نرى الله بقلوبنا بمعنى أنا نعلمه بقلوبنا ، وأنكر بعضهم ذلك (٥).

وقد صرحوا بأن إثبات الرؤية لا يمكن الاستدلال عليه بالسمع ، أى بالقرآن والسنة ، لأن الاستدلال بذلك يبنى على أنه تعالى عدل حكيم لا يظهر المعجز على الكذابين ، ومن لا يقول بذلك فلا يمكنه الاستدلال بالسمع على شيء أصلاً (٦). بل "لاسمع ورد مصرحاً بأنه سبحانه يرى بالأبصار" (٧)، "ولا في كتاب الله جل وعز ذكر الرؤية فكيف يصح أن يدعى أنه تعالى سمى نفسه بأنه يرى ، أو ورد السمع به" (٨).

(١) شرح الأصول ص ٢٧٦ .

(٢) انظر : الانتصار ص ٥٥ .

(٣) انظر : المغنى ٩٤/٤ - ٩٥ ، قصيدة الصاحب ص ٥٦ .

(٤) انظر : الفرق بين الفرق ص ١١٤ - ١١٥ .

(٥) انظر : مقالات الإسلاميين ٢٣٨/١ .

(٦) انظر : شرح الأصول ص ٢٦٢ .

(٧) المغنى ١٣٧/٤ .

(٨) المرجع السابق ١٣٨/٤ .

ولذا كان عمدة أدلتهم في نفى الرؤية العقل ، وإن كانوا قد اتبعوا ذلك بأدلة عقلية .

ولهم طريقان عقليان في ذلك . بينهما القاضى عبد الجبار فقال :
"أحدهما دليل المقابلة ، والثانى دليل الموانع .

١ - فتحريير الأول : "إن من شأن أحدنا أن لا يرى إلا إذا كانت له حاسة صحيحة ، ولايكفى ذلك دون أن يكون المرئى مقابلاً لحاسته ، إن كان إنما يراه بلا واسطة ، أو يقابل ما قابل حاسته إن كان يرى بواسطة هي المرأة ، وكانت هذه القضية لازمة وواجبة في الرأى بحاسة ، لأنه مهما حصل الشرطان صح كونه رائيًا ، ومهما فقد أو فقد أحدهما امتنعت الرؤية . ومعلوم أن القديم يرى الجوهر ولا يقابله ، فإذا ثبتت هذه الجملة ، وكان من حق الرأى هنا أن لا يرى إلا ما هو مقابل لنا ، وكانت هذه القضية فيه تعالى ممتنعة ، فيجب أن تمتنع الرؤية" (١).

٢ - وتحرير الثانى : إن المنع من الرؤية إنما يصح على من يجوز أن يكون رائيًا ، بأن يكون حيًا لا آفة به ، وحاسته صحيحة ، و المرئى موجود ، فحينئذ يرد عليه من رؤية هذا المرئى منع ، والموانع أجمع راجعة إلى ما هو من تمام الحاسة ، وهو الشعاع الذى لا بد من حصوله مع المرئى على وجه مخصوص ، ولا يحدث ذلك إلا مع الأجسام ، والله تعالى ليس بجسم فامتنعت رؤيته لذلك أيضا (٢).

وخلاصة ما ذكر إن الشئ إنما يرى إذا كان مقابلًا ، أو حالًا في المقابل ، أو في حكم المقابل وهذه من صفات الأجسام (٣).

أو يوجد رائي ومرئى ولأمانع من حدوث الرؤية ، والموانع ترجع إلى الشعاع الذى هو من صفات الأجسام ، والله ليس بجسم ، فتمتنع الرؤية .

(١) المحيط بالتكليف ص ٢٠٩-٢١٠ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ٢١٠-٢١١ .

(٣) انظر : شرح الأصول ص ٢٧٦ .

فهذا عن طرقهم العقلية وأما النقلية فقد استدلوا بأدلة لتأييد ماسبق .
من ذلك :

(١) قوله تعالى :

{لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير} (١).

والدلالة من الآية على وجهين :

الأول : إن الإدراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية ، فلاحال يعقل للإنسان إذا أدرك الشيء ورآه إلا حالة واحدة ، وهو كونه رائيًا له . ولايجوز في اللغة أن يراد بالإدراك إلا الرؤية بالبصر ، ولذلك يجريان في النفس والإثبات على حد واحد ، وقد نفى عن نفسه إدراك الأبصار وذلك نفى لرؤيتها . والنفس ههنا عام من غير توقيت ، فيجب أن يقطع على أن المراد بذلك في كل حال لافرق بين الدنيا والآخرة .

الثاني : أنه سبحانه مدح نفسه بنفى الإدراك عنها ، مدحاً يرجع إلى ذاته ، فإثبات الإدراك له لا يكون إلا نقصاً وذمّاً لأنه نفى مامدح الله به ، وصفة النقص لا تجوز في حقه سبحانه وتعالى في الدنيا ولا في الآخرة . فلهذا يجب أن لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة (٢).

وقد عد المعتزلة هذه الآية من الآيات المحكمة التي يجب أن تحمل بقية الآيات التي زعموا أنها متشابهة عليها (٣).

وخلاصة وجهي الاستدلال بالآية :

الأول : إن الإدراك المقرون بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية وقد نفى ، والنفس عام في جميع الأوقات والأزمان .

الثاني : إن الله تمدح بكونه لا يرى - على فهمهم - وماكان عدمه مدحاً كان وجوده نقصاً يجب تنزيه الله عنه (٤).

(١) سورة الأنعام : آية ١٠٣

(٢) انظر : المغني ٤/١٤٦، ١٥٠ ، شرح الأصول ص ٢٣٣ ، المحيط ص ٢١٢ ، متشابه القرآن ص ٢٥٥ ، شرح قصيدة الصاحب ص ٥٤ .

(٣) انظر : رسائل العدل والتوحيد ص ١٠٧ .

(٤) رؤية الله تعالى ص ٣٥ .

(٢) قوله تعالى :

{ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين}{(١)}.

ولهم عدة أوجه في الاستدلال بالآية :

الأول : قوله تعالى : "لن تراني".

إن الله أنكر على موسى طلبه فغيره أولى بالإنكار ، لأن الرؤية تضمن

المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم .

فإن قيل : كيف طلب موسى عليه السلام رؤية الله وهو من أعلم

الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز . ومن ذلك تعالىه عن الرؤية؟

الجواب : بأنه ما طلب ذلك إلا لبيكت الذين طلبوا رؤية الله عندما

قالوا : "أرنا الله جهرة" فأنكر عليهم ذلك ، وبين لهم أنه خطأ ، ولكنهم

تمادوا في لجاجهم وأصروا على طلب الرؤية ، فأراد موسى أن يسمعوا النص

من عند الله باستحالة ذلك فقال له "لن تراني" فإذا سمعوه تيقنوا وانزاح

عنهم مادخلهم من شبه ، فطلب موسى عبارة عن ترجمة عن مقترحهم

وحكاية عن قولهم (٢).

وقال عبد الجبار :

"إنه التمس من الله تعالى أن يعرفه نفسه ضرورة بقوله "رب أرني

أنظر إليك" لأن الرؤية قد تنطلق على المعرفة ، فكأنه قال : عرفني نفسك

باضطرار لأكون من الشبه أبعد ، وإلى السكون والطمأنينة أقرب ، وأراد أن

يظهر تعالى من الآيات العظيمة ما عنده تحصل هذه المعرفة ، فذكر نفسه في

قوله : "أنظر إليك" وإنما أراد الآيات التي يحدثها ، فقال تعالى : "لن تراني"

(١) سورة الأعراف : آية ١٤٣

(٢) انظر : الكشف ٨٩/٢ - ٩٠ .

مبيناً له أن مع التكليف لا يجوز أن يعرفه باضطرار^(١).
 الثانى : إن "لن" تفيد تأكيد النفى الذى تعطيه "لا" ، لأن "لا" تنفى
 المستقبل . وذلك كقوله : {لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له} (٢)، فقوله
 "لاتدركه الأبصار" نفى للرؤية فيما يستقبل ، وقوله "لن ترانى" تأكيد وبيان
 لأن المنفى مناف لصفاته (٣).

وقد طرح الزمخشري فى هذا الموضع سؤالاً : "فإن قلت كيف اتصل
 الاستدراك فى قوله {ولكن انظر الى الجبل} بما قبله؟
 أجاب قائلًا : "اتصل به على معنى إن النظر إلى محال فلا تطلبه ولكن
 عليك بنظر آخر وهو أن تنظر إلى الجبل الذى يرجف بك وبمن طلبت
 الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله دكاً بسبب طلبك الرؤية
 لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره كأنه عز وعلا حقق عند
 طلب الرؤية مأمثله عند نسبة الولد إليه فى قوله : {وتخر الجبال هداً أن
 دعوا للرحمن ولداً} (٤)(٥).

ويؤيد ماذهب إليه الزمخشري فى أن "لن" تفيد التأييد القاضى عبد
 الجبار فيقول :

"يدل ظاهره - أى قوله "لن ترانى" - على أنه لا يراه أبداً ، لأن
 النفى على هذا الوجه يوجب ذلك فى اللغة ، كقوله تعالى : {فإن لم تفعلوا
 ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس} (٦) إلى ما شاكله" (٧).

(١) متشابه القرآن ص ٢٩٤ .

(٢) سورة الحج : آية ٧٣

(٣) انظر : الكشف ٨٩/٢ - ٩٠ .

(٤) سورة مريم : آية ٩٠ - ٩١

(٥) انظر المرجع السابق ٨٩/٢ - ٩٠ .

(٦) سورة البقرة : آية ٢٤

(٧) المغنى ١٦٩/٤ - ١٧٠ .

ويقول : "فأما شيوخنا رحمهم الله ، فقد استدلوا بهذه الآية على أنه تعالى لا يرى ، لأنه تعالى قال : "لن تراني" وذلك يوجب نفى رؤيته تعالى في المستقبل أبداً ، فإذا صح ذلك من موسى وجب مثله في الأنبياء والمؤمنين" (١).

الثالث : قوله تعالى : {ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً} .

زعم الزمخشري أن ذلك تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه ويسويه بالأرض (٢).

واستفاض عبد الجبار في بيان وجه الدلالة فذكر أن الله نفى أن يراه موسى عليه السلام وأكد ذلك بأن علقه باستقرار الجبل ، وقد جعل الجبل دكاً منبهاً بذلك على أن رؤيته لا تقع لتعليقه بإياها بأمر وجد ضده على طريق التباعد المشهور عند العرب ، فهم يؤكدون الشيء بما يعلم أنه لا يقع على جهة التباعد كقول الشاعر :

إذا شاب الغراب أتيت أهلى

وصار القار كاللبن الحليب

وكقوله تعالى : {ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط} (٣).

ثم جعل الله الجبل دكاً مبيناً به انتفاء استقراره وفي ذلك دليل على أن الرؤية لا تقع (٤).

وقد أورد عبد الجبار اعتراضاً حول معنى قول الله تعالى : {فلما تجلى ربه للجبل} ، قال فيه :

(١) متشابه القرآن ص ٢٩٦ .

(٢) انظر : الكشاف ٩١/٢ .

(٣) سورة الأعراف : آية ٤٠

(٤) انظر : المغنى ١٦١/٤ - ١٦٢ ، متشابه القرآن ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

"والمراد بقوله : {فلما تجلى ربه للجبل} ، فلما أظهر من آياته وقدرته ما أوجب أن يصير دكاً . وقد يقال تجلى بمعنى جلى ، كما يقال : حدث وتحدث ، ولذلك قال فى الساعة : {لا يجليها لوقتها إلا هو} (١) ، وظاهر جلى وتجلي : هو الإظهار ، فيجب أن يحمل على إظهار القدرة ، يبين ذلك أنه تعالى علق جعله الجبل دكاً بالتجلي ، ولو أراد به تجلى ذاته لم يكن لذلك معنى ، لأنه لو كان الجبل يجب أن يصير دكاً ، أو أراد : تجلى بمعنى المقابل فلو يجب أن لا يستقر له مكان ، بل كان يجب فى العرش أن يصير دكاً ، وأن يكون بهذه الصفة أحق .

ولو كان فى الحقيقة تجلى الجبل ، بمعنى أنه أظهر وزال الحجب ، لكان من على الجبل يراه أيضاً ، فكان لا يصح مع ذلك قوله : "لن ترانى" وكان لا يصح أن يعلق نفى الرؤية بأن لا يستقر الجبل ، والمعلوم أنه لا يستقر بأن ينكشف ويرى ، لأن ذلك فى حكم أن يجعل الشرط فى أن لا يرى ما يوجب أن يرى ، وذلك متناقض" (٢).

وقال : "فأما التجلى فإنما يصح أن يتعلق به من يزعم أنه تعالى جسم يجوز عليه الانتقال ، فأما من لا يقول بذلك ويقول إنه لا كالأجسام ، وأنه ليس بمؤلف فتعلقه بهذا الظاهر ، وإن أطلق هذا القول فيه تعالى ، لا يصح" (٣).

الرابع : قوله تعالى : {وخر موسى صعقاً} .

قال الزمخشري : "وخر موسى صعقاً" من هول مارأى .. ومعناه خر مغشياً عليه غشية كالموت ، وروى أن الملائكة مرت عليه وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون : يا ابن النساء الحيض أطمعت فى رؤية رب العزة؟ (٤)

(١) سورة الأعراف : آية ١٨٧

(٢) متشابه القرآن ص ٢٩٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٩٧ .

(٤) الكشف ٩١/٢ .

الخامس : قوله تعالى : {قال سبحانه تبت إليك وأنا أول المؤمنين} .
قال الزمخشري : "في قوله تعالى : "قال سبحانه" أى أنزهك مما لا يجوز
عليك من الرؤية وغيرها . "تبت إليك" : من طلب الرؤية . "وأنا أول
المؤمنين" : بأنك لست بمردى ولا مدرك بشيء من الحواس .
ثم يورد سؤالاً فيقول : "فإن كان طلب الرؤية للغرض الذى ذكرته
فمم تاب موسى ؟"

قلت : من إجراءات تلك المقالة العظيمة وإن كان لغرض صحيح على
لسانه من غير إذن فيه من الله تعالى . فانظر إلى إعظام الله تعالى أمر الرؤية
فى هذه الآية ، وكيف أرفج الجبل بطالبيها وجعله دكاً وكيف أصعقهم ،
ولم يخل كلمه من نفيان ذلك مبالغة فى إعظام الأمر ، وكيف سبح ربه
ملتجأً إليه وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال "أنا أول المؤمنين"
ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا
هذه العظيمة مذهباً ولا يغرنكم تسترهم بالبلكفة فإنه من منصوبات أشياخهم .
والقول ما قال بعض العدلية فيهم :

لجماعة سموا هواهم سنة

وجماعة حمر لعمرى موكفة (١)

قد شبهوه بخلقهم وتخوفوا

شنع الورى فتستروا بالبلكفة (٢)

ثم أورد المعتزلة أحاديث وآثاراً زعموا أنها تدل على نفى الرؤية منها :

(١) ماروى عن سمرة بن جندب أنه قال :

سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل نرى ربنا فى الآخرة ؟

(١) موكفة : من الوكف : محركة . وهو الميل والجور ، والعيب والإثم .

القاموس المحيط ص ١١١٣ .

(٢) الكشف ٩١/٢ - ٩٢ .

ويعنى بالبلكفة : قول أهل السنة : بلا كيف .

قال : فانتفض فسقط ولصق بالأرض وقال : "لا يراه أحد ولا ينبغي لأحد أن يراه" (١).

(٢) مناسب لعائشة :

"إنها سمعت بأن القوم يقولون : بأن الله يرى ، فقالت : لقد قف شعري مما قلتموه ، ودفعت ذلك بقوله تعالى : {لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار} (٢).

وأما موقفهم من أدلة الإثبات اقتصر على ذكر مثالين أحدهما من القرآن والآخر من السنة .

المثال الأول :

قوله تعالى : {وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة} (٣).

ولهم أوجه في صرف دلالتها :

(١) إن ظاهرها يقتضى التشبيه فيجب تأويلها (٤).

(٢) إنها من المتشابه الذى يجب أن يأول لكى يتفق مع الآيات المحكمة

التي تنفى الرؤية كقوله تعالى : {لاتدركه الأبصار} (٥).

ولهم أوجه في تأويلها :

قال عبد الجبار :

"وقوله تعالى : {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} لا يدل ظاهره على

أنه تعالى يرى من وجوه :

(١) انظر : شرح قصيدة الصاحب ص ٥٤ .

ولم أقف على هذا الحديث فى شيء من كتب أهل العلم . وهو مناهض للآيات والأحاديث التي تثبت رؤية الله فى الآخرة . ولا يبعد وضعه .

(٢) فضل الاعتزال ص ١٥٩ .

وسوف يأتي تخريج حديث عائشة والكلام عنه .

(٣) سورة القيامة : آية ٢٢ - ٢٣

(٤) انظر : المحيط بالتكليف ص ٢٠٨ .

(٥) انظر : رسائل العدل والتوحيد ص ١٠٨ .

أحدها : أنه تعالى ذكر أنها ناظرة إلى ربها ، والنظر غير الرؤية ، لأنه إذا علق بالعين فالمراد طلب الرؤية ، كما إذا علق بالقلب ، فالمراد طلب المعرفة ، ولذلك يقول القائل : نظرت إلى الشيء فلم أره ، ونظرت إليه حتى رأيته ، فلذلك نعلم باضطرار أن الناظر ناظر ولانعلمه رائياً إلا بخبره . ولذلك أضافت العرب النظر لإضافات ، فجعلت منه نظر الراضى والغضبان ... إلى غير ذلك ، ولم تضيف الرؤية على هذا الحد ، وإذا كان النظر غير الرؤية - لما ذكرناه - فكيف يدل الظاهر على أنهم يرون الله ؟

ومتى قالوا : إذا ثبت بالظاهر أنه ينظر إليه ، وجب أن يكون مما يصح رؤيته ، قلنا : هذا يؤدي إلى أن يكون جسماً في جهة مخصوصة ، لأن النظر هو تقليب الحدقة نحو الشيء التماساً لرؤيته وهذا لا يصح إلا والمطلوب رؤيته في جهة مخصوصة ، وذلك يوجب أنه جسم ، تعالى الله عن ذلك ! ولهذا قلنا : إنه تعالى لما خلق النظر بنفسه ، وعلمنا أن ذلك لا يصح فيه ، وجب أن يكون المراد به الثواب ، لأن الحكم الذى يقتضيه الاسم إذا لم يصح فيما علق به ، وجب أن يكون المراد غيره ، كقوله تعالى : { واسأل القرية } ^(١) . إلى غير ذلك من وجوه المجاز .

والثانى : أنه تعالى وصف الوجوه بأنها ناظرة ، وقد علمنا أن هذه اللفظة تفيد الجملة ، لأن الناظر هو الإنسان دون بعضه ، كما أنه العالم والقادر والفاعل ، فإذا صح وكان الإنسان يوصف على أنه ناظر على وجه فيراد به الانتظار ، وقد يراد به تقليب الحدقة طلباً للرؤية ، وقد يراد به التفكير بالقلب طلباً للمعرفة ، فليس فى الظاهر - إذن - دلالة على ما قاله القوم وهو محتمل له ولغيره .

والثالث : أنه تعالى أراد بذكر الوجوه جملة الإنسان ، لا البعض المخصوص ، ولذلك وصف الوجوه بأنها ناظرة ، وذلك يليق بها دون الأبعاض ، ولذلك قال من بعد : { وجوه يومئذ بأسرة تظن أن يفعل بها فاقرة } ^(٢) ، فوصفها بالظن الذى لا يليق بالوجه . فإذا صح ذلك وجب كون

(١) سورة يوسف : آية ٨٢

(٢) سورة القيامة : آية ٢٤، ٢٥

الكلام مجملًا ، لأن الجملة إذا وصفت بأنها ناظرة ، لم يفهم أن المراد به الرؤية " (١) .

وقالوا : إن المراد بها ليس النظر بالأحداق ولكن النظر إلى ثوابه ومأعد لأوليائه ، فيكون قد حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، كقوله تعالى : {واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها} (٢) .
وقال الزمخشري :

"اختصاصه بنظرهم - أى المؤمنين - إليه لو كان منظوراً إليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص ، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس : أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بى تريد معنى التوقع والرجاء . والمعنى أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا فى الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه" (٣) .

وقال أبو على الجبائى :
"إن" إلى "ههنا ليست حرف جر لكنها اسم وهى واحدة الآلاء وهى النعم فهى فى موضع مفعول ومعناه نعم ربها منتظرة" (٤) .
المثال الثانى :

قوله صلى الله عليه وسلم : "سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر" (٥) .

قعد عبد الجبار قاعدة عامة تكشف موقف المعتزلة من أحاديث الرؤية فقال :

(١) متشابه القرآن ص ٦٧٣-٦٧٤ .

(٢) انظر : المحيط بالتكليف ص ٢١٣ ، شرح قصيدة الصاحب ص ٥٤-٥٥ .
والآية هى ٨٢ من سورة يوسف .

(٣) الكشاف ١٦٥/٤ .

(٤) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٣/٣ .

(٥) سوف يأتى تخريج الحديث والكلام عنه .

"ومما يتعلقون به أخبار مروية عن النبي صلى الله عليه وآله ، وأكثرها يتضمن الجبر والتشبيه ، فيجب القطع على أنه صلى الله عليه وسلم لم يقله ، وإن قال فإنه قاله حكاية عن قوم ، والراوى حذف الحكاية ونقل الخبر" (١).

ثم تناول الحديث السابق مبينا بأنه أشق وأعظم ما يمسك به من يثبت الرؤية ، وقد حاول دفعه وردّه بأجوبة :
أحدها : إنه يتضمن الجبر والتشبيه ، لأن القمر لا يرى إلا مدوراً عالياً منوراً ، ولا يجوز أن يرى الله على هذا الحد . فلا بد من القطع على أن هذا الخبر كذب عن النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لم يقله ، وإن قاله فإنما هو حكاية عن قوم .

الثانى : إنه يروى عن قيس بن أبى حازم (٢) عن جرير بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم . ثم طعن فى قيس من وجهين :
الوجه الأول : إنه كان يرى رأى الخوارج . ودليله على ذلك أنه قال - أى قيس - : "منذ سمعت علياً على منبر الكوفة يقول : انفروا إلى بقية الأحزاب - يعنى أهل النهروان - (٣) دخل بغضه قلبى" . فقال عبد الجبار : "ومن دخل بغض أمير المؤمنين قلبه ، فأقل أحواله أن لا يعتمد على قوله ولا يحتج بخبره" .

الوجه الثانى : قيل إنه خولط فى عقله آخر عمره ، والكتبة يكتبون عنه كعادتهم فى حال عدم التمييز ، ولاندرى أن هذا الخبر رواه وهو صحيح العقل أو مختلط .

(١) شرح الأصول ص ٢٦٨ .

(٢) تأتى ترجمته والكلام عنه .

(٣) النهروان :

موضع واسع بين بغداد وواسط من الجانب الشرقى .

كان بها وقعة مشهورة لأمير المؤمنين على بن أبى طالب مع الخوارج .

انظر : معجم البلدان ٣٢٤/٥ ، مرصد الإطلاع ١٤٠٧/٣ .

الثالث : لو صح وسلم فهو خير آحاد ، وخير الواحد لا يقتضى العلم ،
ومسألة الرؤية طريقها القطع والثبات .

الرابع : إنه معارض بأخبار رويت ، منها :
مارواه أبو قلابة عن أبي ذر أنه قال : قلت للنبي : "هل رأيت ربك" ؟
فقال : "نور هو ، أنى أراه" .
أى أنور هو ؟ كيف أراه؟ (١)

وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
"لن يرى الله أحد في الدنيا ولا في الآخرة" (٢)(٣).

الخامس : إن المراد بالرؤية في الحديث العلم وليست الرؤية البصرية.
قال عبد الجبار :

ثم نتناوله نحن على وجه يوافق دلالة العقل ، فنقول المراد به سترون
ربكم يوم القيامة ، أى ستعلمون ربكم يوم القيامة كما تعلمون القمر ليلة
البدر . وعلى هذا قال : لاتضامون في رؤيته ، أى لاتشكون في رؤيته فعقبه
بالشك ، ولو كان بمعنى رؤية البصر لم يجوز ذلك. والرؤية بمعنى العلم مما نطق
به القرآن ، وورد به الشعر" (٤).

وقال الزمخشري:

"سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر" بمعنى ستعرفونه معرفة
جلية هى في الجلاء كإبصاركم القمر إذا امتلأ واستوى" (٥).
فحمل الرؤية على المعرفة بينما حملها عبد الجبار على العلم .

(١) سوف يأتى تخريج الحديث والكلام عنه .

(٢) لم أقف عليه فى شىء من كتب أهل العلم . وهو معارض للآيات والأحاديث
الصحيحة التى تدل على رؤية الله فى الآخرة ولايبعد أن يكون موضوعا من قبل
أهل الاعتزال .

(٣) انظر : شرح الأصول ص ٢٦٨-٢٧٠ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٧٠ .

(٥) الكشف ٩٢/٢ .

موقف السلف من رؤية الله ، والجواب على شبه المعتزلة :
لقد اتفق سلف هذه الأمة وأئمتها من أهل السنة والجماعة على أن الله سبحانه يرى في الدار الآخرة ، يراه المؤمنون رؤية حقيقية تليق به سبحانه وتعالى من غير إحاطة ولا كيفية .

كما اتفقوا على أنه لا يراه أحد بعيني رأسه في الدنيا ، وذلك لقوله تعالى لموسى { لن تراني } (١) ، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم : "تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت" (٢) . وهي وإن كانت جائزة عقلاً وليست بمستحيلة إلا أن البشر لا يطيقون رؤيته في هذه الدار لعجز أبصارهم وضعفها . ولذا من ادعى رؤية الله في الدنيا بعيني رأسه فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة . وهو ضال (٣) .

وإنما الخلاف في رؤية نبينا صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل بعينه في الدنيا ، فأثبت ذلك قوم ونفاه آخرون . والصحيح أنه لم يره بعينه لقوله في حديث أبي ذر : "نور أنى أراه" . وفي رواية "رأيت نوراً" (٤) . وموضوع رؤية الله في الآخرة من أشرف مسائل أصول الدين ، وهي أعظم أنواع النعيم الذي خص الله به أوليائه وحرمه أعداءه .

-
- (١) سورة الأعراف : آية ١٤٣
(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٢٣٠/٢ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٠٨ .
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، من حديث بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . كتاب الفتن وأشراط الساعة (٥٢) ، باب ذكر ابن صياد (١٩) برقم ٢٩٣١ ، ٢٢٤٥/٤ .
(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٣٨٩/٣ ، بيان تلبيس الجهمية ٣٥٨/١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٥ ، لوامع الأنوار ٢٨٥/٢ ، الجامع لأحكام القرآن ٥٥/٧ .
(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٢٣٠/٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، رؤية الله تعالى ص ١٣٠ .
والحديث : أخرجه مسلم في صحيحه بروايته . كتاب الإيمان (١) ، باب في قوله عليه السلام : "نور أنى أراه" ، وفي قوله : "رأيت نوراً" (٧٨) برقم ١٧٨ ، ١٦١/١ .

قال السفاريني رحمه الله :

"ورؤية الله رب العالمين أعظم وأجل وأشرف وأنعم نعيم الجنة قدراً وأعلاه وأغلاه خطراً وأمراً ، وهى الغاية القصوى والنهاية العظمى التى شمر إليها السابقون وتنافس فيها المتنافسون واتفق الأنبياء والمرسلون والصحابة والتابعون وأئمة السلف والدين على ثبوتها فى دار القرار من غير شك ولا إنكار وإنما أنكرها أهل البدع والضلال والتجهم والاعتزال" (١). وقد تضافرت على إثباتها أدلة الكتاب والسنة ، وأجمع على ذلك سلف الأمة (٢).

وهذه بعض النصوص التى تدل على إثباتها من القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال سلفنا الصالح .

(أ) القرآن الكريم :

(١) قوله تعالى :

{ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين} (٣).

وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة :

أحدها : إنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه مالا يجوز عليه ، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال .

الوجه الثانى : إن الله سبحانه لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالاً لأنكره عليه . ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف

(١) لوامع الأنوار ٢/٢٤١ .

وانظر : حادى الأرواح ص ٢١٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٩ .

(٢) انظر : حادى الأرواح ص ٢١٢ ، لوامع الأنوار ٢/٢٤١ ، شرح لمعة الاعتقاد ص ٥٠، ٤٩ .

(٣) سورة الأعراف : آية ١٤٣

يحيى الموتى لم ينكر عليه . ولما سأل عيسى بن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله . ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال : {إني أعظك أن تكون من الجاهلين} (١).

الوجه الثالث : إنه أجابه بقوله : "لن ترانى" ولم يقل لا ترانى ولا أنى لست برئى ، ولا تجوز رؤيتى ، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله . وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته فى هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى .

الوجه الرابع : قوله تعالى : {ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى} . فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له فى هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذى خلق من ضعف .

الوجه الخامس : إن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا بمتنع فى مقدوره ، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت محالاً فى ذاتها لم يعلقها بالممكن فى ذاته . بل لو كانت محالاً لكان ذلك نظير أن يقول : إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام .
الوجه السادس : قوله سبحانه وتعالى : {فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً} وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذى هو جماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لأتبيائه ورسله وأوليائه فى دار كرامته ويريهم نفسه؟ فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته فى هذه الدار فالبشر أضعف .

الوجه السابع : إن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه وخاطبه وناجاه وناداه ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبة كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم (٢).

(١) سورة هود : آية ٤٦

(٢) حادى الأرواح ص ٢١٢-٢١٣ بتصرف .

وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩١-١٩٢ .

- (٢) قوله تعالى : {وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة} (١).
 قال ابن عباس : "تنظر إلى وجه ربها عز وجل" .
 وقال الحسن (٢): "نظرت إلى ربها فنضرت بنوره" .
 وقال عكرمة (٣): "إلى ربها ناظرة" . تنظر إلى ربها نظراً!
 وذكر اللالكائي رحمه الله أنه قد قال بذلك جماعة من التابعين ،
 واستدل بالآية على جواز الرؤية مالك والشافعي رحمهما الله (٤).
 وهو قول المفسرين من أهل السنة (٥).
 قال الإمام ابن كثير رحمه الله : "{وجوه يومئذ ناضرة} من النضارة
 أى حسنة بهية مشرقة مسرورة . {إلى ربها ناظرة} : أى تراه عياناً" (٦).

(١) سورة القيامة : آية ٢٢، ٢٣

(٢) الحسن :

هو الحسن بن أبى الحسن البصرى ، واسم أبيه : يسار ، الأنصارى ، مولا هم ،
 ثقة فقيه ، فاضل ، مشهور ، كان يرسل كثيراً ويدلس .
 روى عن عمران بن حصين ، وأبى موسى ، وابن عباس . وعنه ابن عون
 ويونس . مات سنة ١١٠هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٤٠/٣-٤٢ ، الطبقات الكبرى ١٥٦/٧ ، تذكرة الحفاظ
 ٦٦/١ ، الكاشف ٢٢٠/١ ، تهذيب التهذيب ٢٦٣/٢ ، تقريب التهذيب ١٦٥/١ .
 عكرمة : (٣)

هو عكرمة بن عبد الله ، مولى ابن عباس ، أصله بربرى ، ثقة ثبت ، عالم
 بالتفسير ، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ، ولا يثبت عنه بدعة . روى عن ابن
 عباس ، وعائشة ، وأبى هريرة . وعنه إبراهيم النخعى ، والشعبى ، وخلق . مات
 سنة ١٠٧هـ وقيل بعدها .

انظر : طبقات ابن سعد ٢٨٧/٥ ، الجرح والتعديل ٧/٧ ، تذكرة الحفاظ ٩٥/١ ،
 ميزان الاعتدال ٩٣/٣ ، تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧ ، تقريب التهذيب ٣٠/٢ .

(٤) انظر : شرح اعتقاد أهل السنة ٤٦٤/٢ .

(٥) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٠ .

(٦) تفسير القرآن العظيم ٤٥٠/٤ .

(٣) قوله تعالى :

{للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون} (١).

الحسنى : هى الجنة ، والزيادة : هى النظر إلى وجه الله الكريم ، بذلك فسرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابه والتابعون وأئمة السلف رضى الله عن الجميع .

روى مسلم بسنده إلى صهيب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل . ثم تلا هذه الآية : {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} (٢).

قال ابن القيم رحمه الله :

"ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى التى هى الجنة دل على أنها أمر آخر وراء الجنة وقدر زائد عليها" (٣).

(٤) قوله تعالى : {لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد} (٤).

جاء عن على وأنس رضى الله عنهما أن المزيد هو النظر إلى وجه الله تعالى (٥).

(١) سورة يونس : آية ٢٦

(٢) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤٥٥/٢ فما بعدها ، الاعتقاد ص ٧٦، ٧٧ ، الجامع لأحكام القرآن ٣٣٠/٨ ، حادى الأرواح ص ٢١٤-٢١٥ ، تفسير القرآن العظيم ٤١٤/٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٠ .

والحديث أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الإيمان (١) ، باب إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (٨٠) برقم ١٨١ ، ١٦٣/١ .

(٣) حادى الأرواح ص ٢١٥ .

(٤) سورة ق : آية ٣٥

(٥) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤٦٩/٢ ، الجامع لأحكام القرآن ٢١/١٧ ، حادى الأرواح ص ٢١٦ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٠ .

- (٥) قوله تعالى : {وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً} (١).
قال الرازي : "فإن إحدى القراءات في هذه الآية في "ملكاً" بفتح الميم وكسر اللام ، وأجمع المسلمون على أن ذلك الملك ليس إلا الله تعالى ، وعندى أن التمسك بهذه الآية أقوى من التمسك بغيرها" (٢).
(٦) قوله تعالى : {واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه} (٣).
وقوله تعالى : {تحييتهم يوم يلقونه سلام} (٤).
وقوله تعالى : {فمن كان يرجو لقاء ربه} (٥).
وقوله تعالى : {قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله} (٦).
أجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحى الذى سلم من العمى والممانع اقتضى المعاينة والرؤية (٧).
(٧) قوله تعالى : {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون} (٨).
قال الزجاج : "في هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يرى في القيامة ، ولولا ذلك ماكان في هذه الآية فائدة ، ولاخصت منزلة الكفار بأنهم محجوبون".
وقال مالك بن أنس في هذه الآية : "لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه".

(١) سورة الإنسان : آية ٢٠

(٢) التفسير الكبير ١٣١/١٣ .

وانظر : رؤية الله تعالى ص ١٠٠ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٢٣

(٤) سورة الأحزاب : آية ٤٤

(٥) سورة الكهف : آية ١١٠

(٦) سورة البقرة : آية ٢٤٩

(٧) حادى الأرواح ص ٢١٣-٢١٤ بتصرف . وانظر : الاعتقاد ص ٧٦ .

(٨) سورة المطففين : آية ١٥

وقال الشافعي : " لما حجب قوماً بالسخط ، دل على أن قوماً يرونه بالرضا . ثم قال : أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا " (١).

وجمهور المفسرين ذهبوا إلى تفسير حجب الكفار عن ربهم بالمنع من رؤيته يوم القيامة (٢).
(ب) أدلة السنة :

أما الأحاديث الصحيحة التي تدل على رؤية الله في الآخرة فهي كثيرة متوافرة بلغت حد التواتر ، في الصحاح والسنن والمسانيد ، وقد اعتنى بجمعها أئمة كالدارقطني وأبي نعيم وأبي بكر الآجري وغيرهم (٣). وقد رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو ثلاثين صحابياً (٤)، ونص على تواترها جماعة من الأئمة (٥).

من تلك الأحاديث :

(١) روى البخارى بسنده إلى جرير قال :

"كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٦١/١٩ .

(٢) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢٦٦/٢ فما بعدها ، الاعتقاد ص ٨٣ ، حادى الأرواح ص ٢١٦ ، تفسير القرآن العظيم ٤٨٥/٤ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩١ ، شرح لمعة الاعتقاد ص ٤٩ ، رؤية الله تعالى ص ٢٢٢ .

(٣) انظر بيان تلبيس الجهمية ٣٤٨/١ .

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٤ .

(٥) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٣٤٨/١ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٦٢ ، حادى الأرواح ص ٢١٩ ، تفسير القرآن العظيم ١٦٢/٢ ، ٤٨٦، ٤٥٠/٤ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٣ ، رؤية الله تعالى ص ٢٢٢ .

الشمس فافعلوا" (١).

وفي رواية عنه رضى الله عنه قال : "قال النبي صلى الله عليه وسلم :
إنكم سترون ربكم عياناً" (٢).

(٢) وروى بسنده إلى أبي هريرة :

" أن الناس قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا :
لا يا رسول الله ، قال فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا
لا يا رسول الله. قال : فإنكم ترونه كذلك .. الحديث (٣).

(٣) وروى بسنده إلى أبي موسى الأشعري :

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما
وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم

(١) صحيح البخارى ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى : {وجوه يومئذ
ناضرة إلى ربها ناظرة} (٢٤) ، ١٧٩/٨ .

وأخرجه بلفظ مقارب في كتاب المواقيت (٩) ، باب فضل صلاة العصر (١٦) ،
١٣٨/١ ، وفي باب فضل صلاة الفجر (٢٦) ، ١٤٣/١ ، وفي كتاب التفسير (٦٥) ،
تفسير سورة ق ، (٥٠) ، باب وسيح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
(٢) ، ٤٨/٦ .

وأخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥) ،
باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (٣٧) ، برقم ٦٣٣ ، ٤٣٩/١ .
(٢) هذه الرواية أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله
تعالى {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} (٢٤) ، ١٧٩/٨ .

(٣) صحيح البخارى في الكتاب والباب السابقين ١٧٩/٨ .
وأخرجه بلفظ مقارب في كتاب الرقاق (٨١) ، باب الصراط جسر جهنم (٥٢) ،
٢٠٥/٧ .

وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان (١) ، باب معرفة طريق الرؤية (٨١)
برقم ١٨٢ ، ١٦٣/١ - ١٦٤ .

وأخرج نحوه في كتاب الزهد والرقاق (٥٣) برقم ٢٩٦٨ ، ٢٢٧٩/٤ - ٢٢٨٠ .

إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن" (١).

(ج) آثار السلف :

وأما الآثار التي وردت عن سلفنا الصالح رضوان الله عليهم في إثبات رؤية الله جل ذكره في الآخرة للمؤمنين فهي أكثر من أن تذكر ، ويكفيها في هذا المقام أن نشير إلى بعضها ، وفي القليل ما يغني عن الكثير .

(١) قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله :

"من كذب بالرؤية فهو زنديق" . وقال : "نؤمن بها أي الرؤية وأحاديثها ونعلم أنها حق فنؤمن بأن الله يرى ، نرى ربنا يوم القيامة لانشك فيه ولا نرتاب" . وقال : "من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله ، وكذب بالقرآن ، ورد على الله أمره ، يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل" (٢).

(٢) قال الأوزاعي رحمه الله :

"إني لأرجو أن يحجب الله عز وجل جهماً وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده أوليائه حين يقول : {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} فوجد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده أوليائه" (٣).

(٣) قال الربيع بن سليمان (٤):

(١) صحيح البخارى ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى : {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} (٢٤) ، ١٨٥/٨ .

وأخرجه في كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة الرحمن (٥٥) ، باب قوله : {ومن دونهما جنتان} (١) ، ٥٦/٦ ، إلا أنه قال : "رداء الكبير" .

وأخرجه بنحوه كذلك في التفسير ، باب {حور مقصورات في الخيام} (٢) ، ٥٦/٦ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان (١) ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (٨٠) برقم ١٨٠ ، ١٦٣/١ .

(٢) لوامع الأنوار ٢٤٦/٢ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٠٣/٢ .

(٤) الربيع بن سليمان :

هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادى ، أبو محمد المصرى المؤذن ، صاحب الشافعى . ثقة فقيه . روى عن عبد الله بن وهب والشافعى وأبى صالح . وعنه أبو داود والنسائى وابن ماجه . مات سنة ٢٧٠ هـ .

"حضرت محمد بن إدريس الشافعى وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها :
ما تقول فى قول الله تبارك وتعالى : {كلا إنهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون}؟" (١)

قال الشافعى : "فلما أن حجبا هؤلاء فى السخط كان فى هذا دليل
على أنهم يرونه فى الرضا".

قال الربيع : قلت : يا أبا عبد الله وبه نقول؟

قال : "نعم وبه أدين الله ، لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله
لما عبد الله تعالى" (٢).

مما سبق من أدلة يتبين لنا أن رؤية الله عز وجل فى الآخرة ثابتة
للمؤمنين دون الكفار (٣)، وإن كان الخلاف قائماً بين العلماء فى رؤية الكفار
له فى الموقف (٤).

وأما ما أثارتته المعتزلة من شبه زاعمة أنها تنفى بها رؤية الله يوم
القيامة ، فهى شبه واهية لاتنهض لمقاومة ماسبق من أدلة ، وقد انقض عليها
علماء السلف رضوان الله عليهم فكشفوا عوارها فتساقطت أمامهم شبهة تلو
الأخرى ، وتهاوت ، وبان الحق ناصعاً أبيض لابس فيه ولاغموض .
وهذا بيان ذلك :

زعمهم بأن القول بها حادث بعد الرسول صلى الله عليه وسلم
والصحابه . زعم باطل وقول منكر مخالف للحقيقة والواقع ، فالآيات السابقة
شاهدة على إثباتها ، وتلك الأحاديث المتواترة التى نصت صراحة على

= انظر : الجرح والتعديل ٤٦٤/٣ ، تذكرة الحفاظ ٥٨٦/٢ ، طبقات الشافعية
١٣٩، ١٣٢/٢ ، تهذيب التهذيب ٢٤٥/٣-٢٤٦ ، تقريب التهذيب ٢٤٥/١ .

(١) سورة المطففين : آية ١٥

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٠٦/٢ . وانظر مناقب الشافعى ٤١٩/١ .

(٣) انظر : شرح لمعة الاعتقاد ص ٥٠ .

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٦ .

وقوعها ، وانعقد على ذلك إجماع السلف رضى الله عنهم . بل القول
ينفيها هو البدعة والإحداث في الدين .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"ومسألة الرؤية كانت من أكبر المسائل الفارقة بين السنة المثبتة وبين
الجهمية حتى كان علماء أهل الحديث والسنة يصفون الكتب في الإثبات
ويقولون "كتاب الرؤية" و "الرد على الجهمية" وكذلك الأحاديث التي تنكرها
الجهمية من أحاديث الرؤية وما يتبعها ، ويعدون من أنكر الرؤية معطلاً" (١).
دعواهم أنه لا يراه إلا من اعتقده جسماً وشبهه بخلقه وما يلزم ذلك من
لوازم باطلة - على رأيهم - .

إن التجسيم والتشبيه من الأمور التي رانت على أذهان أهل الاعتزال
وخيمت على عقولهم حتى حجت عنهم نور الحق ، فظلموا في ظلام دامس ،
ولذلك كلما سطعت أمام أبصارهم أنوار الأدلة التي تثبت الكمال لله
كنصوص الرؤية سارعوا إليها محاولين إطفاءها بحجة أنها تجسيم وتشبيه ،
والعلة في ذلك عجز عقولهم عن الخلاص من وحل التجسيم وتتن التشبيه ،
وقد سبق بيان ذلك في حديثنا عن الصفات (٢).

فقد انطلق المعتزلة في نفى الرؤية من قاعدة التجسيم والتشبيه كما نفوا
من قبل الصفات بذلك ، وما أجيبوا به هنالك يجابون به هنا .

ونفيهم للرؤية عن الله لا تنزيه لهم فيه ، بل تنزيه الله يكون بإثبات
صفات الكمال له ونفى ما يضادها ، وإثبات الرؤية له سبحانه صفة كمال ،
ونفيها عنه تعطيل ، لأن المعدوم لا يرى (٣).

قال الطحاوى رحمه الله :

(١) بيان تلبيس الجهمية ٣٤٩/١ .

(٢) انظر ص : ١٤٨ فما بعدها .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٢ .

"ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم ، أو تأولها بفهم ، إذ كان تأويل الرؤية - وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية - بترك التأويل ، ولزوم التسليم ، وعليه دين المسلمين ، ومن لم يتوق النفى والتشبيه ، زل ولم يصب التنزيه" (١).

وهاهو شيخ الإسلام رحمه الله ينبرى لمقارعة المعتزلة مستخدماً سلاح العقل الذى يدّعوه ، وإن كان البون شاسعاً بين عقل استنار بضوء النصوص وبين عقول غطتها ظلم الشبهات . وقد فند رحمه الله لوازمهم التى ألصقوها بمن يثبت الرؤية . يقول :

"ومن أراد أن يناظر مناظرة شرعية بالعقل الصريح فلا يلتزم لفظاً بدعياً ولا يخالف دليلاً عقلياً ولا شرعياً ، فإنه يسلك طريق أهل السنة والحديث والأئمة الذين لا يوافقون على إطلاق الإثبات ولا النفى ، بل يقولون : ماتصفون بقولكم "إن كل جسم مرئى" ؟ فإن فسروا ذلك بأن كل مرئى يجب أن يكون قد ركب مركب ، أو أن يكون متفرقاً فاجتمع ، أو أنه يمكن تفريقه ، ونحو ذلك ، منعوا هم المقدمة الأولى ، وقالوا : هذه السموات مرئية مشهورة ، ونحن لانعلم أنها كانت متفرقة مجتمعة ، وإذا جاز أن يرى ما يقبل التفريق فما لا يقبله أولى بإمكان رؤيته .

وإن قالوا مرادنا أن المرئى لا بد أن يكون معائناً تجاه الرأى ، وما كان كذلك فهو جسم . ونحو هذا الكلام ، قالوا لهم : الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قال : "إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر" ، وقال "هل تضامون فى رؤية الشمس صحواً ليس دونها سحب" ؟ قالوا : لا . قال "هل تضامون فى رؤية القمر ليس دونه سحب" ؟ قالوا : لا . قال : "فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر" (٢) ، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية ، لا المرئى بالمرئى ...

(١) متن العقيدة الطحاوية ص ١٠ .

(٢) سبق تخريجه ١٠ النظر ص ١٩١ .

فهذه النصوص يصدق بعضها بعضاً ، والعقل أيضاً يوافقها ، ويدل على أنه سبحانه مباين لمخلوقاته ، فوق سمواته ، وأن وجود موجود لا مباين للعالم ولا مجانس له محال في بديهة العقل ، فإذا كانت الرؤية مستلزمة لهذه المعاني فهذا حق ، وإذا سميت أنتم هذا قولاً بالجهة وقولاً بالتجسيم لم يكن هذا القول نافياً لما علم بالشرع والعقل ، إذا كان معنى هذا القول - والحال هذه - ليس منتفياً لا بشرع ولا بعقل" (١).

زعمهم أنه لا يرى نفسه لأن ذاته لا ترى ، واختلافهم في رؤيته لغيره . لقد أفرط المعتزلة في النفي حتى وصل بهم الأمر إلى أن يعطلوا الله سبحانه من أن يرى نفسه أو يراه غيره ، أو يرى غيره ، وإن كان بعضهم أثبت أنه يرى غيره ولا يرى نفسه . ولكن من وصف بأنه لا يرى ماذا يكون حكمه؟ أليس هو الأعمى؟ تعالى الله عما يقول المبطلون علواً كبيراً ، ومن وصف بأنه لا يرى أيكون ذلك مدحاً في حقه أم ذماً ، ويكون صفة كمال أم نقص؟ فقولهم هذا في النفي أدى بهم إلى التعطيل ثم هو تشبيه لله بالمعدوم (٢).

لقد وصف الله نفسه بأنه يرى في أكثر من آية ولم يخص ولم يستثن فقال لموسى وهارون عليهما السلام : {قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى} (٣)، وقال سبحانه : {ألم يعلم بأن الله يرى} (٤)، وقال سبحانه : {وتوكل على العزيز الرحيم . الذي يراك حين تقوم} (٥). بل عاب الأصنام التي لا تصلح أن تكون آلهة لأنها لا تسمع ولا تبصر ، فقال على لسان إبراهيم عليه السلام : {يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً} (٦).

(١) موافقة صحيح المنقول ١٩٠/١-١٩١ .

(٢) انظر : رؤية الله تعالى ص ١٢٠، ١٢١ .

(٣) سورة طه : آية ٤٦

(٤) سورة العلق : آية ١٤

(٥) سورة الشعراء : آية ٢١٨-٢١٩

(٦) سورة مريم : آية ٤٢

وجعل عدم الرؤية نوعاً من العذاب الذى ينال الكفار يوم القيامة فقال : { ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً } (١).

والآيات فى هذا المقام كثيرة جداً ، عميت عنها أبصار أهل الاعتزال وعقولهم ، فلم يهتدوا إليها .

أما إنكار بعضهم رؤيته بالقلوب . فهو أمر انفرد به المعتزلة ولم يشاركهم فيه غيرهم .

ولم يؤثر عن غير المعتزلة خلاف فى رؤيته تبارك وتعالى بالقلوب ، فلو أن القلوب لم تعرفه وتحبه لما ذلت له وعبدته وحده دون سواه ، وكلما زادت معرفة القلب له ازدادت العبادة والطاعة والانقياد له تبارك وتعالى (٢).

وكون قلوب المعتزلة لم تعرف الله ولم تره ، فهذا إخبار عن حالهم ، وهو أمر يختص بهم ليس لهم الحق فى أن يعمموه على غيرهم .

وأما تفسيرهم للرؤية بالعلم أو زيادته ، فهذا فى الحقيقة تعطيل للرؤية التى ثبتت بالنصوص والإجماع والتى علم جوازها بدلائل العقول ، بل المعلوم بدلائل العقول امتناع وجود موجود قائم بنفسه لا يمكن تعلقها به (٣). دعواهم أنه لا يمكن الاستدلال عليها بالسمع لأن ذلك يبنى على العقل ولم يرد دليل سمعى مصرح بإثباتها . هذه دعوى خالفهم فيها أكثر العقلاء ، وليس فى العقل ما يحيلها (٤).

وكلام السلف والأئمة كثير جداً فى تقرير وجودها بالسمع وجوازها بالعقل وأن نفيها يلزم منه التعطيل ، لأنه إذا كان موجوداً جازت رؤيته ، لأن الرؤية إنما تتعلق بالموجود دون المعدوم ، والله أحق بالوجود وكماله ، بل وجوده هو الوجود الواجب ، وله الكمال التام فى جميع الأمور

(١) سورة الإسراء : آية ٩٧

(٢) رؤية الله تعالى ص ١٧٤ بتصرف .

(٣) بيان تلييس الجهمية ٣٦٠/١ بتصرف .

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١١ .

الوجودية المحضة ، فهو أحق بأن تجوز رؤيته لكمال وجوده (١).
فالعقل لا يمنع جواز رؤية الله كما أن نصوص الشرع جاءت مصرحة
بإثباتها خلافاً لمزاعم المعتزلة (٢).

وأما أدلتهم التي زعموا أنها تنفي الرؤية فالرد عليها كما يلي :
ونبدأ بأدلتهم العقلية ، لأن فارس الميدان هنا هو العقل كما كان
دوماً ، فلامزاحم له ، ولامعارض ، وقد اعتمدوا من جهته على طريقين في
نفيتها ، كلاهما ينحدر ليصب في مصب الجسمية والتشبيه ، إذ العقل عندهم
مكبل ومقيّد بشبح التجسيم فلا خلاص له منه ، وقد أوصد أمامه المنافذ
وأخذ بتلابيبه ، فلامفر له منه ، ولا نجاة .

وخلاصة ماذكروا في دليلي العقل :

(١) إن الشيء إنما يرى إذا كان مقابلاً ، أو حالاً في المقابل ، أو في حكم
المقابل ، وهذه من صفات الأجسام . وهي ممتنعة في حق الله لأنه
ليس بجسم .

(٢) لكى تصح الرؤية لابد من وجود رائي ومرئي ولا توجد موانع من
حدوث الرؤية بينهما . والموانع ترجع إلى الشعاع الذي هو من صفات
الأجسام ، والله ليس بجسم فتمتنع رؤيته لذلك .
أما الإجابة عن الأول :

فإنه يستحيل في العقول أن تثبت رؤية حقيقية عياناً بغير مقابلة
ولاجهة ، لأن ذلك من لوازم الرؤية . وقد أثبت رسول الله صلى الله عليه
وسلم رؤية الله مشبهاً إياها برؤية الشمس والقمر فقال : "إنكم سترون ربكم
كما ترون هذا القمر لاتضامون في رؤيته" (٣) الحديث .

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية ١/٣٥٨، ٣٧٥ .

(٢) انظر : رؤية الله تعالى ص ٢١٦-٢١٧ .

(٣) الحديث سبق تخريجه انظر ص : ١٩١ .

فشبه الرؤية بالرؤية لا المرئى بالمرئى ، ونحن إنما نرى الشمس والقمر من فوقنا وبمقابلة ، وكذا المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة من فوقهم عياناً . فهو سبحانه إنما يرى من جهة العلو (١) .

والجهة لفظ مجمل لم يرد نفيها ولا إثباتها فلها حكم الألفاظ المجملة ، وهو التفصيل ، وقد سبق بيان ذلك (٢) .

يقول ابن أبى العز رحمه الله :

"وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهاً لله ، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية ، لا تشبيه المرئى بالمرئى ، ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه .

وإلا فهل تعقل رؤية بلامقابلة؟ ومن قال : يرى لافى جهة فليراجع عقله!! فإما أن يكون مكابراً لعقله وفى عقله شىء ، وإلا فإذا قال يرى لأمام الرأى ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته ، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة . ولهذا التزم المعتزلة من نفى العلو بالذات بنفى الرؤية ، وقالوا : كيف تعقل رؤية بلامقابلة، بغير جهة؟

ويقال لمن قال بنفى الرؤية لانتفاء لازمها وهو الجهة : أتريد بالجهة أمراً وجودياً؟ أو أمراً عدمياً؟ فإن أراد بها أمراً وجودياً كان التقرير : كل ما ليس فى شىء موجود لا يرى ، وهذه المقدمة ممنوعة ، ولا دليل على إثباتها بل هى باطلة ، فإن سطح العالم يمكن أن يرى ، وليس العالم فى عالم آخر . وإن أردت بالجهة أمراً عدمياً ، فالمقدمة الثانية ممنوعة ، فلانسلم أنه ليس فى جهة بهذا الاعتبار (٣) .

(١) انظر : بيان تلبس الجهمية ٣٥٩/١ ، حادى الأرواح ص ٢٥٢ ، وانظر : موافقة صحيح المنقول ١٩١/١ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٦٢ ، رؤية الله تعالى ص ٦١ .

(٢) انظر ص ١٥٠٠ فما بعدها .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٥ .

وأما الإجابة عن الدليل الثانى ، فإن مما لاشك فيه أن القول بخروج شعاع من العين ، أو وروده إليها ، أو مايقع للنفس من حالة خاصة عند مقابلة العين للمرئى سبب للرؤية ، وخالق الأسباب والمسببات إنما هو الله تعالى ، والأسباب التى تحصل بها الرؤية ليست فاعلة ، إنما هى أسباب لها ، مخلوقة لله تعالى ، كما قال تعالى : {والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها} (١) ، فأحياء الأرض إنما يكون بوجود الماء المخلوق المنزل ، والفاعل الحقيقى إنما الله الذى أوجد الأسباب ومسبباتها ، لاالسبب المباشر وحده (٢) .

ثم لايلزم من وجود مذكروه من موانع امتناع الإبصار ، ولامن امتناعها وجوده .

ومثال مايقود ذلك :

رؤية الجسم الكبير من البعد صغيراً فإن كانت الرؤية لجميع أجزائه ، وجب ألا يرى صغيراً ، وإن لم ير شيئاً من أجزائه ، وجب ألا يرى . وإن رى بعض أجزائه دون بعض مع أن جميع الأجزاء بالنسبة إلى الموانع أو عدمها سواء لزم عدم الوجوب أو الامتناع (٣) .

والمعتزلة إنما قاسوا أمور الآخرة بأمور الدنيا فنفوا وقوع الرؤية فى الآخرة اعتماداً على عدم وقوعها فى الدنيا . فجعلوا موانع وقوعها فى الدنيا موانع لوقوعها فى الآخرة .

وهذا قياس عقلى محض ، وهو باطل ، لأن الحياة الأخرى أمرها يباين الحياة الدنيا . وقد سبق الإشارة إلى ذلك (٤) .

ولذا نجد أن السلف قالوا بجواز وقوعها ، مع حكمهم بعدم الوقوع فى الدنيا ، وأجمعوا على حصول ذلك فى الآخرة .

(١) سورة النحل : آية ٦٥

(٢) رؤية الله تعالى ص ٢٠ بتصرف .

(٣) انظر : الأربعين فى أصول الدين للرازى ص ٢١٥ ، رؤية الله تعالى ص ٦٨ .

(٤) انظر ص : ١٤١

قال الشاطبي رحمه الله :

"رؤية الله في الآخرة جائزة ، إذ لا دليل في العقل يدل على أنه لا رؤية إلا على الوجه المعتاد عندنا ، إذ يمكن أن تصح الرؤية على أوجه صحيحة ليس فيها اتصال أشعة ولا مقابلة ولا تصور جهة^(١) ، ولا فضل جسم شفاف ولا غير ذلك ، والعقل لا يجزم بامتناع ذلك بديهية ، وهو إلى القصور في النظر أميل ، والشرع قد جاء بإثباتها فلامعدل عن التصديق"^(٢).

والله سبحانه وتعالى لا يرى في الدنيا لأن أبصار الخلق تعجز عن رؤيته فيها لضعفها وعجزها لا امتناع رؤيته ، فهذه الشمس إذا حذق الرائي بصره فيها عجز عن رؤيتها لضعفه عن ذلك وليس لامتناع رؤيتها .

فعدم وقوع الرؤية في الدنيا لا يمنع من وقوعها في الآخرة .

ثم إن المعتزلة في الحقيقة إنما قاسوا الله سبحانه بخلقه فأجروا عليه أحكامهم ، وهذا هو التشبيه الذي وصموا غيرهم به ، وأرادوا أن يفروا منه فعطلوا الله عن ما يستحقه من الكمال الذي من بينه الرؤية .

هذا عن أدلتهم العقلية التي اعتمدوا عليها اعتماداً كلياً في الاستدلال فنفوا بها رؤية الله تعالى ، وهى لاتصلح للاحتجاج ، وقد وضح من الرد ضعفها ، ومعارضة أدلة العقول السليمة لها .

وأما أدلتهم النقلية التي لجأوا إليها لتأييد ماسبق من شبه عقلية لاتدل على ما ذهبوا إليه من نفى الرؤية في الآخرة . ومن المعلوم أن أدلة النقل عندهم تابعة لامتبوعة ، وهم إنما يفرون إليها إذا ألجأتهم الضرورة لذلك واعتقدوا أن فيها مايؤيد مزاعمهم ، وإلا دفعوا في صدورهم بالرد والتأويل المتعسف .

(١) قوله "ولامقابلة" خلاف ما جاء عن السلف لأنه لا رؤية إلا بمقابلة كما سبق ذكره ،

والجهة فيها تفصيل سبق بيانه أيضا . انظر ص ١٥٠ : فما بعدها

(٢) الاعتصام ٣٣٠/٢ .

فمما استدلووا به ولا حجة لهم فيه :

(١) قوله تعالى :

{لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير} (١).

ولهم وجهان في الاستدلال بها كما مر في العرض ، وخلاصتهما :

الأول : إن الإدراك المقرون بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية وقد نفى

والنفي عام في جميع الأوقات والأزمان .

الثاني : إن الله تمدح بكونه لا يرى - على فهمهم - وما كان عدمه مدحاً

كان وجوده نقصاً يجب تنزيه الله عنه .

والجواب عن الوجه الأول :

ليس الإدراك هو الرؤية ، وإنما هو قدر زائد على الرؤية ، لأن

الإدراك هو الإحاطة بالشئ ، والله يرى ولا يدرك ، كما يعلم ولا يحاط به

علماء ، قال تعالى : {فلما تراءى الجمعان ، قال أصحاب موسى إنا لمدركون

قال كلا إن معى ربي سيهدين} (٢). فنفى موسى عليه السلام الإدراك مع

إثبات الترائى بينهم ، فعلم أنه قد يكون رؤية بلا إدراك ، فقوله سبحانه

وتعالى : {لاتدركه الأبصار} يدل على غاية عظمته وأنه أكبر وأجل من أن

يدرك بحيث يحاط به ، وليس في ذلك نفي لرؤيته ، بل في الآية دليل عليها

لأن تخصيص الإدراك وهو الإحاطة بالنفي ، يقتضى أن مطلق الرؤية ليس

بمنفى . وهذا الجواب قول أكثر العلماء من السلف وغيرهم (٣).

الجواب عن الوجه الثاني :

(١) سورة الأنعام : آية ١٠٣

(٢) سورة الشعراء : آية ٦١-٦٢

(٣) انظر : بيان تلبيس الجهمية ١/٥٥٣-٥٥٤ ، حادى الأرواح ص ٢١٧ ، شرح العقيدة

الطحاوية ص ١٩٣، ١٩٨ ، وانظر مع ذلك : الاعتقاد ص ٧٦ ، الفصل في الملل

٣-٢/٣ ، مجموع الفتاوى ٣/٣٦-٣٧ ، تفسير القرآن العظيم ٢/١٦٢ ، فتح

البارى ١٣/٤٢٦ .

إن الله عز وجل ذكر هذه الآية في سياق المدح لنفسه سبحانه وتعالى ومن المعلوم أن المدح لا يكون إلا بالصفات الثبوتية ، وأما النفي أو العدم المحض لا يكون فيه مدح إلا إذا تضمن أمراً ثبوتياً ، كمدحه سبحانه وتعالى نفسه بنفى السنة والنوم المتضمن كمال قيوميته ، فلو أن المنفى في الآية هو الرؤية لما كان في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك لأن المعدوم لا يرى . وإنما المدح في كونه تعالى أنه يرى لأن الرؤية صفة كمال لا نقص، ولكنه لعظمته وأنه أكبر من كل شيء فلا يدرك ولا يحاط به (١).
(٢) قوله تعالى :

{ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين} (٢).

ومختصر أوجه استدلالهم من الآية :

الأول : قوله : "لن تراني" .

أنكر على موسى طلبه فغيره أولى بالإنكار .

وطلب موسى إنما كان تبكيتاً للذين طلبوا الرؤية فقالوا : {أرنا الله جهرة} (٣) فبين لهم استحالة ذلك بقوله : {لن تراني} أو طلبه لمعرفة الله ضرورة فأجابه بقوله : {لن تراني} ليبين له أن مع التكليف لا يجوز أن يعرفه باضطراب .

الثاني : إن "لن" تفيد تأييد النفي ، مثل قوله تعالى : {لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له} (٤).

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٥٥٤/١ ، مجموع الفتاوى ٣٦/٣-٣٧ ، حادي

الأرواح ص ٢١٧ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٢-١٩٣ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٤٣

(٣) سورة النساء : آية ١٥٣

(٤) سورة الحج : آية ٧٣

وكقوله تعالى : {فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس} (١) الآية .

فقوله : "لن تراني" تأكيد للنفي في قوله : {لاتدركه الأبصار} (٢).

الثالث : قوله تعالى : {ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً}.

فإنه تعالى علق الرؤية باستقرار الجبل وهو مستحيل ، فدل على استحالتها.

والمراد بالتجلى : إظهار آياته وقدرته للجبل ، وليس تجلى ذاته ، لأنه يلزم من ذلك أن يندك العرش ، وأن يراه من على الجبل .

الرابع : {وخر موسى صعقاً} .

أى مغشياً عليه كغشية الموت ، ولكزته الملائكة لطمعه في رؤية ماهو مستحيل عليه.

الخامس : قوله تعالى : {سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين}.

أى أنزهك مما لايجوز عليك من الرؤية ، وأتوب إليك من طلبها وإجراء تلك المقالة العظيمة على لسانى من غير إذن منك ، وأنا أول المؤمنين بأنك لست بمرئى .

ويجاب على هذه الأوجه بالآتى :

الوجه الأول :

إن موسى عليه السلام إنما طلب الرؤية لنفسه ولم يطلبها لغيره وذلك في قوله : {رب أرني أنظر إليك} (٣)، ولم يطلب عليه السلام شيئاً مستحيلاً ، إنما طلب ماهو جائز فى العقل ، لأنه لا يظن بكليم الله ورسوله وأعلم الناس

(١) سورة البقرة : آية ٢٤

(٢) سورة الأنعام : آية ١٠٣

(٣) انظر : الإنصاف لابن المنير مطبوع مع الكشف ٨٩/٢ .

في وقته بربه أن يطلب ما لا يجوز عليه ، بل ذلك محال^(١). وقول الله له "لن تراني" : أى في الدنيا لأن بصر موسى عليه السلام لا يحتمل رؤية الله في هذه الدنيا وهذا بخلاف حكم الآخرة^(٢).

ثم ان تبكيت موسى عليه السلام لبني إسرائيل ليس لأنهم طلبوا ماهو مستحيل في حق الله بل إنما طلبوا ذلك تعنتاً وعناداً وإنكاراً للإيمان بنبوة موسى عليه السلام .

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله :

"إن بني إسرائيل سألوا رؤية الله عز وجل على طريق الإنكار لنبوة موسى ، وترك الإيمان به حتى يروا الله ، لأنهم قالوا : {لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة}^(٣)، فلما سألوه الرؤية على طريق ترك الإيمان بموسى عليه السلام حتى يريهم الله سألهم من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليه كما استعظم الله سؤال أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتاباً من السماء^(٤) من غير أن يكون ذلك مستحيلاً ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبي الله حتى ينزل عليهم من السماء كتاباً"^(٥).

وقال ابن المنير رحمه الله :

"إن الله تعالى أخبر أنها - أى الرؤية - لا تقع في دار الدنيا ، والخبر صدق ، وذلك بعد سؤال موسى للرؤية فلما سألوا وقد سمعوا الخبر بعدم

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٥٥/٧ ، زاد المسير ١٧٤/٣ ، شرح العقيدة

الطحاوية ص ١٩١ ، لوامع الأنوار ٢٨٥/٢ .

(٢) انظر : الرد على الجهمية للدارمي ص ٥٦،٥٥ ، زاد المسير ١٧٤/٣ ، فتح الباري

٤٢٦/١٣ .

(٣) سورة البقرة : آية ٥٥

(٤) وذلك في قوله تعالى : {يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد

سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة} . سورة النساء : آية ١٥٣

(٥) الإبانة في أصول الديانة ص ١٥ .

وقوعها كان طلبهم خلاف المعلوم تكذيباً للخبر فمن ثم سفههم موسى عليه السلام وتبرأ من طلب ما أخبر الله أنه لا يقع ، ثم ولو كان سؤالهم الرؤية قبل إخبار الله تعالى بعدم وقوعها فإنما سفههم موسى عليه السلام لاقتراحهم على الله هذه الآية الخاصة وتوقيفهم الإيمان عليها حيث قالوا : {لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة} (١)، ألا ترى أن قولهم {لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً} (٢) إنما سألوا جائزاً ومع ذلك قرعوا به لاقتراحهم على الله ما لا يتوقف وجوب الإيمان عليه " (٣) .

ثم الزعم بأنه عليه السلام إنما طلب النظر إلى آية عظيمة أو إلى قدرة الله لكي يتعرف من خلال ذلك على الله ، إنما زعم باطل وادعاء لادليل عليه ، بل هو مخالف لقوله تعالى "أنظر اليك" .

قال القرطبي رحمه الله :

"ولا يجوز الحمل على أنه أراد أنى آية عظيمة لأنظر إلى قدرتك ، لأنه قال "إليك" ، و"قال لن ترانى" . ولو سأل آية لأعطاه الله ماسأل ، كما أعطاه سائر الآيات . وقد كان لموسى عليه السلام فيها مقنع عن طلب آية أخرى ، فبطل هذا التأويل " (٤) .

الوجه الثانى :

دعواهم أن "لن" تفيد تأييد النفس على الدوام ، وأن ذلك ينفى رؤية الله فى الآخرة. دعوى فاسدة ، لأن "لن" لا تفيد النفس على الدوام ولو قيدت بالتأييد فكيف إذا أطلقت؟ قال سبحانه : {ونادوا يامالك ليقتض علينا ربك} (٥) فقد تمنوا الموت بعد قوله تعالى : {ولن يتمنوه أبدا} (٦). فلو كانت

(١) سورة البقرة : آية ٥٥

(٢) سورة الإسراء : آية ٩٠

(٣) الإنصاف لابن المنير على هامش الكشاف ٨٩/٢ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٨/٧ .

(٥) سورة الزخرف : آية ٧٧

(٦) سورة البقرة : آية ٩٥

تفيد النفي على الدوام مع اقترانه بالتأييد لتناقض الكلام^(١). لأن التأييد قد يراد به التأييد المقيّد أو التأييد المطلق ، فالمقيّد كالتأييد بمدة الحياة كقولك والله لا أكلمه أبداً ، والمطلق كقولك والله لا أكفر بربي أبداً^(٢).

قال ابن مالك مبيناً خطأ المعتزلة فيما ذهبوا إليه :

ومن رأى النفي بلن مؤبداً فقوله اررد وسواه فاعضدا^(٣)

وقال صاحب النحو الوافى :

"لن : وهو حرف يفيد النفي بغير دوام ولا تأييد إلا بقريضة خارجة عنه فإذا دخل على المضارع نفي معناه في الزمن المستقبل المحض - غالباً - نفياً مؤقتاً يقصر أو يطول من غير أن يدوم ويستمر ، فمن يقول : لن أسافر ، أو لن أشرب ، أو لن أقرأ غداً ، أو نحو هذا ، فإنما يريد نفي السفر - أو غيره - في قابل الأزمنة مدة معينة ، يعود بعدها إلى السفر ونحوه ، إن شاء ، ولا يريد النفي الدائم المستمر في المستقبل ، إلا إن وجدت قريضة مع الحرف "لن" تدل على الدوام والاستمرار ، يدل على هذا قوله تعالى : {فلن أكلم اليوم إنسياً}^(٤). فلو كانت "لن" تفيد تأييد النفي في المستقبل المحض الخالص لوقع التعارض بينها وبين كلمة "اليوم" في الآية ، لأن اليوم محدد معين ، وهى غير محددة ولا معينة ، ولوقع التكرار المريب في قوله تعالى : {فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبداً}^(٥) ، فما فائدة كلمة أبداً التى تدل على التأييد إن كانت "لن" تدل عليه؟

أما التأييد في قوله تعالى : {إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له}^(٦). فبسبب قريضة خارجية ، هى العلم القاطع المستمد

(١) انظر : بدائع الفوائد ٩٦/١-٩٧ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٢ .

(٢) بدائع الفوائد ٩٧/١ بتصرف .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٢ .

(٤) سورة مريم : آية ٢٦

(٥) سورة البقرة : آية ٩٤ - ٩٥

(٦) سورة الحج : آية ٧٣

من المشاهدة الصادقة الدائمة" (١).

وأما استدراك الزمخشري في قوله : "ولكن انظر إلى الجبل" يأتي بيانه في الوجه الذي يليه .
الوجه الثالث :

إن الله علق وقوع الرؤية باستقرار الجبل وذلك ممكن وجائز وليس بمتنع ، وماعلق على الممكن فهو ممكن ، ولو كانت محالاً لما علقها على الممكن وإنما كان يعلقها على محال ، كأن يقول : إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام (٢).

ومن ذلك أن الله علق دخول الكفار الجنة بمستحيل في قوله : {حتى يلج الجمل في سم الخياط} (٣)، فدل على استحالة دخولهم فيها ، وهذا بخلاف الرؤية (٤).

وما ذكره عبد الجبار من استدراكات حول قوله تعالى : {فلما تجلّى ربه للجبل} ، يجاب عليها بالآتي :

قوله "تجلّى" قال القرطبي : "معناه ظهر من قولك جلوت العروس أى أبرزتها ، وجلوت السيف : أبرزته من الصداً جلاء فيهما" (٥).

لقد تجلّى الله للجبل وظهر له وأراد بذلك أن يضرب مثلاً لموسى عليه السلام بما هو أقوى من بنيته وأثبت ، فإن استقر الجبل وثبت لرؤيته فسوف يراه موسى ، ولكن الجبل مع قوته لم يطق رؤية الله تعالى فمن باب أولى موسى عليه السلام (٦).

(١) النحو الوافي ٢٩٩/٤ .

(٢) انظر : حادى الأرواح ص ٢١٣ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩١-١٩٢ ، الإنصاف ٩١/٢ .

(٣) سورة الأعراف : آية ٤٠

(٤) انظر : زاد المسير ١٧٤/٣ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٨/٧ ، وانظر مادة جلى في القاموس المحيط ص ١٦٤٠-١٦٤١ .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٧٨/٧ .

وأما القول بأن المراد بالتجلى إظهار القدرة فهذا تأويل مخالف لنص الآية ومخالف لما جاء عن جمهور المفسرين في أن المراد بالتجلى الظهور . وقول عبد الجبار : "لو أراد به تجلى ذاته لم يكن لذلك معنى" .

الصواب خلافه فلو لم يرد تجلى ذاته لم يكن لذلك معنى ، لأن موسى عليه السلام لم يطلب رؤية القدرة وإنما طلب رؤية الذات ، وقد رأى موسى عليه السلام كثيراً من آثار قدرته تعالى .

وقوله : "لو أراد تجلى بمعنى المقابلة لوجب أن لا يستقر له مكان بل كان يجب في العرش أن يصير دكاً ، وأن يكون بهذه الصفة أحق" . قول ضعيف جداً ، لأن الله سبحانه قد خلق العرش لهذا الشأن وجعل فيه من القوة والتحمل ما يصمد لذلك ، ومثله الكرسي والحجاب .

وقوله : "ولو كان في الحقيقة تجلى للجبل ، بمعنى أنه أظهر وزال الحجب ، لكان من على الجبل يراه أيضاً ، فكان لا يصح مع ذلك قوله : "لن ترانى" وكان لا يصح أن يعلق نفى الرؤية بأن لا يستقر الجبل ، والمعلوم أنه لا يستقر بأن ينكشف ويرى ، لأن ذلك في حكم أن يجعل الشرط في أن لا يرى ما يوجب أن يرى ، وذلك متناقض" .

ويجاب على ذلك بالآتي :

قال سبحانه : {وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً} (١) .

فإذا جاز أن يقلل الكثير في العين الصحيحة جاز مع صحتها وارتفاع الموانع أن نراه سبحانه .

فيحق القول بحصول تجلى ذاته للجبل ووجود مانع من رؤيته لما سواه ، لأنه قد قضى بأنه لا يرى في الدنيا . ولاتناقض فيما يزعمه لأن الشرط في الرؤية وعدمها استقرار الجبل وعدمه لا الانكشاف ، وهذا ظاهر (٢) .

(١) سورة الأنفال : آية ٤٤

(٢) رؤية الله تعالى ص ٨٧-٨٩ بتصرف .

الوجه الرابع :

إن موسى عليه السلام لما رأى الجبل صار دكاً وقع مغشياً عليه من هول مارأى ، ولم يمت بدليل قوله تعالى : { فلما أفاق } والإفاقة لا تكون إلا عن غشى (١).

وقيل إنه رأى الله فلذلك خر صعقاً ولكن في ذلك ضعف (٢) مع مخالفته لقوله "لن ترانى".

وأما مذكره الزمخشري من حكاية لكز الملائكة لموسى أجاب عن ذلك ابن المنير فقال :

"فهذه حكاية إنما يوردها من يتعسف لامتناع الرؤية فيتخذها عوناً وظهراً على المعتقد الفاسد . والوجه التورط بالغلط على ناقلها ، وتزييه الملائكة عليهم السلام من إهانة موسى صفى الله وكليمه بالوكز بالرجل والغمص في الخطاب" (٣).

وقد سبق بيان أن موسى عليه السلام لا يطلب مستحيلاً على الله لا يجوز ، وذلك لمعرفة بره (٤).

الوجه الخامس :

لقد ذكر العلماء أقوالاً فيما تاب منه موسى عليه السلام : أحدها : عن سؤاله الرؤية .

الثانى : الإقدام عن المسألة قبل الإذن فيها .

الثالث : اعتقاد جواز رؤيته في الدنيا (٥).

ويمكن أن يجمع بين هذه الأقوال : بأن موسى عليه السلام سأل ربه الرؤية لاعتقاده بجواز وقوعها في الدنيا وأنها ليست بمستحيلة ، ولكن الله

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ٢/٢٤٥ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٧٨ ، رؤية الله تعالى ص ٤٦ .

(٣) الإنصاف على هامش الكشف ٢/٩١ .

(٤) انظر ص : ١٨٥

(٥) زاد المسير ٣/١٧٤ بتصرف .

عز وجل بين له أنه لا يمكنه أن يراه في الدنيا لعدم استطاعته ذلك ، عندئذ سبّح الله ونزهه عن أن يرى في الدنيا ، وتاب عن سؤاله ذلك بغير إذن من الله ثم بين بأنه أول المؤمنين المعتقدين بأنه لا يرى في الدنيا .
قال ابن كثير رحمه الله :

"قال سبحانه" تنزيهاً وتعظيماً وإجلالاً أن يراه أحد في الدنيا إلا مات) .. (وأنا أول المؤمنين) أنا أول من آمن بك أنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة . وهذا قول حسن له اتجاه^(١).
وقال ابن المنير رحمه الله :

"... وأما تسبيح موسى عليه السلام فلما تبين له من أن العلم قد سبق بعدم وقوع الرؤية في الدنيا والله تعالى مقدس عن وقوع خلاف معلومه ، وعن الخلف في خبره الحق وقوله الصدق فلما تبين أن مطلوبه كان خلاف المعلوم سبّح الله وقّده علمه وخبره عن الخلف .

وأما التوبة في حق الأنبياء ، فلا تستلزم كونها عن ذنب ، لأن منصبهم الجليل ينبغي أن يكون متزهاً مبرأً من كل ما ينحط به ، ولا شك أن التوقف في سؤال الرؤية على الإذن كان أكمل^(٢).

فتوبة موسى عليه السلام لم تكن عن معصية بإجماع الأمة ، لأن الأنبياء معصومون ، إضافة إلى أن الرؤية جائزة كما هو منهج أهل السنة والجماعة^(٣).

وأما قول الزمخشري : "ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً ولا يغرنكم تسترهم بالبلكفة فإنه من منصوبات أشياخهم . والقول ماقال بعض العدلية فيهم". فذكر الآيات السابقة .

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٢٤٥ .

(٢) الإنصاف على هامش الكشف ٩١/٢-٩٢ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٧٩ .

هذا القول من الزمخشري عظيمة من عظمائه التي سود بها كتابه ،
وشهد بها على نفسه أنه ليس من أهل السنة والجماعة ، فبئس القول وبئست
الشهادة .

والمعتزلة أولى بالذم ، لأنهم خاضوا في دين الله بعقولهم وأهوائهم ،
فأولوا آيات كتاب ربهم وردوا أحاديث نبيهم ثم لم يقفوا عند ذلك الحد
حتى حملوا على أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وجند الإيمان فرموهم
بكل داهية وشبهة ، فياعجباً من هؤلاء الذين انقمسوا في ظلمات البدع
والضلال {وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا} (١).

ورحم الله ابن المنير الذي كال لهم الصاع صاعين ، فقال :
وجماعة كفروا برؤية ربهم

حقاً ووعد الله مالن يخلفه

وتلقبوا عدلية قلنا أجل

عدلوا بربهم فحسبهموا سفه

وتلقبوا الناجين كلا إنهم

إن لم يكونوا في لظى فعلى شفه (٢)

(١) سورة الكهف : آية ١٠٤

(٢) الإنصاف على هامش الكشف ٩٢/٢ .

الجواب على شبهاتهم حول أدلة إثبات الرؤية :

المثال الأول : قوله تعالى : {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} (١).

واعترضات أهل الاعتزال على هذه الآية تتلخص فيما يأتي :

أن ظاهرها يقتضى التشبيه ، وأنها من المتشابه ، فيجب أن تأول ، ثم أولوها بالآتي :

(١) النظر غير الرؤية وهو طلب الرؤية .

والمراد فى الآية النظر إلى الثواب كقوله : {واسأل القرية} (٢)، فحذف المضاف .

(٢) النظر يطلق على معانى :

فيراد به طلب الرؤية والانتظار ويراد به التفكير بالقلب .وهو محتمل فى الآية لهذه المعانى .

(٣) أراد بذكر الوجوه جملة الإنسان لا البعض المخصوص .

ففى الكلام إجمال لأن الجملة إذا وصفت بأنها ناظرة لم يفهم أن المراد به الرؤية.

(٤) المراد بالنظر : التوقع والرجاء .

(٥) المراد ب"إلى" واحدة الآلاء وهى النعم .

ويجاب على ذلك بالآتي :

أولا : زعمهم أن ظاهرها يقتضى التشبيه ، وأنها من المتشابه ، تلك شنشنة طالما سمعناها من أخزم (٣)، فإن أصحاب البدع والأهواء إذا وقفوا على النصوص التى تخالف بدعهم صراحة ضربوا وجوهها بهذين الدائين ، التشبيه والمتشابه ، وحاشا نصوص الكتاب والسنة أن يفيد ظاهرها التشبيه ، وقد سبق إيضاح ذلك فى الحديث عن الصفات بما لا يحتاج إلى مزيد (٤)

(١) سورة القيامة : آية ٢٢، ٢٣

(٢) سورة يوسف : آية ٨٢

(٣) هذا مثل يضرب فى قرب الشبه . مجمع الأمثال للميداني ١٥٥/٢ - ١٥٦ .

وانظر كتاب الأمثال لأبى عبيد ص ١٤٤ مع الهامش .

(٤) انظر ص ١٥٤ فما بعدها .

وموضوع المتشابه والمحكم سبق بيانه أيضا^(١)، والأمر ليس مطلقاً على عواهنه فكلما جاء أحد إلى نص ما فوجده خلاف مراده أو جهل تفسيره ، أو قامت شبهة في ذهنه رماه بأنه متشابه وأنه يدل على التشبيه ، فلو كان الأمر كذلك ماسلم لنا نص من النصوص لافي جانب التوحيد ولا النبوات ولا المعاد ، ولبطل الاستدلال بها على جميع أمور الدين ، ولفتح الباب على مصراعيه للزنادقة وأعداء الإسلام فانتهكوا حرمة نصوص الوحي وأبدلوا الحق باطلاً والهدى ضلالاً .

ثانياً : إن هذه الآية من أقوى الأدلة على إثبات رؤية الله في الآخرة فإذا سلط عليها أهل الاعتزال معاول التأويل والتحريف فغيرها من باب أولى أن يحرف ويأول .

يقول ابن القيم رحمه الله في هذه الآية :

"وأنت إذا جرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها وجدتها منادية نداء صريحاً أن الله سبحانه يرى عياناً بالأبصار يوم القيامة ، وإن أبيت إلا تحريفها الذي يسميه المحرفون تأويلاً فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها ، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ، ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص ، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا"^(٢).

وقال ابن أبي العز : "هكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل ، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم . وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم ، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية ...

(١) انظر ص : ١٦٢ فما بعدها .

(٢) حادى الأرواح ص ٢١٨-٢١٩ .

وهل خرجت الخوارج واعتزلت المعتزلة ، ورفضت الروافض ،
وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، إلا بالتأويل الفاسد؟" (١)

فتأويل المعتزلة لهذه الآية هو تحريف لكلام الله عن مواضعه ، لأن
التأويل الصحيح هو الذى يوافق ما جاءت به السنة ، والفساد المخالف له ،
فكل تأويل لم يدل عليه سياق النص ، ولامعه قرينة تقتضيه فهو ليس مراد
الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم (٢).

والذى يستعجب له الإنسان ويستغرب جرأة هؤلاء المعتزلة على
النصوص ، فإنه يسهل على أحدهم أن يحرف النص ويأوله تأويلاً فاسداً ثم
يزعم أن ذلك مراد الله ، وأنه التفسير الصحيح الذى لا تفسير غيره .

ورحم الله الإمام الطحاوى الذى يقول :

"والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية ، كما نطق به كتاب
ربنا {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} ، وتفسيره على ما أراد الله تعالى
وعلمه ، وكل ما جاء فى ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله
عليه وسلم فهو كما قال ، ومعناه على ما أراد ، لاندخل فى ذلك متأولين
بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ، فإنه ماسم فى دينه إلا من سلم لله عز وجل
ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه" (٣).

وأما الجواب على تأويلات المعتزلة التى صرفوا بها مراد الله من الآية
يقال لهم فى ذلك :

(١) قولكم إن المراد فى الآية النظر إلى الثواب ، قول فاسد جداً ، وحمل
للكلام على غير ظاهره الذى وضع له فى اللغة من غير دليل يدل على
ذلك (٤).

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٩ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٩٨ .

(٣) متن العقيدة الطحاوية ص ١٠ .

(٤) انظر : الفصل فى الملل ٣/٣ .

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله :

"ثواب الله عز وجل غيره تعالى ، والله تعالى قال : {إلى ربها ناظرة} ولم يقل إلى غيره ناظرة ، والقرآن على ظاهره وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة ، وإلا فهو على ظاهره ، ألا ترى أن الله عز وجل لما قال صلوا لي واعبدوني لم يجز أن يقول قائل : إنه أراد غيره ويزيل الكلام عن ظاهره ، فلذلك لما قال : {إلى ربها ناظرة} لم يجز لنا أن نزيل القرآن عن ظاهره بغير حجة ، ثم يقال للمعتزلة : إن جاز لكم أن تزعموا أن قول الله عز وجل {إلى ربها ناظرة} إنما أراد به أنها إلى غيره ناظرة ، فلم ماجاز لغيركم أن يقول إن قول الله عز وجل : {لاتدركه الأبصار} (١) أراد بها لاتدرك غيره ولم يرد أنها لاتدركه وهذا مالا يقدر على الفرق فيه" (٢).

(٢) قولهم إن النظر يطلق على معاني ، وهو محتمل في الآية لهذه المعاني . يقال لهم : لاشك إن النظر له عدة معاني واستعمالات على حسب صلاته وتعديه ، فإن عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله : {انظرونا نقتبس من نوركم} (٣) ، وإن عدى بغيره فمعناه التفكير والاعتبار كقوله : {أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض} (٤) ، وإن عدى بإلى فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله : {انظروا إلى ثمره إذا أثمر} (٥) (٦).

قال ابن القيم : "وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة إلى الصريحة في نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى بإلى خلاف حقيقته وموضوعه ، صريح في أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى

(١) سورة الأنعام : آية ١٠٣

(٢) الإبانة في أصول الديانة ص ١٣ .

(٣) سورة الحديد : آية ١٣

(٤) سورة الأعراف : آية ١٨٥

(٥) سورة الأنعام : آية ٩٩

(٦) حادى الأرواح ص ٢١٩ بتصرف . وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٠ .

نفس الرب جل جلاله "(١).

قال البيهقي رحمه الله :

"قال الله عز وجل : {وجوه يومئذ} يعنى يوم القيامة ، "ناصرة" يعنى مشرقة ، "إلى ربها ناظرة" وليس يخلو النظر من وجوه : إما أن يكون الله عز وجل عنى به نظر الاعتبار كقوله : {أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت} (٢)، أو يكون عنى به نظر الانتظار كقوله : {ما ينظرون إلا صيحة واحدة} (٣)، أو يكون عنى نظر التعطف والرحمة كقوله : {لا ينظر إليهم} (٤)، أو يكون عنى الرؤية كقوله : {ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت} (٥).

ولا يجوز أن يكون الله سبحانه عنى بقوله "إلى ربها ناظرة" نظر التفكير والاعتبار لأن الآخرة ليست بدار استدلال واعتبار وإنما هى دار اضطرار ، ولا يجوز أن يكون عنى نظر الانتظار ، **لأنه** ليس فى شىء من أمر الجنة انتظار لأن الانتظار معه تنقيص وتكدير ، والآية خرجت مخرج البشارة ... ولأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجوه فمعناه نظر العينين اللتين فى الوجه ، كما قال تعالى : {قد نرى تقلب وجهك فى السماء} (٦)، وأراد بذلك تقلب عينيه نحو السماء ، ولأنه قال : "إلى ربها ناظرة" ونظر الانتظار لا يكون مقروناً بالى لأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا فى نظر الانتظار "إلى" ألا ترى أن الله عز وجل لما قال : {ما ينظرون إلا صيحة واحدة} (٧) لم يقل "إلى" إذ كان معناه الانتظار ، وقالت بلقيس فيما أخبر الله عنها : {فناظرة به يرجع

(١) حادى الأرواح ص ٢١٩ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٩ .

(٢) سورة الغاشية : آية ١٧

(٣) سورة يس : آية ٤٩

(٤) سورة آل عمران : آية ٧٧

(٥) سورة محمد : آية ٢٠

(٦) سورة البقرة : آية ١٤٤

(٧) سورة يس : آية ٤٩

المرسلون} (١)، فلما أرادت الانتظار لم تقل "إلى" ، قلنا : ولا يجوز أن يكون الله سبحانه أراد نظر التعطف والرحمة ، لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم ، فإذا فسدت هذه الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع من أقسام النظر وهو أن معنى قوله : "إلى ربها نظرة" أنها رائية ترى الله عز وجل " (٢). (٣) لم يرد بذكر الوجوه جملة الإنسان ، لأنه لا دليل يدل على ذلك ، ولا ضرورة تدعو إلى حمل الوجوه على جملة الإنسان .

فالأولى في ذلك حمل الأمور على معهودها في اللغة ما لم يمنع من ذلك نص أو إجماع أو ضرورة ، ولم يأت نص ولا إجماع ولا ضرورة تمنع ماذكرنا في معنى النظر (٣).

فذكر الوجوه في الآية لأن بها العينين اللتين يكون بهما النظر . (٤) قولهم المراد : التوقع والرجاء .

أجيب على ذلك بما ذكر في جواب الوجه الثاني .

(٥) قولهم : إن المراد بذلك واحدة الآلاء وهي النعم .

أجاب عن ذلك الإمام ابن حزم رحمه الله بوجهين :

"أحدهما : إن الله تعالى أخبر أن تلك الوجوه قد حصلت لها النضرة وهي النعمة، والنعمة نعمة ، فإذا حصلت لها النعمة فبعيد أن ينتظر ما قد حصل لها وإنما ينتظر ما لم يقع بعد .

والثاني : تواتر الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم ببيان أن المراد بالنظر هو الرؤية لاماتأوله المتأولون" (٤).

(١) سورة النمل : آية ٣٥

(٢) الاعتقاد ص ٧٤-٧٥ .

(٣) الفصل في الملل ٣/٣-٤ بتصرف .

(٤) المرجع السابق ٣/٣ .

المثال الثاني :

روى البخارى بسنده إلى قيس بن أبى حازم عن جرير قال : "كنا جلوساً عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا"(١).

وقد رد المعتزلة على الحديث بأوجه يمكن أن نلخصها فى الآتى :

- (١) إنه يتضمن الجبر والتشبيه .
- (٢) يجب القطع على أنه صلى الله عليه وسلم لم يقله بل هو كذب عليه .
- (٣) إن قاله فإنما قاله على سبيل الحكاية .
- (٤) مروى عن قيس بن أبى حازم وهو مطعون فيه من وجهين :
(أ) إنه كان يرى رأى الخوارج .
(ب) إنه خولط فى عقله آخر عمره .
- (٥) إنه خبر آحاد لا يقتضى العلم والرؤية طريقها القطع .
- (٦) إنه معارض بأخبار :

(أ) عن أبى ذر أنه قال :

قلت للنبي : "هل رأيت ربك"؟ فقال : "نور هو ، أنى أراه" . أى : أنور هو؟ كيف أراه؟"(٢).

(ب) عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه

قال : "لن يرى الله أحد فى الدنيا ولا فى الآخرة".

- (٧) المراد بالرؤية فى الحديث العلم أو المعرفة وليست رؤية البصر .
وبجواب على مذكروا بما يأتى :

(١) سبق تخريج الحديث . انظر ص : ١٩١

(٢) سبق تخريجه . انظر ص : ١٨٤

(١) زعمهم أنه يفيد التشبيه :

يرد عليه نص الحديث فقد قال صلى الله عليه وسلم : "إنكم سترون ربكم كما ترون القمر" فلم يشبه الله عز وجل بالقمر ، وإنما شبه رؤيته برؤية القمر ، فكاف التشبيه دخلت على "ما" المصدرية أو الموصولة بترون التى تتأول مع صلتها إلى المصدر الذى هو الرؤية . فيكون بذلك قد شبه الرؤية بالرؤية لا المرئى بالمرئى (١).

(٢) زعمهم بوجوب القطع على أنه صلى الله عليه وسلم لم يقله وأنه كذب عليه ، يجاب عنه بما يلى :

أولاً : لقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وأجمع الصحابة والذين من بعدهم على إثبات رؤية الله فى الآخرة للمؤمنين (٢).

ثانياً : إن الأحاديث التى دلت على ثبوت الرؤية تبلغ حد التواتر أخرجها أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد واعتنى بجمعها أئمة من العلماء كالدارقطنى وأبى نعيم الأصبهاني وأبى بكر الأجرى وغيرهم الكثير (٣). قال الحافظ ابن حجر :

"جمع الدارقطنى طرق الأحاديث الواردة فى رؤية الله تعالى فى الآخرة فزادت على العشرين ، وتتبعها ابن القيم فى حادى الأرواح فبلغت الثلاثين وأكثرها جياذ ، وأسند الدارقطنى عن يحيى بن معين (٤) قال :

(١) انظر موافقة صحيح المنقول ١٩١/١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١١ .

(٢) انظر : شرح النووى على مسلم ١٥/٣ .

(٣) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٣٤٨/١ .

وقد نص على تواتر أحاديث الرؤية جماعة من العلماء . انظر :

مجموع الفتاوى ٣/٣٩٠ ، حادى الأرواح ص ٢١٩، ٢٥١ ، تفسير القرآن العظيم ١٦١/٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٣ .

(٤) يحيى بن معين :

هو يحيى بن معين بن عون الغطفاني مولا هم ، أبو زكريا البغدادي ، ثقة حافظ مشهور . إمام الجرح والتعديل . روى عن ابن المبارك ، وهشيم ، وابن عيينة . وعنه الإمام أحمد ، والبخارى ، ومسلم ، وخلق . مات بالمدينة سنة ٢٣٣ هـ . =

"عندى سبعة عشر حديثاً فى الرؤية صحاح" (١).

ثالثاً : لقد تلقى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم بإحسان وسلف الأمة وأئمتها أحاديث الرؤية بالقبول وعدم الإنكار ، واتفق عليها أهل السنة والجماعة (٢).

وقد ذكر النووى رحمه الله أنه رواها نحواً من عشرين صحابياً (٣)، وعد ابن القيم رحمه الله من رواها فبلغوا سبعة وعشرين رجلاً من الصحابة رضى الله عنهم (٤). بل لم يرو عن أحد منهم نفى حديث منها ، فكانوا على إثباتها مجتمعين متفقين (٥).

قال على بن المدينى : "سألت عبد الله بن المبارك عن رؤية الله تعالى فقال : ما حجب الله عز وجل أحداً إلا عذبه، ثم قرأ : {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون} (٦). قال : الرؤية .

فقلت له يا أبا عبد الله : إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث : إن الله ينزل إلى سماء الدنيا ، وأهل الجنة يرون ربهم ، فحدثنى بنحو عشرة أحاديث فى هذا ، وقال : أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين ، والتابعون أخذوه عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمن أخذوه؟" (٧)

= انظر : الطبقات الكبرى ٣٥٤/٧ ، الجرح والتعديل ١٩٢/٩ ، تاريخ بغداد

١٨٧-١٧٧/١٤ ، تذكرة الحفاظ ٤٢٩/٢-٤٣١ ، ميزان الاعتدال ٤١٠/٤ ، الكاشف

٢٦٩-٢٦٨/٣ ، تهذيب التهذيب ٢٨٨-٢٨٠/١١ ، تقريب التهذيب ٣٥٨/٢ .

(١) فتح البارى ٤٣٤/١٣ .

(٢) انظر : الفصل فى الملل ٤/٣ ، مجموع الفتاوى ٣٩١/٣ ، فتح البارى ٤٢٦/١٣ .

(٣) انظر : شرح النووى على مسلم ١٥/٣ .

(٤) انظر : حادى الأرواح ص ٢١٩ .

(٥) انظر : الاعتقاد ص ٨٢ .

(٦) سورة المطففين : آية ١٥-١٧ .

(٧) لوامع الأنوار ٢٤٥/٢ .

قال عباد بن العوام (١): قدم علينا شريك (٢) فقلنا : إن قوماً ينكرون هذه الأحاديث : إن الله ينزل إلى سماء الدنيا ، والرؤية ، وما أشبه هذه الأحاديث ! فقال : "إنما جاءنا بهذه الأحاديث من جاءنا بالسنن في الصلاة والزكاة والحج وإنما عرفنا الله بهذه الأحاديث" (٣).

قال حنبل (٤): قلت لأبي عبد الله - يعني أحمد - في الرؤية . قال : "أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر وكلما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم بأسانيد جيدة نؤمن به ونقر" (٥).

وقال ابن القيم رحمه الله في أحاديث الرؤية :

(١) عباد بن العوام :

هو عباد بن العوام بن عمر الكلابي مولاهم ، أبو سهل الواسطي ، ثقة . حدث عن أبي مالك الأشجعي ، وابن عون ، وأبي إسحاق الشيباني . وعنه الإمام أحمد وعمرو الناقد وغيرهم . مات سنة ١٨٥هـ أو بعدها.

انظر : تاريخ بغداد ١١/١٠٤-١٠٥ ، تذكرة الحفاظ ١/٢٦١ ، تهذيب التهذيب ٥/٩٩ تقريب التهذيب ١/٣٩٣ .

(٢) شريك :

هو شريك بن عبد الله النخعي الكوفي ، القاضي بواسط ، ثم الكوفة أبو عبد الله ، صدوق ، يخطئ كثيراً ، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة ، وكان عادلاً فاضلاً عابداً ، شديداً على أهل البدع . مات سنة ١٧٧هـ أو ١٧٨هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٤/٣٦٥ ، تاريخ بغداد ٩/٢٧٩ ، ميزان الاعتدال ٢/٢٧٠ ، تذكرة الحفاظ ١/٢٣٢ ، تهذيب التهذيب ٤/٣٣٣ ، تقريب التهذيب ١/٣٥١ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢/٥٠٤ .

(٤) حنبل :

هو حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد ، أبو علي الشيباني ، ابن عم الإمام أحمد وتلميذه ، إمام ، حافظ ، ثقة ، مصنف .

سمع سليمان بن حرب ، وأبي نعيم ، والحميدى . وعنه ابن صاعد ، وأبو بكر الحلال وآخرون . مات سنة ٢٧٣هـ .

انظر : تاريخ بغداد ٨/٢٨٦-٢٨٧ ، تذكرة الحفاظ ٢/٦٠٠-٦٠١ ، سير أعلام النبلاء ١٣/٥١-٥٣ .

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢/٥٠٧ .

"فإن الذى جاء بهذه الأحاديث هو الذى جاء بالقرآن والشرعة ،
والذى بلغها هو الذى بلغ الدين ، فلا يجوز أن يجعل كلام الله ورسوله
عضين^(١) بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها ، فلا يجتمع فى قلب العبد
بعد الاطلاع على هذه الأحاديث وفهم معناها إنكارها والشهادة بأن محمداً
رسول الله أبداً"^(٢).

(٣) قول عبد الجبار :

"وإن قال فإنه قاله حكاية عن قوم ، والراوى حذف الحكاية ونقل
الخبر".

هذه مجرد دعوى لاتستند على دليل ، ولم ترد فى رواية من روايات
الحديث المتعددة ، فإنها لو كانت صحيحة لذكرت ولو مرة واحدة فى طريق
من طرقه فدل ذلك على بطلانها^(٣).

(٤) وأما طعنهم فى قيس بن أبى حازم ، فإنه يرد عليه بالآتى :

أولاً : إن قيساً رحمه الله من ثقات رواة الحديث وقد وثقه جهابذة
العلماء ، وإليك طرفاً من أقوالهم فيه :

وصفه الذهبي رحمه الله فقال :

"العالم الثقة الحافظ أبو عبد الله البجلي ... أسلم وأتى النبى صلى الله
عليه وسلم ليبياعه فقبض نبى الله وقيس فى الطريق ، ولأبيه أبى حازم صحبة
وقيل : إن لقيس صحبة ، ولم يثبت ذلك ، وكان من علماء زمانه ؛

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله :

"ماكان بالكوفة أحد أروى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قيس بن أبى حازم".

وقال أبو داود رحمه الله :

(١) عضين : أى مجزأً مفروقاً .

انظر : القاموس المحيط ص ١٦٩٢ .

(٢) حادى الأرواح ص ٢٥٢ .

(٣) انظر : رؤية الله تعالى ص ٢٣١ .

"أجود التابعين إسناداً قيس".

وقال يحيى بن معين رحمه الله :

"قيس بن أبي حازم أوثق من الزهري ، ومن السائب بن يزيد".
وكذا وثقه غير واحد^(١).

ثانياً : أخرج له البخارى ومسلم وبقية أصحاب الكتب الستة وغيرهم^(٢). ولو كان مطعوناً فيه لما أخرج له أصحابا الصحيحين فى أصولهما .

ثالثاً : حديث قيس السابق أخرجه البخارى فى صحيحه ، ويكفى ذلك لصحته وتوثيق روايته ، وهو القائل : "مأدخلت فى كتاب الجامع إلا ماصح"^(٣).

رابعاً : لم ينفرد قيس عن جرير رضى الله عنه بذكر الرؤية وإنما تواترت الأحاديث عن جمع من الصحابة منهم أبو سعيد وأبو هريرة وأنس وصهيب وبلال وغير واحد^(٤).

خامساً : إن قيساً رحمه الله لم يكن يحمل على على رضى الله عنه كما يدعى عبد الجبار ، بل المشهور عنه أنه كان يقدم عثمان عليه^(٥). وهذا قول جمهور أهل السنة وكافة أهل الحديث والفقهاء فإنهم يقدمون عثمان على على رضى الله عنهما ، وفى ذلك قول ابن عمر "كنا نخير بين الناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضى الله عنهم"^(٦). فلم يأت قيس بمنكر من القول حتى يكون سبباً

(١) سير أعلام النبلاء ٤/١٩٨-٢٠٠ .

(٢) انظر : تقريب التهذيب ٢/١٢٧ .

(٣) انظر : تدريب الراوى ٢/٩٨ .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ٢/١٦١ ، وقد سبق بعض تلك الأحاديث ١٠ نظراً ص: ١٩٠ مباحثها .

(٥) انظر : سير أعلام النبلاء ٤/١٩٩ .

(٦) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (٦٢) ،

باب فضل أبى بكر بعد النبى صلى الله عليه وسلم (٤) ، ٤/١٩١ .

وانظر : تدريب الراوى ٢/٢٢٣ .

للطعن فيه .

(٥) قولهم بأنه خبر آحاد ، وهو لا يقتضى العلم ، والرؤية طريقها القطع والثبات .

كونه خبر آحاد وخبر الآحاد لا يقتضى العلم ، هذه شبهة باطلة ، استوفيت الإجابة عنها من قبل (١).

وأما كون الرؤية طريقها القطع والثبات ، هذا ليس بلازم لأن أحاديث الآحاد الصحيحة كافية في إثبات العقائد ، إضافة إلى ماسبق ذكره من أن أحاديث الرؤية تواترت تواتراً معنوياً . فبطلت بذلك شبهة أهل الاعتزال من جميع الأوجه .

(٦) زعمهم بأنه معارض بأخبار رويت منها :

(أ) مارواه أبو قلابة عن أبي ذر أنه قال : قلت للنبي : "هل رأيت ربك؟" فقال : "نور هو ، أنى أراه" أى أنور هو؟ كيف أراه؟

(ب) عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لن يرى الله أحد في الدنيا ولا في الآخرة".

ويجاب عن ذلك بما يلي :

(١) بالنسبة لرواية أبي ذر :

أخرجها مسلم رحمه الله عن أبي ذر بطريقين : قال صلى الله عليه وسلم في الرواية الأولى : "نور أنى أراه" ، وفي الثانية : "رأيت نوراً" (٢). قال النووي :

"أما قوله صلى الله عليه وسلم "نور أنى أراه" فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة فى أنى وتشديد النون وفتحها وأراه ، بفتح الهمزة ، هكذا رواه جميع الرواة فى جميع الأصول والروايات ومعناه : حجاب نور فكيف أراه ، قال الإمام أبو عبد الله المازرى رحمه الله : الضمير فى أراه عائد على الله

(١) انظر ص : ١٢٨ فما بعدها .

(٢) الحديث سبق تخريجه . انظر ص : ١٨٤

سبحانه وتعالى ومعناه أن النور معنى من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك ما حلت بين الرائي وبينه . وقوله صلى الله عليه وسلم : " رأيت نوراً " معناه : رأيت النور فحسب ولم أر غيره " (١) . ولكن عبد الجبار لم تطب لنفسه رواية الحديث كما جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بل أبت بدعته إلا أن تحمله على تحريفها ثم تفسيرها تفسيراً يلائم تلك البدعة .

وحديث أبي ذر لا يعارض حديث جرير السابق ، لأن حديث أبي ذر يتعلق بموضوع رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة المعراج ، فإنه نفى صلى الله عليه وسلم أن يكون قد رأى ربه بعيني رأسه ، والذي منعه من ذلك النور وهو الحجاب المذكور في رواية أبي موسى رضى الله عنه عندما قال :

"قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات ، فقال : "إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجاب النور [وفي رواية "النار"] لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه " (٢) .

فقول النبي صلى الله عليه وسلم : "فأنى أراه؟" أى فكيف أراه والنور حجاب بينى وبينه يمنعنى من رؤيته؟ (٣)

(٤) وأما رواية جابر فإنها لم ترو بهذا اللفظ عن أحد من أئمة الحديث . وإنما الذى ورد عند مسلم : من حديث الدجال عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت " (٤) .

(١) شرح النووى على مسلم ١٢/٣ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان (١) ، باب فى قوله عليه السلام : "إن الله لا ينام" (٧٩) برقم ١٧٩ ، ١٦١/١ - ١٦٢ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٧ .

(٤) الحديث سبق تخريجه . انظر ص ١٨٤ .

فزيادة "ولا في الآخرة" زيادة منكرة لم ترد في الحديث ، بل هي موضوعة أريد بها مناهضة الأدلة الثابتة في إثبات الرؤية ، فأمثالها لا يجوز أن تنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم (١).

والذى يعجب له الإنسان من هؤلاء المعتزلة أنهم يطعنون في الثابت من الأحاديث بل والمتواتر منها إذا خالفت بدعتهم بينما يلجأون إلى الموضوع والضعيف من الأحاديث للاستشهاد به على باطلهم ، وما ذلك إلا للهوى الذى أعمى أبصارهم عن رؤية الحق ، وعقولهم عن الهدى ، فانقلبت عندهم الموازين واختلطت عليهم الأمور ، فأصبح الضلال هدى والباطل حقاً ، وهكذا أصحاب البدع والأهواء ، فإنهم يحدثون البدع أولاً فإذا استقرت في أذهانهم بحثوا لها عما يسندها من أدلة لا يعبأون بصحتها أو ضعفها ، أو من قالها ، وإن وجدوا ما يخالف تلك البدع من أدلة صحيحة لووا أعناقها فحرفوها وبدلوها وزادوا ونقصوا فيها لتكون حجة لهم لا عليهم . والسلامة أن يعافيك الله مما ابتلاهم به .

(٧) قولهم : "المراد بـ"سترون ربكم" : ستعلمون ربكم أو تعرفون ربكم ، ولذا قال : "لاتضامون" أى لاتشكون .

والجواب على ذلك :

أولاً : لاشك إن "ترى" تكون بصرية وتارة تكون قلبية ، وتارة تكون من رؤيا الحلم ، وغير ذلك . ولا يخلو الكلام من وجود قرينة تخلص المعنى المراد .

والقرينة في الحديث قوله : "سترون ربكم كما ترون القمر" .

وفي الرواية الأخرى : "كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحب" . فدل على أن المراد بها "ترى" البصرية (٢).

(١) انظر : رؤية الله تعالى ص ٢٣٤، ٢٣٥ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١١ .

ثانياً : إن " ترى " العلمية تنصب مفعولين بخلاف البصرية .

قال ابن التين :

"... إن الرؤية بمعنى العلم تتعدى لمفعولين تقول : رأيت زيداً فقيهاً أى علمته ، فإن قلت : رأيت زيداً منطلقاً لم يفهم منه إلا رؤية البصر ، ويزيده تحقيقاً قوله فى الخبر : "إنكم سترون ربكم عياناً" لأن اقتران الرؤية بالعيان لا يحتمل أن يكون بمعنى العلم" (١).

ثالثاً : قوله : "تضامون" . قال النووى : "بتشديد الميم وتخفيفها فمن شددھا فتح التاء ومن خففها ضم التاء ، ومعنى المشددة : هل تضامون وتتلففون فى التوصل إلى رؤيته ، ومعنى المخففة : هل يلحقكم ضم وهو المشقة والتعب" (٢).

فتفسير عبد الجبار للضم بمعنى الشك لا يستقيم .

قال الإمام الدارمى رحمه الله :

"وهذا التفسير - أى تفسير "تضامون" بمعنى تشكون - مع ما فيه من معاندة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو محال خارج عن المعقول ، لأن الشك فى ربوبية الله زائل عن المؤمن والكافر يوم القيامة فكل مؤمن وكافر يومئذ يعلم أنه ربهم لا يعترئهم فى ذلك شك فيقبل الله ذلك من المؤمنين ، ولا يقبله من الكافرين ، ولا يعذرهم بمعرفتهم ويقينهم به فى ذلك اليوم فما فضل المؤمن على الكافر يوم القيامة .. فى معرفة الرب ؟ إذ مؤمنهم وكافرهم لا يعترئهم فى ربوبيته شك" (٣).

قال ابن حزم :

"ومحال أن تكون هذه الرؤية رؤية القلب لأن جميع العارفين به تعالى يرونه فى الدنيا بقلوبهم وكذلك الكفار فى الآخرة بلا شك" (٤).

(١) فتح البارى ٤٢٦/١٣ ، وانظر فى ذلك : النحو الوافى ١٨-١٤/٢ .

(٢) شرح النووى على مسلم ١٨/٣ .

(٣) رد الدارمى عثمان بن سعيد ضمن عقائد السلف ص ٤١٤ .

(٤) الفصل فى الملل ٤/٣ .

وأما قول عبد الجبار :

"مانسب لعائشة إنها سمعت بأن القوم يقولون : بأن الله يرى ، فقالت : لقد قف شعري مما قلتموه ، ودفعت ذلك بقوله تعالى : {لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار} (١).

يجاب عن ذلك بالآتي :

أولاً: ذكره لحديث عائشة الصحيح بصيغة التمریض "نسب" مخالف للقاعدة العلمية عند المحدثين ، فإنهم يوردون الأحاديث الصحيحة بصيغة الجزم (٢).

ثانياً: لقد حرف عبد الجبار رواية عائشة رضي الله عنها ليتسنى له الاستدلال بها على نفى الرؤية في الآخرة .

والحديث كما رواه مسلم في صحيحه بسنده إلى مسروق (٣) قال : كنت متكئاً عند عائشة فقالت : يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية ، قلت : ماهن؟ قالت من زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، قال وكنت متكئاً فجلست فقلت : يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل {ولقد رآه بالأفق المبين} (٤) ، {ولقد رآه نزلة أخرى} (٥). فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن

(١) سورة الأنعام : آية ١٠٣

(٢) انظر : تدريب الراوى ١٢٠/١ .

(٣) مسروق :

هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي ، أبوعائشة ، الكوفي ، ثقة فقيه عابد ، مخضرم . يروى عن أبي ، وعمر ، وعائشة . وعنه الشعبي ، وإبراهيم النخعي ، وأبو وائل . مات سنة ٦٢ هـ وقيل ٦٣ هـ .

انظر : الطبقات الكبرى ٧٦/٦ ، تاريخ بغداد ٢٣٢/١٣ ، تذكرة الحفاظ ٤٦/١ ، سير أعلام النبلاء ٦٩-٦٣/٤ ، تهذيب التهذيب ١٠٩/١٠ ، تقريب التهذيب ٢٤٢/٢ .

(٤) سورة التكوين : آية ٢٣

(٥) سورة النجم : آية ١٣

ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "إنما هو جبريل لم أره على الصورة التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض ، فقالت : أو لم تسمع أن الله يقول : {لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير} ..."(١) الحديث .
ثالثاً : إن عائشة رضی الله عنها لم تنف رؤية الله في الآخرة ، وإنما نفت أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى ربه في الدنيا كما هو ظاهر من سياق الرواية .

ونفى عائشة رضی الله عنها لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم لله سبحانه في الدنيا بعيني رأسه هو القول الراجح عند أهل العلم وعليه جمهور أهل السنة ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : "تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت"(٢) ، ولحديث أبي ذر رضی الله عنه "نور أنى أراه"(٣)(٤) .

ولا يلزم من ذلك عدم رؤيته في الآخرة .

-
- (١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب معنى قول الله عز وجل : {ولقد رآه نزلة أخرى} (٧٧) برقم ١٧٧ ، ١٥٩/١ .
وأخرج البخاري نحوه مختصراً في كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب إذا قال أحدكم آمين (٧) ، ٨٤،٨٣/٤ .
وبنحوه في كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة ق (٥٣) ، باب (١) ، ٥٠/٦ .
وأخرجه مختصراً أيضاً في كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً} (٤) ، ١٦٦/٨ .
(٢) الحديث سبق تخريجه . انظر ص : ١٨٤
(٣) الحديث سبق تخريجه . انظر ص : ١٨٤
(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٢/٢٣٠ ، رؤية الله تعالى ص ٥٤،٥٣ .

(٣) أفعال العباد :

هذا موضوع له علاقة وصلة وثيقة بموضوع قضاء الله وقدره . وأول من يذكر عنه أنه تحدث في قدر الله تعالى معبد الجهني^(١)، ثم تبنى قوله واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد^(٢)، ودعوا الناس إلى ذلك^(٣).

وقد توسعت المعتزلة بعد ذلك في موضوع القدر حتى جعلوه أصلاً من أصولهم الخمسة وأسموه بالعدل ، وتمدحوا بالتسمية به .

وقد عرفوا العدل بأنه تعالى لا يفعل القبيح ولا يختاره ، ولا يخل بما هو واجب عليه ، وأن أفعاله كلها حسنة^(٤).

وقد زعموا أن العقل هو الذي قادهم إلى ذلك ودفعهم إليه .

وأما نصوص الكتاب والسنة فلا دخل لها في شأن العدل .

قال عبد الجبار :

"فأما الكلام في العدل فالعقل يدل عليه ، وذلك لأنه تعالى إذا كان عالماً بالقبيح وغنياً عنه ، لأن الحاجة إنما تصح على من يشتهي ويتغذى

(١) معبد الجهني :

هو معبد بن عبد الله بن عويم ، وقيل : عكيم - الجهني . البصري . أول من قال بالقدر في زمن الصحابة بالبصرة . وكان عالماً مع بدعته . صدوق في الحديث . قتل سنة ٨٠ هـ .

انظر : التاريخ الكبير للبخاري ٣٩٩/٧ ، الجرح والتعديل ٢٨٠/٨ ، المجروحين ٣٦،٣٥/٣ ، ميزان الاعتدال ١٤١/٤ ، سير أعلام النبلاء ١٨٥/٤-١٨٧ ، تقريب التهذيب ٢٦٢/٢ .

(٢) عمرو بن عبيد : هو عمرو بن عبيد بن باب ، التميمي مولاهم ، أبو عثمان البصري ، شيخ المعتزلة في عصره ومفتيها ، وأحد الزهاد . كان داعية إلى بدعته . واتهمه جماعة . مات سنة ١٤٣ هـ وقيل ١٤٤ هـ .

انظر : المجروحين ٧١-٦٩/٢ ، تاريخ بغداد ١٦٢/١٢-١٧٨ ، ميزان الاعتدال ٢٨٠-٢٧٣/٣ ، سير أعلام النبلاء ١٠٦-١٠٤/٦ ، تهذيب التهذيب ٣٠/٨ ، تقريب التهذيب ٧٤/٢ .

(٣) انظر : الفرق بين الفرق ص ١١٩ .

(٤) انظر : شرح الأصول ص ٣٠١، ١٣٢ .

وتصح عليه الزيادة والنقصان ، ومن هذا حاله لا يجوز أن يختار القبيح ،
ولولا ذلك لما حصل الثقة بكلامه وقوله "(١)".

وقد دفعهم ذلك إلى نفى قدر الله تعالى وعدم إثباته .
قال عبد الجبار :

"والذين يشبتون القدر هم المجبرة (٢)، فأما نحن فإننا ننفيه وننزه الله
تعالى عن أن تكون الأفعال بقضائه وقدره" (٣).

وماورد من أخبار الآحاد دالاً على ذلك ضرب من ضروب الخطأ ،
الذى يعلم بروايته أنه ارتكب عظيماً (٤).

والقول بأن الله لا يفعل القبيح ولا يختاره وهو ما عرفوا به العدل هي
القاعدة التي انطلقوا منها في نفيهم لخلق أفعال العباد وتقديرها وإرادتها من
قبل الله تعالى زعماء منهم بأن ذلك تنزيه لله سبحانه (٥).

وهذه مقدمة نخلص من خلالها إلى عرض موقف المعتزلة من خلق
أفعال العباد وإرادتها .

أولاً : خلق أفعال العباد .

لقد أجمعت المعتزلة على أن أفعال العباد ليست من خلق الله
تعالى (٦). طاعات كانت أم معاصي . وحجتهم أنها من القبائح والله لا يفعل
القبيح (٧).

(١) فضل الاعتزال ص ١٤١ ، وانظر : المحيط بالتكليف ص ٢٣٤، ٢٥٩ .

(٢) المجبرة : أو الجبرية : مشتقة من الجبر ، وهو نفى الفعل حقيقة عن العبد وإضافته
إلى الرب تعالى . وهم أصناف : فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً
ولا قدرة على الفعل أصلاً . والمتوسطة : هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة .
انظر : الملل والنحل ٨٥/١ ، التعريفات ص ٤٠ .

(٣) شرح الأصول ص ٧٧٦ .

(٤) انظر : فضل الاعتزال ص ١٩٤ .

(٥) انظر : شرح الأصول ص ٧٧٦ .

(٦) انظر : باب ذكر المعتزلة ص ٦ ، الفرق بين الفرق ص ١١٤-١١٥ .

(٧) انظر : المحيط بالتكليف ص ٢٨٧ .

وهى حجة عقلية إذ السمع لا يصح أن يكون دليلاً في هذا المقام (١).
وقد يعترض معترض بأن المعاصى قبائح ولكن مآبال الطاعات تطوى
من أن تكون خلقاً لله بهذه الحجة العقلية؟
يجيب على ذلك عبد الجبار بقوله :

"قد صح أن أفعال العباد قبائح ، وقد صح بما تقدم في دليل العدل أنه
تعالى لا يختار فعل القبيح ، فيجب أن يكون حادثاً من جهته ، وإذا لم يكن
بد من محدث له ، فليس إلا أن العبد هو الذى يحدثه ... ولا فرق بين ذلك في
الأفعال الحسنة أو القبيحة فالجميع لا يخلقه الله ، لأن الأفعال الحسنة قد
يصح وجودها على وجه فتقبح وعلى وجه آخر فتحسن" (٢).

ومن ثم لا يليق أن يوصف الله سبحانه وتعالى بأنه خالق للخير والشر
والذين يقولون ذلك هم الذين قل تمييزهم (٣).
وقد أيدوا دليلهم العقلى بشبه عقلية ونقلية :
الشبه العقلية :

الأولى : لو كانت خلقاً لله تعالى لم تكن عملاً للعباد ، تقف عليه
أحوالهم ، وتوجد وتنتهى بحسب اختيارهم وإرادتهم لا كالألوان
والصور (٤).

الثانية : وجود الأمر ببعضها والنهى عن بعض ، والمدح على بعض
والذم على بعض ، والثواب على بعض والعقاب على بعض . فلو كانت خلقاً
لله ما حسن شيء مما سبق . فإثبات خلق الله لها يوجب نفي الأحكام
السابقة ، ويلزم من ذلك أن يكون الله ظالماً جائراً (٥).

(١) انظر : شرح الأصول ص ٣٥٤-٣٥٥ .

(٢) المحيط بالتكليف ص ٣٦٦-٣٦٧ .

(٣) انظر : فضل الاعتزال ص ١٧٩ .

(٤) انظر : شرح الأصول ص ٧٧١، ٧٧٨-٧٧٩ ، المحيط بالتكليف ص ٣٤٠ ، شرح
قصيدة الصاحب بن عباد ص ٦٠-٦١ .

(٥) انظر : فضل الاعتزال ص ١٦٩-١٧٠ ، شرح الأصول ص ٣٤٥ ، المحيط بالتكليف
ص ٣٤٠ ، شرح قصيدة الصاحب ص ٦١ .

الشبه الثقيلة :

وهى تذكر على أنها موافقة لأدلة العقل السابقة ومقررة لها ، لأنها تفرد للاستدلال بها ، لأن ذلك متعذر (١).

(١) {ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت} (٢).

فالباطل المتفاوت ليس من خلق الله .

(٢) {صنع الله الذى أتقن كل شىء} (٣).

الكفر والظلم وغيرهما ليست من خلقه ، لأنها ليست بمتقنة ولا محكمة

ولاحسنة .

(٣) {وما أصابك من سيئة فمن نفسك} (٤).

{قل هو من عند أنفسكم} (٥).

{حسداً من عند أنفسهم} (٦).

{وما هو من عند الله} (٧).

فهذه الأمور قد لحقت العبد من جهته لامن جهة الله فدل على أنها

ليست من خلقه .

(٤) قوله تعالى : "تفعلون" ، "تصنعون" ، "وتعلمون" ، "وتكسبون" ،
و"تخلقون إفكاً" (٨).

وفى ذلك إضافة الفعل إلى العبد بأقوى وجوه الإضافة .

(٥) {كيف تكفرون بالله} (٩).

(١) انظر : شرح الأصول ص ٣٥٤-٣٥٥ .

(٢) سورة الملك : آية ٣

(٣) سورة النمل : آية ٨٨

(٤) سورة النساء : آية ٧٩

(٥) سورة آل عمران : آية ١٦٥

(٦) سورة البقرة : آية ١٠٩

(٧) سورة آل عمران : آية ٧٨

(٨) سورة العنكبوت : آية ١٧

(٩) سورة البقرة : آية ٢٨

{وَمَنْعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا} (١).

وفي هذا الزام للعبد وتوبيخ وذم له ، وتقريع له بالنعم وعدها عليه (٢).

(٦) {إِنْ أَمَرَ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ} (٣).

{وَإِذَا فَعَلُوا فَاحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنْ أَمَرَ بِالْفَحْشَاءِ} (٤).

(٧) {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (٥).

فخلقهم للعبادة ولم يخلقهم للمعصية .

(٨) {وَكُلْ شَيْءٌ فَعَلُوهُ فِي الزَّيْرِ} (٦).

فقال : فعلوه ولم يقل فعله . وقال في فعله : {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} (٧)، أى كل شيء يكون ولم يقل خلق فعلهم (٨).
ثانيا : إرادة الأفعال .

قسموا الإرادة إلى قسمين :

(١) إرادة حتم وجبر ، كخلق السموات والجال .. الخ

(٢) إرادة أمر ، ومعها تمكين كالأمر بالبر والإحسان .

فمكن الله عباده لفعل ذلك بما أعطاهم من استطاعات وآلات للاختيار ولم يلزمهم بالطاعات جبراً ، ولا صرفهم عن المعاصي قسراً (٩).

(١) سورة الكهف : آية ٥٥

(٢) انظر : المحيط بالتكليف ص ٣٧٩ .

(٣) سورة النحل : آية ٩٠

(٤) سورة الأعراف : آية ٢٨

(٥) سورة الذاريات : آية ٥٦

(٦) سورة القمر : آية ٥٢

(٧) سورة الزمر : آية ٦٢

(٨) انظر : رسائل العدل ص ٧١-٧٢ .

(٩) انظر : رسائل العدل ص ١٨٣-١٨٥ ، المحيط بالتكليف ص ٢٨٧ .

ثم فصلوا في إرادة الله لتلك الأفعال ، فإن كانت طاعات فإنه يريدونها ويعين عليها ، وإن كانت معاصي فإنه لا يريدونها ولا يشاؤها ولا يعين عليها ، وإن كانت مباحات أو أفعال غير المكلفين ، فهو لا يريدونها ولا يكرهها^(١).
ودليلهم العقلي على ذلك :

أما الطاعات فلأن كراهة الحسن قبيحة ، وأما المعاصي فلأن إرادة القبيح قبيحة ، وأما المباحات وأفعال غير المكلفين فلافائدة من إرادتها أو كرهها^(٢).

وأيدوا ذلك بشبه عقلية ونقلية :

الشبه العقلية :

- (١) لو أرادها ما كان فعلها خطأ ولا معصية ، لأن المعقول من الطاعة فعل مأراداه المطاع ، والمعصية فعل ماكرهه المعصى^(٣).
- (٢) لا يجوز أن يكون الله مريداً للمعاصي ، لأنه وجب حينئذ أن يكون محباً لها راضياً عنها ، لأن الإرادة والمحبة والرضا من باب واحد^(٤).
- (٣) لو كان يريدونها لكان العاصي معذوراً عند الله ، لأنه فعل ما يريد الله ، موافقاً لقضائه وقدره ، ولا يوجد حينئذ عاصي على الأرض لأن الكل يسعى بقضائه وقدره .
- والقول بأنه خلق قوماً للجنة وقوماً للنار كذب وضلال^(٥).
- (٤) لو كان الله مريداً لها مانهاً عنها^(٦).
- (٥) لا يمكن أن يقضى على خلقه بمعصية ، ثم يعذبهم عليها ، بل ذلك محال وباطل .

(١) انظر : شرح الأصول ص ٧٧٨-٧٧٩ ، المحيط بالتكليف ص ١٠٩ .

(٢) انظر : المحيط بالتكليف ص ١٠٩ ، ٢٨٨ .

(٣) انظر : شرح قصيدة الصاحب ص ٦٢-٦٤ .

(٤) انظر : شرح الأصول ص ٧٧١ ، ٤٦٤ ، المحيط بالتكليف ص ٤٢٠ .

(٥) انظر : رسائل العدل ص ٩١ .

(٦) انظر : شرح الأصول ص ٤٦٣ .

ولكان الطائع والعاصي يجريان في طاعته ، ولم يكن المذنب أولى بالعقوبة من المهتدى (١).

وأما الشبه النقلية :

(١) قوله : {وما الله يريد ظلماً للعالمين} (٢).

وقوله : {وما الله يريد ظلماً للعباد} (٣).

وهذا نص في موضع الخلاف .

(٢) قوله : {كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً} (٤).

فيستحيل أن يكون مريداً لشيء كارهاً له (٥).

(٣) قوله : {والله لا يحب الفساد} (٦).

{ولا يرضى لعباده الكفر} (٧)(٨).

(٤) قوله : {سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا

ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل

هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا

تخرسون} (٩).

فقد أكذب الله المشركين في قولهم ، ونفى عن نفسه ما نسبوه إليه

بظلمهم (١٠).

(١) انظر : رسائل العدل ص ١٨٥، ١٠٨ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٠٨

(٣) سورة غافرة : آية ٣١

(٤) سورة الإسراء : آية ٣٨

(٥) انظر : شرح قصيدة الصاحب ص ٦٢-٦٤ .

(٦) سورة البقرة : آية ٢٠٥

(٧) سورة الزمر : آية ٧

(٨) انظر : المحيط بالتكليف ص ٢٨٦ .

(٩) سورة الأنعام : آية ١٤٨

(١٠) انظر : رسائل العدل ص ٧٢، ٧١ .

وأماموقفهم من أدلة الإثبات ، مثاله حديث احتجاج آدم وموسى عليها السلام^(١) ، فقد ردوا عليه بالآتي :

(١) هذا يوجب أن موسى كان قدرياً .

(٢) يوجب في كل كافر ومشرِك وفاجر أن لا يلام لأن ما آتاه كان مكتوباً عليه .

وبالتالى من تعلق به وبأمثاله من الأحاديث فهو جاهل ويجب أن يلصق به كل ذم ، وكل لقب مذموم^(٢) .

وجوب الإيمان بقدر الله تعالى والجواب على شبه المعتزلة :

الإيمان بقدر الله واجب ، وهو أحد أركان الإيمان الستة التى لا يتصف المؤمن بالإيمان إلا بتحقيقها كما قال صلى الله عليه وسلم : "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره"^(٣) .

والإيمان به من تمام التوحيد ، كما قال ابن عباس : "هو نظام التوحيد" ، فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده ، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض توحيده^(٤) .

وهو سر الله فى خلقه لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد من عباد الله ، فإله أوجد وأفنى ، وأفقر وأغنى ، وأمات وأحيا ، وأضل وهدى ، وهو على كل شىء قدير ، وبكل أمر بصير^(٥) .

وأهل السنة والجماعة وحزب الله ورسوله هم أسعد الناس فى مسألة القدر من جميع الطوائف .

(١) يأتى الحديث والكلام عنه .

(٢) انظر : فضل الاعتزال ص ١٦٨ .

(٣) انظر : شرح لمعة الاعتقاد ص ٥١ .

والحديث سبق تخريجه انظر : ص : ٩١

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ١١٣/٣ .

(٥) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٠ .

فإنهم يشبتون قدرة الله على جميع الموجودات من الأعيان والأفعال ، ويشبتون مشيئته العامة ويزهونه أن يكون في ملكه ما لا يقدر عليه ولا هو واقع تحت مشيئته ، ويشبتون القدر السابق ، وأن العباد يعملون ما قدره الله وقضاه وفرغ منه ، وأنهم لا يشاءون إلا أن يشاء الله ، ولا يفعلون إلا من بعد مشيئته ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ويؤمنون بأن من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له (١) .

ولقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات قدر الله تعالى وهي تؤيد ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة . من ذلك :

(١) قال سبحانه وتعالى :

- {وخلق كل شيء فقدره تقديراً} (٢) .
 وقال : {إنا كل شيء خلقناه بقدر} (٣) .
 وقال : {وكان أمر الله قدراً مقدوراً} (٤) .
 وقال : {الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى} (٥) .
 روى مسلم بسنده إلى يحيى بن يعمر (٦) قال :

- (١) شفاء العليل ص ١١٤-١١٥ بتصرف .
 وانظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٣٨/٢ ، جامع الرسائل ١٢٩/١ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٥٠ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٠ .
 (٢) سورة الفرقان : آية ٢
 (٣) سورة القمر : آية ٤٩
 (٤) سورة الأحزاب : ٣٨
 (٥) سورة الأعلى : آية ٢-٣
 (٦) يحيى بن يعمر :
 هو يحيى بن يعمر أبو سليمان العدواني البصري ، نزيل مرو وقاضيه ، ثقة فصيح وكان يرسل ، روى عن أبي ذر ، وعائشة وأبي هريرة . وعنه قتادة ، وعطاء الخراساني ، وآخرون . مات سنة ١١٥ هـ . وقيل غير ذلك .
 انظر : الجرح والتعديل ١٩٦/٩ ، تذكرة الحفاظ ٧١/١ ، سير أعلام النبلاء ٤٤١/٤-٤٤٣ ، تهذيب التهذيب ١٧١/٤ ، تريب التهذيب ٣٦١/٢ .

كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري^(١) حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته^(٢) أنا وصاحبي أهدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلى ، فقلت : أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون^(٣) العلم - وذكر من شأنهم - وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف ، قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني برىء منهم وأنهم براء مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ، ثم قال : حدثني أبي عمر بن الخطاب ، قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً . قال صدقت ، قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال فأخبرني عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم

(١) حميد بن عبد الرحمن :

هو حميد بن عبد الرحمن الحميري البصري ، ثقة فقيه . روى عن أبي هريرة وأبي بكر الثقفي وابن عمر . وعنه عبد الله بن بريدة ، ومحمد بن سيرين وقتادة . انظر : الجرح والتعديل ٢٢٥/٣ ، سير أعلام النبلاء ٢٩٣/٤-٢٩٤ ، تهذيب التهذيب ٤٦/٣ ، تقريب التهذيب ٢٠٣/١ .

(٢) اكتنفته أنا وصاحبي : أي أحطنا به من جانبيه .

النهاية في غريب الحديث ٢٠٥/٤ .

(٣) يتقفرون العلم : أي يتطلبونه . المرجع السابق ٩٠/٤ .

الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال صدقت . قال فأخبرني عن الإحسان . قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرني عن الساعة . قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرني عن أمارتها قال : أن تلد الأمة ربنتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان . قال : ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال : يا عمر أتدرى من السائل؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" (١). والأحاديث في إثبات القدر كثيرة جداً في الصحيحين وغيرها عن جماعة من الصحابة (٢).

والإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أمور :

الأول : الإيمان بأن الله عالم بكل ما يكون جملة وتفصيلاً بعلم سابق ، لقوله تعالى : {ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير} (٣).

الثاني : إن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء لقوله تعالى {ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها} (٤). أي قبل أن نخلق الخليقة .

ولقوله صلى الله عليه وسلم : "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال : وعرضه على الماء" (٥).

(١) الحديث سبق تخريجه انظر ص: ٩١

(٢) انظر : صحيح البخارى ، كتاب القدر (٨٢) ، باب (١) ، باب جف القلم على علم الله (٢) ٢١٠/٧ ، وباب كان أمر الله قادراً مقدوراً (٤) ، ٢١١/١ .

صحيح مسلم ، كتاب القدر (٤٦) ، باب كيفية الخلق الآدمي (١) ، حديث رقم ٢٦٤٣ ، ٢٠٣٦/٤ ، وحديث رقم ٢٦٤٧ ، ٢٠٣٩/٤ ، وحديث رقم ٢٦٤٨ ، ٢٠٤٠/٤ ، وباب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢) ، حديث رقم ٢٦٥٢ ، ٢٠٤٢/٤ ، حديث رقم ٢٦٥٣ ، ٢٠٤٤/٤ ، وباب كل شيء بقدر (٤) ، حديث رقم ٢٦٥٥ ، ٢٠٤٥/٤ .

(٣) سورة الحج : آية ٧٠

(٤) سورة الحديد : آية ٢٢

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو في كتاب القدر (٤٦) ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢) برقم ٢٦٥٣ ، ٢٠٤٤/٤ .

الثالث : إنه لا يكون شىء فى السموات والأرض إلا بإرادة الله ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة ، يهدى من يشاء برحمته ، ويضل من شاء بحكمته ، لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه وهم يسألون . وما وقع من ذلك فهو مطابق لعلم الله السابق ولما كتبه فى اللوح المحفوظ لقوله تعالى {إنا كل شىء خلقناه بقدر} (١) ، {فمن يرد الله أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً} (٢) . فأثبت وقوع الهداية والضلال بإرادته .

الرابع : إن كل شىء فى السموات والأرض مخلوق لله تعالى لا خالق غيره ولا رب سواه ، لقوله تعالى : {وخلق كل شىء فقدره تقديرًا} (٣) . وقال على لسان إبراهيم : {والله خلقكم وماتعملون} (٤) (٥) .

وقد تناول العلماء من أهل السنة شبه المعتزلة السابقة فى موضوع القدر وأفعال العباد ففندوها وأوضحوا بطلانها لأنها لم تبين على نصوص الشرع وإنما بنيت على العقول القاصرة العاجزة فجاءت مخالفة للنصوص ، مناهضة لها ، ويتضح ذلك فيما يلى :

قولهم فى تعريف العدل : إن الله لا يفعل القبيح ولا يختاره ولا يخل بما هو واجب عليه ، وإن أفعاله كلها حسنة . وعلى ذلك دل العقل كما يرون .

(١) سورة القمر : آية ٤٩

(٢) سورة الأنعام : آية ١٢٥

(٣) سورة الفرقان : آية ٢

(٤) سورة الصافات : آية ٩٦

(٥) شرح لمعة الاعتقاد ص ٥١-٥٣ بتصرف .

وانظر : شفاء العليل ص ٦٦ .

إن المعتزلة لما خاضوا بعقولهم في شرع الله تعالى ، بعيدة عن هدى النصوص ، قذفت لهم تلك العقول بما يسمى بالتحسين والتقييح العقلي ووجوب الأصلح على الله الذي كان علته وسببه قياسهم لأفعال الله سبحانه على أفعال العباد ، فحسنوا منه ما يحسن منهم ، وقبحوا منه ما يقبح منهم وأوجبوا عليه ما يجب عليهم وحرموا عليه ما يحرم عليهم وسموا ذلك عدلاً ، وما ذلك إلا تشبيهه لله بخلقه في أفعاله . فهم في الحقيقة مشبهة الأفعال . والله سبحانه لا يقاس بنا في أفعاله ، فليس ماوجب أو حرم علينا يجب ويحرم عليه ، وليس ماحسن أو قبح منا يحسن أو يقبح منه (١).

فهو سبحانه منزّه عن فعل القبائح ، لا يفعل السوء ولا السيئات ، مع أنه سبحانه خالق كل شيء : أفعال العباد وغيرها . والعبد إذا فعل القبيح المنهى عنه كان قد فعل سوءاً وظلماً وقبيحاً وشرأ ، والرب قد جعله فاعلاً لذلك ، وذلك منه سبحانه عدل وحكمة وصواب ووضع للأشياء في مواضعها ، فخلقه سبحانه لما فيه نقص أو عيب للحكمة التي خلقه لها هو محمود عليه ، وهو منه عدل وحكمة وصواب وإن كان في المخلوق عيباً ، ومثل ذلك موجود في مفعول المخلوقين ، فإن الصانع إذا أخذ الخشبة المعوجة والحجر الرديء واللينة الناقصة فوضعها في موضع يليق بها ويناسبها كان ذلك منه عدلاً ، واستقامة وصواباً وهو محمود ، وإن كان في تلك عوج وعيب هي به مذمومة ، ومن أخذ الخبثاء فجعلها في المحل الذي يليق بها كان ذلك حكمة وعدلاً ، وإنما السفه والظلم أن يضعها في غير موضعها ، ومن وضع العمامة على الرأس والنعلين في الرجلين فقد وضع كل شيء موضعه ، ولم يظلم النعلين إذ هذا محلها المناسب لهما ، فهو سبحانه لا يضع شيئاً إلا في موضعه ، فلا يكون إلا عدلاً ، ولا يفعل إلا خيراً ، فلا يكون إلا محسناً جواداً رحيماً ، وهو سبحانه له الخلق والأمر (٢).

(١) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٨ ، مفتاح دار السعادة ص ٤٩-٥٢ ، شرح

العقيدة الطحاوية ص ٤٤٨ .

(٢) جامع الرسائل ١/١٣٠ بتصرف .

والله يختص بحكمة لا يشاركه فيها غيره ، ولهذا يحسن منه ما يقبح من المخلوقين لانتفاء تلك الحكمة في حقهم ، مثال لذلك يحسن منه مدح نفسه والثناء عليها ويقبح من أكثر خلقه ذلك . ويليق به الكبرياء والعظمة ويقبح ذلك من خلقه كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم إنه حكى عن الله تعالى أنه قال : "العز إزاره ، والكبرياء رداؤه . فمن ينازعني عذبتة" (١).

كما يحسن منه إمامة خلقه وابتلاؤهم وامتحانهم بأنواع المحن ويقبح ذلك من الخلق ، فليس بين الله وخلقه جامع يوجب أن يحسن منه ما حسن منهم ويقبح منه ما قبح منهم (٢).

والعقول وإن كانت تقف على حسن بعض الأمور وقبحها في الجملة فهي قاصرة عن اكتساب المعقولات بأسرها عاجزة عن الاهتداء إلى المصلحة الكلية الشاملة لنوع الإنسان تفصيلاً ، فوجب من حيث الحكمة أن يكون بين الناس شرع يحملهم على الإيمان بالغيب جملة ويهديهم إلى مصالح معاشهم ومعادهم تفصيلاً ، فيحملهم على التوجه إلى الخير المحض والإعراض عن الشر المحض استبقاء لنوعهم واستدامة لنظام العالم (٣).

وأما إيجاب شيء على الله أو تحريمه عليه ، فإن جمهور العلماء ذهبوا إلى أنه سبحانه إنما أمر عباده بما فيه صلاحهم ونهاهم وحذرهم عما فيه فسادهم ، وأرسل لهم الرسل للمصلحة العامة ، وإن كان في إرسالهم ضرر على بعض الناس ، ففيه حكم ، وإن كان في بعض ما يخلفه ضرر كالذنوب ، فلا بد من وجود الحكمة في ذلك والمصلحة التي لأجلها خلقه سبحانه (٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة ، كتاب البر والصلة

(٤٥) ، باب تحريم الكبر (٣٨) ، برقم ٢٦٢٠ ، ٢٠٢٣/٤ .

(٢) انظر : لوايع الأنوار ٣٣٣/١ .

(٣) انظر : مفتاح دار السعادة ١١٨، ١١٧، ٥٦/٢ .

(٤) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٥٣ .

والله سبحانه قد يوجب على نفسه ويحرم بعض الأمور كقوله سبحانه :
 {كتب ربكم على نفسه الرحمة} (١)، وقوله : {وكان حقاً علينا نصر
 المؤمنين} (٢)، وفي الحديث : "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي" (٣)، وهو
 لا يخل بما أوجبه أو حرمه على نفسه ، أما أن يوجب أو يحرم عليه الخلق
 بعقولهم فلا (٤).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله :
 "وأما الإيجاب عليه سبحانه وتعالى ، والتحریم بالقياس على خلقه ،
 فهذا قول القدريّة (٥)، وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح
 المعقول ، وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه خالق كل شيء ومليكه ،
 وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن العباد لا يوجبون عليه شيئاً ، ولهذا
 كان من قال من أهل السنة بالوجوب ، قال : إنه كتب على نفسه ، وحرّم
 على نفسه ، لأن العبد نفسه يستحق على الله شيئاً ، كما يكون للمخلوق
 على المخلوق ، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير ، فهو الخالق لهم ،
 وهو المرسل إليهم الرسل ، وهو الميسر لهم الإيمان ، والعمل الصالح ، ومن
 توهم من القدريّة والمعتزلة ونحوهم أنهم يستحقون عليه من جنس ما يستحقه
 الأجير على من استأجره فهو جاهل في ذلك.

(١) سورة الأنعام : آية ٥٤

(٢) سورة الروم : آية ٤٧

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضى الله عنه في
 كتاب البر والصلّة (٤٥) ، باب تحریم الظلم (١٥) ، برقم ٢٥٧٧ ، ١٩٩٤/٤ .

(٤) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٧٧٥/٢-٧٧٦ ، المنتقى من منهاج الاعتدال
 ص ٥٠، ٤٩ .

(٥) القدريّة :

هم الذين كانوا يخوضون في القدر ويذهبون إلى إنكاره ، ويزعمون أن كل عبد
 خالق لفعله ، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله .

انظر : التعريفات ص ٩٢ ، منهاج السنة النبوية ٩/١ الهامش .

وإذا كان كذلك لم تكن الوسيلة إليه إلا بما من به من فضله وإحسانه ، والحق الذى لعباده هو من فضله وإحسانه ، ليس من باب المعاوضة ولا من باب مأوجه غيره عليه ، فإنه سبحانه هو يتعالى عن ذلك" (١).

فالله لا يجب عليه فعل الأصلح والأأنفع لعباده خلافاً للمعتزلة ، لأنه يلزم من قولهم لوازم فاسدة مثل :

(١) إن القربات من النوافل صلاح ، فلو كان الصلاح واجباً ، لوجبت وجوب الفرائض .

(٢) إن خلود أهل النار فيها يجب أن يكون صلاحاً لهم والواقع خلافه .

(٣) إن عدم خلق إبليس وجنوده أصلح للخلق وأأنفع وقد خلقه البارئ . والأمثلة على ذلك كثيرة جداً (٢).

نخلص من هذا إلى الإجابة عن شبه المعتزلة حول خلق الأفعال وإرادتها :

أولاً : خلق أفعال العباد .

زعمهم إن الله منزّه أن يكون خالقاً لأفعال العباد ، وإنما هم المحدثون لها .

الذى عليه أهل السنة والجماعة إن أفعال العباد خيرها وشرها ، طاعاتها ومعاصيها ، مخلوقة لله تعالى ، فهو سبحانه خالقهم وخالق حركاتهم وعباداتهم وإراداتهم ، منفرد بخلق ذلك ، لا خالق له سواه (٣).

وقد نقل الإمام اللالكائى رحمه الله إجماع الصحابة والتابعين والخالفين لهم من علما الأمة على أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله عز وجل طاعاتها ومعاصيها (٤).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٧٧/٢ .

(٢) انظر : لوازم الأنوار ٣٢٩-٣٣٢ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ١١٥/٢-١١٦ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٥٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٣٧، ٢٤٩ .

(٤) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٣٤/٢ .

وهذا الذى دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة ، وأقوال سلفنا الصالح رضوان الله عليهم . وهذا طرف من ذلك :
(١) قال تعالى :

{الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل} (١).

وهذا على عموميه لا يخرج ولا يستثنى منه شىء من العالم ، أعيانه وأفعاله وحركاته وسكناته ، وليس مخصوصاً بذاته وصفاته ، فإنه الخالق بذاته وصفاته وماسواه مخلوق له (٢).

قال البيهقى رحمه الله حول قوله تعالى : {أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ، قل الله خالق كل شىء} (٣). قال : "فنفى أن يكون خالق غيره ، ونفى أن يكون شىء سواه غير مخلوق ، فلو كانت الأفعال غير مخلوقة لكان الله سبحانه خالق بعض الأشياء دون جميعها وهذا خلاف الآية ، ومعلوم أن الأفعال أكثر من الأعيان ، فلو كان الله خالق الأعيان والناس خالقى الأفعال لكان خلق الناس أكثر من خلقه ، ولكانوا أتم قوة منه وأولى بصفة المدح من ربهم سبحانه" (٤).
(٢) قوله تعالى :

{والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكنناً وجعل لكم سراييل تقيكم الحر وسراييل تقيكم بأسكم} (٥).

أخير سبحانه أنه جعل السراييل ، وهى الدروع والثياب المصنوعة ، ومادتها لاتسمى سراييل إلا بعد أن تحيلها صنعة الآدميين وعملهم ، فإذا كانت مجعولة لله فهى مخلوقة له بجملتها ، صورتها ومادتها وهيأتها (٦).

(١) سورة الزمر : آية ٦٢

(٢) شفاء العليل ص ١١٧ بتصرف .

(٣) سورة الرعد : آية ١٦

(٤) الاعتقاد ص ٩١ .

(٥) سورة النحل : آية ٨١

(٦) شفاء العليل ص ١٢٠ بتصرف .

(٣) قوله تعالى :

{وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون . وخلقنا لهم من مثله ما يركبون}{(١)}.

فأخبر سبحانه أنه خالق الفلك المصنوع للعباد(٢).

(٤) قوله تعالى :

{أتعبدون ما تنتحون. والله خلقكم وما تعملون}{(٣)}.

"ما" موصولة ، أى والله خلقكم وخلق معبوداتكم التى عملتموها بأيديكم ، فهى مخلوقة له وليست شريكة معه .

فأخبر أنه خلق معمولهم وقد حله عملهم وصنعهم ، ولا يقال المراد مادته ، فإن مادته غير معمولة لهم ، وإنما يصير معمولاً بعد عملهم(٤).

(٥) قوله تعالى :

{وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور. ألا يعلم من خلق}{(٥)}.

فأخبر أن قولهم وسرهم وجهرهم خلقه ، وهو بجميع ذلك عليم(٦).

(٦) قوله تعالى : {وأنه هو أضحك وأبكى} ، {وأنه هو أمات وأحيا}{(٧)}.

قال البيهقى : "فكما كان مميتاً محيياً بأن خلق الموت والحياة كان مضحكاً مبكياً ، بأن خلق الضحك والبكاء ، وقد يضحك الكافر سروراً بقتل المسلمين وهو منه كفر ، وقد يبكى حزناً لظهور المسلمين وهو منه كفر ، فثبت أن الأفعال كلها خيرها وشرها صادرة عن خلقه وإحداثه إياها"(٨).

(١) سورة يس : آية ٤١-٤٢

(٢) المرجع السابق ص ١٢٠ .

(٣) سورة الصافات : آية ٩٥-٩٦

(٤) المرجع نفسه ص ١٢٠ بتصرف .

(٥) سورة الملك : آية ١٣-١٤

(٦) الاعتقاد ص ٩٢ .

(٧) سورة النجم : آية ٤٣، ٤٤ .

(٨) المرجع السابق ص ٩٢ .

(٧) روى البخارى بسنده إلى حذيفة رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : "إن الله يصنع كل صانع وصنعتة" (١).
قال البخارى رحمه الله :

"حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكذا جعلهم مخلوقة" (٢).

وكون سبحانه خالقاً لأفعال العباد لا ينفى ذلك أن يكونوا فاعلين لها حقيقة ، فقد أخبر سبحانه أن العباد يفعلون ويعملون ويؤمنون ويكفرون ويصدقون ويكذبون فى مواضع جمة . فأفعالهم مستندة إليهم وهم الفاعلون لها حقيقة وأنها تنسب إليهم وتضاف لهم وهى مفعولة لله حقيقة ومخلوقة له وليست فعلاً له ولا يتصف بأنه فاعلها ، لأن هنالك فرقاً بين الفعل والمفعول ، والخلق والمخلوق ، فهى فعل العباد ومفعولة له سبحانه (٣).
وإلى هذا أشار الطحاوى رحمه الله بقوله : "وأفعال العباد خلق لله وكسب من العباد" (٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"والتحقيق ما عليه أئمة السنة ، وجمهور الأمة ، من الفرق بين الفعل والمفعول ، والخلق والمخلوق ، فأفعال العباد هى كغيرها من المحدثات

(١) خلق أفعال العباد برقم ١١٧ .

وأورده موقوفاً على حذيفة بلفظ : "إن الله خلق كل صانع وصنعتة ، إن الله خالق صانع الخزم وصنعتة" برقم ١١٨ ، ص ٣٩-٤٠ .

وأخرج المرفوع الحاكم فى المستدرک ولفظه : "إن الله خالق كل صانع وصنعتة" وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى ٣١/١-٣٢ وذكره الخطيب فى تاريخ بغداد من طريق البخارى ٣١/٢ .

والهيشمى فى مجمع الزوائد وقال : "رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أحمد ابن عبد الله أبو الحسين بن الكردى وهو ثقة" . ٢٠٠/٧ .

والحديث إسناده صحيح . انظر : خلق أفعال العباد ص ٤٠ الهامش .

(٢) خلق أفعال العباد ص ٤٢ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ١١٦/٢، ١١٧، ١١٩، ١٢٠ ، المنتقى من منهاج الاعتدال

ص ١٤٢، ١٤٣، ١٥٣ ، شفاء العليل ص ١١٥ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٣٧، ٤٤٤ .

(٤) متن العقيدة الطحاوية ص ١٧ .

المخلوقة ، مفعولة لله ، كما أن نفس العبد وسائر صفاته مخلوقة مفعولة لله وليس ذلك نفس خلقه وفعله ، بل هي مخلوقة مفعولة ، وهذه الأفعال هي فعل العبد القائم به ، ليست قائمة بالله ، ولا يتصف بها فإنه لا يتصف بمخلوقاته ومفعولاته ، وإنما يتصف بخلق وفعله ، كما يتصف بسائر ما يقوم بذاته ، والعبد فاعل لهذه الأفعال ، وهو المتصف بها ، وله عليها قدرة ، وهو فاعلها باختياره ومشيئته ، وذلك كله مخلوق لله ، فهي فعل العبد وهي مفعولة الرب "(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله مبيناً هذه القاعدة العظيمة في الفرق بين فعل الله وفعل العبد ، ومنشأً ضلال القدرية والجبرية في ذلك فقال : "قوله تعالى : {فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة} (٢) ، وقوله : {وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة} (٣). وهذا الإغراء والإلقاء محض فعله سبحانه ، والتعادي والتباغض أثره ، وهو محض فعلهم . وأصل ضلال القدرية والجبرية من عدم اهتدائهم إلى الفرق بين فعله سبحانه وفعل العبد . فالجبرية جعلوا التعادي والتباغض فعل الرب دون المتعادين والمتباغضين . والقدرية جعلوا ذلك محض فعلهم الذي لا صنع لله فيه ولا قدرة ولا مشيئة ، كما قال تعالى : {هو الذي يسيركم في البر} (٤) ، فالتسيير فعله ، والسير فعل العباد ، وهو أثر التسيير . وكذلك الهدى والضلال فعله ، والاهتداء والضلال أثر فعله ، وهما أفعالنا القائمة بنا ، فهو الهادي والعبد المهتدي ، وهو الذي يضل من يشاء والعبد الضال . وهذا حقيقة وهذا حقيقة ، والطائفتان عن الصراط المستقيم ناكبتان "(٥).

وقول المعتزلة في أفعال العباد يتضمن الإشراك والتعطيل لأنه يتضمن إخراج بعض الحوادث أن يكون لها فاعل ، وإثبات فاعل مستقل غير الله .

(١) مجموع الفتاوى ١١٩/٢ - ١٢٠ .

(٢) سورة المائدة : آية ١٤

(٣) سورة المائدة : آية ٦٤

(٤) سورة يونس : آية ٢٢

(٥) شفاء العليل ص ١٢٨ .

والتعطيل والشرك من شعب الكفر (١).

وأما زعمهم بأنه لا يوصف بأنه خالق للخير والشر .
يجاب عليه بإضافة إلى ما سبق ذكره :

إن الخير والشر هو بالنسبة للمقدور وعاقبته ، فإن منه ما يكون خيراً كالطاعات والصحة والغنى . ومنه ما يكون شراً كالمعاصي والمرض والفقر . أما بالنسبة لفعل الله فلا يقال إنه شر لقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء القنوت الذى علمه الحسن بن علي : "وقنى شر ما قضيت" (٢).

(١) انظر المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٥٦ .

(٢) هو جزء من حديث دعاء القنوت .

أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب القنوت في الوتر برقم ١٤٢٥ ، ٦٣/٢ .

والترمذى في سننه ، كتاب الصلاة ، أبواب الوتر (٣) ، باب ما جاء في القنوت في الوتر (١٠) برقم ٤٦٤ . وقال : "هذا حديث حسن ، لانعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي الحوراء السعدى ... ولانعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم في القنوت في الوتر شيئاً أحسن من هذا" . ٣٢٩، ٣٢٨/٢ .

والنسائي في سننه ، كتاب قيام الليل ، باب الدعاء في الوتر ٢٠٦/٣ .

وابن ماجه في سننه ، كتاب إقامة الصلاة (٥) ، باب ما جاء في القنوت في الوتر (١١٧) ، برقم ١١٧٨ ، ٣٧٢/١ .

والدارمي في سننه ، كتاب الصلاة ، باب الدعاء في القنوت ٣٧٣/١-٣٧٤ .
والبيهقي في سننه ، كتاب الصلاة ، باب دعاء القنوت ٢١٠، ٢٠٩/٢ .

وابن الجارود في المنتقى ، باب القنوت في الوتر ، برقم ٢٧٢ ، ص ١٠٣، ١٠٤ .
وأحمد في مسنده ٢٠٠، ١٩٩/١ . وهو في المسند بتحقيق أحمد شاکر برقم ١٧١٨، ١٧٢٣، ١٧٢٧ . وقال : إسناده صحيح . ١٧١، ١٦٩، ١٦٧/٣ .

والحاكم في المستدرک وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ١٧٢/٣ .
وأورده الزيلعي في نصب الراية ١٢٥/٢-١٢٦ .

والحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير وذكر طرقة ٢٦٣-٢٦٦ .

والشيخ ناصر الدين الألبانى في إرواء الغلیل برقم ٤٢٩ وذكر طرقة ومن أخرجه من الأئمة . وقال عنه : صحيح ١٧٢/٢-١٧٥ .

وانظر، صحيح سنن أبي داود ٢٦٧/١ .

فأضاف الشر إلى ما قضاها لا إلى قضاؤه (١).

وقد أوضح شارح الطحاوية رحمه الله إضافة خلق الشر لله سبحانه أو نسبته إليه إيضاحاً تاماً ، وأزال ما يعلق بالأذهان من إشكال فقال : "فاعلم أن الشر كله يرجع إلى العدم ، أعني عدم الخير وأسبابه المفضية إليه ، وهو من هذه الجهة شر . وأما من جهة وجوده المحض فلا شر فيه . مثاله : إن النفوس الشريرة وجودها خير من حيث هي موجودة ، وإنما حصل لها الشر بقطع مادة الخير عنها ، فإنها خلقت في الأصل متحركة ، فإن أعينت بالعلم وإلهام الخير تحركت به ، وإن تركت تحركت بطبعها إلى خلافه وحركتها من حيث هي حركة خير وإنما تكون شراً بالإضافة ، لا من حيث هي حركة ، والشر كله ظلم ، وهو وضع الشيء في غير محله ، فلو وضع في موضعه لم يكن شراً ، فعلم أن جهة الشر فيه نسبية إضافية ، ولهذا كانت العقوبات الموضوعة في محالها خيراً في نفسها ، وإن كانت شراً بالنسبة إلى المحل الذي حلت به ، لما أحدثت فيه من الألم الذي كانت الطبيعة قابلة لضده من اللذة ، مستعدة له ، فصار ذلك الألم شراً بالنسبة إليها ، وهو خير بالنسبة إلى الفاعل حيث وضعه في موضعه ، فإنه سبحانه لم يخلق شراً من جميع الوجوه والاعتبارات ، فإن حكمته تأبى ذلك ، فلا يكون في جناب الحق تعالى أن يريد شيئاً يكون فساداً من كل وجه ، لا مصلحة في خلقه بوجه ما ، هذا من أبين المحال ، فإنه سبحانه الخير كله بيديه ، الشر ليس إليه ، بل كل ما إليه فخير ، والشر إنما حصل لعدم هذه الإضافة والنسبة إليه ، فلو كان إليه لم يكن شراً ، فتأمل . فانقطاع نسبته إليه هو الذي صيره شراً .

فإن قيل : لم تنقطع نسبته إليه خلقاً ومشية؟

قيل : هو من هذه الجهة ليس بشر ، فإن وجوده هو المنسوب إليه ، وهو من هذه الجهة ليس بشر ، والشر الذي فيه من عدم إمداده بالخير وأسبابه ، والعدم ليس بشيء حتى ينسب إلى من بيده الخير .

فإن أردت مزيد إيضاح لذلك ، فاعلم أن أسباب الخير ثلاثة : الإيجاد والإعداد ، والإمداد . فإيجاد هذا خير ، وهو إلى الله ، وكذلك إعداده وإمداده ، فإن لم يحدث فيه إعداد ولا إمداد حصل فيه الشر بسبب هذا العدم الذى ليس إلى الفاعل ، وإنما إليه ضده " (١) .

وأما ما استدلوا به من شبه عقلية ونقلية زاعمين أنها تدل على عدم خلق الله لأفعال العباد طاعاتها ومعاصيها . يجاب عنها بالآتى :

(١) الشبه العقلية :

الدليل العقلى :

أفعال العباد قبائح والله لا يختار فعل القبيح .

وقد سبق الرد على هذا عند الحديث عن العدل (٢) .

والخلاصة : إن الفعل القبيح قبيح من الخلق لا من الله سبحانه ، كما

إنه ضار لهم لاله (٣) . فلا يقاس الله تعالى بخلقه فى ذلك .

وأيدوا دليلهم العقلى بأمرين :

الأول : لو كانت خلقاً لله لم تكن عملاً للعباد تقف عليه أحوالهم ،

وتوجد وتنتهى بحسب اختيارهم لا كالألوان والصور .

والجواب على ذلك :

إن أهل السنة لم ينفوا أن للعبد اختياراً وقدرة ومشئة وعملاً ،

ولا يسمونه مجبوراً ، لأن المجبور من أكره على خلاف اختياره ، والله

سبحانه هو الذى جعل العبد مختاراً لما يفعله ، وهو سبحانه الذى خلقه

وخلق اختياره (٤) .

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٥-٢٥٦ ،

ولمزيد بيان انظر : جامع الرسائل ١٣١/٢ .

(٢) انظر ص : ٢٤٣ فما بعدها .

(٣) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٣٩ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٣/ ٣٧٤ .

فالعبد يفعل فعله حقيقة ، وإنه مريد ومختار له حقيقة ، وإضافته ونسبته إليه حقيقة . وإن ذلك وقع بمشيئة الله وقدرته سبحانه (١) وقدره العبد لها تأثير في إيجاد فعله لاستقلال ولا استبداد بل بالإعانة والإذن والتمكين من الله سبحانه وتعالى (٢) .

وأهل السنة متفقون على أن لله على عبده المطيع نعمة دينية خصه بها دون الكافر ، وأنه أعانه على الطاعة . قال تعالى : {ولكن الله حب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان} (٣) . وقال : {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام} (٤) (٥) .
وأفعال العبد نوعان :

نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته به ، فيكون صفة له ولا يكون فعلاً ، كحركات المرتعش .

ونوع يكون منه تقارنه قدرته واختياره . فيوصف بكونه صفة وفعلاً وكسباً له ، كالحركات الاختيارية (٦) .

فالنوع الأول لم يخلقه الله بتوسط قدرة العبد ومشيئته ، بخلاف النوع الثاني فإنه خلقه بتوسط مشيئة العبد وقدرته ، كما خلق غير ذلك من المسببات بوساطة أسباب آخر (٧) .

وبعد هذا يمكن أن نوفق بين كون فعل العبد مخلوقاً لله ، وكونه عملاً وكسباً للفاعل بأمرين :

١- إن فعل العبد من صفاته والعبد وصفاته مخلوقان لله تعالى .

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٣٧ .

(٢) انظر : لوايح الأنوار ٢٩٦/١ .

(٣) سورة الحجرات : آية ٧

(٤) سورة الأنعام : آية ١٢٥

(٥) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٣٤، ١٣٥ .

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٣ بتصرف .

(٧) انظر : مجموع الفتاوى ١٢٠/٢ .

٢- إن فعل العبد صادر عن إرادة قلبية وقدرة بدنية ولولاهما لم يكن فعلاً لله، والذي خلق هذه الإرادة والقدرة هو الله تعالى ، وخالق السبب خالق للمسبب ، فنسبة فعل العبد إلى خلق الله له نسبة مسبب إلى سبب لانسبة مباشرة لأن المباشر حقيقة هو العبد ، فلذلك نسب الفعل إليه كسبباً وتحصيلاً ونسب إلى الله خلقاً وتقديراً ، فلكل من النسبتين اعتبار (١).
وأفعال العبد الاختيارية تكسبه صفات محمودة وصفات مذمومة بخلاف لونه وقصره فإنها لا تكسبه ذلك (٢).

الثاني : حسن الأمر والنهي وغيرهما من الأحكام :
فوجود الأمر ببعضها والنهي عن بعض ، والمدح على بعض والذم على بعض ، والثواب على بعض والعقاب على بعض . فلو كانت خلقاً لله ما حسن شيء مما سبق .

ويوجب ذلك أن لا أمر ولا نهى ولا تكليف ولا ثواب ولا عقاب، ويلزم أن يكون الله ظالماً جائراً . تعالى الله عن قولهم .
والجواب على هذا :

إن أهل السنة والجماعة متفقون على أن العبد مأمور منهي ، مثاب معاقب ، موعود متوعد ، والله خالقه وخالق فعله ، ولاتنافي وتناقض بين ذلك . ولم يقل أحد إن الله هو الذي يركع ، ويسجد ، ويقوم بالأوامر ويجتنب النواهي ، بل الأمة متفقة على أن العبد هو الذي يفعل ذلك (٣).
وهو إنما يفعل ذلك باختياره ومشيئته التي خلقها الله فيه .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

(١) شرح لمعة الاعتقاد ص ٥٤-٥٥ .

(٢) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٣١ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ١١٦/٢ ، ١١٧ .

"إن عقلاء بنى آدم متفقون على مافطروهم الله عليه ، من أن العبد الحى يؤمر وينهى ، ويحمد ويذم على أفعاله الاختيارية ، متفقون على أن من احتج بالقدر على ظلمه وفواحشه لم يقبل ذلك منه ، فلو ظلم ظالم لغيره لم يقبل أحد منه أن يدفع عن نفسه الملام بالقدر"(١).

وجهة خلق الله وتقديره غير جهة أمره وتشريعته ، فإن أمره وتشريعته مقصودة ببيان ماينفع العباد ، ومايضرهم. وخلقه وتقديره يتعلق به وبجملة المخلوقات ، فيفعل ماله فيه حكمة متعلقة بعموم خلقه وإن كان فى ضمن ذلك مضرة لبعض الخلق . فهو سبحانه إذا قدر على العبد الكافر الكفر إنما قدره عليه لما فى ذلك من الحكمة والمصلحة العامة ، ثم إذا عاقبه على ذلك إنما عاقبه لاستحقاقه العقاب على فعله الاختيارى ولما فى ذلك العقاب من الحكمة والمصلحة العامة .

فإنه سبحانه إن أمر عباده بأمر إنما أمرهم بما ينفعهم وإن نهاهم عن نهى إنما نهاهم عما يضرهم ، فإن أعانهم على فعل المأمور فقد تمت نعمته وله فى ذلك حكمة ، وإن خذلهم ولم يعينهم حتى فعلوا الذنب فله فى ذلك حكمة أخرى وإن كان فى ذلك تألمهم ، وهم إنما يتألمون بأفعالهم التى تورثهم النعيم أو العذاب . وذلك الإيراث بقضاء الله وقدره ، ولا منافاة بين هذا وهذا .

وأما تلك الحكمة فليس على الناس معرفتها ، وإنما عليهم التسليم والطاعة واجتناب المعاصى(٢).

قال ابن القيم رحمه الله فى بيان قول هود عليه السلام : {إن ربي على صراط مستقيم}(٣) قال :

(١) المرجع السابق ١١٨/٢ .

(٢) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٣٣، ١٣٤ .

(٣) سورة هود : آية ٥٦

"أى مع كونه مالكا قاهراً متصرفاً فى عباده ، نواصيهم بيده فهو على صراط مستقيم . وهو العدل الذى يتصرف به فيهم فهو على صراط مستقيم فى قوله وفعله وقضائه وقدره وأمره ونهيه وثوابه وعقابه . فخير به كله صدق ، وقضاؤه كله عدل ، وأمره كله مصلحة ، والذى نهى عنه كله مفسدة ، وثوابه لمن يستحق الثواب بفضلته ، ورحمته وعقابه لمن يستحق العقاب بعدله وحكمته" (١).

والله سبحانه وإنما يعذب العبد على فعله الاختيارى وذلك مستقر فى الفطر والعقول ولا يعد ذلك ظلماً ، لأنه لو قيل إن خلق الفعل مع العقوبة عليه ظلم ، ل قيل إن خلق السم ثم حصول الموت به ظلم ، فكما أن هذا سبب للموت فذلك سبب للعقوبة (٢).

والله جل وعلا عادل فى كل ما خلقه ، واضع للأشياء فى مواضعها وهو قادر على أن يظلم ، لكنه سبحانه منزّه عن الظلم فلا يفعل ، لأنه السلام القدوس المستحق للتنزيه عن السوء (٣).

وهو سبحانه لو قدر أن يعذب أحداً لم يكن لأحد أن يمنعه عن ذلك كما قال : { قل فمن يملك من الله شيئاً } إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً (٤). ولكنه سبحانه إذا عذب أحداً فلا يعذبه إلا بحق لتعاليه عن الظلم (٥).

وكونه سبحانه لم يعن الكافر أو العاصى على الطاعة ومنعه من ذلك ، فليس فى ذلك ظلم ، لأن الظلم أن تمنع غيرك حقه ، وقد حرم الله ذلك على نفسه ، وأما إذا منع غيره ما ليس له فذلك عدل . فهو يتفضل على من يشاء

(١) الفوائد ص ٤٧ .

(٢) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٣٠، ١٣١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٤ .

(٣) جامع الرسائل ص ١٢٩/١ بتصرف .

(٤) سورة المائدة : آية ١٧

(٥) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٥٤، ٥٣ .

ويمنع ذلك من يشاء كما قال : {ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم} (١)، وقال : {لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرّون على شيء من فضل الله ، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم} (٢). وفي حديث تخصيص هذه الأمة بزيادة الأجر دون اليهود والنصارى ، قال :

"فهو فضلى أوتيته من أشاء" (٣)(٤).

والله جل ذكره قد مدح نفسه بنفى الظلم عنه فقال : {إن الله لا يظلم الناس شيئاً} (٥)، وقال : {وما أنا بظلام للعبيد} (٦). والآيات في ذلك كثيرة . وكونه من على المؤمن بالهداية دون الكافر فليس ذلك ظلماً فإنه يمن على من يشاء برحمته وفضله كما قال : {بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين} (٧)، وقالت الأنبياء : {إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده} (٨)، فهو لا يضع العقوبة إلا في محلها ، وهو في ذلك عدل (٩).

قال ابن القيم رحمه الله :

-
- (١) سورة الحديد : آية ٢١
 - (٢) سورة الحديد : آية ٢٩
 - (٣) جزء من حديث أخرجه البخارى في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، كتاب المواقيت (٩) ، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب (١٧) ، ١٣٩/١ ، وفي كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل (٥٠) ، ١٤٥/٤ ، وفي كتاب التوحيد (٩٧) ، باب في المشيئة والإرادة (٣١) ، ١٩١/٨ ، وفي باب قول الله تعالى : {فأتوا بالتوراة فاتلوها} (٤٧) ، ٢١١/٨ .
 - (٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٤٢، ٢٤٣ .
 - (٥) سورة يونس : آية ٤٤
 - (٦) سورة ق : آية ٢٩
 - (٧) سورة الحجرات : آية ١٧
 - (٨) سورة إبراهيم : آية ١١
 - (٩) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٣٨ .

".. وأما أهل السنة فهم مثبتون للأمرين - القدر ، والعدل - والظلم عندهم هو وضع الشيء في غير موضعه كتعذيب المطيع ومن لا ذنب له ، وهذا قد نزه الله نفسه عنه في غير موضع من كتابه ، وهو سبحانه وإن أضل من شاء وقضى بالمعصية والغى على من شاء ، فذلك محض العدل فيه ، لأنه وضع الإضلال والخذلان في موضعه اللائق به ، وكيف ومن أسمائه الحسنى العدل ، الذى كل أفعاله وأحكامه سداد وصواب وحق ، وهو سبحانه قد أوضح السبل ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وأزاح العلل ، ويمكن من أسباب الهداية والطاعة بالأسماع والأبصار والعقول ، وهذا عدله ووقف من شاء بمزيد عناية ، وأراد من نفسه أن يعينه ويوفقه ، فهذا فضله ، وخذل من ليس بأهل لتوفيقه وفضله ، وخلى بينه وبين نفسه ، لم يرد سبحانه من نفسه أن يوفقه ، فقطع عنه فضله ، ولم يجرمه عدله ، وهذا نوعان :

أحدهما : ما يكون جزاء منه للعبد على إعراضه عنه ، وإيثار عدوه في الطاعة ، والموافقة عليه ، وتناسى ذكره وشكره ، فهو أهل أن يخذله ويتخلى عنه .

والثانى : أن لا يشاء له ذلك ابتداء لما يعلم منه أنه لا يعرف قدر نعمة الهداية ، ولا يشكره عليه ، ولا يثنى عليه بها ، ولا يحبه ، فلا يشاؤها له لعدم صلاحية محله . قال تعالى : {وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ، أليس الله بأعلم بالشاكرين} (١) ، وقال : {ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم} (٢) ، فإذا قضى على هذه النفوس بالضلال والمعصية ، كان ذلك محض العدل ، كما إذا قضى على الحية بأن تقتل وعلى العقرب وعلى الكلب العقور ، كان ذلك عدلاً فيه ، وإن كان مخلوقاً على هذه الصفة " (٣) .

(١) سورة الأنعام : آية ٥٣

(٢) سورة الأنفال : آية ٢٣

(٣) الفوائد ص ٤٨-٤٩ .

(٢) الشبه النقلية :

(١) قوله تعالى : {ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت} (١).

الباطل المتفاوت ليس من خلقه .

والجواب : لقد سبق بيان أن الخلق بخلاف المخلوق ، فخلق الله وهو فعله لا عيب فيه ولا نقص ، وقد يوجد العيب والنقص فى بعض مخلوقاته ، وذلك حكمة منه وعدل ووضع للأشياء فى مواضعها ، ولا ينفى ذلك خلقه لها .

(٢) قوله تعالى : {صنع الله الذى أتقن كل شىء} (٢).

الكفر والظلم وغيرهما ليس من خلقه ، لأنها ليست بمقتنة ولا محكمة ولا حسنة .

والجواب : هذه الآية كسابقتها فى بيان فعل الله ولا شك فى إحكامه وإتقانه .

قال القرطبى : "هذا من فعل الله وما هو فعل منه فهو متقن" (٣). وهذا بخلاف مفعول الله تعالى ، فإن أفعال العباد من مفعوله لا من فعله ، فالكفر والظلم وغيرهما هى من فعل العباد لا من فعل الله وإنما من مفعولاته سبحانه (٤).

والله إذ خلقها أحسن رتبته وإيقاعها فى النفوس والأجساد وإنما قبحت من الإنسان لا من خلقه لها سبحانه (٥).

{وما أصابك من سيئة فمن نفسك} (٦)، {قل هو من عند أنفسكم} (٧)،

(١) سورة الملك : آية ٣

(٢) سورة النمل : آية ٨٨

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٣/١٣ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٤ .

(٥) انظر : الفصل فى الملل ٦٦/٣ .

(٦) سورة النساء : آية ٧٩

(٧) سورة آل عمران : آية ١٦٥

{حسداً من عند أنفسهم} (١)، {وما هو من عند الله} (٢). فهذا قد لحق العبد من جهته لا من جهة الله فدل على أنها ليست بخلقه .
والجواب على هذا :

قوله تعالى : {وما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك} أى ما أصابك من نعمة تحبها كالنصر والرزق فالله أنعم عليك بذلك وما أصابك من نقم تكرهها فبسبب ذنوبك وخطاياك (٣)، وليس المراد بالحسنة والسيئة الطاعة والمعصية وإنما المراد النعم من خصب ورخاء ، والنقم من جذب وشدة (٤).

روى ابن جرير عن أبي صالح (٥) أنه قال : "وما أصابك من سيئة فمن نفسك" بذنبك وأنا قدرتها عليك" (٦).

قوله تعالى : {أولما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم} إن الله على كل شيء قدير (٧).

والآية توجيه للمسلمين فيما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم وقد قتلوا في بدر من المشركين سبعين وأسروا سبعين ، ولكن ما حل بهم يوم أحد إنما كان بسبب عصيانهم لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك

(١) سورة البقرة : آية ١٠٩

(٢) سورة آل عمران : آية ٧٨

(٣) المتنقى من منهاج الاعتدال ص ٣٨ بتصرف .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٨٦/٥ .

(٥) أبو صالح :

هو ذكوان بن عبد الله أبو صالح السمان الزيات ، مولى أم المؤمنين جويرية . كان يجلب الزيت والسمن إلى الكوفة . ثقة ثبت . روى عن عائشة وأبي هريرة وابن عباس وجماعة من الصحابة . وعنه ابنه سهيل والأعمش والزهرى . مات سنة ١٠١ هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٤٥٠/٣ ، تذكرة الحفاظ ٨٩/١ ، سير أعلام النبلاء ٣٧، ٣٦/٥ ، تهذيب التهذيب ٢١٩/٣ ، تقريب التهذيب ٢٣٨/١ .

(٦) جامع البيان ١٧٦/٥ ، تفسير القرآن العظيم ٥٢٨/١ .

(٧) سورة آل عمران : آية ١٦٥

لما خالف الرماة أمره لهم بالبقاء في أماكنهم (١).

فما أصابهم من قتل فهي مصيبة قدرها الله عليهم بسبب معصيتهم .
والله خالق السبب والمسبب . وليس في الآية دلالة على أنهم خالقون
لأفعالهم .

قوله تعالى : {ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم
كفاراً حسداً من عند أنفسهم} (٢).

يحذر تعالى عباده المؤمنين من سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب
ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وماهم مشتملين عليه من الحسد
للمؤمنين مع علمهم بفضل نبيهم (٣)، فليس في الآية دليل على أن
أهل الكتاب يخلقون حسدهم للمؤمنين ، فالحسد ليس مخلوقاً لهم وإنما هو
فعل من أفعالهم وأفعالهم تنسب لهم حقيقة لأنهم فعلوها وهي من خلق
الله . ولا منافاة بين فعلهم إياها وخلق الله لها . وقد سبق بيان هذا (٤).
قوله تعالى : {وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من
الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله
ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون} (٥).

قال أبو محمد بن حزم رحمه الله :

"فلا حجة لهم في هذا لأن أول الآية في قوم كتبوا كتاباً وقالوا هذا من
عند الله فأكذبهم الله تعالى في ذلك وأخبر أنه ليس منزلاً من عنده ولا مما
أمر به عز وجل ولم يقل هؤلاء القوم إن هذا الكتاب مخلوق فأكذبهم الله
تعالى في ذلك وقال تعالى إن ذلك الكتاب ليس مخلوقاً لله تعالى فبطل
تعلقهم بهذه الآية جملة . ولا شك عند المعتزلة وعندنا في أن ذلك الكتاب

(١) انظر المرجع السابق ١/٤٢٤، ٤٢٥ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٠٩

(٣) انظر المرجع السابق ١/١٥٣ .

(٤) انظر ص: ٢٤٩ فما بعدها .

(٥) سورة آل عمران : آية ٧٨

مخلوق لله تعالى لأنه قرطاس أو أديم ومداد وكل ذلك مخلوق بلاشك" (١).
 قوله تعالى : "تفعلون" ، "وتعملون" ، "وتصنعون" ، "وتكسبون"
 "وتخلقون إفكاً" (٢) وفي ذلك إضافة الفعل إلى العبد بأقوى وجوه الإضافة .
 والرد على هذا :

إن إضافة هذه الأفعال إلى العباد فعلاً وكسباً لاينفى إضافتها إلى الله
 سبحانه خلقاً ومشئته ، فهو سبحانه الذى شاءها وخلقها وهم الذين فعلوها
 وكسبوها حقيقة ، فلو لم تكن مضافة إلى مشيئته وقدرته وخلقها لاستحال
 وقوعها منهم ، إذ العباد أعجز وأضعف من أن يفعلوا ما لم يشأه الله ولم
 يقدر عليه ولا خلقه (٣).

وقوله : {وتخلقون إفكاً} .

يقول ابن حزم رحمه الله :

"إن لفظة الخلق مشتركة تقع على معنيين، أحدهما لله تعالى لا لأحد
 دونه ، وهو الإبداع من عدم إلى وجود ، والثانى الكذب فيما لم يكن أو
 ظهور فعل لم يتقدم لغيره أو نفاذ فيما حاول، وهذا كله موجود من الحيوان
 والله تعالى خالق كل ذلك" (٤).

وقد فسرت الآية بتفسيرين وذلك لتعدد المعانى للفظه "تخلقون" .
 قال الحسن : معنى "تخلقون" تنحتون . ويكون المعنى : إنما تعبدون
 أوثاناً وأنتم تصنعونها .

(١) الفصل فى الملل ٦٢/٣-٦٣ .

وانظر معنى الآية فى الجامع لأحكام القرآن ١٢١/٤ ، تفسير القرآن العظيم ٣٧٦/١

(٢) سورة العنكبوت : آية ١٧

(٣) شفاء العليل ص ١١٨-١١٩ بتصرف .

(٤) الفصل فى الملل ٦٥/٣ .

وقال مجاهد (١): إلفك الكذب . ويكون المعنى : تعبدون الأوثان وتخلقون الكذب . أى وتكذبون الكذب (٢).

واختار ابن جرير المعنى الأول وذكره عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره (٣).

مألزم به العبد من التوبيخ والذم وماقرعه به من نعم وقرره عليه بقوله {كيف تكفرون بالله} (٤).

وقوله : {وما منع الناس أن يؤمنوا} (٥).

والجواب :

فى الآيتين دليل على المذهب الحق وهو أن للعبد اختياراً وقدرة ومشية وأن فعله ينسب إليه حقيقة ولاينفى ذلك خلق الله لفعله واختياره وقدرته .

وقد بينت ذلك فيما سبق (٦).

قوله : {إن الله يأمر بالعدل والإحسان} (٧)، وقوله : {وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء} (٨).

(١) مجاهد :

هو مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج ، المخزومي مولا هم ، المكي ، ثقة إمام فى التفسير والعلم . روى عن أبى هريرة وابن عباس وسعد . وعنه قتادة وابن عون وسيف بن سليمان . مات سنة ١٠١ هـ . وقيل غير ذلك .

انظر : الجرح والتعديل ٣١٩/٨ ، الكاشف ١٢٠/٣ ، تذكرة الحفاظ ٨٦/١ ، تهذيب التهذيب ٤٢/١٠ ، تقريب التهذيب ٢٢٩/٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٢٥/١٣ ، تفسير أبى السعود ٣٤/٧ .

(٣) انظر : جامع البيان ١٣٧/٢٠ ، تفسير القرآن العظيم ٤٠٧/٣ .

(٤) سورة البقرة : آية ٢٨

(٥) سورة الكهف : آية ٥٥

(٦) انظر ص : ٢٤٩ فما بعدها .

(٧) سورة النحل : آية ٩٠

(٨) سورة الأعراف : آية ٢٨

والجواب :

الآيتان في أمر الله للعباد بما ينفعهم وأنه لا يأمر إلا بما فيه خير للعباد ومصلحة ، وهذا من جهة التشريع وهى غير جهة الخلق والتقدير . وقد بينت ذلك من قبل^(١) فلاحجة فيهما للمعتزلة .

قوله : {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}^(٢) فخلقهم للعبادة لا للمعصية .

والجواب : قال ابن كثير رحمه الله بعد ذكره لأقوال السلف في تفسير الآية :

"ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ، ومن عصاه عذبه أشد العذاب"^(٣).

فعلى هذا المعنى تكون الآية من باب الإخبار بأن الناس ما خلقوا إلا لعبادة الله ، أو من باب الإنشاء أى أنه أمرهم بعبادته وحده لا شريك له . ثم منهم من يطيع ومنهم من يعصى ، وفى ذلك إثبات لاختيارهم وقدرتهم على الطاعة والمعصية ، ولا ينافى ذلك خلق الله لأعمالهم . وقد سبق تفصيله^(٤).

قوله تعالى : {وكل شىء فعلوه فى الزبر}^(٥) . فقال فعلوه ، ولم يقل فعله ، وقال فى فعله {الله خالق كل شىء}^(٦) أى كل شىء يكون ولم يخلق فعلهم .

(١) انظر ص: ٢٥٥ فما بعدها .

(٢) سورة الذاريات : آية ٥٦

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٣٨/٤ .

(٤) انظر ص: ٢٥٣ فما بعدها .

(٥) سورة القمر : آية ٥٢

(٦) سورة الزمر : آية ٦٢

الجواب :

أما الآية الأولى فهي دالة على مذهب أهل السنة في إثبات فعل العبد وأنه ينسب إليه حقيقة خلافاً للجبرية ، وكونه فاعلاً لفعله لا يدل على خلقه له ، وقد سبق بيان ذلك (١).

وأما الآية الثانية ففيها دلالة واضحة على تناقض أهل الاعتزال حيث عمموا الآية في كلام الله ، وخصصوها في أفعال العباد ، وقد أخطأوا في الموضعين .

قال ابن أبي العز رحمه الله :

"قوله تعالى : {الله خالق كل شيء} : أى الله خالق كل شيء مخلوق ، فدخلت أفعال العباد في عموم كل . وما أفسد قولهم - أى المعتزلة - في إدخال كلام الله تعالى في عموم كل ، الذى هو صفة من صفاته ، يستحيل عليه أن يكون مخلوقاً! وأخرجوا أفعالهم التى هى مخلوقة من عموم كل!! وهل يدخل في عموم كل إلا ما هو مخلوق؟ فذاته المقدسة وصفاته غير داخلة في هذا العموم ، ودخل سائر المخلوقات في عمومها" (٢).

فالآية حجة عليهم لالهم .

ثانيا : إرادة أفعال العباد :

إن كل ما يقع في الكون فهو بتقدير الله ومشيئته ، لامشيئة للعباد إلا ما شاء لهم ، فما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن ، ولا يكون في ملكه ما لا يشأه سبحانه (٣).

فمن شاء له الهداية اهتدى فضلاً منه ، ومن شاء له الغواية والضلال ضل وغوى ، عدلاً منه (٤). {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} (٥).

(١) انظر ص: ٢٥٤ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٣٩ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٦ .

(٤) انظر المرجع السابق ص ١٤٨ .

(٥) سورة الأنبياء : آية ٢٣

والأدلة على ذلك من كتاب الله كثيرة جداً . وهذه طائفة منها :

(١) قال تعالى :

{والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم} (١).

(٢) وقال سبحانه :

{وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبغى نفقاً في الأرض أو سلفاً في السماء فتأتيتهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين} (٢).

(٣) وقال تعالى :

{ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون} (٣).

(٤) وقال تعالى :

{فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون} (٤).

(٥) وقال تعالى :

{ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين} (٥).

(٦) وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام :

{ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون} (٦).

(١) سورة الأنعام : آية ٣٩

(٢) سورة الأنعام : آية ٣٥

(٣) سورة الأنعام : آية ١١١

(٤) سورة الأنعام : آية ١٢٥

(٥) سورة يونس : آية ٩٩

(٦) سورة هود : آية ٣٤

(٧) وقال تعالى :

{ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين} (١).

(٨) وقال تعالى :

{وما تشاءون إلا أن يشاء الله وإن الله كان عليماً حكيماً} (٢).

(٩) قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله :

{كما بدأكم تعودون. فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة} (٣) قال :
"إن الله سبحانه بدأ خلق بنى آدم مؤمناً وكافراً ثم قال : {هو الذى خلقكم
فمنكم كافر ومنكم مؤمن} (٤) ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمن
وكافر" (٥).

وقال فى قوله : {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر} (٦) : "من شاء الله

له الإيمان آمن ، ومن شاء الله أن يكفر كفر وهو قوله : {وما تشاءون إلا
أن يشاء الله} (٧) (٨).

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله :

"والآيات فى هذه المعانى كثيرة تدل دلالة يشهد بها الكون والواقع أن
جميع الكائنات مفتقرات إلى ربها فى خلقها ورزقها وتديرها ، وأنه لا واسطة
بينه وبين الخلق ، فإرادته وقدرته العامتين الشاملتين خلق الموجودات كلها

(١) سورة السجدة : آية ١٣

(٢) سورة الإنسان : آية ٣٠

(٣) سورة الأعراف : آية ٢٩ - ٣٠

(٤) سورة التغابن : آية ٢

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٤٧/٢ .

(٦) سورة الكهف : آية ٢٩

(٧) سورة التكوين : آية ٢٩

(٨) المرجع السابق ٥٥١/٢ .

وبإرادته وقدرته حفظها ، وبإرادته وقدرته وحكمته سيرها ودبرها ، وبعنايته ورحمته وسعة علمه أعطى كل شيء خلقه وهداه لمصالحه المتنوعة ، واعتنى بتدبيره الخاص وسوق الأرزاق والمنافع والمصالح كلها إلى مفرداته ووكلياته ، والكون لله بانتظامه واتساقه واحتياج بعضه إلى بعض ، وارتباط بعضه ببعض ، وتعاونه المتنوع جميعه يشهد شهادة واضحة بالقدرة والإرادة التي لا يشذ عنها شيء ، والحكمة التي شملت جميع الكائنات والعلم المحيط ^(١). « وهذا لا ينفى أن يكون للعبد مشيئة وإرادة ، فإن الله جعل العبد مريداً قادراً فاعلاً ، فله قدرة حقيقية وله مشيئة وإرادة ولكنها لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى كما قال سبحانه : {وماتشاءون إلا أن يشاء الله} ^(٢) ، والله خالق العبد وخالق مشيئته وقدرته ^(٣).

(١) الرياض الناضرة ص ١٥١-١٥٢ .

(٢) سورة الإنسان : آية ٣٠

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ١١٢/٢ ، ٣٧٤/٣ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٤٢، ١٤٣، ١٥٣ ، لوامع الأنوار ٣١٤/١ .

الجواب على شبههم على عدم إرادة الله لأفعال العباد :

وقبل الإجابة على ماأوردوه من شبه عقلية ونقلية على عدم إرادة الأفعال لابد من بيان أنواع الإرادة في كتاب الله ، لأن منشأ الضلال عندهم من تسويتهم بين نوعي الإرادة ، فنفوا أن تكون المعاصي بقضاء الله وقدره بحجة أنها ليست محبوبة ولامرضية له (١).

والذى عليه أهل السنة والجماعة أن الإرادة في كتاب الله نوعان :

(١) إرادة قدرية كونية خلقية ، وهى التى بمعنى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات كقوله تعالى : {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء} (٢)، وكقوله : {ولا ينفعكم نصحتى إن أردت أن أنصح لكم وإن كان الله يريد أن يغويكم} (٣)، وقوله : {ولكن الله يفعل مايريد} (٤).

(٢) إرادة دينية أمرية شرعية ، وهى المتضمنة للمحبة والرضا . كقوله : {يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر} (٥)، وقوله : {يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم} (٦)، وقوله : {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا} (٧).

والأولى يلزم وقوع المراد فيها ولايلزم أن يكون محبوباً لله ، بخلاف الثانية فإنه يلزم فيها أن يكون المراد محبوباً له سبحانه ولايلزم من ذلك

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥١ .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٢٥

(٣) سورة هود : آية ٣٤

(٤) سورة البقرة : آية ٢٥٣

(٥) سورة البقرة : آية ١٨٥

(٦) سورة النساء : آية ٢٦

(٧) سورة الأحزاب : آية ٣٣

وقوعه^(١). وهذا هو الفرق بين الإرادتين الذى ضل بسبب الخلط فيه طائفة أهل الاعتزال .

(١) الجواب على شبه العقلية :

١ - لو أرادها ماكان فعلها خطأ ولامعصية، لأن المفعول من الطاعة فعل ماأراداه المطاع، والمعصية فعل ماكرهه المعصى .
٢ - لايجوز أن يكون الله مريداً للمعاصى ، لأنه وجب حينئذ أن يكون محباً لها راضياً عنها ، لأن الإرادة والمحبة والرضا من باب واحد .
ويجاب على هذين بما سبق ذكره فى الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية .

والسلف رضى الله عنهم لم يقولوا بأن الله يحب المعاصى ويرضاها ، وإنما قالوا : إنه يبغضها ويكرهها ويسخطها وينهى عنها^(٢).
وقد جاء ذلك صراحة فى الكتاب والسنة . قال سبحانه : {والله لا يحب الفساد}^(٣)، وقال : {ولايرضى لعباده الكفر}^(٤)، وقال عقب مانهى عنه من الشرك والظلم والفواحش والكبر : {كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً}^(٥)، وقال صلى الله عليه وسلم : "إن الله كره لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال"^(٦).

(١) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٢٨ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٤ ، لوامع الأنوار ١٤٥/١ مع الهامش ، شرح لمعة الاعتقاد ص ٥٦ .

(٢) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٢٨ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٣، ١١٤ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٠٥

(٤) سورة الزمر : آية ٧

(٥) سورة الإسراء : آية ٣٨

(٦) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه من حديث المغيرة بن شعبه ، كتاب الزكاة

(٢٤) ، باب قول الله تعالى {لايسألون الناس الحافاً} (٥٣) ، ١٣١/٢ ، وأخرجه

بلفظ مقارب فى كتاب الاستقراض (٤٣) ، باب ماينهى عن إضاعة المال (١٩) ،

٨٧/٣ ، وأخرجه فى كتاب الرقاق (٨١) ، باب مايكره من قيل وقال (٢٢) ،

وهى مع ذلك لا تخرج من مشيئة الله وقدره ، لأنه لو لم يريد لها كوناً ما وقعت ، لأنه لا يقع فى ملكه إلا ما شاء وأراده كما قال : {وماتشاءون إلا أن يشاء الله} (١).

ولكن كيف يريد الله أمراً ولا يرضاه ولا يجبه؟ فكيف تجتمع مشيئته فيه وبغضه له؟

أجاب على ذلك الإمام ابن أبى العز رحمه الله فقال :
"فاعلم أن المراد نوعان : مراد لنفسه ، ومراد لغيره .

فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير ، فهو مراد لإرادة الغايات والمقاصد .

والمراد لغيره ، قد لا يكون مقصوداً لما يريد ، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته ، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده ، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته ، مراد له من حيث قضاؤه وإيصاله إلى مراده . فيجتمع فيه الأمران : بغضه ، وإرادته . ولا يتنافيان ، لاختلاف متعلقهما . وهذا كالدواء الكريه ، إذا علم المتناول له أن فيه شفاءه ، وقطع العضو المتآكل ، إذا علم أن فى قطعه بقاء جسده ، وكقطع المسافة الشاقة ، إذا علم أنها توصل إلى مراده ومحبوه . بل العاقل يكتفى فى إشار هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب ، وإن خفيت عنه عاقبته ، فكيف ممن لا يخفى عليه خافية . فهو سبحانه يكره الشيء ، ولا ينافى ذلك إرادته لأجل غيره ، وكونه سبباً إلى أمر هو أحب إليه من فوقه" (٢).

= وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الأقضية (٣٠) ، باب النهى عن كثرة المسائل من غير حاجة (٥) برقم ١٧١٥ ، ٣/١٣٤٠-١٣٤١ .

(١) سورة الإنسان : آية ٣٠

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٢-٢٥٣ .

وأما الطاعات فإنه سبحانه يحبها ويرضاها ولا يلزم من ذلك إرادتها ووقوعها وإعانة العبد على فعلها ، لأنه قد يستلزم حصول محبوب له أعظم من تلك الطاعة . وقد يتضمن وقوعها مفسدة هي أكره عنده سبحانه من محبته لتلك الطاعة . مثال ذلك قوله تعالى في شأن المنافقين : {ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين} (١) ، فإن خروجهم للغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة ، ولكنه ثبطهم عنها ولم يعنهم عليها لما يترتب على خروجهم من مفسد عظيمة هي أكره عند الله من محبته لتلك الطاعة ، وهي قوله : {لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين} (٢) .

فيحدث من فسادهم وسعيهم بالشر والفتنة بين المؤمنين واستجابة بعض المؤمنين إليهم ، من الشر ما هو أعظم من خروجهم للقتال ، فاقتضت حكمته أن أقعدهم (٣) . فله في عباده حكم قد تحفى على خلقه وهو بها عليم . وهذا بخلاف فعله سبحانه ، فإن محبته لما يريد أن يفعله ورضاه به يوجب وقوعه بمشيئته واختياره ، وكرهيته وبغضه له يمنع وقوعه منه مع قدرته عليه لو شاء ، وأما فعل العبد كما سبق فمحبته أو كراهيته له لا توجب وقوعه ولا امتناعه ، فإنه يحب الطاعة والإيمان من عباده كلهم وإن لم تكن محبته موجبة لطاعتهم وإيمانهم جميعاً إذ لم يحب فعله الذى هو إعانتهم وتوفيقهم وخلق ذلك لهم ، ويبغض معاصيهم وكفرهم وفسوقهم ولم تكن هذه الكراهة والبغض مانعة من وقوع ذلك منهم إذ لم يكره سبحانه خذلانهم وإضلالهم لما له في ذلك من الغايات المحبوبة التى فواتها يستلزم فوات ما هو أحب إليه من إيمانهم وطاعتهم (٤) .

(١) سورة التوبة : آية ٤٦

(٢) سورة التوبة : آية ٤٧

(٣) انظر المرجع السابق ص ٢٧٥ .

(٤) انظر : مفتاح دار السعادة ص ١١١ .

(٣) زعمهم لو كان يريد لها لكان العاصي معذوراً عند الله ، لأنه فعل ما يريد الله ، موافقة لقضائه وقدره .
ويجاب على هذا :

إن العاصي ليس معذوراً على عصيانه لأن له قدرة ومشية وأنه مختار وليس بمجبور على أفعاله الاختيارية . فالله خلق للعبد اختياراً وإرادة (١) .
والاحتجاج بالقدر على الذنوب مما يعلم بطلانه بالعقل ، فالظالم لغيره لو احتج بالقدر لاحتج ظالمه بالقدر أيضاً ، فاحتجاج به على فعل المعاصي باطل باتفاق الملل والعقلاء . ولو كان القدر حجة لفاعل الفواحش لم يحسن أن يلوم أحد أحداً ، ولأن يعاقب أحد أحداً . فلا عذر لأحد في ترك مأمور ولا فعل محذور بكون ذلك مقدرًا عليه ، بل لله الحجة البالغة على خلقه (٢) .
ومما يدل على عدم عذر العاصي على فعل المعصية الآتي :

١ - إن الله أضاف عمل العبد إليه وجعله كسباً له فقال : {اليوم تجزى كل نفس بما كسبت} (٣) ، ولو لم يكن له اختيار في الفعل وقدرة عليه مانسب عمله إليه .

٢ - إن الله أمر العبد ونهاه ولم يكلفه إلا ما يستطيع لقوله تعالى : {لا يكلف الله نفساً إلا وسعها} (٤) ، {فاتقوا الله ما استطعتم} (٥) ، ولو كان مجبوراً على العمل ما كان مستطيعاً على الفعل أو الكف لأن المجبور لا يستطيع التخلص .

٣ - إن كل واحد يعلم الفرق بين العمل الاختياري والإجباري وأن الأول يستطيع التخلص منه بخلاف الثاني .

(١) انظر : الفتاوى ٣/٣٧٤ .

(٢) انظر : المنتقى ص ١٣٠ .

(٣) سورة غافر : آية ١٧

(٤) سورة البقرة : آية ٢٨٦

(٥) سورة التغابن : آية ١٦

٤ - إن العاصي قبل أن يقدم على المعصية لا يدري ما قدر له وهو باستطاعته أن يفعل أو يترك، فكيف يسلك طريق الخطأ ويحتج بالقدر المجهول أليس من الأحرى أن يسلك الطريق الصحيح ويقول هذا ما قدر لي؟

٥ - إن الله أخبر أنه أرسل الرسل لقطع الحجة {لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} (١)، ولو كان القدر حجة للعاصي لم تنقطع بإرسال الرسل (٢).

وزعمهم بأنه خلق قومًا للجنة وقومًا للنار كذب وضلال :
هذا رد صريح وتكذيب لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك منها :

مارواه أحمد بسنده إلى عبد الرحمن بن قتادة السلمي مرفوعاً : "إن الله عز وجل خلق آدم ، ثم أخذ الخلق من ظهره ، وقال : هؤلاء في الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء في النار ولا أبالي " ، قال : فقال قائل يارسول الله فعلى ماذا نعمل ؟ قال : "على مواقع القدر" (٣).

وروى بسنده إلى أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى ، فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر ، وضرب كتفه اليسرى ، فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم ، فقال للذى في يمينه : إلى الجنة ولا أبالي ، وقال للذى في كتفه اليسرى : إلى النار

(١) سورة النساء : آية ١٦٥

(٢) شرح لمعة الاعتقاد ص ٥٣، ٥٤ بتصرف .

(٣) مسند أحمد ١٨٦/٤ .

وأخرجه الحاكم في المستدرك بلفظ مقارب ، وقال : "هذا حديث صحيح قد اتفقا على الاحتجاج برواته عن آخرهم إلى الصحابة" . ووافقه الذهبي ٣١/١ .
وابن سعد في الطبقات الكبرى ٣٠/١ ، ٤١٧/٧ .
وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في السلسلة الصحيحة ٧٧/١ ورقمه ٤٨ .

ولأبالي" (١).

فهذه الأحاديث لاتدل على الجبر كما يزعم أهل الاعتزال ، وتوجيه ذلك :

إن الله سبحانه ليس كمثله شيء لافي ذاته ولاصفاته ، فهو إذا قبض قبضة فهي بعلمه وعدله وحكمته ، فقبض باليمين على من علم أنه سيطيعه ، وقبض بالأخرى على من علم أنه سيعصيه ، فلم يقبض باليمنى أو الأخرى على من هو مستحق أن يكون من القبضة الأخرى لكمال عدله سبحانه ، وأنه لا يظلم مثقال ذرة .

وليس في القبضتين دلالة على إجبار أصحابهما ، بل هو حكم منه تعالى بما يصدر من إيمان يستلزم الجنة أو كفر يقتضى النار ، والإيمان والكفر أمران اختياريان لا يكره الله أحداً من خلقه على واحد منهما كما قال : {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر} (٢)(٣).

(١) مسند أحمد ٤٤١/٦ .

قال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "وإسناده صحيح" . المرجع السابق ٧٧/١ برقم ٤٩

وروى مسلم بسنده إلى عائشة أم المؤمنين قالت : دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار . فقلت : يارسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة ، لم يعمل السوء ولم يدركه . قال : "أو غير ذلك ياعائشة ، إن الله خلق للجنة أهلاً ، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم . وخلق للنار أهلاً ، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم" . كتاب القدر (٤٦) ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٦) برقم ٢٦٦٢ ، ٢٠٥٠/٤ . وهذا فى معنى الأحاديث السابقة.

وروى أحمد بسنده إلى أبى نضرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله تبارك وتعالى قبض قبضة يمينه فقال هذه لهذه ولأبالي ، وقبض قبضة أخرى - يعنى بيده الأخرى - فقال هذه لهذه ولأبالي ..." الحديث .

المسند ٧٨/٥ . قال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "وإسناده صحيح" . سلسلة الأحاديث الصحيحة ٧٨/١ برقم ٥٠ .

(٢) سورة الكهف : آية ٢٦

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٧٨/١-٧٩ بتصرف .

(٤) قولهم لو كان مريداً لها مانهى عنها .
الأمر والنهى إنما يتعلقان بالإرادة الشرعية لا الإرادة الكونية كما سبق بيانه (١).

(٥) قولهم : لا يمكن أن يقضى على خلقه بمعصية ، ثم يعذبهم عليها ، بل ذلك محال وباطل .

ويجاب على هذا بأن الله سبحانه إنما يعذب العبد على فعله الاختيارى فهو إذا قدر على الكافر أو العاصى معصية قدرها لما فى ذلك من الحكمة والمصلحة العامة ، ثم إذا عاقبه على تلك المعصية إنما عاقبه لاستحقاقه ذلك العقاب على فعله الذى اختاره ، ولما فى ذلك العقاب من الحكمة والمصلحة العامة (٢).

والله سبحانه إذا قضى على أحد بالمعصية أو الغى ، فذلك محض عدل فيه ، لأنه وضع الإضلال والخذلان فى موضعه اللائق به .
والله جل فى علاه قد أقام الحجج على العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب ومكن لهم أسباب الهداية ، فإن أعان من شاء ووقفه إلى الطاعات فذلك فضله ، وإن خذل من شاء وحرمه توفيقه وخلق بينه وبين نفسه فذلك عدله (٣).

دخل عبد الجبار الهمداني على صاحب بن عباد (٤)، وعنده أبو إسحاق

(١) انظر ص: ٢٧٠ .

(٢) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٣٣ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٤ .

(٣) انظر : الفوائد ص ٤٨، ٤٩ .

(٤) صاحب بن عباد :

هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس الطالقاني . الأديب الكاتب . الملقب بالصاحب لصحبته الملك مؤيد الدولة من صباه . كان شيعياً معتزلياً مبتدعاً . له تصانيف منها " الوزراء " ، " الكشف عن مساوىء شعر المتنبي " ، " عنوان المعارف وذكر الخلائف " . مات سنة ٣٨٥ هـ .

انظر : وفيات الأعيان ١/٢٢٨-٢٣٣ ، سير أعلام النبلاء ١٦/٥١١-٥١٥ ، البداية والنهاية ١١/٣١٤-٣١٦ ، لسان الميزان ١/٤١٣-٤١٦ ، شذرات الذهب ٣/١١٣-١١٦ ، الأعلام ١/٣١٦ .

الإسفراييني^(١)، فلما رأى الأستاذ قال: "سبحان من تنزهه عن الفحشاء". فقال الأستاذ فوراً: "سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء"، فقال القاضي: "أيشاء ربنا أن يعصى؟" قال الأستاذ: "أيعصى ربنا قهراً؟" فقال القاضي: "أرأيت إن منعى الهدى وقضى على بالردى أحسن إلى أم أساء؟" فقال الأستاذ: "إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء". فبهت القاضي عبد الجبار^(٢).

ولو أراد الله أن يعذب من يشاء لم يكن لأحد من الخلق منعه، ولكنه سبحانه إذا عذب أحداً فلا يعذبه إلا بحق لكمال عدله وتنزهه عن الظلم^(٣).

(٢) الشبه النقلية :

وأما استدلالهم بالآيات، فلا متمسك لهم فيها، لأنهم إنما نظروا إليها بعين واحدة، فتناقضت عندهم الأدلة واضطرب عليهم الفهم، وذلك شأن أهل البدع دائماً، فإنهم يأخذون جانباً من الأدلة ويزعمون أنه يؤيد بدعتهم ويغضون الطرف عن جانب آخر يكون فيه كشف بدعتهم وبيان بطلانها. وهكذا فعل أهل الاعتزال هنا، فإنهم أخذوا بعض الآيات التي ظنوا أنها تؤيد نفى إرادة الله لأفعال العباد وتركوا الآيات الصريحة التي تثبت

(١) أبو إسحاق الإسفراييني :

هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، الإسفراييني الأصولي الشافعي الملقب بركن الدين. أحد المجتهدين، كان متكلماً، ثبتاً في الحديث. من تصانيفه: "الجامع" في أصول الدين، ورسالة في أصول الفقه. مات سنة ٥٤١٨ هـ.

انظر: الأنساب ٢٢٥/١، وفيات الأعيان ٢٨/١، سير أعلام النبلاء ٣٥٦-٣٥٣/١٧، البداية والنهاية ٢٤/١٢، طبقات السبكي ٢٥٦-٢٦٢/٤، الوافي بالوفيات ١٠٤-١٠٥/٦، شذرات الذهب ٢٠٩-٢١٠/٣، الأعلام ٦١/١.

(٢) طبقات الشافعية ٢٦١-٢٦٢/٤، شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥١ الهامش.

(٣) انظر: المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٥٤، ٥٣.

الإرادة لتلك الأفعال ، ولو جمعوا بين النصوص لبان لهم الحق واتضح لهم الطريق ، كما بان واتضح لأهل السنة والجماعة ففازوا بلزوم الصراط المستقيم ، والهدى القويم ، ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء والله واسع عليم^(١).

فاستدلالم المعتزلة بالآيات التى تنفى الظلم عن الله كقوله : {وما الله يريد ظلماً للعباد}^(٢) ، {وما الله يريد ظلماً للعالمين}^(٣) على نفى تقدير المعاصى ، استدلال ساقط ، بعيد عن موطن الخلاف ، فالسلف رضوان الله عليهم نزهوا الله تعالى عن الظلم كما نزه نفسه عنه ، وحرمه على نفسه ، فالله لا يظلم ولا يضع أمراً فى غير موضعه وذلك هو الظلم ، بل هو العدل فى قوله وفعله وأمره ونهيه وثوابه وعقابه .

وقد سبق التفصيل فى ذلك بحيث يغنى عن الإعادة مرة أخرى^(٤). وأما استدلالهم بقوله تعالى : {كل ذلك كان سيئاً عند ربك مكروهاً}^(٥) ، وقوله : {والله لا يحب الفساد}^(٦) ، {ولا يرضى لعباده الكفر}^(٧) . فهذه الآيات وأمثالها إنما تخص الإرادة الشرعية التى لا يلزم وقوع مرادها ، وهى المتعلقة بالأوامر والنواهى ، وقد بين الفرق بينها وبين الإرادة الكونية التى هى ملزمة لوقوع مرادها^(٨) . ولو أن المعتزلة فرقوا بين الإرادتين وفصلوا بينهما ماوقعوا فى هذا الزيغ والضلال .

(١) سورة المائدة : آية ٥٤

(٢) سورة غافر : آية ٣١

(٣) سورة آل عمران : آية ١٠٨

(٤) انظر ص : ٢٥٨ فما بعدها .

(٥) سورة الإسراء : آية ٣٨

(٦) سورة البقرة : آية ٢٠٥

(٧) سورة الزمر : آية ٧

(٨) انظر ص : ٢٧٠ .

ولعل من أقوى ما يتمسكون به قوله تعالى : {سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون} (١).

قال ابن أبي العز : "وقد أجيب على هذا بأجوبة ، من أحسنها : أنه أنكر عليهم ذلك لأنهم احتجوا بمشيئته على رضاه ومحبته ، وقالوا : لو كره ذلك وسخطه لما شاءه ، فجعلوا مشيئته دليل رضاه ، فرد الله عليهم ذلك .

أو أنه أنكر عليهم اعتقادهم أن مشيئة الله دليل على أمره به . أو أنه أنكر عليهم معارضته شرعه وأمره الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه بقضائه وقدره ، فجعلوا المشيئة العامة دافعة للأمر ، فلم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد ، وإنما ذكروها معارضين بها لأمره ، دافعين بها لشرعه ، كفعل الزنادقة ، والجهال إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر . وقد احتج سارق على عمر رضى الله عنه بالقدر ، فقال : وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره . يشهد لذلك قوله تعالى : {كذلك كذب الذين من قبلهم} (٢). فعلم أن مرادهم التكذيب ، فهو من قبل الفعل ، من أين له أن الله لم يقدره ؟ اطلع الغيب؟" (٣).

يقول ابن القيم رحمه الله :

"أنكر سبحانه عليهم ما هم فيه أكذب الكاذبين وأفجر الفاجرين ولم ينكر عليهم صدقاً ولا حقاً ، بل أنكر عليهم أبطل الباطل ، فإنهم لم يذكروا ماذكروه إثباتاً لقدره وربوبيته ووحدانيته وافتقاراً إليه وتوكلاً عليه

(١) سورة الأنعام : آية ١٤٨

(٢) سورة الأنعام : آية ١٤٨

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٦-١٤٧ .

وانظر تفسير الآية في : زاد المسير ٩٩/٣ ، الجامع لأحكام القرآن ١٢٨/٧-١٢٩ ،

تفسير القرآن العظيم ١٨٦/٢ ، فتح الباري ٤٤٩/١٣ .

واستعانة به ، ولو قالوا كذلك لكانوا مصيبين ، وإنما قالوه معارضين لشرعه ودافعين به لأمره ، فعارضوا شرعه وأمره ، ودفعوه بقضائه وقدره ، ووافقهم على ذلك كل من عارض الأمر ودفعه بالقدر ، وأيضاً فإنهم احتجوا بمشيئته العامة وقدره على محبته لما شاء ورضاه به وإذنه فيه ، فجمعوا بين أنواع من الضلال ، معارضة الأمر بالقدر ، ودفعه به ، والإخبار عن الله أنه يجب ذلك منهم ويرضاه حيث شاء وقضاه ، وأن لهم الحجة على الرسل بالقضاء والقدر" (١).

ثم قال : "وتأمل قوله سبحانه بعد حكايته عن أعدائه واحتجاجهم بمشيئته وقدره على إبطال ما أمرهم به رسوله ، وأنه لولا محبته ورضاه به لما شاء منهم {قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين} (٢) ، فأخبر سبحانه أن الحجة له عليهم برسله وكتبه ، وبيان ما ينفعهم ويضرهم وتمكنهم من الإيمان بمعرفة أوامره ونواهيه ، وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول فثبتت حجته البالغة عليهم بذلك واضمحلت حجتهم الباطلة عليه بمشيئته وقضائه" (٣).

موقفهم من أحاديث اثبات القدر :

ونمثل لذلك بحديث واحد وهو حديث احتجاج آدم وموسى ، وكيف رده أهل الاعتزال بحجج عقلية واهية ، وطعنوا في نحره بأنواع الشبه ، وهكذا شأنهم مع كل حديث يخالف بدعهم .

وسياق الحديث كما أورده الإمام البخارى بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «احتج آدم وموسى ، فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا ، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، قال له آدم : ياموسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده ، أتلومنى على أمر قدر الله

(١) شفاء العليل ص ٣٣ .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٤٩

(٣) المرجع السابق ص ٣٧-٣٨ .

على قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى ثلاثاً" (١).
وقد ردوه بأمرين :

الأول : هذا يوجب أن موسى كان قدرياً .

الثاني : يوجب في كل كافر ومشرِك وفاجر أن لا يلام لأن ما آتاه كان مكتوباً عليه .

ثم زعموا أن من تعلق به وبأمثاله من الأحاديث فهو جاهل ويجب أن يلصق به كل ذم ، وكل لقب مذموم .
ويجاب عليهم بالآتي :

أولاً : هذا الحديث صحيح ثابت في كتب السنة بالاتفاق .

رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم أبو هريرة وغيره ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر أنه من طريق أبي هريرة رواه عشرة من التابعين ثم ذكرهم وذكر من خرج لهم من الأئمة (٢).

قال ابن القيم رحمه الله :

"وقد رد هذا الحديث من لم يفهمه من المعتزلة ... وهذا من ضلال فريق الاعتزال وجهلهم بالله ورسوله وسنته ، فإن هذا حديث صحيح متفق على صحته ، لم تزل الأمة تتلقاه بالقبول من عهد نبيها قرناً بعد قرن وتقابله بالتصديق والتسليم ، ورواه أهل الحديث في كتبهم وشهدوا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قاله ، وحكموا بصحته ، فما لأجهل الناس

(١) صحيح البخارى ، كتاب القدر (٨٢) ، باب تحاج آدم وموسى عند الله عز وجل (١١) ٢١٤/٧ .

وأخرجه بلفظ مقارب في كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب وفاة موسى وذكره بعد (٣١) ١٣١/٤ ، وفي كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قوله {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} (٣٧) ٢٠٣/٨ .

وأخرجه مسلم بلفظ مقارب ، كتاب القدر (٤٦) ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢) برقم ٢٦٥٢ ، ٢٠٤٢/٤ - ٢٠٤٤ .

(٢) انظر فتح البارى ٥٠٦/١١ .

بالسنة ومن عرف بعداوتها وعداوة حملتها والشهادة عليهم بأنهم مجسمة ومشبهة حشوية وهذا الشأن؟ ولم يزل أهل الكلام الباطل المذموم موكلين ببرد أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تخالف قواعدهم الباطلة وعقائدهم الفاسدة كما ردوا أحاديث الرؤية" (١).

ثانياً : ليس في الحديث احتجاج بالقدر على المعاصي كما يزعم المعتزلة . وآدم عليه السلام لم يحتج بالقدر لأن أنبياء الله عليهم السلام من أعلم الناس بالله وبأمره ونهيه فلا يسوغ لأحدهم أن يعصى الله بالقدر ثم يحتج على ذلك (٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"ومعاذ الله أن يحتج آدم أو من هو دونه من المؤمنين على المعاصي بالقدر ، فإنه لو ساغ هذا لساغ أن يحتج إبليس ومن اتبعه من الجن والإنس بذلك ، ويحتج به قوم نوح وعاد وثمود ، وسائر أهل الكفر والفسوق والعصيان ولم يعاقب أحد . وهذا مما يعلم فساد بالاضطرار شرعاً وعقلاً" (٣).

بل في الحديث إثبات لقدر الله السابق . وفيه حجة لأهل السنة في إثبات القدر وخلق أفعال العباد (٤).

قال ابن عبد البر رحمه الله :

"هذا الحديث أصل جسيم لأهل الحق في إثبات القدر وأن الله قضى أعمال العباد فكل أحد يصير لما قدر له بما سبق في علم الله" (٥).

(١) شفاء العليل ص ٢٩ .

(٢) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٣١ ، شفاء العليل ص ٣٨ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٧ .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٨٤٨/٢ .

(٤) فتح الباري ٥١٢/١١ .

(٥) المرجع السابق ٥٠٩/١١ .

ثالثاً : وقد ذكر في احتجاج آدم بالقدر عدة أقوال المتجه منها قولان :
 الأول : إنما لام موسى عليه السلام آدم عليه السلام على المصيبة التي
 أخرجته وذريته من الجنة بسبب أكله من الشجرة ، فاحتج آدم بالقدر على
 المصيبة لأعلى المعصية ، لأن العبد مأمور أن يحتج بالقدر عند المصائب
 ويستغفر ويتوب عند المعاييب ، كما قال سبحانه : { فاصبر إن وعد الله حق
 واستغفر لذنبك } (١).

وقال : { ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من
 قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير } (٢).

وهذا جواب شيخ الإسلام ابن تيمية واستحسنه شارح الطحاوية (٣).

الثاني : إن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ويضر في
 موضع ، فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته كما فعل
 آدم ، ويضر الاحتجاج به في الحال والمستقبل ، بأن يرتكب فعلاً محرماً أو
 يترك واجباً فيلومه عليه لائم فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره ،
 فيبطل بالاحتجاج به حقاً ويرتكب باطلاً ، كما احتج به المصريون على
 شركهم وعبادتهم لغير الله فقالوا : { لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا } (٤).
 وخلاصة ذلك إن اللوم إذا ارتفع صح الاحتجاج بالقدر وإذا كان
 اللوم واقعاً فلاحتجاج بالقدر باطل (٥).

وقال القرطبي :

-
- (١) سورة غافر : آية ٥٥
 (٢) سورة الحديد : آية ٢٢
 (٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٨٤٨/٢ ، شفاء العليل ص ٣٨ ، المنتقى من منهاج
 الاعتدال ص ١٣١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٧ .
 (٤) سورة الأنعام : آية ١٤٨
 (٥) شفاء العليل ص ٣٨ ، ٣٩ ، بتصرف .

"إنما غلبه بالحجة لأنه علم من التوراة أن الله تاب عليه فكان لومه على ذلك نوع جفاء كما يقال ذكر الجفاء بعد حصول الصفاء جفاء ، ولأن أثر المخالفة بعد الصفح ينمحي حتى كأنه لم يكن فلا يصادف اللوم من اللائم حينئذ محلاً" .

قال الحافظ ابن حجر :

"وهو محصل ما أجاب به المازري وغيره من المحققين ، وهو المعتمد" (١) .

(١) فتح الباري ٥١٠/١١ .

وقول القرطبي موجود بمعناه في الجامع لأحكام القرآن ٢٥٦/١١ .

(٤) مرتكب الكبيرة :-

أمر مرتكب الكبيرة من الأمور التي دار حولها الجدل في عصر مبكر من عصور الإسلام الأولى . وقد كان للمعتزلة القسط الأكبر والنصيب الأوفر في تبنى هذه المسألة ، وتقعيد القواعد لها، وإطلاق الأحكام على من تلبس بها ، حتى عدها بعض العلماء رأس مسائل المعتزلة التي عنوا بها ، وأنها كانت السبب في إطلاق اسم المعتزلة عليهم^(١).

والمعتزلة لا يعتمدون على نص من القرآن أو السنة في إطلاقهم الأحكام على صاحب الكبيرة ، وإنما اعتمادهم على العقل . قال عبد الجبار بعد ذكره لبعض الأحاديث التي تدل على خلود أصحاب الكبائر في النار :

"إنما نذكر هذه الأخبار ، وإن كان أكثرها أخبار آحاد ، ليعرف من قرأ كتابنا أن التمسك بالسنة طريقتنا ، وأن هؤلاء القوم إذا احتجوا بذلك فقد أخطأوا ، وإلا فطريقتنا في هذا الجنس ، تتعلق بأدلة قاطعة"^(٢).

فالعمدة عندهم العقل كما هو الحال دائماً ، وأما أحاديث الآحاد فلا مجال لها ههنا في الاحتجاج كما يزعمون .

ولقد عرفوا الكبيرة من الذنوب تعريفاً يلائم ما أطلقوه على صاحبها من أحكام ، ومهدوا به السبيل لكي يستوعب تلك الأحكام . فقالوا عنها : إن كل مأتى فيه وعيد فهو كبيرة^(٣).

حكم صاحب الكبيرة في الدنيا :

إن صاحب الكبيرة في الدنيا لا يسمى كافراً ولا مؤمناً وإنما يسمى فاسقاً ، وتلك عندهم منزلة وسطى بين منزلة الإيمان ومنزلة الكفر ، ولذا أطلقوا عليها اسم المنزلة بين المنزلتين .

(١) انظر : تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٠٢ .

(٢) فضل الاعتزال ص ١٥٦ .

وقد يتوهم من كلام عبد الجبار أنه يحتج بالسنة ، والأمر ليس كذلك .

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين ٣٣٢/١ .

والدليل العقلى على ذلك :

إنه لا يسمى كافراً لأن أحكام الكفار فى الدنيا لا تجرى عليه ، فلا يمنع عن المناكحة والموارثة والدفن وغيرها . كما أنه لا يسمى مؤمناً لأنه بارتكابه الكبيرة استحق الذم واللعن والاستخفاف والإهانة ، وقد ثبت أن اسم المؤمن لمن يستحق المدح والتعظيم والمولاة^(١) .
وأول من نادى بالمتزلة بين المتزتين وأظهر القول بها واصل بن عطاء الغزال^(٢) .

وأصبحت هذه المسألة نواة لمذهب الاعتزال^(٣) . واجتمعت كلمتهم عليها^(٤) حتى بالغ أبو الحسين فى تمجيدها وتعظيمها فقال :
" وهل يكون قول أوضح صواباً ولاأصح معنى من قول المعتزلة بالمتزلة بين المتزتين ، ولو كان شىء من الدين يعلم صوابه باضطرار لعلم قول المعتزلة بالمتزلة بين المتزتين باضطرار " ^(٥) .
ولعل أيضاً مما دفعهم إلى هذا القول فهمهم لقضية الإيمان .
فالإيمان عندهم هو فعل جميع ما افترض الله على عباده ، وترك جميع مانهى عنه^(٦) ، أو هو أداء الطاعات بما فيها من فرائض ونوافل ، واجتناب المقبحات ، وهو القول الصحيح المختار عندهم^(٧) .

-
- (١) انظر : شرح الأصول ص ١٣٩، ١٤٠، ٦٩٧، ٧٠١، ٧٠٢، ٧١٢ ، فضل الاعتزال ص ٣٥٠ ، الانتصار ص ١١٩ .
(٢) انظر : الملل والنحل ١/ ٤٨ ، موقف المعتزلة من السنة ص ٤٦ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٦ .
(٤) انظر : باب ذكر المعتزلة ص ٦ ، مقالات الإسلاميين ١/ ٣٣١ ، الفرق بين الفرق ص ١١٥ .
(٥) الانتصار ص ١١٩ .
(٦) انظر : فضل الاعتزال ص ٢٥٠ .
(٧) انظر : شرح الأصول ص ٧٠٧ .
وانظر اختلافهم فى تعريف الإيمان فى مقالات الإسلاميين ١/ ٣٢٩-٣٣١ .

ومن هنا لا يستحق أحد اسم الإيمان إلا إذا قام بجميع الطاعات بما فيها من فرائض ونوافل ، واجتنب جميع المعاصي .
حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة :

وأما في الآخرة فإنهم حكموا عليه بالخلود في النار كالكافر، وإن كان حاله في العقاب دون الكافر ، فعقابه أخف ، ولكنه مع ذلك خالد مؤبد فيها (١).

دليلهم العقلي على ذلك :

قال عبد الجبار :

"إن العاصي لا يخلو حاله من أحد أمرين : إما أن يعفى عنه ، أو لا يعفى عنه ، فإن لم يعف عنه فقد بقي في النار خالدًا ، وهو الذي نقوله ، وإن عفى عنه فلا يخلو إما أن يدخل الجنة أو لا ، فإن لم يدخل الجنة لم يصح ، لأنه لا دار بين الجنة والنار ، فإذا لم يكن في النار وجب أن يكون في الجنة لا محالة . وإذا دخل الجنة فلا يخلو ، إما أن يدخلها مثابًا ، أو متفضلًا عليه . لا يجوز أن يدخل الجنة متفضلًا عليه لأن الأمة اتفقت على أن المكلف إذا دخل الجنة فلا بد من أن يكون حاله متميزًا عن حال الولدان المخلدين وعن حال الأطفال والمجانين ، ولا يجوز أن يدخل الجنة مثابًا لأنه غير مستحق ، وإثابة من لا يستحق الثواب قبيح ، والله تعالى لا يفعل القبيح" (٢).

ومن هنا يتضح أن لهذه المسألة ارتباطاً وثيقاً بموضوع الوعد والوعيد الذي عده المعتزلة أصلاً من أصولهم ، وهو ينبثق من موضوع العدل الذي سبق بيانه وتوضيحه (٣).

(١) انظر : فضل الاعتزال ص ٢١٠، ٣٥٠ ، مقالات الإسلاميين ١/ ٣٣٤ ، الملل والنحل ٤٥/١ .

(٢) شرح الأصول ص ٦٦٦-٦٦٧ .

(٣) انظر موقف المعتزلة من السنة ص ٦٨ . وانظر ص : ٢٤٣ فما بعدها .

فزعّموا في تعريف الوعد والوعيد إن الله وعد المطيعين بالشواب وتوعد العصاة بالعقاب ، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة ، ولا يجوز عليه الخلف والكذب ، والكذب قبيح والله لا يفعل القبيح (١).

ولذا أوجبوا على الله أن يعذب العصاة ولا يعفو عنهم ، كما أوجبوا عليه أن يثيب الطائعين ، ولو لم يفعل الله ذلك لكان قبيحاً منه سبحانه وتعالى (٢).

وللمعتزلة البغدادية تفريق في نوعية الوجوب بالنسبة للمطيع والعاصي . فالعقاب عندهم أعلى حالاً من الشواب ، لأن الشواب لا يجب إلا من حيث الجود ، وليس هذا قولهم في العقاب ، فإنه يجب فعله في كل حال ولا يجوز أن يعفو الله عن العصاة بل يجب عليه أن ينزل بهم ما يستحقونه من عذاب لا محالة (٣).

وهذا العقاب يستحقه العاصي على طريق الدوام ، فهو لو لم يستحق على طريق الدوام لكان لا يحسن من الله أن يعذب الفاسق بالنار ويخلدهم فيها ، كما أن العقاب كالذم يشبتان في الاستحقاق معاً ويزولان معاً ، والفاسق يستحق الذم على طريق الدوام ، فكذلك يجب أن يستحق العقاب على طريق الدوام (٤).

ووعيد الله بالعقاب حق لا يجوز عليه الخلاف ولا الكذب ، لأن الله قد خوف بوعيد قاطع وليس تخويفاً ، ولو لم يفعله لما كان ذلك الوعيد صدقاً . ولا يجوز أن يكون خلفه كرمًا لأنه إن وجب ذلك في الفاسق وجب مثله في الكفار ، ومتى قيل في الكفار إنه يحسن منه وقوع الوعيد عليهم مع أن خلافه كرم ، فكذلك في الفاسق (٥).

(١) انظر : شرح الأصول ص ١٣٦ .

(٢) انظر : شرح الأصول ص ٦٤٧-٦٥٠ ، وانظر ص ٥٩٨، ٦١٤-٦١٥ .

(٣) انظر المصدر السابق ص ٦٤٤، ٦٤٥ .

(٤) انظر المصدر نفسه ص ٦٦٧ .

(٥) انظر : فضل الاعتزال ص ٢١١ .

بل من زعم أن خلف الوعيد كرم وأن الله يمكن أن يخلف في وعيده كفر ، لأنه أضاف القبيح إلى الله تعالى (١).

والتوبة عندهم لاتصح إلا إذا كانت من جميع المعاصي وأما إن تاب عن بعض ولم يتب عن البعض الآخر ، لم تستقم توبته . يقول عبد الجبار : "لاتصح التوبة عن بعض القبائح مع الإصرار على البعض وهو الصحيح من المذهب ، والذي يدل على صحته أن التوبة عن القبيح يجب أن تكون ندماً عليه لقبحه وعزماً على أن لايعود إلى أمثاله في القبح" (٢). ومادامت قد بقيت كبيرة واحدة فهي كافية في إسقاط جميع مآلديه من ثواب ، لأنه لاثواب البتة يستحقه الإنسان مع وجود الكبيرة (٣).

وقد استدلوا بأدلة الوعيد من القرآن والسنة فأيدوا بها حججهم العقلية في تخليد صاحب الكبيرة في النار ، ومن ذلك : قوله تعالى : {ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين} (٤).

فألله تعالى أخبر أن العصاة يعذبون في النار ويخلدون فيها، والعاصي اسم يتناول الفاسق والكافر جميعاً فيجب حمله عليهما ، لأنه تعالى لو أراد أحدهما دون الآخر لبينه ، فلما لم يبين دل على ما ذكرناه . وقوله تعالى : {ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً} (٥).

وقوله : {ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها} (٦).

(١) انظر شرح الأصول ص ١٣٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٩٤-٧٩٥ .

(٣) انظر المصدر السابق ص ٦٩١ ، مقالات الإسلاميين ٣٣٢/١ .

(٤) سورة النساء : آية ١٤

(٥) سورة الجن : آية ٢٣

(٦) سورة النساء : آية ٩٣

ووجه الاستدلال، إن من قتل مؤمناً متعمداً جازاه الله وعاقبه وغضب عليه ولعنه وذلك يؤيد خلوده في النار .

وقوله أيضاً : {إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون} (١).

ووجه الدلالة : إن المجرم اسم يتناول الكافر والفاسق جميعاً وهما مرادان بالآية ، ولو أراد الله أحدهما لبيّنه فلما لم يبيّنه دل على أنه أرادهما جميعاً .

وقوله سبحانه : {من يعمل سوءاً يجز به} (٢).

وقوله : {وإن الفجار لفي جحيم} (٣) (٤).

موقفهم من الآيات والأحاديث التي تعارض ما ذهبوا إليه :
ونمثل لذلك بآية وحديث :

الآية : قوله تعالى : {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} (٥).

يبين عبد الجبار أن المراد بقوله "ما دون ذلك" صفات المعاصي (٦).

الحديث : قوله صلى اله عليه وسلم : "فخرج من النار قوم بعدما أمتحشوا وصاروا فحماً وحمماً" (٧).

يبدأ عبد الجبار بإيراده بصيغة التضعيف روى .

ثم يقول :

"وجوابنا ، أن هذا الخبر لم تثبت صحته ، ولو صح فإنه منقول بطريق

الآحاد ، وخبر الواحد مما لا يوجب القطع ، ومسألتنا طريقها العلم فلا يمكن

(١) سورة الزخرف : آية ٧٤

(٢) سورة النساء : آية ١٢٣

(٣) سورة الانفطار : آية ١٤

(٤) شرح الأصول ص ٦٥٧-٦٦٣ بتصرف .

(٥) سورة النساء : آية ١١٦، ٤٨

(٦) انظر : فضل الاعتزال ص ١٥٤ .

(٧) يأتي تخريج الحديث والكلام عنه .

الاحتجاج به ... ثم إنا نعارضهم بأخبار رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب من جملتها قوله صلى الله عليه وسلم : "لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا غمام ولا عاق" (١).

(١) هذا الحديث ورد عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم وهم :

١ - عبد الله بن عمرو بن العاص :

وحديثه أخرجه النسائي في سننه بلفظ : "لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر".

كتاب الأشربة ، باب الرواية في المدمنين في الخمر ٢٨٤/٨ .

والدارمي في سننه ، كتاب الأشربة ، باب في مدمن الخمر ١١٢/٢ .

وأحمد في المسند ٢٠١/٢ وزاد في رواية عنه : "ولا ولد زنية" ٢٠٣/٢ .

وابن حبان في كتاب الزكاة (١١) ورقمه ٣٣٨٤ ، ١٧٨/٨ .

وبالزيادة السابقة عند أحمد برقم ٣٣٨٣ ، ١٧٥/٨ - ١٧٦ "الإحسان" .

وعبد الرزاق في المصنف برقم ١٣٨٥٩ ، ٤٥٤/٧ ، وفيه الزيادة السابقة .

وابن خزيمة في التوحيد ص ٢٣٦-٢٣٧ .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٠/٦ وفيه الزيادة .

والشيخ ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٨٥/٢ برقم ٦٧٣ ،

وصحيح الجامع . وقال صحيح ٢٢٨/٦ .

٢ - عبد الله بن عمر :

وحديثه أخرجه النسائي بلفظ مقارب لحديث ابن عمرو ، في كتاب الزكاة ، باب

المنان بما أعطى ٦/٥ .

وأحمد في المسند . وذكر بدل المنان : الديوث الذي يقر في أهله الخبث .

١٢٨،٦٩/٢ . وانظر ١٣٤/٢ .

٣ - أبو سعيد الخدري :

وحديثه أخرجه أحمد في المسند ٤٤،٢٨/٣ .

٤ - أنس بن مالك :

وحديثه في مسند أحمد أيضا ٢٢٦/٣ .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧٧/٥ .

٥ - أبو الدرداء :

وحديثه في مسند أحمد إلا أنه ذكر بدل المنان : مكذب بالقدر ٤٤١/٦ .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد إلا أنه ذكر "مكذب بالقدر" بدل "مدمن خمر"

٢٠٦-٢٠٥/٧ .

وهذا يدفع ما احتجوا به في المسألة .

ومن ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من تردى من جبل فهو يتردى من جبل في نار جهنم خالداً مخلداً " (١) .
ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " من قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالداً أبداً " (١) .
أو قوله أيضاً : " من يحتسى سماً يحتسى سماً في نار جهنم خالداً أبداً " (١) .

إلى غير ذلك من الأخبار المروية في هذا الباب .
... إنا نتأول هذا الخبر ... على وجه يوافق الأدلة ، فنقول : إن المراد يخرج من النار ، أى يخرج من عمل أهل النار قوم " (٢) .

= ٦ - ابن عباس :

أورده الهيثمي في المجمع ٧٧/٥ .

٧ - مولى أبى قتادة :

وحديثه أخرجه الطحاوى في مشكل الآثار وفيه زيادة " ولا ولد زنية " ٣٩٥/١ .
والحديث أخرجه عبد الرزاق في المصنف عن مجاهد مرسلًا ، وزاد فيه : ولا من أتى ذات محرم ولا مرتد أعرابياً بعد هجرة . ورقمه ٢٠١٢٩ ، ١٣٦/١١ .
وأورده أبو نعيم في الحلية من حديث أبى هريرة ، وأبى سعيد ، وعبد الله بن عمرو ، وابن عباس ، ومولى لأبى قتادة ، ومجاهد مرسلًا ، وذكر طريقه إلى هؤلاء انظر ٣٠٧/٣ - ٣٠٩ .

ولم يرد لفظ النمام في شيء من رواياته .

(١) الحديث أخرجه البخارى في صحيحه ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ولفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن تحصى سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً " .

في كتاب الطب (٧٦) ، باب شرب السم والدواء به (٥٦) ، ٣٢/٧ .

وأخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب للفظ البخارى مع تقديم وتأخير . في كتاب الإيمان (١) ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (٤٧) برقم ١٠٩ ، ١٠٣/١ - ١٠٤ .

(٢) شرح الأصول ص ٦٧٢-٦٧٣ .

مذهب السلف فى حكم صاحب الكبيرة والجواب عن شبه المعتزلة :
إن القول الأمثل فى تعريف الكبيرة ، ما ترتب عليها حد أو توعدها
عليها بالنار ، أو اللعنة ، أو الغضب (١).

والمراد بصاحب الكبير هو أن يرتكب المؤمن كبيرة غير مكفرة
بلاستحلال ويموت بلا توبة (٢).

والمذهب الحق الذى عليه أهل السنة والجماعة أن صاحب الكبيرة
مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فهم لا يخرجونه عن الإيمان بملاسته لكبائر
الذنوب . وهذا حكمه فى الدنيا ، وأما فى الآخرة فهو تحت مشيئة الله عز
وجل إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ، مع القطع بأنه لا يخلد فى النار إلا
المشرك لقوله تعالى : {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء} (٣) (٤).

وهذا القول هو الذى دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وأقوال
السلف الصالح رضوان الله عليهم .

أما الأدلة التى تدل على عدم خروجه من زمرة المؤمنين ، منها :
(١) قوله تعالى :

{يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد
بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شيئاً فاتباع بالمعروف وأداء إليه
بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب
أليم} (٥).

فلم يخرج الله تعالى القاتل من المؤمنين وجعله أخاً لولى القصاص
والأخوة هنا أخوة الدين بلاريب (٦).

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٠ .

(٢) لوامع الأنوار ٣٨٩/١ .

(٣) سورة النساء : آية ١١٦، ٤٨ .

(٤) انظر : شرح النووى على صحيح مسلم ٢٢٠/١ ، مجموع الفتاوى ١٥٢، ١٥١/٣ ،

شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٠، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٦٨/١ ، لوامع الأنوار ٤١٠، ٣٨٩، ٣٧١، ٣٦٨/١ .

(٥) سورة البقرة : آية ١٧٨ .

(٦) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٢١ .

(٢) قوله تعالى :

{وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلتوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون}{(١)}.

فأثبت سبحانه أخوة الإيمان مع وجود القتال بينهم وهو من الكبائر ولو كان كفراً لانتفت الأخوة الإيمانية (٢).

(٣) روى البخارى بسنده إلى أبى هريرة :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحللها منها ، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم ، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته ، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرح عليه" (٣).

فثبت بهذا الحديث أن الظالم تكون له حسنات يستوفى المظلوم منها حقه (٤).

وأما ما يدل من الأدلة على عدم خلود أصحاب الكبائر فى النار حاشا المشركين :

(١) قوله تعالى :

{إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}{(٥)}.

(١) سورة الحجرات : آية ٩، ١٠.

(٢) انظر : شرح لمعة الاعتقاد ص ٩٩ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب القصاص يوم القيامة (٤٨) ،

١٩٧/٧ ، وبلغ مقارب فى كتاب المظالم (٤٦) ، باب من كانت عنده مظلمة عند

الرجل فحللها له (١٠) ، ٩٩/٣ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٢٢ بتصرف .

(٥) سورة النساء : آية ٤٨، ١١٦.

(٢) روى البخارى بسنده إلى أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

"يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة" (١).

(٣) روى مسلم بسنده إلى أبي ذر قال :

أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم عليه ثوب أبيض ثم أتيته فإذا هو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فجلست إليه فقال ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة . قلت : وإن زنى وإن سرق؟ قال : وإن زنى وإن سرق ، قلت : وإن زنى وإن سرق؟ ، قال : وإن زنى وإن سرق - ثلاثاً - ثم قال في الرابعة "على رغم أنف أبي ذر" .
قال : فخرج أبو ذر وهو يقول : وإن رغم أنف أبي ذر (٢).

(١) صحيح البخارى ، فى كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى : { لما خلقت بيدي } (١٩) ، وهو جزء من حديث طويل فى شأن الشفاعة ١٧٣/٨ .
وبمعناه فى باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٣٦) ، ٢٠٠/٨-٢٠٢ .

وبلفظ مقارب فى كتاب الإيمان (٢) ، باب زيادة الإيمان ونقصانه (٣٣) ، ١٦/١ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظه وبمعناه فى كتاب الإيمان (١) ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٨٤) برقم ١٩٣ ، ١٨٢/١-١٨٤ .

(٢) صحيح مسلم فى كتاب الإيمان (١) ، باب تحريم الكبر وبيان (٣٩) برقم ٩٤ ، ٩٥/١ .
وأخرج نحوه فى كتاب الزكاة (١٢) ، باب الترغيب فى الصدقة (٩) بالرقم السابق ٦٨٧/٢-٦٨٩ .

وأخرجه البخارى فى صحيحه بلفظ مقارب فى كتاب اللباس (٧٧) ، باب الثياب البيض (٢٤) ، ٤٣/٧-٤٤ ، وأخرج نحوه فى كتاب الجنائز (٢٣) ، باب فى الجنائز ، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله (١) ، ٦٩/٢ . وفى كتاب الاستئذان (٧٩) ، باب من أجاب بليك وسعديك (٣٠) ، ١٣٧/٧ ، وفى كتاب الرقاق (٨١) ، باب المكثرون هم المقلون (١٣) ، ١٧٦/٧-١٧٧ ، وفى كتاب التوحيد (٩٧) ، باب كلام الرب مع جبريل (٣٣) ، ١٩٦/٨ .

قال النووي في شرحه للحديث :
 "قوله صلى الله عليه وسلم : "وإن زنى وإن سرق" فهو حجة لمذهب
 أهل السنة أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار وأنهم إن دخلوها أخرجوا
 منها وختم لهم بالخلود في الجنة" (١).
 والأدلة على عدم خلود صاحب الكبيرة في النار كثيرة جداً .
 والأحاديث في ذلك متواترة (٢).

وأما ما يدل على أنه تحت المشيئة، قوله تعالى في الآية السابقة : {إن
 الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} (٣). وفي حديث عبادة
 ابن الصامت : أنه صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصاة من أصحابه :
 "بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنا ولا تقتلوا أولادكم
 ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف ، فمن
 وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو
 كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا
 عنه وإن شاء عاقبه . فبايعناه على ذلك" (٤).

وأما أقوال أهل العلم فإننا نقتصر على قولين جامعين لإمامين جليلين
 أولهما الإمام الطحاوي إذ يقول :

(١) شرح النووي على مسلم ٩٧/٢ .

(٢) انظر الشفاعة . ص : ١٣٠ .

(٣) سورة النساء : آية ٤٨ ، ١١٦ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان (٢) ، باب (١١) ، ١٠/١ .

وأخرجه بلفظ مقارب في كتاب مناقب الأنصار (٦٣) ، باب وفود الأنصار إلى
 النبي صلى الله عليه وسلم (٤٣) ، ٢٥١/٤ ، وفي كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير
 سورة الممتحنة (٦٠) ، باب {إذا جاءك المؤمنات يبائعنك} (٣) ، ٦١/٦ - ٦٢ ، وفي
 كتاب الحدود (٨٦) ، باب توبة السارق (١٤) ، ١٨/٨ ، وفي كتاب الأحكام
 (٩٣) ، باب بيعة النساء (٤٩) ، ١٢٥/٨ .

وأخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مقاربة ، في كتاب الحدود (٢٩) ، باب الحدود
 كفارات لأهلها (١٠) برقم ١٧٠٩ ، ١٣٣٣/٣ - ١٣٣٤ .

"وأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في النار لا يخلدون ، إذا ماتوا وهم موحدون ، وإن لم يكونوا تائبين ، بعد أن لقوا الله عارفين . وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضلهم ، كما ذكر عز وجل في كتابه : {ويغفر مادون ذلك لمن يشاء} (١) وإن شاء عذبهم في النار بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ، ثم يبعثهم إلى جنته . وذلك بأن الله تولى أهل معرفته ، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته ، الذين خابوا من هدايته ، ولم ينالوا من ولايته . اللهم يا ولي الإسلام وأهله ، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به" (٢).

والثاني : الإمام النووي رحمه الله فإنه قال :

"واعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحداً دخل الجنة قطعاً على كل حال ، فإن كان سالماً من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته والموفق الذي لم يبتلى بمعصية أصلاً فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلاً .. وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولاً وجعله كالقسم الأول ، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة ، فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل ، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل . هذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق في هذه المسألة وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به من الأمة على هذه القاعدة وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم القطعي" (٣).

(١) سورة النساء : آية ٤٨ ، ١١٦

(٢) متن العقيدة الطحاوية ص ١٥ .

(٣) شرح النووي على مسلم ٢١٧/١ .

وأما شبه المعتزلة فيجواب عنها بما يلي :

(١) تعريفهم للكبيرة تعريف قاصر عن تحديد الكبيرة ، والحد يجب أن يكون جامعاً مانعاً .

ولذا يمكن أن يدخل في تعريفهم بعض الصغائر التي جاء فيها وعيد من الشارع ، ولذلك خص السلف وعيد صاحب الكبير بما ترتب عليه حد ، أو وعيد بالنار ، أو اللعنة أو الغضب (١) .

(٢) سلب الإيمان من العاصي من البدع القبيحة التي دل على خلافها القرآن والسنة وإجماع السلف رضوان الله عليهم (٢) .

والمعتزلة انما سلبوا إيمان الفاسق بناء على أن الأعمال عندهم شرط في صحة الإيمان ، وهذا بخلاف المعهود عن السلف فإن الأعمال عندهم شرط في كمال الإيمان . وهو الذي تؤيده النصوص (٣) .

فعصاة المسلمين وفساقهم معهم بعض الإيمان وأصله ، وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة (٤) ، ولذا لا يعطون اسم الإيمان المطلق ولا يسلب عنهم مطلق الاسم . وأخوة الإيمان ثابتة لهم مع وجود المعاصي (٥) .

قال صلى الله عليه وسلم : "من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته" (٦) .

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٠، ٣٧٢ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ١٥١/٣ ، لوامع الأنوار ٤١٠/١ .

(٣) لوامع الأنوار ٤٠٥/١ بتصرف .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٣٧٥/٣ .

(٥) انظر المرجع السابق ١٥١/٣ .

(٦) الحديث أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب الصلاة (٨) ، باب فضل استقبال

القبلة (٢٨) ، من حديث أنس بن مالك ١٠٢/١ . =

وقال الإمام الطحاوى رحمه الله :

"ونسى أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ماداموا بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم معترفين ، وله بكل ماقاله وأخبر مصدقين" (١).
وأدلة الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزانى والسارق والقاذف لا يقتل ، بل يقام عليه الحد ، فدل على أنه ليس بمرتد ولا يخرج من الإيمان بما فعل (٢).

والقول بخلوده فى النار من البدع أيضا المخالفة للكتاب والسنة واتفاق السلف رحمهم الله (٣).

وحكمهم عليه بالخلود فى النار يوم القيامة يلزم منه تكفيره فى الدنيا ، وقد صرح بذلك الخوارج ، والمعتزلة وإن لم يحكموا عليه بالتكفير إلا أن قولهم وقول الخوارج سواء والخلاف بينهم لفظى (٤).

(٣) إن إنفاذ الوعيد والوجوب على الله الذى دندن به المعتزلة وخلدوا به صاحب الكبيرة فى النار ، إنما هو أمر عقلى محض لاسند له من النصوص ولامن العقول السليمة .

فمن أين للعقول أن توجب وتحرم عليه سبحانه ، وكيف علمت أنه يجب عليه أن يمدح ويذم ويثيب ويعاقب على الفعل ، وأنه رضى عن فاعل ، وسخط على فاعل ؟ وهل ذلك إلا غيب عنا ، وإقحام للعقل فيما لا علم له ، وتجنى على نصوص الشرع ، وقياس لله بخلقه فى أفعاله .

= قال النووى رحمه الله :

"واتفق أهل السنة ... على أن المؤمن الذى يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد فى النار لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقاداً جازماً خالياً من الشكوك ، ونطق بالشهادتين" . شرح النووى على مسلم ١٤٩/١ .

(١) متن العقيدة الطحاوية ص ١٣ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٢١، ٣٢٢ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٣٢١ ، لوامع الأنوار ٤١٠/١ .

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٢ .

وهل كلما حسن من الخلق حسن منه وقبح منهم قبح منه؟ أم هو القياس الفاسد أيضاً؟^(١)

وقد سبق بيان هذا في أفعال العباد^(٢)، والحجة العقلية عندهم واحدة فكما تمخض عنها من قبل خلق العباد لأفعالهم وعدم إرادتها من الله ، تمخض عنها ههنا خلود أصحاب الكبائر في النار ونفى الشفاعة عنهم فلا داعي لإعادة .

ولاشك إن الله وعد الطائعين بالشواب ، وأوعد العاصين بالعقاب ، وما وعد به عباده الطائعين لا بد من تحقيقه ، كرماءً منه سبحانه وفضلاً ، لأنه لا يخلف الميعاد كما ذكر^(٣).

وليس معنى ذلك أن العباد يستحقون دخول الجنة على ربهم بأعمالهم كما يزعم أهل الاعتزال ، بل إنما يدخلهم الجنة برحمته وفضله ، كما قال صلى الله عليه وسلم : "لن يدخل أحداً عمله الجنة" ، قالوا : ولأنت يارسول الله؟ قال : "ولأنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة ..." ^(٤) الحديث .

(١) انظر : مفتاح دار السعادة ص ٥٢، ٥١ .

(٢) انظر ص : ٢٤٣ فما بعدها .

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٧٧٦/٢ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٥٣ . من ذلك قوله تعالى : {ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد} سورة آل عمران : آية ٩

وقوله تعالى : {ولا تخزننا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد} . سورة آل عمران : آية ١٩٤

وقوله سبحانه : {إن الله لا يخلف الميعاد} . سورة الرعد : آية ٣١

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، من حديث أبي هريرة في كتاب المرضى (٧٥) ، باب تمنى المريض الموت (١٩) ، ١٠/٧ ، وأخرجه بلفظ مقارب في كتاب الرقاق (٨١) ، باب القصد والمداومة على العمل (١٨) ، ١٨١/٧ - ١٨٢ . =

وذلك بخلاف الوعيد ، فإن خلفه مدح لازم ، ويجوز عليه سبحانه أن يخلف وعيده ، لأنه حقه ، فإخلافه له عفو وكرم وجود وإحسان . ولهذا مدح به كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال :

انبئت أن رسول الله أوعدني

والعفو عند رسول الله مأمول (١)

عن عبد الملك بن قريب الأصمعي (٣) قال : جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء (٤) فقال : يا أبا عمرو ، أيخلف الله وعده؟ قال : لا . قال : أفأرأيت من وعده الله على عمل عقاباً أيخلف الله وعده؟

= وأخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مقاربة في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) باب لن يدخل أحد الجنة بعمله ، بل برحمة الله تعالى (١٧) برقم ٢٨١٦ من حديث أبي هريرة ، وبرقم ٢٨١٧ من حديث جابر وبرقم ٢٨١٨ من حديث عائشة رضى الله عنها ٢١٦٩/٤-٢١٧١ .

وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٧٧٧/٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٣٨ . انظر : لوامع الأنوار ٣٧٠/١ . (١)

وبيت الشعر من قصيدة كعب بن زهير في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهو في شرح قصيدة كعب بن زهير ص ٢٤٨ ، وشرح ديوان كعب ص ١٩ . (٢) الأصمعي :

هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك أبو سعيد الباهلي ، الأصمعي البصري ، أحد الأعلام . لغوى إخباري ، صدوق في الحديث ، سني ، روى عن ابن عون ، وسليمان التيمي ، ومسعر بن كدام . وعنه : يحيى بن معين وإسحاق بن إبراهيم الموصلي وجماعة آخرون . مات سنة ٢١٦هـ وقيل غير ذلك .

انظر : الجرح والتعديل ٣٦٣/٥ ، تاريخ بغداد ٤١٠/١٠-٤٢٠ ، ميزان الاعتدال ٦٦٢/٢ ، سير أعلام النبلاء ١٧٥/١٠-١٨١ ، تهذيب التهذيب ٤١٥/٦ ، تقريب التهذيب ٥٢١/١-٥٢٢ .

أبو عمرو بن العلاء : (٣)

هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان ، المازني النحوي ، القاري ، اسمه زبان أو العريان . ثقة من علماء العربية . روى عن أنس ، ويحيى بن يعمر ، ومجاهد . وعنه شعبة ، وحمام بن زيد ، وأبو أسامة . مات سنة ١٥٤هـ .

انظر : تاريخ البخاري ٥٥/٩ ، تذهيب التهذيب ٢٢٥/٤ ، سير أعلام النبلاء ٤٠٧/٦-٤١١ ، تهذيب التهذيب ١٧٨/١٢ ، تقريب التهذيب ٤٥٤/٢ .

فقال أبو عمرو بن العلاء : من العجمة أتيت ، أبا عثمان ، إن الوعد غير الوعيد ، إن العرب لاتعد عاراً ولا خلفاً أن تعد شراً ثم لاتفعل ، ترى ذلك كرمًا وفضلاً ، إنما الخلف أن تعد خيراً ثم لاتفعل . قال : فأوجدني في هذا في كلام العرب . قال : نعم . أما سمعت قول الأول :

لا يرهب ابن العم ماعشت صولتي
ولاأختتي^(١) من صولة المتهدد
وإني وإن أوعدته أو وعدته

لمخلف إيعادي ومنجز موعدى^(٢)

هذا إضافة إلى ما ذكر من أمور تمنع من إنفاذ الوعيد .
يقول الإمام السفاريني رحمه الله :

"وعلى كل حال قد قام الدليل على ذكر الموانع من إنفاذ الوعيد بعضها بالإجماع وبعضها بالنص ، فالتوبة مانع بالإجماع ، والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة التي لامدفع لها ، الحسنات العظيمة الماحية مانعة ، والمصائب المكفرة مانعة ، وإقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص ، فلاتعطل هذه النصوص وأضعاف أضعافها ، فلا بد من إعمال النصوص في الجانبين ، ومن ثم قامت الموازنة بين الحسنات والسيئات اعتباراً لمقتضى العقاب ومانعة إعمالاً لأرجهما ، وعلى هذا بناء مصالح الدارين ومفاسدهما ، وبناء الأحكام الشرعية والأحكام القدرية وهو مقتضى الحكمة السارية في الوجود وبه ارتباط الأسباب ومسبباتها خلقاً وأمرًا ، وقد جعل تعالى لكل ضد ضدًا يدافعه ، ومانعًا يمانعه ، ويكون الحكم للأغلب منهما .

(١) أختتي : أى أتصاغر وانكسر .

انظر لسان العرب ، مادة (ختت) ٢٨/٢ .

(٢) أخبار عمرو بن عبيد ص ١٤ .

والبيتان لعامر بن الطفيل في ديوانه ص ٥٨ .
وسياقهما فيه :

لا يرهب ابن العم منى صولة	ولاأختتي من صولة المتهدد
وإني إن أوعدته أو وعدته	لأخلف إيعادي وأنجز موعدى

والحاصل والله أعلم كون المذنب الملى وإن كثرت ذنوبه وعظمت خطاياها في مشيئة مولاه إن شاء عذبه وإن شاء عفاه ، وعلى كل حال خلود أهل التوحيد في النار من المحال فالصواب اجتنابه وعدم الالتفات إليه والتعويل على مذهب أهل الحق والركون إليه وبالله التوفيق" (١).

وزعمهم بأن التوبة لا تقبل إذا تاب عن ذنب وهو مصر على غيره ، زعم لا يصح ، بل الذى عليه أهل السنة خلاف ذلك .

قال النووى رحمه الله :

"وقد أجمع العلماء رضى الله عنهم على قبول التوبة مالم يغرر كما جاء في الحديث (٢)، وللتوبة ثلاثة أركان : أن يقلع عن المعصية ، ويندم على فعلها ، ويعزم أن لا يعود إليها ، فإن تاب من ذنب ثم عاد إليه لم تبطل توبته ، وإن تاب من ذنب وهو متلبس بآخر صحت توبته ، هذا مذهب أهل الحق وخالفت المعتزلة في المسألتين والله أعلم" (٣).

(١) لوامع الأنوار ٣٧١/١ .

وانظر في أسباب سقوط العقوبة شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٢٧-٣٣٠ .

(٢) روى الترمذى بسنده إلى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرر" .

سنن الترمذى ، كتاب الدعوات (٤٩) ، باب فضل التوبة والاستغفار (٩٩) برقم ٣٥٣٧ ، ٥١١/٥ .

وأخرجه ابن ماجه في سننه ، في كتاب الزهد (٣٧) ، باب في ذكر التوبة (٣٠) برقم ٤٢٥٣ ، ١٤٢٠/٢ .

والإمام أحمد في المسند ١٥٣، ١٣٢/٢ ، ٤٢٥/٤ . قال الشيخ أحمد محمد شاكر : "إسناده صحيح" . مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٦١، ١٧/٩ .

والحاكم في المستدرک . وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبي ٢٥٧/٤ . وأورده: الهيثمى في مجمع الزوائد وقال : رجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن - بن البيلماني - وهو ثقة . ٢٠١، ٢٠٠/١٠ .

والشيخ ناصر الدين الألبانى في صحيح الجامع . وقال حسن ١٥١/٢ .

(٣) شرح النووى على مسلم ٤٥/٢ ، وانظر : مجموع الفتاوى ٤٨٤/١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٢٧ ، لوامع الأنوار ٣٨٣/١ .

والقول بأن من فعل كبيرة حبط إيمانه ، هذا نوع من الظلم الذى نزه الله نفسه عنه كما قال سبحانه : {فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره} (١)(٢).

(٤) ما استدلوا به من الآيات فهى من نصوص الوعيد التى وجهها السلف توجيهاً يتفق ونصوص الوعد الأخرى التى غض عنها المعتزلة الطرف ، وهذا من شأن أهل البدع فإنهم يأخذون من النصوص ما يظنون أنه يوافق بدعهم ويتركون غيرها مما يخالف تلك البدع . وهكذا فعل أهل الاعتزال فى هذا المقام .

وقد ذكر العلماء توجيهات أربع فى هذه النصوص وأمثالها :
الأول : إن هذا فى حق المستحل .

الثانى : إن الاستدلال بنصوص الوعيد مبنى على العموم وليس فى اللغة ألفاظ عامة .

الثالث : هذا جزاؤه إن جازاه ، أى على إضمار الشرط .

الرابع : هذا وعيد وخلفه مدح لازم (٣).

والقول الثالث هو الذى تؤيده أقوال العلماء . قال الإمام النووى رحمه الله فى شرحه لحديث "ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (٤) قال :

(١) سورة الزلزلة : آية ٧-٨

(٢) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٣٨ .

(٣) انظر : لوامع الأنوار ٣٧٠/١ .

(٤) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب العلم (٣) ، باب إثم من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم (٣٨) ، ٣٥/١ ، وفى كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل (٥٠) ، ١٤٥/٤ ، وفى كتاب الأدب (٧٨) ، باب من سمى بأسماء الأنبياء (١٠٩) ، ١١٨/٧ .

وأخرجه مسلم بألفاظ مقاربة فى مقدمة صحيحه ، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) برقم ٤٣٠٢ ، ١٠/١ .

وفى كتاب الزهد (٥٣) ، باب الثبوت فى الحديث (١٦) برقم ٣٠٠٤ ، ٢٢٩٩/٤ .

"هذا جزاؤه وقد يجازى به وقد يعفو الله الكريم عنه ولا يقطع عليه بدخول النار ، وهكذا سبيل كل ماجاء من الوعيد بالنار لأصحاب الكبائر غير الكفر فكلها يقال فيها هذا جزاؤه وقد يجازى وقد يعفى عنه ، ثم إن جوزى وأدخل النار فلا يخلد فيها بل لابد من خروجه منها بفضل الله تعالى ورحمته ولا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ، وهذه قاعدة متفق عليها عند أهل السنة" (١).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله سبحانه : {ومن يقتل مؤمناً متعمداً} (٢) الآية . قال :

"فقد قال أبو هريرة وجماعة من السلف هذا جزاؤه إن جازاه ... ومعنى هذه الصيغة أن هذا جزاؤه إن جوزى عليه ، وكذا كل وعيد على ذنب لكن قد يكون ذلك معارضاً من أعمال صالحة تمنع وصول ذلك الجزاء إليه ... وهذا أحسن مايسلك في باب الوعيد" (٣).

وأهل السنة متفقون على أن العاصي مستحق للوعيد المترتب على ذلك الذنب ، كما وردت به النصوص ، لا كما يقول المرجئة من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب ، ولا ينفع مع الكفر طاعة .

وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئة ، ونصوص الوعيد التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة ، تبين لك فساد القولين ، ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى" (٤).

والخلود الذي جاء في الآيات لا يقتضى الدوام ، قال الله تعالى : {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد} (٥).

(١) شرح النووى على مسلم ٦٨/١ - ٦٩ .

(٢) سورة النساء : آية ٩٣

(٣) تفسير القرآن العظيم ٥٣٧/١ ، وانظر : الاعتقاد ص ١٢٤ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٢٢ بتصرف .

(٥) سورة الأنبياء : آية ٣٤

وقال سبحانه : {يحسب أن ماله أخلده} (١).

وفى قول زهير بن أبى سلمى :

ألا لأرى على الحوادث باقياً

ولا خالداً إلا الجبال الرواسيا (٢)

وفى هذا دلالة على أن الخلد يطلق على غير التأييد ، فإن هذا يزول بزوال الدنيا . والعرب تقول : لأخلدن فلاناً فى السجن ، والسجن ينقطع ويزول ، وكذلك من سجن ، ومثله قولهم فى الدعاء : خلد الله ملكه وأبد أيامه (٣).

(٥) قولهم إن المراد فى قوله : {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} (٤) صغائر المعاصى .

ترده الآية ، فإن الله عز وجل لم يستثن من الذنوب سوى الشرك ، فدل ذلك على أن الغفران المعلق بالمشيئة شامل لجميع الذنوب كبائر كانت أو صغائر .

قال ابن جرير رحمه الله :

"قد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففى مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه ذنبه ، وإن شاء عاقبه عليه مالم تكن كبيرته شركاً بالله تعالى" (٥).

وقد سبقت الأدلة على دخول صاحب الكبيرة سوى الشرك تحت المشيئة (٦).

(١) سورة الهمزة : آية ٣

(٢) ديوان زهير بن أبى سلمى ص ١٠٧ ، شرح ديوان زهير ص ٢٨٨ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٣٥/٥ بتصرف .

(٤) سورة النساء : آية ١١٦، ٤٨

(٥) جامع البيان ١٢/١ الجامع لأحكام القرآن ٢٤٥/٥ .

(٦) انظر ص : ٢٩٧

وأما صغائر الذنوب فإنها تكفر بكثير من الأمور ، ومن ذلك اجتناب الكبائر كما قال سبحانه : {إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً} (١).

أى : إذا اجتنبت كبائر الآثام التى نهيت عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب وأدخلناكم الجنة (٢).

وأما الحديث فقد أخرجه البخارى ومسلم بطرق عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، ولفظ البخارى : "أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يقول الله : من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون قد امتحشوا (٣) ، وعادوا حمماً (٤) ، فيلقون فى نهر الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ، أو قال : حمية السيل . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية (٥) . ولفظ مسلم مقارب له .

والجواب عما أثاروه من شبه حول الحديث :

(١) ذكر الحديث بصيغة التمريض روى لايتناسب مع صحته ، لأنها من صيغ التضعيف والحديث صحيح ثابت (٦).

(١) سورة النساء : آية ٣١

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٨٠/١ بتصرف

(٣) امتحشوا : أى احترقوا . والمحش : احتراق الجلد وظهور العظم .

النهاية فى غريب الحديث ٣٠٢/٤ .

(٤) حمماً : أى صاروا سود الأجساد كالحمم وهو الفحم .

انظر المرجع السابق ٤٤٤/١ .

(٥) صحيح البخارى فى كتاب الرقاق (٨١) ، باب صفة الجنة والنار (٥١) ، ٢٠٢/٧ .

وبلفظ مقارب فى كتاب الإيمان (٢) ، باب تفاضل أهل الإيمان (١٥) ، ١١/١ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه بألفاظ مقاربة فى كتاب الإيمان (١) ، باب إثبات الشفاعة

وإخراج الموحدين من النار (٨٢) برقم ١٨٤ ، ١٧٢/١ .

(٦) انظر : تدريب الراوى ١٢٠/١ ، ١٢١ .

(٢) قولهم : الحديث لم يثبت :

خلاف الحق ، بل الحديث صحيح ثابت اتفق على صحته الإمامان الجليلان البخارى ومسلم . فهو بذلك فى أعلى مراتب الصحيح (١).

(٣) قولهم : بأنه حديث آحاد لا يوجب القطع ، وإن المسألة طريقها العلم فلا يمكن الاحتجاج به .

الكلام عن حديث الآحاد وحجته سبق مستوفى (٢).

أضف إلى ذلك أن أحاديث خروج أهل الكبائر غير الشرك من النار متواترة ، فبطلت حجتهم من كل وجه .

(٤) زعمهم أنه معارض بحديث :

(أ) "لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا نمام ولا عاق" (٣).

لامعارضة بين الحديثين ، وذلك لأن السلف لهم جوابان فى معنى "لا يدخل الجنة" :

أحدهما : أنه محمول على من يستحل مع علمه بالتحريم فهذا كافر لا يدخل الجنة أصلاً .

والثانى : معناه جزاؤه أن لا يدخلها وقت دخول الفائزين إذا فتحت أبوابها لهم بل يؤخر ، ثم قد يجازى وقد يعفى عنه فيدخلها أولاً (٤).
(ب) "من تردى من جبل ... الحديث" (٥).

قال النووى رحمه الله فى شرح الحديث :

"وأما قوله صلى الله عليه وسلم "فهو فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً" فقليل فيه أقوال :

(١) انظر : المرجع السابق ، فى مراتب الصحيح وأقسامه ١/١٢٢، ١٢٣ .

(٢) انظر ص ، ١١٢ فما بعدها .

(٣) سبق تخريجه ص : ٢٩٢ ٦٢٩٣

(٤) انظر : شرح النووى على مسلم ٢/١٧، ٥٢، ٩١، ١١٣ .

(٥) سبق تخريجه ص : ٢٩٣ .

أحدها : أنه محمول على من فعل ذلك مستحلاً مع علمه بالتحريم فهذا كافر وهذه عقوبته .

والثاني : أن المراد بالخلود طول المدة والإقامة المتطاولة لاحقيقة الدوام كما يقال : خلد الله ملك السلطان .

والثالث : أن هذا جزاؤه ولكن تكرم سبحانه وتعالى فأخبر أنه لا يخلد في النار من مات مسلماً^(١).

وقد دلت الأحاديث على أن قاتل نفسه لا يخلد في النار ، من ذلك : حديث جابر أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل لك في حصن حصين ومنعة ، قال : حصن كان لدوس في الجاهلية ، فأبى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم للذي ذخر الله للأنصار ، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه فاجتواوا المدينة فمرض فجزع فأخذ مشاقص^(٢) فقطع بها براجمه فشخت^(٣) يداه حتى مات ، فرآه الطفيل بن عمرو في منامه فرآه وهيئته حسنة ، ورآه مغطياً يديه ، فقال له : ماصنع بك ربك؟ فقال : غفر لي بهجرتي إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال : مالى أراك مغطياً يديك؟ قال : قيل لي : لن نصلح منك ماأفسدت ، فقصها الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم وليديه فاغفر^(٤).

(١) شرح النووى على مسلم ١٢٥/٢ .

(٢) مشاقص : جمع مشقص وهو نصل السهم إذا كان طويلاً غير عريض .

انظر النهاية في غريب الحديث ٤٩٠/٢ .

(٣) شخت : أى سالت من الشخب وهو السيلان .

انظر المرجع السابق ٤٥٠/٢ .

(٤) الحديث : أخرجه مسلم في صحيحه ، في كتاب الإيمان (١) ، باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر (٤٩) برقم ١١٦ ، ١٠٨/١-١٠٩ .

قال النووي رحمه الله :

"ففيه حجة لقاعدة عظيمة لأهل السنة ، أن من قتل نفسه أو ارتكب معصية غيرها ومات من غير توبة فليس بكافر ولا يقطع له بالنار بل هو في حكم المشيئة ، وقد تقدم بيان القاعدة وتقريرها ، وهذا الحديث شرح للأحاديث التي قبله الموهم ظاهرها تخليد قاتل النفس وغيره من أصحاب الكبائر في النار وفيه إثبات عقوبة بعض أصحاب المعاصي فإن هذا عوقب في يديه ، ففيه رد على المرجئة القائلين بأن المعاصي لا تضر والله أعلم" (١).
(٥) زعمهم أن الحديث يجب أن يأول ليوافق الأدلة ثم أولوه .

يجاب على ذلك بالآتي :

أولاً : لا توجد أدلة تخالف الحديث كما يزعمون وإنما الأدلة جاءت تعضده وتؤيده وقد سبق ذكر طرف منها (٢).

ثانياً : التأويل يلجأ إليه إذا دعت الضرورة وقام دليل على ذلك ، فأين هي الضرورة التي دعت إلى تأويل الحديث عن ظاهره ، وإخراجه عن مراد النبي صلى الله عليه وسلم به ؟ بل ظاهر الحديث هو المراد وهو الذي تسنده الأدلة .

ثالثاً : مذكروه من تأويل وهو في الحقيقة تحريف للنص وإبطال لدلالته . وإيضاح ذلك :

قولهم يخرج من عمل أهل النار أو حكمهم هذا يكون صحيحاً في حالة تعلق الحكم بأمر الدنيا إذ هي دار العمل ، والحديث يتعلق بخروج صاحب الكبيرة من النار في الآخرة ، وفي الآخرة لا يقال يخرج من عمل أهل النار لأنه لا عمل هنالك ، وإنما هو العقاب أو الثواب ، فناسب الخروج من النار .

(١) شرح النووي على مسلم ١٣١/٢ - ١٣٢ .

(٢) انظر ص : ٢٩٥ فما بعدها .

(٥) الشفاعة :

إن تشبث أهل الاعتزال بوجوب تحقق الوعيد الذى ابتدعوه أدى بهم إلى نفى الشفاعة لأهل الكبائر يوم القيامة، وأنكروها أيما إنكار وصاحوا على القائل بها من كل حذب وصوب ورموه بكل سبة وداهية ، وليس لهم دليل يستندون إليه إلا بدعة تحقق الوعيد وما يتبعها من ذبول وحواشى . يقول ابن المنير فى تعليقه على الزمخشري :

"ما أنكرها - أى الشفاعة - القدرية إلا لايجابهم مجازاة الله تعالى للمطيع على الطاعة وللعاصى على المعصية إيجاباً عقلياً على زعمهم فهذه الحالة فى إنكار الشفاعة نتيجة تلك الضلالة" (١).

وهذا ما رددته شفاه أهل الاعتزال ، ونطقت به ألسنتهم .

يقول أبو على الجبائى :

"إن أهل النار إذا دخلوا النار ، لم يصح خروجهم منها ، لأنهم من أهل العقاب ، ولا يجوز مع ذلك أن يكونوا من أهل الثواب ، لأن ذلك كالمضاد ، لو تخلصوا بالشفاعة لم يخل حالهم إذا أدخلهم الله الجنة ، من أن يكون من أهل الثواب أو التفضل ، والعقل قد دل على أن لاثواب لهم ، والسمع قد دل على أن المكلف فى الجنة لا يجوز أن يكون بمنزلة أهل التفضل وأن يكون من خدم أهل الجنة ، فهذا أيضاً يمنع مما قالوه فى الشفاعة" (٢).

فالشفاعة للفساق الذين ماتوا على فسوقهم ولم يتوبوا لا تجوز ، بل مثالها مثال الشفاعة لمن قتل ولد الغير وظل يتربص للآخر حتى يقتله فكما أن هذا قبيح فهى قبيحة أيضاً (٣).

والنبي صلى الله عليه وسلم لا يشفع لصاحب الكبيرة ، ولا يجوز له ذلك لأن إثابة من لا يستحق الثواب قبيحة (٤).

(١) الإنصاف على هامش الكشف ١/ ١٥٢ .

(٢) فضل الاعتزال ص ٢٠٩ .

(٣) انظر : شرح الأصول ص ٦٨٨ .

(٤) المصدر السابق ص ٦٨٩ .

والفاسق إنما يستحق العقوبة على الدوام ، فكيف يخرج من النار بشفاعته صلى الله عليه وسلم (١).

وأهل النار يستحقون اللعن والغضب والسخط ، فكيف يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع فيهم ، لأن من حق الشافع أن يكون محباً وراضياً عن من يشفع له ، وهذا يستلزم أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم -إن شفع لهم- محباً لهم وراضياً عنهم وذلك لا يصح .
والشفاعة إنما تكون لأهل الثواب دون العقاب ، ولأولياء الله دون أعدائه ، وللمؤمنين دون أهل الكبائر . وهى إنما تكون بزيادة الثواب ، وذلك تفضلاً عظيماً من الله عليهم (٢).

وفائدتها بالنسبة للمؤمنين : رفع مرتبة الشفيع ، والدلالة على منزلته من المشفوع (٣).

يقول عبد الجبار :

"لاخلاف بين الأمة فى أن شفاعته النبى صلى الله عليه وسلم ثابتة للأمة وإنما الخلاف فى أنها تثبت لمن؟

فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين ، وعند المرجئة (٤) أنها للفساق من أهل الصلاة" (٥).

(١) انظر المصدر السابق ص ٦٨٩ .

(٢) انظر : فضل الاعتزال ص ٢٩٨ .

(٣) انظر : شرح الأصول ص ٦٨٩ .

(٤) المرجئة :

من الإرجاء وهو التأخير .

والمرجئة لقب أطلق على طائفة تؤخر العمل عن الإيمان ، بمعنى أنهم لا يدخلون العمل فى مسمى الإيمان ، وقصروا الإيمان على المعرفة . وأكثرهم يرى أن الإيمان لا يتبعض ، ولا يزيد ولا ينقص ، وزعم بعضهم أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

انظر : مقالات الإسلاميين ١/١٣٢ ، الملل والنحل ١/١٣٩ فما بعدها .

(٥) شرح الأصول ص ٦٨٨ .

وقال الزمخشري :

"الشفاعة لا تكون إلا في زيادة التفضل ، وأهل التفضل وزيادته إنما هم أهل الثواب . بدليل قوله تعالى : {ويزيدهم من فضله}"(١)(٢).

وقد تعلقوا ببعض الآيات التي ينفي ظاهرها الشفاعة ، وأما ما يشبها فقد أغمضوا عيونهم وصموا آذانهم عنها إلا من تأويل (٣).

ومما استدلوا به :

قوله تعالى : {واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة} (٤).

يقول الزمخشري :

"فإن قلت هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة؟ قلنا : نعم لأنه نفى أن تقضى نفس عن نفس حقاً أخلت به من فعل أو ترك ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيح فعلم أنها لا تقبل للعصاة" (٥).

وقال في قوله تعالى : {يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة} (٦) الآية .

قال : "وإن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم حط الواجبات لأن الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير" (٧).

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : {مال للظالمين من حميم ولا شفيح يطاع} (٨).

ووجه الدلالة : إن الله قد نفى أن يكون للظالمين شفيح البتة ، فلو

كان النبي صلى الله عليه وسلم شفيعاً للظلمة لكان لأجل وأعظم منه .

(١) سورة النساء : آية ١٧٣

(٢) الكشف ٣/٣٦٦ .

(٣) انظر موقف المعتزلة من السنة ص ٦٩ .

(٤) سورة البقرة : آية ٤٨

(٥) الكشف ١/٦٧ .

(٦) سورة البقرة : آية ٢٥٤

(٧) الكشف ١/١٥٢ .

(٨) سورة غافر : آية ١٨

ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى : {أفأنت تنقذ من في النار} (١)، وقوله : {ولا يشفون إلا لمن ارتضى} (٢)(٣).

وقوله تعالى : {ومال الظالمين من أنصار} (٤)، ولانصرة أعظم من أن يخلصهم من النار الدائمة، فإذا نفاها ثبت أن لاشفيع لهم .

وأما الأحاديث التي تثبت الشفاعة فقد أطلق عليها عبد الجبار حكماً عاماً وهو أن أكثرها مضطرب ، وما يعرف منها فهو ماروى "إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" (٥)(٦).

ثم أجاب عنه بأجوبة :

١ - إن هذا الخبر لم تثبت صحته أولاً ، ولو صح فإنه منقول بطريق الآحاد عن النبي ، ومسألتنا طريقها العلم ، فلا يصح الاحتجاج به .

٢ - إنه معارض بأخبار رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم في باب الوعيد نحو قوله : "لا يدخل الجنة ظالم ولا مدمن خمر ولا عاق" (٧)، وقوله : "من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه يوم القيامة في نار جهنم خالداً مخلداً" (٨).

فليس بأن يوجد بما أورده أولى من أن يوجد بما روينا ، فيجب اطراحها جميعاً ، أو حمل أحدهما على الآخر ، فنحمله على ما يقتضيه كتاب الله وسنة رسوله فيكون :

-
- (١) سورة الزمر : آية ١٩
 - (٢) سورة الأنبياء : آية ٢٨
 - (٣) انظر : شرح الأصول ص ٦٨٩ .
 - (٤) سورة البقرة : آية ٢٧٠ ، آل عمران : آية ١٩٢ ، المائدة : آية ٧٢
 - (٥) سوف يأتي تخريج الحديث والكلام عنه .
 - (٦) انظر : فضل الاعتزال ص ٢٩٨ .
 - (٧) الحديث سبق تخريجه انظر : ص ٢٩٢ ٢٩٣
 - (٨) الحديث سبق تخريجه انظر : ص ٢٩٣

"المراد به شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي إذا تابوا ، فإن ما استحقه التائب من الثواب قد انحبط بارتكابه الكبيرة ، ولا ثواب له إلا مقدار ما قد استحقه بالتوبة فيه حاجة إلى نفع التفضل عليه^(١) .

الجواب على ما أثاروه من شبه :

إن الحديث عن الشفاعة فرع عن الحديث عن أهل الكبائر ، لأنها تتعلق بحكمهم في الآخرة .

والناس في الشفاعة ثلاث فرق ، طرفان ووسط :

فالمشركون والمبتدعة الغلاة من عباد القبور والمشايخ جعلوا من يعظمونهم شفعاء ووسطاء بينهم وبين الله سبحانه وصرفوا لهم من أجل ذلك شيئاً من العبادات .

والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعَةَ الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره في أهل الكبائر .

وأما أهل السنة والجماعة فأقروا بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة غيره في أهل الكبائر^(٢) .

وقالوا : بأنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد^(٣) .

والذي ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات الشفاعة هو الذي تؤيده أدلة الكتاب والسنة ، وعلى ذلك الصحابة والتابعون لهم بإحسان ، بل والإجماع منعقد عليه قبل ظهور المبتدعة ، والعقل الصريح لا يحيل إثباتها^(٤) .

ويمكن أن نجمل شبه المعتزلة فيما يلي :

* الأحاديث في الشفاعة أكثرها مضطرب ، وما يعرف منها فهو ماروى

"إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"^(٥) ثم ردوه بالآتي :

(١) شرح الأصول ص ٦٩٠، ٦٩١ بتصرف .

(٢) وسوف تأتى بعض الأدلة على ذلك .

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٨٢١/٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٥ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ١١٦/١، ١٤٩، ١٥٤، ٣١٨ ، لوامع الأنوار ٢/٢٠٨، ٢١٨ .

(٥) سوف يأتي تحريجه والكلام عنه .

- (أ) إنه لم تثبت صحته .
- (ب) لو صح فهو خبر آحاد ومسألة الشفاعة طريقها العلم ، فلا يصح الاحتجاج به .
- (ج) إنه معارض بأخبار أخرى :
- ١ - "لا يدخل الجنة نمام ولا مدمن خمر ولا عاق" (١).
- ٢ - "من قتل نفسه بحديدة ... الحديث" (٢).
- فإما أن تطرح جميعاً أو يحمل أحدها على الآخر ، فنحمله على ما يقتضيه كتاب الله وسنة رسوله .

فقول : "المراد به شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي إذا تابوا".

وبالتالى لشفاعة لأهل الكبائر . والنبي صلى الله عليه وسلم لا يشفع فيهم لأنه يلزم حينئذ أن يكون محباً لهم راضياً عنهم وذلك لا يصح لأنهم يستحقون اللعن والغضب والسخط . وإنما تكون الشفاعة للمؤمنين فقط لزيادة الثواب ، تفضلاً من الله عليهم لقوله : {ويزيدهم من فضله} (٣)، وفائدتها : رفع مرتبة الشفيع ، والدلالة على منزلته من المشفوع .

واستدلوا على ذلك بأدلة عقلية ونقلية :

(١) الدليل العقلى :

إن الله يجب عليه أن يثيب الطائع ويعاقب العاصي ، وإثابة من لا يستحق الثواب قبيحة . والعصاة ليسوا من أهل الثواب ، ولا من أهل التفضل لأنهم مكلفون ، فلا شفاعة لهم .

(٢) الأدلة النقلية :

(أ) قوله تعالى : {واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة} (٤).

(١) سبق تخريجه . انظر : ص : ٢٩٢ ، ٢٩٣

(٢) سبق تخريجه . انظر : ص : ٢٩٣

(٣) سورة النساء : آية ١٧٣

(٤) سورة البقرة : آية ٤٨

- (ب) قوله تعالى : {ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة} (١).
- (ج) قوله تعالى : {ماللظالمين من حميم ولا شفيع يطاع} (٢).
- (د) قوله تعالى : {أفأنت تنقذ من في النار} (٣).
- (هـ) قوله تعالى : {ولا يشفعون إلا لمن ارتضى} (٤).
- (و) قوله تعالى : {وماللظالمين من أنصار} (٥).
- ويجاب على شبههم بما يلي :

(١) زعمهم أن الأحاديث أكثرها مضطرب .

هذه حجة واهية ، وزعم عار عن الصحة ، لا يتفوه به إلا من جهل حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، أو أغمض عينيه عنه ، بل الأحاديث في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر ثابتة . منها في الصحيحين أحاديث متعددة ، وفي السنن والمسانيد مما يكثر عدده (٦).

-
- (١) سورة البقرة : آية ٢٥٤
- (٢) سورة غافر : آية ١٨
- (٣) سورة الزمر : آية ١٩
- (٤) سورة الأنبياء : آية ٢٨
- (٥) سورة البقرة : آية ٢٧٠ ، آل عمران : آية ١٩٢ ، المائدة : آية ٧٣
- (٦) انظر مجموع الفتاوى ٣١٤/١ .

وانظر صحيح البخارى ، كتاب الإيمان (١) ، باب الحرص على الحديث (٣٣) ، ٣٣/١ ، كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة بنى إسرائيل (١٧) ، باب ذرية من حملنا مع نوح (٥) ، ٢٢٥/٥-٢٢٧ ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله {لما خلقت بيدي} (١٩) ، ١٧٢/٨-١٧٣ .

وقد نص جماعة من العلماء على أنها تبلغ حد التواتر المعنوي (١).
 (٢) (أ) زعمهم أن حديث "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" (٢) لم تثبت صحته زعم مردود .

- = صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (٨٢) ، حديث رقم ١٨٥،١٨٤ ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٨٤) ، حديث رقم ١٩١،١٩٣،١٩٤،١٩٦ ، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته (٨٦) ، حديث رقم ١٩٨،١٩٩،٢٠٠،٢٠١ ، ١٧٢/١-١٩٠ .
- سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في الشفاعة ٢٣٦/٤ .
- سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة (٣٨) ، باب ماجاء في الشفاعة ١٠،١١،١٢،١٣ ، ٥٣٧/٤-٥٤٢ .
- سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد (٣٧) ، باب ذكر الشفاعة (٣٧) ، ١٤٤٠/٢-١٤٤٤ .
- سنن الدارمي ، كتاب الرقاق ، باب في الشفاعة ٣٢٧/٢-٣٢٩ .
- (١) انظر : مجموع الفتاوى ١/١٤٩،٣١٤ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٣ ، لوايع الأنوار ٢/٢٠٨،٢١٨ .
- (٢) أخرجه أبوداود في سننه عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، كتاب السنة ، باب في الشفاعة برقم ٤٧٣٩ ، ٢٣٦/٤ .
- والترمذي في سننه عن أنس برقم ٢٤٣٥ .
- وقال : "حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه" .
- وعن جابر بن عبد الله برقم ٢٤٣٦ ، وقال : "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه" ، كتاب صفة القيامة (٣٨) ، باب ماجاء في الشفاعة (١١) ، ٥٣٩/٤-٥٤٠ .
- وابن ماجه في سننه عن جابر ، كتاب الزهد (٣٧) ، باب ذكر الشفاعة (٣٧) ، برقم ٤٣١٠ ، ١٤٤١/٢ .
- وأحمد في المسند عن أنس ٢١٣/٣ .
- وابن حبان عن جابر في كتاب التاريخ (٦٠) ، باب ذكر البيان بأن الشفاعة في القيامة إنما تكون لأهل الكبائر برقم ٦٤٦٧ .
- وعن أنس في باب ذكر إثبات الشفاعة في القيامة برقم ٦٤٦٨ ، ٣٨٦/١٤-٣٨٧ ، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان .
- والحاكم في المستدرک عن أنس وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ" ثم ذكر له متابعات ، وشاهد من حديث جابر ، وقال عنه : "صحيح على شرط مسلم" . ووافقه الذهبي ٦٩/١ .
- =

لأن الحديث قد ثبتت صحته ، وأيدته الأحاديث الثابتة (١).

= وابن خزيمة في التوحيد عن أنس ص ٢٧٠ ، وعن جابر ص ٢٧١ ، والآجری في الشريعة عن أنس وعن جابر ص ٣٣٨ .
وأبو نعيم في الحلية من طرق عن جابر ٢٠٠/٣ - ٢٠١ ، وعن أنس ٢٦١/٧ .
وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد عن ابن عباس وقال : "رواه الطبرانی في الكبير والأوسط .. وفيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني وهو وضاع" .
وعنه أيضا ، وقال : "رواه الطبرانی في الأوسط وفيه حرب بن سريح وقد وثقه غير واحد وفيه ضعف ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح" .
وعن أنس وقال : "رواه البزار والطبرانی في الصغير والأوسط" . ٣٨١/١٠ .
والحديث صحيح كما نص على ذلك الشيخ ناصر الدين الألباني .
انظر : صحيح سنن أبي داود ٨٩٨/٣ ، صحيح سنن ابن ماجه ٤٣١/٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٣ هامش ٢٠٦ .
والشيخ شعيب الأرناؤوط . انظر الإحسان ٣٨٦/١٤ ، ٣٨٧ في الهامش .
من ذلك : (١)

مارواه مسلم بسنده إلى أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة . فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا" .

صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأُمَّته (٨٦) برقم ١٩٩ ، ١٨٩/١ .

وانظر صحيح البخارى ، كتاب الدعوات (٨٠) ، باب قوله {ادعوني أستجب لكم} الآية (١) ، ١٤٥/٧ ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب في المشيئة والإرادة (٣١) ، ١٩٢/٨ - ١٩٣ .

وروى البخارى من حديثه رضى الله عنه أنه قال : قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث . أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه" .

صحيح البخارى ، كتاب العلم (٣) ، باب الحرص على الحديث (٣٣) ، ٣٣/١ ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب صفة الجنة والنار (٥١) ، ٢٠٤/٧ .

(ب) زعمهم بأنه خبر آحاد لا يحتج به ، والشفاعة طريقها العلم .

زعم أوهى من سابقه ، وبيان ذلك :

كونه خبر آحاد لا يحتج به . قد سبق الحديث عن خبر الآحاد ، والاحتجاج به (١). كما سبق بيان أن أحاديث الشفاعة لأهل الكبائر تواترت معنوياً (٢). فبطلت حجتهم .

(ج) زعمهم أنه معارض بحديث "لا يدخل الجنة غمام ... " الحديث .

وبحديث "من قتل نفسه بحديدة ... " الحديث .

فقد أوجب على ذلك من قبل ، بما يرفع التعارض ، ويوفق بين النصوص (٣).

وأما حملهم للحديث على أن المراد به شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر إذا تابوا . لادليل لهم على ذلك.

وهو مع أنه تأويل مناهض للنصوص الثابتة ، ولا يدل عليه لفظ الحديث ، فهو أيضاً معنى فاسد لأن الذى يتوب من الذنب لا يوصف به بعد ذلك ، بل يبدل الله سيئاته حسنات فضلاً منه وكرماً (٤).

فصاحب الكبيرة إذا تاب عن كبيرته وصحت توبته زال عنه هذا

الاسم .

(٣) زعمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يشفع لأهل الكبائر لأنه يلزم

حينئذ أن يكون محباً لهم راضياً عنهم وذلك لا يصح لأنهم يستحقون

اللعن والغضب والسخط ، وإنما تكون الشفاعة لزيادة الثواب .

(١) انظر ص : ١١٢ فما بعدها .

(٢) انظر ص : ٣١٩ .

(٣) انظر ص : ٣٠٩ ٣١٠ .

(٤) قال الله تعالى : {إِلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً} .

سورة الفرقان : آية ٧٠

يرد على ذلك بما يأتي :

شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة لأهل الكبائر وغيرهم ثابتة بالنصوص الدالة على ذلك (١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"أجمع المسلمون على أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأله الناس ذلك ، وبعد أن يأذن الله له في الشفاعة . ثم إن أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفق عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، واستفاضت به السنن من أنه صلى الله عليه وسلم يشفع لأهل الكبائر من أمته ، ويشفع أيضاً لعموم الخلق" (٢).

وشفاعته صلى الله عليه وسلم ليست فقط في زيادة الثواب ورفع الدرجات كما تزعم المعتزلة ، بل له شفاعات أخرى دلت عليها النصوص ، ونص عليها أهل العلم . من ذلك :

(١) الشفاعة العظمى في أهل الموقف .

وهي التي تتدافعها الأنبياء حتى تصل إليه ، فيشفع فيهم عند الله ليقضى بين أهل الموقف الذين لحقهم من الكرب والغم ما لا يطيقون . وهي المقام المحمود الذي اختص به صلى الله عليه وسلم . وهي مجمع عليها (٣). ومما دل عليها من النصوص حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يجمع الله المؤمنين يوم القيامة ... إلى أن قال : ... ولكن ائتوا محمداً صلى الله عليه وسلم عبداً غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر فيأتوني فأنتلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال لي ارفع يا محمد

(١) انظر ص : ٣٢٠

(٢) مجموع الفتاوى ٣١٤/١ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٩ ، لوامع الأنوار ٢/٢٠٨ ، ٢١١ ، شرح لمعة الاعتقاد ص ٧٣ ، الشفاعة ص ٣١ .

وقل يسمع وسل تعطى واشفع تشفع فأحمد ربى بمحامد علمنيها ثم أشفع ... الحديث (١).

وحديث أبى هريرة قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال : "أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الناس الأولين والآخرين فى صعيد واحد ... إلى أن يقول : " ... فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فانطلق فأتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى عز وجل ثم يفتح الله على من محامده وحسن الشاء عليه شيئاً لم يفتحته على أحد قبلى ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطى واشفع تشفع ... الحديث (٢).

(٢) شفاعته لأئمة فى دخول الجنة (٣).

مما دل عليها حديث أبى هريرة ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم : "فأقول أمتى يارب ، أمتى يارب ، فيقال : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب" (٤).

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى {لما خلقت بيدى} (١٩) ، ١٧٢/٨ - ١٧٣ .

وبلفظ مقارب فى باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٣٦) ٢٠١-٢٠٠/٨ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه بألفاظ مقاربة فى كتاب الإيمان (١) ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٨٤) برقم ١٩٣ ، ١٨٠/١ - ١٨٤ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، فى كتاب التفسير (٦٥) ، فى تفسير سورة بنى إسرائيل (١٧) ، باب {ذرية من حملنا مع نوح} لأنه كان عبداً شكوراً (٥) ، ٢٢٧-٢٢٥/٥ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ، بلفظ مقارب ، فى كتاب الإيمان (١) ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٨٤) برقم ١٩٤ ، ١٨٤/١ - ١٨٦ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٣ ، الشفاعة ص ١٨ .

(٤) انظر تخريج الحديث السابق .

وفي حديث أنس : "فأحمد ربى بمحامد علمنيها ثم أشفع فيحد لى حداً فأدخلهم الجنة" (١).

(٣) شفاعته للمؤمنين من أهل الكبائر (٢).

وقد سبقت بعض النصوص التى تدل عليها (٣). وهى لا تختص به صلى الله عليه وسلم وإنما يشركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون (٤). وله شفاعات أخرى صلى الله عليه وسلم ، منها ما يشركه فيها غيره ، ومنها ما يختص به (٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"فله صلى الله عليه وسلم شفاعات يختص بها لا يشركه فيها أحد ، وشفاعات يشركه فيها غيره من الأنبياء ، والصالحين ، ولكن ماله فيها أفضل مما لغيره فإنه صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق وأكرمهم على ربه عز وجل وله من الفضائل التى ميزه الله بها على سائر النبيين" (٦).

(١) سبق تخريجه انظر ص : ٣٢٣

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٣١٨/١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٣ ، شرح لمعة الاعتقاد ص ٧٤،٧٣ ، الشفاعة ص ٦١ .

(٣) انظر ص : ٣٢٠

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٣ .

روى مسلم بسنده إلى أبى سعيد الخدرى أن ناساً فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "نعم" . قال : "هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحب؟" - فذكر الحديث - وفيه : "فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون . ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط ... الحديث .

صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب معرفة طريق الرؤية (٨١) برقم ١٨٣ ، ١٧١-١٦٧/١ .

(٥) انظر : مجموع الفتاوى ٣١٨،٣١٧/١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٣،٢٣٢ ،

لوامع الأنوار ٢١٢،٢١١/٢ ، شرح لمعة الاعتقاد ص ٧٢-٧٥ ، الشفاعة ص ٦١،٣١،١٨

(٦) مجموع الفتاوى ٣١٤/١ ، وانظر ١٥٤،١٥٣/١ .

(٤) أما دليلهم العقلى فى نفى الشفاعة :

وهو زعمهم أن الله يجب عليه أن يثيب الطائع ويعاقب العاصى ، وإثابة من لا يستحق الثواب قبيحة ، والعصاة ليسوا من أهل الثواب . سبق جوابه عند الحديث عن أفعال العباد (١) ، وصاحب الكبيرة (٢) بما يغنى عن الإعادة .

(٥) أدلتهم النقلية :

أما ما استدل به المعتزلة من آيات ، إنما تتعلق بالشفاعة المنفية ، وهذه بخلاف الآيات التى أثبتت الشفاعة يوم القيامة . وقد غضوا الطرف عنها . من ذلك قوله تعالى : {من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه} (٣) .

وقوله : {ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون} (٤) .

وقوله : {يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً} (٥) .

والآيات فى ذلك كثيرة جداً فى إثبات الشفاعة .

وأما الآيات النافية للشفاعة يوم القيامة ، فما فهمه السلف منها مخالف لما فهمه أهل الاعتزال ، وإيضاح ذلك فيما يلى :

(أ) إن المراد بالشفاعة المنفية فى تلك الآيات الشفاعة للمشركين والكفار . فهؤلاء لا تنفعهم الشفاعة أصلاً كما دل على ذلك قوله تعالى : {ماسلككم فى سقر . قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين . فما تنفعهم شفاعة الشافعين} (٦) .

(١) انظر ص : ٢٤٣ فما بعدها .

(٢) انظر ص : ٢٨٩ فما بعدها .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٥٥

(٤) سورة الزخرف : آية ٨٦

(٥) سورة طه : آية ١٠٩

(٦) سورة المدثر : آية ٤٢-٤٨

(ب) المراد بذلك الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك وأهل البدع ، الذين يعتقدون أن الخلق يشفعون عند الله بغير إذن كما يشفع بعضهم لبعض في الدنيا (١).

والشفاعة إنما تطلب من الله تعالى لأنه هو المالك لها سبحانه كما قال {قل لله الشفاعة جميعاً} (٢).

- وأما الشفاعة المثبتة فهي لا تثبت عند السلف إلا بشروط وهي :
- (١) الإذن للشافع بالشفاعة . كما قال سبحانه : {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه} (٣). وقال : {مامن شفيع إلا من بعد إذنه} (٤).
- (٢) الرضا عن المشفوع فيه . كما قال سبحانه : {وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى} (٥). وقال : {ولا يشفعون إلا لمن ارتضى} (٦) (٧).

-
- (١) مجموع الفتاوى ١٤٩/١-١٥٠ بتصرف . وانظر في الرد على استدلالات المعتزلة بالآيات مفصلاً في لوامع الأنوار ٢١٧/٢ .
- (٢) سورة الزمر : آية ٤٤
- (٣) سورة البقرة : آية ٢٥٥
- (٤) سورة يونس : آية ٣
- (٥) سورة النجم : آية ٢٦
- (٦) سورة الأنبياء : آية ٢٨
- (٧) انظر : مجموع الفتاوى ١١٨/١، ١١٩، ١٤٥، ١٤٩، ٢٣٤، ٣٣٢ ، اقتضاء الصراط المستقيم ٨٢٢، ٨٢١/٢ ، شرح لمعة الاعتقاد ص ٧٤، ٧٥ ، الشفاعة ص ١٢، ١٣ .

(٦) عذاب القبر :

عذاب القبر أو نعيمه حق ثابت بظاهر القرآن وصريح السنة ، وعلى ذلك إجماع أهل السنة (١).

فإن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين (٢). والآيات الدالة على إثباته كثيرة ، من ذلك قوله سبحانه : {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء} (٣)، وقوله : {فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب . النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب} (٤). وكقوله : {وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون} (٥).

وأما الأحاديث في إثباته فقد تواترت تواتراً معنوياً فيجب اعتقاد مادلت عليه والإيمان به (٦)، وسوف نورد طرفاً منها عند الحديث عن كشف شبهات المعتزلة .

وقد صدق السلف رضوان الله عليهم بذلك وأيقنوا وأثبتوا ماجاءت به الأحاديث ولم يردوا شيئاً منها ، ولم يعارضوها بعقل ولا رأى ، وإنما منهجهم التسليم والانقياد (٧).

(١) شرح لمعة الاعتقاد ص ٦٩ .

(٢) الروح ص ٥٢ ، لوامع الأنوار ٢٥/٢ .

(٣) سورة إبراهيم : آية ٢٧

(٤) سورة غافر : آية ٤٥-٤٦

(٥) سورة الطور : آية ٤٧

(٦) انظر : الروح ص ٥٢، شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩٩، لوامع الأنوار ٢٣، ١٣، ٥/٢

(٧) انظر في بيان مذهب السلف في إثبات عذاب القبر :

الروح ص ٥٢ ، لوامع الأنوار ٢٥/٢ ، شرح لمعة الاعتقاد ص ٦٩ .

قال المروزي : قال أبو عبد الله : عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال أو مضل .

وقال حنبل : قلت لأبي عبد الله في عذاب القبر . فقال : هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها ، كلما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم بأسناد جيد أقررنا به . إذا لم نقر بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعناه ورددناه رددنا على الله أمره . قال الله تعالى : {وما آتاكم الرسول فخذوه} (١) . قلت له : وعذاب القبر حق؟ قال : حق يعذبون في القبور . قال : وسمعت أبا عبد الله يقول : نؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير وأن العبد يسأل في قبره فـ{يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة} (٢) (٣) في القبر .

ويمكن أن نعرض شبهات المعتزلة حول عذاب القبر فيما يأتي :

(١) لقد زعم المعتزلة أن الأخبار الدالة على عذاب القبر مجملة .

ولذلك انقسموا حوله إلى ثلاث فرق :

١ - أنكره ضرار بن عمرو (٤) .

٢ - قطع به بعضهم في الجملة .

٣ - جوزه آخرون (٥) .

(١) سورة الحشر : آية ٧

(٢) سورة إبراهيم : آية ٢٧

(٣) الروح ص ٥٧ ، لوامع الأنوار ٢٣/٢ .

(٤) ضرار بن عمرو :

هو ضرار بن عمرو الغطفاني ، قاضي من كبار المعتزلة ، وهو زعيم الفرقة الضرارية له مقالات خبيثة كفره المعتزلة من أجلها وطرده .

انظر : فضل الاعتزال ص ٣٩١ ، ميزان الاعتدال ٢٣٨/٢ ، ٢٣٩ ، سير أعلام النبلاء ١٠/٥٤٤-٥٤٦ ، لسان الميزان ٢٠٣/٣ ، الأعلام ٢١٥/٣ .

(٥) انظر : فضل الاعتزال ص ٢٠٢، ٢٠١ ، شرح الأصول ص ٧٣٠ ، الفصل في الملل والنحل ٦٧/٤ .

(٢) وتدور شبههم حول كيفية ثبوته ووقت ذلك الثبوت .

أما بالنسبة لكيفية ثبوته فإنهم قالوا :

(أ) ما يروى بأن الموتي يسمعون لا يصح إلا أن يراد أنهم في تلك

الحال يسمعون بأن أحياءهم الله وقوى سمعهم .

وما يروى بأن الميت يسمع خفق النعال لا يصح أيضاً .

الدليل العقلي على ذلك :

الإدراك إنما يترتب على الحياة ، وبالتالي لا بد من إحياء الموتي لكي

يصح تعذيبهم ، ولا بد من خلق العقل فيهم ليحسن ذلك التعذيب ، وإلا

اعتقد المعذب أنه مظلوم ، والميت كالجماذ لا يسمع ولا يبصر ولا يلتذ ،

وتعذيب الجماذ محال . وهذا إنما يعلم من جهة العقل ولا مدخل للسمع فيه (١).

(ب) عذاب القبر إن صح لبعض الناس فإنه لا يصح لبعضهم وهم

الذين فقدت أجسادهم أو تعذر وصول الحياة إليها (٢).

وأما بالنسبة لوقته فقد قالوا :

(أ) الأخبار دلت على أن وقت العذاب يكون قرب الدفن ولكننا

لانعين ذلك ، لأنه لا طريق إلى تعيينه ، والقوى في ذلك أنه يؤخر إلى ما بين

النفختين لقوله : {ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون . فإذا نفخ في الصور

فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتسألون} (٣) (٤).

(ب) أما كون نباشى القبور لا يرون أثر العقوبة على الميت :

أولاً : من المجوز أن الله لا يعذبه في حالة اطلاع النباش أو غيره .

ثانياً : جائز أن يعذبه على وجه يستتر عنهم لوجه من المصلحة يرى

في ذلك.

(١) انظر : فضل الاعتزال ص ٢٠٢، ٢٠١ ، شرح الأصول ص ٧٣٢، ٧٣١ .

(٢) انظر : فضل الاعتزال ص ٢٠٣ .

(٣) سورة المؤمنون : آية ١٠٠، ١٠١ .

(٤) انظر : فضل الاعتزال ص ٢٠٢ ، شرح الأصول ص ٧٣٢، ٧٣١ .

ثالثاً : الصحيح أنه يؤخر ذلك إلى ما بين النفختين (١).
 (ج) قوله : {النار يعرضون عليها غدواً وعشياً} (٢).
 هذا في آل فرعون خاصة فلا يقاس عليهم غيرهم (٣).
 ويحاج على هذه الشبه بما يلي :

إن زعمهم أن الأخبار مجملة في إثبات عذاب القبر ثم انقسامهم حوله إلى ما ذكرنا ، يتبين منه أن المعتزلة وإن زعم بعضهم بأنه يقطع بوقوعه لدلالة الأخبار عليه ، إلا أنهم لم يسلموا للنصوص في ذلك تسليماً كاملاً . ولم يسلم هذا الأمر من إقحام عقولهم في جزئيات منه .
 نعم ! إن من أثبتته منهم أثبتته في الجملة ، ولكنهم خاضوا في كيفية ثبوته ووقت ذلك الثبوت مما دفعهم إلى رد بعض النصوص وتأويل بعضها .
 وإليك بيان ذلك :

فيما يتعلق بالكيفية :

(أ) زعموا أن ما يروى بأن الموتي يسمعون ، وأن الميت يسمع خفق النعال لا يصح .

هذا زعم في مناهضة الثابت من الأدلة الصريحة التي تثبت ذلك .
 منها : مارواه البخاري بسنده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه قال :
 إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم ... " الحديث (٤).

(١) انظر : شرح الأصول ص ٧٣٣ .

(٢) سورة غافر : آية ٤٦

(٣) انظر : فضل الاعتزال ص ٢٠٣ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز (٢٣) ، باب ما جاء في عذاب القبر (٨٧) ١٠٢/٢

وبلفظ مقارب في باب الميت يسمع خفق النعال (٦٨) ، ٩٢/٢ .

وأخرجه مسلم في صحيحه ، في كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) ، باب عرض مقعد

الميت من الجنة أو النار عليه (١٧) برقم ٢٨٧٠ ، ٢٢٠٠/٤ - ٢٢٠١ .

ومارواه بسنده إلى ابن عمر رضى الله عنهما قال : "اطلع النبي صلى الله عليه وسلم على أهل القليب فقال : «وجدتم ما وعد ربكم حقاً» فقيل له : تدعو أمواتاً؟ فقال : «ما أنتم بأسمع منهم ، ولكن لا يجيبون» (١) .
ولادليل على خصوصية ذلك بأهل البدر .

قال القاضى عياض رحمه الله :

"يحتمل سماعهم على ما يحتمل عليه سماع الموتى فى أحاديث عذاب القبر وفتنته التى لمدفع لها . وذلك بإحيائهم أو إحياء جزء منهم يعقلون به ويسمعون فى الوقت الذى يريد الله تعالى " .

وقال الإمام النووى رحمه الله بعد نقله لكلام القاضى عياض السابق "وهو الظاهر المختار الذى يقتضيه أحاديث السلام على القبور" (٢) .
وأما دليلهم العقلى فيجيب عنه بالآتى :

أولاً : هذا إقحام منهم للعقل فى أمر لا طاقة له به ولا مدخل له فيه ، لأن عذاب القبر أمر غيبى لا عهد للعقول به فى هذه الدار ، ولا يمكنها أن تصل إلى كيفيته ، وإنما يتوقف الإيمان فيه على النصوص الواردة ، وإن كان العقل لا يمنع وقوعه ، والشرع لا يأتى بما تحيله العقول ، ولكنه قد يأتى بما تحار فيه العقول (٣) .

-
- (١) صحيح البخارى ، كتاب الجنائز (٢٣) ، باب ما جاء فى عذاب القبر (٨٧) ، ١٠١/٢ . وبلغظ مقارب فى كتاب المغازى (٦٤) ، باب قتل أبى جهل ٩/٥ . وأخرجه مطولاً عن أبى طلحة فى الكتاب والباب السابقين ٨/٥ .
وأخرج مسلم فى صحيحه نحوه ، فى كتاب الجنائز (١١) ، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه (٩) ، برقم ٩٣٢ ، ٦٤٣/٢ .
(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ٢٠٦/١٧ - ٢٠٧ .
(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩٩ .

ثانياً : إن الحياة التي يحياها الميت في قبره والتي دل عليها حديث النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : "فتعاد روحه إلى جسده" (١).

حياة أخرى غير هذه الحياة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتدبره وتصرفه وتحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء ، وهذا أمر لا يكذبه العقل ولا ينفيه (٢).

يقول ابن القيم رحمه الله :

"إن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام : أحدها : تعلقها به في بطن الأم جنيناً .

الثاني : تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض .

الثالث : تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من

وجه .

الرابع : تعلقها به في البرزخ فإنها وإن فارقت وتجردت عنه فإنها لم

تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها التفات إليه البتة .

الخامس : تعلقها به يوم بعث الأجساد وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن

ولانسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه ، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً .

(١) هذا جزء من حديث البراء بن عازب الطويل في شأن عذاب القبر .
والحديث أخرجه أبو داود في سننه بطوله ، في كتاب السنة ، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر برقم ٤٧٥٣ ، ٢٣٩/٤ - ٢٤٠ .

وأحمد في المسند ٢٨٧/٤ - ٢٨٨ .

والحاكم في المستدرک ، وذكر له طرقاً . وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين" ووافقه الذهبي ٣٧/١ - ٤٠ .

وأخرج جزء منه في كتاب العلم ١٢٠/١ .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ٥٢/٣ - ٥٣ .

ونص الشيخ ناصر الدين الألباني على صحته . انظر صحيح سنن أبي داود ٩٠٢/٣ شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩٨ هامش رقم ٥٢٥ .

(٢) انظر : الروح ص ٤٣ ، فتح الباري ٢٤١/٣ .

وإذا كان النائم روحه في جسده وهو حي وحياته غير حياة المستيقظ فإن النوم شقيق الموت ، فهكذا الميت إذا أعيدت روحه إلى جسده كانت له حال متوسطة بين الحى وبين الميت الذى لم ترد روحه إلى بدنه كحال النائم المتوسطة بين الحى والميت ، فتأمل هذا يزيح عنك إشكالات كثيرة" (١).

فقياس حياة البرزخ بحياة الدنيا قياساً عقلياً هو سر تحبط المعتزلة واخرافهم عن جادة الصواب ، وقدحهم في الأحاديث الصحيحة بالرد والتأويل .

فعذاب القبر ونعيمه من الأمور التى لا طريق للعلم بها إلا النصوص الواردة فى الكتاب والسنة مما ليس للعقل فيه مجال (٢).

والرسل صلوات الله وسلامه عليهم لا يخبرون بما تحيله العقول وتنافيه ولكن إخبارهم إما أن يشهد به العقل والفطرة ، وإما لا يدركه العقل لعجزه عن الوصول إلى حقيقته وكنهه ولا يكون الخبر بذلك محالاً فى العقل ، وبالتالي كل خبر يظن أن العقل يحيله فإما أن يكون كذباً أو يكون ذلك العقل فاسداً .

وسوء الفهم عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم وتحميل الكلام ما لا يحتمل أو التقصير به عن مراد الله ورسوله هو الذى أوقع أهل الاعتزال ومن على شاكلتهم فى تلك الضلالات والبدع ، ففهموا خطأ ثم جعلوا مافهموه هو الدين الذى جاء عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم فوالوا فيه وعادوا فيه . ومافهمه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سار على نهجهم لا يلتفت إليه ولا يعول عليه (٣).

(١) الروح ص ٤٣-٤٤ ، وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩٩ .

(٢) انظر : لوايح الأنوار ٣/٢ .

(٣) انظر : الروح ص ٦٢، ٦٣ .

(ب) قولهم إن عذاب القبر وإن صح لبعض الناس فلا يصح لبعضهم ، ويعنون بذلك الذين فقدت أجسادهم أو تعذر وصول الحياة إليها .
ويجاب على هذا :

إن كل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه سواء قبر أو لم يقبر ، فإن أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً ونسف في الهواء ، أو صلب أو أغرق في البحر ، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور (١).

وكون الميت قد تفرقت أجزأؤه أو أكلته السباع أو الحيتان أو فقد شيء من جسمه لا يمنع ذلك من إحياء جزء من أجزائه وإيصال العذاب إليه (٢).

يقول ابن القيم رحمه الله :

"إنه غير ممتنع أن ترد الروح إلى المصلوب والغريق والمحرق ونحن لانشعر بها لأن ذلك الرد نوع آخر غير المعهود ، فهذا المغمى عليه والمسكوت والمبهوت (٣) أحياء وأرواحهم معهم ولانشعر بحياتهم ، ومن تفرقت أجزأؤه لا يمتنع على من هو على كل شيء قدير أن يجعل للروح اتصالاً بتلك الأجزاء على تباعد ما بينها وقربه ويكون في تلك الأجزاء شعور بنوع من الألم واللذة ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل في الجمادات شعوراً وإدراكاً تسبح ربها به ، وتسقط الحجارة من خشيتها (٤) ، وتسجد له

(١) الروح ص ٥٨ بتصرف ، وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٠ .

(٢) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠١/١٧ .

(٣) المبهوت : هو الذي أخذ بغتة .

انظر : القاموس المحيط ص ١٨٩ ، مادة (بهت) .

(٤) جاء ذلك في قوله تعالى : { وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون } . سورة البقرة : آية ٧٤

الجبـال والشجر (١)، وتسبحه الحصى والمياه والنبات ، قال تعالى : {وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم} (٢)... وقد كان الصحابة يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل (٣)، وسمعوا حنين الجذع اليابس في المسجد (٤)، فإذا كانت هذه الأجسام فيها الإحساس والشعور فالأجسام التي كانت فيها الروح والحياة أولى بذلك (٥).

والحاصل إن الله جعل الدور ثلاثاً ، دار الدنيا ، ودار البرزخ (٦)، ودار القرار ، وجعل الإنسان من بدن ونفس ، وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها ، فجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبعاً لها ، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعاً لها ، وجعل أحكام الآخرة على

(١) وجاء ذلك في قوله تعالى : {ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبـال والشجر والدواب وكثير من الناس ...} الآية . سورة الحج : آية ١٨

(٢) سورة الإسراء : آية ٤٤

(٣) روى البخارى بسنده إلى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : "كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً ، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال : اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال : "حى على الطهور المبارك والبركة من الله" فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل".

صحيح البخارى ، كتاب المناقب (٦١) ، علامات النبوة في الإسلام (٢٥) ، ١٧١/٤ .

(٤) وروى بسنده إلى جابر بن عبد الله قال : "كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار ، حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت".

صحيح البخارى ، الكتاب والباب السابقين ١٧٣/٤-١٧٤ .

(٥) الروح ص ٧٢-٧٣ .

(٦) البرزخ : هو الحاجز بين الشيئين ، والمراد به الفترة ما بين الموت إلى القيامة . انظر : القاموس المحيط ص ٣١٨ .

الأبدان والأرواح جميعاً ، فأحكام البرزخ تجرى على الأرواح فيسرى ذلك على أبدانها نعيماً أو عذاباً^(١).

والروح تنعم أو تعذب منفردة عن البدن ومنتصلة به فيكون النعيم أو العذاب عليهما جميعاً ، كما يكون على الروح منفردة^(٢).

فالميت يقع عليه النعيم أو العذاب ولو لم يقبر ، وإنما أضيف العذاب إلى القبر لكون معظمه يقع فيه ، وإن أكثر الموتي يقبرون ، ومن يقبر فإن جسده يتحلل ويتحول إلى تراب ومع ذلك يصل إليه النعيم أو العذاب ، وهذا محجوب عن الخلق^(٣).

وما يتعلق من شبه بوقت عذاب القبر فإنهم زعموا :

(أ) أن الأخبار دلت على أن وقته قرب الدفن ، ولكننا لانعين ذلك ، لأنه لا طريق إلى تعيينه ، **والصحيح** أنه يؤخر إلى ما بين النفختين لقوله : {ومن ورائهم برزخ ...} الآية^(٤).

الذى يلقي نظرة على الأدلة من الكتاب والسنة يجد أن عذاب من يستحق العذاب يبدأ منذ قدوم الملائكة لأخذ روحه عند الموت . قال الله تعالى : {ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون}^(٥).

فقوله : "والملائكة باسطوا أيديهم" أى بالضرب حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ، وهو كقوله : {ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم}^(٦)^(٧).

(١) انظر : الروح ص ٦٤، ٦٣ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠١ .

(٢) انظر : الروح ص ٥١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٠ .

(٣) انظر : الفصل في الملل والنحل ٦٧/٤ ، فتح الباري ٢٣٣/٣ .

(٤) سورة المؤمنون : آية ١٠٠

(٥) سورة الأنعام : آية ٩٣

(٦) سورة الأنفال : آية ٥٠

(٧) انظر تفسير القرآن العظيم ١٥٧/٢ .

كما دلت الأدلة على وقوع العذاب عقب الدفن وبعد سؤال الملكين وامتحانهما له . فقد جاء في حديث البراء بن عازب في شأن المؤمن "فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره" .
وقال في الكافر "فينادى مناد من السماء أن كذب عبدى فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً من النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه" الحديث (١).

فهذا نص على وقوع العذاب بعد الدفن .

وفي حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : "مر النبي صلى الله عليه وسلم بجائط من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يعذبان ، وما يعذبان في كبير . ثم قال : بلى ، كان أحدهما لا يستتر من بوله ، وكان الآخر يمشى بالنميمة ثم دعا بجريدة فكسرهما كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة ، فقليل له : يارسول الله لم فعلت هذا؟ قال صلى الله عليه وسلم : لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا" (٢).

وفي حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبنى النجار على بغلة له ، ونحن معه ، إذ حادت به فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة ، فقال : "من يعرف

(١) سبق تخريجه ، انظر : ٣٣٢

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه ، في كتاب الوضوء (٥٥) ، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله (٥٥) ٦٠/١-٦١ ، ولفظ مقارب : في باب ماجاء في غسل البول (٥٦) ، ٦١/١ ، وفي كتاب الجنائز (٢٣) ، باب الجريد على القبر (٨٢) ، ٩٨/٢-٩٩ ، وفي باب عذاب القبر من الغيبة والبول (٨٩) ، ١٠٣/٢ ، وفي كتاب الأدب (٧٨) ، باب الغيبة (٤٦) ، ٨٥/٧-٨٦ .

وأخرجه مسلم في صحيحه ، بلفظ مقارب . في كتاب الطهارة (٢) ، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه (٣٤) برقم ٢٩٢ ، ٢٤٠/١-٢٤١ .

أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل : أنا . قال : "فمتى مات هؤلاء؟" قال : ماتوا في الإشراف . فقال : "إن هذه الأمة تبتلى في قبورها . فلولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه ..."
الحديث (١).

وفى حديث سمرة بن جندب رضى الله عنه فى ذكر منام النبى صلى الله عليه وسلم ورؤيته للمعذبين كيف يعذبون (٢).

فقد دلت هذه الأحاديث على استمرارية عذاب القبر بعد الدفن ، وهل يدوم ذلك الى يوم القيامة أم ينقطع؟

الظاهر من النصوص أن منه ما هو دائم إلى يوم القيامة ، وهو عذاب الكفار ، كما قال تعالى : {النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب} (٣)، وفى حديث أبى هريرة فى شأن المنافق : "فيقال للأرض التئمت عليه فتتلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك" (٤).

ومنه الذى يدوم مدة ثم ينقطع وهو عذاب بعض العصاة ، فإنهم يعذبون على قدر جرائمهم ثم يخفف عنهم (٥).

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (١٧) ، ورقمه ٢٨٦٧ ، ٢١٩٩/٤ - ٢٢٠٠ .

(٢) وهو حديث طويل . أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب الجنائز (٢٣) ، باب (٩٣) ، ١٠٤/٢ - ١٠٥ ، وفى كتاب التعبير (٩١) ، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح (٤٨) ، ٨٤/٨ - ٨٦ .

وأخرج مسلم فى صحيحه طرفا يسيرا منه فى كتاب الرؤيا (٤٢) ، باب رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم (٤) ، برقم ٢٢٧٥ ، ١٧٨١/٤ .

(٣) سورة غافر : آية ٤٦

(٤) أخرجه الترمذى فى سننه ، كتاب الجنائز (٨) ، باب ماجاء فى عذاب القبر (٧١) برقم ١٠٧١ ، ٣٨٣/٣ ، وحسنه الشيخ ناصر الألبانى . صحيح سنن الترمذى ٣١١/١ ، وانظر : مشكاة المصابيح ٤٧/١ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٨٠/٣ ورقمه ١٣٩١ .

(٥) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠١ .

فزعهم أن العذاب يؤخر إلى ما بين النفختين زعم لاحقيقة له لأن الأدلة السابقة تخالفه ، والآية التي استدلوا بها دليل عليهم لالهم ، لأن المراد بالبرزخ هو الحاجز الذى بين الدنيا والآخرة وهى فترة بقاء الناس فى قبورهم (١).

فلاية نص على عذاب القبر . وهو عذاب البرزخ (٢).

(ب) أما كون نباشى القبور لا يرون أثر العقوبة على الميت :
وجوابهم على ذلك بأنه من المجوز أن الله لا يعذبه فى حالة اطلاع النباشى أو غيره ... الخ .
والجواب :

أولاً : إن المعتزلة وهم فى معرض الرد على المنكرين لوقوع عذاب القبر بهذه الشبهة العقلية ، يقرون فى ردهم أصل الشبهة التى انطلق منها أولئك ، وهى قياسهم حياة البرزخ بالحياة الدنيا . وقولهم "أو يعذبه على وجه يستتر عنهم" لا يشفع لهم فيما قالوا لأنه أورد فى معرض الجواز كما أورد عدم وقوع العذاب فى حال اطلاع النباشى أو غيره على الميت . بل وترجيح أن العذاب يقع بين النفختين كما زعموا فيه دلالة على تأييد شبهة أولئك المنكرين .

ثانياً : إن الله عزوجل جعل أمر الآخرة وما يتصل بها من حياة البرزخ أمراً غيبياً محجوباً عن المكلفين فى هذه الدار لكمال حكمته سبحانه وتعالى وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم (٣).

ثالثاً : إن أحوال الآخرة وحياة البرزخ لا تقاس بأحوال الدنيا ، لأن ذلك قياس للغائب على الشاهد وهو محض الضلال والجهل وتكذيب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم (٤).

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ٢٥٦/٣ .

(٢) الروح ص ٥٨ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٠ .

(٣) انظر : الروح ص ٦٤ .

(٤) انظر : المرجع السابق ص ٧١ ، فتح البارى ٢٣٥/٣ ، شرح لمعة الاعتقاد ص ٧٠ .

رابعاً : إن العذاب الذى فى القبر ، والنعيم الذى فيه ليس من عذاب الدنيا ولانعيمها . فإن الميت يعذب أو ينعم ، وأهل الدنيا لا يحسون بذلك . بل لو دفن رجلان أحدهما إلى جنب الآخر ، وكان أحدهما منعماً ، والآخر معذباً ، فإن نعيم الأول لا يصل إلى الثانى ، وكذا عذاب الثانى لا يصل إلى الأول ، وقدرة الرب سبحانه أعجب وأوسع من ذلك ، ولكن النفوس مولعة بتكذيب ما لم تحط به علماً ، إلا من عصمه الله ووفقه (١) .

خامساً : إن الله عز وجل حجب بنى آدم من رؤية كثير مما يحدث فى هذه الدنيا ، فجبريل عليه السلام كان يتزل بالوحي على النبى صلى الله عليه وسلم ويخاطبه على كثب من الصحابة رضوان الله عليهم وهم لا يرونه ، والجن يعيشون بيننا ويتكلمون فيما بينهم ونحن لانراهم ولانسمع كلامهم ، والنائم يجد ألماً ولذة فى نومه ولا يحس بذلك جليسه ، بل اليقظان يحس بالألم ويشعر باللذة ولا يجد ذلك من يجالسه (٢) .

والمحتضر يشعر بالألم عند احتضاره وتضربه الملائكة والحاضرون لا يرون ذلك . كذلك عذاب القبر يقع على الميت وهو يتألم ولو كان موضوعاً بين الناس ، وتسأله الملائكة ويحييها ومع ذلك لا يراه الناس ولا يسمعون كلامه (٣) .

سادساً : لو أطلع الله العباد على عذاب القبر لزالَت حكمة التكليف والإيمان بالغيب ، ولما تدافن الناس ، كما ثبت فى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "فلولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه" (٤) .

(١) انظر : الروح ص ٦٦ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠١، ٤٠٠ .

(٢) انظر : شرح النووى على صحيح مسلم ٢٠١/١٧ ، الروح ص ٧١ ، فتح البارى ٢٥٣/٣ .

(٣) انظر : الاعتصام ٣٢٩/٢ ، الروح ص ٧٢ .

(٤) سبق تخريجه انظر : ص ٣٣٨ .

ولما كانت هذه الحكمة منفية في البهائم سمعت ذلك وأدركته (١).
 (ج) دعواهم : إن قوله تعالى {النار يعرضون عليها غدواً وعشياً} (٢)
 في آل فرعون خاصة .
 يجاب على ذلك :

بأن دعوة الخصوصية ممتنعة ولادليل عليها ، ومما يؤيد ذلك :
 أولاً : لقد احتج أهل العلم بهذه الآية على عذاب القبر وما زالوا
 يستشهدون بها على إثباته (٣) ، حتى قال الإمام ابن كثير رحمه الله : "وهذه
 الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور" (٤).
 ثانياً : لقد فهم الصحابة والتابعون رضی الله عنهم عدم الخصوصية
 في الآية ولذلك جعلوها مستنداً لهم في إثبات عذاب القبر (٥).

(١) انظر : الروح ص ٦٦ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠١ ، فتح الباري ٢٣٥/٣ .
 روى البخاري بسنده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : "دخلت على عجوزان من
 عجز يهود المدينة فقالتا لي : إن أهل القبور يعذبون في قبورهم فكذبتهما ولم أنعم
 أن أصدقهما فخرجتا ، ودخل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله
 إن عجوزين وذكرت له . فقال : "صدقتا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم كلها"
 . فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر .

صحيح البخاري ، كتاب الدعوات (٨٠) ، باب التعوذ من عذاب القبر (٣٧) ،
 ١٥٩-١٥٨/٧ .

وانظر صحيح مسلم ، كتاب المساجد (٥) ، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر
 (٢٤) برقم ٥٨٦ ، ٤١١/١ .

(٢) سورة غافر : آية ٤٦

(٣) انظر : زاد المسير ٤٦/٧ ، شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠٠/١٧ ، الجامع
 لأحكام القرآن ٣١٩، ٣١٨/١٥ ، الروح ص ٧٥ ، تفسير القرآن العظيم ٨١/٤ ،
 شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩٦ ، فتح الباري ٢٣٣/٣ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٨١/٤ .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٣١٩/١٥ .

ثالثاً : روى البخارى بسنده إلى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى . إن كان من أهل الجنة ، فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار ، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة (١)". وهذا فى معنى الآية .

(١) صحيح البخارى ، كتاب الجنائز (٢٣) ، باب الميت يعرض عليه بالغداة والعشى (٩٠) ١٠٣/٢ ، وبلفظ مقارب فى كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب ماجاء فى صفة الجنة (٨) ، ٨٥/٤ ، وفى كتاب الرقاق (٨١) ، باب سكرات الموت (٤٢) ، ١٩٣/٧ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه وزاد : "وإن كان من أهل النار فمن أهل النار" . فى كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (١٧) برقم ٢٨٦٦ ، ٢١٩٩/٤ .

الباب الثاني

موقف المستشرقين

من السنة النبوية

وفيه تمهيد وفصلان :

التمهيد : المستشرقون : صلتهم بالفكر الإسلامي
وأثر تلك الصلة في إثارة الشبهات
حول السنة النبوية

الفصل الأول : شبهات المستشرقين حول الوحي النبوي .

الفصل الثاني : موقف المستشرقين من صحة الحديث .

التمهيد

المستشرقون - صلتهم بالفكر الإسلامى وأثر تلك الصلة فى إثارة الشبهات حول السنة النبوية .

مفهوم الاستشراق ومن هم المستشرقون :

الاستشراق اتجاه فكرى يعنى بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة وحضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة . وقد كان مقتصرأ فى بداية ظهوره على دراسة الإسلام واللغة العربية ، ثم اتسع ليشمل دراسة الشرق كله - لغاته ، أديانه ، تقاليده ، آدابه (١) .

والمستشرقون هم علماء الغرب الذين اعتنوا بدراسة الإسلام واللغة العربية (٢) ، ولغات الشرق وأديانه وآدابه .

تاريخ الاستشراق :

من الشائك تحديد نشأة الاستشراق تحديداً دقيقاً ، ولذا اختلف المحققون فى مبدأ نشأته .

فقد حدده بعض المؤرخين بدخول القوات العسكرية الاستعمارية قبيل القرن التاسع عشر .

وبعض المشتغلين باللغة العربية وآدابها يرون أنه بدأ من القرن السابع عشر متمثلاً فى ترجمة بعض الكتب العربية وطباعتها .

ويرى بعض الباحثين المتخصصين أنه أقدم من ذلك بكثير فقد يرجع تاريخه فى بعض البلدان الأوربية إلى القرن الثالث عشر .

ويكاد المؤرخون يجمعون على أنه انتشر فى أوربا بصفة جديدة بعد فترة عهد الإصلاح الدينى (٣) .

(١) انظر : الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ص ١٥ .

(٢) انظر : الإسلام والمستشرقون ص ٣٧٤ ، وانظر المصدر السابق ص ١٥ .

(٣) انظر : الرسول صلى الله عليه وسلم فى كتابات المستشرقين ص ١٠-١٢ ، الإسلام والمستشرقون ص ٢٧٦-٤٥٨ .

أهداف الاستشراق :

انطلق المستشرقون في دراستهم للإسلام من منطلقين كان لهما أبلغ الأثر في توجيه الدراسات الاستشراقية .

المنطلق الأول : الزعة الصليبية التنصيرية التي خيمت على أذهان المستشرقين وغطت على أفكارهم ، فجاءت دراساتهم في ثوب تنصيري ، إذ الاستشراق ارتبط في جميع مراحل ارتباطاً وثيقاً بالمؤسسات الكنسية التنصيرية .

المنطلق الثاني : الزعة الاستعمارية السياسية المادية التي تهدف إلى بث النفوذ الغربي على البلدان الإسلامية ، وسرقة خيرات تلك البلدان .

ولذلك جاءت بحوثهم ودراساتهم تهدف إلى الآتي :

(١) إفساد صورة الإسلام بطمس معالمه ، وتشويه محاسنه ، وتخريف حقائقه وتقديمه للعالم مهلهلاً متناقضاً .

(٢) تشكيك المسلمين في دينهم بإثارة الشبهات حول هدى الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم ، لاضعاف صلتهم بهذا الدين وارتباطهم به .

(٣) إحياء النعرات القبلية ، والعصبية المذهبية ، والزعات الطائفية والعقائدية ، وإثارة الخلافات ، لتفريق وحدة المسلمين ، وإضعاف روح الإخاء الإسلامي بينهم ، وإثارة اللهجات العامية بالتشكيك في مصادر اللغة العربية ، فيشتت شملهم وتضعف قوتهم .

(٤) غرس المبادئ الغربية في نفوس أهل الإسلام وتمجيدها ، والعمل على إضعاف القيم الإسلامية وتحقيرها حتى يتم لهم إفساد أبنا المسلمين وتخللهم ويتمكنوا من توجيههم لخدمة مصالحهم .

(٥) إزالة الثقة بعلماء وأعلام الأمة الإسلامية لقطع الصلة بين المسلمين وماضيهم المجيد ، وبالتالي تمجيد الشخصيات الغربية وتعظيمها ليسهل التأثير والانتقاد لهم .

(٦) بعض المستشرقين المعتدلين قاموا بتحقيق بعض المصادر الإسلامية وترجموا بعضها إثراء للجانب العلمي ونشراً للتراث ، مع وجود كثير

من الأخطاء في بعض تلك الدراسات ، وكانت لبعضهم سلاحاً ذا حدين (١).

منهج المستشرقين في دراسة الإسلام والدافع من ورائه :

لقد كشف الله سبحانه وتعالى الدافع الحقيقي لهؤلاء المستشرقين في دراستهم للإسلام ، ذلك الدافع الذي يتمثل في العداء السافر لهذا الإسلام ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، والذي بدأ منذ فجر الإسلام الأول ، فالمستشرقون عبارة عن امتداد لليهود والنصارى الأول الذين بذلوا كل مافي وسعهم لطمس دين الإسلام ، وإزالة معالمه عن الوجود .

وقد فضحهم الله سبحانه وهتك أستارهم ، وكشف دسائسهم ، وأبان أحقادهم .

ولن يرضى هؤلاء من المسلمين صرفاً ولا عدلاً إلا أن ينخرط المسلمون في اليهودية والنصرانية . {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير} (٢).

والانخراط في دينهم هو الكفر الذي يسعى أولئك الحاسدون لغمس المسلمين فيه كما قال سبحانه وتعالى :

{ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأق الله بأمره إن الله على كل شىء قدير} (٣).

(١) وللوقوف على أهداف المستشرقين انظر :

مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ٢٥/١ ، الإسلام والمستشرقون ص ٢٣٩، ٤٦٠-٤٦١، ٤٥٧ ، الاستشراق والمستشرقون للسباعى ص ٥-٧، ٢٣-٢٤ ، الفكر الإسلامى الحديث ص ١٦-١٧، ٤٣، ٤١٧، ٤٢٣ ، الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين ص ١٣-١٤، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٨٩-٩٢ ، الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ص ٣٦-٣٩، ٥١، ٥٢-٥٩، ٦٣، ٦٩ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٢٠

(٣) سورة البقرة : آية ١٠٩

يقول العلامة ابن كثير رحمه الله :

"يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر ، وماهم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم" (١).

بل بلغت تلك العداوة شأواً بعيداً حيث تمنوا أن يحجب كل خير فلا يصل لمسلم كما قال سبحانه : {ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم} (٢).

وهذا السيل العارم من العداء تجاه الإسلام وأهله ، لم تخف وطأته طيلة القرون السابقة ، وإنما ظل يلهب مع مر العصور والأزمان ، يأخذ صوراً شتى وأشكالاً متنوعة تعلن تارة وتخفي أخرى ، تظهر في ثوب الود والولاء حيناً وتكشر عن أنياب العداء أحياناً .

ولقد اشتدت هذه العداوة بعد الحروب الصليبية (١٠٩٧ - ١٢٩٥م) التي كانت نقطة تحول في الصراع الفكري والعقائدي والسياسي بين الغرب المسيحي المدعم باليهود وبين الشرق الإسلامي (٣).

ولقد وجد أعداء الإسلام في تلك الحروب الصليبية متنفساً بالرغم من الهزائم المتتالية التي حلت بهم ، وظهر هنالك الحقد الدفين وعلا على السطح .

يقول المونسنير كولي في كتابه "البحث عن الدين الحق" :

"برز في الشرق عدو جديد هو الإسلام الذي أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب ، ولقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه ، وتساهل في أقدم قوانين الأخلاق ، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب ،

(١) تفسير القرآن العظيم ١/١٥٣ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٠٥

(٣) انظر : الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ص ٢٧ ، الإسلام على مفترق الطرق

ص ٥٥-٥٦ ، الإسلام والمستشرقون ص ٢٤٦ .

ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات في الجنة ، وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وإفريقيا وأسبانيا فريسة له . حتى ايطاليا هدها الخطر ، وتناول الاجتياح نصف فرنسا ، لقد أصيبت المدينة .. ولكن انظرها هي النصرانية تضع بسيف شارل مارتل^(١) سداً في وجه سير الإسلام المنتصر عند بواتيه - - - ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين تقريباً (١٠٩٩-١٢٥٤م) في سبيل الدين ، فتدجج أوروبا بالسلاح وتنجي النصرانية ، وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب وانتصر الإنجيل على القرآن وعلى مافيه من قوانين الأخلاق الساذجة^(٢).

ولقد أورثت الحروب الصليبية الغربيين عداء جديداً للإسلام مشوباً بالخوف والرعب ، ولذا كرثوا الجهود للنيل منه بكل الأساليب والوسائل حتى لاتعاد الكرة وتصبح للإسلام الهيمنة . قال مكسيم رودنسون^(٣):

"فقد أوجدت الحروب الصليبية حاجة كبيرة وملحة للحصول على صور كاملة ومسلية ومرضية لأيديولوجية الخصوم . وكان رجل الشارع يرغب في صورة تبين الصفة الكريهة للإسلام عن طريق تمثيله بشكله الفج

(١) شارل مارتل :

حاكم ألماني الأصل ، دانت له أجزاء واسعة من أوروبا بعد قتال مرير ، خاض عدة معارك مع المسلمين أشهرها معركة "تور" التي قتل فيها قائد المسلمين عبد الرحمن الغافقي ، وهزم فيها جيش المسلمين ، وكان لها أثر بالغ في إخراج المسلمين من الأندلس . مات سنة ٧٤١ .

انظر : المعرفة ٣/٣٦٨ .

(٢) الإسلام والمستشرقون ص ٢٤٤ .

(٣) مكسيم رودنسون :

يهودي ماركسي ولد سنة ١٩١٥م ، كان من أساتذة مدرسة الدراسات العليا بباريس ثم مديرها . ألف كتاباً بالفرنسية عن محمد صلى الله عليه وسلم "حياة محمد" مشحون بالافتراءات على النبي صلى الله عليه وسلم .

انظر : المستشرقون ١/٣٢٨-٣٢٩ ، آراء المستشرقين حول القرآن ١/٧٠ .

على أن تكون في الوقت نفسه مرسومة بشكل يرضى الذوق الأدبي الميال إلى كل ماهو غريب ، وهو ميل يشكل سمة بارزة في جميع الأعمال في ذلك الوقت" (١).

واخذ المستشرقون تلك الحروب مطية لهم فشوهوا من خلالها الإسلام لرجل الشارع الغربى حتى تتأصل تلك العداوة في أذهان الجميع ، ولتكون الحملة على الإسلام حملة شعواء لاهوادة فيها ، كل فرد بما يقدر عليه ويستطيعه من دور . يقول كيمنون المستشرق الفرنسى فى كتابه "باثولوجيا الإسلام" :

"إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً ، بل هى مرض مريع ، وشلل عام ، وجنون ذهولى يبعث الإنسان على الخمول والكسل ، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء ، ويدمن على معاقرة الخمر ، ويجمع فى القبائح ، وماقبر محمد إلا عمود كهربائى يبعث الجنون فى رؤوس المسلمين ، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلى ، وتكرار لفظة "الله" إلى مالا نهاية ، والتعود على عادات تنقلب على طباع أصيلة ككراهية لحم الخنزير والنبىذ ، والموسيقى ، وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والفجور فى الذات" (٢).

وأصبح الغرب كله يضج بالعداء للإسلام ، عداً لا يقف عند حد ، ولا يعرف المهادنة ، الكل ينظر إليه بمنظار قاتم يحجب الأبصار عن رؤية الحق .

وإليك تصويراً بليغاً بقلم غربى ولكنه عرف الحق فاهتدى يكشف عن حقائق طالما خفيت على كثير من أبناء الإسلام المسيحين بمحمد الغرب . يقول محمد أسد "ليوبولد فايس" :

(١) تراث الإسلام ٣٤/١ .

(٢) الفكر الإسلامى الحديث ص ٥٥ .

"فيما يتعلق بالإسلام لا تجد موقف الأوربي موقف كره في غير مبالاة فحسب كما هي الحال في موقفه من سائر الأديان والثقافات ، بل هو كره عميق الجذور يقوم في الأكثر على صدور من التعصب الشديد . وهذا الكره ليس عقلياً فحسب ، ولكنه يصطبغ أيضاً بصبغة عاطفية قوية .

قد لا تتقبل أوروباً تعاليم الفلسفة البوذية^(١) ، أو الهندوكية^(٢) ، ولكنها تحتفظ دائماً فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن ومبنى على التفكير .

إلا أنها حالماً تتجه إلى الإسلام يختل التوازن ويأخذ الميل العاطفى بالتشرب حتى إن أبرز المستشرقين الأوربيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمى فى كتاباتهم عن الإسلام . ويظهر فى جميع بحوثهم على الأكثر كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث فى البحث العلمى ، بل على أنه متهم يقف أمام قضاة ، إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعى العام الذى يحاول إثبات الجريمة ، وبعضهم يقوم مقام المحامى فى الدفاع ، فهو مع اقتناعه شخصياً بإجرام موكله لا يستطيع أكثر من أن يطلب له مع شىء من الفتور ، اعتبار الأسباب المخففة"^(٣).

(١) البوذية :

هى ديانة ظهرت فى الهند بعد الديانة البرهمية فى القرن الخامس قبل الميلاد . كانت فى بدايتها متوجهة إلى العناية بالإنسان كما أن فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناذاة بالمحبة والتسامح وفعل الخير لكنها لم تلبث بعد موت مؤسسها - سد هارتا جوتاما الملقب ببوذا - أن تحولت إلى معتقدات باطلة ذات طابع وثنى ، ولقد غالى أتباعها فى مؤسسها حتى ألوهه .

الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٠٧ ، وانظر : أديان الهند الكبرى ص ١٦٦-١٧٢ .

(٢) الهندوكية أو الهندوسية :

هى ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند ، وقد تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر . إنها ديانة تضم القيم الروحية والخلقية إلى جانب المبادئ القانونية والتنظيمية متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها ، فلكل منطقة إله ، ولكل عمل أو ظاهرة إله .

الموسوعة الميسرة ص ٥٣١ ، وانظر : أديان الهند الكبرى ص ٤٣-٤٤ .

(٣) الإسلام على مفترق الطرق ص ٥٢-٥٣ .

وقال : "إن النهضة" أو إحياء الفنون والعلوم الأوروبية باستمدادها الواسع من المصادر الإسلامية والعربية على الأخص ، كانت تعزى في الأكثر إلى الاتصال المادى بين الشرق والغرب . لقد استفادت أوروبا أكثر مما استفاد العالم الإسلامى ولكنها لم تعترف بهذا الجميل وذلك بأن تنقص من بغضائها للإسلام ، بل كان الأمر على العكس ، فإن تلك البغضاء قد نمت مع تقدم الزمن ثم استحالت عادة . ولقد كانت هذه البغضاء تغمر الشعور الشعبى كلما ذكرت كلمة "مسلم" ، ولقد دخلت فى الأمثال السائرة عندهم حتى نزلت فى قلب كل أوربى رجلاً كان أم امرأة . وأغرب من هذا كله أنها ظلت حية بعد جميع أدوار التبدل الثقافى ، ثم جاء عهد الإصلاح الدينى حينما انقسمت أوروبا شيعاً ، ووقفت كل شيعة مدججة بسلاحها فى وجه كل شيعة أخرى ، ولكن العداء للإسلام كان عاماً فيها كلها ، بعدئذ جاء زمن أخذ الشعور الدينى فيه يخبو ولكن العداء للإسلام استمر" (١).

وقال : "إن المدنية الغربية لم تبدل اتجاهها العقلى نحو الإسلام ، وإنها اليوم شديدة المناهضة للفكرة الدينية فى الحياة كما كانت دائماً من قبل" (٢). لقد عاش المستشرقون فى هذه البيئة المفعمة ببغض الإسلام ، وارتضعوا من ثديها ، وارتقوا بلبانها ، ولذا جاء منهجهم الذى اختطوه فى دراسة الإسلام منهجاً معوجاً ملتوياً ، يحوى بين طياته كل دسيسة وشبهة تقدح فى الدين الذى ارتضاه الله ديناً للبشرية جمعاء .

وإليك أبرز سمات ذلك المنهج والمقاييس الجائرة التى درسوا بها

الإسلام :

(١) الإسلام على مفترق الطرق ص ٥٩-٦٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٤ .

- (١) تحليل الإسلام ودراسته بعقلية أوربية ، فهم حكموا على الإسلام معتمدين على القيم والمقاييس الغربية المستمدة من الفهم القاصر والمحدود والمغلوط الذى يجهل حقيقة الإسلام (١).
- (٢) تبينت فكرة مسبقة ثم اللجوء إلى النصوص واصطيادها لإثبات تلك الفكرة واستبعاد ما يخالفها ، وذلك منهج معكوس وليد للهوى (٢).
- (٣) اعتمادهم على الضعيف والشاذ من الأخبار وغض الطرف عما هو صحيح وثابت منها (٣).
- (٤) تحريف النصوص ، ونقلها نقلاً مشوهاً ، وعرضها عرضاً مبتوراً ، وإساءة فهم ما لا يجدون سبيلاً لتحريفه (٤).
- (٥) غربتهم عن العربية والإسلام منحهم عدم الدقة والفكر المستوعب في البحث الموضوعى ، حتى ولو اختص أحدهم بأمر واحد من أمور الإسلام طيلة حياته (٥).
- (٦) تحكمهم في المصادر التى ينقلون منها ، فهم ينقلون مثلاً من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث ، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه ، ويصححون ما ينقله "الدميرى" (٦) في كتاب

-
- (١) انظر : السنة ومكانتها ص ١٨٨ ، الاستشراق والمستشرقون للسباعى ص ٤٩ ، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ص ٣٦٤ ، الإسلام والمستشرقون ص ١٩١ الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ص ١٢٤ .
 - (٢) انظر : السنة ومكانتها في التشريع ص ١٨٨ ، الاستشراق والمستشرقون للسباعى ص ٤٣ ، الإسلام والمستشرقون ص ٢٥١ .
 - (٣) انظر : الإسلام والمستشرقون ص ٢٤٨ .
 - (٤) انظر : السنة ومكانتها ص ١٨٨ ، الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ص ١٣٠ .
 - (٥) انظر : الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين ص ١٦ .
 - (٦) الدميرى :

هو محمد بن موسى بن عيسى بن على الدميرى ، أبو البقاء الشافعى ، من أهل دميرة بمصر ، مفسر ، محدث ، فقيه ، أصولى ، أديب ، نحوى ، ناظم . مات سنة ٨٠٨ هـ .

من آثاره : "حياة الحيوان" ، "الديباجة" في شرح سنن ابن ماجه ، "النجم الوهاج" في شرح منهاج النووى . =

"الحيوان" ويكذبون ما يرويه "مالك" في "الموطأ" ، كل ذلك انسياقاً مع الهوى ، وانحرافاً عن الحق (١).

(٧) إبراز الجوانب الضعيفة والمعقدة والمتضاربة كالحلاف بين الفرق ، وإحياء الشبه ، وكل ما يفرق وإخفاء الجوانب الإيجابية والصحيحة وتجاهلها (٢).

(٨) الاستنتاجات الخاطئة والوهمية وليدة التعصب ، وجعلها أحكاماً ثابتة ، يؤكدها أحدهم المرة تلو المرة ، ويجمعون عليها حتى تكاد تكون يقيناً عندهم (٣).

(٩) النظرة العقلية المادية البحتة التي تعجز عن التعامل مع الحقائق الروحية (٤).

وسائل المستشرقين :

لقد استخدم المستشرقون كل وسيلة توصلهم إلى أهدافهم وغايتهم كتأليف الكتب ونشرها ، والبتث الإعلامى بجميع أنواعه وألوانه ، والتعليم فى الجامعات وغيرها ، وعقد المؤتمرات العلمية العامة والجمعية ، وتقديم الخدمات الاجتماعية الإنسانية ، وغير ذلك (٥).

= انظر : الضوء اللامع ١٠/٥٩-٦٢ ، شذرات الذهب ٧/٧٩-٨٠ ، البدر الطالع

٢/٢٧٢ ، معجم المؤلفين ١٢/٦٥-٦٦ ، الأعلام ٧/١١٨ .

(١) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ١٨٨-١٨٩ .

(٢) انظر : الإسلام والمستشرقون ص ٢٤١-٢٤٢ .

(٣) انظر : المرجع السابق ص ٢٤٧ .

(٤) انظر : الرسول صلى الله عليه وسلم فى كتابات المستشرقين ص ١٦ .

(٥) انظر : الإسلام والمستشرقون ص ٤٦٠ ، الفكر الإسلامى الحديث ص ٤١٨ .

صلتهم بالفكر الإسلامى

وأثر تلك الصلة فى إثارة الشبه حول السنة :

إذا بدأنا بالحروب الصليبية التى كانت نقطة التحول فى الصراع الفكرى والعقائدى والسياسى بين الغرب المسيحى والشرق المسلم ، وأنها الدافع الأساسى للنشاط الاستشرافى المكثف ، نستطيع أن نقول : إن اتصال الغرب بالشرق فى ذلك الوقت وخلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلادى اتصال عدائى مسلح ، متمثلاً فى تلك الحروب الطاحنة ، التى ظلت آثارها باقية حتى الآن .

ولما كان القرن السادس عشر هو منطلق الإصلاح الدينى فى الغرب ، كانت نهايته بداية الاتصال الاقتصادى المتمثل فى كشف موارد الثروة فى العالم الإسلامى أو استغلالها ونقلها إلى الغرب فى صورة تبادل تجارى أو غيرها .

وتبع هذا الاتصال الاتصال السياسى المتمثل فى سيطرة الغرب ونفوذه على العالم الإسلامى حتى بلغ أوجه خلال الفترة ما بين النصف الثانى من القرن التاسع عشر حتى الربع الأول من القرن العشرين .

وخلال هذه الفترة الاستعمارية عمل الغربيون على تخلف المسلمين بإبعادهم عن دينهم الحنيف حتى يتمكنوا من إخضاعهم إخضاعاً تاماً للسيطرة الغربية^(١).

وفى تلك الفترة كان الاستشراف فى ذروته لأنه كان مسنداً من قبل الحكومات الغربية التى كانت توفر لهم من الأسباب المعينة على دراسة العلوم الإسلامية حتى يتمكن الاستعمار الغربى فى البلاد الإسلامية ، وسبق أن ذكرنا أن من أهداف الاستشراف الهدف الاستعمارى^(٢).

(١) انظر : الفكر الإسلامى الحديث ص ١٥-١٧ .

(٢) انظر : الإسلام والمستشرقون ص ٣٥٤ ، الفكر الإسلامى الحديث ص ٤٣، ٤١٧ .

وقد بحث المستشرقون في كل مايتصل بالإسلام من تاريخ وفقه وتفسير وحديث وأدب وحضارة وصبغوا كل ذلك بصبغة علمية مما أدى بتلك البحوث أن تكون مراجع لكثير من طلبة العلم المتخصصين في المعاهد والجامعات العالمية^(١).

وقد غزت تلك البحوث العالم الإسلامى فى مؤسساته الفكرية والتربوية ومناهج التعليم ، وكان العديد من قادة الفكر الإسلامى قد تتلمذوا على أيدي أولئك المستشرقين عن طريق إيفادهم إلى الخارج واستقدام المستشرقين إلى البلاد الإسلامية للعمل فى المؤسسات الإسلامية الفكرية ومناهج التربية والتعليم^(٢).

وهكذا ظلت العلاقة موصولة ، والصلة وثيقة بين العالم الغربى والفكر الإسلامى ، ولكنها علاقة تستهدف الإسلام وبناءه الشاخ .

والمستشرقون الذين بحثوا فى كل جوانب الإسلام لم يغب عنهم أهمية السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم - فقد علموا أنها تتبوأ منزلة رفيعة ومكانة سامية فى الإسلام ، إذ هى المصدر التشريعى الثانى بعد القرآن ، وهى توضيحه وبيانه ، ولذا تناولوها بالطعن والتشويه والشبه ليتسنى لهم بعد ذلك أن يتلاعبوا بالقرآن الكريم ويؤولوه بما يحلو لهم ، بل وفى طعنهم فى السنة وهدمهم لصرحها هدم للإسلام برمته ، وعند ذلك تتهاوى أركان المجتمع الإسلامى - كما يزعمون - ويتبدد نظامه ويكون فريسة سهلة المنال لأعداء الإسلام المستشرقين^(٣).

قال محمد أسد : "إن العمل بسنة رسول الله هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه ، وإن ترك السنة هو الخلال الإسلام . لقد كانت السنة

(١) انظر : السنة ومكانتها ص ١٨٩ ، الاستشراق والمستشرقون للسباعى ص ٤٠ .

(٢) انظر : الإسلام والمستشرقون ص ٣٥٤ ، الرسول صلى الله عليه وسلم فى كتابات المستشرقين ص ٧٦ .

(٣) انظر : الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ص ٤٩ ، مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ٦٧/١ ، الإسلام والمستشرقون ص ٢١٩، ٤٥٣ .

الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الإسلام ، وإنك إذا أزلت هيكل بناء ما ، أفيد هشك أن يتقوض ذلك البناء كأنه بيت من ورق؟" (١).

وقال د. تقى الدين الندوى :

"فمن المعروف أن المستشرقين والمضلين ومنكرى السنة يذلون قصارى جهودهم لاسقاط السنة النبوية من مكانتها الرفيعة كمصدر تشريعى ثانى بعد كتاب الله العزيز إذ إنها شرحه وتفسيره وبيانه .

ويستهدفون من وراء ذلك هدم مجتمع الإسلام ونظامه لكى تسود الفوضى وتنتشر البلوى ، وعلى هذا التقى أعداء الإسلام ... فى عصور الحضارة الإسلامية الزاهرة مع أعداء الإسلام اليوم من المستشرقين ومن لف لفهم فى الحضارة الغربية المعاصرة ، لأن ضوء الإسلام الباهر يغيظ أعداء الإسلام ويغشى أبصارهم فيندفعون بعصبية عمياء حمقاء لتهديم كل مايتصل به من قرآن وسنة واجتهاد ولتشويه كل من حمل لواء الإسلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى حملته من أعلام السنة والحديث ، ولإفساد الحقائق المتصلة به من حضارة وتاريخ ، ولانشك أن هذه المعركة بين الإسلام وخصومه ستنتهى إلى هزيمتهم وكشف مقاصدهم الخبيثة الخبيثة . وسنة الله فى الحياة أن ينتصر الحق والعلم والنور دائماً وأبداً بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ، فإذا هو زاهق" (٢).

ولقد بارك المستشرقون موقف المعتزلة من السنة النبوية ، ورأوا أن وجهتهم فى رد الأحاديث بالعقل هى الوجهة الصحيحة التى يجب أن تناصر وتؤيد ضد المتشددىن الحرفيين الجامدين على النصوص . وأنهم - أى المعتزلة - هم الذين طهروا الإسلام مما به من شوائب التجسيم والأفهام الخاطئة التى نتجت من التمسك بظواهر النصوص والجمود عليها . فهم أهل العقل الحر والمنهج القويم الذى يجب أن يبقى ويستمر .

(١) الإسلام على مفترق الطرق ص ٨٧ .

(٢) الإسلام والمستشرقون ص ٣٥٣-٣٥٤ .

والآية (١٨) من سورة الأنبياء .

قال جولد زيهر (١):

"إنه إذًا ، ضد أشياع مذهب التجسيم أو التشبيه القديم هذا ، كان على المعتزلة أولاً وقبل كل شيء أن يقاتلوا في الميدان الديني كل هذه الآيات والأحاديث والنصوص المقدسة ، التي تنسب لله بظواهرها الصورة الإنسانية ، وأن يجعلوها لاتدل إلا على معان روحية ، وذلك بتأويل استعارية أو مجازية مؤسسة على مانعرف لله من نقاء وطهارة ومكانة ... أما فيما يختص بالحديث ، فإن المعتزلة كانوا يملكون تحت تصرفهم الوسيلة لرفض الأحاديث التي يبلوح منها مالا يصح أن يقبل من التجسيم أو التشبيه ، أو التي تجعل لمثل هذا مكاناً ، وهذه الوسيلة هي : الطعن فيها بعدم الصحة وبذلك يتحرر الإسلام من مجموعة كبيرة من الأقاصيص التي تراكمت ، بمساعدة الاعتقاد الشعبي الشره إلى الأساطير ، بصفة خاصة فيما يتصل بالدار الأخرى وما فيها ، والتي أيدتها دينياً صيغة الحديث" (٢).

وقال :

"ولكن مذهباً جديداً قدر له أن يكون أداة في المحافظة على الإسلام وتقاليده الفكرية في عالم العقول المستنيرة ، وهذا المذهب أو النظام هو

(١) جولد زيهر :

مستشرق مجرى يهودى ، رحل إلى سورية وفلسطين ومصر ولازم بعض علماء الأزهر . له تصانيف باللغات الألمانية والانكليزية والفرنسية . ترجم بعضها إلى العربية . مات سنة ١٩٢١م .
من آثاره : "ديوان الخطيئة" ، "فضائح الباطنية" ، "العقيدة والشرعية" . وغير ذلك .

انظر : الأعلام ٨٤/١ ، المستشرقون ٩٠٦/٣-٩٠٨ ، آراء المستشرقين حول القرآن ١٦١/١-١٦٢ .

قال السباعي :

"عرف بعدائه للإسلام وبخطورة كتاباته عنه ، ومن محررى دائرة المعارف الإسلامية . كتب عن القرآن والحديث ، ومن كتبه : "تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى" .
الاستشراق ص ٣١-٣٢ .

(٢) العقيدة والشرعية ص ١٠٩-١١٠ .

ما عرف في تاريخ الفلسفة باسم "علم الكلام" كما عرف رجاله باسم "المتكلمون" ... إنه كان من هؤلاء الجماعة الأتقياء الورعين ، المعتزلة ، أى الزهاد الذين يعتزلون الناس أولئك الذين دفعوا هذه الحركة أولاً إلى الأمام هذه الحركة التى جمعت الأوساط العقلية ، والتى دخلت لهذا فى تعارض - كان يزيد ويتضح شيئاً فشيئاً مع الآراء الدينية السائدة حينذاك .

وإنه فى نهاية تطور هذه الحركة فقط أن استحق أنصارها اسم المفكرين الأحرار فى الإسلام ... وبداية هذا المذهب الاعتزالى تدلنا على الأقل على نزعة التحرر من القيود الثقيلة المتعبة ، وعلى القضاء على الفهم السنى الصارم للحياة ... لقد كانوا الأوائل الذين وسعوا معين المعرفة الدينية بأن أدخلوا فيها عنصراً آخر قيماً وهو العقل الذى كان ، حتى ذلك الحين مبعداً بشدة عن هذه الناحية" (١).

هكذا مجد المستشرقون المعتزلة ومدحوا منهجهم العقلانى لأنهم وجدوا فيه تحقيقاً لمآربهم السيئة ونواياهم الخبيثة التى تهدف لهدم السنة وبالتالى إزالة الإسلام من على الأرض ، وقد فتح لهم المعتزلة الباب على مصراعيه وأعطوهم سلاحاً مضاعفاً ليفتكوا به الأحاديث الصحيحة الثابتة ، إنه سلاح الشبه العقلية التى يحكمها الهوى .

ومن هنا نستطيع أن نقول : إن المدرسة الاستشراقية امتداد للمدرسة الاعتزالية القديمة فى التعامل مع الأحاديث النبوية مع تباين هدف الرفض ، إذ المستشرقون همهم تشويه الإسلام والقضاء عليه ، وهو أمر لم يتظاهر به المعتزلة . والذى ينتبع كتب المستشرقين ومؤلفاتهم يجدها زاخرة بتمجيد العقل وتصويب منهج أهل الكلام الداعى إلى معارضة السنة الصحيحة بالعقل (٢).

(١) العقيدة والشريعة ص ١٠٠-١٠٢ ، وانظر : ص ١١٨-١٢٠ ، وانظر : تراث الإسلام ص ٢١٨، ٢٠٣ .

(٢) انظر : دراسات فى حضارة الإسلام ص ٢٦٨-٢٦٩، ٢٧٤ ، دائرة المعارف الإسلامية ص ٥٨٤٦٥٨، ٤٥٧٦ ، العقيدة والشريعة ص ١٠٧-١٠٨، ١١٢ .

الفصل الأول

شبهات المستشرقين حول الوحي النبوى

إن من أهم الأمور بل من أعظمها خطراً أمر الوحي والنبوة الذى أطلق المستشرقون لعقولهم الأعنة بالخوض والطعن فيه مستهدفين بذلك الإسلام كله ، لأنهم يعلمون أن القدح فى نبوته صلى الله عليه وسلم والنيل منها يؤدى إلى انهيار صرح الإسلام وتداعيه ، إذ الوحي هو الأساس الذى يبنى عليه الدين فإذا فقد فقد الدين .

ومن هنا كثفوا حملاتهم ، وزادوا هجماتهم ، يحملهم الحقد وتدفعهم البغضاء والعداء السافر ، يصدرون عن أحكام مغرضة ، وأقوال جائرة ، مجافين طرق البحث العلمى التزيه {ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون} (١).

لقد كان عدم التصديق بنبوته صلى الله عليه وسلم هو القاعدة التى انطلقوا منها فى بث كل شكوكهم ومطاعنهم فى بقية جوانب الإسلام . وقبل أن نتناول شبهات أولئك القوم لابد من وقفة تكشف من خلالها بالبراهين الساطعة والأدلة الدامغة التى تثبت صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى نبوته ، وأنه رسول من عند الله حقاً يوحى إليه ، لم يكن دعياً ولا كذاباً ولا مخادعاً ، بل ابتعثه الله لحمل رسالته ، وتبليغ دينه ، وإقامة حجته على جميع أهل الأرض ، فالسعيد من احتذى حذوه وسار على نهجه والشقى من تنكب طريقه {واتبع هواه وكان أمره فرطاً} (٢).

من ذلك :

(١) سورة التوبة : آية ٣٢

(٢) سورة الكهف : آية ٢٨

الفرط : هو الإسراف فى التقدم ومجاوزة الحد .

انظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم ٣٢٣/٢ .

"وكان أمره فرطاً" : أى أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع .

تفسير القرآن العظيم ٨١/٣ .

(١) قال تعالى : {إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده} (١).

ففى الآية دلالة على أن الله قد أوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى إلى الأنبياء السابقين ، فوحى إليه كوحى إليهم فى جنسه وموضوعه والغرض منه (٢).

فلم يكن بدعاً فى رسالته كما قال سبحانه : { قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بى ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلى وما أنا إلا نذير مبين } (٣). فلم يكن أول من أرسله الله ، فقد بعث من قبله رسل كثر . يقول ابن كثير رحمه الله :

{ قل ما كنت بدعاً من الرسل } أى لست بأول رسول طرق العالم بل قد جاءت الرسل من قبل فما أنا بالأمر الذى لانظير له حتى تستنكرونى وتستبعدون بعثتى إليكم فإنه قد أرسل الله جل وعلا قبلى جميع الأنبياء إلى الأمم " (٤).

وجنس الرسل معروف وهو معتاد فى الآدميين وإن كان قليلاً ، وقد جاء النبى بجنس ماجاءوا به ، بل أعظم مما جاءوا به فهو أحق بالتسليم له بالنبوة من سواه (٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"نبوة عين هذا النبى تكون ظاهرة ، لأن الذى جاء به أكمل مما جاء به جميع الأنبياء فمن أقر بجنس الأنبياء كان إقراره بنبوة محمد فى غاية الظهور ... ولهذا كان من نازع من أهل الكتاب فى نبوة محمد إما أن يكون بجهله بما جاء به وهو الغالب على عامتهم ، أو لعناده وهو حال طلاب

(١) سورة النساء : آية ١٦٣

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ٥٨٥/١ ، فتح البارى ٩/١ ، الوحى المحمدى ص ٣٥ .

(٣) سورة الأحقاف : آية ٩

(٤) تفسير القرآن العظيم ١٥٤/٤ .

(٥) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص ٢٩ .

الرياسة بالدين منهم" (١).

(٢) قال تعالى : { لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً } (٢).

فقد شهد الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأنه رسوله حقاً الذى أنزل عليه القرآن ، فما أعظمها من شهادة ، وما أعظمه من شاهد ثم ثنى بملائكته الذين شهدوا أيضاً بصحة الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم (٣). فمن لم يقبل شهادة الله بصدق نبيه وشهادة ملائكته بإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فليس من المؤمنين ، ولذا عقب الآية بقوله : { إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيداً } (٤). أى كفروا فى أنفسهم بعدم التصديق بوحيه إلى نبيه ثم صدوا غيرهم بإثارة الشبه والشكوك عن اتباع ذلك النبى والاقتداء به (٥).

(٣) قامت الشواهد على صدقه صلى الله عليه وسلم وشهد له بذلك العدو والصديق .

فقریش التى جابهته العداء ، وأخرجته من بينها ، وآذت من آمنوا معه ، كانت تقر بصدقه وأمانته .

عن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه الآية : { وأنذر عشيرتك الأقربين } (٦) ورهطك منهم المخلصين ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا .

(١) كتاب النبوات ص ٣٨-٣٩ .

(٢) سورة النساء : آية ١٦٦

(٣) انظر : الوحي المحمدى ص ٣٦ .

(٤) سورة النساء : آية ١٦٧

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم ٥٨٩/١ .

(٦) سورة الشعراء : آية ٢١٤

فهتف "يا صباحاه" (١) فقالوا : من هذا الذى يهتف؟ قالوا : محمد ، فاجتمعوا إليه ، فقال : "يابنى فلان! يابنى فلان! يابنى عبد مناف! يابنى عبد المطلب!" فاجتمعوا إليه فقال : "أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح (٢) هذا الجبل أكنتم مصدقي؟" قالوا : ماجربنا عليك كذباً . قال : "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ..." (٣) . وهذا من أقوى الأدلة على صدقه قبل البعثة وبعدها ، وأدري الناس به قومه وعشيرته وقد شهدوا له بذلك .

وخديجة رضى الله عنها لما جاء إليها وأخبرها بأمر الوحي وقال لها : "لقد خشيت على نفسي" قالت : "كلا والله ما يخفيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصديق الحديث وتحمل الكل (٤) ، وتكسب المعدوم (٥) ،

-
- (١) ياصباحاه : قال ابن الأثير : "هذه كلمة يقولها المستغيث ، وأصلها إذا صاحوا للغارة ، لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح ، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح ، فكأن القائل "يا صباحاه" يقول : غشنا العدو . وقيل : إن المقاتلين كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال ، فإذا عاد النهار عاودوه ، فكأنه يريد بقوله : ياصباحاه : قد جاء وقت الصباح فتأهبوا للقتال" . النهاية ٧-٦/٣ . الجمع سفوح . القاموس المحيط ص ٢٨٧ .
- (٢) أخرج البخارى نحوه فى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة الشعراء (٢٦) ، باب قوله : {وأُنذِرُ عشيرتك الأقربين} (٢) ، ١٧-١٦/٦ ، وفى تفسير سورة سبأ (٣٤) ، باب إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد (٢) ، ٢٩/٦ ، وفى تفسير سورة تبت يدا أبا لهب (المسد) (١١١) ، باب (١) ، وباب قوله : {وتب ما أغنى عنه ماله} (٢) ، ٩٥-٩٤/٦ .
- وأخرجه مسلم واللفظ له ، كتاب الإيمان (١) ، باب فى قوله تعالى : {وأُنذِرُ عشيرتك الأقربين} (٨٩) برقم ٢٠٨ ، ١٩٣/١-١٩٤ .
- (٤) الكل : بفتح الكاف : هو من لا يستقل بأمره . كما قال تعالى : {وهو كل على مولاه} . (سورة النحل : آية ٧٦) . فتح البارى ٢٤/١ . وانظر النهاية : ١٩٣/٤
- (٥) تكسب المعدوم : قال ابن الأثير : "أى يكسب ما يحرمه غيره . وقيل : أرادت تكسب الناس الشيء المعدوم الذى لا يجدونه مما يحتاجون إليه . وقيل : أرادت بالمعدوم الفقير الذى صار من شدة حاجته كالمعدوم نفسه . فعلى الأول يكون تكسب متعدياً الى مفعول واحد . وعلى القولين الآخرين يكون متعدياً الى مفعولين . النهاية ١٩٢-١٩١/٣ .

وتقرى (١) الضيف وتعين على نوائب (٢) الحق (٣).

فاستدلت على صدقه بمكارم الأخلاق وما اتصف به من أصولها صلى الله عليه وسلم فمثله لا يخزى ولا يهان .

وورقة بن نوفل الذى تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى مايكتب ، لما أخبره النبى صلى الله عليه وسلم خير مارأى قال له ورقة : " هذا الناموس (٤) الذى نزل الله على موسى (٥) فلم يكذبه فيما رأى وأخبر ، بل ثبتته فى أمره وأيده فى قوله .

ومثله قول النجاشى (٦) عندما قرىء عليه القرآن من قبل الصحابة

(١) تقرى الضيف : أى تضيفه . انظر : القاموس المحيط ص ١٧٠٦ .

(٢) نوائب : جمع نائبة . وهى ما ينوب الإنسان : أى يتزل به من المهمات والحوادث النهاية ١٢٣/٥ .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحي (١) ، باب (٣) ، من حديث عائشة رضى الله عنها ، ولم يذكر قولها : "وتصدق الحديث" ٣/١-٤ ، وفى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة اقرأ باسم ربك الذى خلق (العلق) (٩٦) ، باب (١) ٨٧/٦-٨٩ ، وفى كتاب التعبير (٩١) ، باب التعبير وأول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا (١) ، ٦٧/٨-٦٨ .

وأخرجه مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧٣) برقم ١٦٠ ، ١٣٩/١-١٤٢ .

(٤) الناموس : هو صاحب سر الخير ، كما أن الجاسوس صاحب سر الشر . وأراد بذلك جبريل عليه السلام ، لأن الله تعالى خصه بالوحي والغيب الذين لا يطلع عليهما غيره .

انظر : الفائق ١٨٣/١ ، النهاية ١١٩/٥ .

(٥) انظر تخريج الحديث السابق .

(٦) النجاشى :

هو أصحمة بن أبجر النجاشى . ملك الحبشة . واسمه بالعربية عطية ، والنجاشى لقب . أسلم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولم يهاجر إليه ، وليس له رؤية ، فهو صحابى من وجه ، تابعى من وجه . وكان رداً للمسلمين الذين هاجروا إليه فى صدر الإسلام ، نافعاً لهم ، محسناً إليهم . قيل إنه توفى فى العام التاسع للهجرة وصلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته صلاة الغائب .

انظر : أسد الغابة ١١٩/١-١٢٠ ، سير أعلام النبلاء ٤٢٨/١-٤٤٣ ، الإصابة ١٠٩/١

رضى الله عنهم وأجلوا له الأمر ، قال : "إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة" (١).

ومن أبلغ الأدلة والشواهد ما استدل به هرقل (٢) عظيم الروم على صدقه وإثبات نبوته . وذلك عندما وصله كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذى يدعو فيه إلى الإسلام . فاستدعى أبا سفيان ومن معه ثم طرح عليهم مجموعة من الأسئلة ، فسألهم عن نسبه فيهم ، وهل قال هذا القول أحد قبله؟ وهل كان فى آبائه من ملك؟ وهل يتبعه أشrafهم أم ضعفاؤهم؟ وهل يزيدون أم ينقصون؟ وهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه؟ وهل كانوا يتهمونهم بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ وهل يغدر؟ وهل قاتلوه؟ وكيف كان قتالهم إياه؟ وبماذا يأمرهم؟

ثم استدل بما أجابه به على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم فقال للترجمان (٣): "قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها . وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا ، فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسى بقول قيل قبله . وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا ، قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك هل كنتم

(١) وهو طرف من حديث أم سلمة فى شأن الهجرة الأولى إلى الحبشة . أورده ابن هشام فى السيرة النبوية من طريق ابن إسحاق ٢٠٥/١-٢٠٨ . وأخرجه أحمد عنها فى المسند ٢٠٣/١ ، ٢٩١/٥ .

وحسنه الشيخ ناصر الدين الألبانى . انظر شرح الطحاوية ص ١٥٣ الهامش . هرقل :

(٢) هو ملك الروم ، وهرقل اسمه ، ولقبه قيصر . وكان له علم فى دين النصرانية ، وهو الذى أرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم خطاباً يدعو فيه إلى الإسلام ، فأراد أن يسلم ولكن الروم أبى عليه فضن بملكه فلم يسلم .

انظر : البداية والنهاية ٢٦٢/٤-٢٦٨ ، فتح البارى ٣٣/١-٣٧ .

(٣) الترجمان : وتفتح . وهو الذى يترجم الكلام . أى ينقله من لغة إلى لغة أخرى والجمع التراجم . والتاء والنون زائدتان . النهاية ١٨٦/١ .

تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل . وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم . وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ، فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته^(١) القلوب . وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر . وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان ماتقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين . وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت^(٢) لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه^(٣) .

(٤) النبوة لها خواص مستلزمة لها تعرف بها ، وتلك الخواص خارقة لعادة غير الأنبياء ، وإن كانت معتادة للأنبياء فهي لا توجد لغيرهم . فإذا أتى مدعى النبوة بالأمر الخارق للعادة الذي لا يكون إلا لنبي لا يحصل مثله لساحر ولا كاهن ولا غيرهما كان دليلاً على نبوته^(٤) .

(١) البشاشة : هي الفرح بالشيء والانبساط إليه ، والإنس به .
انظر : النهاية ١٣٠/١ .

(٢) تجشمت الشيء إذا تكلفته . انظر المرجع نفسه ٢٧٤/١ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الوحي (١) ، باب (٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ٧-٥/١ ، وفي كتاب التفسير (٦٥) تفسير سورة آل عمران (٣) ، باب { قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء } (٤) ، ١٦٧/٥-١٦٩ وأخرجه مختصراً في كتاب الجهاد والسير (٥٦) ، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب (٧٦) ٢٢٥/٣ ، وفي باب هل يرشد المسلم أهل الكتاب أو يعلمهم الكتاب (٩٩) ٢٣٤/٣ .

وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير (٣٢) ، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل (٦) برقم ١٧٧٣ ، ١٣٩٣/٣-١٣٩٧ .

(٤) كتاب النبوات ص ٣٣ .

وقد اقتضت حكمة الله عدم التسوية بين الصادق والكاذب ، فهو لا يؤيد الكذاب بمثل ماأيد به الصادق قط ، بل لابد أن يفضحه ولا ينصره ، بل لابد أن يهلكه (١).

ومامن أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه مظهر لمن له أدنى تمييز (٢). فالذى يتتبع أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم وأخباره ومعجزاته ، وأخلاقه وصفاته ، ونصر الله له وتأييده ، وقيامه بما كلفه الله به على أكمل وجه ، وصبره على الأذى فى سبيل دين الله ، قطع قطعاً جازماً بصدق ذلك النبى صلى الله عليه وسلم . قال أبو الحسن الماوردى :

"ولم تنزل أمارات النبوة لأئحة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تدرج إليها وهو غافل عنها وغير متصنع بها فنهض بأعبائها حين أتته وقام بحقوقها حين لزمته غير واهل فيها ولا عاجز عنها إلى أن تكامل به الشرع فتم على أصل مستقر وقياس مستمر لا يدفعه عقل ولا ياباه قلب ولا تنفر منه نفس ، وهذا وهو أسمى لم يقرأ كتاباً ولا اكتسب علماً ، فأوضح كل ملتبس ، وبين كل مشتبه حتى رجع كثير من الملل إلى شريعته فى علم ماقصروا عنه من حقوق وعقود استوعب أقسامها وبين أحكامها ، وماذلك إلا بعون إلهى وتأيد لاهوتى ، وحسبك بهذا شاهداً لو اقتصرنا عليه ، وحجاباً لو اكتفينا به" (٣).

(٥) إن كمال الإسلام وسده حاجة البشرية فى كل زمان ومكان ، واستمراريته طيلة القرون السابقة ، وإقبال الناس عليه ، والتمسك به والدفاع عنه ، أصدق دلالة وأقوى حجة على أنه دين من عند الله تعالى أوحى به إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ، لادخل للبشر فيه .

(١) المرجع السابق ص ٢٤٤، ٢٤٥ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٥٠ .

(٣) أعلام النبوة ص ٥٦ .

قال كارليل (١):

"لقد أصبح من أكبر العار على أى فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى مايظن من أن دين الإسلام كذب ، وأن محمداً خداع مزور ، وأن لنا أن نخارب مايشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة . فإن الرسالة التى أداها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرناً لنحو مائتى مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذى خلقنا ، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التى عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفاتئة المحصر والإحصار أكذوبة وخدعة؟ أما أنا فلاأستطيع أن أرى هذا الرأى أبداً . ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول فما الناس إلا بله ومجانين وماالحياة إلا سخف وعبث وأضلولة كان الأولى بها ألا تخلق . فواأسفاه! ماأسوأ مثل هذا الزعم وماأضعف أهله ... فعلى من أراد أن يبلغ منزلة ما فى علوم الكائنات أن لا يصدق شيئاً البتة من أقوال أولئك السفهاء فإنها نتاج جيل كفر وعصر جحود والحاد وهى دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر وموت الأرواح فى حياة الأبدان" (٢).

هذا قليل من كثير مما يؤيد صدق نبوته صلى الله عليه وسلم ، وأنه رسول من عند الله يوحى إليه . وسوف تأتى بعض الأدلة الأخرى من خلال الرد على الشبه .

(١) هو توماس كارليل . كان من المستشرقين المنصفين الذين قالوا كلمة حق فى الإسلام ، ولم يؤمن به . له كتاب "الأبطال" عقد فيه فصلاً رائعاً عن النبى صلى الله عليه وسلم . مات سنة ١٨٨١م .

انظر : المستشرقون ٤٨١/٢ ، آراء المستشرقين حول القرآن ٧٤/١ .

(٢) الأبطال ص ٥٤-٥٥ ، وانظر ص ٥٨ .

عرض شبهات المستشرقين حول الوحي النبوي والجواب عنها:

الوحي لغة : هو إعلام في خفاء (١).
وفي الشرع : هو الإعلام بالشرع (٢).
وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وحي من عند الله كصنوها القرآن ،
وتصديق ذلك قوله سبحانه وتعالى : {وما ينطق عن الهوى} إن هو إلا وحي
يوحي (٣). وقال صلى الله عليه وسلم : "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"
الحديث (٤).

وقال حسان بن عطية (٥) رحمه الله : "كان جبريل (عليه السلام)
يتزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة كما يتزل عليه بالقرآن" (٦).
ومن هنا كان القدح في الوحي وفي نبوة النبي صلى الله عليه وسلم
قدحاً في السنة كما هو قدح في القرآن .

ولقد ركز المستشرقون جل جهودهم ، وبذلوا قصارى جهدهم في
الوصول إلى نفى النبوة وسلبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن

(١) لسان العرب ٢٥٧/١٢ ، مختار الصحاح ص ٧٣٨ .

(٢) فتح الباري ٩/١ .

(٣) سورة النجم : آية ٤، ٣ .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه من حديث المقدام بن معديكرب . إلا أنه قال : "أوتيت
الكتاب" . كتاب السنة ، باب في لزوم السنة برقم ٤٦٠٤ ، ٢٠٠/٤ .

وسنده صحيح . انظر مشكاة المصابيح ٥٨/١ ، الهامش .

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده بلفظه عن المقدام ١٣١/٤ .

وقد نص الشيخ ناصر الدين الألباني على صحة الحديث .

انظر : صحيح سنن أبي داود ٨٧١/٣ ، حديث رقم ٣٨٤٨ .

(٥) هو المحاربي ، مولا هم ، أبو بكر الدمشقي ، ثقة ، فقيه ، عابد . روى عن أبي
أمامة ، وابن المسيب ، وعنه الأوزاعي ، وأبو غسان محمد بن مطرف . مات بعد
العشرين ومائة .

انظر : الجرح والتعديل ٢٣٦/٣ ، الكاشف ٢١٧/١ ، تقريب التهذيب ١٦٢/١ .

(٦) سنن الدارمي ، المقدمة ، باب السنة قاضية على الكتاب ١٤٥/١ .

ما جاء به نتاج بشرى وليس من عند الله تعالى . ولذا حاولوا أن يفسروا
الوحي تفسيراً يؤدي بهم إلى هذا الزعم الجائر والضلال البين .
وقد تباينت أقوالهم وتضاربت آراؤهم في بيان حقيقة أمر الوحي
وكنهه .

وإليك ما أنتجته عقولهم وسطرته أقلامهم من شبه حول ظاهرة الوحي
الإلهي إلى خاتم الرسل ، صلى الله عليه وسلم . وهي تدور حول محورين :
الأول : إنه أمر ذاتي ، أي من داخل نفس النبي صلى الله عليه وسلم .
الثاني : إنه أمر خارج عنه ، ولكن ليس من عند الله سبحانه .

(أ) أما المحور الأول فانه يحوى بين طياته عدة تفسيرات للوحى :

(١) الوحى النفسى :

إن محمداً كان من أصحاب النفوس الصافية والخيال الواسع ، والإحساس العميق ، والعقل المتوقد ، ولذا انصرف فى وقت مبكر إلى التفكير فى المسائل الدينية ، ولم يجد فى العبادة الوثنية التى تقوم من حوله ما يروى ظمأه الروحى (١).

وهذه الأفكار ولدت إلهاماً فى نفسه فاض من عقله الباطن على مخيلته وانعكس على بصره وسمعه فتصور أنه يرى ملكاً يخاطبه ، أو يتمثل له رجلاً ، أو يرى فى منامه ما اعتقد أنه وحى من الله كلف بإبلاغه إلى بنى وطنه (٢).

يقول المستشرق بروكلمان (٣)، مصوراً لنا الوحى النفسى :

"بينما كان بعض معاصرى النبى كأمية بن أبى الصلت (٤) شاعر الطائف وهى بلدة بجزاء مكة ، يكتفون بوحدانية عامة ، كان محمد يأخذ بأسباب

(١) انظر : تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٣٤ .

(٢) انظر : مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ٢٦/١ ، ٢٢٨/١-٢٢٩ ،

تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٦٨ ، آراء المستشرقين حول القرآن ٣٨٢/١ .

(٣) بروكلمان :

هو كارل بروكلمان . مستشرق ألماني ، تعلم اللغة العربية وكان عالماً بتاريخ الأدب العربى . عضو المجمع العربى وكثير من المجمع الأخرى بألمانيا . مات سنة ١٩٥٦م . من آثاره : "تاريخ الأدب العربى" ، "تاريخ الشعوب الإسلامية" وغيرها .

انظر : الأعلام ٢١١/٥-٢١٢ ، المستشرقون ٧٧٧/٢-٧٨٣ ، المستشرقون الألمان ص ١٥٣-١٦٢ ، آراء المستشرقين حول القرآن ١٩٧/١-١٩٨ .

(٤) أمية بن أبى الصلت :

هو أمية بن عبد الله بن أبى الصلت بن أبى ربيعة بن عوف الثقفى . شاعر جاهلى من أهل الطائف . فى شعره حكم . اطلع على الكتب القديمة ، وقد لقى النبى صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن به . مات سنة ٥٥ هـ على خلاف فى ذلك .

انظر : البداية والنهاية ٢٢٠/٢-٢٢٩ ، الإصابة ١٢٩/١-١٣٠ ، الأعلام ٢٣/٢ .

التحنث (١)، والتنسك (٢)، ويسترسل في تأملاته حول خلاصه الروحي ، ليالى بطولها في غار حراء (٣) قرب مكة. لقد تحقق عنده أن عقيدة مواطنيه الوثنية فاسدة فارغة ، فكان يضح في أعماق نفسه هذا السؤال : إلى متى يمدهم الله في ضلالهم ، مادام هو عز وجل قد تجلى ، آخر الأمر ، للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه؟ وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة ، رسالة النبوة ، ولكن حيائه الفطري حال بينه وبين إعلان نبوته فترة غير قصيرة ، ولم تتبدد شكوكه إلا بعد أن خضع لإحدى الخبرات الحارقة في غار حراء . ذلك بأن طائفا تجلى له هنالك يوما ، هو الملك جبريل على ما تمثله محمد في مابعد ، فأوحى إليه أن الله قد اختاره لهداية الأمة . وآمنت زوجه في الحال ، برسالته المقدسة ، وتحرر هو نفسه من آخر شكوكه بعد أن تكررت الحالات التي ناداه فيها الصوت الإلهي وتكاثرت . ولم تكد هذه الحالات تنقضى حتى أعلن ماظن أنه قد سمعه ، كوحى من عند الله " (٤) .

-
- (١) التحنث : هو التعبد . من الحنث وهو الإثم . أى يفعل فعلا يخرج به من الإثم والخرج . انظر : لسان العرب ١٣٨/٢-١٣٩ ، الصحاح ٢٨٠/١ مادة (حنث) . وانظر : الفائق ٢٧٢/١ ، النهاية ٤٤٩/١ .
- (٢) التنسك : هو التعبد . من النسك وهو الطاعة والعبادة ، وكل ما يتقرب به إلى الله تعالى . انظر : لسان العرب ٤٩٨/١٠-٤٩٩ ، الصحاح ١٦١٢/٤ مادة (نسك) . وانظر : النهاية ٤٨/٥ .
- (٣) حراء : جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال . معجم البلدان ٢٣٣/١ ، مراصد الاطلاع ٣٨٨/١ .
- (٤) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٣٦ .

ويجاب عن ذلك بما يلي :

(١) لقد بين الله سبحانه وتعالى أن الوحي أمر خارج عن نفس النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس نابعاً من داخلها ، بل حمله جبريل عليه السلام من عند الله إليه ، كما قال سبحانه :
 {وإنه لتنزِيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين} (١).

فحامله عليه السلام ملك منفصل عن ذات محمد صلى الله عليه وسلم ليس خيلاً فيها ، وله من الصفات ما بينها الله في قوله :

{إنه لقول رسول كريم . ذو قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثم أمين . وما صاحبكم بمجنون . ولقد رآه بالأفق المبين . وما هو على الغيب بضنين . وما هو بقول شيطان رجيم . فآين تذهبون . إن هو إلا ذكر للعالمين . لمن شاء منكم أن يستقيم . وماتشؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين} (٢).

(٢) إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يستشرف النبوة ، وما كان يرجوها ، ولم يطمع في حصولها له ، بل لم يرد في الأخبار الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم يرجو أن يكون هو النبي المنتظر الذى يتحدث عنه علماء اليهود والنصارى قبل البعثة ، ولو ثبت ذلك عنه لما ترك المحدثون تدوينه ، وقد دونوا ذلك عن أمية بن أبى الصلت لما كان يتوقع أن يكون نبياً .

(١) انظر مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ٢٦/١ .

والآيات هى ١٩٢-١٩٥ من سورة الشعراء .

(٢) انظر كتاب النبوات ص ٢٥١ . والآيات هى ١٩-٢٨ من سورة التكوين .

وقد جاء في القرآن نفى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :
 {وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك} . فما كان صلى
 الله عليه وسلم يظن أن الوحي قبل إنزاله عليه يتزل عليه ، وإنما أنزله الله
 رحمة به وبالعباد ، فهو نعمة من الله وفضل (١).

وأما اختلاؤه صلى الله عليه وسلم وتعبده في الغار عام الوحي ،
 فلاشك في أنه كان عملاً كسبياً مقويّاً لذلك الاستعداد الوهبي ، ولذلك
 الاستعداد السلبي ، من العزلة وعدم مشاركة المشركين في شيء من عباداتهم
 ولعاداتهم ، ولكنه لم يكن يقصد به الاستعداد للنبوة ، لأنه لو كان لأجلها
 لاعتقد حين رأى الملك أو عقب رؤيته حصول مأموله وتحقيق رجائه ، ولم
 يخف منه على نفسه ، وإنما كان الباعث لهذا الاختلاء والتحنث اشتداد
 الوحشة من سوء حال الناس والهرب منها إلى الأئس بالله تعالى والرجاء في
 هدايته إلى المخرج منها (٢).

(٣) إن الوحي الذي حدث للنبي صلى الله عليه وسلم هو حدث إلزامي
 فجائي طارئ لا يمكن إحضاره واجتلابه ، وبالتالي لا يمكن دفعه ورده .
 ومن أوضح الأدلة على ذلك ما يعتريه من أعراض جسدية لاسيطرة له
 عليها ، كاحمرار وجهه وتتابع أنفاسه وسماع غطيط منه (٣) ، وما يتقاطر منه
 من عرق في اليوم الشديد البرد (٤) ،

(١) انظر : الوحي المحمدي ص ١٢٣، ١٢٤ ، نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن
 ص ٢٢٥ ، الإسلام والمستشرقون ص ٢٠٨ ، تفسير القرآن العظيم ٣/٣-٤ .

والآية هي ٨٦ من سورة القصص .

(٢) الوحي المحمدي ص ١٣١-١٣٢ .

(٣) انظر : صحيح البخاري ، كتاب الحج (٢٥) ، باب غسل الخلق ثلاث مرات
 (١٧) من حديث يعلى بن أمية ١٤٤/٢ .

صحيح مسلم ، كتاب الحج (١٥) ، باب ما يباح للمحرم (١) برقم ١١٨٠ ،
 ٨٣٦/٢-٨٣٧ .

(٤) انظر : صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي (١) ، باب كيف كان بدء الوحي
 (١) ، من حديث عائشة رضي الله عنها ٣-٢/١ .

وثقل جسمه (١)، وما يسمعه الصحابة عند وجهه من صوت كدوى النحل (٢).

وهذه الأعراض لا تعتريه صلى الله عليه وسلم إلا في فترات وجيزة وبرهات متقطعة وذلك عند نزول الوحي عليه .
ومما يدل على ذلك أيضاً ما انتابه من أحوال نفسية تمثلت في خوفه صلى الله عليه وسلم من ملك الوحي في مبدأ أمره ، كما جاء في رواية عائشة رضى الله عنها . وقوله : "لقد خشيت على نفسي" (٣).
وقوله : "زملوني زملوني حتى ذهب عنه الروح" (٤).
وفي رواية جابر : "فجثت منه فرقاً حتى هويت إلى الأرض" (٥)(٦).
قال النووي رحمه الله في شرحه لرواية عائشة رضى الله عنها :

-
- (١) انظر : صحيح البخارى ، كتاب الصلاة (٨) ، باب ما يذكر في الفخذ (١٢) من حديث زيد بن ثابت ٩٧/١ ، كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة القيامة (٤) ، باب {لا يستوى القاعدون من المؤمنين} (١٨) ، ١٨٢/٥ .
- (٢) انظر : مسند أحمد ، من حديث عمر ٣٤/١ .
قال الشيخ أحمد محمد شاكر : "إسناده صحيح" .
مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر ٢٥٥/١ ، مصنف عبد الرزاق ، باب تعليم القرآن وفضله برقم ٦٠٣٨ ، ٣٨٣/٣ .
مستدرک الحاكم ٥٣٥/١ ، وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي .
- (٣) الحديث سبق تخريجه . انظر ص : ٣٦٢
- (٤) سبق تخريجه . انظر ص : ٣٦٢
- وزملوني : أى لفوني بالثياب . انظر : الفائق ١٢٢/٢ ، النهاية ٣١٣/٢ .
والروح هو الخوف والفرع . انظر : النهاية ٢٧٧/٢ .
- (٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان (١) ، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧٣) ، برقم ١٦١ ، ١٤٣/١ .
وجثت منه : أى فزعت منه وخفت . وقيل معناه : قلعت من مكانى . من قوله تعالى : {اجثت من فوق الأرض} (سورة إبراهيم : آية ٢٦) . النهاية ٢٣٩-٢٣١/١
- (٦) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن ص ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠ .

"حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك" (١) قال :
 "أى جاءه الوحي بغتة فإنه صلى الله عليه وسلم لم يكن متوقعاً
 الوحي" (٢).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في قولها "في اليوم الشديد
 البرد" (٣): دلالة على كثرة معاناة التعب والكرب عند نزول الوحي ، لما فيه
 من مخالفة العادة ، وهو كثرة العرق في شدة البرد ، فإنه يشعر بوجود أمر
 طارئ زائد على الطباع البشرية" (٤).

والدليل على أنه صلى الله عليه وسلم لاقدرة له على إحضار الوحي
 وجلبه ، فتور الوحي وانقطاعه عنه فترة من الزمن حتى شق ذلك عليه
 وأحزنه وأقضى مضجعه ، ثم جاءه جبريل بعد ذلك بقوله : {والضحى .
 والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى} (٥).

(١) أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب التفسير (٦٥) ، باب تفسير سورة اقرأ باسم
 ربك الذى خلق (العلق) (٩٦) ، ٨٧/٦-٨٩ ، وفي كتاب التعبير (٩١) ، باب
 التعبير وأول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ٦٧/٨-٦٨ .
 وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان (١) ، باب بدء الوحي (٧٣) برقم ٢٥٢
 ١٣٩/١-١٤٢ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٩/٢ .

(٣) سبق تخريجه . انظر ص ٣٧٢

(٤) فتح البارى ٢١/١ .

(٥) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ١٥٠/١ ، نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في
 القرآن ص ٢٠٠ .

والآيات هي ١-٣ من سورة الضحى .

وانظر : صحيح البخارى ، كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة الضحى (٩٣) ،
 ٨٦/٦ .

وانظر في انقطاع الوحي وحزن النبي صلى الله عليه وسلم : صحيح البخارى ،
 كتاب التفسير (٦٥) ، باب تفسير سورة اقرأ باسم ربك الذى خلق (العلق) (٩٦)
 ٨٨/٦ .

صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب بدء الوحي (٧٣) ١٤٣/١ .

ومن ذلك ما رواه الإمام البخارى فى صحيحه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عندما أبطأ جبريل فى النزول عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟" فتزلت : {وما تنتزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا} (١)(٢).

ومن ذلك حادثة الإفك (٣) عندما رميت السيدة عائشة رضى الله عنها زوجها بما رميت به ، ولبت صلى الله عليه وسلم شهراً لا يوحى إليه فى شأنها حتى استدعى على بن أبى طالب وأسامه بن زيد يستأمرهما فى فراق أهله ، وحتى قال لها :

"يا عائشة فإنه بلغنى عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيروك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه" (٤).

(١) سورة مريم : آية ٦٤

(٢) صحيح البخارى ، كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم (٦) ، ٨٠/٤ ، وفى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة كهيعص (مريم) (١٩) ، باب قوله : {وما تنتزل إلا بأمر ربك} (٢) ، ٢٣٧/٥ ، وفى كتاب التوحيد (٩٧) ، باب {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين} (٢٨) ، ١٨٨/٨ .

(٣) الإفك : فى الأصل الكذب . وأريد به هنا ما كذب به على عائشة رضى الله عنها فيما رميت به .

انظر : الفائق ٤٩/١ ، النهاية ٥٦/١ .

(٤) هذا جزء من حديث عائشة رضى الله عنها الطويل فى حادثة الإفك . والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الشهادات (٥٢) ، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً (١٥) ، ١٥٨-١٥٤/٣ ، وفى كتاب المغازى (٦٤) ، باب حديث الإفك (٣٤) ، ٦٠-٥٥/٥ ، وفى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة النور (٢٤) ، باب {لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً} (٦) ، ٩-٥/٦ .

وأخرجه مختصراً فى كتاب الشهادات ، باب إذا عدل رجل أحداً فقال لانعلم إلا خيراً (٢) ، ١٤٧-١٤٦/٣ ، وفى كتاب التفسير ، تفسر سورة يوسف (١٢) ، باب قوله {بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصير جميل} (٣) ، ٢١٦/٥ ، وفى تفسير سورة النور ، باب {إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا} (١١) ، ١٣-١١/٦ .

ففى هذه الحادثة أقوى دلالة على أنه صلى الله عليه وسلم لاسيطرة له على الوحي ولاهيمنة ، وإنما هو أمر من عند الله تعالى .

ومن ذلك : إن قريشاً بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط إلى يهود المدينة يستخبروهم فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن يسألوه عن أهل الكهف ، وذى القرنين والروح ، فسألوه ، فقال صلى الله عليه وسلم : "أخبركم بما سألتكم عنه غداً" ولم يستثن . فانصرفوا عنه ، فمكث خمس عشرة ليلة لم يأته الوحي ، حتى أرجف أهل مكة ، وقالوا : وعدنا محمد غداً ، واليوم خمس عشرة ليلة ، وقد أصبحنا منها لايجربنا بشيء مما سألناه عنه وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه وشق عليه مايتكلم به أهل مكة . ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة الكهف ، وفيها معاتبته على حزنه عليهم وخبر ماسألوه (١).

(٤) أقام صلى الله عليه وسلم فى قومه أربعين سنة قبل أن يوحى إليه ولم يكن معروفاً بينهم بالعلم والمعرفة ، ولاالتخيل ، ولاالوهم الدينى ، ولاالشعر ، ولاالخطابة ، بل كان أمياً لامعرفة له بالكتابة ولاالقراءة ، ولكنه فجأة يدعوهم إلى عقيدة حكيمة ، وعبادات سليمة ، وآداب مستقيمة ، وأخلاق قوية ، فأشربها ملايين البشر ودانوا لله بها ، ولم يأت مايبين عدم صحتها أو استقامتها .

= وفى كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى {يريدون أن يبدلوا كلام الله} (٣٥) ، ١٩٨/٨ ، وفى باب قول النبى صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع الكرام البررة (٥٢) ، ٢١٤/٨ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب التوبة (٤٩) ، باب فى حديث الإفك (١٠) برقم ٢٧٧٠ ، ٢١٣٦-٢١٢٩/٤ .

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ١/١٨٠، ١٨١ ، تفسير القرآن العظيم ٣/٧١-٧٢ . وقد أورده البيهقى من طريق ابن إسحاق . وفى سنده راو لم يسم . دلائل النبوة ٢/٢٦٩-٢٧١ .

فلا يمكن لهذه الأحكام التي تتسم بالكمال والاستمرارية أن تكون صادرة إلا من الخالق العظيم المطلع على غيب السموات والأرض سبحانه وتعالى (١).

قال الله تعالى : {قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ، ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون} (٢).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى :

{قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به} : "أى هذا إنما جئكم به عن إذن الله لى فى ذلك ومشئته وإرادته ، والدليل على أنى لست أقوله من عندى ولا افتريته أنكم عاجزون عن معارضته وأنكم تعلمون صدقى وأمانتى منذ نشأت بينكم إلى حين بعثنى الله عز وجل لاتنتقدون على شيئا تغمصونى به ولهذا قال : "فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون" : أى أفليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل" (٣).

(٥) النبوة ليست أمرا كسبيا يناله المرء بسعيه وكسبه ، ولا تخضع لجهد فكرى أو ترقى روى وأخلاقى ، ولا تنال بالقيم الدنيوية ، ولا الاعتبار المادية ، فليست بابا مفتوحا يلج من خلاله من سمت نفسه ، أو عظم لإشراقه ، بل هى اصطفاء إلهى يختص به من يشاء من عباده ، {والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم} (٤). وقد حكى الله عن المشركين عندما قالوا : {وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم} أجابهم بقوله : {أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض

(١) انظر : الوحي المحمدى ص ١٣٧، ٩٣ ، الإسلام والمستشرقون ص ٣٢٢ .

(٢) سورة يونس : آية ١٦

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤١٠/٢ .

(٤) انظر : كتاب النبوات ص ٤٢٢ ، نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص ٢٠٦

مناهج للمستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ٢٧/١ .

والآية هى ١٠٥ من سورة البقرة .

درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون} (١).
وقال تعالى : {الله أعلم حيث يجعل رسالته} (٢)، وقد جعلها في محمد
صلى الله عليه وسلم كما جعلها في الرسل قبله ، واصطفاه لذلك ، فأى
غرابة وعجب في ذلك؟ إن قدح بروكلمان ومن شايعه في إثبات الوحي
لمحمد صلى الله عليه وسلم يقدح في ديانتهم وفي رسوله الذى يؤمن به ، فما
قاله هنالك في إثبات الوحي يلزمه أن يقوله هنا ، إذ لا فارق بين
الوحيين (٣).

ولكن لعل بروكلمان يرى كما يرى غيره من أهل ملته أن الوحي
هو حلول روح الله في روح الموحى إليه . ولأجل ذلك ألهموا رسولهم ،
وهذا تعريف خاطيء للوحي ، وقول فاسد بل هو كفر والحاد ، فالله لا يحل
في غيره ولا يحل فيه غيره (٤).

(٦) أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بدعوته في قوله :
{فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين} (٥)، فالتزم صلى الله عليه
وسلم أمر ربه وأعلنها مدوية في سماء مكة ، وبأدى قومه بالإسلام ، مظهراً
لأمره ، معلناً له ، فعاب آلهتهم وبين ضلالهم وانحرافهم عن الحق ، فقاموا
في وجهه وكشفوه العداء ، وهو في صلابة لا ينثنى ولا يلين ، فذهبوا إلى عمه
الذى حذب عليه وحماه فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا
وعاب ديننا وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما أن
تخلى بيننا وبينه ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم مضى على ما هو
عليه ، يظهر دين الله ، ويدعو إليه ، فعاد زعماء القوم إلى أبى طالب مرة
أخرى ، فقالوا : إنا والله لانصير على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا

(١) سورة الزخرف : آية ٣١، ٣٢

(٢) سورة الأنعام : آية ١٢٤

(٣) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن ص ١٦٦، ١٧٠ .

(٤) انظر : مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ص ٢٧ .

(٥) سورة الحجر : آية ٩٤

وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك ، حتى يهلك أحد الفريقين^(١).

فقد لقي النبي صلى الله عليه وسلم من قومه مالمقى ، من العنت والشدة ، فلو أن أمر الوحي كان ذاتياً ينبع من نفسه كيف صبر على مواجهة أولئك ، وهو أمر لاتستحسنه النفوس ، ولاتسعى إليه؟ بل هو وحي من الله وماعلى الرسول إلا الالتزام والانصياع والطاعة^(٢).

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ١٥٩/١-١٦١ .

(٢) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص ٢٠٨ .

(٢) أن الوحي ظاهرة للإصلاح الاجتماعي :

لقد عاش محمد في مكة وكان على علم ودراية بحالة المجتمع الذي يعيش فيه ، فقد كانت المادية مؤثرة على ذلك المجتمع ، وتحكم فيه الكبراء على الضعفاء والأغنياء على الفقراء ، وساد فيه الظلم والأنانية وحب الذات ، وسوء المعاملة ، وقد لمس محمد ذلك بنفسه لأنه كان يتيماً ، فأثرت تلك العوامل في نفسه فلجأ إلى الكهوف والغيان ليفكر في أمور دينية يعالج من خلالها مايسود في مجتمعه من فساد اجتماعي .

وهناك تملكه شعور بأن الله يدعوه ، وأصبح هذا الشعور قوة تدفعه إلى أن يكون مريباً لقومه ، ومبشراً ومنذراً لهم^(١). يقول المستشرق وات^(٢):

"لابد أن محمداً كان واعياً منذ وقت مبكر من عمره بمشاكل مكة الاجتماعية والدينية ، وكونه يتيماً جعله بلاشك أكثر إدراكاً لليلة الموجودة في المجتمع . أما نظرته الدينية فالمحتمل أنها كانت نوعاً من التوحيد الغامض الموجود بين أكثر المكيين استنارة ولكن لابد أنه كان بالإضافة إلى ذلك يبحث عن نوع من الإصلاح في مكة وكل الأشياء في بيئته ستجتمع لتقترح أن هذا الإصلاح لابد أن يكون دينياً .

بهذه الحالة العقلية تعمد محمد فيما يبدو البحث عن العزلة ليفكر في مسائل إلهية ويقوم ببعض العبادات ربما للتكفير عن الذنوب"^(٣).

(١) انظر : العقيدة والشرعة ص ٧-٨ .

(٢) هو دبليو منتجمري وات . عميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبرة . له عدة مؤلفات عن الإسلام منها : "محمد في مكة" ، "محمد في المدينة" ، "الوحي الإسلامي في نظر العالم الحديث" ، "الجدل الديني" .

انظر : المستشرقون ٥٥٤/٢ ، آراء المستشرقين حول القرآن ١٠٧/١ .

(٣) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ٢٢٠/١-٢٢١ .

ويقول المستشرق الألماني هوبرت جريمي^(١) في كتابه محمد :

"لم يكن محمد في بادئ الأمر يبشر بدين جديد ، بل إنما كان يدعو إلى نوع من الاشتراكية . فالإسلام في صورته الأولى الأصلية لم يكن يحتاج إلى أن نرجعه إلى ديانة سابقة تفسر لنا تعاليمه ، ذلك لأننا إذا نظرنا إليه عن كثب ، نراه لم يظهر إلى الوجود كعقيدة دينية ، بل كمحاولة للإصلاح الاجتماعي تهدف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة ، وعلى الأخص إلى إزالة الفروق الصارخة بين الأغنياء الجشعين ، والفقراء المضطهدين ... لذلك نراه يفرض ضريبة معينة لمساعدة المحتاجين ، وهو إنما يستخدم فكرة الحساب في اليوم الآخر كوسيلة للضغط المعنوي وتأييد دعوته"^(٢).

(١) هو برت جريمي "جرميته" :

هو أستاذ اللغات الشرقية في مونستر .

من آثاره : "محمد" ، "ترجمة القرآن" ، "عرب الشام قبل الإسلام" . وله عدة

دراسات أخرى . مات سنة ١٩٤٢م .

انظر : المستشرقون ٧٦٠/٢ .

(٢) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ٢٧/١ ، وانظر : ٢٧/١-٢٨ .

ويجاء عن ذلك بما يلي :

إن تصور المستشرقين للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه مصلح اجتماعي وليس نبياً من عند الله ، تصور ينبني على عجز هؤلاء المستشرقين عن فهم الوحي فهماً حقيقياً .

وذلك لانغماسهم في الماديات التي أثرت على تلك العقول فلم تصفوا لفهم ما وراء حاجز المادة ، وإنما حصرت نفسها بين جدران المحسوسات ، وليتها وقفت هنالك صامتة مكمنة الأفواه ولكنها كشفت عن مزيد جهلها بإنكارها لعالم الغيب ، أضف إلى ذلك ما يساير هذا الإنكار من دس وطعن وتشويه وتعصب وتضليل .

لقد وصفوا النبي صلى الله عليه وسلم بكونه مصلحاً اجتماعياً ليضاف إلى صف المصلحين الكثر الذين وجدوا في هذا العالم فتخلع عنه عند ذلك صفة النبوة ويذوب في مجاهل التاريخ كما ذاب كثير من أولئك الذين قاموا بخدمات جليلة لإصلاح مفاصل مجتمعاتهم .

هذا خلط وفهم سقيم لمقام النبوة التي هي وهب إلهي مع مواقف بعض البشر الذين سمت أنفسهم وصفت أذهانهم فثاروا على وضع ما أو تصحيح خطأ ما .

يقول د. نذير حمدان :

"ومعظم المستشرقين الذين يدرسون ظاهرة الوحي والنبوة إنما يدرسونها من خلال الأحداث الإنسانية والأحوال البشرية ، وكثيراً ما يستعينون بالدراسات النفسية والتحليلات التاريخية في دراسة هذه الظاهرة كما تدرس بطولات آدمية وعبقريات إنسانية ، فإذا بهم يخلطون بين النبوة والعبقرية ، ويلتبس عليهم معاني البطولة ومعاني الرسالة" (١).

(١) الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين ص ٢٩ .

ويقول د. عماد الدين خليل كاشفاً للمنطلق الذى انطلق منه وات فى زعمه السابق . يقول :

"فإنه - أى وات - لم يستطع الفكاك من نقاط الشد الأخرى التى تمسك بتلابيب العقل الغربى : النزوع العلمانى ، والمسلمات المادية ، والرؤية الوضعية ، والانحسار على المنظور ، واعتقاد القدرة على إخضاع كل ظاهرة تاريخية أو بشرية لمقولات التحليل العقلى الخالص ، حتى ولو كانت "غيبية" تند عن التعليل والتحليل" (١).

وعجباً لهؤلاء المستشرقين الذين يغمضون أعينهم عن رؤية الحقائق البينة الماثلة أمام كل ذى لب وعقل ، فإن هذا الدين الإسلامى الذى سعدت به شعوب شتى ، وقامت به دول ، واستقامت به مجتمعات ، وظل طيلة هذه القرون صامداً فى وجه كل تحدى ، وعجزت الإنسانية أن توجد مثيلاً له ، لكماله وقامه وسده لحاجات البشرية فى جميع جوانبها ، وصدق الله إذ يقول : {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} (٢) فهل يقصر كل ذلك على تصحيح وضع معين فى بيئة جاهلية يحدها الزمان والمكان؟ وهل التأريخ الذى لجأ إليه أولئك وجعلوه مقياساً للحكم من خلاله على دين الله الموحى به إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، يقف سنداً لهم فى حكمهم ذاك؟

إن التاريخ يثبت بقاء هذا الدين ودوامه وصلاحه لكل عصر ومصر . فهلا نظروا إلى عصور الإسلام الزاهية ، عندما كان الغرب يغط فى نوم عميق ويحيط به ظلام دامس ، والمسلمون يعيشون الحضارة فى أوجها والسعادة فى قمتها ، فى ذلك الوقت الذى لجأ الغرب فيه إلى علوم المسلمين وثقافتهم ينهل من معينها ، فكانت له كالنافذة التى بدأ يبصر من خلالها نور الرقى والتقدم؟ أما كان الإسلام صالحاً لذاك الوقت ، الذى انخست فيه أوربا ذليلة تستجدى ما يضمن لها سعادتها وبقائها من ثقافة الإسلام وعلومه؟

(١) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ١٧٤/١ .

(٢) سورة الأنبياء : آية ١٠٧

أم كانوا ينظرون إليه في ذلك الزمان بأنه صيحة إصلاحية لتصحيح وضع جاهلية قريش المحاطة بجبال مكة العالية ، حيث لا مجال لنفوذ تلك الصيحة من خلال تلك الجبال؟

إنه حكم جائر ، وزعم مناف للصواب ، {يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون} (١). يقول الشيخ محمد رشيد رضا :

"فإذا فرضنا أنه يحتمل أن يكون شىء منها من تأثير الوراثة ، والبيئة والتربية ، وأن يكون قد تسرب إلى ذهنه بعض مسائلها من أفواه عقلاء قومه أو غيره ممن لقي في أسفاره القليلة ، أو أنه فكر في حاجة البشر إلى مثلها بما أدركه بذكائه الفطرى من سوء حالهم ، فهل يعقل أن تكون تلك الفلتات الشاردة ، وهذه الخطرات الواردة ، تبلغ هذا الحد من التحقيق ، والوفاء بحاجة الأمم كلها ، وأن تظل كلها مكتومة من سن الصبا ، وعهد حب الظهور إلى أن تظهر في سن الكهولة بهذه الروعة من البيان ، وسلطان البلاغة على القلوب ، وقوة البرهان في العقول ، فتحدث هذه الثورة في الأمة العربية ، المغيرة لطباعها ، المبدلة لأوضاعها ، بحيث تسود بها شعوب المدنية كلها ، ويتلو ذلك ماقصه التاريخ من الانقلاب في العالم كله بها" (٢).

ثم إن ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن لعلاج الفروق بين الأغنياء والفقراء فقط ، وإنما جاء بشرع متكامل في كل جوانبه ، فجاء ببيان التوحيد الخالص والعقيدة الصافية من كل شوائب الشرك ، كما جاء بإيضاح العبادات السامية التى تربط الإنسان بربه وخالقه ، وبين المعاملات التى تربط الإنسان بجميع أفراد المجتمع ، ورسم الأخلاق التى يسمو ويعلو من قام بها والتزمها ، فالإسلام جاء بكل مايصلح البشر ويضمن لهم سعادة الدنيا والآخرة .

(١) سورة التوبة : آية ٣٢، ٣٣

(٢) الوحى المحمدى ص ٣٤٣ .

وهناك أحوال وحوادث غيبية كشف عنها الوحي مما لا يمكن أن تؤخذ من بشر قط . ففي الماضي ، مافصل فيه من أخبار الأمم السابقة ومواقفهم من الرسل وغير ذلك . وفي المستقبل فيما أخبر به من حوادث ستقع فوقعت كما أخبر . وهذا لا يمكن أن يتأتى لأحد من الخلق . وقد قال سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم : {تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين} (١) .

والذى يستغرب له الإنسان ويستعجب منه أن يصل الأمر بالمستشرق (جرىمى) أن ينفى النبوة عن النبي صلى الله عليه وسلم ويصفه بأنه داعية من دعاة الاشتراكية ، تلك الفلسفة المادية الحادية الباطلة التى اقتلع الإسلام جذورها وبين فسادها وضلالها ، إن (جرىمى) لا يدرى ما يخرج من رأسه أن يصل به السخف والسذاجة إلى هذا الحد (٢) .

(١) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص ٢٦٣، ٢٦٤ .

والآية هى ٤٩ من سورة هود .

(٢) انظر : مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ٢٧/١ .

(٣) أن الوحي عبارة عن أمراض عقلية ونفسية :

ذهب بعض المستشرقين إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مصاباً ببعض الأمراض العقلية والنفسية التي أثرت عليه تأثيراً بالغاً ونتاج من تلك الآثار ما ادعى أنه وحي من الله .

قال جولد زيهر :

"وفي خلال النصف الأول من حياته اضطرت مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكاراً أخذ يجترها في قرارة نفسه ، وهو منطو في تأملاته أثناء عزله ، ولميل إدراكه وشعوره للتأملات المجردة والتي يلح فيها أثر حالته المرضية ، نراه ينساق ضد العقلية الدينية والأخلاقية لقومه الأقربين والأبعدين" (١).

ولكن ما حقيقة هذه الأمراض وما نوعيتها؟

يجيب على ذلك عدد من المستشرقين مع تباين تشخيصاتهم .

زعم الويز شيرنجر (٢) ، وجوستاف فايل (٣) وغيرهم أنه كان مصاباً بحالات من الصرع يغيب فيها عن الناس وعما حوله ويظل ملقى على أثرها بين الجبال لمدة طويلة ، يسمع له على إثرها غطيط كغطيط النائم ، ويتصبب عرقاً ، ويثقل جسمه (٤).

(١) العقيدة والشرعة ص ٧ .

(٢) الويز شيرنجر :

هو ابن كرستوفر شيرنجر . مستشرق نمسوى ، يجيد كثيراً من اللغات ، وله المام بالأدب الشرقي . مات سنة ١٨٩٣ م .

من آثاره : "حياة محمد" ، وقد نشر بعض الكتب العربية مثل "الإصابة في تمييز الصحابة" ، "الإتقان في علوم القرآن" .

انظر : الأعلام ٨/٢ ، المستشرقون ٦٣١/٢-٦٣٢ .

(٣) جوستاف فايل :

مستشرق ألماني ، له كتاب مدخل تاريخي نقدي إلى القرآن . مات سنة ١٨٨٩ م .

انظر : آراء المستشرقين ٢٢٩/١ .

(٤) انظر : آراء المستشرقين حول القرآن ٣٩٨/١ .

وتعتريه التشنجات ، وتخرج منه الرغبة . فإذا أفاق ذكر أنه أوحى إليه وتلا على أتباعه ما يزعم أنه وحى من الله (١).

وبعضهم اعتبرها حالة هستيرية ، وتهيجاً عصبياً ، يظهر عليه أثرها في مزاجه العصبي القلق ، ونفسه كثيرة العواصف بشكل غامض ، حتى كان يصل به الأمر أن لا يفرق بين تعاقب الليل والنهار ، وقد هزل على إثرها جسمه ، وشحب لونه ، وخارت قواه (٢).

ويذهب المفكر الفرنسي جوستاف لبون (٣) إلى أنه نوع من الهوس (٤) ، فيقول :

"ونرى محمداً الثاقب النظر من الناحية العلمية من ذوى الهوس ، كما هو شأن أكثر مؤسسى الديانات ، وليس فى ذلك ما يحيط من قدره ، فلم يكن ذوو المزاج البارد من المفكرين هم الذين أنشأوا الديانات وقادوا الناس ، وإنما أولو الهوس هم الذين أقاموا الأديان وهدموا الدول ، وأثاروا الجموع ، وذلّلوا الصعاب . ولو كان القصد لالهوس ، هو الذى يسود العالم لكان للتاريخ مجرى آخر" (٥).

وزعم نولدكه (٦) بأنها نوبات انفعالية طاغية ، حيث يقول :

(١) الإسلام والمستشرقون ص ٢٠٢ .

(٢) آراء المستشرقين حول القرآن ٣٩٨/١ ، نقلاً عن مقدمة القرآن لمونتجمرى وات ص ١٧-١٨ ، ومقدمة القرآن لبل ص ٢٩-٣٠ .

(٣) جوستاف لبون :

لم أقف له على ترجمة .

(٤) الهوس : بالتحريك ، طرف من الجنون ، ويرادفه المس .

انظر : المعجم الفلسفى ٥٢٦/٢-٥٢٧ ، القاموس المحيط ص ٥٧١ .

(٥) حضارة العرب ص ١٢٦-١٢٧ .

(٦) نولدكه :

هو تيودور نولدكه شيخ المستشرقين الألمان ، وكانت له مكانة بين المستشرقين عامة يحسن اللغات الشرقية . مات سنة ١٩٣٠ م .

من آثاره : "تاريخ القرآن" ، "حياة النبي محمد" ، "دراسات لشعر العرب القدماء" انظر : الأعلام ٩٦/٢ ، المستشرقون الألمان ص ١١٥-١٢٤ ، المستشرقون

٧٣٨/٢-٧٤٠ ، آراء المستشرقين حول القرآن ١٨٥/١ .

"وكانت نبوة محمد نابعة من الخيالات المتهيجة والإلهامات المباشرة
للحس أكثر من أن تأتي من التفكير النابع من العقل الناضج ، فلولا ذكاؤه
الكبير لما استطاع الارتقاء على خصومه ... مع هذا كان يعتقد أن مشاعره
الداخلية قادمة من الله بدون مناقشة" (١).

(١) آراء المستشرقين حول القرآن ٣٨٧/١ ، نقلًا عن تاريخ القرآن لنولدكة ٥/١ .

ويجاء على ذلك :

هذا أيضاً نشأ من التصور الخاطيء والفهم السقيم لحقيقة الوحي والنبوة ، والعجز التام عن معرفة العلاقة التي تربط بين جبريل الملك ومحمد النبي عليهما السلام ، وما يظهر من آثار على النبي صلى الله عليه وسلم من تلك العلاقة (١).

فتلك ظاهرة لا تخضع للعلوم التجريبية والتحليلات النفسية ، أو الاستنتاجات العقلية لعجز البشر عن إدراك كنهها وحقيقتها .
يقول د. التهامي نقرة :

"فوصف ظاهرة الوحي الإلهي ، وما كان يعتري النبي عند تلقيه من حالة خاصة ناشئة عن انسلاخه من البشرية الجسمانية ، واتصاله بالملكية الروحانية بالهوس أو الصرع أو نحو ذلك من الانحرافات النفسية على ضوء التحليل النفسي جهل خطير بحقيقة النبوة . وهل يكفي لصنف من العلوم أن يصل إلى حد من الدقة والتطور ، بحيث تفرض طريقته في البحث على الميادين الأخرى ، وينتصب معياراً؟ إن تطور منهج من المناهج العلمية لا يعطى كمعيار خارج ميدانه" (٢).

إن المستشرقين كالبيغاوات يرددون شبه إخوانهم أعداء الأنبياء والرسول الذين جعلوا ما يحصل لأنبياء الله مثل الذي يحصل للمجانين والسحرة كما قال تعالى : {كذلك مآتي الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون . أتواصوا به بل هم قوم طاغون} (٣).

(١) انظر : الإسلام والمستشرقون ص ٢٢٩ ، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ٢٨/١ .

(٢) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ٢٨/١ - ٢٩ .

(٣) انظر : كتاب النبوات ص ٢٥٠ .

والآيات هي ٥٣،٥٢ من سورة الذاريات .

وهى عين الفرية التى رمت بها قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبرأه الله مما قالوا ، بقوله سبحانه وتعالى :
{فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون} (١).

وقد ضلوا بذلك وانحرفوا عن الحق فمثلهم كمثل من ضل الطريق
وتشعبت عليه السبل ف يأخذ يمينا وشمالا ولا يهتدى أبداً ، كما قال سبحانه :
{انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا} (٢).

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : {هل أنبئكم
على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم
كاذبون} (٣) يقول :

"يقول تعالى مخاطباً لمن زعم من المشركين أن ما جاء به الرسول صلى
الله عليه وسلم ليس بحق وأنه شيء افتعله من تلقاء نفسه أو أنه أتاه به
رعى من الجان ، فتره الله سبحانه جناب رسوله عن قولهم وافترائهم ونبه
أن ما جاء به إنما هو من عند الله وأن تنزيله ووحيه نزل به ملك كريم
أمين عظيم وأنه ليس من قبل الشياطين ... وإنما ينزلون على من يشاكلهم
ويشابههم من الكهان الكذبة" (٤)

أرأيت كيف يردد المستشرقون شبهة عفا عنها الدهر وطوتها السنون
وبين الله فسادها قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ثم جاءوا يلوكونها
ويدندنون بها تشويهاً للإسلام وتشكيكاً في نبيه صلى الله عليه وسلم (٥).
وهل ياترى يغيب الفرق بين العاقل والذى اختل عقله؟

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ١٧٩/١ فى رميهم النبى بالجنون .

والآية هى ٢٩ من سورة الطور .

(٢) انظر : كتاب النبوات ص ٣١٤ ، تفسير القرآن العظيم ٣١٠/٣ .

والآية هى ٩ من سورة الفرقان .

(٣) سورة الشعراء : آية ٢٢١-٢٢٣

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣٥٢/٣-٣٥٣ .

(٥) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص ٢٢٨ .

إن التسوية بينهما من التسوية بين الأضداد المختلفة التي يستحيل أن يختلط أمرها على عاقل ، إن الذى يجعل العاقل مجنوناً كالذى يجعل المجنون عاقلاً ، وهذا من أبطل الباطل ، فكيف يجعل النبي الذى هو أكمل البشر عقلاً مجنوناً ، سبحانه هذا بهتان عظيم (١).

وهل يعقل أن تصدر كل هذه الشرائع السامية الرفيعة والتشريعات التى حلت أعتى مشاكل الحياة ، بل وهذا القرآن الذى أعجز عقلاء البشر . عن رجل خولط عقله فلا يعي مايقول ؟

قال د. حسن عتر :

"ولو نظرت فى الشريعة الإسلامية وما فيها من حكم ومواعظ وأحكام تشريعية سامية وأخلاق رفيعة لأثار فيك ذلك تساؤلاً هل يصدر كل ذلك التعقل والحكمة عن الجنون واختلال المشاعر؟ ومتى كان الجنون منبع الحكمة ، والفساد مصدر الخير؟ ثم انظر فى سيرة سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم هل تراه كان مبتلى بالغفلة والبلاهة فيتراءى له مايتراءى؟ تراه بنى مجتمعاً قوياً على دعائم وطيدة ، وقاد معارك النصر والظفر ، وأسس دولة على أسس منيعة منحتها قوة للتوسع بعده من جبال الصين شرقاً الى حدود فرنسا غرباً؟

إن محمداً وكافة الرسل قبله ، قد اشتهروا بالتعقل والنباهة والفطنة قبل النبوة وبعدها . يعترف لهم بهذا أتباعهم وأعداؤهم على السواء . وهنا نتيقن أن مثله فى نباهته ويقظته وذكائه لا تختلط عليه الأمور ولا تقلبه الأوهام والهواجس" (٢).

لقد كان صلى الله عليه وسلم أكمل الرجال عقلاً ، وأشدهم فطنة ، وأصوبهم قولاً ، وأحكمهم فعلاً . وقد تحدى الله المشركين الذين عرفوه وعایشوه وخبروا حاله أن يثبتوا عليه جنوناً أو اختلال عقل ، وذلك فى

(١) انظر : كتاب النبوات ص ٢٣٦ .

(٢) نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص ٢٢٧ .

قوله : {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد} (١).
يقول ابن كثير رحمه الله :

"يقول تبارك وتعالى قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون {إنما أعظكم بواحدة} أى إنما آمركم بواحدة وهى "أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة" أى تقوموا قياماً خالصاً لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضاً هل بمحمد من جنون فينصح بعضكم بعضاً (ثم تتفكروا) أى ينظر الرجل لنفسه فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه . ويتفكر فى ذلك" (٢).

وقال القاسمى رحمه الله :

"وقوله تعالى : {مابصاحبكم من جنة} أى جنون . مستأنف منبه لهم على أن ما عرفوه من رجاحة عقله كاف فى ترجيح صدقه . والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بـ(صاحبهم) للإيماء أن حاله معروف مشهور بينهم ، لأنه نشأ بين أظهرهم معروفاً بقوة العقل ، ورزانة الحلم وسداد القول والفعل" (٣).
وأما زعمهم بأنه مصاب بالصرع ، فهذا زعم باطل وخطأ علمى فاحش فإن أعراض الصرع تختلف كل الاختلاف عما كان يعتري النبى صلى الله عليه وسلم عندما يأتية الوحي . فالصرع مرض مصحوب باصفرار الوجه وبرودة فى الأطراف ، واصطكاك فى الأسنان ، ويتعطل تفكير المصروع وإدراكه تماماً ويدخل فى غيبوبة كاملة ، فلا يدرى أثناء نوبته ما يدور حوله ، وتعتريه تشنجات ، وينسى ما حدث له خلال ذلك نسياناً تاماً ، وهذا بخلاف أمره صلى الله عليه وسلم ، فلا يظهر عليه شىء مما ذكر من أعراض هذا

(١) سورة سبأ : آية ٤٦

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥٤٣/٣ ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ٣١١/١٤ - ٣١٢ .

(٣) محاسن التأويل ٤٩٦٦/١٤ .

المرض عند نزول الوحي عليه ، بل يظل في تمام وعيه وكامل قوته العقلية ، قبل وأثناء وبعد الوحي ، كما قال في حديثه : "فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال" (١)(٢).

وقد كان جبريل عليه السلام يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الرجل فيحادثه أمام جمع من الحضور وهم يشاهدون ذلك كما ثبت ذلك من حديث عمر (٣) وعائشة (٤) رضى الله عنهما .

لقد عاش النبي صلى الله عليه وسلم طيلة حياته في صحة نفسية وعصبية وعقلية دائمة ، لم يطرأ عليه أى خلل في عقله أو أعصابه في يوم من الأيام ، بل كان كمال عقله مضرب الأمثال .

وليس أدل على انتفاء هذه الفرية وبطلانها ، من كفاحه المرير في سبيل نشر دعوته ، ومن سياسته الحكيمة وخططه الحريية وتنظيماته

(١) قطعة من حديث أخرجه البخارى في صحيحه . من حديث عائشة رضى الله عنها كتاب بدء الوحي (١) ، باب (٢) ، ٣-٢/١ ، وفي كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم (٦) ، ٨٠/٤ .

وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل (٤٣) ، باب عرق النبي صلى الله عليه وسلم في البرد (٢٣) برقم ٢٣٣٣ ، ١٨١٦-١٨١٧/٤ .

فيفصم : أى يقلع . والفصم هو أن يتصدع الشيء فلا يبين .

النهاية ٤٥٢/٣ ، وانظر : الفائق ١٢٢/٣ .

(٢) انظر : النبأ العظيم ص ٧٢ ، محمد صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين ص ١١٣-١١٤ ، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم ٤٠١/١ .

(٣) انظر : صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب بيان الإيمان والإسلام (١) برقم ٨ ، ٣٦/١-٣٨ . وهو حديث سؤال جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان .

(٤) روى البخارى بسنده إلى مسروق قال : قلت لعائشة رضى الله عنها فأين قوله : {ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى} (سورة النجم : آية ٨، ٩) قالت : ذاك جبريل كان يأتيه في صورة رجل وإنه أتاه هذه المرة في صورته فسد الأفق" . كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب إذا قال أحدكم آمين (٧) ، ٨٤/٤ .

الاجتماعية ، فلو كان مصاباً بالانهيار العصبي كما يزعمون ، فهل يقوى على مثل هذا النضال الطويل وهل يؤثر عنه تلك السياسة الباردة والتنظيمات الدقيقة (١).

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب :

"أجئون مصروع يبنى دولة ، وينشئ نظاماً ، ويقيم دنيا ، ويعيش في أجيال الناس منذ قام إلى اليوم دون أن يصاب بنكسة أو خلل؟ أجئون مصروع يثبت لهذه العواصف العاتية المزجرة وحيداً في وجه أمة صحراوية النفوس صخرية الطباع ثم لا يكون منه في حال من الأحوال تخاذل أو ضعف حتى يحول هذه العواصف إلى أنسام عليلة وريح رخاء" (٢).

يقول المستشرق ماكس مايرهوف (٣):

"أراد بعضهم أن يرى في محمد رجلاً مصاباً بمرض عصبي أو بداء الصرع ، ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره ليس فيه شيء يدل على هذا كما أن ما قام به فيما بعد من التشريع والإدارة يناقض هذا القول" (٤).

وأما زعمهم بأنه مصاب بمرض الهستيريا وهو مرض عصبي عضال ، وراثي يكثر في النساء ، من أعراضه شذوذ في الخلق ، وضيق في التنفس

(١) انظر : الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص ٤٥٥ .

(٢) النبي محمد ص ١٣٩ .

(٣) مستشرق ألماني . من كبار أطباء العيون العالميين ، وفي طليعة مؤرخي الطب العربي ، تعد اكتشافاته فيه وكتابه عنه ، بالفرنسية والإنجليزية والألمانية مرجعاً دقيقاً وافياً . سكن مصر وانتخب نائباً لرئيس المعهد المصري والجمعية الطبية المصرية . توفي بالقاهرة سنة ١٩٤٥ م .

من آثاره : "فصلاً في حياة حنين بن إسحاق" . نشر "شرح أسماء العقار" لموسى ابن عبد الله القرطبي وغير ذلك .

انظر : المستشرقون ٧٦٦/٢-٧٦٨ ، الأعلام ٢٥٦/٥-٢٥٧ .

وانظر ترجمته في : المستشرقون الألمان ص ١٤١-١٤٤ .

(٤) الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص ٤٥٥ .

نقلًا عن : الإسلام والرسول في نظر منصفى الشرق والغرب ص ١٦٢ ، والقرآن والمستشرقون ص ٢٦-٢٧ .

والصدر ، واضطراب في الهضم ، وقد يحدث اضطراباً في اليدين والرجلين ، إلى حد الشلل في بعض أعضاء المريض ، فإذا تقدم المرض وصل إلى حالة من التشنج يسبقها بكاء وهذيان ، وقد يصل إلى حد الإغماء ، وقد يستمر الحال بالمريض حتى يرى أشباحاً وأعداء تحاربه وتقاتله ، ويسمع أصواتاً لاحقيقة لها ، فيتحرك حركات مضطربة ، ويقفز من مكان إلى آخر بصورة مرعبة (١).

فهذا الزعم لا يستند إلى الحقيقة بأي وجه من الوجوه ، وواقع النبي صلى الله عليه وسلم وحاله يشهد بطلان ذلك ، وبرأته عنه ، فهو صاحب الطبع الرصين ، والنفس الهادئة ، والخلق الحسن ، وكان صلى الله عليه وسلم صبوراً عند الغضب ، حليماً عند المقدرة ، وكيف لا يكون كذلك وهو الذي قالت عنه عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلقه ، فقالت : "فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن" (٢). وفي حديث معاوية بن الحكم السلمي عندما تكلم في الصلاة ، قال : "فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبي هو وأمي! مارأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه . فوالله ما كهرني (٣) ولا ضربني ولا شتمني . قال : "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس . إنما هو التكبير والتكبير وقراءة القرآن" (٤).

فهل يعقل لمن اتصف بهذه الخصال الكريمة والسجايا الحميدة أن يكون مصاباً بمرض يحدث الرعب في قلب من يراه؟

(١) انظر : آراء المستشرقين حول القرآن ص ٤٠٢-٤٠٣ ، المعجم الفلسفي ٥٢٠/٢ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين (٦) ، باب جامع صلاة الليل (١٨) برقم ١٣٩ ، ٥١٣/١ .

(٣) كهرني : أي نهزني . يقال كهره إذا زبره واستقبله بوجه عبوس .

انظر : الفائق ٢٨٨/٣ ، النهاية ٢١٢/٤ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥) ، باب تحريم الكلام في الصلاة (٧) برقم ٥٣٧ ، ٣٨١/١-٣٨٢ .

إن المستشرقين لم يجدوا مايتشبثون به من مطاعن حول نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم ، فراحوا يهرفون بما لايعقلون ، وينعقون بما لايدرون ، فكانت مزاعمهم أضحوكة للولدان ، يعرف فسادها كل من وقف عليها ، إلا من طمس الله بصيرته فلايعى ولايفقه . {ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً} (١).

وأما زعم لبون أنه مصاب بالهوس ، فالجواب عما سبق جواب عنه ولكن من المستحسن أن نورد مذكره د. التهامى نقرة في رده عليه إذ يقول : "أليس من مجازفة القول أن يعد "لبون" محمداً صلى الله عليه وسلم من المتهوسين ، ولم يثبت تاريخياً قبل البعثة ولابعدها ، أنه كان من ذوى الوسوس أو السلوك الشاذ والتصرف الغريب ، أو نحو ذلك من الانحرافات النفسية التى لا بد لها من انعكاسات وردود فعل . ألم تشهد خديجة وتعرفه بحقيقته لما جاءه الحق وهو فى غار حراء لتدفع عنه الخوف مما رأى وسمع؟" كلا والله لايجزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق" (٢).

فما أبعد هذا الكمال الإنسانى عن الهوس الذى قد يملى على صاحبه مواقف غريبة ، وأفعالاً ينبو عنها الذوق السليم! ولكنه الجهل بحقيقة الدين واستعمال منهج النقد العلمى فى موضوعه ويقول :

"وهل الذين آمنوا به منذ أربعة عشر قرناً واتبعوا الدين الذى جاء به - من قادة الفكر على امتداد العصور - كلهم أغبياء مغرورون ، لم يميزوا بين الحق والباطل ، والصدق والكذب؟

والعلم وحده لايستطيع أن يقدم تفسيراً مقنعاً لهذا التحول الجذرى ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلا على ضوء إيمان بما تضمنه هذا الوحي

(١) سورة الكهف : آية ١٧

(٢) سبق تخريج الحديث . انظر ص ، ٣٦٢

السماء الذى ظل يقودها على مايزيد من عشرين عاماً ولم يخلف ماوعده ، ولا كذبه فيما أخبر به من أنباء الغيب .

وأى فرق بين تقولات المشركين فى الجاهلية وتفسيرهم لظاهرة الوحي عندما ينزل على الرسول ، وما يناله عند التلقى من جهد وعناء بالجنون أو السحر تارة ، وبالشعر أو الكهانة أخرى ، وبين تفسير المستشرقين الأكاديميين للوحي من الوجهة النفسية أو العقل الباطن أو نحو ذلك مما اخترعوه وانتحلوه كالهوس الذى يزعمه لبون^(١).

وكونه مصاباً بنوبات انفعالية تطغى عليه وتسيطر عليه كما يدعى "نولدكه" ، فتلك شبهة لا تخرج عما سبق ذكره فى شأن الوحي النفسى ، فليس هنالك انفعالات ولا هيجان أحاسيس عند نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم ، بل يكون فى قمة الهدوء وسلامة الأعصاب ورزانة الطبع لا كما يقول "نولدكه"^(٢).

(١) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ٣٠، ٢٩/١ .

(٢) انظر : آراء المستشرقين حول القرآن العظيم ٣٨٩/١ .

(ب) المحور الثانى :

وهو أن الوحى أمر خارج عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو أيضاً مفسر عندهم بعدة تفسيرات :

(١) أن الوحى مقتبس من اليهودية والنصرانية :

لقد زعم المستشرقون أن الوحى انبثق فى الدرجة الأولى عن اليهودية والنصرانية ولكن محمد كيفه تكييفاً بارعاً وفقاً لمتطلبات شعبه الدينية (١). ويشرح لنا جولد زيهر كيف تم له ذلك ، وكيف أصبحت تعاليم اليهودية والنصرانية وحيّاً تبناه محمد صلى الله عليه وسلم يقول : "فتبشير النبى العربى ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية ، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التى تأثر بها تأثراً عميقاً ، والتى رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بنى وطنه ، وهذه التعاليم التى أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت فى رأيه كذلك ضرورية لتثبيت ضرب من الحياة فى الاتجاه الذى تريده الإرادة الإلهية.

لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه ، وأدركها بايحاء قوته التأثيرات الخارجية ، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه ، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيّاً إلهياً ، فأصبح - بإخلاص - على يقين بأنه أداة لهذا الوحى" (٢).

وقد وصل الأمر ببعضهم وهو ماحكاه فيليب حتى ، أن زعموا أن الإسلام برمته بدعة نصرانية أكثر منه ديناً جديداً (٣).

ولم يخف جولد زيهر قوله فى أن النبى صلى الله عليه وسلم قد تتلمذ على رهبان النصرانى وأحبار اليهود الذين كانوا أساتذة له (٤).

(١) انظر : تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٦٩ .

(٢) العقيدة والشرعية ص ٥-٦ الأولى .

(٣) انظر : تاريخ العرب ١٧٦/١ .

(٤) انظر : العقيدة والشرعية ص ١٣-١٤ الأولى .

وكيف تم له الاتصال بأولئك؟
 يرى بروكلمان أن ذلك تم من خلال رحلاته^(١).
 ويضيف جولد زيهر أن ذلك تم أيضاً عن طريق التقاليد أو الروايات المتواترة المحرفة ، وعن ابتداعات المسيحية الشرقية^(٢).
 وقد حاول المستشرقون إرجاع كثير من شعائر الإسلام إلى اليهودية أو النصرانية أو الاثنين معاً^(٣).
 فبعد أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ووجد بعض قبائل اليهود يقطنونها ، وطمع في إسلامهم فأصبح يجاريهم في شعائرهم ليوفق بين الدينين اليهودي والإسلامي .
 قال بروكلمان :

"وتأثرت اتجاهات النبي الدينية في الأيام الأولى من مقامه في المدينة، بالصلة التي كانت بينه وبين اليهود . وأغلب الظن أنه كان يرجو ، عقب وصوله إلى المدينة ، أن يدخل اليهود في دينه . وهكذا حاول أن يكسبهم من طريق تكييف شعائر الإسلام بحيث تتفق وشعائرهم في بعض المناحي . فشرع صوم العاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرم ، على غرار الصوم اليهودي في يوم الكفار الذي يقع عندهم في العاشر من شهر تشرى ، وبينما كان المؤمنون في مكة لا يصلون إلا مرتين في اليوم ، أدخل في المدينة على غرار اليهودية أيضاً ، صلاة الثالثة عند الظهر ... كذلك جعل يوم الجمعة يوم صلاة عامة على غرار "السبت" اليهودي ، ولكنه خالف اليهود حين سمح للمؤمنين بأن ينصرفوا في ذلك النهار ، إلى شؤونهم الدنيوية ، قبل أداء الصلاة وبعدها"^(٤).

(١) انظر : تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٣٤ .

(٢) العقيدة والشرية ص ١٨ الأولى .

(٣) انظر : العقيدة والشرية ص ١٧-١٨ الأولى ، تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٤٧-٤٨

٧٩، ٧١ ، تاريخ العرب ص ١٨١، ١٨٢، ١٨٣ ، ملوك الطوائف ص ٤٠٥ .

(٤) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٤٦-٤٧ .

وقد ادعى بعض المستشرقين أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ تعاليم الوحي عن بعض الشخصيات النصرانية ، من أولئك :
(أ) بحيرى الراهب (١) :

قالوا : إن محمداً لقي بحيرى فى مدينة بصرى (٢) بالشام ، وكان نسطورياً (٣) من أتباع آريوس (٤) فى التوحيد ، وينكر الوهية المسيح وعقيدة التثليث (٥) ، وكان عالماً فلكياً منجماً وحاسباً وساحراً ، فتعلم منه محمد

(١) بحيرى :

راهب . قيل إنه كان يهودياً من يهود تيماء ، وقيل : كان نصرانياً من عبد القيس يقال له جرجس . لقيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة .

انظر : أسد الغابة ١/١٩٩ ، البداية والنهاية ٢/٢٢٩-٢٣٠ ، الإصابة ١/١٧٦-١٧٧ .

(٢) بصرى : موضع بالشام وهى التى وصل إليها النبي صلى الله عليه وسلم فى رحلته مع عمه .

انظر : معجم البلدان ١/٤٤١ ، مرصد الاطلاع ١/٢٠١ .

(٣) نسطور هو بطريك الاسكندرية سنة ٤٣١م . وهو الذى قال بأن مريم لم تلد إلا الإنسان ، فهى بذلك أم الإنسان وليست أمماً لإله ، وأتباعه هم النساطرة ، ومذهبهم وضع الأساس للقول بطبيعتين فى المسيح .

انظر : الموسوعة الميسرة ص ٥٠٢-٥٠٣ ، الملل والنحل ١/٢٢٤ .

(٤) آريوس : كان قسيساً بالاسكندرية . وكان فى زمن قسطنطين الأول . وهو القائل بأن الله واحد ، سماه أباً ، وأن المسيح كلمة الله وابنه على طريق الاصطفاء ، وهو مخلوق قبل خلق العالم ، وهو خالق الأشياء ، وزعم أن لله روحاً مخلوقة أكبر من سائر الأرواح ، وأنها واسطة بين الأب والابن ، تؤدى إليه الوحي . وقد تبرأ منه النصارى لمخالفته لهم فى مذهب التثليث .

انظر : الملل والنحل ١/٢٢٧-٢٢٨ ، الفصل فى الملل والأهواء والنحل ١/٤٨ ، الموسوعة الميسرة ص ٥٠٢ .

(٥) عقيدة التثليث :

وهى الركن الأول الذى يبنى عليه النصارى عقائدهم . ومع اختلاف مللهم إلا أنهم مجمعون على التثليث . وهواعتقاد وجود ثلاثة آلهة وهى الأب (الله) والابن (عيسى) وروح القدس (جبريل) أو هى الأب والابن ومريم . ويقررون ذلك بما يسمى الأقانيم الثلاثة ، والأقنوم يطلق على الجوهر والأصل والشخص . ويفسرونه بأنه وحدانية فى تثليث ، وتثليث فى وحدانية . وبين فرق النصارى اختلاف شديد فى تقرير ذلك . =

عقيدته ، بل زعم بعضهم أنه كان مصاحباً له بعد رسالته ، وأن محمداً
 محرم الخمر إلا لأنه قتل أستاذه بجيرى وهو سكران (١).
 (ب) ورقة بن نوفل (٢):
 قال الحداد (٣):

"والسر الكبير في ثقافة محمد الكتابية والإنجيلية وجود العالم المسيحي
 ورقة بن نوفل من بني أسد ابن عم السيدة خديجة في جوار النبي ، وهو
 الذي زوجه ابنة عمه ، فقد أجمعت الآثار على أن ورقة تنصر ، وكان
 يترجم التوراة والإنجيل إلى العربية ، فهو إذن عالم مسيحي كبير ، وقد عاش
 محمد في جواره خمسة عشر عاماً قبل مبعثه . ألا تكفى هذه المدة لنابغة
 العرب محمد بن عبد الله لكي يأخذ عنه شيئاً من علوم التوراة
 والإنجيل؟" (٤)

وقال وات :

= انظر : الشامل في أصول الدين ص ٥٧٥-٥٧٦ ، الملل والنحل ١/٢٢٦-٢٢٧ ،
 الموسوعة الميسرة ص ٥٠٣-٥٠٤ ، عقيدة التثليث والصلب وموقف الإسلام منها
 ص ٧٦١ ، تحفة الأريب في الرد على الصليب ص ١٥٥-١٥٦ ، العلمانية نشأتها
 وتطورها ص ٣٨ .

(١) الوحي المحمدي ص ٩٥-٩٦ بتصرف .

(٢) ورقة بن نوفل :

هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي ابن عم
 خديجة رضى الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم . قرأ الكتب السابقة
 وتنصر . أقر بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه مات قبل الدعوة على الصحيح
 ذكره جماعة من العلماء في الصحابة .

انظر : أسد الغابة ٥/٤٤٧-٤٤٨ ، البداية والنهاية ٣/٩-١١ ، الإصابة
 ٤/٦٣٣-٦٣٥ .

(٣) الحداد :

لم أقف له على ترجمة .

(٤) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ١/٣٧ نقلاً عن القرآن والكتاب
 للحداد ٢/١٠٥٩-١٠٦٠ .

"من الأفضل الافتراض بأن محمداً كان قد عقد صلات مستمرة مع ورقة منذ وقت مبكر وتعلم أشياء كثيرة ، وقد تأثرت التعاليم الإسلامية اللاحقة كثيراً بأفكار ورقة" (١).

(ج) الحاشية اليهودية والمسيحية المسلمة :

قال الحداد :

"ونجد في المدينة في معية النبي حاشية مسيحية ويهودية قد أسلمت أو سايرت الإسلام ، نجد بلالاً الحبشى مؤذن النبي ، وصهيياً الرومى المسيحى الثرى ، وسلمان الفارسى المسيحى الأصل ، وعبد الله بن سلام اليهودى الوحيد الذى أسلم فى المدينة مع كعب الأخبار . وهل كان حديث هذه الحاشية الكريمة سوى التوراة والإنجيل ؟ إن ذلك حجة قاطعة على أن بيئة النبي والقرآن كانت كتابية من كل نواحيها ، وإن ثقافة محمد والقرآن كتابية فى كل مظاهرها ، وذلك بمعزل عن الوحي والتزيل" (٢).

(١) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية : الإسلامية ٣٧/١ - ٣٨ .

(١) المرجع السابق ١٥٠/١ .

ويجاء عن ذلك بما يلي :

هذه أقوال ومزاعم عارية عن الصحة لم تستند إلى دليل ، ولم تقوم على أساس ، وإنما بنيت على التشكيك والتعصب كمزاعمهم السابقة ، وقد تضافرت الأدلة على بطلانها وعدم صحتها ، وإليك طرفاً من ذلك :

(١) لو تلقى صلى الله عليه وسلم شيئاً عن أهل الكتاب لنقل ذلك أتباعه الذين كانوا أحرص الناس على نقل أخباره وآثاره صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم لم يفعلوا فعلم فساد (١).

(٢) لو ثبت ما ذكر لاخذ أعداؤه من المشركين حجة لهم للنيل منه والطعن فيه ، وهم الذين تعلقوا بأوهى الشبه وأضعفها كزعمهم أنه تعلم ذلك وتلقاه من رومي حداد أعجمي ، فرد الله عليهم بقوله : {ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين} (٢).

ولكان اليهود والنصارى أعرف الناس بهذا ، ولما سكتوا أبداً ، وهم الذين بذلوا كل ما يملكون من جهد للنيل من هذا الدين وإخماد أنفاسه ، وقد كانت هنالك علاقة تربطهم مع المشركين ، وقد التقوا سوياً في عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، فكيف صبروا على ذلك؟ ولماذا لم يخبروا أصدقاءهم بهذا المطعن الخطير ، ولماذا لجأوا إلى عرض الأسئلة عليه صلى الله عليه وسلم للتثبت من نبوته وهم يعلمون أن دينه مأخوذ من دينهم؟ (٣) إن الذي يريد أن ينقد أمراً معيناً عليه قبل ذلك أن ينظر إلى ما يترتب على نقده من ملابسات ومعارضات حتى لا يصبح نقده نقداً عليه

(١)، (٢) انظر : الوحي المحمدي ص ١٢٢ .

والآية هي ١٠٣ من سورة النحل .

(٣) انظر : الإسلام والمستشرقون ص ٢٠٦ .

وطعنه طعناً فيه كهؤلاء المستشرقين الذين ينقدون نقداً مكشوفاً ويكذبون كذباً واضحاً لا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل .

(٣) إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يثبت له أن رأى التوراة والإنجيل ، ولم يقرأ فيهما وهو الأُمى الذى لا يعرف قراءة ولا كتابة (١).

ولم يثبت عنه أنه تلقى عن أحد من علماء اليهود أو النصارى أو غيرهم ، والذين لقيهم لم يتصل بهم صلة تمكنه من الأخذ عنهم (٢).

بل ونصوص القرآن صريحة فى أنه لم يكن يعرف شيئاً من أخبار الرسل وقصصهم قبل أن يأتیه الوحى ، قال له سبحانه وتعالى عقب قصة نوح عليه السلام : {تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين} (٣). وقال عقب قصة يوسف عليه السلام : {ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون} (٤). وقال عقب قصة موسى عليه السلام : {وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين. ولكننا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاوياً فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين} (٥).

وقال عقب قصة زكريا عليه السلام وولادة مريم : {ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون} (٦).

(١) انظر : الرسول صلى الله عليه وسلم فى كتابات المستشرقين ص ١٣٧ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ٢٢١ ، مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ١٦٥/١ .

(٣) سورة هود : آية ٤٩

(٤) سورة يوسف : آية ١٠٢

(٥) سورة القصص : آية ٤٤، ٤٥

(٦) انظر : الوحى المحمدى ص ١٢٣ . والآية هى ٤٤ من سورة آل عمران .

ولو ثبت أنه اطلع على تلك الكتب لردّها لما فيها من باطل وانحراف عن الحق ، وقد شهد بذلك منصفوهم .

قال المفكر الفرنسي الكونت هنرى دى كاسترى :

"ولقد يستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبي محمد من مطالعة التوراة والإنجيل (يعنى قبل بعثته) إذ لو قرأ تلك الكتب لردّها ، لاحتوائها على مذهب التثليث ، وهو مناقض لفطرته ومخالف لوجدانه عند خلقته . فظهور هذا الاعتقاد في جزيرة العرب بواسطة محمد دفعة واحدة هو أعظم مظهر في حياته كما أنه بذاته أكبر دليل على صدقه في رسالته وأمانته في نبوته" (١).

(٤) لقد كشف الله بهذا الوحي الذى أنزله على الرسول صلى الله عليه وسلم أسرار أهل الكتاب ، وفضحهم ، وهتك أستارهم ، وبين انحراف عقائدهم ، وناصبهم العدا ، وذمهم ذماً منكراً ، وذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى : {أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون} (٢).

وقال سبحانه : {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً} (٣).

وقال سبحانه : {قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل} (٤).

(١) الإسلام والمستشرقون ص ٣١٥ .

(٢) سورة البقرة : آية ٧٥ ، وانظر الآيات بعدها .

(٣) سورة النساء : آية ١٧١ .

(٤) سورة المائدة : آية ٦٠ ، وانظر الآيات بعدها إلى ٨١ .

وقال تعالى : {فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين} (١).
فلو أنهم كانوا معلمين له صلى الله عليه وسلم لمدهم وجاملهم وتودد إليهم وتقرب منهم ، ولم يقف منهم هذا الموقف العدائي ، حتى لا يفضحوا أمره ، ويكشفوا حاله (٢).

(٥) أين هذه الرحلات التي يتكلم عنها جولد زيهر وبروكلمان والتي التقى فيها النبي صلى الله عليه وسلم بأخبار اليهود ورهبان النصارى وأخذ عنهم؟ ومتى كانت؟ وأين تم هذا اللقاء؟ وكم مدة قضاها ليتلقى تلك الدروس حتى يهضمها ويستوعبها؟ ومن هم الذين أخذ عنهم؟ وماذا أخذ؟

أسئلة يعجز المستشرقون عن إجابتها ، لأنها لا إجابة لها البتة ، إذ إجابة عنها من صنع الخيال ، وترهات الأفكار .

إن النبي صلى الله عليه وسلم لم تثبت له إلا رحلتان كلثاهما إلى الشام إحداها مع عمه أبي طالب في تجارة له وهو طفل صغير ، وقد أعاده عمه إلى مكة قبل إتمام رحلته ، والثانية في تجارة لخديجة بنت خويلد رضى الله عنها وهو شاب في الخامسة والعشرين من عمره صحبة غلامها ميسرة ، ولم يتجاوز سوق مدينة بصرى في المرتين ، ولم يذهب يتعلم وإنما ذهب ليتاجر ، ومعه من يصحبه في الرحلتين ، ولم يذكروا شيئاً من ذلك أبداً . ولماذا سكت طيلة هذه الفترة من عمره حتى أظهر ذلك عندما بلغ الأربعين ، وتلك مدة كافية لنسيان ما حصل عليه عرضاً؟ (٣)

(١) سورة المائدة : آية ١٣ ، وانظر الآيات بعدها حتى آية ١٨ .

(٢) انظر الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص ٤٢٩، ٤٣٠ .

(٣) انظر : الوحي المحمدى ص ١٠١ ، نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن

(٦) إن الدين اليهودى والمسيحى لم يكونا نافقين ذلك الحين فى جزيرة العرب ، لعدم تقبل العرب لهما لما فيهما من التعقيد والغموض والقومية والتعصب المقيت .
يقول المستشرق دوزى (١) :

"أما فى أواسط بلاد العرب ، وفى قلب جزيرتهم حيث نبتت جرثومة (٢) العربى القح (٣) وأرومته (٤) ، فلم تنجح فيها الدعاية للدين المسيحى ، ولم نكن لنرى ثم إلا أثراً ضعيفاً له - إن لم نقل معدوماً .
وكان المسيحية فى ذلك الزمن - على وجه عام - بما تحويه من معجزات وبما فيها من عقيدة التثليث ، وما يتصل بذلك من رب مصلوب - قليلة الجاذبية ، بعيدة عن التأثير فى نفس العربى الساخر الذكى" (٥) .
وقال : "وقد صارت اليهودية نفسها - فى زمن ما - دين اليمن الرسمى . على أنها ضعفت - على مرور الزمن - وقل إقبال العرب عليها ، لأن اليهودية لاتلائم إلا شعباً مختاراً ، أما أن تكون ديناً عاماً للناس قاطبة فلا! ذلك أنها ملأى بالشكايات والآمال الغامضة التى تعلق بها اليهود بعد أن خرب "بيت المقدس" وليس هذا مما تلائم طبيعته الشعب الطموح إلى المجد" (٦) .

(١) دوزى :

هو رينهارت بيتر آندوزى ، مستشرق هولندى ، من أصل فرنسى . بروتستانى المذهب ، كان من أعضاء عدة مجامع علمية ، وتعلم عدة لغات . عين أستاذاً للعربية فى جامعة ليدن . مات سنة ١٨٨٣م على خلاف فى ذلك .
من آثاره : "معجم دوزى" ، "تاريخ المسلمين فى أسبانية" ، "ملوك الطوائف ونظرات فى تاريخ الإسلام" وغيرها .

انظر : الأعلام ٣/٣٩ ، المستشرقون ٢/٦٥٨-٦٦٠ .

(٢) جرثومة الشئ : أصله . القاموس المحيط ص ١٤٠٥ .

(٣) القح : هو الخالص . المرجع السابق ص ٣٠٠ .

(٤) أرومته : وتضم أصله . المرجع نفسه ص ١٣٨٩ .

(٥) ملوك الطوائف ص ٣٥٤-٣٥٥ .

(٦) المرجع السابق ص ٣٥٦ .

فاذا كان هذا حكم المستشرقين على أديانهم، فكيف يجعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدراً للتلقى ، وهو يعلم سلفاً أن قومه يرفضون التدين بها لأنها لاتواكب طموحاتهم ، وقد غصت بالعقائد الساذجة التي يسخرون منها؟

(٧) إن أحكام الشريعة الإسلامية كانت تأتى على حسب الحوادث والوقائع وكان صلى الله عليه وسلم يبين عند كل أمر ما يحتاج إليه ، ويتوقف في بعض الأمور لينتظر الوحي ، وفي ذلك دلالة على أنه صلى الله عليه وسلم لم يتلق علماً سابقاً من أهل الكتاب أو غيرهم ، ويلزم من تلقيه أن يكون على صلة دائمة بهم .

إن يعلى بن أمية رضى الله عنه كان يقول لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : ليتنى أرى نبي الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه . فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم بالجرعانة ، وعلى النبي صلى الله عليه وسلم ثوب قد أظلم به عليه معه ناس من أصحابه ، فيهم عمر . إذ جاءه رجل عليه جبة صوف ، متضمخ بطيب فقال : يا رسول الله! كيف ترى في رجل أحرم بعمره في جبة بعدما تضمخ بطيب؟

فنظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سكت . فجاءه الوحي ، فأشار عمر بيده إلى يعلى بن أمية : تعال . فجاء يعلى فأدخل رأسه ، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم محمر الوجه يغط ساعة ، ثم سرى عنه ، فقال : "أين الذى سألنى عن العمرة آنفاً؟" فالتمس الرجل فجىء به . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "أما الطيب الذى بك فاغسله ثلاث مرات . وأما الجبة فانزعها . ثم اصنع في عمرتك ماتصنع في حجك" (١).

(١) أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب الحج (٢٥) ، باب غسل الخلق ثلاث مرات (١٧) ١٤٤/٢ ، وفي كتاب المغازى (٦٤) ، باب غزوة الطائف (٥٦) ، ١٠٣/٥ ، وفي كتاب فضائل القرآن (٦٦) ، باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب (٢) ، ٩٨-٩٧/٦ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج (١٥) ، باب مايباح للمحرم (١) برقم ١١٨٠ ، وسياق القصة له ٨٣٧/٢ .

(٨) ومن أقوى ما يدل على أن الإسلام لم يكن مقتبساً من اليهودية أو النصرانية ، وجود الخلاف في كثير من العقائد والأحكام . بل جعل الشارع الحكيم جنس مخالفتهم أمراً مقصوداً له ، ومن متطلبات الشرع ، وهنالك كثير من الأحكام جعلت العلة فيها هي مخالفة اليهود أو النصارى (١).

من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم" (٢).

وقال صلى الله عليه وسلم : "خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم" (٣).

عن أنس إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم ، لم يؤاكلوها ولم يجامعن في البيوت . فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ١/١٦٠، ١٦١، ١٧٣، ١٧٧ .

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب ماذكر عن بنى إسرائيل (٥٠) ، ١٤٥/٤ - ١٤٦ ، وفي كتاب اللباس (٧٧) ، باب الخضاب (٦٧) ، ٥٧/٧ .

وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب اللباس والزينة (٣٧) ، باب في مخالفة اليهود في الصبغ (٢٥) برقم ٢١٠٣ ، ١٦٦٣/٣ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه من حديث شداد بن أوس ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة في النعال برقم ٦٥٢ ، ١٧٦/١ .

قال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "وإسناده صحيح" . مشكاة المصابيح ٢٣٨/١ الهامش .

وأخرجه البيهقى في سننه ، كتاب الصلاة ، باب سنة الصلاة في النعلين ٤٣٢/٢ ، والحاكم في المستدرک ، كتاب الصلاة . وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي ٢٦٠/١ .

وذكره الهيثمى في مجمع الزوائد من حديث أنس بن مالك . وزاد فيه : "وصلوا في خفافكم ونعالكم" . وقال : رواه البزار ٥٧/٢ .

وقد نص الشيخ ناصر الدين الألبانى على صحة الحديث .

انظر : صحيح سنن أبي داود ١٢٨/١ ورقمه ٦٠٨ .

الله عليه وسلم . فأنزل الله تعالى : {ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض} الى آخر الآية^(١). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اصنعوا كل شيء إلا النكاح" فبلغ ذلك اليهود فقالوا : "ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه"^(٢) الحديث .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"فهذا الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود ، بل على أنه خالفهم في عامة أمورهم ، حتى قالوا : ما يريد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه"^(٣).

فهذا إقرار من اليهود عليهم لعائن الله ، بمخالفة النبي صلى الله عليه وسلم لما كانوا عليه من شعائر حتى اشتهر ذلك بينهم ، ألا يكفى ذلك برهاناً ساطعاً على بطلان قول المستشرقين أنه كيف شعائر الإسلام لتتفق مع شعائر اليهود؟ أولم يكفهم أنه صلى الله عليه وسلم أخرج اليهود أذلاء حقيرين من المدينة وأجلاهم عنها لما نقضوا عهودهم معه ، وأبى عليهم أن يساكنوه في بلد واحد؟^(٤)

(١) سورة البقرة : آية ٢٢٢

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحيض (٣) ، باب الاضجاع مع الحائض في لحاف واحد (٢) برقم ٣٠٢ ، ٢٤٦/١ .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ١٨٧/١ .

(٤) روى البخارى ومسلم بسنديهما إلى ابن عمر رضى الله عنهما قال : "حاربت النضير وقريظة فأجلى بنى النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فأمنهم وأسلموا وأجلى يهود المدينة كلهم بنى قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بنى حارثة وكل يهود المدينة" . هذا لفظ البخارى كتاب المغازى (٦٤) ، باب حديث بنى النضير (١٤) ، ٢٢/٥ .

وصحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير (٣٢) ، باب إجلاء اليهود من الحجاز (٢٠) برقم ١٧٦٦ ، ١٣٨٧-١٣٨٨/٣ .

أما وقف المستشرقون على الآيات والأحاديث العديدة الدامة لليهود ،
والهاتكة لستورهم؟ أفى ذلك أيضاً دلالة على أن النبي كان يتقرب منهم
ويتزلف لهم لكسبهم وإرضائهم؟

إن النبي صلى الله عليه وسلم منذ أن بعث وحمل رسالة الإسلام ،
نسخ الأديان السابقة ، وأبطل شرعيتها ، فلأنجاة لأحد من الخلق يهودياً كان
أو نصرانياً إلا بالتزام شرعه والسير على نهجه ، وهو القائل صلى الله عليه
وسلم : "والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى
ولانصرانى ، ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به ، إلا كان من أصحاب
النار" (١).

فلابقاء لدين مع دينه صلى الله عليه وسلم ، ولاشريعة مع شريعته ،
بل دينه هو الحاكم والمهيمن على كل الأديان . قال سبحانه وتعالى : {وأأنزلنا
إليك الكتاب بالحق مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه فاحكم
بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق} (٢) الآية . وقال
تعالى : {قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك
السموات والأرض لإله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى
الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون} (٣).

واستدلّاهم بصوم عاشوراء على موافقة اليهود فيه أمور تحتاج إلى
إيضاح :

أولاً : جاءت الأحاديث تترى عن النبي صلى الله عليه وسلم تأمر
بصيام يوم عاشوراء ، وكان مفروضاً فى بادىء الأمر ، فلما شرع صوم
رمضان ، أصبح صيامه مستحباً .

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، كتاب الإيمان (١)
باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ
الملل بملته (٧٠) برقم ٢٤٠ ، ١٣٤/١ .

(٢) سورة المائدة : آية ٤٨

(٣) سورة الأعراف : آية ١٥٨

وذلك لقول عائشة رضى الله عنها : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بصيام يوم عاشوراء ، فلما فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر" (١).

ثانياً : وردت بعض الأحاديث الصحيحة التى يمكن أن يؤخذ منها موافقته صلى الله عليه وسلم لليهود . من ذلك : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : "قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : ما هذا؟ قالوا : هذا يوم صالح ، هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى ، قال : فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه" (٢).

وعلة الموافقة هى التى بنى عليها المستشرقون شبهتهم السابقة .
ويجاب بالآتى :

(١) لقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصوم عاشوراء فى الجاهلية قبل قدومه المدينة .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : "كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فلما قدم المدينة

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الصوم (٣٠) ، باب صوم يوم عاشوراء (٦٩) ٢/٢٥٠ .

وأخرجه مسلم بلفظ مقارب ، كتاب الصيام (١٣) ، باب صوم يوم عاشوراء (١٩) ٢/٧٩٢ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الصوم (٣٠) ، باب صوم يوم عاشوراء (٦٩) ٢/٢٥١ .

وأخرج نحوه فى كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب قول الله تعالى : {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} (٢٤) ٤/١٢٦ ، وفى كتاب مناقب الأنصار (٦٣) ، باب إتيان اليهود النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة (٥٢) ، ٤/٢٦٩ ، وفى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة يونس (١٠) ، باب (١) ، ٥/٢١١-٢١٢ ، وفى تفسير سورة طه (٢٠) ، باب (٢) ، ٥/٢٣٩ .

وأخرج مسلم فى صحيحه نحوه ، فى الكتاب والباب السابقين برقم ١١٣٠ ، ٢/٧٩٥-٧٩٦ .

صامه وأمر بصيامه ، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامه ومن شاء تركه" (١).

وفي رواية : "وكان يوم تستر فيه الكعبة" (٢).

فدل بهذا على أنه صلى الله عليه وسلم لم يصمه موافقة لليهود واقتداء بهم ، فيكون قوله في الحديث "فأنا أحق بموسى منكم" ، تأكيداً لصومه ، وبياناً لليهود : أن الذى يفعلونه من موافقة موسى نحن أيضاً نفعله ، فنكون أولى بموسى منكم (٣).

(٢) إن النبى صلى الله عليه وسلم بين نوع مخالفة لليهود فى صيام عاشوراء عندما شرع صيام يوم قبله أو بعده .

فعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "صوموا يوم عاشوراء ، وخالفوا فيه اليهود ، صوموا قبله يوماً أو بعده يوماً" (٤).

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الصوم (٣٠) ، باب صوم يوم عاشوراء (٦٩) ٢/٢٥٠ .

وأخرجه بلفظ مقارب فى كتاب الحج (٢٥) ، باب قول الله تعالى : {جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس} (٤٧) ، ٢/١٥٩ ، كتاب الصوم (٣٠) ، باب وجوب صوم رمضان (١) ، ٢/٢٢٦ ، كتاب مناقب الأنصار (٦٣) ، باب أيام الجاهلية (٢٦) ، ٤/٢٣٤ ، كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة (٢) ، باب {ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام} (٢٤) ، ٥/١٥٥ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظ مقارب ، فى الكتاب والباب السابقين برقم ١١٢٥ ، ٢/٧٩٢-٧٩٣ .

(٢) هذه الرواية أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الحج (٢٥) ، باب قول الله تعالى : {جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس} (٤٧) ، ٢/١٥٨-١٥٩ .

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ١/٤١٣-٤١٤ ، فتح البارى ٤/٢٤٨ .

(٤) أخرجه أحمد فى مسنده ١/٢٤١ ، والبيهقى فى سننه موقوفاً على ابن عباس ، كتاب الصيام ، باب صوم يوم التاسع ٤/٢٨٧ .

قال الشيخ الأرناؤوط : "وسنده صحيح" . زاد المعاد ٢/٦٩ الهامش .

وأخرج عبد الرزاق فى المصنف نحوه موقوفاً على ابن عباس أيضاً ، باب صيام يوم عاشوراء برقم ٧٨٣٩ ، ٤/٢٨٧ .

وعنه قال : حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه ، قالوا : يارسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فإذا كان العام المقبل ، إن شاء الله ، صمنا اليوم التاسع" ، قال : فلم يأت العام المقبل ، حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

فدل ذلك على مخالفته لهم في صيامه (٢) .

وأما زعمهم أن المؤمنين كانوا لا يصلون في مكة إلا مرتين في اليوم ، ثم أدخلت صلاة الثالثة عندما ذهبوا إلى المدينة على غرار اليهودية . فهو زعم أوهى من خيط العنكبوت ، إذ الصلوات الخمس فرضت بمكة ليلة الإسراء حين عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء ، ولا خلاف بين أهل العلم وأهل السير في ذلك (٣) .

وهذا الذى دلت عليه الأحاديث الصحيحة التى وردت فى صفة الإسراء والمعراج فى الصحيحين وغيرهما ، من أحاديث جماعة من الصحابة رضى الله عنهم (٤) .

وفى أحدها قوله صلى الله عليه وسلم : "فلم أزل أرجع بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال : يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة" (٥) الحديث .

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الصيام (١٣) ، باب أى يوم يصام فى عاشوراء (٢٠) برقم ١١٣٤ ، ٧٩٧/٢ - ٧٩٨ .

(٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٤١٥/١ ، فتح البارى ٢٤٥/٤ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢١٠/١٠ .

(٤) انظر : صحيح البخارى ، كتاب الصلاة (٨) ، باب كيف فرضت الصلاة (١) ، ٩١/١ - ٩٣ ، كتاب الحج (٢٥) ، باب ما جاء فى زمزم (٧٦) ، ١٦٧/٢ ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب ذكر إدريس عليه السلام (٥) ، ١٠٦/٤ - ١٠٨ .

صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات (٧٤) ، ١٤٥/١ - ١٥١ .

(٥) هذه الرواية بهذا اللفظ أخرجها مسلم فى صحيحه ، فى الكتاب والباب السابقين من حديث أنس بن مالك ، ورقمه ١٦٢ ، ١٤٥/١ - ١٤٧ .

وأما زعمهم أنه جعل الجمعة يوم صلاة عامة على غرار السبت عند اليهود . فهو أيضاً قول مخالف للصواب ، لأن الله سبحانه شرع لعباده المؤمنين الاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال تعالى : {ياأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون} (١).

وقد ثبت أن الله أمر الأمم السابقة بتعظيمه فضلوا عنه ، واختار اليهود السبت والنصارى الأحد ، وفضل الله هذه الأمة بيوم الجمعة لفضيلته (٢).

عن أبي هريرة وحذيفة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا . فكان لليهود يوم السبت . وكان للنصارى يوم الأحد . فجاء الله بنا ، فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد . وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة . نحن الآخرون من أهل الدنيا . والأولون يوم القيامة . المقضى لهم قبل الخلائق" (٣).

ففى الحديث ذم لأهل الكتابين على تفريطهم فى يوم الجمعة . ثم شرع صلى الله عليه وسلم صيام يوم السبت ويوم الأحد مخالفة لهما . كما جاء فى حديث أم سلمة أنها قالت : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم يوم السبت ويوم الأحد أكثر مما يصوم من الأيام ويقول : إنهما عيد

(١) سورة الجمعة : آية ٩

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ٣٦٥/٤ .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الجمعة (٧) ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة

(٦) برقم ٨٥٦ ، ٥٨٦/٢ .

وأخرج البخارى نحوه من حديث أبى هريرة ، كتاب الجمعة (١١) ، باب فرض الجمعة (١) ، ٢١١-٢١٢ ، وفى باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل (١٢) ، ٢١٦/٢ .

وأخرج مسلم نحوه أيضاً من حديث أبى هريرة فى الكتاب والباب السابقين برقم ٨٥٥ ، ٥٨٦-٥٨٥/٢ .

المشركين فأنا أحب أن أخالفهم" (١).

قال الحافظ ابن حجر : "يوم السبت عيد عند اليهود والأحد عيد عند النصارى وأيام العيد لاتصام فخالفهم بصيامها" (٢).

بعد هذا يتضح لنا أن وحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم لم يكن مأخوذاً من اليهودية أو النصرانية وإنما هو وحى مستقل لم يتأثر بغيره. وبالتالي دين الإسلام دين قائم بذاته متميز عن غيره ، وإذا وجد تشابه بين نسك إسلامى وبين عمل سابق منسوب إلى دين اليهود أو النصارى . دل ذلك على أن أصل الدين الذى جاء به رسل الله واحد (٣).

قال تعالى : {إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون} (٤). وقال صلى الله عليه وسلم : "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة ، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد" (٥).

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ٣٢٤/٦ .

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد . وقال : "رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات وصححه ابن حبان" ٢٠١/٣ .

وأخرج الترمذى نحوه من حديث عائشة رضى الله عنها ، كتاب الصوم (٦) ، باب ماجاء فى صوم يوم الاثنين والخميس (٤٢) برقم ٧٤٦ ، ١٢٢/٣ .

وقد جاء من الأحاديث مايدل على النهى عن صيام يوم السبت . إلا أن الإمام أبداود رحمه الله يرى أن ذلك منسوخ .

انظر : سنن أبى داود ٣٢١/٢ ، فتح البارى ٣٦٢/١٠ .

(٢) فتح البارى ٣٦٢/١٠ .

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٨٣٨/٢ ، مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ١٦٥/١ ، الرسول فى كتابات المستشرقين ص ١٢٥ ، نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن ص ٢٩١ .

(٤) سورة الأنبياء : آية ٩٢

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب : {واذكر فى الكتاب مريم} (٤٨) ، ١٤٢/٤ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه عنه رضى الله عنه بألفاظ مقاربة . كتاب الفضائل (٤٣) ، باب فضائل عيسى عليه السلام (٤٠) ، ورقمه ٢٣٦٥ ، ١٨٣٧/٤ . =

أى أصل إيمانهم واحد لأنهم متفقون فى أصول التوحيد ، وأما فروع الشريعة فوق فيها اختلاف (١).

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله العلاقة بين شريعة الإسلام والشرائع السابقة ، مقسماً ذلك إلى ثلاثة أقسام :

(أ) قسم مشروع فى ديننا ، مع كونه كان مشروعاً لهم ، أو لا يعلم أنه كان مشروعاً لهم لكنهم يفعلونه الآن .

(ب) وقسم كان مشروعاً ثم نسخه شرع القرآن .

(ج) وقسم لم يكن مشروعاً بحال ، وإنما هم أحدثوه .

وهذه الأقسام الثلاثة : إما أن تكون فى العبادات المحضة ، وإما أن تكون فى العادات المحضة ، وهى الآداب . وإما أن تجمع العبادات والعادات (٢).

(أ) الإدعاء بأنه أخذ ذلك من بحيرى الراهب :

لقد تعرضت كثير من كتب السير إلى قصة بحيرى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وملخص ما أورده ابن هشام رحمه الله :

إن أبا طالب خرج فى ركب تاجراً إلى الشام ومعه النبی صلى الله عليه وسلم وهو حديث السن ، فمروا براهب يدعى بحيرى فى صومعة له وكان إليه علم أهل النصرانية ، فصنع لهم طعاماً فدعاهم إليه ، وذلك أنه رأى غمامة تظل النبی صلى الله عليه وسلم من بينهم فلما حضروا إليه جعل يلحظ النبی صلى الله عليه وسلم لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ، ثم جعل يسأله عن أشياء من حاله فى نومه

= إخوة لعلات : هم الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد . أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة .

النهاية ٢٩١/٣ ، وانظر : الفائق ٤٤/٣ .

(١) انظر : شرح النووى على صحيح مسلم ١٢٠/١٥ ، فتح البارى ٤٨٩/٦ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٤٢٠/١ .

وهيئته وأموره ، فأخبره ، فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ، ثم سأل أبا طالب عنه فأخبره أنه ابن أخيه ، فأمره أن يرجع به إلى بلده ، وحذره عليه من اليهود ، وأخبره أنه كائن له أمر عظيم .
فخرج به عمه سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته (١).

- (١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ص ١١٠-١١٢ .
والقصة رواها الإمام الترمذى فى سننه ، من طريق أبى موسى الأشعرى ، كتاب المناقب (٥٠) ، باب ماجاء فى بدء نبوة النبى صلى الله عليه وسلم (٣٠) ، برقم ٣٦٢٠ ، ولم يرد اسم (بحيرى) فى القصة ، وقال : "حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه" ٥٥٠/٥-٥٥١ .
وروى الخبر الحاكم فى المستدرک . وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" . قال الذهبى : "أظنه موضوعاً فبعضه باطل" . ٦١٥/٢-٦١٦ .
ورواه البيهقى فى دلائل النبوة ، باب ماجاء فى خروج النبى صلى الله عليه وسلم مع أبى طالب ٢٤/٢-٢٥ .
وأورده ابن كثير من طريق ابن إسحاق ، ثم قال : "هكذا ذكر ابن إسحاق هذا السياق من غير إسناد منه . وقد ورد نحوه من طريق مسند مرفوع .
فقال الحافظ أبو بكر الخرائطى حدثنا عباس بن محمد الدورى حدثنا قراد أبو نوح حدثنا يونس عن أبى إسحاق عن أبى بكر بن أبى موسى عن أبيه . فساق رواية الترمذى .
ثم قال : "وهكذا رواه غير واحد من الحفاظ من حديث أبى نوح عبد الرحمن ابن غزوان الخزاعى مولاهم ، ويقال له الضبي ويعرف بقراد . سكن بغداد وهو من الثقات الذين أخرج لهم البخارى ، وثقه جماعة من الأئمة والحفاظ ولم أر أحداً جرحه ، ومع هذا فى حديثه هذا غرابة ... قال عباس الدورى : ليس فى الدنيا أحد يحدث به غير قراد أبى نوح وقد سمعته منه أحمد بن حنبل رحمه الله ويحيى بن معين لغرابته وانفراده .
قلت : فيه من الغرائب أنه من مراسلات الصحابة . فإن أبا موسى الأشعرى إنما قدم فى سنة خير ، سنة سبع من الهجرة . ولا يلتفت إلى قول ابن إسحاق فى جعله له من المهاجرة إلى أرض الحبشة من مكة . وعلى كل تقدير فهو مرسل .
فإن هذه القصة كانت ولرسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر فيما ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة ، ولعل أبا موسى تلقاه من النبى صلى الله عليه وسلم ، فيكون أبلغ ، أو من بعض كبار الصحابة رضى الله عنهم ، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذه من طريق الاستفاضة" . البداية والنهاية ٢٨٤/٢-٢٨٥ .
وقد ذهب الشيخ ناصر الدين الألبانى إلى صحة الرواية . وذكر أن إسناد الترمذى صحيح . انظر : فقه السيرة ص ٦٨ الهامش .

وقد دفع هذه الشبهة الشيخ الزرقاني رحمه الله دفعاً رد به مزاعم المستشرقين ، بحيث لا يجدون بعد ذلك متعلقاً في هذه الحادثة البتة . قال : "يقولون إن محمداً صلى الله عليه وسلم لقي بحيرى فأخذ عنه وتعلم منه ... وندفع هذا :

أولاً : بأنها دعوى مجردة عن الدليل ، خالية من التحديد والتعيين . ومثل هذه الدعاوى لا تقبل مادامت غير مدللة ، وإلا فليخبرونا ما الذى سمعه محمد من بحيرى الراهب؟ ومتى كان ذلك وأين كان؟

ثانياً : أن التاريخ لا يعرف أكثر من أنه صلى الله عليه وسلم سافر إلى الشام فى تجارة مرتين ، مرة فى طفولته ومرة فى شبابه ، ولم يسافر غير هاتين المرتين ، ولم يجاوز سوق بصرى فيهما . ولم يسمع من بحيرى ولا من غيره شيئاً من الدين . ولم يك أمره سراً هنالك بل كان معه شاهد فى المرة الأولى وهو عمه أبو طالب ، وشاهد فى الثانية وهو ميسرة غلام خديجة التى خرج الرسول بتجارته أيامئذ .

وكل ما هنالك أن بحيرى الراهب رأى سحابة تظله صلى الله عليه وسلم من الشمس ، فذكر لعمه أن سيكون لهذا الغلام شأن ، ثم حذره عليه من اليهود . وقد رجع به عمه خوفاً عليه ولم يتم رحلته .

كذلك روى هذا الحادث من طرق فى بعض أسانيدنا ضعف . ورواية الترمذى ليس فيها اسم بحيرى . وليس فى شيء من الروايات أنه صلى الله عليه وسلم سمع من بحيرى أو تلقى منه درساً واحداً أو كلمة واحدة ، لا فى العقائد ولا فى العبادات ولا فى المعاملات ولا فى الأخلاق . فأنى يؤفكون؟

ثالثاً : أن تلك الروايات التاريخية نفسها تحيل أن يقف هذا الراهب موقف المعلم المرشد لمحمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه بشره أو بشر عمه بنبوته ، وليس بمعقول أن يؤمن رجل بهذه البشارة التى يزفها ، ثم ينصب نفسه أستاذاً لصاحبها الذى سيأخذ عن الله ويتلقى عن جبريل ويكون هو أستاذ الأستاذين ، وهادى الهداة والمرشدين! وإلا كان هذا الراهب متناقضاً مع نفسه .

رابعاً : أن بحيرى لو كان مصدر هذا الفيض الإسلامى المعجز لكان هو أخرى بالنبوة والرسالة والانتداب لهذا الأمر العظيم .

خامساً : أنه يستحيل فى مجرى العادة أن يتم إنسان على وجه الأرض تعليمه وثقافته ، ثم ينضج النضج الخارق للمعهود فيما تعلم وتثقف ، بحيث يصبح أستاذ العالم كله ، لمجرد أنه لقى مصادفة واتفاقاً راهباً من الرهبان مرتين . على أن هذا التلميذ كان فى كلتا المرتين مشغولاً عن التعليم بالتجارة وكان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة ، وكان صغيراً تابعاً لعمه فى المرة الأولى ، وكان حاملاً لأمانة ثقيلة فى عنقه لابد أن يؤديها كاملة فى المرة الثانية ، وهى أمانة العمل والإخلاص فى مال خديجة وتجارته .

سادساً : أن طبيعة الدين الذى ينتمى إليه الراهب بحيرى ، تأبى أن تكون مصدراً للقرآن وهدايته ، خصوصاً بعد أن أصاب ذلك الدين ما أصابه من تغيير وتحريف .

سابعاً : أن هذه التهمة لو كان لها نصيب من الصحة ، لفرح بها قومه وقاموا لها وقعدوا ، لأنهم كانوا أعرف الناس برسول الله ، وكانوا أحرص الناس على تبهيته وتكذيبه وإحباط دعوته بأية وسيلة^(١).

يتبين لنا مما سبق أن لقاءه ببخيرى كان فى وقت وجيز ، وكان لقاء سريعاً لا يكفى لحمل هذا العلم الذى نثره النبى صلى الله عليه وسلم فى مدة ثلاثة وعشرين عاماً ، وقد كان صلى الله عليه وسلم فى سن التاسعة أو الثانية عشرة من عمره ، وهذه سن لا تؤهله لحمل واستيعاب كثير من المسائل ، وعمه ما كان يفارقه طرفة عين ، ولم ينفرد به ببخيرى ليلقنه ذاك الدرس المزعوم .

ومع أن هذه الحادثة ليس لها كبير أهمية إلا أن أعداء الإسلام من المستشرقين يتشبثون بها ، ويركزون عليها ، ولا حجة لهم فى ذلك^(٢).

(١) مناهل العرفان ٤٢١/٢-٤٢٣ .

(٢) انظر : الإسلام والمستشرقون ص ٢٢٨ .

(ب) الادعاء بأنه أخذ من ورقة بن نوفل :

روى البخارى رحمه الله بسنده إلى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : "أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال : {اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم} (١) . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال : زمelonى زمelonى . فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى . فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - ابن عم خديجة - وكان امرءاً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمى ، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ، يا ليتنى فيها جذعاً ، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أومخرجى هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرأ مؤزراً . ثم لم ينشب

ورقة أن توفي وفتر الوحي" (١).

وعلى ضوء هذه الرواية الصحيحة يمكن أن نبين بطلان مزاعم المستشرقين ، وتهافت أقوالهم ، وفسادها . وذلك في النقاط التالية :

الأولى : تبين الرواية أن ورقة كان قد تنصر في الجاهلية ، ولكن المحدثون والمؤرخون استقصوا كل ما عرف عنه مما صح سنده ومما لم يصح فلم يعثروا على رواية تبين أنه كان داعية إلى النصرانية (٢).

الثانية : لم ينقل أن النبي صلى الله عليه وسلم قد لقي ورقة قبل هذا اللقاء أو رآه (٣).

الثالثة : لقد تم هذا اللقاء بعد مجيء ملك الوحي في المرة الأولى ، وقد حضرت اللقاء خديجة رضى الله عنها وشهدته ، وقد آمنت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، فلو كان هنالك تعلم وتلقى ما غاب ذلك عن بالها أبداً (٤).

الرابعة : إن موقف ورقة من ذلك الأمر كان موقف المستطلع المستخبر لا موقف المعلم ، فلما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم خبر مارأى كان موقفه موقف المبشر المصدق المؤمن المتطوع لمناصرة الحق ، المؤيد للنبي صلى الله عليه وسلم ، فموقف هذا شأن صاحبه لا يمكن أن يكون هذا الصاحب مصدر علم الوحي الذى شرف به رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥).

(١) الحديث سبق تخريجه . انظر ص ٣٦٢

(٢) انظر : الوحي المحمدى ص ٩٦ ، نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن ص ٢١٧ ، الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص ٤٢٢ .

(٣) انظر : الوحي المحمدى ص ٩٦ .

(٤) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن ص ٢١٨ ، الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص ٤٢٣ .

(٥) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن ص ٢١٨ ، الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص ٤٢٣ .

الخامسة : لم تذكر الروايات أنه ألقى إلى النبي صلى الله عليه وسلم درساً أو عظة في أى جزء من جزئيات الإسلام ولم تثبت أنه كان صلى الله عليه وسلم يتردد عليه لتلقى تلك الدروس ، والذي يفهم من كلمته المختصرة أنه كان يتمنى أن يبقى حتى يصبح ناصراً لدين الله ، وجندياً مخلصاً ، وتلميذاً ناجحاً للنبي صلى الله عليه وسلم لأستاذاً مريباً ، ولاعلاماً معلماً (١).

السادسة : لقد مات ورقة مبكراً ، ولم يمكث زمناً طويلاً . فكيف كان هو سر نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ (٢)
وكيف تنبأ للنبي صلى الله عليه وسلم بتلك الحوادث والأمر التي حدثت فيما بعد؟ أكان يعلم الغيب؟ {قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون} (٣).

السابعة : لو ثبت أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ذلك من ورقة لما سكت أعداؤه أبداً ، ولروجوا ذلك ، وساروا به في الناس جميعاً ، وهم الذين تشبثوا بما هو أوهى من ذلك (٤).

الثامنة : لو كان ورقة هو الذي أعطى علوم النبوة للنبي صلى الله عليه وسلم لكان هو أولى بالنبوة منه صلى الله عليه وسلم .

التاسعة : لو كان ورقة هو المعلم ، وقد كان معاشياً للنبي في مكة ، فلماذا انتظر إلى أن هرم وبلغ النبي من العمر أربعين .

(ج) ادعائهم أنه أخذ من الحاشية اليهودية والمسيحية المسلمة :

إن هذا ادعاء يعلم ببداهة العقول فساد ، فأغلب هؤلاء الذين ذكرهم الحداد لم يلتق بهم النبي صلى الله عليه وسلم إلا بعد الهجرة ، وقد سبق

(١) انظر : مناهل العرفان ٤٢٨/٢ .

(٢) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن ص ٢١٨ ، الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص ٤٢٣ .

(٣) سورة النمل : آية ٦٥

(٤) انظر : الإسلام والمستشرقون ص ٢٢٨ .

عمر مديد من حياة النبوة ، وقد التقى بهم تابعين له لامتبوعين ، ومتعلمين منه لامعلمين ، ومؤمنين به ومصدين لامكذبين^(١).
قال د. التهامي نقرة :

"إن ما يدعيه المستشرقون من إفادة الرسول من حاشيته اليهودية والمسيحية الذين أسلموا وكانوا في صحبته ، هو محض افتراض ، لأن إسلامهم حجة قائمة على صدق ما جاء به من الوحي الإلهي . ولو تبين لهم أنه كان يتتلمذ لهم في خفاء ليتلقى عنهم ما كان يدعو إليه لانفضوا من حوله ، ولعادوا إلى دينهم ، ولم تكن لهم تلك المنزلة الرفيعة في الدعوة إلى الإسلام والذود عنه ، والإخلاص للرسول ، فإن ثباته في الشدائد والمحن ، ومثابرته على مغالبة الكبر والعناد ، أول برهان قدمه للإنسانية على مدار التاريخ ، يشهد بصحة نبوته وصدق رسالته"^(٢).

(١) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن ص ٢٢٢، ٢٢١ ، الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص ٤٢٦ .

(٢) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ٣٥/١ .

(٢) أن الوحي مقتبس من العقائد والأديان القديمة المختلفة :

لقد زعم المستشرقون أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يأت بجديد من الأفكار ، ولم يبشر بدين إلهي كما يقول ، وإنما أخذ أفكاره من الأديان والعقائد والنظريات السائدة في عهده ، وطور في بعضها لتساير مجتمعه الذي يعيش فيه . فالوحي الذي يزعمه هو عبارة عن لميم ومزيج من العقائد والعبادات الهندية والفارسية واليونانية والبابلية والوثنية والمجوسية وشرائع العرب في الجاهلية والأساطير الإبراهيمية والتزعات الصوفية وغير ذلك ، فلم يأت بما لم يسبق إليه^(١).

(١) انظر تفاصيل ذلك في: العقيدة والشرعية ص ٤، ٥، ١٨، ١٩ الأولى ، تراث الإسلام ٢/٢٠٦ ، ٣/١٠ ، تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٤٨، ٧١، ٧٤، ٧٦، ٨٠ ، تاريخ العرب ١/١٨٣-١٨٥ ، ملوك الطوائف ص ٤١١، ٤٧٠ .

والجواب عن ذلك :

إن الله سبحانه قد بعث محمداً صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل ، وذلك حين انحرفت الإنسانية عن طريق الرسل عليهم السلام ، وانغمست في لجج الضلال ، وانطمس نور الهداية ، فعاش الجميع في ظلام دامس ، إلا ماندر ممن بقى من أهل الكتاب على عقيدة التوحيد .

قال صلى الله عليه وسلم : "إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب" (١).

واختلفت عقيدة الإيمان بالله في نفوس البشر :

فالإله في التوراة له تصور خاص يتعلق بينى إسرائيل وأنبيائهم وليس له صفة العموم والشمول .

وفي الإنجيل فكرة التثليث التي تنافي الوجدانية (٢).

والبيئة التي نشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ، بيئة جاهلية اتخذت من الأصنام والأوثان آلهة تلجأ إليها في الشدة والرخاء ، لاتعرف معروفاً ولاتنكر منكراً ، اختلط عندهم الحق بالباطل ، وذلك الضلال الذى وصفهم الله به في قوله : {هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين} (٣).

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه . وهو جزء من حديث رواه عياض بن حمار المجاشعى

رضى الله عنه . كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) ، باب الصفات التى يعرف بها فى

الدنيا أهل الجنة وأهل النار (١٦) ، ورقمه ٢٨٦٥ ، ٢١٩٧/٤ .

قال النووى رحمه الله :

"المقت أشد البغض . والمراد بهذا المقت والنظر ما قبل بعثة رسول الله صلى الله

عليه وسلم . والمراد ببقايا أهل الكتاب : الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل .

شرح النووى على صحيح مسلم ١٩٧/١٧ - ١٩٨ .

(٢) انظر : الرسول صلى الله عليه وسلم فى كتابات المستشرقين ص ٣٥،٣٤ .

(٣) سورة الجمعة : آية ٢

وأما الهنود فلهم أديان كثيرة وعبادات مختلفة تجمع بين الوثنية الساذجة ، والآراء الفلسفية (١). وقد عبدوا عدداً من الآلهة ، فعبدوا الحيوانات وقوى الطبيعة وغير ذلك (٢).

والمجوسية التي هي دين الفرس وغيرهم أثبتوا أصليين مدبرين ، أحدهما النور وهو إله الخير والنفع والصلاح ، والآخر الظلمة وهي إله الشر والضر والفساد (٣). وجعلوا للنار بيوتاً وعبدوها من دون الله (٤). وعقائد اليونانيين والبابليين من الفلاسفة والصائبة الذين ينكرون النبوات (٥). فالصائبة يعبدون الكواكب والهيكل (٦)، والفلاسفة هم المقدسون للعقل القائلون بالوجود المطلق (٧). والصوفية التي انخرقت عن الصراط المستقيم وشابت عقائدها بالفلسفات الهندية والفارسية واليونانية وغير ذلك ، كعقيدة الحلول (٨) والاتحاد (٩)،

-
- (١) انظر : الملل والنحل ٩/٢ .
 (٢) انظر : أديان الهند الكبرى ص ٢١٣، ٣٣، ٣٢ .
 (٣) انظر : الملل والنحل ٢٣٢/١ .
 (٤) انظر : المرجع السابق ٢٥٤/١ .
 (٥) انظر : المرجع السابق ٣٨/١ .
 قال الشهرستاني : "صبأ الرجل إذا مال وزاغ ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيفهم عن نهج الأنبياء ، قيل لهم صائبة" . المرجع نفسه ٥/٢ .
 (٦) انظر : المرجع السابق ٧/٢ .
 (٧) انظر : المرجع السابق ٥٩، ٥٨/٢ .
 (٨) الحلول : عقيدة باطلة من عقائد المتصوفة أخذت عن العقائد الهندية والنصرانية . يزعمون فيها أن الله يحل في الأشخاص ، حتى يصبح الشخص رباً أو إلهاً يتصرف في الكون ويعلم الغيب . ومن أقوالهم في ذلك : "أنا الحق" . "وما في الجبة إلا الله" . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .
 انظر : الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص ٦٥ ، الموسوعة الميسرة ص ٣٤٧ .
 (٩) الاتحاد أو وحدة الوجود : هي عقيدة الحادية باطلة من عقائد المتصوفة . يزعمون فيها : أن كل شيء في الوجود هو الله . وأن الله هو الذي في الكون وحده ولا شيء معه ، وما هذه الظواهر من المخلوقات إلا مظاهر لحقيقة واحدة هي حقيقته . تعالى الله عما يقول الجاهلون .
 انظر : الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص ٦٩ ، الموسوعة الميسرة ص ٣٤٧ .

والفناء (١)(٢).

قال محمد الغزالي :

"فماذا كان مصير الحضارات في مصر واليونان ، وفي الهند والصين ، وفي فارس وروما؟ لأقصد مصيرها من ناحية السياسة والحكم ، بل من ناحية العاطفة والعقل .

إن الوثنية الوضيعة اغتالتها ، وفرضت عليها السقوط في هذه الوهدة الزرية . فأمسى الإنسان الذي استخلفه الله ليكون ملكاً في السماوات والأرض أمسى عبداً مسخراً لأدنى شيء في السموات والأرض . وماذا بعد أن تقدس العجول والأبقار ، ويعبد الأخشاب والأحجار ، وتطبق شعوب بأسرها على الخرافة؟" (٣)

فيستحيل على هذه النحل الفاسدة ، والعقائد المنحرفة أن تكون مصدراً لعقيدة التوحيد الصافية الخالية من كل شائبة شرك ، ولذلك الدين القويم والهدى المستقيم الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) الفناء :

عقيدة الحادية باطلة من عقائد المتصوفة يزعمون فيها أن العبد يفنى في الله بمعنى أنه يرى أن الله هو الوجود وأنه لا وجود لسواه ، لابه ولا غيره .

قال ابن القيم رحمه الله :

"زعم أهل الاتحاد - القائلون بوحدة الوجود - أن الفناء هو غاية الفناء عن وجود السوى . فلا يثبت للسوى وجود البتة . لافي الشهود ولا في العيان . بل يتحقق بشهود وحدة الوجود . فيعلم حينئذ : أن وجود جميع الموجودات هو عين وجود الحق ، فما ثم وجودان . بل الوجود واحد .

وحقيقة الفناء عندهم : أن يفنى عما لاحقيقة له . بل هو وهم وخيال ، فيفنى عما هو فان في نفسه . لا وجود له . فيشهد فناء وجود كل ماسواه في وجوده . وهذا تعبير محض . وإلا ففي الحقيقة : ليس عند القوم "سوى" ولا "غير" وإنما السوى والغير في الوهم والخيال . فحول هذا الفناء يدندنون وعليه يحومون" . مدارج السالكين ٣/٣٧٨ .

(٢) انظر : الموسوعة الميسرة ص ٣٤١، ٣٥٢ .

(٣) فقه السيرة ص ١٦-١٧ .

فأحيا الله به قلوباً غلفاً ، وأبصاراً عمياً ، وآذاناً صماً ، وانتشل به البشرية من وهدة الظلام وضلال العقول إلى بر الأمان وسلامة المعتقد .

وهذه النحل تحوى بين طياتها لميماً من العقائد والعبادات المختلفة المتباينة ، فكيف استقى النبي صلى الله عليه وسلم منها جميعاً ثم خرج بهذا الدين الذى لا تباين فيه ولا اختلاف؟ وهل لبشر مهما أوتى من النبوغ وحصافة العقل أن يجمع بين ملل تفرقت بها الأهواء وانحرفت بها السبل ، وتشعبت بها الطرق ، واختلفت مصادرها ومشاربها هذه الاختلافات البينة التى غصت بها كتب النحل والملل والأديان؟

لقد كان صلى الله عليه وسلم أمياً لا يقرأ ولا يكتب فى بيئة أمية جاهلية تقبع فى جزيرة العرب ليس لها معرفة واطلاع على عقائد وأديان الشعوب الأخرى إلا ما قل وندر ، ولم يخرج صلوات الله وسلامه عليه من جزيرة العرب قط ، ولم يختلط مع تلك الشعوب ويتعرف على عقائدها وثقافتها ليكون منها فكرة دينية ثم يزعم أنه أرسل لتبليغها للناس .

وقد أسلم كثير من أصحاب تلك النحل ، وحملوا هذا الدين ، وأصبحوا من أبنائه ، فلماذا لم يكشفوا عن هذه الحقيقة لأبناء نحلهم؟ ولماذا رضوا بالبقاء واستمرارية الانتماء له وهو دين منحول من أديانهم وغيرها؟ وأين هو الدليل الذى يثبت مزاعم المستشرقين على إفكهم هذا؟ وماهى العقيدة أو الشعيرة التى اقتبست من تلك النحل؟

لقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم الوثنيين وطهر أرض الحجاز منهم ومن أوثانهم ، وأجلى اليهود عن المدينة .

وكاتب ملوك الفرس والروم وغيرهم ، يدعوهم إلى ترك ما هم فيه والانخراط فى دينه ، وواصل خلفاؤه من بعده الفتوح فدكوا عرش الفرس واقتلعوا دولتهم من جذورها ، وأخرجوا الروم من الجزيرة العربية ، وظل الإسلام يواصل سيره شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً ، ويغزو تلك النحل والملل فى عقر دورها ، ويخضع أصحابها إلى الانتماء إليه وترك أديانهم وعقائدهم ، فلو كان ملفقاً من تلك العقائد لماذا لم يجابه أربابها الفاتحين

بتلك الحجة - وما أسهلها - بدلاً من حمل السيف ومواجهة التقتيل والتشريد والسبي؟

ثم لماذا يحارب المسلمون أصحاب نخل يعلمون أن نبيهم عليه السلام قد استقى دينه منها؟ ولماذا لم يكرمواهم ويقدرهم ، ويجلوا عقائدهم بدلاً من سفك الدماء ، وسبي النساء ، وفرض الجزية؟.

كل هذا وغيره يبين فساد ادعاء المستشرقين وبطلان قولهم ، وتهافت عقولهم ، وانكشاف دسائسهم وأحقادهم .

(٣) أن الوحى كهانة :

قال بروكلمان :

"واستخدم محمد فى دعوته أساليب الكاهن ، كما عزا على غراره أحوال غيبوبته وما يصدر فى هذه الأحوال من تصريحاته إلى رفيق ذكر فيما بعد أنه الملك جبريل ، واعتقد أنه رسول الله إليه . ولا حاجة هنا إلى ذكر تاريخ دعوته التى ضاها بها فى مكة أسلوب الدعوة النصرانية ، ولعله كان يعرف هذه الدعوة عن طريق المبشرين النساطرة وقد زجت هذه الدعوة بمحمد فى خصومة مع قومه" (١).

(١) تاريخ الأدب العربى ١/١٣٤ ، وانظر تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٣٦-٣٧ .

والجواب عن ذلك :

هذه شبهة قديمة قذف بها النبي كفار قريش وضلالها ورموه بها (١).
وقد تولى الله عز وجل دحض ذلك في قرآنه الكريم فقال : {فذكر
فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون} (٢).

وقال : {فلا أقسم بما تبصرون . وما لا تبصرون . إنه لقول رسول كريم
وما هو بقول شاعر قليلًا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلًا ما تذكرون . تنزيل
من رب العالمين} (٣).

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية الأولى :
"يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يبلغ رسالته إلى
عباده وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان
والفجور فقال : {فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون} أى لست بحمد
الله بكاهن كما تقول الجهلة من كفار قريش والكاهن الذى يأتيه الرؤى من
الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء" (٤).

فقد أوضح ابن كثير رحمه الله أن مثيرى الشبهة هم أهل بهتان
وفجور ، وجهلة ، وهى من أبرز صفات المستشرقين الذين ضاهوا بقولهم
قول المشركين ، فهم قوم بهت لا يتوانون عن الكذب والفجور والإفك ،
وذلك لجهلهم وخفة عقولهم .

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ١٦٣/١ - ١٧٩ .

(٢) سورة الطور : آية ٢٩

(٣) سورة الحاقة : آية ٣٨ - ٤٣

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢٤٣/٤ .

انظر فى معنى الآية : زاد المسير ٢٢٠/٧ ، تفسير أبى السعود ١٥٠/٨ .

(٤) أن الوحي أسطورة :

بلغ الزعم بالمستشرق (تولستوف) إلى أن ينفي وجود النبي صلى الله عليه وسلم ويعتبره شخصية أسطورية . وأن الإسلام نشأ عن أسطورة صنعت في الخلافة لمصلحة الطبقة الحاكمة ، وأنها مستمدة من اعتقادات سابقة تسمى الحنيفية^(١).

(١) انظر : الإسلام والمستشرقون ص ٢٦٧ .

والجواب عن ذلك :

هذه شبهة لا تحتاج إلى رد ، وذكرها يكفي لبيان بطلانها ، لأن خبر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم نقل بالتواتر ، وعلم بذلك الأمم مسلمها وكافرها ، جيلاً بعد جيل ، وعصراً بعد عصر ، فإنكار ذلك كإنكار الحقائق الثابتة ، والأمور المعلومة ضرورة التي لا يختلف فيها اثنان .

يقول الإمام ابن حزم رحمه الله في شأن ماتواتر من الأخبار :
"وهو مانقلته كافة بعد كافة حتى تبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم .
وهذا خبر لم يختلف مسلمان في وجوب الأخذ به .

وفي أنه مقطوع على غيبه ، لأن بمثله عرفنا أن القرآن هو الذى أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ، وبه علمنا صحة مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ... إن البرهان قائم على صحته ... (١).

وما زعمه تليستوف أن النبي صلى الله عليه وسلم شخصية أسطورية لاحقيقة لها ، يقدر في عقله الذى خالف به العقلاء الذين أقروا بوجوده صلى الله عليه وسلم ، ومن أولئك المستشرقون أنفسهم . كما يقدر ذلك في ديانته إن كان له ديانة ، ونبيه إن كان يؤمن بنبي .

وزعمه أن ذلك مستمد من اعتقادات سابقة تسمى الحنيفية زعم واهى أيضاً ، لأن الحنفاء الذين كانوا في وسط البيئة الجاهلية التى بعث فيها النبي صلى الله عليه وسلم عدد قليل امتازوا بسلامة الفطرة ، وعرفوا ما كان عليه قومهم من الفساد والضلال ، وأيقنوا بوجود إله واحد هو الذى يجب أن تصرف له العبادة ، ولكنهم كانوا في حيرة من أمرهم لم يعرفوا الطريق الصحيحة لعبادة الله وحده .

فما كانوا عليه لا يصلح أن يكون أساساً ومصدراً للذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢).

(١) الإحكام فى أصول الأحكام ١٠٤/١ .

وقد سبق كلامه بطوله فى موضع الحديث عن المتواتر من ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) انظر الأدلة على صدق النبوة المحمدية ص ٤٥٣ .

(ج) مطاعن المستشرقين فى شخص النبى صلى الله عليه وسلم :

أراد المستشرقون أن يدعموا شبهاتهم السابقة فحذفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهم جائرة ، وكالوا له أبشع الشتائم وأسوأ السباب ، حتى يجردوه من مقام العصمة الملازمة لمنزلة النبوة ، ولكى يقولوا للناس هذا فرد من أفراد البشرية لا يختلف عنهم ، بل قد يكون دون الكثيرين منهم لما اتصف به من أخلاق ذميمة ، وأفعال تنافى الفضيلة ، فمثله لا يصلح أن يكون موضعاً لاصطفاء الرب سبحانه وتعالى ، إذ النبوة مقام سامى ودرجة رفيعة لا ينالها إلا الأصفياء الخالص من البشر ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس كذلك فلا يحق له أن يدعى هذه المنزلة العظيمة هكذا زعموا ، وبئس مازعموا .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرفع مكانة من أن تناله مطاعن أولئك ، وأسمى منزلة من أن تصل إليه تهمهم ، وهو أكمل الناس خلقاً ، وأحسنهم سجية ، وأصفاهم طبعاً ، وأوسعهم صدرأ ، وأبلغهم حلمأ ، فطر على مكارم الأخلاق ، وجبل على محاسن الصفات ، ومعالي الشيم .
ويكفى فى ذلك وصف الله له بقوله : {وإنك لعلى خلق عظيم} (١).
وقد كان خلقه القرآن صلوات الله وسلامه عليه .
وهذه مطاعنهم مشفوعة بالرد عليها ودحضها :

(أ) انشغاله بالنساء :

لقد صوروا النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كان ميالاً إلى النساء منشغلاً بهن ، حتى تطرق المرض والضعف إلى نشاطه بسبب الحياة الزوجية الواسعة التي عاشها (١).

فقد تزوج اثنتي عشرة امرأة منهن من تزوجها بدافع الحب ومنهن من كان زواجه منها لغرض سياسى أو اجتماعى (٢).
فقد روى عنه أنه قال : "إنما حبيب الى من دنياكم النساء والطيب" (٣).

وأضيف إلى ذلك فيما بعد "وجعلت قرّة عينى فى الصلاة".
وهذه الرواية وأمثالها تجعله بحق موضع اتهام خصومه الذين أخذوا عليه أنه لا يشتغل بغير النساء مما لا يتفق وصفة النبوة (٤).

(١) انظر : تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٦٧ .

(٢) انظر : تاريخ العرب ص ١٦٦ .

(٣) يأتى تخريج الحديث والكلام عنه .

(٤) انظر : العقيدة والشرعية ص ١٤٣ .

الجواب على ذلك :

هذا محض افتراء على رسول الهدى صلى الله عليه وسلم الذى ابتعته الله مريباً وهادياً إلى أحسن الأخلاق وأقومها سبيلاً ، فلم يتزوج صلى الله عليه وسلم بنسائه بدافع هوى أو غرام ، ولا مجرد شهوة ولا حب ، وهو الطاهر العفيف المتزه عن النقائص والعيوب والشهوات النفسية والمطامع الشخصية .

والدليل على ذلك أمور نجملها فيما يلى :

(أ) لقد تزوج صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها وهو فى عنفوان شبابه ، وكانت فى الأربعين من عمرها ولم يزد عليها حتى توفاه الله ، وقد بلغ الخمسين من عمره ، فلم يكن إلى هذا العمر رجلاً شهوانياً لاكتفائه بامرأة واحدة ، فمن باب أولى ألا يكون كذلك وقد جاوز سن الشباب والفتوة والرغبة فى النساء (١).

(ب) لم يكن فيمن تزوجهن بكرأ سوى عائشة رضى الله عنها وقد خطبها وهى صغيرة فى عمرها ، وأما سواها من نسائه صلى الله عليه وسلم فمنهن من كانت طاعنة فى السن ، ومن يصحبها أبناءها ، وأمثال هؤلاء تقل الرغبة فيهن ويضعف الاستمتاع بهن (٢).

(ج) لم يكن زواجه منهن صلى الله عليه وسلم بقصد رغبة أو شهوة وإنما لحكم ومصالح اقتضتها دعوة الإسلام ، من إيجاد روابط أسرية ، وتأليف للقلوب ، وكفالة لليتامى ، وإحسان إلى الأرامل وغير ذلك من أوجه المصالح التى ترتبط بزواجه من كل واحدة منهن (٣).

(١) انظر : حياة محمد ص ٣٢٨ ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ٣٦١-٣٦٢ ، الإسلام والمستشرقون ص ٢٢٨ .

(٢) انظر : حياة الرسول المصطفى ٦٤٦/٣ ، محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل والقرآن ص ٢١٩ .

(٣) انظر : حياة محمد ص ٣٣٠-٣٣٦ ، محمد رسول الله ص ٣٦٢ ، حياة الرسول المصطفى ٦٤٥/٣ ، محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل والقرآن ص ٢٢٠ .

قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله :

"وجملة القول أنه صلى الله عليه وسلم راعى المصلحة في اختيار كل زوج من أزواجه عليهن الرضوان في التشريع والتأديب والمودة والتأليف وكفالة الأرمال والأيتام ، فجذب إليه كبار القبائل بمصاهرتهم ، وعلم أتباعه احترام النساء وإكرام كرائمهن ، والعدل بينهن ، وقرر الأحكام بذلك ، وترك من بعده تسع أمهات للمؤمنين يعلمن نساءهم من الأحكام ما يليق بهن مما ينبغي أن يتعلمنه من النساء دون الرجال ، ولو ترك واحدة فقط لما كانت تغني في الأمة غناء التسع . ولو كان صلى الله عليه وسلم أراد بتعدد الزواج ما يريده الملوك والأمراء من التمتع بالحلال فقط لاختار حسان الأبقار على أولئك الثيبات المكتهلات منهن" (١).

(د) لقد كان صلى الله عليه وسلم بشراً يخضع لصفات البشرية ، فهو يحب ويبغض ، ويشتهي ويأنف ، ويرغب ويكره ، قال سبحانه : {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي} (٢). ومع ذلك لم يكن يتصرف في كل أموره الخاصة كما يحلو له ويشاء وإنما كان يخضع لأوامر ربه سبحانه وتوجيهاته (٣)، كحادثة زواجه من زينب بنت جحش رضي الله عنها فقد تم بأمر من الله تعالى (٤).

(١) نداء إلى الجنس اللطيف ص ٧٤ ، وانظر : ص ٥٧-٥٨، ٦٠-٧٤ من الكتاب نفسه .

(٢) سورة الكهف : آية ١١٠

(٣) انظر : حياة الرسول المصطفى ٦٤٥/٣ .

(٤) قال الله تعالى : {وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً} سورة الأحزاب : آية ٣٧

قال ابن كثير رحمه الله :

"وكان الذي ولي تزويجها منه هو الله عز وجل ، بمعنى أنه أوحى أن يدخل عليها بلاولي ولاعقد ولامهر ولاشهود من البشر". تفسير القرآن العظيم ٤٩١/٣ . =

وقد أباح الله لنبه صلى الله عليه وسلم أن يتزوج ماشاء من النساء ثم قصره على أزواجه اللاتي كن في عصمته وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن أو يستبدل بهن أزواجاً ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء أو السرارى وذلك في قوله له : {لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً} (١) جزاء لهن على اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة لما خيرهن الله سبحانه في ذلك بقوله لنبه صلى الله عليه وسلم : {يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحاً جميلاً . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً} (٢). ثم رفع الله هذا الحكم عنه صلى الله عليه وسلم وأباح له التزوج ولكنه لم يقع منه زواج صلى الله عليه وسلم بعد ذلك (٣) .

(هـ) لم يكن صلى الله عليه وسلم يعيش فراغاً في حياته ، وهو الذى لم يذق طعم الراحة منذ أن بعث إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم ، فقد قام بأعباء دعوة الله خير قيام ، فجاهد في سبيلها ونشرها بالسيف واللسان والقول واللسان ، وكان معلماً لأصحابه مؤدباً لهم حاكماً فيهم قاضياً بينهم ، مراعياً لحقوقهم ، وكان مجاهداً لنفسه ملازماً لعبادة

= ومما يؤيد ذلك ما رواه البخارى بسنده إلى أنس بن مالك قال :
"فكانت زينب تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول : زوجكن أهاليكن وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سموات" .
وفي رواية : "إن الله أنكحنى فى السماء" .
صحيح البخارى ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب {وكان عرشه على الماء} (٢٢) ،
١٧٦/٨ .

(١) سورة الأحزاب : آية ٥٢
(٢) سورة الأحزاب : آية ٢٨ ، ٢٩
(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ٥٠٢ ، ٥٠١ ، ٤٨٠ / ٣ .

ربه ، وكان يقوم حتى تتفطر أقدامه (١)، ويصوم حتى يظن أنه لا يفطر (٢)، فأين فراغه الذى يقضيه فى شهواته وملذاته (٣).

ولكن المستشرقين عدموا الحياء فأساءوا الأدب ، وليس بعد الكفر ذنب. (و) إن تعدد النساء ليس مما يطعن به الأنبياء ، ولا يعد قدحاً فيهم ، ولو كان قادحاً فى نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقدح فى نبوة الأنبياء السابقين الذين عرفوا بتعدد النساء فى كتب العهد القديم التى يؤمن بها أولئك المستشرقون الحاقدون (٤).

فقد نصت تلك الكتب على أن إبراهيم عليه السلام تزوج سارة ثم هاجر فى حياة الأولى ، ويعقوب عليه السلام قد تزوج بأربع نسوة ، وداود عليه السلام تزوج نساء كثيرة، وسليمان عليه السلام تزوج بألف امرأة ، وجاء فى شريعة موسى عليه السلام ما يدل على تعدد الزوجات وعدم تحريمه (٥).

فلم يكن صلى الله عليه وسلم فى ذلك بدعاً من الرسل ، ولا يجفى أن تعدد الزوجات كان أمراً شائعاً عند العرب مألوفاً لهم (٦).

(١) انظر : صحيح البخارى ، كتاب التهجد (١٩) ، باب قيام النبى صلى الله عليه وسلم حتى تتورم قدماه (٦) ، ٤٤/٢ ، كتاب التفسير (٦٥) ، باب تفسير سورة الفتح (٤٨) ، باب قوله {ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك} (٢) ، ٤٤/٦ ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب الصبر عن محارم الله (٢٠) ، ١٨٣/٧ . صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) ، باب إكثار الأعمال والاجتهاد فى العبادة (١٨) ، ٢١٧١/٤-٢١٧٢ .

(٢) انظر : صحيح البخارى ، كتاب التهجد (١٩) ، باب قيام النبى صلى الله عليه وسلم بالليل (١١) ، ٤٦/٢ ، كتاب الصوم (٣٠) ، باب صوم شعبان (٥٢) ، وباب ما يذكر من صوم النبى صلى الله عليه وسلم (٥٣) ، ٢٤٣/٢-٢٤٤ . صحيح مسلم ، كتاب الصيام (١٣) ، باب صيام النبى صلى الله عليه وسلم فى غير رمضان (٣٤) ، ٨٠٩/٢-٨١٢ .

(٣) انظر : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ٣٦٢ .

(٤) انظر : حياة الرسول المصطفى ٦٤٥/٣ .

(٥) انظر : إظهار الحق ص ٦١٦-٦١٩ .

(٦) انظر : حياة محمد ص ٣٢٨، ٣٢٩ ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ٣٦٢ .

ومع ذلك لم يكن دافع الشهوة هو الذى سيطر عليه صلى الله عليه وسلم فى زواجه ممن تزوج بهن . إضافة إلى أن تعدد الزوجات نفسه له حكم كثيرة يقصر هذا المقام عن ذكرها (١).

(ز) لقد تنبه العقلاء من أولئك القوم إلى فساد هذه الشبهة وبطلانها ، فكشفوا عن افتراء قومهم ومزاعمهم .

من أولئك الفيلسوف الإنجليزى توماس كارليل الذى يقول :
"وما كان محمد أخا شهوات - برغم ما اتهم به ظلماً وعدواناً ، وشد مانجور ونخطىء إذا حسبناه رجلاً شهوياً لاهم له إلا قضاء مآربه من الملاذ . كلا فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أية كانت" (٢).

وأما حديث "حب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني فى الصلاة" ، وزعم جولد زيهر أن قوله "وجعلت قرة عيني فى الصلاة" زيادة موضوعة أضيفت إلى الحديث فيما بعد ، والحديث يدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم موضع اتهام خصومه لانشغاله بالنساء .
يجاب على هذه الفرية بما يلى :

أولاً : الحديث أخرجه النسائى (٣) ، والإمام أحمد (٤) ، وعبد الرزاق (٥) ، والحاكم (٦) من حديث أنس بن مالك بزيادة قوله : "وجعلت قرة عيني فى الصلاة" .

(١) انظر : المرجع السابق ص ٣٦٣-٣٦٦ .

(٢) الأبطال ص ٨٩ .

(٣) سنن النسائى ، كتاب عشرة النساء ، باب حب النساء ٦٠،٥٨/٣ .

(٤) مسند أحمد ٢٨٥،١٢٨/٣ ، ١٩٩/٣ ولم يذكر "الدنيا" . وأخرجه عن عائشة بمعناه ٧٢/٦ .

(٥) مصنف عبد الرزاق ، باب المرأة تصلى وليس فى رقبتها قلادة وتطيب الرجال برقم ٧٩٣٩ ، ولم يذكر "الدنيا" ٣٢١/٤ .

(٦) مستدرک الحاكم ١٦٠/٢ ولم يذكر "الدنيا" .

وهو حديث صحيح بزيادته . وقد صححه جماعة من العلماء (١).
ثانياً : ليس في الحديث دلالة على انشغال النبي صلى الله عليه وسلم
بالنساء حتى يكون موضع اتهام خصومه .

نقل السيوطي عن التستري في شرح الأربعين أنه قال :
"من" في هذا الحديث بمعنى في ، لأن هذه من الدين ، لامن الدنيا وإن
كانت فيها . وإضافة في رواية (دياكم) للايذان بأن لالعلاقة له بها" (٢).
وقال الشيخ المناوي :

"إنه لم يضيفها لنفسه - أي الدنيا - فما قال "أحب" تحقيراً لأمرها لأنه
أبغض الناس فيها لأنها ليست من دنياه بل من آخرته كما ظن إذ كل
مباح دنيوى ينقلب طاعة بالنية فلم يبق لتخصيصه حينئذ وجه ، ولم يقل من
هذه الدنيا لأن كل واحد ناظر إليها وإن تفاوتوا فيه وأما هو فلم يلتفت إلا
إلى ما ترتب عليه مهم ديني ، فحجب إليه (النساء) والإكثار منهن لنقل ما بعث
من الشريعة مما يستحيا من ذكره من الرجال ولأجل كثرة سواد المسلمين
ومباهاته بهم يوم القيامة" (٣).

والرسول صلى الله عليه وسلم بشر وقد أباح الله له الأخذ من
الطيبات وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف كما قال تعالى : {ياأيها
الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً} (٤).

(١) قال الحاكم : "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي .
المستدرک ١٦٠/٢ .

وقال المناوي : "قال الحافظ العراقي : "إسناده جيد" ، وقال ابن حجر : حسن" .
فيض القدير ٣٧١/٣

وقال الشيخ ناصر الدين الألباني : "صحيح" . صحيح الجامع ٨٧/٣ .
وانظر : مشكاة المصابيح ١٤٤٨/٣ في الهامش ، ورقم الحديث ٥٢٦١ ، سير أعلام
النبلاء ٩٠/١٢ ، ٣٩٤/١٥ في الهامش .

(٢) زهر الربا على هامش سنن النسائي ٥٩/٧ .

(٣) فيض القدير ٣٧١/٣ .

(٤) سورة المؤمنون : آية ٥١

وقد قال صلى الله عليه وسلم : " لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ،
وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني " (١) .
فلم يكن صلى الله عليه وسلم راهباً متبتلاً كما يفعل رهبان النصارى ،
وجهلة المتصوفة ، كما أنه لم يطلق لنفسه العنان لتتغمس في الشهوات والملذات
كما يفعل عباد الدنيا ومقدسو المادة . إذ كان دينه وسطاً عدلاً في كل شيء .
لإفراط ولا تفريط (٢) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك ، كتاب النكاح : (٦٧)
باب الترغيب في النكاح : (١) ، ١١٦/٦ .
ومسلم في صحيحه بلفظ مقارب ، كتاب النكاح : (١٦) ، باب استحباب
النكاح : (١) ، برقم : (١٤٠١) ، ١٠٢٠/٢ .
(٢) انظر : سير أعلام النبلاء ٩٠، ٨٩/١٢ .

(ب) اهتمامه بالدنيا والغنائم وعيشه على التلصص والسلب :

لقد كان النبي ميالاً في بدء دعوته إلى الزهد في الدنيا والتهوين من أمرها ، ولكن لما بدأت الفتوحات وظهرت الغنائم ، تغير مبدأ الزهد في الدنيا إلى الطمع فيها ، وأصبح أمر الغنائم هو الذى يشغل باله ويدفعه إلى خوض الحروب وقتال الأعداء ، وهو الهدف نفسه الذى أثار به حماس جنوده ، الذين ما انضوا تحت لوائه إلا لعقدتهم الآمال على الكسب والفوائد الميسورة التى عرضت لهم ، وعلى السعى للاحتفاظ بها^(١).
قال مرجليوث^(٢):

"عاش محمد هذه السنين الست مابعد هجرته إلى المدينة على التلصص والسلب والنهب ، ولكن نهب أهل مكة قد يبرره طرده من بلده ومسقط رأسه وضياع أملاكه ، وكذلك بالنسبة إلى القبائل اليهودية في المدينة فقد كان هناك - على أى حال - سبب ما ، حقيقياً كان أم مصطنعاً يدعو إلى انتقامه منهم ، إلا أن خير^(٣) التى تبعد عن المدينة كل هذا البعد لم يرتكب أهلها في حقه ولا في حق أتباعه خطأ يعتبر تعدياً منهم جميعاً لأن قتل

(١) انظر : العقيدة والشريعة ص ١٣٤-١٣٥ ، تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٤٩ .

(٢) مرجليوث :

هو دافيد صمويل مرجليوث إنجليزي يهودى ، من كبار المستشرقين ، متعصب ضد الإسلام ، ومن محررى "دائرة المعارف الإسلامية" ، كان عضواً بالمجمع اللغوى المصرى ، والمجمع العلمى فى دمشق . عين أستاذاً للعربية فى جامعة اكسفورد . له كتب عن الإسلام والمسلمين لم يكن مخلصاً فيها للعلم . مات سنة ١٩٤٠م .
من آثاره : "التطورات المبكرة فى الإسلام" ، "محمد ومطلع الإسلام" ، "الجامعة الإسلامية" وغيرها .

انظر : الأعلام ٣٢٩/٢-٣٣٠ ، المستشرقون ٥١٨/٢-٥٢٠ ، الاستشراق ص ٣٦-٣٧ آراء المستشرقين حول القرآن ٨٨/١ .

(٣) خير : موضع مشهور على ثمانية برد من المدينة . من جهة الشام . كان بها سبعة حصون لليهود وحولها مزاع ونخل . والخير بلسان اليهود الحصن .
انظر : معجم البلدان ٤٠٩/٢-٤١٠ ، مراصد الاطلاع ٤٩٤/١ . وهى الآن مدينة معروفة من مدن المملكة العربية السعودية .

أحدهم رسول محمد لا يصح أن يكون ذريعة للانتقام .
وهذا يبين لنا ذلك التطور العظيم الذى طرأ على سياسة محمد ، ففى أيامه الأولى فى المدينة أعلن معاملة اليهود كمعاملة المسلمين لكنه الآن (بعد السنة السادسة للهجرة) أصبح يخالف تماماً موقفه ذاك فقد أصبح مجرد القول بأن جماعة ما غير مسلمة يعتبر سبباً كافياً لشن الغارة عليها ، وهذا يفسر لنا تلك الشهوة التى أثرت على نفس محمد والتى دفعته إلى شن غارات متتابة ، كما سيطرت على نفس الاسكندر^(١) من قبل ونابليون^(٢) من بعد ، ... إن استيلاء محمد على خير يبين لنا إلى أى حد قد أصبح الإسلام خطراً على العالم^(٣).

(١) الاسكندر :

حاكم يونانى قديم . خلف أباه فيليب عام ٣٣٦ ق.م على مملكة الروم الغربية . أخضع جميع بلاد الاغريق لحكمه ، ثم استولى على دولة الفرس ومصر وسوريا والهند وأفغانستان ، وأخضع أجزاء كبيرة من العالم لحكمه . وكان يطمع فى مده إلى جميع أنحاء العالم ، ليتسنى له نشر الثقافة الإغريقية فى جميع بقاعه . ولكن عاجلته المنية فمات فى الثالث والثلاثين من عمره . ثم انقسم ملكه بعد موته وتفرقت أجزاؤه . وقد بنى مدينة الاسكندرية فى مصر التى سميت باسمه . والصحيح أنه ليس ذا القرنين الذى ورد ذكره فى القرآن .

انظر : تاريخ الطبرى ١/٥٧٢-٥٧٨ ، البداية والنهاية ٢/١٠٥-١٠٦ ، البدء والتاريخ ٣/١٥٢-١٥٥ ، التاريخ القديم ص ٩٢-٩٥ ، دائرة المعارف الإسلامية ٢/١٢٦-١٢٨ .

(٢) نابليون :

هو نابليون بونبارت قائد فرنسى تغلب على كثير من بلاد أوروبا وغيرها . ثم تولى حكم فرنسا ونصب نفسه امبراطوراً عليها وعلى معظم بلاد أوروبا ، وكان حاكماً استبدادياً .

تحالفت عليه دول أوروبا فعزل فى سنة ١٨١٤م ، ثم عين ملكاً على جزيرة "إلبا" الصغيرة . ثم عاد إلى حكم فرنسا وغير سياسة الاستبداد . ولكن الحلفاء ثاروا عليه مرة أخرى فوقع بينهما معارك أدت إلى هزيمته ، ثم نفى إلى جزيرة "سانت هيلانة" حيث توفى عام ١٨٢١م .

انظر : تاريخ أوروبا الحديث وآثار حضارتها ص ٦٣-١ .

(٣) الإسلام والمستشرقون ص ٢٥٦ نقلاً عن "محمد وقيام الساعة" لمرجليوث ص ٢٦٢-٢٦٣ .

والجواب على ذلك :

لقد عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيداً عن مطامع الدنيا مترفعاً عنها ، وصان دعوته التي كلفه الله بتبليغها للناس عن كل هدف وغاية رخيصة ، ولم يقرنها في لحظة من اللحظات أو وقت من الأوقات بمطمع دنيوى أو عطاء بشرى ، لأنه جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى الهدى ليلأخذ أموالهم ويستمتع بحقوقهم ، {قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين} (١) ، فهو لا يريد من الناس مالاً ولا يريد ضياعاً ، وإنما يرجو ثواب الله والدار الآخرة ، {قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ، إن أجرى إلا على الله وهو على كل شيء شهيد} (٢) .

وذلك هو منهج الرسل صلوات الله عليهم جميعاً في دعوتهم إلى الله فإنهم مترفعون عن أغراض الدنيا الزائلة ، متزهون عن مطامعها الدنيئة ، وإنما همهم رضا الله وثوابه (٣) .

وقد عرض عليه صلى الله عليه وسلم القرشيون في مبدأ دعوته المال والشرف والملك لكي يتنازل عما يقول ، ولكنه أجابهم بما ينفى عنه كل غرض أو مطمع زائل فقال لهم : "ما جئكم بما جئكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً ، وأنزل على كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربي ، ونصحت لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصير لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم " . أو كما قال صلى الله عليه وسلم (٤) .

(١) سورة ص : آية ٨٦

(٢) سورة سبأ : آية ٤٧

(٣) انظر الآيات في : سورة يونس : آية ٧٢ ، سورة هود : آية ٥١ ، ٢٩ ، سورة

الشعراء : آية ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ١٧٧ .

ولقد ظل صلى الله عليه وسلم على هذا الدرب لم يتغير ولم يتبدل
لا كما يزعم المستشرقون .

يقول فخر الدين الرازى :

"إنه صلى الله عليه وآله وسلم تحمل في أداء الرسالة أنواعاً من المشاق
والمتعاب ، ولم يتغير عن المنهج الأول البتة . ولم يطمع في مال أحد
ولا جاهه . بل صبر على تلك المشاق والمتعب ، ولم يظهر في عزمه فتور
ولا في إصراره قصور . ثم إنه لما قهر الأعداء ووجد العسكر العظيم والدولة
القاهرة القوية ، ونفذ أمره في الأموال والأزواج لم يتغير عن منهجه الأول
والزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة ، وكل من أنصف علم أن المزور
لا يكون كذلك ، فإن المزور إنما يزور الكذب والباطل على الخلق ليجد الدنيا
، فإذا وجدها ولم ينتفع بها كان ساعياً في تضييع الدنيا والآخرة على نفسه .
وذلك ما لا يفعله أحد من العقلاء" (١).

لقد ضاق أزواجه يوماً من شظف العيش وضيق الحال ، وقلة المتاع
فاشتكين حالهن له ، فأمره الله سبحانه أن يخبرهن بين فراقه لهن حيث
يذهبن إلى من يجدن عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين البقاء معه على ما هو
عليه ، كما قال سبحانه : {يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة
الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحاً جميلاً . وإن كنتن تردن
الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً}
فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة (٢).

لقد دانت له جزيرة العرب وانقادت له الجموع الهائلة وحكم أمره في
الأموال ، فلم يرض لنفسه أبهة الملك وعظمته ، وثناء الخلق وتعظيمهم له
كما أطرت النصراني عيسى وعظمت الأعاجم ملوكها ، فقال :

(١) الأربعين في أصول الدين ص ٣١٢ .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ٤٨٠/٣ ، نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن
ص ١٣٩ . والآيات هي ٢٩، ٢٨ من سورة الأحزاب .

"لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله" (١).

وقال : "إن كدتم أنفأ لتفعلون فعل فارس والروم . يقومون على ملوكهم وهم قعود ، فلا تفعلوا ائتموا بأئمتكم . إن صلى قائماً فصلوا قياماً ، وإن صلى قاعداً فصلوا قعوداً" (٢). وذلك حين صلى أصحابه خلفه قياماً وهو قاعد .

قال الماوردي :

"مامنع من السخاء والجود حتى جاد بكل موجود وآثر بكل مطلوب ومحبوب ومات ودرعه مرهونة عند يهودى على آصع من شعير لطعام أهله وقد ملك جزيرة العرب وكان فيها ملوك وأقيال (٣) لهم خزائن وأموال يقتنونها ذخراً ويتباهون بها فخراً ويستمتعون بها أشراً (٤)، وبطراً (٥)، وقد حاز ملك جميعهم فما اقتنى ديناراً ولادهما ، لا يأكل إلا الخشن ولا يلبس إلا الخشن ، ويعطى الجزل (٦) الخطير ويصل الجم الفقير ، ويتجرع مرارة الإقلال ويصبر على سغب (٧) الاختلال ،

-
- (١) انظر : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن ص ١٠٣ .
والحديث أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب {واذكر في الكتاب مريم} (٤٨) من حديث عمر رضى الله عنه ١٤٢/٤ .
- (٢) تطروني : الإطراء هو مجاوزة الحد في المدح ، والكذب فيه . النهاية ١٢٣/٣ .
أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله . كتاب الصلاة (٤) ، باب ائتمام المأموم بالإمام (١٩) برقم ٤١٣ ، ٣٠٩/١ .
- (٣) أقيال : جمع مقول ، وقيل . وهو الملك . أو هو دون الملك .
انظر : القاموس المحيط ص ١٣٥٨ .
- (٤) أشراً : ويحرك . وهو المرح . والفعل منه أشر كفرح .
انظر : المرجع السابق ص ٢٣٨ .
- (٥) بطراً : بالتحريك : قلة احتمال النعمة . أو الطغيان بها .
انظر : المرجع نفسه ص ٤٤٩ .
- (٦) الجزل : هو الكثير من الشيء . انظر المرجع نفسه ص ١٢٦٢ .
- (٧) سغب : هو جوع مع تعب . انظر المرجع نفسه ص ١٢٤ .

وقد حاز غنائم هوازن^(١)، وهى من السبي ستة آلاف رأس ومن الإبل أربعة وعشرون ألف بعير ومن الغنم أربعون ألف شاة ومن الفضة أربع آلاف أوقية ، فجاد بجميع حقه وعاد خلواً^(٢).

لقد زهد صلى الله عليه وسلم في الدنيا بكل ماتحمل كلمة الزهد من معنى حتى أشفق عليه صحابته رضى الله عنهم وراجعوه في ذلك فأبى إلا الحالة التى كان عليها .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه قلنا : يارسول الله لو اتخذت لك وطاءً^(٣) فقال : "مالى وللدنيا؟ ماأنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها"^(٤).

(١) هوازن : بطن من قيس عيلان من العدنانية وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة وهى التى حاربها النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة حنين .
انظر : معجم قبائل الحجاز ص ٥٢٤-٥٢٦ ، السيرة النبوية لابن هشام ٩/١ ، ٣٣١/٤ ، البداية والنهاية ٣٢٢/٤ .

(٢) أعلام النبوة ص ٢١٨-٢١٩ .

(٣) الوطاء : هو الفراش الممهّد المذلّل الذى لا يؤذى جنب النائم .
انظر : الفائق ٦٨/٤ ، النهاية ٢١٠/٥ .

(٤) أخرجه الترمذى فى سننه من حديث ابن مسعود رضى الله عنه . كتاب الزهد (٣٧) ، باب (٤٤) برقم ٢٣٧٧ .

وقال : "وفى الباب عن عمر وابن عباس" . وقال : "هذا حديث حسن صحيح"
٥٠٨/٤ . قال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "وهو كما قال" . سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٨٠/١ .

وأخرج ابن ماجه فى سننه نحوه من حديث ابن مسعود ، كتاب الزهد (٣٧) ، باب مثل الدنيا (٣) ، برقم ٤١٠٩ ، ١٣٧٦/٢ .

وأخرج أحمد فى مسنده نحوه من حديث ابن مسعود أيضاً ٤٤١، ٣٩١/١ .
ومن حديث ابن عباس ولفظه : "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر فى جنبه فقال : يابى الله لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا؟ فقال : "مالى وللدنيا مامثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها" . ٣٠١/١ . =

قالت عائشة رضى الله عنها : "ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً من خبز بر حتى مضى سبيله" (١).
وقالت : "إن كنا آل محمد لنمكث شهراً مانستوقد بنار إن هو إلا التمر والماء" (٢).

وقال النعمان بن بشير رضى الله عنهما : ذكر عمر (رضى الله عنه) ماأصاب الناس من الدنيا فقال : "لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوى مايجد دقلاً" (٣) يلاً به بطنه" (٤).

= وأخرجه ابن حبان من حديث ابن عباس بلفظ مقارب لرواية أحمد ، كتاب التاريخ (١٠) ، باب صفته صلى الله عليه وسلم وأخباره (٣) ، ذكر مامثل المصطفى صلى الله عليه وسلم نفسه والدنيا بمثل مامثل به برقم ٦٣٥٢ . قال الأرناؤوط : "إسناده قوى" . الإحسان ٢٦٥/١٤ - ٢٦٦ .

وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث ابن عباس نحو رواية أحمد وقال : "هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبي .
وقال الحاكم : "وله شاهد من حديث عبد الله بن مسعود" . ثم ساق الحديث نحواً من رواية الترمذى ٣٠٩/٤ - ٣١٠ .

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ونسبه لأحمد . وقال : "رجاله رجال الصحيح غير هلال بن خباب وهو ثقة" ٣٢٦/١٠ . وأورد الشيخ ناصر الدين الألبانى : حديث ابن مسعود برقم ٤٣٩ ، وحديث ابن عباس برقم ٤٤٠ فى سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٧٩/١ - ١٨٠ .

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه بلفظ مقارب ، كتاب الأطعمة (٧٠) ، باب ماكان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون (٢٣) ، ٢٠٥/٦ ، وفى باب ماكان السلف يدخرون فى بيوتهم وأسفارهم من الطعام وغيره (٢٧) ، ٢٠٦/٦ ، وفى كتاب الرقاق (٨١) ، باب كيف كان عيش النبى صلى الله عليه وسلم (١٧) ، ١٨٠/٧ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ، واللفظ له . كتاب الزهد والرقائق (٥٣) برقم ٢٩٧٠ . ٢٢٨١/٤ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، بلفظ مقارب ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب كيف كان عيش النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه (١٧) ، ١٨١/٧ .

(٣) وأخرجه مسلم فى صحيحه واللفظ له ، فى الكتاب السابق برقم ٢٩٧٢ ، ٢٢٨٢/٤ . الدقل : هو ردىء التمر ويابس ، وماليس له اسم خاص فتراه ليبسه ورداءته لايجتمع ويكون منشوراً . النهاية ١٢٧/٢ ، وانظر : الفائق ٤/٢ .

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه فى الكتاب السابق برقم ٢٩٧٨ ، ٢٢٨٥/٤ .

بل قد حذر أصحابه رضى الله عنهم من الانغماس فى شهوات الدنيا وملذاتها ، وتخوف عليهم منها فقال : "إن مما أخاف عليكم من بعدى مايفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها" (١).

وقال : "إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء" (٢).

ولقد فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياة وماترك خلفه درهماً ولاديناراً .

روى البخارى بسنده إلى عمرو بن الحارث ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى جويرية بنت الحارث قال : "ماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهماً ولاديناراً ولاعبداً ولاأمة ولاشيئاً إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة" (٣).

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، من حديث أبى سعيد الخدرى ، وهو جزء من حديث . كتاب الزكاة (٢٤) ، باب الصدقة على اليتامى (٤٧) ، ١٢٧/٢ . وأخرج نحوه فى كتاب الجهاد والسير (٥٦) ، باب فضل النفقة فى سبيل الله (٣٧) ، ٢١٣/٣-٢١٤ ، وفى كتاب الرقاق (٨١) ، باب مايحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها (٧) ، ١٧٣/٧ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظ مقارب ، فى كتاب الزكاة (١٢) ، باب تخوف مايجرج من زهرة الدنيا (٤١) برقم ١٠٥٢ ، ٧٢٨-٧٢٩ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء (٤٨) ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء (٢٦) برقم ٢٧٤٢ ، من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ٢٠٩٨/٤ قال النووى رحمه الله :

"معنى الدنيا خضرة حلوة ، يحتمل أن المراد به شيئان ، أحدهما : حسنهما للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة فإن النفوس تطلبها طلباً حثيثاً فكذا الدنيا . والثانى : سرعة فنائها كالشئ الأخضر فى هذين الوصفين . ومعنى مستخلفكم فيها جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم فينظر هل تعملون بطاعته أو بمعصيته وشهواتكم" . شرح النووى على مسلم ٥٥/١٧ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الوصايا (٥٥) ، باب الوصايا (١) ، ١٨٦/٣ . =

هذا إرثه في هذه الدنيا التي يزعم المستشرقون أنه عاش على الطمع فيها والسلب والنهب .

ومع هذا فلم يرث أهله عنه شيئاً لقوله : "لأنورث ماتركنا فهو صدقة" (١).

ويكفيينا في ذلك قول عائشة رضى الله عنها إذ تقول : "توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومافى بيتى من شىء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رف لى فأكلت منه حتى طال على فكلته ففنى" (٢).

= وأخرج نحوه فى كتاب الجهاد والسير (٥٦) ، باب بغلة النبي صلى الله عليه وسلم (٦١) ٢٢٠/٣ ، وفى باب من لم ير كسر السلاح عند الموت (٨٦) ، ٢٢٩/٣ ، وكتاب فرض الخمس (٥٧) ، باب نفقة نساء النبي صلى الله عليه وسلم (٣) ، ٤٥/٤ ، وكتاب المغازى (٦٤) ، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته (٨٣) ، ١٤٤/٥ .

(١) سبق تخريجه انظر ص: ١٦

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب فرض الخمس (٥٧) ، باب نفقة نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته (٣) ، ٤٥/٤ ، وفى كتاب الرقاق (٨١) ، باب فضل الفقر (١٦) ، ١٧٩/٧ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الزهد والرقائق (٥٣) برقم ٢٩٧٣ ، إلا أنها قالت : (ومافى رفى) ٢٢٨٢/٤-٢٢٨٣ .

ولكن إن كان ماسبق هو رأى بعض المستشرقين الجائرين فى رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم فقد أنصفه غيرهم من بنى جلدتهم ، وردوا على فريتهم تلك بما يكمم الأفواه ويخرس الألسنة .
قال كارليل :

"أيزعم الكاذبون أن الطمع وحب الدنيا هو الذى أقام محمداً وأثاره ، حمق وأيم الله وسخافة وهوس . أى فائدة لمثل هذا الرجل فى جميع بلاد العرب ، وفى تاج قيصر^(١) ، وصولجان^(٢) كسرى^(٣) وجميع مابالأرض من تيجان وصوالة . وأين تصير الممالك والتيجان والدول جميعها بعد حين من الدهر؟ أفى مشيخة مكة وقضيب مفضض الطرف أو فى ملك كسرى وتاج ذهبى الذؤابة منجاة للمرء ومظفرة؟ كلا إذن فلنضرب صفحاً عن مذهب الجائرين القائل إن محمداً كاذب ، ونعد موافقتهم عاراً وسبة وسخافاً وحمقاً ، فلنربأ بنفوسنا عنه ولنترفع"^(٤).
وقال :

"لقد كان زاهداً متقشفاً فى مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله ، وكان طعامه عادة الخبز والماء وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار ، وإنهم ليذكرون - ونعم ما يذكرون - إنه كان يصلح ويرفو ثوبه بيده ، فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة؟ فحبذا محمد من رجل خشن اللباس ، خشن الطعام ، مجتهد فى الله ، قائم النهار ، ساهر الليل ، دُباً فى نشر دين الله ، غير طامح إلى مايطمح إليه أصاغر الرجال ، من رتبة ، أو دولة ، أو سلطان ، غير متطلع إلى ذكر أو شهرة"^(٥).
وقال المفكر الفرنسى الكونت هنرى دى كاسترى :

(١) هو لقب لملوك الروم . أسد الغابة ١٢٠/١ .

(٢) صولجان : بفتح الصاد واللام : هو المحجن . انظر القاموس ص ٢٥١ .

(٣) هو لقب لملوك الفرس . أسد الغابة ١٢٠/١ .

(٤) الأبطال ص ٧١-٧٢ .

(٥) المرجع السابق ص ٨٩-٩٠ .

"لا يمكن أن ننكر على محمد في الدور الأول من حياته كمال إيمانه وإخلاصه وصدقه ، أما في الدور الثاني فلم يتزعزع الإيمان من قلبه مثقال ذرة ، ... ولم يكن فيه أى عيب ، بل مانسبوه إليه (من قبل بعض الكتاب الأوربيين) لا يؤثر بشيء في سيرته الطاهرة. إن محمداً ماكان يميل إلى زخارف الدنيا ، ولم يكن بخيلاً وكان يستدر اللبن من نعاجه بنفسه ويجلس على التراب ، ويرقع ثوبه ونعاله بيده ويلبسها مرقعة ، وكان قنوعاً ، وقد خرج محمد من هذا الباب (يعنى توفي) ولم يشبع من خبز الشعير مرة في حياته ، وتجرد من الطمع ، وتمكن من نوال المقام الأعلى في بلاد العرب ، ولكنه لم يجنح إلى الاستبداد فيها ، فلم تكن له حاشية ولم يتخذ وزيراً ولا حشماً ، وقد احتقر المال ، وأنه بلغ من السلطان منتهاه ، ومع ذلك لم يكن له علامات الإمارة والملك سوى خاتم من الفضة مكتوب عليه (محمد رسول الله) (١) (٢).

وأما زعم مرجليوث أن النبي صلى الله عليه وسلم انتقم من يهود المدينة بسبب حقيقى أو مصطنع ، يدل على جهل هذا المستشرق بتاريخ اليهود ، أو تجاهله لذلك .

لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل إلى المدينة لم يكن في سياسته إبعاد اليهود أو مصادرة أموالهم أو الخصام والتنازع معهم ، وأصدق دليل على ذلك ما أبرمه معهم من معاهدة تقرهم على دينهم وتؤمنهم في أموالهم ، وجاء فيها نصره المظلوم وحماية الجار ورعاية الحقوق (٣).

(١) انظر : صحيح البخارى ، كتاب اللباس (٧٧) ، باب خاتم الفضة (٤٦) ، والأبواب التى تليه ٥١/٧-٥٤ .

صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة (٣٧) ، باب لبس النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً من ورق نقشه محمد رسول الله (١٢) ، والأبواب بعده ١٦٥٦/٣-١٦٥٨ .

(٢) الإسلام والمستشرقون ص ٣١٧ .

(٣) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ٣١٨/٢ ، ٣١٩ ، فقه السيرة ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

وكان على اليهود وهم أهل كتاب ولهم عهد بالديانة والرسول أن يقفوا مع الإسلام ويؤيدوه ويناصروه ، وإن لم يفعلوا ذلك فعلى الأقل يقفوا على الحياد ، ولكنهم لم يفعلوا هذا ولاذاك وإنما ناصبوا الإسلام العداء حسداً وبغضاً ومالوا أعداء الإسلام من المنافقين والمشركين فهتك القرآن استارهم ، وكشف دواخل قلوبهم المريضة ونفوسهم العليلة ، وبين ماتنطوى عليه تلك النفوس من عقائد باطلة ، وأخلاق منحطة ، وعادة سيئة ، ونبش تاريخهم المظلم تجاه أنبياء الله والصد عن سبيله ، وتحريف التوراة وغير ذلك (١).

فتارت ثائرتهم ، واشتدت عداوتهم ، ولم يقف بهم الأمر عند المخالفة وحياسة الدسائس ، بل تعدوا إلى تفضيل عبادة الأوثان على عبادة الواحد الديان ، وقد ذكر الله عنهم ذلك صراحة في قوله : " ألم ترى إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ، يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً " (٢).

وخانوا العهود ونقضوها وأسفروا عن وجه كالح ملء حقداً وعداءً للإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم ، واستحالت مساكنتهم ومجاورتهم مع المؤمنين في مكان واحد ، عند ذلك قلب لهم الإسلام ظهر المجن ، وأجلاهم نبى الله صلى الله عليه وسلم من المدينة بما هو معلوم في تاريخ السيرة . وخير التي يزعم مرجليوث تجنى النبي صلى الله عليه وسلم على أهلها . لم يكن الأمر كذلك ، بل كانت خير قلعة حربية لليهود ، وهى آخر معاقلمهم فى جزيرة العرب ، وكان يتربص أهلها بالمسلمين الدوائر ، وقد

(١) انظر : السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى ص ٢٢٨-٢٣٣ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ٢٣١ ، والآية هى ٥١ من سورة النساء .

وفى معنى الجبت والطاغوت أقوال منها : السحر ، الأصنام ، الكاهن ، الشيطان .

انظر : تفسير القرآن العظيم ٥١٢/١ ، زاد المسير ١٣٨/٢-١٣٩ .

خافوا أن يصيبهم ما أصاب يهود المدينة ، فتآمروا مع غطفان^(١) لغزو المدينة فتنبه النبي صلى الله عليه وسلم لأمرهم فسير الجيوش نحوهم لكسر شوكتهم وتأمين جهتهم^(٢).

وإن كان هذا المستشرق قد جهل ذلك فغيره من المستشرقين لم يجهلوه . فقد قال مونتجمرى واثته :

"كان يهود خيبر وخاصة رؤساء قبيلة بنى النضير التي أجلاها الرسول من المدينة يضمرون الحقد لمحمد ، وهم الذين نجحوا في حمل قبائل العرب المجاورة على حمل السلاح على المسلمين والزحف عليهم ، بما بذلوه من أموال ، وكان ذلك هو السبب الرئيسى في توجه محمد إلى خيبر بجيوشه"^(٣).

ومع أن النبي صلى الله عليه وسلم فتحها عنوة بعد قتال مرير إلا أنه دفع إليهم أموالهم على أن يعملوها بينهم وبين المسلمين بالمناصفة كما جاء ذلك عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : "أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر لليهود أن يعملوها ويزرعوها ، ولهم شطر ما يخرج منها"^(٤).

(١) غطفان : اسم لقبيلة من قبائل العرب ، من قيس عيلان . وهو غطفان بن سعد ابن قيس عيلان . نزلت الكوفة .

انظر : الأنساب ٥٩/١٠ .

(٢) انظر : السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى ص ٣٥١-٣٥٢ ، فقه السيرة ص ٣٦٨ .

(٣) السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى ص ٣٥٢ الهامش ، نقلاً عن محمد النبى السياسى ص ١٨٩ .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ، فى كتاب الإجارة (٣٧) ، باب إذا استأجر أرضاً فمات أحدهما (٢٢) ، ٥٥/٣ ، وفى كتاب الحرث والمزارعة (٤١) ، باب المزارعة مع اليهود (١١) ٦٩/٣ ، كتاب الشركة (٤٧) ، باب مشاركة الذمى والمشاركين فى المزارعة (١١) ، ١١٣/٣ ، وفى كتاب الشروط (٥٤) ، باب الشروط فى المعاملة (٥) ، ١٧٥/٣ ، وفى كتاب المغازى (٦٤) ، باب معاملة النبى صلى الله عليه وسلم أهل خيبر (٤٠) ، ٨٤/٥ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب المساواة (٢٢) ، باب المساواة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع (١) برقم ١٥٥١ ، ١١٨٦/٣-١١٨٧ .

وظل الحال كذلك حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقرهم أبو بكر على معاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي ، وأقرهم عمر أيضاً صدرأ من خلافته ، ولكن بغضاؤهم وحقدهم على الإسلام دفعهم لارتكاب بعض الجرائم في حق المسلمين ، فقتلوا عبد الله بن سهل الأنصاري ، وفدعوا يدى عبد الله بن عمر فما كان من عمر إلا أن قام في الناس خطيباً فقال :

"أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خبير على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ، ففدعوا يديه ، كما قد بلغكم ، مع عدوهم على الأنصاري قبله ، لانشك أنهم أصحابه ليس لنا هنالك عدو غيرهم ، فمن كان له مال بخير فليلحق به ، فإني مخرج يهود ، فأخرجهم" (١).

وقد أيد فعل عمر رضى الله عنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، حتى لا أدع إلا مسلماً" (٢).

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ٢٦٨/٣-٢٦٩ ، فقه السيرة ص ٣٧٧ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كتاب الجهاد والسير (٣٢) ، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب (٢١) برقم ١٧٦٧ ، ١٣٨٨/٣ .

(ج) اتباعه لهواه :

لقد زعم المستشرقون أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسير وفقاً لهواه ومزاجه ، فلا وحى يرشده ولادين يقوده ، وإنما الهوى هو الذى يسيطر عليه ويحركه كما يشاء .

يقول د. جلاوور^(١) فى كتابه "تقدم التبشير العالمى" :

"كان محمد حاكماً مطلقاً ، وكان يعتقد أن من حق الملك على الشعب أن يتبع هواه ويفعل ما يشاء ، وكان مجبولاً على هذه الفكرة ، فقد كان عازماً على أن يقطع عنق كل من لا يوافق فى هواه . أما جيشه العربى فكان يتعطش للتهديم والتغلب ، وقد أرشدهم رسولهم أن يقتلوا كل من يرفض اتباعهم ويبعد عن طريقهم"^(٢).

(١) جلاوور :

لم أقف له على ترجمة .

(٢) الإسلام والمستشرقون ص ٢٤٥ . نقلاً عن "تقدم التبشير العالمى" .

والجواب على ذلك :

لقد عصم الله رسوله صلى الله عليه وسلم عن اتباع الهوى ومدحه بذلك في قرآنه ، فهو لا يقول إلا حقاً ولا يفعل إلا حقاً . وأكد ذلك سبحانه بإقسامه على نفى الهوى عنه ، وذلك في قوله : {والنجم إذا هوى . ماضل صاحبكم وماغوى . وماينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى} (١) . قال العلامة ابن كثير رحمه الله :

"وقوله تعالى {ماضل صاحبكم وماغوى} هذا هو المقسم عليه ، وهو الشهادة للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه راشد تابع للحق ليس بضال : وهو الجاهل الذى يسلك على غير طريق بغير علم ، والغاوى هو العالم بالحق العادل عنه قصداً إلى غيره ، فتره الله رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود ، وهى علم الشىء وكنمائه والعمل بخلافه بل هو صلاة الله وسلامه عليه ومابعثه الله به من الشرع العظيم فى غاية الاستقامة والاعتدال والسداد ، ولهذا قال : {وماينطق عن الهوى} أى مايقول قولاً عن هوى وغرض {إن هو إلا وحى يوحى} أى إنما يقول ماأمره به يبلغه إلى الناس كاملاً موفوراً من غير زيادة ولا نقصان" (٢) .

وفى الحقيقة إن اليهود والنصارى هم الذين انطمست بصائرهم ، وضلت عقولهم ، واتبعوا أهواءهم ، حتى حذر الله رسوله صلى الله عليه وسلم من سلوك مسلكهم واتباع أهوائهم فقال له : {ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق} (٣) ، وقال : {وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك} (٤) . وأى هوى أعظم من معرفة الحق ثم العدول عنه أو عبادة الله على الجهل والضلالة وتلك سمات أهل الكتابين التى وسمهم الله بها فى قوله : {أهدنا الصراط

(١) سورة النجم : آية ١-٤

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٤٦/٤-٢٤٧ .

(٣) سورة المائدة : آية ٤٨

(٤) سورة المائدة : آية ٤٩

المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين} (١).
 إن أعداء الإسلام من المستشرقين لا يراعون عن إلحاق كل ذم وعيب
 بهذا الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم ورميه بكل فرية ، وهم أولى بكل
 ذم وعيب ، وهل رميهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رموه به وهو
 منه برىء إلا من نتاج الهوى والحق الذي ران على قلوبهم وتشربته
 نفوسهم حتى أصبح من أبرز السمات لهم؟، فهذه بحوثهم وتلك أقوالهم
 وآراءهم التي مزجت بالهوى والضلال فراحوا يرمون غيرهم بما هم فيه ،
 وقد قيل في المثل (رمتني بدائها وانسلت) (٢).

فيأعداء الإسلام إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقول ولا يفعل
 ولا يأمر ولا ينهى إلا بما أمره به ربه وخالفه سبحانه وتعالى ولا يمكنه أن ينقص
 شيئاً أو يزيد فيه من عند نفسه وقد قال له سبحانه : {ولو تقول علينا بعض
 الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد
 عنه حاجزين} (٣).

ولو فعل وحاشاه أن يفعل لتعرض لعقاب ربه وعذابه ، ولكنه
 الصادق فيما يقول ، الملتزم لأمر ربه المنصاع له المجتنب لما نهاه عنه ، فمثله
 لا يكون متبعاً لهوى البتة .

ثم أين الدليل على مازعمه جلاوور؟ كان عليه أن يمثل لنا بمثال
 يثبت به ما قال ، وأنى له ذلك ، انه لا يملك ما يدلل به على باطله ، فعاد قوله
 عليه ، لأن من الهوى أن يطلق الإنسان الحكم قبل إيجاد الدليل ، وقد فعل
 جلاوور ، فهو صاحب الهوى إذن .

لقد نبه الله رسوله صلى الله عليه وسلم في أمور ليست من أساس
 الدين ، كعتابه له في قوله : {عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك
 الذين صدقوا وتعلم الكاذبين} (٤)، وفي قوله : {يا أيها النبي لم تحرم ما أحل

(١) سورة الفاتحة : آية ٦، ٧

(٣) سورة الحاقة : آية ٤٤-٤٧

(٢) مثل يضرب لمن يهين صاحبه بعيب هو فيه . مجمع الأمثال للميداني ٢٣/٢ .
 وانظر كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ١/٤٧٥-٤٧٦ .

(٤) سورة التوبة : آية ٤٣

الله لك { (١) ، وقوله : {عبس وتولى} (٢) ، وفي ذلك أصدق دليل على أنه رسول من الله لا يفعل إلا ما يرضى ربه ، ولو قال قولاً أو فعل فعلاً مهما قل ودق ولم يأت على مراد الله وأمره ، لعاتبه الله فيه • وحصر ما وقع فيه صلى الله عليه وسلم من أمور يسيرة ، وذكر الله لذلك في القرآن ، دلالة على أن كل مانطق به وفعله وأقر عليه سوى ما ذكر حق مؤيد بوحي من الله تعالى بعيداً عن الهوى والزلل (٣) .

(١) سورة التحريم : آية ١

(٢) سورة عبس : آية ١

(٣) انظر : السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام ص ٢٧٥ .

(د) تناقضه :

لقد حكموا على النبي صلى الله عليه وسلم بالتناقض في أوامره وأحكامه ، ينفي اليوم ما يثبت بالأمس ، ويثبت ما ينفيه ، ويفعل ما حذر منه ، ويأمر بما نهى عنه ، حتى أصبح ذلك مدعاة لبعث النقاد الذين كشفوا هذه التناقضات .

يقول جولد زيهر بعد زعمه بأن القرآن متناقض :

"ورسالة النبي الدينية تنعكس في روحه بألوان مختلفة باختلاف الاستعدادات السائدة في نفسه ... ويبدو فضلاً عن ذلك أنه فيما يتعلق بمحمد نفسه شرع منذ القدم في البحث عن تناقض فيما يبشر به . ولاغرو فقد كان وحى النبي ، حتى في حياته ، معرضاً لحكم النقاد الذين كانوا يحاولون البحث عما فيه من نقص ، وكان عدم الاستقرار والطابع المتناقض البادى في تعاليمه موضع ملاحظات ساخرة" (١).

ومن الأمثلة على تناقضه :

(١) بعث مرة سرية من جيشه لمباغطة قافلة بالعروض (٢) ، فأصابته القافلة وأصابته منها غنائم كثيرة وكان ذلك في الشهر الحرام ، فأثار ذلك عاصفة من الاستنكار ، فما كان من محمد إلا أن أنكر صنيع أتباعه ، الذى تم وفق رغباته بلاخلاف ، وعزاه إلى سوء فهم أوامره (٣).

(١) العقيدة والشرعة ص ٧٩ .

(٢) العروض :

تطلق على المدينة ومكة واليمن . وقيل : على مكة واليمن . وقيل : على مكة والطائف وماحولهما . وقيل : على بلاد اليمامة والبحرين . وقيل تجمع ذلك كله . وسميت العروض لأنها تقع مستطيلة مع ساحل البحر .

انظر : معجم البلدان ١٦٠/٦ ، مرصد الاطلاع ٩٣٥/٢ .

(٣) انظر : تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٤٩ .

(٢) لقد كان في بادئ أمره لايهتم بأمر الدنيا ، ولا يطمع في نيلها ولكنه انتقل في مراحلہ الأخيرة إلى الأمانى الدنيوية القوية التي صار لها التفوق خلال مراحل نجاحه، وهذا ما طبع الدين الإسلامى بطابع التناقض (١).

(١) انظر : العقيدة والشریعة ص ٣٠-٣١ الأولى .

والجواب على ذلك :

لقد صان الله دينه وحفظ وحيه من التناقض والاختلاف ، ونزه شريعته من التضاد والتباين لأنها من عند الله عز وجل وهو الحق سبحانه الذى لا تتضارب أقواله ولا تتنافر أحكامه .

يقول الإمام الشاطبى رحمه الله :

"الشريعة كلها ترجع إلى قول واحد فى فروعها وإن كثر الخلاف كما أنها فى أصلها كذلك ولا يصلح فيها غير ذلك ، والدليل عليه أمور : أحدها : أدلة القرآن :

من ذلك قوله تعالى : {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً} (١) ، فنفى أن يقع فيه اختلاف البتة . ولو كان فيه ما يقتضى قولين مختلفين لم يصدق عليه هذا الكلام على حال . وفى القرآن {فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول} (٢) الآية . وهذه الآية صريحة فى رفع النزاع والاختلاف فإنه رد المتنازعين إلى الشريعة وليس ذلك إلا ليرتفع الخلاف ، ولا يرتفع الخلاف إلا بالرجوع إلى شىء واحد . إذ لو كان فيه ما يقتضى الاختلاف لم يكن فى الرجوع إليه رفع تنازع وهذا باطل .

وقال تعالى : {ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات} (٣) الآية . والبيانات هى الشريعة فلو أنها لا تقتضى الاختلاف ولا تقبله البتة لما قيل لهم من بعد كذا .

ولكان لهم فيها أبلغ العذر ، وهذا غير صحيح . فالشريعة لا اختلاف فيها . وقال تعالى : {وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله} (٤) ، فبين أن طريق الحق واحد وذلك عام فى جملة

(١) سورة النساء : آية ٨٢

(٢) سورة النساء : آية ٥٩

(٣) سورة آل عمران : آية ١٠٥

(٤) سورة الأنعام : آية ١٥٣

الشريعة وتفصيلها" (١). إلى آخر ما ذكر رحمه الله من أدلة تبين خلو الشريعة من الاختلاف والتناقض (٢).

وقال في موضع آخر :

"إن كل من تحقق بأصول الشريعة فأدلتها عنده لا تكاد تتعارض كما أن كل من حقق مناط المسائل فلا يكاد يقف في متشابه . لأن الشريعة لا تعارض فيها البتة . فالمتحقق بها متحقق بما في الأمر فيلزم ألا يكون عنده تعارض ، ولذلك لا تجد البتة دليلين أجمع المسلمون على تعارضهما بحيث وجب عليهم الوقوف ، لكن لما كان أفراد المجتهدين غير معصومين من الخطأ أمكن التعارض بين الأدلة عندهم" (٣).

ففي حقيقة الأمر لا تعارض بين أدلة الشرع على الإطلاق كما قال ابن خزيمة رحمه الله :

"لأعرف أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثان بإسنادين صحيحين متضادين ، فمن كان عنده فليأتني به لأؤلف بينهما" (٤).

ولكن قد تتعارض بعض الأحاديث عند بعض العلماء ولذا قام فن جليل وعلم هام من علوم الحديث عرف بعلم مختلف الحديث ومشكله ، وهو من أهم الأنواع ، لا يضطرار جميع العلماء إلى معرفته ، ولا يكمل فيه إلا من دق فهمه وثقب رأيه ، ووسع علمه (٥).

وقد اعتنى علماء الحديث بهذا العلم اعتناء بالغاً ، منذ عصر الصحابة رضى الله عنهم ، فجمعوا بين الأحاديث التي ظاهرها التعارض فوفقوا بينها ، وأزالوا ما بها من إشكال ، وكان لهم فضل كبير في رد انتقادات الطاعنين ،

(١) الموافقات ٦٣/٤ .

(٢) انظر : المرجع السابق ٦٣/٤ - ٦٥ .

(٣) المرجع نفسه ١٧٤/٤ .

(٤) مقدمة ابن الصلاح ص ١٤٣ ، معالم السنة النبوية ص ١٨٨ .

(٥) انظر : التقريب مع شرحه التدريب ١٩٦/٢ أصول الحديث ص ٢٨٣ ، معالم السنة النبوية ص ١٨٥ .

ودحض شبهات فرق المبتدعة كالمعتزلة وغيرهم ، ونقوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل شائبة وكدره ، وأودعوا ذلك مؤلفات ، كاختلاف الحديث للشافعي ، وتأويل مختلفه لابن قتيبة ، ومشكل الآثار للطحاوي وغيرها الكثير^(١).

وقد قعدوا القواعد التي تزيل الإشكال بين مآظمره التعارض من الأحاديث وتوفق بينها . فذكروا أنه في حالة تعارض حديثين يجمع بينهما إذا أمكن الجمع ، ولا يعدل عن ذلك إلى غيره ، فإن لم يمكن الجمع بينهما وعلم أن أحدهم ناسخ والآخر منسوخ عمل بالناسخ وترك المنسوخ ، وإذا لم يثبت النسخ أخذ بالراجح منهما ، وأوجه الترجيح كثيرة عدها بعضهم فزادت على المائة وجه^(٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

"خفاء ترجيح أحدهما على الآخر إنما هو بالنسبة للمعتبر في الحالة الراهنة مع احتمال أن يظهر لغيره ما خفى عليه"^(٣).

ولعل جولد زيهر يعنى بالتناقض أيضاً ما يقع في القرآن أو السنة من نسخ لبعض الأحكام .

والنسخ ثابت في الشريعة الإسلامية ، وهو مما خص الله به هذه الأمة

لحكم كثيرة منها :

(١) مراعاة مصالح العباد .

(٢) تطور التشريع إلى مرتبة الكمال حسب تطور الدعوة وتطور حال الناس .

(١) انظر : الحديث والمحدثون ص ٤٧١، ٤٧٢ ، أصول الحديث ص ٢٨٤ ، معالم السنة النبوية ص ١٨٦، ١٨٩ .

(٢) انظر : التقريب مع شرحه التدريب ١٩٨/٢ ، الباعث الحثيث ص ١٧٠-١٧١ ، شرح نخبة الفكر ص ٦٢ ، تيسير مصطلح الحديث ص ٥٨ ، معالم السنة النبوية ص ١٨٨-١٨٩ .

(٣) شرح نخبة الفكر ص ٦٣ .

- (٣) ابتلاء المكلف واختباره بالامتناع وعدمه .
- (٤) إرادة الخير للأمة والتيسير عليها ، لأن النسخ إن كان إلى أشق ففيه زيادة الثواب ، وإن كان إلى أخف ففيه سهولة ويسر (١).
- والنسخ لا يكون في القواعد الكلية كأركان الإيمان وإنما يكون في الجزئيات الفرعية، وما وقع فيه النسخ منها قليل جداً (٢).
- ومعرفة الناسخ والمنسوخ من أهم ما يجب معرفته لمن يبحث في أحكام الشريعة ، ولذا أولاه الصحابة والتابعون وأهل العلم أهمية كبرى لما يترتب على ذلك من أخذ بعض الأحكام وترك غيرها ، وقد نبغ فيه كثير من العلماء ، وأوضحوا وبينوا ما نسخ من الأدلة وما لم ينسخ وألفت في ذلك الكتب وصنفت التصانيف (٣).

وبينوا ما يعرف به النسخ من أمور، منها :

- (١) أن يثبت النسخ بتصريح رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- (٢) أن يخبر بذلك صحابي من صحابته رضى الله عنهم أجمعين .
- (٣) أن يتتبع التاريخ ليعرف السابق من اللاحق .
- (٤) أن يدل على ذلك الإجماع ، والإجماع لا ينسخ ولا ينسخ ولكن يدل على النسخ (٤).

فكل حديث ثبت نسخه فقد بينه العلماء ودونوه ، فلم يبق للمستشرقين حجة في ذلك أبداً .

فإذا تبين هذا ، نقول لجولد زيهري من هم النقاد الذين بحثوا في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وأثبتوا تناقضها؟ وأين تلك المتناقضات التي أخرجوها؟

-
- (١) علوم القرآن ص ٢٤٠ ، وانظر : علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ٢٢٢-٢٢٥ ، بحوث في أصول التفسير ص ٣٢٥ .
 - (٢) انظر : الموافقات ٧٠، ٦٥، ٦٣/٣ .
 - (٣) انظر : الحديث والمحدثون ص ٤٧٢ ، أصول الحديث ص ٢٨٨، ٢٨٩ .
 - (٤) انظر : تدريب الراوى ١٩٠/٢-١٩١ ، الحديث والمحدثون ص ٤٧٣ ، تيسير مصطلح الحديث ص ٦٠ ، معالم السنة النبوية ص ١٩٥ .

ومماثل به من أمثلة لا يدل على زعمه الباطل .
وهذا بيانه :

(أ) حادثة السرية :

وملخص ما حدث في ذلك :

إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش ومعه ثمانية رهط من المهاجرين ، وكتب له كتاباً وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ، فلما سار اليومين فتح الكتاب فإذا فيه :
"إذا نظرت في كتابي هذا فامضى حتى تنزل نخلة ، بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم" .

فمضى ومضى معه النفر حتى نزل بنخلة فمرت بهم غير لقريش تحمل تجارة لهم وفيها عمرو بن الحضرمي .

فتشاور القوم في أمرهم وكان ذلك في آخر يوم من رجب ، فقال بعضهم : لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به ، ولئن قتلتموهن لتقتلنهم في الشهر الحرام ، فتردد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ مامعهم .

فرمى أحدهم ابن الحضرمي بسهم فقتله وأسروا منهم أسيرين ، ثم عادوا بالأسيرين والغير إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم : "ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام" وأوقف الغير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً . فسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم إخوانهم ، وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال . فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة "إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان" فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله قوله : {يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير} (١) ... الخ ما نزل في ذلك .

أى إن كنتم قتلتم أيها المسلمون فى الشهر الحرام فإن مافعله الكفار أعظم من ذلك وأكبر ، فإنهم صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وأخرجوكم منه وأنتم أهلله ، ثم هم باقون على ذلك ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا^(١).

فلما نزل القرآن بذلك ، وفرج ماكان فيه المسلمون من الشفق قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين وتجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ماكانوا فيه ، وأعطوا على غزوتهم أجر المجاهدين كما قال سبحانه : {إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم^(٢)(٣)}.

ويمكن من هذا السياق أن نستجلى عدة أمور تبين فساد مازعمه جولدزيهر :

أولاً : إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يبعث هذه السرية لقتال وإغما بعثهم لإرصاد أمر قريش وكشف أخبارهم .
ثانياً : لقاء السرية بالقافلة كان على غير توقع منهم .
ثالثاً : قتالهم لهم كان عن اجتهاد منهم ليس بأمر سابق ، وقد دل على ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : "ماأمرتكم بقتال فى الشهر الحرام" . وإيقافه للعير والأسيرين .

(١) سورة البقرة : آية ٢١٧

(٢) سورة البقرة : آية ٢١٨

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٣٩٧/٢-٤٠٠ بتصرف . وانظر : تفسير القرآن العظيم ٢٥٣/١-٢٥٤ ، السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى ص ٢٣٥-٢٣٨ ، فقه السيرة ص ٢٢٩-٢٣٢ .

وقد روى البيهقى القصة فى سننه من طريق الزهري عن عروة مرسلأ ، فى كتاب السير ، باب ماجاء فى نسخ العفو عن المشركين ١١/٩-١٢ ، ولكنه لم يورده بتمامه ثم ساق القصة بكاملها من طريق عروة فى الكتاب السابق ، باب قسمة الغنيمة فى دار الحرب ٥٨/٩-٥٩ .

وصحح الشيخ ناصر الدين الألبانى إسناده . انظر : فقه السيرة ص ٢٣٠-٢٣١ الهامش .

رابعاً : تعنيف المسلمين لمن كان في السرية ومؤاخذتهم لهم ، فلو كان ذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عنفوهم .

خامساً : تخفيف الله عز وجل عن عبد الله بن جحش وأصحابه بمقارنة ما فعلوه بما فعله المشركون وهو أعظم وأكبر ، ثم جعله إياهم من المهاجرين المجاهدين الذين يرجون بما فعلوا رحمة الله ومغفرته ، يدل على حسن قصدهم ورجائهم للثواب فيما صنعوا .

فليس لجولد زيهر في هذه الحادثة من دليل يدل على تناقض النبي صلى الله عليه وسلم في أمره ، فبطل احتجاجه .

(ب) ما استدل به على تناقض النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الدنيا ، ورفضه إياها أولاً ثم ميله إليها ثانياً ، لا يدل على تناقض ، وقد أسلف الحديث في هذا الشأن فيما سبق عندما تعرضت لشبهة الغنائم (١) بعد هذا يتضح لنا أن مازعمه المستشرقون من مطاعن في شخص النبي صلى الله عليه وسلم يريدون من خلالها الطعن في نبوته وإبطال رسالته ، ماهى إلا أمور أوهى من خيط العنكبوت ، بل بان من خلالها كذب هؤلاء المستشرقين وتلفيقهم ، وليهم للحقائق الثابتة لكي تتجارى مع أهوائهم ، وفساد نياتهم تجاه هذا الدين ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم . ولا تزيد هذه الشبه إلا قدحاً في مصداقيتهم ، وشكاً في جوثهم .

(١) انظر ص : ٤٤٦ فما بعدها .



٢
٢
٢

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الكتاب والسنة

تم إجراء التصويبات حسب

توجيهات لجنة المناقشة

د / أحمد محمد نور سيف

د / أحمد ناصر محمد الحمد

د / الشريف منصور بن عون العبدلي

د / سيد عبد العزيز السلي

موقف المدرسة الحقلية

من السنة النبوية



رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة

إعداد الطالب

الأمين الصادق الأمين



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٢٣٠٣

إشراف

الدكتور

الدكتور

أحمد ناصر محمد الحمد

أحمد محمد نور سيف

١٤١٤ هـ

الجزء الثاني

ولقد أثاروا كثيراً من الشبه لكى يصلوا من خلالها إلى القدح فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم والطعن فيه والذى دفعهم إلى ذلك كما أسلفت عدم تصديقهم بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنكارهم الوحي ، هذا هو السبب الأساسى والعلة الحقيقية ، ولكنهم يتعلقون بأمور واهية ليوهموا الناس بأنهم يستندون إلى منهج علمى أوصلهم إلى حقيقة أن مايتمسك به المسلمون من حديث لايت إلى الصحة بصلة ، وهذه نتيجة مسبقة فى أذهانهم ليست وليدة منهج علمى كما يدعون.

ولذلك جاءت أقوالهم ملتوية مخالفة للحقيقة والصواب بل ومخالفة للمنهج العلمى الذى يحتكم إليه العقلاء . كما يتبين لنا من خلال الردود . وماسبق من براهين تثبت نبوة النبى صلى الله عليه وسلم كاف فى الرد على شبههم فى الجملة ، ولكننا مع ذلك نورد من الحجج والبراهين ما يقتلع تلك الترهات من جذورها حتى لا يغتر بذلك من قلت معرفته بهؤلاء المستشرقين ، ووثق بهم وبعلمهم ، وقل فقهه بدين الإسلام ، وإن كان ذلك لا يخفى على كل ذى لب عرف حقيقة الإسلام وخلصت نيته من الشكوك والأوهام .

وقبل أن أعرض تلك الشبه وأجيب عليها بردود تفصيلية لابد من وقفة نبين من خلالها سلامة السنة النبوية الصحيحة من كل طعن وقدح ، وأنها وصلت إلينا نقية صافية من غير تحريف ولا تبديل . وقد هيا الله لها من الأسباب ما أدى إلى حفظها وصيانتها بعيدة عن عبث العابثين ولعب اللاعبين .

كيف لا يتم لها الحفظ والبقاء وهى المصدر التشريعى الثانى للأمة الإسلامية ، وبضياعها يضيع على المسلمين دينهم وتفسد عبادتهم ، وهذا محال فى شأن دين كتب الله له البقاء وجعله الدين الخاتم الذى لا دين بعده ؟

وسوف نستعرض بشيء من الإيجاز مقام به صحابة النبي صلى الله عليه وسلم والتابعون وعلماء الأمة من جهود قل نظيرها وعدم مثيلها في خدمة سنة النبي صلى الله عليه وسلم وحفظها وصيانتها ، وما وضعوه من منهج ندر وجوده بين مناهج أهل الأرض ، تمكنوا من خلاله أن يحموا حصن السنة من أن تصل إليه معاول الهدم والتخريب ، بل ظل شامخاً يقاوم صنوف الباطل وأمواج الضلال عبر القرون الماضية .

(١) جهود الصحابة فى حفظ السنة :

لقد تكفل الله عز وجل بحفظ دينه فقال : {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} (١). والدين هو ما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهما المصدران اللذان تركنا عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال : "إنى قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض" (٢). وقد حفظ الله كتابه من التبديل والتغيير والتحريف كما قال سبحانه : {إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد} (٣).

وهيأ رجالاً لحفظ سنة نبيه من بعده ووهبهم من التقى والصلاح والإخلاص والذكاء وقوة الذاكرة مايؤهلهم لحمل أمانة حفظ السنة النبوية ، وفوق ذلك شرفهم بصحبة نبيه . وتلك منزلة تتهاوى عندها جميع المنازل . فقد علموا مكانة السنة من الدين ولذلك حرصوا عليها حرصهم على القرآن فحفظوها وفهموها ونقلوها إلى سواهم . فحبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورغبتهم الأكيدة فى التزام دينه ، واستقرار الإيمان فى قلوبهم وصدق

(١) سورة الحجر : آية ٩

(٢) أخرجه الحاكم فى مستدركه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ٩٣/١ ، وأورده السيوطى فى الجامع الصغير وسكت عنه .

انظر : فيض القدير ٢٤٠/٣-٢٤١ .

وقال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "صحيح" . صحيح الجامع ٣٩/٣ .

وله شاهد من حديث مالك فى الموطأ بلاغاً ولفظة : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه" . كتاب القدر (٤٦) ، باب النهى عن القول بالقدر (١) برقم (٣) ، ٨٩٩/٢ ، وأورد ابن عبد البر حديث مالك من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده . جامع بيان العلم ٣٠/١ .

وانظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٦١/٤ ، مشكاة المصابيح ٦٦/١ برقم ١٨٦ .

(٣) سورة فصلت : آية ٤١-٤٢

نواياهم ، كل ذلك خولهم لحماية السنة والدفاع عنها وصيانتها والذود عن حماها (١) .

وقد اختطوا منهجاً رصيناً فى تحمل الحديث وإبلاغه كان له الأثر البالغ فى نقاء الأحاديث من كل شائبة ودخيلة ، ومن كل زيادة ونقصان .
من ذلك :

(أ) التثبت والاحتياط فى نقل الأحاديث وروايتها :

لقد احتاط الصحابة رضى الله عنهم احتياطاً بالغ الدقة ، وثبتوا تثبتاً كاملاً فى نقلهم الحديث وروايتهم له ، مسترشدين فى ذلك بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (٢) ، وبحديث النبى صلى الله عليه وسلم : " نضر الله امرئاً سمع مقالتي فحفظها ووعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع " (٣) .

(١) انظر : الحديث والمحدثون ص ٤٨ ، السنة قبل التدوين ص ٩٢ ، أصول الحديث ص ٧٠ ، دفاع عن السنة ص ١٧، ١٨ ، السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص ١٥٩ .

(٢) سورة الحجرات : آية ٦ .

(٣) سبق تخريجه . انظر ص : ١٢ .

فأخذوا الحديث بحیطة شديدة وحذر تام ، فلم يأخذوا إلا ما طمأنت إليه قلوبهم ، ولم يرووا إلا ما ثبت عندهم (١) .
وأول من احتاط فى قبول الأخبار أبو بكر رضى الله عنه كما سبق فى قصة میراث الجدة (٢) .

حتى قال عنه الذهبى : " كان أول من احتاط فى قبول الأخبار " (٣) .
وقال : " وإليه المنتهى فى التحرى فى القول وفى القبول " (٤) .
وقد تثبت عمر رضى الله عنه كما تثبت أبو بكر ، وقد سبق ما ذكرناه عنه فى قصته مع أبى موسى فى الاستئذان (٥) .
ومثل ذلك فعل عثمان رضى الله عنه فى التثبت والتحرى (٦) ، قال بسر بن سعيد (٧) :

-
- (١) انظر : الحديث والمحدثون ص ٦٩ ، السنة ومكانتها فى التشريع ص ٦٢ ، السنة قبل التدوين ص ١٠٥ ، أصول الحديث ص ٨٨ .
(٢) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص ٧١ ، السنة قبل التدوين ص ١١٢-١١٣ ، أصول الحديث ص ٨٩ ، منهج النقد عند المحدثين ص ١١ . وانظر ص : ٩٦ .
(٣) تذكرة الحفاظ ٢/١ .
(٤) المرجع السابق ٥/١ .
(٥) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص ٧٠ ، السنة قبل التدوين ص ١١٣-١١٦ ، أصول الحديث ص ٨٩ - ٩٠ . وانظر ص : ٩٧ .
(٦) انظر : السنة قبل التدوين ص ١١٦ ، أصول الحديث ص ٩٠ .
(٧) بسر بن سعيد :
هو بسر بن سعيد المدنى العابد ، مولى ابن الحضرمى ، ثقة جليل . روى عن زيد وأبى هريرة وسعد . وعنه أبنا الأشج ، وزيد بن أسلم . مات سنة مائة .
انظر : الجرح والتعديل ٤٢٣/٢ ، الكاشف ١٥٣/١ ، تقريب التهذيب ٩٧/١ .

"أتى عثمان المقاعد^(١)، فدعا بوضوء فتمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثاً، ويديه ثلاثاً ثلاثاً، ثم مسح برأسه ورجليه ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا يتوضأ ، ياهؤلاء أكذاك؟ قالوا : نعم ، لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده"^(٢). ونهج الخليفة الراشد الرابع على بن أبي طالب رضى الله عنه نهج سلفه في التثبت حتى بلغ به الأمر أنه كان يستحلف من حدثه ، قال : "كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً ينفعنى الله بما شاء منه وإذا حدثني عنه غيره استحلفته فإذا حلف لى صدقته ، وإن أبا بكر حدثني - وصدق أبو بكر - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مامن رجل يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الوضوء ، ثم يصلى ركعتين ويستغفر الله إلا غفر الله له"^(٣).

(١) المقاعد : جمع مقعد : عند باب الأقبر بالمدينة ، وقيل : مساقف حولها، وقيل هي دكاكين عند دار عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقال الداودى هي الدرج . معجم البلدان ١٦٤/٥ .

(٢) هذا الحديث أصله فى الصحيحين . انظر : صحيح البخارى ، كتاب الوضوء (٤) ، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً ، (٢٤) ٤٨/١ ، باب المضمضة فى الوضوء (٢٨) ، ٤٩/١ ، كتاب الصوم (٣٠) ، باب السواك الرطب واليابس للصائم (٢٧) ، ٢٣٥/٢ ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب قول الله تعالى : {ياأيها الناس إن وعد الله حق ..} الآية (٨) ، ١٧٤/٧ . صحيح مسلم ، كتاب الطهارة (٢) ، باب صفة الوضوء وكماله (٣) برقم ٢٢٦ ، ٢٠٤/١-٢٠٥ .

إلا أنه بهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٦٧/١ ، وقال أحمد محمد شاكر "إسناده صحيح" . مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ٣٧١/١ .

(٣) انظر : السنة قبل التدوين ص ١١٦ ، أصول الحديث ص ٩٠ . والحديث :

أخرجه أبو داود فى سننه بلفظ مقارب ، كتاب الصلاة ، باب فى الاستغفار برقم ١٥٢١ ، ٨٦/٢ . قال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "صحيح" . صحيح سنن أبى داود ٢٨٣/١ .

وأخرجه الترمذى فى سننه بلفظ مقارب ، كتاب تفسير القرآن (٤٨) ، تفسير سورة آل عمران (٣) برقم ٣٠٠٦ ، ٢١٢/٥-٢١٣ . =

ولقد سار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على نهج الخلفاء الراشدين في الثبوت ولم يقبلوا من الحديث إلا ما اطمأنت إليه نفوسهم وهم الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاشوه فعرفوا عنه ما جهله غيرهم ، وفهموا منه ما خفى عن سواهم .

روى مسلم بسنده عن مجاهد أنه قال : " جاء بشير العدوى ^(١) إلى ابن عباس . فجعل يحدث ويقول : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه . فقال يا ابن عباس مالى لأراك تسمع لحديثي ؟ أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع . فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا ،

= وأخرجه ابن ماجه ، واللفظ له . كتاب إقامة الصلاة (٥) ، باب ماجاء في الصلاة كفارة (١٩٣) برقم ١٣٩٥ ، ٤٤٦/١ .

وقال الشيخ ناصر الدين الألبانى : " حسن " . صحيح سنن ابن ماجه ٢٣٤/١ . وأخرجه أحمد في مسنده بلفظه إلا أحرف يسيرة ٢/١ ، ولفظ مقارب ١٠،٩/١ . قال الشيخ أحمد محمد شاكر : " إسناده صحيح " . مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٧٨، ١٧٤، ١٥٣/١ .

وانظر : مشكاة المصابيح برقم ١٣٢٤ ، ٤١٦/١ .

(١) بشير العدوى :

هو بُشير - مصغرا - ابن كعب بن أبى الحميرى العدوى ، أبوأيوب البصرى . ثقة مخضرم . روى عن أبى ذرٍ والكبار ، وعنه ثابت وقتادة . انظر : الجرح والتعديل ٣٩٥/٢ ، الكاشف ١٦٠/١ ، تقريب التهذيب ١٠٤/١ .

وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول^(١) ، لم نأخذ من الناس إلا مانعرف^(٢) .

(ب) تناوبهم فى ملازمة مجلسه :

لقد بلغ حرصهم رضى الله عنهم فى تتبع أقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم شأواً بعيداً حتى أنهم ماكانوا يقبلون فوات شىء من سماع ماينزل من الوحي وحضور مجالسه ولذلك كانوا يتناوبون لسماع ماينزل منه .

روى البخارى بسنده إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : "كنت أنا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد^(٣) - وهى من عوالى المدينة^(٤) - وكنا تتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينزل يوماً وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جئته بخمر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك..." الحديث^(٥) .

(١) الصعب والذلول :

قال النووى : "أصل الصعب والذلول فى الإبل . فالصعب العسر المرغوب عنه ، والذلول السهل الطيب المحبوب المرغوب فيه . فالمعنى سلك الناس كل مسلك مما يحمد ويذم" . شرح النووى على مسلم ٨٠/١ .

(٢) صحيح مسلم ، المقدمة ١٣/١ .

(٣) بنى أمية بن زيد :

أى ناحية بنى أمية بن زيد . سميت البقعة باسم من نزلها . فتح البارى ١٨٥/١ . وبنو أمية بن زيد أو يزيد بطن من الأوس من العرب القحطانية . انظر : معجم قبائل العرب ٤٦/١ ، معجم قبائل الحجاز ٢٠/١ .

(٤) العوالى : جمع العالى . ضيعة بينها وبين المدينة أربعة أميال ، وقيل : ثلاثة ، وقيل ثمانية . مرصد الاطلاع ٩٧٠/٢ .

وهى الآن حى معروف من أحياء المدينة المنورة .

(٥) صحيح البخارى ، كتاب العلم (٣) ، باب التناوب فى العلم (٢٧) ، ٣١/١ . وبلفظ مقارب فى كتاب المظالم (٤٦) ، باب الغرفة والعلية المشرقة (٢٥) ، ١٠٦-١٠٣/٣ ، وفى كتاب النكاح (٦٧) ، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها (٨٣) ،

(ج) تحملهم المشاق فى تلقيه والرحلة فى طلبه :

لقد كان بعض الصحابة رضى الله عنهم يتحمل فى طلب حديث النبي صلى الله عليه وسلم الجهد والعناء والمشقة ويبدل النفس فيه لكى يظفر بحديث واحد يحفظه ويعمل به .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : "لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ، فإنهم اليوم كثير ، قال : واعجباً لك يا ابن عباس . أترى الناس يفتقرون إليك ، وفى الناس من أصحاب رسول الله من فيهم؟ قال : فترك ذاك ، وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله عن الحديث ، فإنه كان يبلغنى الحديث عن الرجل فاتى بابه وهو قائل ، فأتوسد ردائى على بابه ، تسفى الريح على من التراب ، فيخرج فيقول : يا ابن عم رسول الله ماجاء بك؟ ألا أرسلت إلى فآتيك؟ فأقول : أنا أحق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث" (١).

وقد بلغ من حرصهم على الحديث أن أحدهم يجهد نفسه فى طلب حديث واحد، فيرحل فى طلبه ، يقطع الفيافي والقفار ويقضى الأيام والشهور حتى يصل إلى مبتغاه ويحصل على مطلبه .

ولقد رحل جابر بن عبد الله رضى الله عنه إلى الشام شهراً كاملاً للقاء عبد الله بن أنيس رضى الله عنه من أجل حديث واحد (٢).

= ونحوه فى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة التحريم (٦٦) ، باب {تبتغى مرضات أزواجك} الآية (٢) ، ٦٩/٦-٧٠ ، وفى كتاب اللباس (٧٧) ، باب ماكان النبي صلى الله عليه وسلم يتجوز من اللباس والبسط (٣١) ، ٤٦/٧-٤٧ ، وفى كتاب أخبار الآحاد (٩٥) ، باب ماجاء فى إجازة خير الواحد (١) ، ١٣٤/٨ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظ مقارب ، كتاب الطلاق (١٨) ، باب فى الإيلاء واعتزال النساء (٥) ، برقم ١٤٧٩ ، ١١١١/٢-١١١٣ .

(١) الجامع لأخلاق الراوى ٩١/١ ، وانظر : جامع بيان العلم ١١٢/١ ، تذكرة الحفاظ ٤١/١ .

(٢) انظر : صحيح البخارى ٢٧/١ "فى الترجمة" الأدب المفرد ص ٣٣٧ ، جامع بيان العلم ١١١/١-١١٢ ، الجامع لأخلاق الراوى ٢٨٣/٢ .

ومن ذلك ما حدث به عطاء بن أبي رباح^(١) قال :

"خرج أبو أيوب الأنصاري إلى عقبة بن عامر ، يسأله عن حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غيره وغير عقبة ، فلما قدم إلى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري - وهو أمير مصر - فأخبره فعجل عليه ، فخرج إليه فعانقه ، ثم قال له : ماجاء بك ياأبا أيوب؟ فقال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري وغير عقبة ، فابعث من يدلني على منزله ، قال : فبعث معه من يدلني على منزل عقبة ، فأخبر عقبة ، فعجل فخرج إليه فعانقه ، فقال : ماجاء بك ياأبا أيوب؟ فقال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري وغيرك في ستر المؤمن ، قال عقبة : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "من ستر مؤمناً في الدنيا على عورة ستره الله عز وجل يوم القيامة"^(٢).

(١) عطاء بن أبي رباح :

هو عطاء بن أسلم أبو رباح ، القرشي ، مولا هم المكي ، ثقة فقيه فاضل . كثير الإرسال . روى عن عائشة وأبي هريرة . وعنه الأوزاعي ، وابن جريج والليث . مات سنة ١١٤هـ على المشهور .

انظر : الجرح والتعديل ٣٣٠/٦ ، الكاشف ٢٦٥/٢ ، تقريب التهذيب ٢٢/٥ .
(٢) أخرجه أحمد في مسنده بلفظه ١٥٩/٤ ، وبنحو منه ١٥٣/٤ .
وأصل الحديث في الصحيحين دون ذكر القصة .

انظر : صحيح البخاري ، من حديث ابن عمر وفيه : "من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة" كتاب المظالم (٤٦) ، باب لا يظلم المسلم المسلم (٣) ، ٩٨/٣ .
صحيح مسلم . عن ابن عمر ، كتاب البر والصلة (٤٥) ، باب تحريم الظلم (١٥) برقم ٢٥٨٠ ، ١٩٩٦/٤ .

ومن حديث أبي هريرة ولفظه : "لا يستر عبد عبداً في الدنيا ، إلا ستره الله يوم القيامة" . باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا (٢١) برقم ٢٥٩٠ ، ٢٠٠٢/٤ .
ومن حديثه رضي الله عنه وفيه : "ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة" كتاب الذكر والدعاء (٤٨) ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (١١) برقم ٢٦٩٩ ، ٢٠٧٤/٤ .

فقال له أبو أيوب : صدقت . ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته ، فركبها راجعا إلى المدينة ، فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر^(١).

فما رحل أبو أيوب هذه الرحلة الطويلة من المدينة إلى مصر إلا من أجل حديث واحد أراد أن يتثبت فيه .
(د) تعظيم الحديث وتوقيره :

كان الصحابة رضوان الله عليهم يقدمون حديث النبي صلى الله عليه وسلم على كل قول بعد القرآن مهما كانت منزلة القائل ومكانته ، ولا تأخذهم في ذلك لومة لائم ، وإذا بلغ أحدهم حديث لا يدعه إلى رأى بشر قط .

روى مسلم بسنده إلى سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها" .

قال : قال بلال بن عبد الله^(٢) : "والله لنمنعن . قال : فأقبل عليه

(١) معرفة علوم الحديث ص ٧-٨ . وانظر : جامع بيان العلم ١١٢/١ ، الجامع لأخلاق الراوى ٢٨٣/٢-٢٨٤ .

وعريش مصر : مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام ، على ساحل بحر الروم ، في وسط الرمل ، خربت بأيدي الفرنج ، ولم يبق منها إلا آثار .
مراصد الاطلاع ٩٣٥/٢ .

(٣) بلال بن عبد الله :

هو بلال بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، القرشى العدوى . ثقة . روى عن أبيه ، وعنه كعب بن علقمة وعبد الله بن هبيرة .
انظر : الجرح والتعديل ٣٩٦/٢ ، الكاشف ١٦٥/١ ، تقريب التهذيب ١١٠/١ .

عبد الله فسيبه سباً سيئاً . ماسمعتنه سبه مثله قط . وقال : أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول : "والله لنمنعهن" (١).

وروى ابن عبد البر أن عروة قال لابن عباس رضى الله عنهما : "ألا تتقى الله ترخص في المتعة؟ فقال ابن عباس : سل أمك ياعربية ، فقال عروة : أما أبو بكر وعمر فلم يفعلوا . فقال ابن عباس : والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله ، نحدثكم عن النبي صلى الله عليه وسلم وتحدثونا عن أبي بكر وعمر ، وذكر الحديث . قال أبو عمر : "يعنى متعة الحج ، وهو فسخ الحج في عمرة" (٢).

وروى البخارى بسنده إلى الزبير بن عري (٣) قال : سأل رجل ابن عمر رضى الله عنهما عن استلام الحجر . فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله . قال : قلت : رأيت إن زحمت؟ رأيت إن

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة (٤) ، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة (٣٠) برقم ٤٤٢ ، ٣٢٧/١ .

وأخرج نحوه البخارى في صحيحه من غير ذكر قصة بلال : كتاب الجمعة (١١) ، باب (١٣) ، ٢١٦/١ ، وفي كتاب النكاح (٦٧) ، باب استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد وغيره (١١٦) ، ١٦٠/٦ .

(٢) جامع بيان العلم ٢/٢٣٩ .

وقد أخرج نحوه الإمام أحمد في المسند ١/٢٥٢ .

قال الشيخ أحمد محمد شاكر : "إسناده صحيح" . المسند بتحقيق أحمد محمد شاكر ٤/٧٤ ، وانظر : سير أعلام النبلاء ١٥/٢٤٣ .

(٣) الزبير بن عري :

هو الزبير بن عري ، النمري ، أبو سلمة البصرى . قال الحافظ ابن حجر : "ليس به بأس" ، وقال الذهبي : ثقة . روى عن ابن عمر ، وعنه معمر وحماد بن زيد . انظر : الجرح والتعديل ٣/٥٨٠ ، الكاشف ١/٣١٩ ، تقريب التهذيب ١/٢٥٩ .

غلبت؟ قال : اجعل رأييت باليمن . رأييت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله "(١).

فتعظيم الصحابة للحديث النبوى واحترامه وإعطائه هذه المكانة السامية الرفيعة تجعلهم من أحرص الناس على حفظه والاهتمام به ، والتثبت فى روايته ، والتمسك به ، وتبليغه لغيرهم .
(هـ) نهيم عن بث الأحاديث الواهية والضعيفة :

خشى الصحابة رضوان الله عليهم من انتشار الأحاديث الواهية والمنكرة فنهوا عن روايتها وحذروا من انتشارها حتى لا تختلط بالصحيح من حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وأمروا برواية الصحيح والتثبت فيه (٢).
روى مسلم بسنده إلى عبد الله بن مسعود أنه قال : "مأنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة" (٣).

وقد جاء نحو ذلك عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال :
"حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون . أتحبون أن يكذب الله ورسوله" (٤).

قال الذهبي رحمه الله :

"فقد زجر الإمام على رضى الله عنه عن رواية المنكر ، وحث على التحديث بالمشهور ، وهذا أصل كبير فى الكف عن بث الأشياء الواهية ، والمنكرة من الأحاديث فى الفضائل والعقائد ، والرقاق ، ولا سبيل إلى معرفة هذا من هذا إلا بالإمعان فى معرفة الرجال" (٥).

(١) صحيح البخارى ، كتاب الحج (٢٥) ، باب تقبيل الحجر (٦٠) ، ١٦٢/٢ .

(٢) انظر : السنة قبل التدوين ص ١٥٦ .

(٣) صحيح مسلم ، المقدمة ١١/١ .

(٤) أورده البخارى معلقاً . كتاب العلم (٣) ، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم

(٤٩) ، ولم يذكر "دعوا ما ينكرون" ٤١/١ .

تذكرة الحفاظ ١٣/١ ، سير أعلام النبلاء ٥٩٧/٢ .

(٥) تذكرة الحفاظ ١٣/١ .

(و) الإقلال من الرواية والتحرز فيها احتياطاً :

لقد حمل الورع والتقوى الصحابة الكرام على الاعتدال في الرواية ، وآثر بعضهم الإقلال منها ، لازهداً في الحديث وإنما مخافة أن يتسرب إلى السنة تحريف أو تغيير ، وممن اشتهر من بين الصحابة بشدة الإنكار على من أكثر من الرواية ، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه (١) .
قال ابن قتيبة :

"كان عمر شديد الإنكار على من أكثر الرواية ، أو أتى بخير في الحكم لاشاهد له عليه ، وكان يأمرهم بأن يقلوا الرواية ، يريد بذلك ألا يتسع الناس فيها ، ويدخلها الشوب ، ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابي ، وكان كثير من جلة الصحابة وأهل الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأبي بكر والزبير وأبي عبيدة والعباس بن عبد المطلب - يقلون الرواية عنه ، بل كان بعضهم لا يكاد يروى شيئاً كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة" (٢) .
وقال الخطيب :

"وفي تشديد عمر أيضاً على الصحابة وفي روايتهم حفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وترهيب لمن لم يكن من الصحابة أن يدخل في السنن ما ليس منها ، لأنه إذا رأى الصحابي المقبول القول المشهور بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم قد تشدد عليه في روايته كان هو أجدر أن يكون للرواية أهيب ولما يلقي الشيطان في النفس من تحسين الكذب أرهب" (٣) .
بل من الصحابة من كان يرتجف ، ويقشعر جلده ، ويمتقع لونه إذا حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم تعظيماً لحديثه ، وخوفاً من وقوع الخطأ منه في ذلك .

(١) انظر : أصول الحديث ص ٨٤ .

(٢) تأويل مختلف الحديث ص ٤٨-٤٩ .

(٣) شرف أصحاب الحديث ص ٩١ .

قال عمرو بن ميمون (١): "مأخطأني ابن مسعود عشية خميس إلا أتته فيه . قال : فما سمعته يقول بشيء قط : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" فلما كان ذات عشية قال : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فنكس ، قال : فنظرت إليه ، فهو قائم محللة أزرار قميصه ، وقد اغرورقت عيناه ، وانتفخت أوداجه . قال : أو دون ذلك ، أو فوق ذلك ، أو قريباً من ذلك أو شبيهاً بذلك" (٢).

هكذا تحرى الصحابة رضوان الله عليهم في نقل حديث النبي صلى الله عليه وسلم وإبلاغه ، وقد ساروا على هذا المنهج السديد حتى حفظوا للحديث نوره وللسنة بهاءها وأوصلوها إلى التابعين بيضاء نقية كما تلقوها عنه صلى الله عليه وسلم بيضاء نقية . فحموا حديث النبي صلى الله عليه وسلم من أن تناله يد جاهل أو صاحب هوى أو منافق . وأخذهم بهذا المنهج المتشدد ليس زهداً في الحديث ولا هجراً له وإنما فعلوا ذلك احتياطاً للدين وحفظاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم (٣).

(١) عمرو بن ميمون :

هو عمرو بن ميمون الأودي ، أبو عبد الله وأبو يحيى ، مخضرم مشهور ، ثقة عابد ، نزل الكوفة ، روى عن عمر ومعاذ ، وعنه زياد بن علاقة وأبو إسحاق ومحمد بن سوقة . مات سنة ٧٤ هـ وقيل بعدها .

(٢) انظر : الجرح والتعديل ٢٥٨/٦ ، الكاشف ٣٤٢/٢ ، تقريب التهذيب ٨٠/٢ . أخرجه ابن ماجه في المقدمة ، باب التوقي في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) برقم (٢٣) ، ١٠/١ - ١١ .

وأخرجه أحمد بلفظه إلا أحرف يسيرة ٤٥٢/١ .

وأخرج الحاكم في المستدرک نحوه وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبي في التلخيص ٣١٤/٣ .

وقال الشيخ ناصر الدين الألباني : "صحيح" . صحيح ابن ماجه ١٠/١ . وانظر : سير أعلام النبلاء ٤٩٤/١ .

(٣) انظر : السنة قبل التدوين ص ٩٨ .

(٢) جهود التابعين :

لقد سلك علماء التابعين رحمهم الله مسلك الصحابة رضى الله عنهم في حفظ السنة ، والاحتياط في تحمل الحديث وروايته ، فاهتموا به اهتماماً بالغاً ، واستوثقوا له استيثاقاً كاملاً ، وحفظوه ، واستوعبوه ، وثبتوا فيه ، فكانوا يحلفون الراوى كما فعل سلفهم ، ويطلبون الحديث من طريق آخر إذا لم يطمئنوا إليه^(١).

وقد كانوا على جانب كبير من التقوى والورع والخوف من الله تعالى، وكيف لا يكونون كذلك وهم تلاميذ الصحابة رضى الله عنهم الذين تخرجوا في مدرستهم ونهلوا من معينها فتأسوا بأخلاقهم ، وتأدبوا بآدابهم ، وسلكوا سبيلهم ونهجوا نهجهم في المحافظة على السنة والاهتمام بها ، ولم يكونوا أقل اهتماماً منهم رحمهم الله ، فقد تثبتوا واستوثقوا من الرواة ، وجاءت أقوالهم تترى تدل على مدى اهتمامهم واحتياطهم^(٢).

روى ابن أبى حاتم أن عقبة بن نافع الفهرى^(٣) أوصى ولده فقال : "يا بنى لا تقبلوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من ثقة"^(٤). وروى مسلم بسنده إلى محمد بن سيرين^(٥) قال : "إن هذا العلم دين

(١) انظر : أصول الحديث ص ٩٤ .

(٢) انظر : السنة قبل التدوين ص ١١٠ ، أصول الحديث ص ٩٢ .

(٣) عقبة بن نافع :

هو عقبة بن نافع القرشى الفهرى ، نائب افريقية لمعاوية ، وليزيد ، وهو الذى أنشأ القيروان ، وكان ذا شجاعة ، وحزم ، وديانة ، لم يصح له صحبة . قتل سنة ٦٣ هـ .

انظر : أسد الغابة ٥٩/٤ - ٦٠ ، سير أعلام النبلاء ٥٣٢/٣ - ٥٣٤ ، البداية والنهاية ٢١٧/٨ ، الإصابة ٤٩٢/٢ .

(٤) الجرح والتعديل ٢٩/٢ .

(٥) محمد بن سيرين :

هو محمد بن سيرين الأنصارى ، أبو بكر بن أبى عمرة ، البصرى ، ثقة ثبت عابد كبير القدر . روى عن أبى هريرة وعمران بن حصين . وعنه ابن عون ، وهشام ابن حسان ، وقررة وجريز . مات سنة ١١٠ هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٢٨٠/٧ ، الكاشف ٥١/٣ ، تقريب التهذيب ١٦٩/٢ .

فانظروا عمن تأخذون دينكم" (١).

وروى بسنده إلى أبي الزناد (٢) قال : "أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون ، مأيؤخذ عنهم الحديث ، يقال ليس من أهله" (٣).

وروى بسنده إلى سليمان بن موسى (٤) قال : قلت لطاوس (٥) : إن فلاناً حدثني بكذا وكذا . قال : "إن كان صاحبك ملياً فخذ عنه" (٦).
وروى بسنده إلى مسعر (٧) قال :

(١) صحيح مسلم . المقدمة ١٤/١ .

(٢) أبو الزناد :

هو عبد الله بن ذكوان القرشي ، أبو عبد الرحمن المدني ، معروف بأبي الزناد ، ثقة فقيه . روى عن أنس وسعيد بن المسيب والأعرج . وعنه مالك والليث والسفيانان . مات سنة ١٣٠هـ وقيل بعدها .

انظر : الجرح والتعديل ٤٩/٥ ، الكاشف ٨٤/٢ ، تقريب التهذيب ٤١٣/١ .

(٣) صحيح مسلم ، المقدمة ١٥/١ .

(٤) سليمان بن موسى :

هو سليمان بن موسى الأموي ، مولاهم ، الدمشقي ، الأشدق ، صدوق فقيه ، في حديثه بعض لين وخلط قبل موته بقليل . روى عن وائلة وكثير بن مرة ومكحول . وعنه الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز . مات سنة ١١٩هـ .

انظر : الجرح والتعديل ١٤١/٤ ، الكاشف ٤٠١/١ ، تقريب التهذيب ٣٣١/١ .

(٥) طاوس :

هو طاوس بن كيسان اليماني ، أبو عبد الرحمن ، الحميري مولاهم ، الفارسي ، يقال اسمه ذكوان ، وطاوس لقب ، ثقة ، فقيه فاضل . روى عن أبي هريرة وابن عباس وعائشة . وعنه الزهري وسليمان التيمي . مات سنة ١٠٦هـ وقيل بعد ذلك .

انظر : الجرح والتعديل ٥٠٠/٤ ، الكاشف ٤١/٢ ، تقريب التهذيب ٣٧٧/١ .

(٦) صحيح مسلم ، المقدمة ١٥/١ .

وملياً : أصله من ملء فأولع الناس بترك الهمزة وتشديد الياء . وهو الثقة الغني . انظر : النهاية ٣٥٢/٤ .

(٧) مسعر :

هو مسعر بن كدام بن ظهير ، الهلالي ، أبو سلمة الكوفي ، ثقة ، ثبت ، فاضل . روى عن عطاء وسعيد بن أبي بردة وقيس بن مسلم . وعنه القطان ويحيى بن آدم . مات سنة ١٥٣هـ أو ١٥٥هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٣٦٨/٨ ، الكاشف ١٣٧/٣ ، تقريب التهذيب ٢٤٣/٢ .

سمعت سعد بن إبراهيم^(١) يقول :
 "لا يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الثقات"^(٢).
 وقال يزيد بن أبي حبيب^(٣) : "إذا سمعت الحديث فانشده كما تنشد
 الضالة فإن عرفت فخذة وإلا فدعه"^(٤).
 فهذه أقوالهم وغيرها الكثير مما يدل على شدة تحريهم ، وقوة ضبطهم
 وعظيم أمانتهم في المحافظة على السنة النبوية ، وقد رحلوا كما رحل سلفهم
 في تتبع الأحاديث وأخذها من الصحابة الذين تفرقوا في الأمصار ، ولم تطب
 نفوسهم بسماعها من على بعد حتى رحلوا إلى مصدرها ومنبعها .
 قال أبو العالية^(٥) :
 "كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بالبصرة ، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم"^(٦).

(١) سعد بن إبراهيم :

هو سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، ولي قضاء المدينة ، وكان ثقة
 فاضلاً عابداً . روى عن أنس وأبي أمامة بن سهل ، وعنه ابنه إبراهيم وشعبة
 وابن عيينة . مات سنة ١٢٥هـ وقيل بعدها .

انظر : الجرح والتعديل ٧٩/٤ ، الكاشف ٣٥٠/١ ، تقريب التهذيب ٢٨٦/١ .
 صحيح مسلم ، المقدمة ١٥/١ .

(٢) يزيد بن أبي حبيب :

هو يزيد بن أبي حبيب ، المصرى ، أبو رجاء ، واسم أبيه سويد ، ثقة فقيه ،
 وكان يرسل . روى عن عبد الله بن الحارث بن جزء وأبي الطفيل ، وعنه الليث
 وابن لهيعة . مات سنة ١٢٨هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٢٦٧/٩ ، الكاشف ٢٧٥/٣ ، تقريب التهذيب ٣٦٣/٢ .
 الجرح والتعديل ١٩/٢ .

(٤) أبو العالية :

هو رفيع بن مهران ، أبو العالية الرياحى ، ثقة كثير الإرسال ، رأى الصديق ،
 وروى عن عمر ، وأبي . وعنه عاصم الأحول ، وداود بن أبي هند . مات سنة
 ٩٠هـ وقيل بعدها .

انظر : الجرح والتعديل ٥١٠/٣ ، الكاشف ٣١٢/١ ، تقريب التهذيب ٢٥٢/١ .

(٦) سنن الدارمى ١٤٠/١ ، وانظر : الكفاية ص ٥٦٩ ، الجامع لأخلاق الراوى ٢٨٢/٢ .

وقال سعيد بن المسيب (١): "إن كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد" (٢).

وقال : "إن كنت لأسير ثلاثاً في الحديث الواحد" (٣).

بهذه المهمة التي لا تعرف للكسل سبيلاً ، والجهد الذي لا يضمحل ، والروح العالية التي ملئت إيماناً وحباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولدينه ، وبهذا الصبر وصدق العزيمة وحسن التدين ، وشدة الحرص ، حفظ التابعون سنة نبيهم غضة طرية بعيدة عن كل كدرة وتشويه وأوصلوها إلى من بعدهم بيضاء نقية خالية من الدس والتشكيك ، صافية من العيب والتبديل . فرحمهم الله وأعلا مكانهم .

(١) سعيد بن المسيب :

هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو ، القرشي المخزومي ، أحد العلماء الأثبات ، الفقهاء الكبار ، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل ، وقال ابن المديني لأعلم في التابعين أوسع علماً منه . روى عن عمر وعثمان وسعد ، وعنه الزهري ، وقتادة ، ويحيى بن سعيد . مات بعد التسعين .

انظر : الجرح والتعديل ٤/٥٩-٦١ ، الكاشف ١/٣٧٣ ، تقريب التهذيب ١/٣٠٥-٣٠٦ .

(٢) جامع بيان العلم ١/١١٣ ، الجامع لأخلاق الراوى ٢/٢٨٤ ، تذكرة الحفاظ ١/٥٥-٥٦ .

(٣) المحدث الفاصل ص ٢٢٣ .

(٣) جهود العلماء :

لقد قىض الله عز وجل بعد الصحابة والتابعين علماء أجلاء أمناء مخلصين لحفظ السنة النبوية ، وهياهم لذلك ، فضربوا أروع الأمثلة في الذب عن حياض السنة وحمايتها ، وضحوا بكل غال ونفيس في خدمتها وصونها ، ولم يتركوا سبيلاً يحفظ للحديث نوره إلا سلكوه وبذلوا في ذلك نفوسهم وأموالهم صيانة لإرث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن تعبت به أيادي الحاقدين أو رعونات الجاهلين أو فلتات الغافلين أو ترهات الكذابين أو تأويل المبطلين .

فتثبتوا وتحروا ، وحفظوا واستوعبوا ، وحققوا ودققوا ، ونقحوا وهذبوا ، وجرحوا وعدلوا ، وصححوا وضعفوا ، ودونوا وألفوا ، وضبطوا وحرروا ، ومحصوا وغربلوا ، ووضعوا القواعد ، واحتاطوا وبلغوا في الاحتياط غايته فحفظوا لنا سنة نبينا صلى الله عليه وسلم حتى وصلت إلينا (١) .

وفي الحقيقة لم يخدم علم على وجه الأرض مثل ماخدم حديث النبي صلى الله عليه وسلم من قبل علماء الحديث ، ولم تبذل جهود قط كتلك التي بذلت في خدمته وحفظه (٢) .

وقد وضعوا منهجاً متيناً رصيناً استطاعوا من خلاله أن يحيطوا السنة بسياج سميك ضمن لها البقاء معافاة سليمة جنباً إلى جنب مع كتاب الله عز وجل . ويتمثل ذلك في أمور منها :

(أ) التثبت في الحديث :

كانوا رحمهم الله يستوثقون في تحمل الحديث وروايته ، فلا يقبلوا إلا ما ثبت عندهم .

(١) انظر : السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام ص ١٩٣ .

(٢) انظر : الحديث والمحدثون ص ٢١٠ .

قال الأوزاعي : "كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزيف على الصيارفة . فما عرفوا منه أخذنا ، وماتركوا تركناه" (١). وكانوا يحفظون الحديث صحيحه وضعيفه وموضوعه حتى لا يلتبس أمره عليهم . قال الثوري : "إني لأروى الحديث على ثلاثة أوجه : أسمع الحديث من الرجل أتخذه دينا ، وأسمع من الرجل أقف حديثه ، وأسمع من الرجل لأعياً بحديثه وأحب معرفته" (٢).

(ب) بيان أحوال الرواة :

وقد تتبعوا أحوال الرواة وكشفوا وأبانوا عنهم فوثقوا من حقه التوثيق وضعفوا من كان أولى بالتضعيف ، لا يخشون في ذلك أحداً إلا الله ، ولا تأخذهم في الحق لومة لائم ، ولو كان من ضعفوا من أقرب الناس إليهم.

قال زيد بن أبي أنيسة (٣) : "لاتأخذوا عن أخي" (٤).

(١) الجرح والتعديل ٢١/٢ .

(٢) الكفاية ص ٥٦٨ . وانظر : الكامل في الضعفاء ٨٢/١ ، الجامع لأخلاق الراوى ٢٥٠/٢ .

(٣) زيد بن أبي أنيسة :

هو أبو أسامة الجزرى ، أصله من الكوفة ثم سكن الرها ، ثقة له أفراد . روى عن شهر ، وعطاء ، والحكم . وعنه مالك ، وعبيد الله بن عمر . مات سنة ١١٦هـ . وقيل ١٢٤هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٥٥٦/٣ ، الكاشف ٣٣٦/١ ، تقريب التهذيب ٢٧٢/١ . صحيح مسلم ، المقدمة ٢٧/١ .

(٤) وأخوه هو يحيى بن أبي أنيسة ، أبو زيد الجزرى ، ضعيف ، مات سنة ١٤٦هـ . انظر : الكاشف ٢٥٠/٣ ، تهذيب التهذيب ١١/١٨٣-١٨٥ ، تقريب التهذيب ٣٤٣/٢ .

وقال على بن المديني لمن سألته عن أبيه (١): "سلوا عنه غيري ، فأعادوا المسألة ، فأطرق ، ثم رفع رأسه فقال : "هو الدين ، إنه ضعيف" (٢).
 وكانوا يأمرؤن تلاميذهم بكشف حال الراوى وبيان أمره .
 قال يحيى بن سعيد (٣): "سألت سفيان الثوري وشعبة ومالكاً وابن عيينة عن الرجل لا يكون ثبثاً في الحديث فيأتيني الرجل فيسألني عنه . قالوا أخبر عنه أنه ليس بثبت" (٤).

(١) أبوه : هو عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدى مولاهم ، أبو جعفر المدني ، بصرى أصله من المدينة ، ضعيف . يقال تغير بآخرة ، روى عن عبد الله بن دينار وزيد بن أسلم . وعنه ابنه وقتيبة . مات سنة ١٧٨هـ .
 انظر : الجرح والتعديل ٢٢/٥-٢٣ ، الكاشف ٧٧/٢-٧٨ ، تقريب التهذيب ٤٠٦/١-٤٠٧ .

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٦٦ ، ط / مطبعة الترقى عام ١٣٤٩هـ .

(٣) يحيى بن سعيد :

هو يحيى بن سعيد بن فروخ ، التميمى ، أبو سعيد القطان البصرى ، ثقة متقن حافظ ، إمام قدوة . قال أحمد : "مارأيت مثله" . قال الذهبي : "وكان رأساً في العلم والعمل" . روى عن هشام بن عروة ، وحמיד والأعمش . وعنه أحمد وعلى ويحيى . مات سنة ١٩٨هـ .

انظر : الجرح والتعديل ١٥٠/٩-١٥١ ، الكاشف ٢٥٦/٣ ، تقريب التهذيب ٣٤٨/٢

(٤) صحيح مسلم ، المقدمة ١٧/١ ، ونحوه في : الجرح والتعديل ٢٣/٢-٢٤ ، المجروحين ٢٠/١ ، شرف أصحاب الحديث للخطيب ص ١٢٤ .

ولذلك فهم رحمه الله الدرس واستوعبه فما كان يأخذ حديثاً إلا من يد نظيفة . قال أبو بكر بن خلاد^(١) : قلت ليحيى بن سعيد القطان : "أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله تعالى؟ قال : لأن يكون هؤلاء خصمائي أحب إلى من أن يكون خصمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "لم حدثت عنى حديثاً ترى أنه كذب؟" ^(٢) . وقد بينوا أحوال الرواة ليصلوا إلى الحكم على الحديث وبالتالي تكون علم الجرح والتعديل الذى وضع لبناته وأرسى قواعده الصحابة والتابعون وأتباعهم^(٣) .

(ج) الرحلة فى طلبه :

كما رحل الصحابة والتابعون فى طلب الحديث رحل من بعدهم من العلماء فقطعوا البرارى والوديان وهجروا الراحة والدعة وتركوا الأهل والأوطان ، وذاقوا مرارة الأسفار ومشاقها طلباً للحديث ورغبة فيه ، لعلمهم بأهمية الرحلة وفوائدها فى نشر السنة ، ومعرفة طرق الحديث ، وجمعه وتحيصه والتثبت فيه^(٤) .

قال أبو حاتم :

"فرسان هذا العلم الذين حفظوا على المسلمين الدين ، وهدوهم إلى الصراط المستقيم ، الذين آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم فى الديار والأوطان فى طلب السنن فى الأمصار ، وجمعها بالوجل والأسفار والدوران

(١) أبو بكر بن خلاد :

هو محمد بن خلاد بن كثير الباهلى ، أبو بكر البصرى ، ثقة . روى عن معتمر وطبقته . وعنه مسلم وأبو داود وغيرهما . مات سنة ٢٤٠ هـ على الصحيح .

انظر : الجرح والتعديل ٢/٢٤٦ ، الكاشف ٣/٤٠ ، تقريب التهذيب ٢/١٥٩ .

(٢) الكفاية ص ٩٠ ، ونحوه فى : الكامل فى ضعفاء الرجال ١/٩٨ ، شرح علل الترمذى ١/٤٦٦ ، تحذير الخواص ص ١٧٥ .

(٣) انظر : السنة قبل التدوين ص ٢٣٥ ، أصول الحديث ص ٤٣٢ .

(٤) انظر فوائد الرحلة فى : السنة قبل التدوين ص ١٨١ .

في جميع الأقطار ، حتى إن أحدهم ليرحل في الحديث الواحد الفراسخ البعيدة ، وفي الكلمة الواحدة الأيام الكثيرة لئلا يدخل مضل في السنن شيئاً يضل به ، وإن فعل فهم الذابون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الكذب ، والقائمون بنصرة الدين^(١).

قال ابن أبي حاتم :

سمعت أبي يقول : "أول سنة خرجت في طلب الحديث ، أقمت سبع سنين ، أحصيت مامشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ" . قلت : [القائل الذهبي] "مسافة ذلك نحو أربعة أشهر ، سير الجادة".

قال : "ثم تركت العد بعد ذلك ، وخرجت من البحرين إلى مصر ماشياً ، ثم إلى الرملة ماشياً ، ثم إلى دمشق ، ثم أنطاكية وطرسوس ثم رجعت إلى حمص ، ثم إلى الرقة ، ثم ركبت إلى العراق ، كل هذا في سفرى الأول وأنا ابن عشرين سنة"^(٢).

هذا مثال ، وغيره الكثير مما يدل على ما بذله القوم من جهد جهيد في أسفارهم ، تتبعاً للأحاديث وجمعها وحفظها وإبلاغها ، وهو أمر يدل على شدة الحرص وبالغ العناية ، قل أن يوجد له مثيل ، وندر أن يعرف له مشابه . إنه تسخير إلهي حفظ الله به دينه ، وأبقى به شرعه . وقد جعلهم سبحانه أوعية لحمل سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ووهبهم من الصفات التي مكنتهم من حفظها وصيانتها .

(د) مقاومة الوضعيين وتمييز الموضوعات :

لقد أجمع العلماء على حرمة وضع الحديث كما أجمعوا على حرمة رواية الموضوعات في جميع جوانب الدين . أحكاماً كانت أو قصصاً أو ترغيباً أو ترهيباً ، إلا ببيان حكمها^(٣).

(١) المجروحين ٢٧/١ .

(٢) الجرح والتعديل ٣٥٩/١-٣٦٠ بتصرف ، سير أعلام النبلاء ٢٥٥/١٣-٢٥٦ .

(٣) انظر : أصول الحديث ص ٤٢٨ .

وطاردوا الكذابين والوضاعين وأبانوا عوارهم ، وكشفوا عيوبهم وأقضوا مضاجعهم ، وسلكوا معهم مسالك شتى ، ووقفوا منهم مواقف عدة كان لها الفضل في تحجيم الوضع ومنع انتشاره، من ذلك :

تحذير الناس منهم ببيان حالهم والقدح فيهم .
 قال المكي بن إبراهيم^(١) : "كان شعبة يجيء إلى عمران بن حدير^(٢) فيقول : "قم بنا حتى نغتاب في الله تبارك وتعالى"^(٣) .
 وقال حماد بن زيد : "جاءني أبان بن أبي عياش^(٤) ، فقال : أحب

(١) المكي بن إبراهيم :

هو المكي بن إبراهيم بن بشير التميمي البلخي ، أبو السكن ، ثقة ثبت . روى عن يزيد بن أبي عبيد وجعفر بن محمد ، وعنه البخاري ومعمار بن محمد . مات سنة ٢١٥ هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٤٤١/٨ ، الكاشف ١٧٣/٣ ، تقريب التهذيب ٢٧٣/٢ .
 عمران بن حدير :

هو عمران بن الحدير ، أبو عبيدة السدوسي ، البصري . ثقة . روى عن أبي مجلز وأبي قلابة ، وعنه شعبة ووكيع . مات سنة ١٤٩ هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٢٩٦-٢٩٧/٦ ، الكاشف ٣٤٨/٢ ، تقريب التهذيب ٨٢/٢ .

(٣) المجروحين ١٩/١ .

(٤) أبان بن أبي عياش :

هو أبان بن أبي عياش ، البصري ، أبو إسماعيل العبدى . واسم أبيه فيروز . متروك . روى عن أنس وأبي العالية . وعنه فضيل ، ويزيد بن هارون ، وسعيد ابن عامر . مات في حدود ١٤٠ هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٢٩٥-٢٩٦/٢ ، الكاشف ٧٥/١ ، تقريب التهذيب ٣١/١ .

أن تكلم شعبة أن يكف عني ، قال : فكلمته فكف عنه أياماً ، فأتاني في بعض الليالي فقال : إنك سألتني أن أكف عن أبان ، وأنه لا يحل الكف عنه فإنه يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم" (١).

وكانوا يفعلون ذلك حسبة وتديناً لله سبحانه وصيانة للحديث .
قال أبو حاتم :

"والكاذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل الحرام ويحرم الحلال ويتبوأ مقعده من النار . وكيف لا يجوز القدح فيمن تبوأ مقعده من النار" (٢).

وقال مسلم :

"إنما ألزموا أنفسهم الكشف عن معاييب رواة الحديث ، وناقلي الأخبار ، وأفتوا بذلك حين سئلوا ، لما فيه من عظيم الخطر ، إذ الأخبار في أمر الدين إنما تأتي بتحليل ، أو تحريم أو أمر أو نهى أو ترغيب أو ترهيب . فإذا كان الراوى لها ليس بمعدن للصدق والأمانة ، ثم أقدم على الرواية عنه من قد عرفه ولم يبين مافيه لغيره ممن جهل معرفته كان آثماً بفعله ذلك غاشاً لعوام المسلمين ، إذ لا يؤمن على بعض من سمع تلك الأخبار أن يستعملها ، أو يستعمل بعضها ، ولعلها أو أكثرها أكاذيب ، لأصل لها ، مع أن الأخبار الصحاح من رواية الثقات وأهل القناعة أكثر من أن يضطر إلى نقل من ليس بثقة ولا مقنع" (٣).

ومن ذلك أيضاً تذكيرهم بالله ووعظهم ، وتعنيفهم ، وترك السلام عليهم ، والتشهير بهم ، وكتابة المحاضر والاشهاد عليها ، وتمزيق الكتب في وجوههم ، والاستعداد (٤) عليهم ووصفهم بالألقاب التي تبين أمرهم ،

(١) المجروحين ٢٠/١ ، وانظر : الجرح والتعديل ٢١/٢ .

(٢) المجروحين ١٩/١ .

(٣) صحيح مسلم ، المقدمة ٢٨/١ .

ومقنع : أى مرضى . انظر : القاموس المحيط ص ٩٧٧ .

(٤) الاستعداد : هو الاستعانة والاستنصار . انظر : القاموس المحيط ص ١٦٨٨-١٦٨٩ .

وهجرهم ، وعدم الصلاة عليهم إذا ماتوا، وشهود جنازتهم (١).

قال الشافعي رحمه الله :

"لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، كان يجيء إلى الرجل فيقول :
لا تحدث وإلا استعديت عليك السلطان" (٢).

وحدث حماد المالكي (٣) - وكان كاذباً - حديثاً فجاءه عمرو
الأنطاقي (٤)، وقال له : "والله لا تفارقني حتى استعدي عليك ، فأقر أنه لم
يسمعه من الحسن ، وحلف لا يحدث به ، فكتبت عليه كتاباً وأشهدت عليه
شهوداً" (٥).

قال حمزة الزيات (٦):

-
- (١) انظر : الوضع في الحديث ٣٧٢/٢ - ٣٧٣ .
(٢) الجامع لأخلاق الراوى ٢٣١/٢ .
(٣) حماد المالكي :
هو حماد بن مالك . ويقال حماد المالكي ، شيخ روى عن الحسن رموه بالكذب .
ميزان الاعتدال ٦٠٢/١ .
(٤) عمرو الأنطاقي : لم أقف على ترجمته .
(٥) المحدث الفاصل ص ٣١٧ ، الجامع لأخلاق الراوى ٢٣٠/٢ ، تحذير الخواص
ص ١٨٧ .
(٦) حمزة الزيات :
هو حمزة بن حبيب الزيات القاريء ، أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم ،
صدوق زاهد ، ربما وهم . روى عن الأعمش ومنصور والحكم بن عتيبة . وعنه
وكيع وأبو نعيم . مات سنة ١٥٦هـ أو ١٥٨هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٢٠٩/٣ - ٢١٠ ، تاريخ الثقات ص ١٣٣ ، تقريب التهذيب
١٩٩/١ .

"سمع مرة الهمداني^(١) من الحارث^(٢) شيئاً ، فقال له : اقعد بالباب ، قال : فدخل مرة وأخذ سيفه ، قال : وأحس الحارث بالشر فذهب^(٣). وهذه قطرة من فيض من جهاد العلماء للكذابين ومقاومتهم حتى انقمع الكثير منهم وسلم الناس من شرهم وضررهم .

كما أنهم ميزوا الأحاديث الصحيحة من الموضوعية ونقوها ، حتى إنه لا يوجد حديث إلا وبين العلماء درجته وأجلوا أمره^(٤).

قيل لابن المبارك : هذه الأحاديث الموضوعية؟

فقال : "تعيش لها الجهابذة لئلا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"^(٥)(٦)

وصنفوا في ذلك الكتب في أسماء الوضاعين ، والموضوعات حتى أصبح ذلك غير خاف على أحد من علماء الحديث وجهابذته ، بل أصبحت السنة كلها بفضل هذه التآليف من كتب الصحاح والجوامع^(٧) ،

(١) مرة الهمداني :

هو مرة بن شراحيل الهمداني ، أبو إسماعيل الكوفي وهو الذي يقال له مرة الطيب ، ثقة عابد . روى عن أبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود . وعنه الشعبي ، وأبو إسحاق الهمداني . مات سنة ٧٦ هـ وقيل بعد ذلك .

انظر : الجرح والتعديل ٣٦٦/٨ ، تقريب التهذيب ٢٣٨/٢ .

(٢) الحارث :

هو الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني ، الحوتى ، الكوفى ، أبو زهير ، صاحب على ، كذبه الشعبي فى رأيه ، ورمى بالرفض ، وفى حديثه ضعف . روى عن على وابن مسعود ، وعنه عمرو بن مرة والشعبى . مات فى خلافة ابن الزبير سنة ٦٥ هـ

انظر : الجرح والتعديل ٧٨/٣-٧٩ ، الكاشف ١/١٩٥ ، تقريب التهذيب ١/١٤١ .

(٣) صحيح مسلم ، المقدمة ١/١٩ .

(٤) انظر : السنة حجتها ومكانتها فى الإسلام ص ٢٣٣ .

(٥) سورة الحجر : آية ٩

(٦) السنة قبل التدوين ص ٢٢٠ ، وانظر : الجرح والتعديل ١٨/٢ .

(٧) الجوامع : جمع "جامع" والجامع فى اصطلاح المحدثين : كل كتاب حديثى يوجد فيه من الحديث جميع الأنواع المحتاج إليها من العقائد والأحكام والرقاق وآداب الأكل والشرب والسفر والمقام ، وما يتعلق بالتفسير والتاريخ ، والسير والفتن والمناقب والمثالب وغير ذلك . أصول التخرىج ودراسة الأسانيد ص ٩٧ .

والمسانيد (١)، والسنن (٢) وغيرها واضحة جلية لاليس فيها ولاغموض (٣).
كما وضعوا القواعد التي تميز الصحيح من غيره ، ووضعوا أخرى
تدل على وضع الحديث وعدم صحته ، وسوف نورد ذلك بشيء من التفصيل
خلال الرد على شبه المستشرقين .

والنتيجة التي نخلص بها من كل ذلك : أن الحديث النبوى حفظ كما
حفظ القرآن ، وظل طيلة القرون الماضية سليماً معافى بسبب الجهود التي
بذلت في المحافظة عليه وتنقيته مما علق به من شوائب ، ودون في الكتب ،
وبين الصحيح من غيره ، وأقوى شاهد على ذلك هذه الكتب التي زخرت بها
رفوف المكتبات العامة والخاصة في جميع علوم الحديث وأنواعه وفنونه
ورواته ، بحيث لا يعجز طالب علم أن يقف على درجة حديث ومدى صحته .

(١) المسانيد :

هى الكتب التي جمعت فيها أحاديث كل صحابى على حدة ، ورتبت فيها أسماء
الصحابة على حروف الهجاء ، أو على القبائل ، أو السابقة في الإسلام أو غير
ذلك .

انظر : الرسالة المستطرفة ص ٤٦ ، أصول الحديث ص ٤٠ .

(٢) السنن :

هى الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية ، وتشتمل على الأحاديث المرفوعة فقط .

انظر : الرسالة المستطرفة ص ٢٥ ، أصول التخرىج ص ١١٥ .

(٣) انظر : الحديث والمحدثون ص ٤٨٢ .

(٤) عرض شبه المستشرقين حول صحة الحديث والجواب عنها :

(١) السنة هي جماع العادات والتقاليد الوراثية في المجتمع العربى الجاهلى فنقلت إلى الإسلام ، فأصابها تعديل جوهرى عند انتقالها ، ثم أنشأ المسلمون من المأثور من المذاهب والأقوال والأفعال والعادات لأقدم جيل من أجيال المسلمين سنة جديدة (١).

ويرى كولسون (٢) أن السنة فى القرن الهجرى تعنى مجموع الآراء الفقهية المتفق عليها بين علماء مدرسة فقهية معينة ، ثم نسبت بعد قليل إلى أسماء معدودة من الشخصيات المشهود لها بالفضل والتقوى ، فعمر يذكر باعتباره مؤسس سنة المدينة ، وعبد الله بن مسعود فى الكوفة ، ثم وصل الأمر فى النهاية إلى نسبة تلك الآراء إلى النبى صلى الله عليه وسلم نفسه (٣).

-
- (١) انظر : العقيدة والشرعة ص ٢٥١، ٤٢ ، دائرة المعارف الإسلامية ٣٣٠/٧ .
(٢) كولسون : لم أقف له على ترجمة .
(٣) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ص ٢٦٩-٢٧٠ بتصرف .

على ضوء ماسبق يمكن أن نجيب على هذه الشبهة ، وهى فى الحقيقة شبهة متهاففة أنتجتها عقلية غربية غريبة عن الإسلام وليس ذلك فحسب بل تحمل من الحقد والعداء إلى الإسلام وأهله الشئ الكثير ، ولذلك لا يستغرب منهم هذا الأمر وغيره .

وهى دعوى بنيت على جرف هار لا تمت إلى الحقيقة بصلة ، وسبق أن بينا أن السنة لها إطلاقات فى الشرع^(١)، ولكن ليس من بينها هذا الذى يزعمه المستشرقون ، مع العلم بأن السنة إذاً أطلقت من غير تقييد فهى لاتعنى إلا سنة النبى صلى الله عليه وسلم وهى ترادف الحديث عند المحدثين^(٢). وهذه الشبهة إنما نجمت فى أذهان المستشرقين من زعمهم أن الحديث النبوى جاء نتيجة للوضع ولم يرد من قبل النبى صلى الله عليه وسلم الذى يطعنون فى نبوته .

وما ذكرناه سلفاً من أدلة تبين حفظ السنة وتقاءها يبين بطلان هذا الزعم ويقتلعه من جذوره^(٣).

(١) انظر ص : ٣ فما بعدها .

(٢) انظر ص : ٤

(٣) انظر ص : ٨ فما بعدها .

(٢) الحديث النبوى وأثر الوضع فيه :

ويتمثل ذلك فى الأمور التالية :

(أ) الحديث نتيجة للتطور الدينى خلال القرون الأولى :

قال جولد زيهر :

"إن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الدينى والسياسى والاجتماعى للإسلام فى القرنين الأول ، والثانى ، وأنه ليس صحيحاً ما يقال من أنه وثيقة للإسلام فى عهده الأول عهد الطفولة ولكنه أثر من آثار جهود الإسلام فى عصر النضوج" (١).

ومثال لحديث جاء نتيجة للتطور ، حديث "إنما الأعمال بالنيات" (٢).

قال زيهر : "وقد ارتفع شأن هذا الحديث إلى أن صار فكرة تسيطر على كل الأعمال الدينية ، يقول الله : "لاقونى بنياتكم ولا تلاقونى بأعمالكم" وهو حديث متأخر ظهر كصدى لاقتناع المؤمنين بذلك وعلامة على قيمة أعمالهم الدينية" (٣).

(ب) الحديث نتيجة للجدل الدينى فى القرون الأولى :

قال ماكدونالد (٤):

(١) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى ص ١٢٧ ، السنة قبل التدوين ص ٢٤٩ .

(٢) الحديث يأتى تخريجه والكلام عنه .

(٣) العقيدة والشرعة ص ٥٣ .

(٤) ماكدونالد :

هو دنكان بلاك ماكدونالد ، مستشرق أمريكى من أعضاء المجمع العلمى العربى . كان من أوسع المستشرقين اطلاعاً على الدين الإسلامى ، تعلم العربية والعبرية والسريانية . مات سنة ١٩٤٣م .
من آثاره : "دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٢" ، "عقيدة الوحى فى الإسلام" وغير ذلك الكثير .

انظر : المستشرقون ١٠٠١/٣-١٠٠٢ ، الأعلام ٣٣٠/٢ .

قال مصطفى السباعى : "من أشد المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين ، يصدر فى كتاباته عن روح تبشيريئى متأصلة . من كبار محررى دائرة المعارف الإسلامية" .
الاستشراق ص ٣٦ .

"فمن الواضح أن هنالك أحاديث كثيرة لا يمكن أن تكون قد صدرت عنه - محمد - كما إننا لن نستطيع أن نعرف أبداً الأحاديث التي صدرت عنه حقاً . وقد بين لنا جولد زيهر أن الأحاديث ليست في الواقع إلا سجلاً للجدل الديني في القرون الأولى ، ومن ثم كانت قيمتها التاريخية . لكن هذا السجل مضطرب ، كثير الأغلاط التاريخية ، وفيه معلومات مضللة لم تؤخذ من مصادرها الأولى ، حتى أنه أصبح لا يصلح إلا لتكملة المصادر الأولى الأخرى وتوضيحها . ولهذا ينبغي أن نوجز الكلام في الأحاديث باعتبار أنها تعبر عن آراء محمد أو آراء المسلمين في صدر الإسلام ، ولا يقتصر الأمر على هذا ، فإن الأحاديث التي نجد فيها مشابهة لما ورد في القرآن مشكوك فيها كذلك" (١).

(ج) القسم الأعظم من الحديث أنشئ بعد قرنين من الزمان :

قال كارل بروكلمان :

"القسم الأعظم من الحديث المتصل بسنة الرسول لم ينشأ إلا بعد قرنين من ظهور الإسلام . ومن هنا تعين اصطناعه كمصدر لعقيدة النبي نفسه في كثير من الاحتياط والحذر" (٢).

وقال كولسون :

"القدر الأعظم من المادة التشريعية المنسوبة إلى النبي منحولة وناجئة عن نسبة الآراء الفقهية إلى فترة سابقة على ظهورها" (٣).

(د) لم تصح نسبة حديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم :

قال شاخ (٤):

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٥٧٠/٢ .

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٧١ .

(٣) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ٢٧٣/١ .

(٤) شاخ : هو جوزيف شاخ . مستشرق ألماني . ولد عام ١٩٠٢م . عمل محاضراً للدراسات الإسلامية في عدد من الجامعات . كان من أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق . وقد اشتهر بدراسة التشريع الإسلامي . =

"الاصحة لأى حديث منسوب للنبي - صلى الله عليه وسلم - وإن أقدم ما بين أيدينا من أحاديث الأحكام لا يرجع إلا إلى سنة (١٠٠) هجرية ليس إلا" (١).

(هـ) أن الحديث تكون من لم من العقائد والأديان والعادات والأفكار السابقة :-

قال جولد زيهر :

"لم تندمج في الحديث أمور القانون والعادات والعقائد والأفكار السياسية ، بل قد لف فيه كل ما يملكه الإسلام من محضوله الشخصى . وكذلك الأمور الغريبة عنه ، وقد غير هذا الغريب المستعار تغييراً أبعد عنه أصله المأخوذ منه ، وضم ذلك كله إلى الإسلام .

فهناك جمل أخذت من العهد القديم والعهد الجديد ، وأقوال الربانيين أو مأخوذة من الأناجيل الموضوعة ، وتعاليم الفلسفة اليونانية ، وأقوال من حكم الفرس والهنود ، كل ذلك أخذ مكانه في الإسلام عن طريق "الحديث" حتى لفظ "أبونا" لم يعدم مكانه في الحديث المعترف به ، وبهذا أصبحت ملكاً خالصاً للإسلام بطريق مباشر أو غير مباشر تلك الأشياء البعيدة عنه .

والمثل الحسن لذلك هو هذا المثل المعروف في الأدب العالمى للأعمى الذى كان يحمل كسيحاً يسرق فاكهة الأشجار ، وهو مثال للمسئولية المشتركة بين الجسم والروح .

= من آثاره : صنف كتاباً في نشأة الفقه الإسلامى ، وشارك في إعداد المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ، وله مقالات ودراسات مختلفة .
انظر : المستشرقون ٢/٨٠٣-٨٠٥ .
قال السباعى : "ألماني متعصب ضد الإسلام والمسلمين" . الاستشراق ص ٣٨ .
(١) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ١/٢٧٣ .

وهذا ما يظهر في الإسلام متمثلاً في الحديث وسنده المتصل ... وعن هذا الطريق دخل الإسلام ، وتسرب إليه كثر كبير من القصص الدينية ، حتى إذا مانظرنا إلى المواد المكدودة في الحديث ، ونظرنا إلى الأدب الديني اليهودي ، فإننا نستطيع أن نعثر على قسم كبير دخل الأدب الديني الإسلامي من هذه المصادر اليهودية" (١).

(١) العقيدة والشرعية ص٥١-٥٢ ، وانظر : دراسات في حضارة الإسلام ص٢٨٥-٢٨٩

الجواب على ذلك :

(أ) زعمهم أن الحديث نتيجة للتطور الدينى خلال القرون الأولى :

لقد انتقل النبى صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى بعد أن اكتمل على يديه بنیان الإسلام وتم أمره ، ومن أقوى الأدلة على ذلك قوله تعالى فى آخر ما أنزل : {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً} (١).

وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه حاثاً لهم على التمسك بسنته والحفاظ عليها : "إني تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتى" (٢)، وقال صلى الله عليه وسلم : "نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها" (٣).

فشرع الله اكتمل والرسول صلى الله عليه وسلم على قيد الحياة ، ودين الله تم ونبى الإسلام بين ظهرانى أصحابه .

وقد تفرق الصحابة فى البلدان والأمصار التى فتحها المسلمون حاملين معهم شعائر الإسلام من فرائض وسنن وأخلاق وآداب فبثوها فى تلك البقاع التى وطئتها أقدامهم ومع ذلك لا تجد فرقاً بين عبادة المسلم فى شمال افريقيا وجنوب الصين ، فلو كان الإسلام نتيجة للتطور ما وجدت هذه الموافقة فى العبادات مع ما بينها من المسافات الشاسعة (٤).

ومن أوضح ما يدل على نضوج الإسلام فى عصره الأول إن عمر رضى الله عنه ساس مملكتى الفرس والروم بأحسن مما كان يسوسهما ملكاهما وهما هما فى الرقى والحضارة ، فلو كان الإسلام قاصراً فى ذاك الوقت لم يكتمل نضجه كيف استطاع الفاروق إذن أن يقيم الأمن والعدل

(١) سورة المائدة : آية ٣

(٢) سبق تخريجه . انظر ص ٤٧٤

(٣) سبق تخريجه . انظر ص ١٢

(٤) انظر : السنة ومكائنها فى التشريع ص ١٩٥، ١٩٦ ، السنة حجيتها ومكائنها فى الإسلام

والسعادة في ربوع تلك البلاد الواسعة ، أمناً لم تذقه شعوبها من قبل ، وعدلاً لم تنعم به إلا في ظل الإسلام^(١).

وهناك أمر لابد من بيانه وهو : أن القرآن الكريم والسنة النبوية جاءا بقواعد كلية وأصول عامة تناسب كل زمان ومكان ، استفاد منها علماء الإسلام على مر العصور في استنباط الأحكام للأمور المستجدة في كل عصر ومصر دون تأثير على القواعد الكبرى والأهداف العليا . وهذه الاستنباطات ليست أحاديث ، ولم يزعم أحد من المسلمين أنها كذلك . والإسلام بقواعده وأصوله صالح لكل زمان ومكان فلا حاجة تستدعي من المسلمين أن يحتلقوا من الأحاديث ما يكون حلاً لمشاكل حياتهم الجديدة^(٢). وأما حديث "إنما الأعمال بالنيات"^(٣)، وادعاء زيهر بأنه ظهر أخيراً كصدى لاقتناع المؤمنين بذلك ، أى أنه نتيجة لتطور الإسلام . يجب على ذلك :

-
- (١) انظر : السنة ومكانتها في التشريع ص ١٩٦ .
- (٢) انظر : السنة قبل التدوين ص ٢٥١-٢٥٢ ، السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام ص ٢٣٢-٢٣٣ .
- (٣) أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب بدء الوحي (١) ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ، ٢/١ ، كتاب الإيمان (٢) ، باب ما جاء إن الأعمال بالنية (٤١) ، إلا أنه قال : "بالنية" ٢٠/١ ، كتاب العتق (٤٩) ، باب الخطأ والنسيان (٦) ، إلا أنه قال : "بالنية" ١١٩/٣ .
- كتاب مناقب الأنصار (٦٣) ، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة (٤٥) ، إلا أنه قال "بالنية" ٢٥٢/٤ .
- كتاب النكاح (٦٧) ، باب من هاجر أو عمل خير (٥) ، إلا أنه قال : "العمل بالنية" ١١٨/٦ ، كتاب الطلاق (٦٨) ، باب الطلاق في الاغلال والمكره (١١) . معلقاً . وقال : "بالنية" ١٦٨/٦ ، كتاب الأيمان والنذور (٨٣) ، باب النية في الأيمان (٢٣) ، وقال : "بالنية" ٢٣١/٧ .
- كتاب الحيل (٩٠) ، باب في ترك الحيل (١) ، وقال : "بالنية" ٥٩/٨ .
- وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة (٣٣) ، باب قوله صلى الله عليه وسلم "إنما الأعمال بالنية" (٤٥) برقم ١٩٠٧ ، إلا أنه قال : "بالنية" ١٥١٥/٣-١٥١٦ . =

أولاً: هذا حديث صحيح أخرجه أصحاب الكتب الستة وكرره البخارى فى مواضع من صحيحه ، وذكر الحافظ ابن حجر على أنه أخرجه الأئمة المشهورون إلا الموطأ^(١).

ثانياً: قال الحافظ ابن حجر :

"وقد تواتر النقل عن الأئمة فى تعظيم قدر هذا الحديث . قال أبو عبد الله: ليس فى أخبار النبى صلى الله عليه وسلم شىء أجمع وأغنى وأكثر فائدة من هذا الحديث". واتفق عبد الرحمن بن مهدي ، والشافعى ... وأحمد بن حنبل وعلى بن المدينى وأبو داود والترمذى والدارقطنى وحمزة

= وأخرجه أبو داود فى سننه ، كتاب الطلاق ، باب فيما عنى به الطلاق والنيات برقم ٢٢٠١ ، ٢٦٢/٢ .

وأخرجه الترمذى فى سننه ، كتاب فضائل الجهاد (٢٣) ، باب ماجاء فيما يقاتل رياء وللدنيا (١٦) ، برقم ١٦٤٧ . ولفظه : "إنما الأعمال بالنية" ١٥٤/٤ .

وأخرجه النسائى فى سننه ، كتاب الطهارة ، باب النية فى الوضوء ، إلا أنه قال : "بالنية" ٥١/١ ، وفى كتاب الطلاق ، باب الكلام إذا قصد به فيما يحتمل معناه . وقال : "بالنية" ١٢٩/٦ . وفى كتاب الأيمان والنذور ، باب النية فى اليمين . وقال "بالنية" ١٢/٧ - ١٣ .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه ، كتاب الزهد (٣٧) ، باب النية (٢٦) برقم ٤٢٢٧ ، ١٤١٣/٢ .

وأخرجه أحمد فى مسنده ، وقال : "بالنية" ٤٣،٢٥/١ .

(١) انظر : فتح البارى ١١/١ .

الكناني (١) على أنه ثلث الإسلام . ومنهم من قال ربه، واختلفوا في تعيين الباقي . وقال ابن مهدي أيضاً : "يدخل في ثلاثين باباً من العلم". وقال الشافعي : "يدخل في سبعين باباً" . ويحتمل أن يريد بهذا العدد المبالغة .

وقال عبد الرحمن بن مهدي أيضاً : "ينبغي أن يجعل هذا الحديث رأس كل باب" (٢).

ثالثاً : هنالك كثير من نصوص القرآن والسنة التي جاءت في معنى هذا الحديث ، من ذلك :

قوله تعالى : {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء} (٣)، والآية تخاطب أهل الكتابين ، وفي ذلك اشتراط النية في صحة الأعمال للأمم السابقة (٤).

وقوله تعالى : {لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم} (٥). وقوله تعالى : {من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون} (٦).

(١) حمزة الكناني :

هو حمزة بن محمد بن علي بن العباس ، الإمام الحافظ القدوة ، أبو القاسم الكناني المصري . من حفاظ الحديث . وكان ورعاً كثير العبادة ، جمع الحديث وصنف فيه ، وكان متقناً . سمع النسائي وأبا يعلى الموصلي . وحدث عنه الدارقطني وابن مندة . مات سنة ٣٥٧ هـ .

انظر : تذكرة الحفاظ ٩٣٢/٣-٩٣٤ ، سير أعلام النبلاء ١٧٩/١٦-١٨١ ، شذرات الذهب ٢٣/٣-٢٤ ، الأعلام ٢٨٠/٢ .

(٢) فتح الباري ١١/١ .

(٣) سورة البينة : آية ٥

(٤) انظر : فتح الباري ١٠/١ .

(٥) سورة الحج : آية ٣٧

(٦) سورة هود : آية ١٥، ١٦



لـ
٥١١
٥١١

ومن الأحاديث : حديث عائشة رضى الله عنها : وفيه "ثم يبعثون على نياتهم" (١)، وفي حديث معن بن يزيد : "لك مانويت يا يزيد ولك مأخذت يامعن" (٢)، وحديث أبي موسى الأشعري رضى الله عنه : "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" (٣). والأدلة من القرآن والسنة كثيرة جداً في تأييد معنى هذا الحديث . ولكن زيهر لم يطعن في هذا الحديث من فراغ ، فقد كان يعلم قدره وعظمته ومكانته في الإسلام فإذا سهل له أن يقدح فيه فغيره أولى بالقدح . ولكن الأمر على خلاف ما يظن ويأمل . وقوله : "لاقوني بنياتكم ولا تلاقوني بأعمالكم" . خلاف ما دل عليه الحديث ، فإن الحديث لم ينف الأعمال ، بل شرط لصحتها النية ، إذ العمل مطلوب شرعاً كما قال سبحانه : {وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون} (٤)، وقرنه بالإيمان في أكثر من آية ، وقال صلى الله عليه وسلم : "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم"

-
- (١) أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب البيوع (٣٤) ، باب ما ذكر في الأسواق (٤٩) ، ٢٠/٣-١٩ ، وأخرجه تعليقاً عنها رضى الله عنها ، كتاب الصوم (٣٠) ، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً (٦) ، ٢٢٧/٢ .
- وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن وأشراط الساعة (٥٢) ، باب الخسف بالجيش الذى يؤم البيت (٢) ، برقم ٢٨٨٤ ، ولفظ آخره : "يبعثهم الله على نياتهم" ٢٢١٠/٤٠-٢٢١١ .
- (٢) أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب الزكاة (٢٤) ، باب إذا تصدق على ابنه وهو لا يشعر (١٥) ، ١١٦/٢ .
- (٣) أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب العلم (٣) ، باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً (٤٥) ، ٤٠/١ ، كتاب الجهاد والسير (٥٦) ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (١٥) ، ٢٠٦/٣ ، كتاب فرض الخمس (٥٧) ، باب من قاتل للمغنم (١٠) ، ٥١/٤ ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين} (٢٨) ، ١٨٩/٨ .
- وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة (٣٣) ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٤٢) برقم ١٩٠٤ ، ١٥١٢/٣-١٥١٣ .
- (٤) سورة الزخرف : آية ٧٢

وأعمالكم" (١). ولقد أتى زيهر من العجمة في قوله هذا إن أعرضنا صفحاً عن سوء القصد ، وإضافته هذا القول إلى الله تعالى ضلال بعيد .
 (ب)، (ج)، (د) زعمهم أنه نتيجة للجدل الديني ، وأن القسم الأعظم منه نشأ بعد قرنين من الزمان ، وأنه لم تصح نسبة حديث للنبي صلى الله عليه وسلم ، هذه المزاعم بما فيها من تباين تصب كلها في مصب واحد ، وهو أن ما بين أيدي المسلمين الآن من ثروة حديثية تنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم هي في الحقيقة منحولة عنه ، موضوعة، إما كلها أو القدر الأعظم منها. هكذا يزعمون .

وفي الحقيقة لا يستطيع أحد أن ينكر وقوع الوضع في الحديث ، لأن إنكاره إنكار أمر محسوس ثابت بالأدلة ، فهناك من الأحاديث ما لا يمكن أن تنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، بل وجوده كان أول دافع جعل أئمة الحديث يبذلون الجهد في تنقية الحديث الصحيح وذب الكذب والموضوع عنه بشتى السبل ومختلف الطرق (٢).

والحديث ليس نتيجة للوضع ، وإنما الوضع أمر طارئ على الحديث ، ولذا تحدث العلماء عن نشأته ومبدئه ، ونصوا على ذلك . ومع تباين أقوالهم في تحديد الفترة الزمنية لنشأته . إذ أن بعضهم حدده بمبدأ فتنة عثمان رضي الله عنه ، وآخرون بمقتله والاختلاف بين على ومعاوية رضي الله عنهما (٣).

اعتماداً على قول ابن سيرين : "لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم" (٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، من حديث أبي هريرة . كتاب البر والصلة (٤٥) ، باب تحريم ظلم المسلم (١٠) برقم ٢٥٦٤ ، ١٩٨٧/٤ .
 (٢) انظر : الباعث الحثيث ص ٧٦ ، الوضع في الحديث ١٧٥/١ - ١٧٦ .
 (٣) انظر : الوضع في الحديث ١٨١/١ .
 (٤) صحيح مسلم ، المقدمة ١٥/١ .

وذكر بعضهم لذلك تاريخاً وهو العام الحادى والأربعون من الهجرة (١).

ورجح عمر حسن فلاتة أنه فى الثلث الأخير من القرن الأول (٢). فمع هذا التباين إلا أن الوضع أمر حادث طارئ لم يكن ثم كان . وهناك أسباب ودوافع أدت إلى ظهور الوضع فى الحديث . فبعد أن كانت الأمة الإسلامية معافاة سليمة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وعهد الشيخين وطرف من عهد عثمان رضى الله عنه ، بدأت الفتنة تبرز إلى السطح فقتل عثمان رضى الله عنه ، وتقاتل على رضى الله عنه مع أصحاب الجمل (٣)، ثم مع معاوية فى صفين (٤)، واندس بين الصفوف من يكيد للإسلام ويحقد عليه ، فأذكى هؤلاء نار الفتنة وزادوا أوارها ، وانقسمت هنالك الأمة إلى شيع وأحزاب ، يطعن بعضهم بعضاً ، ويسىء بعضهم إلى بعض ، ولجأوا إلى القرآن والسنة ليجد كل فريق فيهما ما يؤيد دعواه ويدعم قوله ، ومن المحال أن يجد كل حزب ما يصبوا إليه ، فتؤول هنالك القرآن وحملت نصوص السنة مالا تحتمل ، وبقيت مع ذلك ثغرات

(١) انظر : الحديث والمحدثون ص ٤٨٠ .

(٢) انظر : الوضع فى الحديث ٢٠٢/١ .

(٣) أصحاب الجمل :

هم طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم ومن تبعهم من المطالبين بدم عثمان رضى الله عنه ، والتقوا مع أمير المؤمنين على رضى الله عنه ومن معه بالقرب من البصرة . فكان بينهم موقعة الجمل التى أثارها سفهاء الفريقين وقتل فيها خلق كثير . وكان ذلك فى سنة ٣٦هـ ، وسميت المعركة بواقعة الجمل لأن أم المؤمنين عائشة كانت تحمل فى هودج على جمل أثناء القتال .

انظر : العبر ٢٧/١ ، البداية والنهاية ٢٣٠/٧ - ٢٤٧ .

(٤) صفين :

موضع معروف بالقرب من الفرات شرقى بلاد الشام وقعت فيه الحرب بين على ومعاوية رضى الله عنهما ، وسميت الواقعة باسم المكان ، وكانت فى صفر سنة ٣٧هـ ، وقتل فيها خلق كثير من الفريقين وانتهت بالاتفاق على تحكيم عمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى .

انظر : العبر ٢٧/١ - ٣١ ، البداية والنهاية ٢٥٣/٧ - ٢٧٨ .

فهرعوا إلى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوضع عليه لملء تلك الشغرات ، فظهرت أحاديث في فضائل الخلفاء الراشدين وأخرى في رؤساء الفرق ودعم المذاهب^(١)، وتكاثر الوضاعون وتعددت أهدافهم ، منهم الزنادقة ، والقصاصون ، وأهل الأهواء ، وأصحاب الأغراض الدنيوية وآخرون يضعون الحديث حسبة ، وغيرهم الكثير^(٢).

ولكن الله عز وجل سخر لذلك رجالاً أخلصوا لله ونصبوا أنفسهم حمة لحديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فبدلوا غاية الجهد ، وغاية الوسع وأفنوا أعمارهم في نقد الأحاديث وتمييز الصحيح من السقيم ، ووضعوا القواعد في ذلك ، ونخلوا الأحاديث نخلًا ، وسلكوا لذلك أدق الطرق ، وأقوم السبل ، وبرزت إلى الوجود علوم شتى تحيط بالحديث من كل جوانبه علوم في روايته وأخرى في إسناده ومتمنه ، وغيرها في روايته ودرايته ، وجمعوا الصحيح وأفردوه ، والموضوع وبينوه ، وعددوا الوضاعين وموضوعاتهم ، وأودعوا كل ذلك كتبًا ، ظلت وسام فخر واعتزاز ، تنعكس من خلالها آثار أولئك القوم رحمهم الله . ولقد وصل إلينا بحمد الله مقدار وفير من الأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في مختلف

(١) انظر : الحديث والمحدثون ص ٤٨٠ ، أصول الحديث ص ٤١٥-٤١٦ ، الوضع في الحديث ١/١٧٩ .

(٢) انظر : النكت على ابن الصلاح ١/٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٦ ، تدريب الراوى ١/٢٨١-٢٨٦ الباعث الحثيث ص ٧٩-٨١ ، الوضع في الحديث ١/٢٢٠-٢٨٣ .

جوانب الدين • وليست الكثرة كما يزعمون نتيجة للوضع ، بل الكثرة ثابتة بطرق الإثبات الموثوقة من قبل أئمة الحديث وعلمائه (١).

كما أن الأحاديث الموضوعة بينة واضحة .

قال محمد أسد "ليوبولد فايس" :

"إن الأحاديث الموضوعة (المكذوبة) لم تخف قط على المحدثين كما يزعم بعض النقاد الأوربيين عن سذاجة ، بل إننا نرى عكس ذلك الزعم . إن علم الحديث بدأ لما مست الضرورة إلى تمييز الحديث الصحيح من الحديث الموضوع ، وإن صحيحى الإمامين البخارى ومسلم ليسا سوى نتيجة مباشرة لهذا التمييز . فوجود الأحاديث الموضوعة إذن لا يمكن أن يكون دليلاً على ضعف نظام الحديث فى مجموعه ، كما أنه لا ينتظر من قصص ألف ليلة وليلة أن تبرهن على شىء يتعلق بالإثبات أو بالطعن فى صحة الأخبار التاريخية المروية على عصر تلك القصص" (٢).

وقال : "لم يستطع ناقد ما حتى أيامنا هذه أن يبرهن بطريقة منظمة ذات قواعد على أن مجموعة الأحاديث تعتبر صحيحة ، حسب القواعد التى وضعها أئمة المحدثين هى غير صحيحة . إن رفض الأحاديث الصحيحة ، جملة واحدة أو أقساماً ، ليس حتى اليوم - كما سبق القول - إلا قضية ذوق ، قضية قصرت عن أن تجعل من نفسها بحثاً علمياً خالصاً من الأهواء" (٣).

ومن الغريب أن يزعم (ماكدونالد) أن الأحاديث المتشابهة للقرآن مشكوك فيها ، وهذا منهج معكوس دل على ضحالة علم صاحبه ، وضعف مقدرته على الاستدلال .

يقول الشيخ أحمد محمد شاكر :

(١) انظر : دفاع عن السنة ص ٧٥ ، الحديث والمحدثون ص ٣٠٣ .

(٢) الإسلام على مفترق الطرق ص ٩٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٩٦-٩٧ .

"إن المطلع على أقوال هؤلاء الناس يراهم يقبلون من الأحاديث أضعفها سنداً وأوهاها رواية ، إذا وافق رأيهم وهواهم ، وإن كان في كتاب من كتب التاريخ أو السير أو غيرها بدون إسناد ، ويحكمون بالكذب والوضع على أكثر الأحاديث الصحاح ، بما أجمع المسلمون على صحته وثبوته ، ولن تجد لهم قاعدة أو خطة يسيرون عليها في قبول الأحاديث أو رفضها ، وكما ترى كاتب هذا المقال يزعم أن الأحاديث التي تجد فيها مشابهة لما ورد في القرآن مشكوك فيها!!

وهذا أقبح ألوان الافتراء ، وأسقط أنواع الاستدلال ، فإن المعقول الواضح أن الحديث الذي يوافق معنى القرآن ، ويؤيده القرآن يكون معناه ثابتاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن لم يثبت لفظه ولم يقم إسناده ، ولكن القوم لا يرمون إلى التحقيق العلمى ، والبحث العقلى وإنما يرمون إلى التشكيك ثم إلى الشك" (١).

وزعم كولسون أن القدر الأعظم من المادة التشريعية منحولة وناجئة عن نسبة الآراء الفقهية ... الخ .

هذه أيضاً دعوى باطلة ومغلوطة ، بل الآراء الفقهية ما وجدت إلا نتيجة لفهم علماء الفقه المستمد من النصوص ، فلو لم توجد النصوص ما وجدت الآراء الفقهية ، لأنها مادتها وأصلها الذى نشأت عليه .

(هـ) دعواهم أنه تكون من لميم من العقائد والأديان والعادات والأفكار السابقة :

لقد سبق أن بينا زيف هذه الشبهة في معرض الحديث عن الوحي (٢) وفى الحقيقة أن المستشرقين يوردون الشبهة الواهية التى لاتساوى قيمة المداد الذى كتبت به ثم يعيدون ويكررون فيها ، ويلهجون بها فى كل مقام وكل موضع وينشأ عليها الصغار ويهرم عليها الكبار حتى تصبح فى نظرهم أمراً

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٥٩١/٢ الهامش .

(٢) انظر ص : ٤٢٦ فما بعدها .

مسلماً غير خاضع للنقاش والجدال ، ومثال ذلك هذه الشبهة الساقطة التي
دندن بها زيهري في أكثر من موضع في كتابه ، وقد بينا تهافتها بما لا يستدعي
الإعادة والتكرار .

(٣) الصحابة والوضع :

قال زيهري :

"ولانستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها ، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم ، وهذه إما قالها الرسول أو هي من عمل رجال الإسلام القدامى" (١).

قال : "وقد اعترف أنس بن مالك ، الذي صاحب الرسول عن قرب عشر سنوات ، عندما سئل عما يحدث عن النبي هل حدثه به فعلاً فقال : "ليس كل ما حدثنا به سمعناه عن النبي ولكننا لانكذب بعضنا" (٢).

قال : "وإن معاوية قال للمغيرة بن شعبة :

"لاتهمل في أن تسب علياً وأن تطلب الرحمة لعثمان ، وأن تسب أصحاب علي وتضطهد من أحاديثهم وعلى الضد من هذا ، أن تمدح عثمان وأهله وأن تقربهم وتسمع إليهم" (٣).

(١) العقيدة والشرعة ص ٤٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٥ .

(٣) السنة ومكانتها في التشريع ص ١٩١ .

الجواب على ذلك :

إن عدالة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمر مقطوع به ، غير قابل للجدل والنقاش ، لأن الله تعالى قد عدلهم في قرآنه وأثنى عليهم ومدحهم في أكثر من آية . كقوله سبحانه : {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم} (١) الآية ، وقوله سبحانه : {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم} (٢) ، وقوله سبحانه : {لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون . أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم} (٣) . والآيات كثيرة في ذلك .

كما عدلهم رسوله صلى الله عليه وسلم وبين منزلتهم التي لا تدانيها منزلة ، فقال صلى الله عليه وسلم : "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" (٤) .

(١) سورة الفتح : آية ٢٩

(٢) سورة التوبة : آية ١٠٠

(٣) سورة التوبة : آية ٨٨، ٨٩

(٤) أخرجه البخارى في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود ، كتاب الشهادات (٥٢) ، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (٩) ، وبلغت مقارب من حديث عمران بن حصين في الكتاب والباب السابقين ١٥١/٣ .

وبلفظ مقارب من حديث عمران أيضاً ، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٦٢) ، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (١) .

ومن حديث عبد الله بن مسعود بلفظه ، في الكتاب والباب السابقين ١٨٩/٤ . وبلغت من حديث ابن مسعود ، وبلغت مقارب من حديث عمران في كتاب الرقاق (٨١) ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها (٧) ، ١٧٣/٧ - ١٧٤ .

وبلفظ مقارب من حديث ابن مسعود ، كتاب الأيمان والنذور (٨٣) ، باب إذا قال أشهد بالله أو شهدت بالله (١٠) ، ٢٢٤/٧ ، ومن حديث عمران ، باب إاثم من لا يفي بالنذر (٢٧) ، ٢٣٣/٧ . =

وقال صلى الله عليه وسلم : "لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" (١)، وقد أجمع أهل السنة والجماعة على عدالتهم وفضلهم وشرفهم . قال ابن عبد البر رحمه الله : "قد كفيينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول" (٢).

وقال ابن الصلاح رحمه الله :

"ثم أن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ، ومن لابس الفتن منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع ، إحسانا للظن بهم ونظراً إلى ما تهد لهم من المآثر وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة" (٣).

وقد استحقوا هذا التعديل لما قاموا به من دفاع عن الحق وإعلاء للدين وبذلوا في ذلك نفوسهم وأموالهم طاعة لله واطقياداً له .
قال الخطيب رحمه الله :

"على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة ، وبذل المهج

= وأخرجه مسلم في صحيحه بلفظه وبلغ مقارب من حديث عبد الله بن مسعود برقم ٢٥٣٣ ، وبلغ مقارب من حديث أبي هريرة برقم ٢٥٣٤ ، وعمران برقم ٢٥٣٥ ، ونحوه من حديث عائشة برقم ٢٥٣٦ ، كتاب فضائل الأصحاب (٤٤) ، باب فضل الصحابة (٥٢) ، ١٩٦٢/٤ - ١٩٦٥ .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري ، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٦٢) ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً (٥) ، ١٩٥/٤ .

وأخرجه مسلم في صحيحه ، بلفظ مقارب من حديث أبي هريرة برقم ٢٥٤٠ ، وحديث أبي سعيد الخدري برقم ٢٥٤١ ، كتاب فضائل الصحابة (٤٤) ، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم (٥٤) ، ١٩٦٧/٤ - ١٩٦٨ .

(٢) الاستيعاب ١/١٩ ، ط/مطبعة نهضة مصر ، القاهرة .

(٣) مقدمة ابن الصلاح ص ١٤٧ .

والأموال ، وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم والاعتقاد لزاهتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يحيئون بعدهم أبد الآبدين . هذا مذهب كافة العلماء ، ومن يعتد بقوله من الفقهاء "(١) .

وقد كانوا رضى الله عنهم أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم اختصهم الله برفقة نبيه ، وحملهم أمانة دينه ، لصدقهم وأمانتهم وإخلاصهم وتقواهم وورعهم .

يقول ابن مسعود رضى الله عنه :

"من كان منكم مستنأ فليستن بمن قد مات ، فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، كانوا أفضل هذه الأمة أبرها قلوباً ، وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم" (٢) .

فإذا تبين ذلك فإنه لا يتصور أحد في قلبه ذرة من خير أن يقدم أحد من الصحابة رضى الله عنه على وضع حديث أو يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل هدف رخيص أو غاية حابطة وهم الذين سمعوا قوله صلى الله عليه وسلم : "إن كذباً على ليس ككذب على أحد فمن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (٣) .

(١) الكفاية ص ٩٦ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٨٣ . وانظر ، ص : ٥٠ من البحث .

(٣) حديث "من كذب على متعمداً" حديث متواتر .

ذكره السيوطى فى قطف الأزهار المتناثرة ص ٢٣ رقم ١ ، وهو فى الصحيحين فى مواضع .

انظر : صحيح البخارى ، كتاب العلم (٣) ، باب إثم من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم (٣٨) ، ٣٥/١-٣٦ ، كتاب الجنائز (٢٣) ، باب ما يكره من النياحة على الميت (٣٤) ٨١/٢ ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل (٥٠) ١٤٥/٤ ، كتاب الأدب (٧٨) ، باب من سمى بأسماء الأنبياء

ولا يعقل أبداً أن يخوض أحدهم في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيطفئ ذلك النور الذي أضاء قلبه وروحه . فإن حب الله ورسوله قد خالط قلوبهم واستقر في سويدائها فمحال ثم محال أن يقع منهم ذلك وهم الذابون للكذب عنه ، الباذلون دماءهم في سبيله (١) .

قال على رضى الله عنه : "إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه" (٢) .

بل ما كانوا يتعاملون بالكذب ولا يعرفونه بينهم .

أخرج الحاكم عن البراء قال : "ليس كلنا سمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت لنا ضيعة وأشغال ، ولكن الناس كانوا لا يكذبون فيحدث الشاهد الغائب" (٣) .

وعن قتادة (٤) "إن أنساً حدث بحديث فقال له رجل : "أسمعت هذا من

= صحيح مسلم ، المقدمة ، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ، ١٠-٩/١ ، كتاب الزهد (٥٣) ، باب الثبوت في الحديث (١٦) ، برقم ٣٠٠٤ ٢٢٩٨-٢٢٩٩/٤ .

(١) انظر : السنة ومكانتها في التشريع ص ٧٦ ، السنة قبل التدوين ص ١٩١-١٩٢ ، أصول الحديث ص ٤١٦-٤١٧ .

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب المناقب (٦١) ، باب علامات النبوة في الإسلام (٢٥) ، ١٧٩/٤ ، وفي كتاب استتابة المرتدين (٨٨) ، باب قتل الخوارج والملحد (٦) ، ٥٢-٥١/٨ .

(٣) مستدرک الحاكم ١٢٧/١ . وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبي .

وانظر : المحدث الفاضل ص ٢٣٥ ، الجامع لأخلاق الراوى ص ٢٣٥ .

(٤) قتادة :

هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسى ، أبو الخطاب البصرى ، ثقة ثبت ، يقال : ولد أكمه ، كان مفسراً ، ومن حفاظ الحديث . روى عن عبد الله بن سرجس وأنس . وعنه أيوب وشعبة وأبو عوانة . مات سنة بضع عشرة ومائة .

انظر : الجرح والتعديل ١٣٣/٧-١٣٥ ، الكاشف ٣٩٦/٢ ، تقريب التهذيب ١٢٣/٢ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال نعم ، أو حدثني من لم يكذب ، والله ما كنا نكذب ولا كنا ندرى ما الكذب" (١).

وما كانوا يسكتون عن الباطل أبداً ، وقد عرف من سيرتهم أنهم كانوا من الجرأة في الحق بمكان، وتغليبه إياه على أقرب الأقربين وأصدق الأصدقاء، ويستحيل عليهم أن يسكتوا عن كذب فيما بينهم وهم الذين لا يسكتون عمن يخطئ في اجتهاد (٢).

روى الذهبي أن الحجاج خطب فقال : "إن ابن الزبير بدل كلام الله فقام ابن عمر فقال : "كذب لم يكن ابن الزبير يستطيع أن يبدل كلام الله ولأنت". قال : "إنك شيخ قد خرفت اقعد". قال : "أما إنك لو عدت عدت" (٣).

ولو وقع الكذب من أحدهم - وحاشاهم - لانكشف أمره ووصل إلينا خبره ، كما نقلت كثير من الأخبار الجليل منها والدقيق (٤).

وقد يدعى أحد أن المنافقين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا يبعد أحدهم أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يصطنع على لسانه من الأحاديث ما يشاء ويبيته بين صفوف الصحابة ، ولا يستحيل عليه ذلك وهو الذي لم يستقر الإيمان في قلبه .

(١) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص ٢٥ ، ط / إدارة الطباعة المنيرية .

(٢) انظر : السنة ومكانتها في التشريع ص ٧٧، ٧٨ ، السنة قبل التدوين ص ١٩٢، ١٩٣ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٣٩/١ .

(٤) انظر : تدوين السنة ص ١٩٢ .

ولكن يجاب على هذا: بأن المنافقين كانوا معروفين عند النبي صلى الله عليه وسلم بأعيانهم وأوصافهم وعند الصحابة أيضاً .

قال كعب بن مالك رضى الله عنه ، وهو أحد المخلفين الثلاثة :

" فطفقت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزننى أن لأرى لى أسوة ، إلا رجلاً مغموصاً عليه فى النفاق أو رجلاً ممن عذر الله تعالى من الضعفاء " (١) .

وكانوا قلة منعزلين عن الناس ذليلين بينهم ، ومع ذلك لم يرووا شيئاً من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولم ينقل عنهم شىء فى كتب السنة ، ولم يأت حديث واحد عن رجل مشكوك فيه البتة ، وإنما جاءت الأحاديث عن الصحابة الأجلاء المعروفين عند النبي صلى الله عليه وسلم وبقية الصحابة بالصدق والعدالة وأمرهم جلى لاغموض فيه (٢) .

ولكن المستشرقين يكذبون كما يكذب الزنادقة من قبل وأهل الأهواء، يريدون بذلك أن يقوضوا صرح هذا الإسلام ، إذ الصحابة هم الذين أبلغونا إياه فإذا زالت الثقة عنهم أصبح كل الذى بين أيدينا مشكوكاً فيه . وقد فطن الإمام أبو زرعة الرازى رحمه الله إلى ذلك قديماً فقال :

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه بلفظ مقارب ، وهو جزء من حديث كعب بن مالك رضى الله عنه فى قصة تخلفه عن غزوة تبوك ، كتاب المغازى (٦٤) ، باب حديث كعب بن مالك (٧٩) ، ١٣١/٥ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه واللفظ له ، كتاب التوبة (٤٩) ، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٩) ، برقم ٢٧٦٩ ، ٢١٢٢/٤ .

ومعنى : " مغموصاً عليه " : أى مطعوناً فى دينه ، متهما بالنفاق . انظر : النهاية ٣٨٦/٣ .

(٢) انظر : السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، منهج النقد عند المحدثين ص ١١٠ ، ١١٧ .

"إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ، ليطلبوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم الزنادقة" (١).

وإن كانت هذه نظرة جولد زيهر وبعض المستشرقين السيئة في خيار الأمة بعد نبينا فقد وجد من بينهم من يعرف للصحابة قدرهم ومقامهم . يقول محمد أسد (ليوبولد فايس) :

"إن السبب الأول لوجود حديث مكذوب إنما هو كذبة متعمدة ترجع إلى مصدره الأول أى إلى الصحابي أو إلى أحد الرواة المتأخرين - أما فيما يتعلق بالصحابي فيمكن صرف التهمة عنه ابتداء - وإنما لن نتكلف سوى شيء من النظر الثاقب في الناحية النفسانية لنزد مثل هذه المزاعم إلى نطاق الوهم الخالص .

إن الأثر العظيم الذى تركته شخصية الرسول فى أولئك الرجال إنما هى حقيقة من أبرز حقائق التاريخ الإنسانى ، ثم هى فوق ذلك ثابتة بالوثائق التاريخية . فهل يمر فى خيالنا أن أولئك الرجال الذين كانوا على استعداد لأن يضحوا أنفسهم وما يملكون فى سبيل الله كانوا يتلاعبون بكلماته ؟

لقد قال الرسول : "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (٢).

لقد عرف الصحابة ذلك ، ولقد اعتقدوا ضمناً بكلام الرسول الذى كانوا ينظرون إليه على أنه ينطق عن الله . أفمن المحتمل من وجهة النظر النفسانية إذن أن يفعلوا هذا النهى الصريح نفسه؟" (٣)

(١) الكفاية ص ٩٧ .

(٢) سبق تخريجه الفهرست : ٥٢١-٥٢٢

(٣) الإسلام على مفترق الطرق ص ٩٣-٩٤ ، وانظر ص ٩٥ .

هذا هو الإنصاف والعدل وليس الجور والظلم الذى غطى على عقل زيهـر وأمـثاله، فالتوت أقوالهم واخـرفت عباراتهم ، ونحن نطالب هذا المستشرق ومن لف لفه أن يخرج لنا مثلاً واحداً لحديث موضوع تورط فى وضعه أحد الصحابة ، فإنه عاجز عن ذلك ، ولو وجد - وأنى له - ملأ الدنيا ضجيجاً وعواء ، ومما يدل على عجزه وفشله فى الوصول إلى بغيته ما استدل به من قول أنس ومعاوية رضى الله عنهما ، وكلاهما حجة عليه انكشف من خلالهما حقيقة هذا المستشرق الضال .

أما قول أنس رضى الله عنه فليس فيه دلالة على الوضع والكذب عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بل فيه ما يرد ذلك وينفيه ، فهو يقول كما نقل عنه : "ليس كل ما حدثنا به سمعناه عن النبى ولكننا لانكذب بعضنا" . وقد مر نحوه قريباً (١).

فأنس رضى الله عنه يبين أنهم ما كانوا يكذبون ولا توجد صفة الكذب بينهم ، لصدقهم وتثبتهم ، حتى إنه ما كان يتهم أحدهم الآخر ، لتيقنهم ووثوقهم ببعضهم وشهرة ذلك بينهم ، ولما يعرفون من أحوال بعضهم بعضاً لا كما يظن زيهـر أنهم كانوا يثقون ثقة عمياء خلاف الحقيقة فى بعضهم بعضاً. وهنا مسألة لا بد من التطرق إليها ليقف زيهـر ومن سار فى ركبـه على حقيقة الأمر ، وذلك موضوع مرسل الصحابى .

وهو الذى يخبر به عن قول النبى صلى الله عليه وسلم أوفعله ، مالم يسمعه أو يشاهده ، لصغره أو غيابه أو تأخر إسلامه (٢).

قال ابن الصلاح :

"ثم إنا لم نعد فى أنواع المرسل ونحوه ما يسمى فى أصول الفقه مرسل الصحابى مثل ما يرويه ابن عباس وغيره من أحداث الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسمعه منه لأن ذلك فى حكم الموصول المسند ،

(١) انظر ص : ٥٢٢ - ٥٢٣

(٢) انظر : تدريب الراوى ٢٠٧/١ ، تيسير مصطلح الحديث ص ٧٤ .

لأن روايتهم عن الصحابة . والجهالة بالصحابة غير قاذحة لأن الصحابة كلهم عدول والله أعلم " (١) .

وقال ابن كثير :

" وقد حكى عن بعضهم الإجماع على قبول مراسيل الصحابة ، وذكر ابن الأثير وغيره فى ذلك خلافاً . ويحكى هذا المذهب عن الأستاذ أبى إسحاق الاسفرايينى ، لاحتمال تلقيهم عن بعض التابعين " (٢) .

وهذا الاحتمال المذكور أزاله السيوطى بقوله :

" وفى الصحيحين من ذلك ما لا يحصى ، لأن أكثر رواياتهم عن الصحابة وكلهم عدول ، وروايتهم عن غيرهم نادرة ، وإذا رويها بينها ، بل أكثر مارواه الصحابة عن التابعين ليس أحاديث مرفوعة بل إسرائيلية أو حكايات أو موقوفات " (٣) .

وقال الدكتور محمود الطحان :

" الصحيح المشهور الذى قطع به الجمهور أنه صحيح محتج به ، لأن رواية الصحابة عن التابعين نادرة ، وإذا رويها عنهم بينها ، فإذا لم يبينوا ، وقالوا : قال رسول الله ، فالأصل إنهم سمعوها من صحابة آخره وحذف

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ٢٦ .

(٢) اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص ٤٦ - ٤٧ .

(٣) تدريب الراوى ٢٠٧/١ .

الصحابى لا يضر" (١).

وقال ابن حبان :

"وإنما قبلنا أخبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مارووها عن النبي صلى الله عليه وسلم وإن لم يبينوا السماع في كل مارووا . وبيقين نعلم أن أحدهم ربما سمع الخبر عن صحابى آخر ، ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير ذكر ذلك الذى سمعه منه ، لأنهم رضى الله عنهم أجمعين كلهم أئمة سادة قادة عدول ، نزه الله عز وجل أقدار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يلزق بهم الوهن" (٢).

فتبين بهذا أن رواية الصحابى عن النبي صلى الله عليه وسلم صحيحة ثابتة ولو لم يسمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة ، لعدالة جميع الصحابة في ذلك بدون استثناء .

وأما قول معاوية للمغيرة رضى الله عنهما ، فلإذا رجعنا إلى النص كما أورده الإمام الطبرى فنجد كالاتى :

"لا تتحم عن شتم على وذمه ، والترحم على عثمان والاستغفار له ، والعيب على أصحاب على والإقصاء لهم ، وترك الاستماع منهم ، وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه والإدناء لهم والاستماع منهم" (٣).

وعلى ذلك نورد عدة ملاحظات :

الأولى : هذا النص على فرض صحته (٤) ليس فيه دليل على الوضع ،

(١) تيسير مصطلح الحديث ص ٧٤ .

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٦١/١ - ١٦٢ .

(٣) تاريخ الطبرى ١٤١/٦ ، ط/المطبعة الحسينية المصرية .

(٤) بل ليس صحيحاً ، في إسناده أبو مخنف وهو لوط بن يحيى أبو مخنف .

قال عنه الذهبي : "إخبارى تالف ، لا يوثق به تركه أبو حاتم وغيره" . وقال الدارقطنى : "ضعيف" . وقال ابن معين : "ليس بثقة" . وقال مرة : "ليس بشيء" . وقال ابن عدى : "شيعى محترق" . صاحب أخبارهم . ميزان الاعتدال ٤١٩/٣ - ٤٢٠ . وانظر : الضعفاء للعقيلي ١٨/٤ - ١٩ ، الكامل في الضعفاء ٩٣/٦ ، لسان الميزان ٤٩٢/٤ - ٤٩٣ .

فلم يأمر معاوية المغيرة بوضع الأحاديث في سب على وشيعته ومدح عثمان ، ومازعمه تحميل للنص مالا يَحتمل .

الثانية : لقد حرف هذا المستشرق النص ليؤيد به غرضه وهدفه السيئ فالعبارة في الطبرى "والإقصاء لهم" بينما زعم هو أنها "وتضطهد من أحاديثهم" ، والفرق بين اللفظين كبير والبون شاسع ، فلا وجود لكلمة "أحاديثهم" في النص . وعلى فرض وجودها لادلالة في ذلك ، إذ المراد بأحاديثهم كلامهم ومحاوراتهم في مجالسهم ، وليست الأحاديث المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

الثالثة : لاشك أن بين على ومعاوية رضى الله عنهما خلاف سياسى ، بل ووقعت بينهما حروب في ذلك ، فما هى الغرابة أن يقع بين الفريقين تراشق بالألفاظ ونيل بالكلمات ، وهذا معهود في كل حكومة مع خصومها (١) .

وإن كان الحق والأسلم للمرء خلاف ذلك ، وهو مانص عليه الإمام الذهبى رحمه الله بعد ذكره طرفاً مما وقع بين مؤيدى الفريقين فقال : "فحمد الله على العافية الذى أوجدنا فى زمان قد انمحص فيه الحق ، واتضح من الطرفين ، وعرفنا مأخذ كل واحد من الطائفتين ، وتبصرنا ، فعذرنا ، واستغفرنا ، وأحببنا باقتصاد ، وترحمنا على البغاة بتأويل سائغ فى الجملة ، أو بخطأ إن شاء الله مغفور ، وقلنا كما علمنا الله {ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا} (٢) ، وترضينا أيضاً عمن اعتزل الفريقين ،... وتبرأنا من الخوارج المارقين الذين حاربوا علينا وكفروا الفريقين" (٣) .

(١) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص ٢٠٥ ، السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص ٢٤٧-٢٤٨ .

(٢) سورة الحشر : آية ١٠

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢٨/٣ .

(٤) أبو هريرة :

قال جوينبل (١):

"إن الثقة ببعض كبار الصحابة لم تكن من الأمور المسلمة عند الجميع في أول الأمر ، ولهذا نجد أن الثقة بأبي هريرة كانت محل جدل عنيف بين كثير من الناس" (٢).

وقال جولد زيهر :

"وقد شجعته ملازمته للنبي على أن يروى عنه بعد وفاته من الأحاديث أكثر مما رواه غيره من الصحابة . وتقدر الأحاديث التي تضاف إليه بخمسمائة وثلاثة آلاف حديث ، ولاريب أن عدداً كبيراً منها قد نحل عليه . ونجد بين الذين رووا عن أبي هريرة كثيراً من أكابر الإسلام . وقد اختلق الناس قصة تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرته عن الوقوع في الخطأ ، تلك الذاكرة التي استطاع أن يستوعب بها عدداً عظيماً من الأحاديث ، فقالوا : إن النبي لفه بيده في بردة (٣) بسطت بينهما أثناء حديثهما ، وبذلك ضمن أبو هريرة لنفسه ذاكرة تحفظ كل ماسمع ، وتروى هذه القصة أيضاً دليلاً على صداقته الوثيقة بالنبي ... وتظهرها طريقة روايته للأحاديث التي ضمنها أتفه الأشياء بأسلوب مؤثر على مامتاز به من روح المزاح ، الأمر الذي كان سبباً في ظهور كثير من القصص (ابن قتيبة ...).

(١) جوينبل :

هو تيودور وليم جوينبل مستشرق هولندي ، كان قساً بروتستانتيًا . اهتم بدراسة تاريخ الشرق وأدابه ، واللغة العربية حتى أصبح أستاذاً لها في عدة جامعات . مات سنة ١٨٦١م .

من آثاره : "تعليم اللغات الشرقية والتاريخ" ، وترجمة "مراصد الاطلاع لعبد المؤمن بن عبد الحق" لللاتينية ، وغير ذلك .

انظر : المستشرقون ٢/٦٥٧-٦٥٨ ، الأعلام ٢/٩٥-٩٦ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٧/٣٣٦ .

(٣) بردة : ثوب مخطط . والجمع : أبراد وأبرد وبرود . وهى أكسية يلتحف بها .

القاموس المحيط ص ٣٤١ .

ويظهر أن علمه الواسع بالأحاديث التي كانت تحضره دائماً... قد أثار الشك في نفوس الذين أخذوا عنه مباشرة ، والذين لم يترددوا في التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر . (انظر أيضاً البخارى : فضائل الأصحاب ، رقم ١١).

وقد اضطر أحياناً أن يدفع عن نفسه تقول الناس - كل هذه الظروف تجعلنا نقف من أحاديث أبي هريرة موقف الحذر والشك ، وقد وصفه شيرنجر "بأنه المتطرف في الاختلاق ورعاً" .

ويجب أن نلاحظ أيضاً أن كثيراً من الأحاديث التي تنسبها الروايات إليه ، إنما قد نخلت عليه في عصر متأخر^(١).

وقال : "... فمن ذلك ما رواه مسلم من أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب إلا كلب صيد أو كلب ماشية . فأخبر ابن عمر أن أبا هريرة يزيد "أو كلب زرع" . فقال ابن عمر "إن أبا هريرة كان له أرض يزرعها" فملاحظة ابن عمر تشير إلى ما يفعله المحدث لغرض في نفسه^(٢).

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١/٤١٨-٤١٩ .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع ص ١٩٣ .
والحديث يأتي تخريجه والكلام عنه .

الجواب على ذلك :

أبو هريرة عرفه الإمام الذهبي رحمه الله في مفتتح سيرته بعبارات جامعة ، فقال : "الإمام الفقيه المجتهد الحافظ ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو هريرة الدوسي اليماني ، سيد الحفاظ الأثبات" (١).

فهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلك منزلة تنقطع دونها المنازل ، شرف الله بها خيرة هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم هو سيد الحفاظ الأثبات ، ويكفيه هذا فخراً أن يمتاز بين جميع الصحابة رضى الله عنهم بقوة الحافظة التي كفلت له مقاماً رفيعاً بين أولئك الأمجاد فكان راوية الإسلام حقاً . وقد وهبه الله تعالى ميزات وصفات عدة جعلته يتبوأ منصب الصدارة ، ويجوز قصب السبق من بين حملة حديث النبي صلى الله عليه وسلم . من ذلك :

(١) حرصه على الحديث ورغبته في حصول العلم :

فقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وحسبك بها من شهادة ، كما روى ذلك البخارى بسنده إلى أبي هريرة أنه قال : قيل يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد ظننت ياأبا هريرة أن لايسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث . أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لاإله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه" (٢).

ففيه بيان فضل أبي هريرة وبيان حرصه على الحديث .

(٢) كثرة حديثه :

من يطلع في دواوين السنة يشهد لأبي هريرة بكثرة الرواية ، وقد شهد لنفسه بذلك فيما رواه عنه البخارى إذ يقول :

(١) سير أعلام النبلاء ٥٧٨/٢ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب العلم (٣) ، باب الحرص على الحديث (٣٣) ، ٣٣/١ ،

وفي كتاب الرقاق (٨١) ، باب صفة الجنة والنار (٥١) ، وفيه أن القائل أبو

هريرة نفسه ٢٠٤/٧ .

"ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه منى ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا يكتب" (١).

ومع هذا كان حديثه الموجود بين كتب الحديث أكثر من حديث عبد الله بن عمرو وذلك لأسباب نص عليها العلماء (٢).

فقد بلغ عدد أحاديثه في مسند بقى بن مخلد (٥٣٧٤) حديثاً المتفق عليه منها (٣٢٦) حديثاً (٣).

فهو أكثر الصحابة حديثاً (٤).

قال البخارى :

"روى عنه نحو من ثمانمائة رجل أو أكثر من أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم" (٥).

وقال الذهبي :

"حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه لم يلحق في كثرتهم وعن أبى ، وأبى بكر ، وعمر ، وأسامة ، وعائشة ، والفضل

(١) صحيح البخارى ، كتاب العلم (٣) ، كتابة العلم (٣٩) ، ٣٦/١ .

(٢) من ذلك :

١ - إذا كان الاستثناء منقطعاً . يكون التقدير : لكن الذى كان من عبد الله وهو الكتابة لم يكن منى ، سواء كان أكثر حديثاً أم لا .

٢ - إذا كان الاستثناء متصلاً . يكون السبب فيه من جهات :

* إن عبد الله كان منشغلاً بالعبادة أكثر من التعليم . فقلت الرواية عنه .

* كان أكثر مقام عبد الله بمصر والطائف ولم تكن الرحلة لطلب العلم إليهما كالرحلة إلى المدينة التى كان بها أبو هريرة .

* اختصاص أبى هريرة بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم بعدم النسيان .

* إن عبد الله ظفر بحمل جمل من كتب أهل الكتاب ، فكان يحدث منها فتجنب الكثير من التابعين الأخذ عنه .

انظر : فتح البارى ٢٠٧/١ .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء ٦٣٢/٢ .

(٤) انظر : السنة ومكانتها في التشريع ص ٣٥٤ .

(٥) تهذيب التهذيب ٢٦٥/١٢ ، وانظر : سير أعلام النبلاء ٥٧٩/٢ .

وبصرة بن أبى بصرة ، وكعب الخير" (١).

(٣) حفظه وسبب ذلك :

تلك الكثرة الكاثرة من الأحاديث لم تنتج من فراغ ، وإنما كان يتمتع رضى الله عنه بقوة حافظة وشدة ذاكرة وحسن ضبط يندر له مثيل .
وقد كشف لنا النقاب عن سبب قوة تلك الذاكرة فيما رواه عنه البخارى ومسلم ، إذ يقول أبو هريرة : "يقولون : إن أبا هريرة قد أكثر - والله الموعد - ويقولون : مبال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه؟ وسأخبركم عن ذلك : إن إخوانى من الأنصار كان يشغلهم عمل أراضيتهم . وإن إخوانى من المهاجرين كان يشغلهم الصفق (٢) بالأسواق ، وكنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطنى ، فأشهد إذا غابوا ، وأحفظ إذا نسوا ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما : "أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثى هذا، ثم يجمعه إلى صدره ، فإنه لم ينس شيئا سمعه" فبسطت بردة على ، حتى فرغ من حديثه ، ثم جمعتها إلى صدرى ، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئا حدثنى به ، ولولا آيتان أنزلهما الله فى كتابه ماحدثت شيئا أبدا : إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى ... إلى آخر الآيتين" (٣)(٤).

(١) المرجع السابق ٥٧٩/٢ .

(٢) الصفق : هو التبايع . سمي بذلك لأن المتبايعين يضع أحدهما يده فى يد الآخر . وهى المرة من التصفيق باليدين .

انظر : النهاية ٣٨/٣ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٥٩، ١٦٠

(٤) أخرج نحوه البخارى فى صحيحه ، انظر :

كتاب العلم (٣) ، باب حفظ العلم (٤٢) ، ٣٧/١-٣٨ ، كتاب البيوع (٣٤) ، باب ماجاء فى قول الله تعالى : {فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض} (١) ، ٣-٢/٣ ، كتاب الحرث والمزراعة (٤١) ، باب ماجاء فى الفرس (٢١) ، ٧٤/٣ ، كتاب المناقب (٦١) ، باب (٢٨) ، ١٨٨/٤ ، كتاب الاعتصام (٩٦) ، باب الحجة على من قال إن أحكام النبى صلى الله عليه وسلم كانت ظاهرة (٢٢) ، ١٥٨/٨ =

فقد كان رضى الله عنه مسكيناً ملازماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على شبع بطنه لم يشغله ما يشغل إخوته من المهاجرين والأنصار ، فتلك الملازمة للرسول صلى الله عليه وسلم جعلته يسمع مالم يسمعون وخلق ذهنه من الشواغل جعله يحفظ مالم يحفظوا . وتلك الحادثة التي أوردها من بسط ثوبه وقبضه بأمر النبي صلى الله عليه وسلم جعلت ماحفظه يبقى في ذاكرته ولا ينساه .

وفي المستدرک للحاكم من حديث زيد بن ثابت قال : " بينا أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ذات يوم ندعو الله تعالى ونذكر ربنا خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى جلس إلينا ، قال فجلس وسكتنا فقال : "عودوا للذي كنتم فيه" قال زيد : فدعوت أنا وصاحبي قبل أبي هريرة ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن على دعائنا . قال : ثم دعا أبو هريرة فقال : اللهم إني أسألك مثل الذي سألك صاحبى هذان وأسألك علماً لا ينسى . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "آمين" فقلنا يارسول الله ونحن نسأل الله علماً لا ينسى . فقال : "سبقكما بها الدوسى" (١)

وقد شهد له الصحابة رضى الله عنهم والتابعون وجهابذة العلم بقوة الحفظ وحضور الذاكرة .

= وأخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له ، كتاب فضائل الصحابة (٤٤) ، باب من فضائل أبي هريرة الدوسى ، رضى الله عنه (٣٥) برقم ٢٤٩٢ ، ١٩٤٠/٤ . (١) أخرجه الحاكم في المستدرک وقال : "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ، وتعقبه الذهبي في مختصره فقال : "حماد ضعيف" ٥٠٨/٣ ، وحماد هو ابن شعيب التميمي . أبو شعيب قال ابن حبان : "يروى عن أبي الزبير و،أبي يحيى القتات سكن البصرة يقلب الأخبار ويرويها على غير جهتها" ثم ذكر عن يحيى بن معين أنه قال : "ليس بشيء" . المجروحين ٢٥١/١ .

وقد ضعفه جماعة من العلماء . انظر : ميزان الاعتدال ٥٩٦/١ . وأورد الخبر ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق آخر . انظر ٢٢٤/١٩ ، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٦١٦،٦٠٠/٢ ، والحافظ ابن حجر في الفتح وسكت عنه ٢١٥/١ .

روى الحاكم بسنده إلى أبي أنس مالك بن أبي عامر^(١) قال : "كنت عند طلحة بن عبيد الله فدخل عليه رجل فقال : يا أبا محمد : والله ماندرى هذا اليماني أعلم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم أنه تقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم يقل؟ يعني أبا هريرة . فقال طلحة : والله مايشك أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالم نسمع وعلم مالم نعلم . إنا كنا قوماً أغنياء لنا بيوت وأهلون ، كنا نأتى نبي الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار ثم نرجع ، وكان أبو هريرة مسكيناً لا مال له ولا أهل ولا ولد ، إنما كانت يده مع النبي صلى الله عليه وسلم يدور معه حيث مادار ، ولانشك أنه قد علم مالم نعلم وسمع مالم نسمع ، ولم يتهمه أحد منا أنه تقول على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالم يقل"^(٢). وقال ابن عمر :

(١) مالك بن أبي عامر :

هو مالك بن أبي عامر الأصبحى ، ثقة . روى عن عمر وعثمان . وعنه بنوه : أنس وأبو سهيل . مات سنة ٧٤هـ على الصحيح .

انظر : الجرح والتعديل ٢١٤/٨ ، الكاشف ١١٤/٣ ، تقريب التهذيب ٢٢٥/٢ . المستدرک ٥١١/٣-٥١٢ . وقال الحاكم : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي .

وقد أخرجه الترمذى فى سننه بلفظ مقارب ، كتاب المناقب (٥٠) ، باب مناقب لأبى هريرة رضى الله عنه (٤٧) برقم ٣٨٣٧ . وقال : "هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق ، وقد رواه يونس بن بكير وغيره عن محمد بن إسحاق" ٦٤٢/٥-٦٤٣ .

وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : "رجاله ثقات" . سير أعلام النبلاء ٦٠٦/٢ الهامش .

وذكر الذهبي قريباً منه فى سير أعلام النبلاء ٣٧/١ ، ٦٠٥/٢-٦٠٦ ، وابن كثير أورد نحوه فى البداية والنهاية ١٠٩/٨ ، وذكر الحافظ ابن حجر قطعة منه فى فتح البارى وسكت عنه ٢١٤/١ .

" ياأبا هريرة كنت ألزمتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمنا بحديثه" (١).

وقال : " كان ممن يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين " (٢) .

وقال أبو صالح : " كان أبو هريرة من أحفظ الصحابة " (٣)
وقد أراد مروان بن الحكم (٤) أن يختبر قوة حفظه كما ذكر ذلك عنه

(١) أخرجه الترمذى بلفظ مقارب ، كتاب المناقب (٥٠) ، باب مناقب لأبى هريرة رضى الله عنه (٤٧) برقم ٣٨٣٦ ، وقال : هذا حديث حسن ٦٤٢/٥ ، وأحمد فى المسند ، واللفظ له . وفيه قصة سبب إirاده ٣-٢/٢ ، قال الشيخ أحمد محمد شاكر : " إسناده صحيح " . مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ٢١٣/٦ . وأخرجه الحاكم فى مستدركه ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " . وقال الذهبى : " صحيح " ٥١١/٣ .
وأورده الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٦٠٣/٢-٦٠٤ ، ٦١٧ .
وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : " رجاله ثقات وإسناده صحيح " .
وابن كثير فى البداية والنهاية ١٠٧/٨ .
وذكره الحافظ ابن حجر فى الفتح ، وذكر تحسين الترمذى له ٢١٤/١ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣٤٠/٤ ، سير أعلام النبلاء ٦٠٤/٢ ، البداية والنهاية ١٠٧/٨ ، فتح البارى ٢١٤/١ .

(٣) تاريخ دمشق ١١٦/١٩ ، سير أعلام النبلاء ٥٩٧/٢ ، وانظر : تذكرة الحفاظ ٣٦-٣٥/١ ، البداية والنهاية ١٠٦/٨ .

(٤) مروان بن الحكم :
هو مروان بن الحكم بن أبى العاص ، بن أمية ، أبو عبدالمملك الأموى ، المدنى ، ولى الخلافة فى آخر سنة ٦٤ هـ ، لانتثبت له صحبة . روى عن عمر وعثمان وعلى .
وعنه : سهل بن سعد وعلى بن الحسين وعروة . مات سنة ١٠٥ هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٢٧١/٨ ، تقريب التهذيب ٢٣٨-٢٣٩/٢ .

أبو الزعيزعة^(١) كاتبه ، قال : "إن مروان دعا أبا هريرة فأقعدني خلف السرير وجعل يسأله وجعلت أكتب ، حتى إذا كان عند رأس الحول ، دعا به ، فأقعدته وراء الحجاب ، فجعل يسأله عن ذلك ، فما زاد ولا نقص ، ولا قدم ولا آخر"^(٢).

قال الذهبي بعد إيراد هذه الحادثة : "هكذا فليكن الحفظ"^(٣).
وقال الشافعي : "أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره"^(٤).
وقال الذهبي : "وأبو هريرة إليه المنتهى في حفظ ماسمعه من الرسول عليه السلام وأدائه بحروفه"^(٥).
وقال : "وقد كان أبو هريرة وثيق الحفظ ، ما علمنا أنه أخطأ في حديث"^(٦).

وقال ابن كثير :

"وقد كان أبو هريرة من الصدق والحفظ والديانة والعبادة والزهادة والعمل الصالح على جانب عظيم"^(٧).

(١) أبو الزعيزعة :

ذكره الدولابي في الكنى فقال : "أبو زعيرة كاتب مروان" ص ١٨٣ .

ثم ذكره باسم أبي الزعيزعة وذكر له خبراً عن مروان. انظر ص ١٨٤ .

روى عن مكحول وعمرو بن عبيد الأنصاري والنضر بن حرز . قال أبو حاتم : مجهول . وقال الذهبي : أبو الزعيزعة عن مكحول ، لا يكاد يعرف . عداده في الشاميين .

الجرح والتعديل ٣٧٥/٩ ، ميزان الاعتدال ٥٢٥/٤ .

(٢) المستدرک ٥١٠/٣ ، وقال الحاكم : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" . وقال الذهبي : "صحيح" .

وانظر : تاريخ دمشق ١١٦/١٩ ، البداية والنهاية ١٠٦/٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٥٩٨/٢ .

(٤) تاريخ دمشق ١١٧/١٩ ، تذكرة الحفاظ ٣٦/١ ، سير أعلام النبلاء ٥٩٩/٢ ، البداية والنهاية ١٠٦/٨ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٦١٩/٢ .

(٦) المرجع السابق ٦٢١/٢ .

(٧) البداية والنهاية ١١٠/٨ .

وقال ابن حجر :

"إن أبا هريرة كان أحفظ من كل من يروى الحديث في عصره ، ولم يأت عن أحد من الصحابة كلهم ما جاء عنه" (١).

هذا هو أبو هريرة رضى الله عنه جبل الحفظ ، وإمام الأثبات كما عرفه معاصروه وهم أدري الناس به وأعلم ، وكما عرفه أئمة الحديث وجهابذة العلماء ، ولا عبرة بجهل المستشرقين ذلك ، فليس هم الذين يرجع إليهم في معرفة علماء الإسلام ورجاله ، وليتهم التزموا الصمت حتى لا ينكشف أمرهم ويتضح حقدهم ، وجهلهم ، ولكنهم لم يفعلوا ، فكان من الواجب أن تهتك أستارهم وتزال أقنعتهم المزيفة ، ليعرف العالم بأسره حالهم ويفتضح أمرهم ، وهأنذا فاعل باذن الله تعالى ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً" (٢) الحديث .

وقد ظلم أبو هريرة قديماً وحديثاً ، من أعداء الإسلام وأهل الابتداع وأصحاب الأهواء وأفراخ الاستشراق وقد تولى علماء الإسلام في القديم الدفاع عنه ، وتفنيذ مزاعم من طعن فيه (٣).

وطعن المستشرقين فيه إنما يستهدفون به النيل من الإسلام وتقويضه ، وقد علموا كثرة مروياته ، فجرحوه وأثاروا الشبه من حوله لكي يرفعوا الثقة عن جميع ما روى ، وهنالك يفقد الإسلام حصيلة عظيمة من حديث النبي صلى الله عليه وسلم (٤).

(١) تهذيب التهذيب ٢٦٦/١٢ .

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب المظالم (٤٦) ، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً (٤) ، ٩٨/٣ من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، وفي كتاب الإكراه (٨٩) ، باب يمين الرجل لصاحبه (٧) ، ٥٩/٨ .

وأخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب من حديث جابر بن عبد الله ، كتاب البر والصلة (٤٥) ، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً (١٦) برقم ٢٥٨٤ ، ١٩٩٨/٤ .

(٣) انظر : تأويل مختلف الحديث ص ٣٨ فما بعدها .

(٤) انظر : الحديث والمحدثون ص ١٦٣ .

وبعد أن وقفنا على قوة حفظ أبي هريرة رضى الله عنه وتثبته وثناء الصحابة والعلماء عليه ، نجيب على ضوء ذلك عن شبهات ومزاعم المستشرقين :

(١) زعم جوينبل أن الثقة بأبي هريرة كانت محل جدل عنيف بين كثير من الناس .

يجاب على هذا المستشرق بما يلي :

أولاً : إن أبا هريرة رضى الله عنه أحد صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وقد أجمع من يعتد بإجماعه من الأمة على عدالتهم جميعاً . وقد بين ذلك آنفاً (١) ، بعد تعديل الله ورسوله لهم ، فلا يحتاج أبو هريرة إلى توثيق أحد من الناس ، ولا يقبل فيه جرح أحد منهم مهما كان .

ثانياً : من هم هؤلاء الذين جرحوا أبا هريرة ولم يوثقوه؟ فلماذا لم يذكر جوينبل أحداً منهم ، وقد زعم بأنهم كثير إيهاماً وتضليلاً ، ولا نريد من هذا الكثير إلا واحداً ممن يعتد بقوله .

ثالثاً : لعله يريد بذلك أعداء الإسلام وأهل الأهواء والابتداع من الخوارج والمعتزلة والروافض وأفراخ الاستشراق ممن قدح في أبي هريرة وغيره من الصحابة ونال منهم وهؤلاء لاجبة في قولهم ولا عبرة بكلامهم والجرح بهم أولى (٢) .

(٢) قول زيهري بعد ذكره لعدد ماروى أبو هريرة من أحاديث ، قال : "ولارب أن عدداً كبيراً منها قد نخل عليه" .

وهذه دعوى تحتاج إلى دليل ، فأين الدليل؟ وماهى تلك الأحاديث

التي نخلت؟ وماذا قال علماء الحديث فيها؟

(٣) الزعم بأن الناس قد اختلقوا قصة تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرته عن الوقوع فى الخطأ .

يجاب عن ذلك :

(١) انظر ص : ٥٢٠

(٢) انظر : منهج النقد عند المحدثين ص ١٠٦ .

(أ) إن العصمة لا تكون إلا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليهم . وأما الصحابة ليسوا بمعصومين ، كما نص على ذلك الحافظ ابن حجر في قوله : "إن الصحابي الجليل المكثر الشديد الملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم قد يخفى عليه بعض أحواله ، وقد يدخله الوهم والنسيان لكونه غير معصوم" (١) . ولا يعارض ذلك عدالتهم (٢) .

(ب) حادثة بسط الثوب ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم لامطعن فيها ، ولم يخلقها الناس ، وقد سبق تخريج الحديث (٣) .

(٤) زعم زيهـر أن روايته ضمنها أتفه الأشياء لما امتاز به من روح المزاح مما أدى إلى ظهور كثير من القصص ، وأشار في ذلك لابن قتيبة . كان على زيهـر أن يبين تلك الأحاديث ولا يطلق القول جزافاً ، لأن ذلك ينافي الحقائق العلمية والمنهج العلمي ، ثم في أى مؤلف لابن قتيبة ذكر ذلك ، ولابن قتيبة كثير من الكتب ، بل قد أثنى رحمه الله على أبي هريرة في كتابه "تأويل مختلف الحديث" ورد عنه مطاعن النظام المعتزلي (٤) . ولا يمكنه أن يتناقض رحمه الله (٥) .

وأما مزاحه فلا يعد طعنًا فيه ، بل هو أمر يستحسن في العادة وتألفه النفوس ، وتميل إلى صاحبه الطباع .

قال مصطفى السباعي :

"وأما مزأحه فهذا مما عرف به ، وهو خلق أكرمه الله به وحببه به إلى الناس جميعاً . وما كان المزاح في دين الله مكروهاً ، وإلا كانت الثقاله وغلاظة الحس والروح أمراً محبوباً في الإسلام ، وحاشا لله ولرسوله أن

(١) فتح الباري ٦٠٢/٣ .

(٢) انظر : منهج النقد عند المحدثين ص ١٢٤ .

(٣) انظر ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .

(٤) انظر ص ٣٨ فما بعدها .

(٥) انظر : الحديث والمحدثون ص ١٦٦ .

يستحب ذلك ، وقد قال الله لرسوله : {ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك} (١)، وما كان المزاح خلقاً معيماً عند كرام الناس ، وقد كان رسول الله يمازح أصحابه ، وكان الصحابة يمزحون ، وكان فيهم مشهورون بالمزاح البريء في حدود الشريعة والأخلاق ومنهم أبو هريرة رضى الله عنه " (٢).

قال الذهبي :

"كان أبو هريرة طيب الأخلاق" ثم ذكر شيئاً من مزاحه الذى يدل على طيب خلقه (٣).

فماذا فى المزاح الذى ينبىء عن لطافة خلق صاحبه ، وكرم سجيته ، حتى يتخذ ذلك طعنًا وقدحاً فيه؟ وما يريد هذا المستشرق إلا أن يقول لنا : إن أبا هريرة ليس شخصاً جاداً يعتمد عليه فى حمل الأحاديث وإنما هو شخصية مهذارة كثيرة المزاح لاجدية لها . فقلوله أولى بعدم الاعتماد .

(٥) زعمه أن كثرة أحاديثه أثار الشك فى نفوس الذين أخذوا عنه ، فعبروا عن شكوكهم بأسلوب ساخر ، مما اضطر أن يدفع عن نفسه تقولهم . وأشار إلى فضائل الأصحاب فى البخارى .
ويجاب على ذلك :

لاشك أن أبا هريرة كان من المكثرين فى الحديث مع تأخر إسلامه ، وقد ذكرنا علة ذلك فيما سبق (٤)، فلما توفى الرسول وتفرق الصحابة فى الأمصار رأى من الواجب عليه أن يبلغ ذلك خوفاً من عاقبة الكتمان كما قال : "لولا آيتان فى كتاب الله ... " الحديث (٥). فأثار ذلك الغرابة والعجب فى نفوس السامعين ، فلم يشكوا فيه ولم يكذبوه ، وإنما سألوه مستفهمين

(١) سورة آل عمران : آية ١٥٩

(٢) السنة ومكانتها فى التشريع ص ٣٣٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٦١٤/٢ .

(٤) انظر ص : ٥٣٢

(٥) سبق تخريجه انظر ص : ٥٣٤ - ٥٣٥

لمعرفة السبب ليزيل بذلك عجبهم . فلما كشف لهم الحقيقة سكتوا عنه مطمئنين ، وقبلوا تعليله ، وأخذوا عنه ، بل وظل يحدث بقية عمره ولم يمنع من التحديث (١).

والذى يظهر أن المعارضين لم يكونوا من الصحابة الذين كانوا من أعرف الناس به ، بدليل قوله : "إن إخواني من المهاجرين والأنصار" (٢). وقد عمر رضى الله عنه وطالت حياته فلاشك في لقائه كثير من التابعين . ولا يمكنه رضى الله عنه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبداً وهو نفسه من رواة حديث "من كذب على متعمداً" (٣) الحديث ، وقد أقره الصحابة وروى عنه الكثير منهم ، أضف إلى ذلك أن أكثر مارواه موجود عند غيره من الصحابة (٤).

وأحاديثه موضع عناية علماء الحديث والفقهاء ، واحتلت جانباً عظيماً من دواوين السنة (٥).

وقد كان رضى الله عنه عابداً زاهداً كثير الصلاة والاستغفار والخوف من الله ، فيستحيل على مثله أن يكذب على النبي صلى الله عليه وسلم (٦). (٦) ومازعمه شبرنجر : "بأنه المتطرف في الاختلاق ورعاً" . واحتجاج زيهر بذلك .

يجاب عليه :

بأن شبرنجر لاعبرة بقوله ولا حجة فيه ، ومن هو حتى يقبل قوله في أبي هريرة رضى الله عنه ، بل في من هو أقل من أبي هريرة بمراحل؟ يقولون هذا عندنا غير جائز ومن أنتم حتى يكون لكم عند

(١) انظر : الحديث والمحدثون ص ١٦٤-١٦٦ ، السنة ومكانتها في التشريع ص ٣١١، ٣١٢

(٢) انظر : المرجع السابق ص ٣١٣ .

(٣) سبق تخريجه انظر ص ٥٢١-٥٢٢

(٤) انظر : الحديث والمحدثون ص ١٦٠-١٦١ .

(٥) انظر : السنة ومكانتها في التشريع ص ٣٥٩ .

(٦) انظر : السنة ومكانتها في التشريع ص ٣٥٧-٣٥٨ .

وما أصدق قول الشاعر فيه :

خفافيش أعماما النهار بضوئه ووافقها قطع من الليل مظلم
وشبرنجر من المتطرفين في الاختلاق على صحابة النبي صلى الله عليه
وسلم ، وهو مضلل كثير التشويش في دين الله ، يستر الحقائق ، ويبدى
الشبه ، ولا يستند فيها إلى دليل . ولا يجتمع التطرف في الاختلاق والورع أبداً .
وأبو هريرة إنما هو ورع تقى يستحيل أن يكذب على الرسول صلى الله
عليه وسلم دعك من أن يتطرف في الاختلاق (١) .
(٧) زعمه أن كثيراً من الأحاديث نخلت عليه .

لا ينكر أن كثيراً من الأحاديث وضعت وعزيت إلى أبي هريرة وإلى
غيره من الصحابة رضى الله عنهم ، ولكن علماء الحديث تقصوا ذلك
وبينوا الموضوع من الصحيح فلم يخف عليهم (٢) .
وما ضر أبا هريرة أن تكون نخلت عليه أحاديث ، وهل يعد طعناً فيه
ماجنه غيره عليه؟ أم هو الجور في الحكم ، والظلم في القضاء (٣) .
بل ذلك في الحقيقة يعد مدحاً له لا طعناً فيه ، لأن الوضعاء عرفوا
مزلته الرفيعة ومقامه السامى عند الأمة الإسلامية ، وشهرته بالحفظ والثقة ،
فألصقوا به ما وضعوه حتى يروج ذلك عند الناس . والناس يثقون فيه وفيما
روى ، فعاد دليل هذا المستشرق الحقود دليلاً عليه .

(٨) روى مسلم بسنده إلى ابن عمر رضى الله عنهما قال :
”إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب إلا كلب صيد
أو كلب غنم أو ماشية فليل لابن عمر، إن أبا هريرة يقول أو كلب زرع ،
فقال ابن عمر : إن لأبي هريرة زرعاً (٤) .

(١)، (٢) انظر : الحديث والمحدثون ص ١٦٦ .

(٣) انظر : السنة ومكانتها في التشريع ص ٣١٨ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساقاة (٢٢)، باب الأمر بقتل الكلاب وبيان

نسخه (١٠) برقم ١٥٧١ ، ١٢٠٠/٣ .

وأخرج نحوه برقم ١٥٧٥ في الكتاب والباب السابقين ١٢٠٣/٣ .

ادعى جولد زيهير أن أبا هريرة اختلق هذه الزيادة من عنده لغرض في نفسه ، لأنه صاحب مصلحة ، وإلى ذلك أشار ابن عمر .
وقد أجاب على ذلك الإمام النووى رحمه الله بما يزيل الإشكال ويرد الشبهة ، فقال :

"قال العلماء : ليس هذا توهيناً لرواية أبي هريرة ولا شكاً فيها ، بل معناه أنه لما كان صاحب زرع وحرث اعتنى بذلك وحفظه وأتقنه ، والعادة أن المبتلى بشيء يتقنه مالا يتقنه غيره ، ويتعرف من أحكامه مالا يعرفه غيره ، وقد ذكر مسلم هذه الزيادة وهى اتخاذ للزرع من رواية ابن المغفل (١) ، ومن رواية سفيان بن أبي زهير (٢) عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكرها أيضاً مسلم من رواية أبي الحكم واسمه عبد الرحمن بن أبي أنعم البجلي عن ابن عمر (٣) .

(١) صحيح مسلم ، كتاب المساقاة (٢٢) ، باب الأمر بقتل الكلاب (١٠) برقم ١٥٧٣ . ولفظه قال عبد الله بن مغفل : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ثم قال : "مابالهم وبال الكلاب؟ ورخص في كلب الغنم والصيد والزرع" . ١٢٠٠/٤-١٢٠١ .

(٢) المرجع السابق ، الكتاب والباب السابقان ، برقم ١٥٧٦ . ولفظه : قال سفيان بن أبي زهير : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "من اقتنى كلباً لا يغنى عنه زرعاً ولا ضرعاً ، نقص من عمله كل يوم قيراط" . قال - السائب بن يزيد - آنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال : أى ورب هذا المسجد ١٢٠٤/٣ .

قال النووى : "المراد بالضرع الماشية كما فى سائر الروايات ومعناه : من اقتنى كلباً لغير زرع وماشية" . شرح النووى على مسلم ٢٤١/١٠ .

(٣) المرجع نفسه : الكتاب والباب السابقان . ولفظه : عن أبي الحكم قال : سمعت ابن عمر يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "من اتخذ كلباً إلا كلب زرع أو غنم أو صيد ، ينقص من أجره ، كل يوم قيراط" . ١٢٠٢/٣ . وأبو الحكم هو :

عبد الرحمن بن أبي نعم البجلي ، أبو الحكم الكوفى ، العابد ، صدوق عابد . روى عن المغيرة ، وأبي هريرة ، وسفيانة ، وعنه ابنه الحكم ، ومغيرة ، وفضيل ابن غزوان . مات قبل المائة .

انظر : الجرح والتعديل ٢٩٥/٥ ، الكاشف ١٨٨/٢ ، تقريب التهذيب ٥٠٠/١ .

فيحتمل أن ابن عمر لما سمعها من أبي هريرة وتحققها عن النبي صلى الله عليه وسلم رواها عنه بعد ذلك ، وزادها في حديثه الذي كان يرويه بدونها ، ويحتمل أنه تذكر في وقت أنه سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم فرواها ونسيها في وقت فتركها . والحاصل أن أبا هريرة ليس منفرداً بهذه الزيادة بل وافقه جماعة من الصحابة في روايتها عن النبي صلى الله عليه وسلم ولو انفرد بها لكانت مقبولة مرضية مكرمة^(١).

هذا هو الإنصاف والعدل ، والتحقيق العلمى الذى يعجز أعداء الإسلام من المستشرقين وأشياهم أن يصلوا إلى معشاره .

ومن هنا يتبين أن ما ألصقه هؤلاء بأبي هريرة لا يمت إلى الحقيقة بصلة ، وهو عار عن الصحة ، مخالف للواقع ، ومن المستحسن أن نختم ذلك بقول من حطم صنم الاستشراق وزلزل أركانه في هذا العصر ، إنه الدكتور مصطفى السباعى فى كتابه القيم "السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى" ، فقد سطر بقلمه كلمة حق فى أبى هريرة رضى الله عنه فقال :

"إن صحابياً يظل يحدث الناس سبعا وأربعين سنة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم على مسمع من كبار الصحابة وأقرب الناس إليه ، من زوجته وأصحابه ثم لا يلقى إلا تجلة وإعظاماً ، يرجع إليه فى معرفة الأحاديث ، ويهرع إليه التابعون من كل جانب ، ويتزوج منه سيد علماء التابعين الإمام الجرىء التقى الورع سعيد بن المسيب ابنته ، ويتلقى عنه علمه وحديثه ، ويبلغ الآخزون عنه ثمانمائة من أهل العلم ، لم نسمع أن أحداً من الصحابة بلغ مبلغه فى الآخذين عنه ، وكلهم يجمعون على جلالته والثقة به ، وينطوى فى تاريخ الإسلام ثلاثة عشر قرناً ، وهى كلها شهادات صدق فى أحاديثه وأخباره .

إن صحابياً بلغ في التاريخ ما بلغه أبو هريرة ، يأتي إليه اليوم من يزعم أن المسلمين جميعاً أئمة وأصحاباً وتابعين ومحدثين لم يعرفوه على حقيقته ، وأنه في الواقع كان يكذب ويفترى . إن موقفاً كهذا يقفه بعض الناس من مثل هذا الصحابي العظيم ، لجدير بأن يجلب لأهله والقائلين به الاستخفاف والازدراء بعلومهم وعقولهم معاً" (١).

(٥) وهناك أمور تدل على الوضع فى الحديث . كما يزعمون . منها :

(أ) الأحاديث التى تدل على الأمور الغيبية :

قال جوينبل :

"وهناك قسم خاص من هذه الأحاديث التنبئية وضعت فى صورة أقوال نسبت إلى محمد تتعلق بفضائل أماكن متعددة ونواحي فى بلاد لم يفتحها المسلمون إلا فى عصر متأخر . وعلى هذا لا يمكن أن تعد الكثرة الغالبة من الأحاديث وصفاً تاريخياً صحيحاً لسنة النبى ، بل هى على عكس ذلك تمثل آراء اعتنقها بعض أصحاب النفوذ فى القرون الأولى بعد وفاة محمد ونسبت إليه عند ذلك فقط" (١).

(ب) الأحاديث التى تدل على التجسيم :

يرى جولد زيهر أن المتكلم السنى لم يستطع أن يسلك طريقة المعتزلة فى تأويل القرآن ورد الأحاديث ، ولهذا نجم خطر التجسيم ، وامتد بصفة خاصة فى الحديث الذى نعى بطريقة غير محدودة . ويمثل بأحاديث على ذلك منها ما جاء فى موطأ مالك : "إن ربنا ينزل كل ليلة إلى السماء الأولى قبل الثلث الأخير من الليل ، ويقول من يدعونى فأستجيب له؟ من له حاجة فأقضيها له؟ هل من مستغفر فأغفر له" (٢).

(ج) الأحاديث المتضمنة أخطاء تاريخية :

قال ماكدونالد :

"إنه لاشك فى أن الأحاديث فى ذاتها لا تعتبر أساساً يمكننا أن نبني عليه الحقائق التاريخية" (٣).

وقال جوينبل :

"ومع مضى الزمن لم يجرؤ أحد على الشك فى صحة هذه الأحاديث ،

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٣٣٣/٧ .

(٢) العقيدة والشريعة ص ١٢٥ بتصرف .

والحديث يأتي تخريجه والكلام عنه .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٥٧٣/٢ .

ولم يصح في الإمكان اعتبار رجال كأبي هريرة - الذى يرجع إليه الفضل في تداول هذه الأحاديث - من الكاذبين ، بل سلم على وجه عام بصحة كثير من الأحاديث التى تتضمن أخطاء تاريخية شديدة الوضوح ، ولم يرفض شىء منها إلا ما كان يتعارض مع ماوقع الإجماع على صحته . على أن الميل على العموم كان متجهاً إلى الثقة بمثل هذه الأحاديث أيضاً إذا أمكن على الأقل تفسيرها بروح التوفيق" (١).

وقد سبق قول ماكدونالد في أن الأحاديث سجل مضطرب كثير الأغلاط التاريخية .

(د) الأحاديث المتناقضة :

قال جوينبل :

"وينبغى أن نذكر في هذا المقام أن مادة الحديث المروى كانت في الواقع أصل التنازع ، فالغالب أن مافى موضوع الحديث من هوى هو الذى كان يثير المعارضة دائماً . فالحكم النهائى لم يكن مقصوداً به قيمة المحدث وإنما كان المقصود به الحكم على مادة الروايات التى يرويها" (٢).

وقال : "والأحاديث العديدة المتناقضة في موضوع بعينه ، والتى سلم بصحتها وذكرت في مجموعات الأحاديث جنباً إلى جنب تمد المؤرخ في الغالب بدليل لا يقوم على التطور الداخلى للإسلام" (٣).

ويزودنا ماكدونالد بأمثلة من الأحاديث المتناقضة فيقول :

"ونجد ... أحاديث تنص صراحة على أن محمداً كان لا يرضى عن الجدل في الدين . بينما نجد أحاديث أخرى تصوره لنا مقبلاً على الجدل إقبالاً شديداً . وكلا هذين النوعين مشكوك فيه على حد سواء وربما كان النوع الأول من هذه الأحاديث قد وضعه الذين ظلوا مدة طويلة يرفضون

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٣٣٧/٧ .

(٢) المرجع السابق ٣٣٦/٧ .

(٣) المرجع السابق ٣٣٧/٧ .

تحكيم العقل في هذه الأمور ، ويقنعون بما يصل إليهم عن طريق النقل" (١).
وقال : "وكان من جراء الزيادات في الحديث أيضاً أن اشتد التناقض
في صفات الله . ولهذا نجد حديثاً يكثر وروده وهو "إن رحمتي تغلب غضبي
أو تسبقه" (٢).

ونجد من جهة أخرى ذلك الحديث المخيف : "هؤلاء للجنة ولأبالي ،
وهؤلاء للنار ولأبالي" (٣)(٤).

ويقول زيهري :

"إنه لا توجد مسألة خلافية سياسية أو اعتقادية إلا ولها اعتماد على
جملة من الأحاديث ذات الإسناد القوي" (٥).

(هـ) تأخر التدوين فتح مجالاً للوضع :

يقول الأستاذ أنور الجندى :

"ونذكر شكوك المستشرقين في السنة حول تأخر تدوين الحديث ، فهم
يرون أن تأخر تدوين الحديث الذي بدأ في المائة الثانية للهجرة قد أعطى
فرصة للمسلمين ليزيدوا وينقصوا في الحديث وحتى وضع أحاديث لخدمة
أغراضهم ، ويردد هذا جولد زيهري ، ودوزي وشبرنجر ، وقد شك جولد
زيهري في صحة وجود صحف كثيرة في عهد الرسول ، ويرمى من وراء ذلك
إلى إضعاف الثقة باستظهار السنة وحفظها في الصدور ، وهو يرمى أيضاً إلى
وصم السنة كلها بالاختلاق والوضع على ألسنة المدونين ، وهو يزعم أن
هؤلاء المدونين لم يجمعوا من الأحاديث إلا ما يوافق هواهم ، ويرى شبرنجر
في كتابه (الحديث عند العرب) أن الشروع في التدوين وقع في القرن
الهجري الثاني وأن السنة انتقلت بطريق المشافهة ، أما دوزي فهو ينكر نسبة
هذه (التركة المجهولة) من الأحاديث إلى الرسول" (٦).

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٥٧٠/٢ .

(٢) يأتي تخريج الحديث والكلام عنه .

(٣) الحديث سبق تخريجه . انظر ص : ٢٧٥-٢٧٦

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٥٧١/٢-٥٧٢ .

(٥) السنة ومكانتها في التشريع ص ٢٠٣ .

(٦) الإسلام والمستشرقون ص ٢٢٠-٢٢١ .

الجواب على ذلك :

(أ) الأحاديث الدالة على الأمور الغيبية :

لقد اختص سبحانه بعلم الغيب ونفى ذلك عن جميع الخلق فقال : "قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون" (١). ولذا نفاه عن نفسه أول رسل الله في الأرض ، نوح عليه السلام (٢)، في قوله : {ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك} (٣) الآية ، كما نفاه خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم عن نفسه ، في قوله : {قل لأملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون} (٤). ولكنه سبحانه يطلع رسله على ما شاء من غيبه تصديقا لهم . كما قال سبحانه : {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً . ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً} (٥). قال القرطبي رحمه الله :

"أى لا يظهر على غيبه إلا من ارتضى أى اصطفى للنبوة ، فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه ليكون ذلك دالاً على نبوته" (٦).

ومن هنا فإن الأحاديث التي تدل على الغيب من أقوى الأدلة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه نبي من عند الله يوحى إليه . ولما كان جوينيل لا يريد أن يسلم بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، طعن في

(١) سورة النمل : آية ٦٥

(٢) لا يقصد من هذا نفى رسالة آدم عليه السلام ، وإنما ذكر نوح لأنه أول رسل الله إلى أهل الشرك .

(٣) سورة هود : آية ٣١

(٤) سورة الأعراف : آية ١٨٨

(٥) سورة الجن : آية ٢٦-٢٨

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٢٨/١٩ .

ذلك النوع من الأحاديث وزعم بأنها مكذوبة ، لأنه يلزم من صحتها صدق النبوة (١).

وأحاديث الغيب المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالأسانيد الصحيحة تفوق درجة التواتر في جملتها ، ويبلغ الكثير منها التواتر بمفرده كأحاديث الدجال . والمسلمون لم يتلقوا تلك الأحاديث جزافاً وإنما فحصوها فحصاً دقيقاً ، وعرفوا الصحيح من السقيم فيها ، وماتبين وضعه ألحقوه بالكتب التي تبين الموضوعات ، وماصح منها سلموا به وصدقوا بما فيه (٢).

(ب) الأحاديث التي تدل على التجسيم :

زعم جولد زيهر أن المتكلم السني لم يستطع أن يسلك طريقة المعتزلة في تأويل القرآن ورد الأحاديث، ولهذا نجم التجسيم في الأحاديث .
يجاب على زعمه: بأن السني لم يسلك تلك الطريقة لفسادها وضلالها وانحرافها عن الصراط المستقيم ، وقد سبق الرد على منهج المعتزلة في ذلك .
كما بين هناك أمر التجسيم ، وأنه شيء مبتدع لاعهد للسلف به ، وإنما هو من تخرصات المبتدعة ورميهم لأهل السنة بما هم منه براء ، وهى نفس الفرية التي يرددها هذا المستشرق ومن شايعه من فرق أهل الابتداع .
وذكرنا أن نصوص القرآن والسنة لا تدل على تجسيم ، ولا تشبيه ولا تمثيل وإنما ذلك أمر خيم على عقول أولئك القوم لعجزهم عن فهم صفات الله تعالى فهماً سليماً ، وفاز بذلك أهل السنة والجماعة أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم (٣).

(١) انظر : دائرة المعارف الإسلامية ٣٣٣/٧ الهامش .

(٢) انظر : منهج النقد في علوم الحديث ص ٤٤٨-٤٤٩ .

(٣) انظر ص : ١٤١ فما بعدها ، ١٥٤٦ فما بعدها .

وأما الحديث الذى استدل به ، فقد رواه البخارى (١) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "يتزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعونى فاستجب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له " . قال ابن عبد البر :

"وهو حديث منقول من طرق متواترة ، ووجوه كثيرة ، من أخبار العدول ، عن النبى صلى الله عليه وسلم" (٢) . وقال الشيخ عبد الله الغنيان :

"وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها ، فى كل زمان ، على الإيمان بهذا الحديث وتلقيه بالقبول ، كما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قاله علانية ، وبلغه الأمة تبليغاً عاماً ، لم يخص به واحداً دون الآخر . وكان الصحابة وأتباعهم يذكرونه ، ويروونه ، ويبلغونه تبليغاً عاماً . ولهذا ثبت فى عامة كتب الإسلام ، فمن أنكره ، أو زعم أنه لا يجوز ذكره عند عامة الناس ، أو تأوله على غير ظاهره ، فهو ضال ، سالك غير

(١) صحيح البخارى ، كتاب التهجد (١٩) ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل (١٤) ٤٧/٢ .

والحديث متواتر . وممن ألف فيه الإمام الدارقطنى رحمه الله ، وذكر له من رواه اثني عشر صحابياً .

وقال ابن القيم : "إن نزول الرب تبارك وتعالى قد تواترت الأخبار به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه عنه ثمانية وعشرون نفساً من الصحابة" . مختصر الصواعق المرسله ص ٤٢٣ .

وانظر بعض طرق الحديث عن أبى هريرة فى :

صحيح البخارى ، كتاب الدعوات (٨٠) ، باب الدعاء نصف الليل (١٤) ، ١٤٩/٧-١٥٠ ، وفى كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى : {يريدون أن يدلوا كلام الله} (٣٥) ، ١٩٧/٨ .

صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) ، باب الترغيب فى الدعاء والذكر فى آخر الليل (٢٤) برقم ٧٥٨ ، ٥٢١/١-٥٢٣ .

(٢) التمهيد ١٢٨/٧ .

سبيل المؤمنين ، في ذلك .

ومن زعم أنه يدل على ما يجب أن ينزه الله عنه ، من النقص المنافي
لكماله ، فقد أتى من فهمه الخاطيء ، وسوء ظنه بالله العظيم . فإن وصف
الله - تعالى - بالتزول كوصفه بغيره من الصفات ، مثل الاستواء والفوقية ،
والمجىء ، والرضا والغضب ، وغير ذلك مما وصف تعالى به نفسه ووصفته
به رسله ، يجب أن يؤمن به كله على وتيرة واحدة ، إيماناً بلا تمثيل ،
ولا تعطيل ، ولا تحريف ولا تأويل ^(١).

فالحديث ثابت لامطعن في صحته ولا معناه ، ولا يدل على تجسيم ،
ولا يحتاج إلى تأويل ، وقد دل على مثله القرآن وآمن بذلك أهل الإيمان .
قال الإمام أبو سعيد الدارمي رحمه الله :

"فما يعتبر به من كتاب الله عز وجل في التزول ، ويحتج به على من
أنكره قوله - تعالى - {أهل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام
والملائكة} ^(٢)، وقوله تعالى : {وجاء ربك والملك صفاً صفاً} ^(٣)، وهذا يوم
القيامة ، فالذى يقدر على التزول يوم القيامة من السموات كلها ، للفصل
بين عباده ، قادر أن يتزل كل ليلة إلى السماء الدنيا .

فإن ردوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في التزول ، فماذا
يصنعون بقول الله عز وجل ^(٤).

ثم أورد عدداً من أحاديث التزول ثم قال :
"فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب - تبارك
وتعالى - وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا ،
لا ينكرها منهم أحد ، ولا يمتنع من روايتها ^(٥).

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى ٣٥٥/٢ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢١٠

(٣) سورة الفجر : آية ٢٢

(٤) رد عثمان بن سعيد على الجهمية ص ٢٨٤ بتصرف . ضمن عقائد السلف .

(٥) المرجع السابق ص ٢٩١ .

وأقوال أهل العلم في إثبات أحاديث صفة الزول لله والرد على من أنكرها ، وبيان معناها ، ونفى التجسيم والتشبيه عنها ، كثيرة جداً ، لايسعها هذا المقام^(١).

(ج) الأحاديث المتضمنة أخطاء تاريخية :

الذى يطلع في دواوين السنة وخاصة الصحيحين يجد حشداً ضخماً من الأحاديث النبوية التى تشير إلى وقائع وأحداث تاريخية ماضية كقصص الأنبياء والأمم السابقة وبدء الخلق ، كما أن هنالك كثيراً من الأحاديث التى تدل على أمور تحدث فى المستقبل كأحاديث الفتن وغيرها .

وكثير من هذه الأحاديث صحيح وثابت تلقته الأمة بالقبول وصدقت بما جاء فيه وآمنت بكل ذلك . لأن الذى نطق بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لاينطق عن الهوى {إن هو إلا وحى يوحى}{^(٢).

وقد اعتمد علماء الأمة على تلك الأحاديث فى بيان الحقائق التاريخية وإثباتها ، بل تعتبر عندهم من أقوى الأدلة بعد القرآن الكريم ، ولذلك ملئت بها كتب السير والتاريخ ، وحكموها فى كثير من أخبار أهل الكتاب ، فقبلوا منها ماأيده الأحاديث النبوية ، وردوا منها ماخالفته ، وتوقفوا فيما لم يرد شاهد من القرآن أو السنة عليه .

قال الحافظ ابن حجر فى بيان معنى قوله صلى الله عليه وسلم : "لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم"^(٣) قال :

(١) انظر : عقيدة أصحاب الحديث للصابونى ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١١٢/١ ،

مجموع الفتاوى ٥/٣٥٢، ٤٠٩، ٥٧٨ ، ولشيخ الإسلام كتاب لطيف مفرد فى ذلك .

(٢) سورة النجم : آية ٤

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه معلقاً من حديث أبى هريرة ، كتاب الشهادات (٥٢) باب لايسأل أهل الشرك عن الشهادة (٢٩) ، ١٦٣/٣ .

وأخرجه موصولاً عنه رضى الله عنه فى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة البقرة

(٢) ، باب {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا} (١١) ، ١٥٠/٥ ، وفى كتاب الاعتصام

(٩٦) ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : "لاتسألوا أهل الكتاب عن شىء"

"أى إذا كان ما يخبروكم به محتملاً لئلا يكون في نفس الأمر صدقاً فتكذبوه ، أو كذباً فتصدقوه فتقعوا في الحرج . ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه" (١).

فقول ماكدونالد إن الأحاديث لا تبني عليها الحقائق التاريخية ، وإنها سجل مضطرب كثير الأغلاط التاريخية ، قول متهافت سار ركب أهل الإسلام على خلافه . وقد كان أصحابه صلى الله عليه وسلم يستندون في ذكر الحقائق التاريخية وتصويبها على ما جاء في كتاب الله ومانص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى البخارى بسنده إلى سعيد بن جبير (٢) قال : قلت لابن عباس إن نوباً البكالى (٣) يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بنى إسرائيل إنما هو موسى آخر ، فقال : كذب عدو الله ، حدثنا أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم : "أن موسى قام خطيباً فى بنى إسرائيل ... " الحديث (٤).

= وفى كتاب التوحيد (٩٧) ، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها (٥١) ، ٢١٣/٨ .

(١) فتح البارى ١٧٠/٨ .

(٢) سعيد بن جبير :

هو سعيد بن جبير الأسدى مولاهم ، الكوفى ، ثقة ثبت فقيه ، روى عن ابن عباس وعبد الله بن مغفل . وعنه الأعمش وأبو بشر . قتل بين يدى الحجاج سنة ٩٥ هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٩/٤-١٠ ، الكاشف ١/٣٥٦-٣٥٧ ، تقريب التهذيب ٢٩٢/١ .

(٣) نوف البكالى :

هو نوف بن فضالة البكالى ، ابن امرأة كعب ، شامى مستور . وإنما كذب ابن عباس مارواه عن أهل الكتاب . روى عنه أبو إسحاق الهمدانى وخالد بن صبيح مات بعد التسعين .

انظر : الجرح والتعديل ٨/٥٠٥ ، تقريب التهذيب ٢/٣٠٩ .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام (٢٧) ، ١٢٧/٤ .

وأخرجه بلفظ مقارب فى كتاب العلم (٣) ، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أى الناس أعلم فيكل العلم إلى الله (٤٤) ، ٣٨/١ .

فقد استدل ابن عباس رضى الله عنهما على صدق الخبر وحقيقته بحديث النبي صلى الله عليه وسلم وكذب بذلك نوفاً ، وتلك حقيقة تاريخية دل عليها الحديث .

بل كانوا رضى الله عنهم يلجؤون إلى الأحاديث في فض النزاع إذا اختلفوا في حقيقة تاريخية كما يلجؤون إليها في الأحكام .

روى البخارى بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهما أنه تمارى هو والحر بن قيس الفزارى فى صاحب موسى ، قال ابن عباس هو خضر ، فمر بهما أبى بن كعب ، فدعاه ابن عباس فقال : "إنى تماريت أنا وصاحبى هذا فى صاحب موسى الذى سأل السبيل إلى لقيه هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه؟ قال : نعم . سمعت رسول الله يقول : "بينما موسى فى ملأ من بنى إسرائيل جاءه رجل . فذكر الحديث ، وفيه "بلى عبدنا خضر" (١).

وأما زعم جوينبل أنه سلم على وجه عام بصحة كثير من الأحاديث التى تتضمن أخطاء تاريخية شديدة الوضوح ، ولم يرفض شىء منها إلا ما كان يتعارض مع ماوقع الإجماع على صحته ، زعم يحتاج إلى مايسنده به

= وفى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة الكهف (١٨) ، باب {وإذ قال موسى لفته لأبرح حتى أبلغ مجمع البحرين} (٢) ، ٢٣٠/٥ . وباب قوله : {فلما جاوزا قال لفته آتنا غدائنا} (٤) ، ٢٣٤/٥ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظ مقارب ، كتاب الفضائل (٤٣) ، باب من فضائل الخضر عليه السلام (٤٦) برقم ٢٣٨٠ ، ١٨٤٧/٤ .

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام (٢٧) ، ١٢٦/٤ - ١٢٧ .

وأخرجه بلفظ مقارب ، فى كتاب العلم (٣) ، باب ماذكر فى ذهاب موسى فى البحر إلى الخضر عليهما السلام (١٦) ، ٢٦/١ ، وفى باب الخروج فى طلب العلم (١٩) ، ٢٧/١ ، وفى كتاب التوحيد (٩٧) ، باب فى المشيئة والإرادة (٣١) ، ١٩٣/٨ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظ مقارب فى كتاب الفضائل (٤٣) ، باب من فضائل الخضر عليه السلام (٤٦) ، ١٨٥٢/٤ - ١٨٥٣ .

ولن يجد لذلك سبيلاً ، فأين هذه الأحاديث التي تتضمن أخطاء تاريخية شديدة الوضوح ؟ كان عليه أن يورد مثلاً واحداً لنناقشه فيه ، ولكنه لم يفعل فدل ذلك على بطلان دعواه .

ثم الحديث حجة بنفسه في جميع أمور الدين لا يحتاج إلى مايسنده من إجماع أو غيره . وقد سبقت الأدلة على ذلك في حجية السنة (١) . ولا يمكن أن ننكر أن هنالك أحاديث موضوعة تحمل بين طياتها أخطاء تاريخية ، ولكن ليس عليها الاعتماد ، وقد كشف عن حالها نقاد الأحاديث فهي مدونة معلومة .

(د) الأحاديث المتناقضة :

لقد سبق أن بينا أن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكنها أن تتناقض أبداً ، وما يظهر فيه التعارض وفق بينه العلماء بطرق معلومة (٢) . كما بين العلماء أسباب الاختلاف وأوضحوها ، فما كان سببه الوضع بينوه ، وما لم يكن سببه الوضع بينوه أيضاً ، فالادعاء بأن وجود الأحاديث المختلفة كلها دليل على الوضع ادعاء باطل وزعم فاسد (٣) .

وكون أهل الأهواء والبدع وأصحاب الخلافات العقائدية والسياسية وضعوا أحاديث للنيل من بعضهم بعضاً ، والطعن في بعضهم بعضاً ، وأدى ذلك إلى وقوع التنازع والاختلاف بينهم . لا يضر ذلك الأحاديث الصحيحة الثابتة ، ولا يحكم بسبب ذلك على كل الأحاديث بهذا الحكم الجائر المنحرف وقد بينت تلك الأحاديث وغصت بها كتب الموضوعات ، ولا أظن أن ذلك يخفى على المستشرقين وخاصة جولد زيهر الذي عرف بكثرة اطلاعه ، ولكن الهوى يعمى ويصم ، وخاصة إذا شيب هذا الهوى بسوء القصد .

(١) انظر ص ٨٠ فما بعدها .

(٢) انظر ص ٤٦٤٠ فما بعدها .

(٣) انظر : السنة ومكانتها في التشريع ص ٢٠٤ .

والأحاديث الصحيحة الثابتة لا يمكن أن تكون مادة للتنازع وهى الحكم الذى يفض التنازع بين الناس ويؤلف بين قلوبهم ، كما قال سبحانه {ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً} (١).

قال العلامة ابن كثير فى شرح هذه الآية :

"قوله {فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول} قال مجاهد وغير واحد من السلف : أى إلى كتاب الله وسنة رسوله . وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شىء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع فى ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى : {وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله} (٢)، فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ، ولهذا قال تعالى : {إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر} .

أى ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا إليها فيما شجر بينكم {إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر} . فدل على أن من لم يتحاكم فى محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما فى ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر . وقوله {ذلك خير} أى التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، والرجوع إليها فى فصل النزاع خير {وأحسن تأويلاً} أى وأحسن عاقبة" (٣).

فلا يقع التنازع والاختلاف بين الناس إلا عندما يرفضون حكم الكتاب والسنة ، أو تحكيمهما بينهم .

(١) سورة النساء : آية ٥٩

(٢) سورة الشورى : آية ١٠

(٣) تفسير القرآن العظيم ٥١٨/١ . وانظر التبيان فى أقسام القرآن ص ٣١١-٣١٢ .

ومثل ماكدونالد على التناقض بأن هنالك أحاديث تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرضى عن الجدل في الدين وأخرى تصوره مقبلاً عليه إقبالا شديداً .

ويجاب على هذا :

أولاً : إن ماكدونالد لم يذكر لنا تلك الأحاديث لنرى صدق قوله وحقيقته . وأما إطلاقه للكلام هكذا على عواهنه ينافي المنهج العلمى الدقيق الذى يدعيه هؤلاء المستشرقون .

ثانياً : لو سلمنا بوجود تلك الأحاديث فعلاً ، ثم سلمنا بصحتها جميعاً ، لما وجد ماكدونالد فى ذلك حجة يستند إليها . وبرهان ذلك :

إن الجدل فى دين الله عز وجل منه مالا يجوز شرعاً ، ومنه ما هو جائز .

فمثال الجدل الممنوع فى دين الله ، أن يجادل الإنسان بغير علم ولا عقل صحيح ، ولادليل واضح ، بل يجادل بمجرد الرأى والهوى كما قال سبحانه : {ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير} (١) . ومن ذلك أن يجادل الإنسان بالباطل ليرد الحق ، وبالشبه الفاسدة ليرد الحجج الصحيحة ، وليس عنده حجة من الله تعالى كما قال سبحانه : {إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم إن فى صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه} (٢) . وفى الآية الأخرى : {الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار} (٣) .

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ٢٠٨/٣ . والآية هى (٨) من سورة الحج .

(٢) سورة غافر : آية ٥٦

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ص ٨٤،،٧٩ ، والآية هى (٣٥) من سورة غافر .

ومن ذلك أن يضرب الناس آيات الله بعضها ببعض ، فيورد هذا آية ويردها الآخر بآية أخرى ، فهذا جدال ومراء نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : "لقد جلست أنا وأخى مجلساً ما أحب أن لى به حمر النعم ، أقبلت أنا وأخى ، وإذا مشيخة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس عند باب من أبوابه ، فكرهنا أن نفرق بينهم ، فجلسنا حجرة (١) ، إذ ذكروا آية من القرآن ، فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضباً ، قد احمر وجهه يرميهم بالتراب ، ويقول : "مهلاً يا قوم! بهذا أهلكتم الأمم من قبلكم ، باختلافهم على أنبيائهم ، وضربهم الكتب بعضها ببعض ، إن القرآن لم يتزل يكذب بعضه بعضاً ، بل يصدق بعضه بعضاً ، فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه" (٢).

(١) فجلسنا حجرة : أى ناحية منفردين .

انظر : النهاية ٣٤٢/١ .

(٢) أخرج ابن ماجه فى سننه نحوه فى المقدمة ، باب فى القدر (١٠) برقم ٨٥ ، ٣٣/١ .

قال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "حسن صحيح" . صحيح ابن ماجه ٢١/١ . وأخرجه أحمد فى مسنده بلفظه ١٨١/٢ .

وبنحو منه ١٩٦-١٩٥، ١٨٥، ١٧٨/٢ .

قال الشيخ أحمد محمد شاکر : "إسناده صحيح" . مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاکر ١٧٤/١٠ .

وصححه الشيخ ناصر الدين الألبانى . انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠١ فى الهامش .

وأخرج عبد الرزاق نحوه فى مصنفه ، باب الخصومة فى القرآن برقم ٢٠٣٦٧ ، ٢١٧-٢١٦/١١ .

وأخرج البخارى نحوه فى خلق أفعال العباد برقم ٢١٨ . قال المحقق : "إسناده حسن" ص ٧٠-٧١ .

وأورد نحوه الآجرى فى الشريعة ص ٦٨ ، والبغوى فى شرح السنة ، باب الخصومة فى القرآن برقم ١٢١ .

قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : "إسناده حسن" ٢٦٠/١ . =

ومن الجدال الجائر شرعاً ما كان بوجه حسن مؤيد بالبرهان والدليل ،
 مصحوب بالرفق واللين وحسن الخطاب كما قال سبحانه :
 { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي
 أحسن } (١) .

وقوله : { ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا
 منهم } (٢) (٣) .

وقوله : " وربما كان النوع الأول من هذه الأحاديث - أى التى تدل
 على عدم رضا النبي صلى الله عليه وسلم بالجدل فى الدين - قد وضعه
 الذين ظلوا مدة طويلة يرفضون تحكيم العقل فى هذه الأمور ، ويقتنعون بما
 يصل إليهم عن طريق النقل " . قول زائف واتهام باطل ، فمن هؤلاء الذين
 يرميهم بالوضع ويتهممهم به غير أهل الحديث وسلف هذه الأمة ، والطائفة
 المنصورة ، التى لا تقدم على نصوص الكتاب والسنة عقلاً ولا رأياً مهما كان
 صاحبه ؟ فقد اعتصموا بنصوص الوحى وعظموها أيما تعظيم وأجلوها غاية
 الإجلال ، فمثلهم لا يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أولى
 الناس بالدفاع عنه والذب عن حياضه ، والذود عن سنته ، وبذلك استحقوا
 لقب أهل الحديث ، ولا زالوا والحمد لله يرفضون تحكيم العقل فى النصوص
 وهم حرب على من فعل ذلك .

= والحديث له أصل فى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه ولفظه :
 قال عبد الله : " هجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً . قال : فسمع
 أصوات رجلين يختلفان فى آية ، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يعرف فى وجهه الغضب ، فقال : " إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب "
 كتاب العلم (٤٧) ، باب النهى عن اتباع متشابه القرآن ، والتحذير من متبعيه ،
 والنهى عن الاختلاف فى القرآن (١) برقم ٢٦٦٦ ، ٢٠٥٣/٤ .

(١) سورة النحل : آية ١٢٥

(٢) سورة العنكبوت : آية ٤٦

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ٥٩١/٢ .

ومثل على التناقض أيضا بالحديث الذى أخرجه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتى سبقت غضبى" (١). وفى رواية "تغلب غضبى" (٢).

وحديث عبد الرحمن بن قتادة السلمى مرفوعاً : "إن الله عز وجل خلق آدم ، ثم أخذ الخلق من ظهره ، وقال : هؤلاء إلى الجنة ولأبألى ، وهؤلاء إلى النار ولأبألى ، فقال قائل : يارسول الله فعلى ماذا نعمل ؟ قال : على مواقع القدر" (٣).

وزعم أنه بسبب هذه الأحاديث الموضوعية المتناقضة اشتد التناقض فى صفات الله .

وبحمد الله فإن الحديثين لاتناقض بينهما البتة ، ويبان ذلك :
أما الحديث الأول فهو يبين سعة فضل الله ورحمته على عباده ، وأن رحمته سبحانه سابقة وغالبة لغضبه ، لأن رحمته تعم كل شىء من الخليقة فما من مخلوق إلا وصل إليه رحمته وفضله وإحسانه كما قال سبحانه :

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب {وكان عرشه على الماء} (٢٢) ١٧٦/٨ ، ولفظ مقارب ، فى باب {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين} (٢٨) ، ١٨٨-١٨٧/٨ . وفى باب قول الله تعالى : {بل هو قرآن مجيد} (٥٥) ، ٢١٦/٨ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ، بلفظ مقارب ، كتاب التوبة (٤٩) ، باب فى سعة رحمة الله تعالى (٤) برقم ٢٧٥١ ، ٢١٠٨/٤ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى : {ويحذركم الله نفسه} (١٥) ، ١٧١/٨ .

وأخرجه بلفظ : "إن رحمتى غلبت غضبى" فى كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب ماجاء فى قول الله تعالى : {وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه} (١) ، ٧٣/٤ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب التوبة (٤٩) ، باب فى سعة رحمة الله تعالى (٤) ، برقم ٢٧٥١ ، ٢١٠٧-٢١٠٨/٤ .

(٣) سبق تخريجه انظر : ٢٧٥-٢٧٦

{ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً} (١)، ولا ينفى ذلك الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة .

فتلك تتعلق بالمؤمنين لقوله : {ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ...} (٢) الآية . وقال الحافظ ابن حجر في معنى الحديث :

"تعلق الرحمة غالب سابق على تعلق الغضب . لأن الرحمة مقتضى ذاته المقدسة وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث" . وقال : "وقيل معنى الغلبة الكثرة والشمول ، تقول غلب على فلان الكرم أى أكثر أفعاله" .

ثم نقل عن الطيبي أنه قال : "في سبق الرحمة إشارة إلى أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب وأنها تنالهم من غير استحقاق وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق ، فالرحمة تشمل الشخص جنيئاً ورضيعاً وفطيماً وناشئاً قبل أن يصدر منه شيء من الطاعة ، ولا يلحقه الغضب إلا بعد أن يصدر منه شيء من الذنوب ما يستحق معه ذلك" (٣) .

وأما الحديث الثانى فقد سبق شرحه (٤) وملخص ذلك :

إن الله ليس كمثله شيء ، فأخذ من الخلق بعلمه وعدله وحكمته من علم أنه سيطيعه فأدخله الجنة ، وأخذ منهم من علم أنه سيعصيه ولا يطيعه فأدخله النار .

فمن أخذهم إلى الجنة هم الذين يستحقون رحمته الخاصة ، ومن أخذهم إلى النار لما علم من عدم استحقاقهم لذلك .
فأين التناقض المزعوم؟ إنه شيء في أذهان أولئك البشر لاحقيقة له أبداً .

(١) سورة غافر : آية ٧

(٢) انظر : الكواشف الجليلة ص ٢٠١، ٢٠٠ ، والآية هي (١٥٦) من سورة الأعراف .

(٣) فتح البارى ٢٩٢/٦ .

(٤) انظر ص : ٢٧٦

(هـ) تأخر التدوين :

لقد أراد المستشرقون بمزاعمهم حول التدوين أن يعضدوا تشكيكهم في صحة الحديث ، ويؤيدوا قولهم بوضعه أو بوضع معظمه ، والذي يتبع ما وجد في دواوين السنة يجزم بأنه لم يخل عصر من عصور المسلمين من كتابة الحديث وتقويده . بدءاً بعصر النبي صلى الله عليه وسلم فما بعده .

بل الروايات بالأسانيد الثابتة التي تدل على كتابة الحديث في عصره صلى الله عليه وسلم تبلغ درجة التواتر^(١).

فقد أذن صلى الله عليه وسلم لبعض صحبه بالكتابة ، وأمر بعضهم بها من ذلك :

- (١) روى البخارى وغيره من حديث أبى هريرة ، وفيه: إن رجلاً من أهل اليمن قال : اكتب لى يارسول الله ، فقال : "اكتبوا لأبى فلان"^(٢).
- (٢) وأخرج من حديث وهب بن منبه^(٣) عن أخيه^(٤) قال : سمعت أبا هريرة يقول :

- (١) انظر : منهج النقد فى علوم الحديث ص ٤٢، ٤١، ٣٣ .
- (٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب العلم (٣) ، باب كتابة العلم (٣٩) ، ٣٦/١ ، وفى كتاب اللقطة (٤٥) ، باب كيف تعرف لقطه مكة (٧) ، ٩٤/٣-٩٥ ، وفى كتاب الديات (٨٧) ، باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين (٨) ، ٣٨/٨-٣٩ ، ولفظه فى الموضوعين الأخيرين : "اكتبوا لأبى شاه" .
- وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الحج (١٥) ، باب تحريم مكة وصيدها (٨٢) برقم ١٣٥٥ بلفظ : "اكتبوا لأبى شاه" ٩٨٨/٢-٩٨٩ .
- (٣) وهب بن منبه :
- هو وهب بن منبه بن كامل اليماني ، أبو عبد الله الأبنواى . ثقة . وقال الذهبي "إخبارى ، علامة ، قاص ، صدوق ، صاحب كتب" . روى عن ابن عباس وابن عمر . وعنه آله ، وسماك بن الفضل . مات سنة بضعة عشرة ومائة .
- انظر : الجرح والتعديل ٢٤/٩ ، الكاشف ٢٤٥/٣ ، تقريب التهذيب ٣٣٩/٢ .
- (٤) أخوه :

هو همام بن منبه بن كامل الصنعاني ، أبو عنبه ، ثقة . روى عن أبى هريرة ومعاوية . وعنه ابن أخيه عقيل بن معقل ومعمار . مات سنة ١٣٢هـ على الصحيح انظر : الجرح والتعديل ١٠٧/٩ ، الكاشف ٢٢٥/٣ ، تقريب التهذيب ٣٢١/٢ .

"ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب" (١).

وعبد الله بن عمرو رضى الله عنهما كان قد استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يكتب بيده ماسمعه منه فأذن له (٢).

وهو القائل : "كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا : أكتب كل شيء ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأومأ بأصبعه إلى فيه فقال : اكتب فوالذى نفسى بيده ما يخرج منه إلا حق" (٣).

(٣) قال أبو جحيفة (٤) قلت لعلى : هل عندكم كتاب؟ قال : لا إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما فى هذه الصحيفة ، قال : قلت وما فى هذه الصحيفة؟ قال :

(١) سبق تخريجه . انظر ص : ٥٣٣

(٢) انظر : فتح البارى ٢٠٧/١ .

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه ، كتاب العلم ، باب فى كتابة العلم برقم ٣٦٤٦ ، ٣١٨/٣ .

والدارمى فى سننه ، المقدمة ، باب من رخص فى كتابة العلم ١٢٥/١ .

وأحمد فى مسنده ١٩٢، ١٦٢/٢ ، وأخرج نحوه ٢١٥/٢ .

والحاكم فى مستدركه ، كتاب العلم ١٠٥/١-١٠٦ .

وانظر : تقييد العلم ص ٨٣، ٧٤ ، جامع بيان العلم ٨٥/١ .

وقال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "صحيح" . صحيح الجامع ٣٨٥/١ ، صحيح سنن

أبى داود ٦٩٥/٢ ، السلسلة الصحيحة برقم ١٥٣٢ .

(٤) أبو جحيفة :

اسمه وهب بن عبد الله السوائى ، ويقال له وهب الخير . صحابى معروف صحب علياً .

تقريب التهذيب ٣٣٨/٢ .

"العقل ، وفكاك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر" (١).

ومن ذلك :

كتبه صلى الله عليه وسلم للملوك والعظماء يدعوهم فيها إلى الإسلام وكتبه إلى أمرائه وعماله في شئون الأقاليم وأحوالها ، وفي أحكام الدين (٢) فقد كتب إلى كسرى (٣) ، وهرقل ، والمقوقس (٤) ، وغيرهم (٥).

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب العلم (٣) ، باب كتابة العلم (٣٩) ، ٣٦/١ . وأخرج نحوه فى كتاب الجزية (٥٨) ، باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة (١٠) ، ٦٧/٤ ، وفى كتاب الفرائض (٨٥) ، باب إثم من تبرأ من مواليه (٢١) ، ١٠/٨ . وأخرج مسلم فى صحيحه نحوه ، كتاب الحج (١٥) ، باب فضل المدينة (٨٥) برقم ١٣٧٠ ، ٩٩٤/٢ - ٩٩٥ .

قال ابن الأثير : "العقل : فهو الدية . وأصله : أن القاتل كان إذا قتل قتيلا جمع الدية من الإبل فعلقها بفناء أولياء المقتول ، أى شدها فى عُقلها ليسلمها إليهم ويقبضوها منه ، فسميت الدية عقلا بالمصدر" . النهاية ٢٧٨/٣ .

(٢) انظر : منهج النقد فى علوم الحديث ص ٣٩-٤٠ .

(٣) كسرى :

لقب لملوك الفرس . والمراد كسرى ابرويز بن هرمز ، وكان من أشد ملوك الفرس بطشا ، وأنفذهم رأيا ، وكان صاحب بأس ونجدة . وهو الذى أرسل إليه النبى صلى الله عليه وسلم خطابا مع عبد الله بن حزافة السهمى ، وقيل مع شجاع بن وهب ، فمزقه ، فدعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم بتمزيق ملكه فمزق وقد سلط الله عليه ابنه شيرويه فقتله .

انظر : الكامل فى التاريخ ٤٧٢/١ - ٤٩٧ ، البداية والنهاية ٢٦٨/٤ .

(٤) المقوقس :

هو لقب لمن ملك الاسكندرية . والمراد به هنا جريج بن ميناء القبطى . صاحب مدينة الاسكندرية ، وهو الذى بعث إليه النبى صلى الله عليه وسلم كتابا مع حاطب بن أبى بلتعة يدعو به إلى الإسلام ، فأكرم نزل حاطب ، وردده ردا جميلا وبعث معه بهدايا إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

انظر : البداية والنهاية ٢٧٢/٤ .

(٥) انظر : صحيح البخارى ١٣٦/٥ ، ٥٢/٧ - ٥٣ ، صحيح مسلم ١٣٩٧/٣ ، ١٦٥٧ .

- والنصوص في هذا المعنى كثيرة وكلها تفيد الإذن بالكتابة .
- ولا يعكر على هذه الأحاديث التي تدل على جواز الكتابة ما رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه" (١).
- وقد أجاب العلماء عن حديث أبي سعيد بأجوبة منها :
- (١) إنه منسوخ بأحاديث جواز الكتابة .
- ذكر ذلك ابن قتيبة (٢)، والخطابي (٣)، ورجحه الشيخ أحمد محمد شاكر (٤).
- (٢) النهي كان عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط به .
- ذكره الخطابي (٥)، وأورده النووي عن القاضي عياض (٦).
- (٣) النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه والإذن في غير ذلك (٧).
- (٤) النهي خاص بمن خشى منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ ، والإذن لمن أمن منه ذلك (٨).
- (٥) وأعل البخاري وغيره حديث أبي سعيد بالوقف (٩).

-
- (١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزهد والرقائق (٥٣) ، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم (١٦) برقم ٣٠٠٤ ، ٢٢٩٨/٤ .
- (٢) انظر : تأويل مختلف الحديث ص ٢٨٦-٢٨٧ .
- (٣) انظر : مختصر شرح سنن أبي داود ٢٤٦/٥ .
- (٤) انظر : الباعث الحثيث ص ١٢٨ ، مقدمة تحفة الأحوذى ص ٣٩-٤٠ .
- (٥) انظر : شرح مختصر سنن أبي داود ٢٤٦/٥ .
- (٦) انظر : شرح النووي على مسلم ١٣٠/١٨ ، فتح الباري ٢٠٨/١ ، مقدمة تحفة الأحوذى ص ٣٩ .
- (٧) انظر : فتح الباري ٢٠٨/١ ، مقدمة تحفة الأحوذى ص ٣٩ .
- (٨) انظر : فتح الباري ٢٠٨/١ ، مقدمة تحفة الأحوذى ص ٤٠ .
- (٩) انظر : فتح الباري ٢٠٨/١ ، مقدمة تحفة الأحوذى ص ٤٠ .

ورد ذلك الشيخ أحمد محمد شاكر بأنه غير جيد لأن الحديث صحيح (١).

(٦) النهى عام لعدم إتقان الصحابة للكتابة إلا القليل ، والإذن لمن أمن منه الغلط فيما يكتبه كعبد الله بن عمرو (٢).

قال الشيخ أحمد محمد شاكر بعد ذكره للأدلة الدالة على الإذن في الكتابة :

"وهذه الأحاديث مع استقرار العمل بين أكثر الصحابة والتابعين ، ثم اتفاق الأمة بعد ذلك على جوازها ، كل هذا يدل على أن حديث أبي سعيد منسوخ . وأنه كان في أول الأمر حين خيف اشتغالهم عن القرآن ، وحين خيف اختلاط غير القرآن بالقرآن . وحديث أبي شاه في أواخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك إخبار أبي هريرة ، وهو متأخر الإسلام أن عبد الله بن عمرو كان يكتب ، وأنه هو لم يكن يكتب ، يدل على أن عبد الله كان يكتب بعد إسلام أبي هريرة ، ولو كان حديث أبي سعيد في النهى متأخراً عن هذه الأحاديث في الإذن والجواز ، لعرف ذلك عند الصحابة يقيناً صريحاً ، ثم جاء إجماع الأمة القطعي بعد قرينة قاطعة على أن الإذن هو الأمر الأخير ، وهو إجماع ثابت بالتواتر العملي ، عن كل طوائف الأمة بعد الصدر الأول رضى الله عنهم أجمعين" (٣).

وقال الحافظ ابن حجر :

"الأمر استقر والإجماع انعقد على جواز كتابة العلم ، بل على استحبابه بل لا يبعد وجوبه على من خشى النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم" (٤) .

(١) انظر : الباعث الحثيث ص ١٢٧ .

(٢) انظر : تأويل مختلف الحديث ص ٢٨٧ .

(٣) الباعث الحثيث ص ١٢٨ .

(٤) فتح الباري ١/٢٠٤ ، وانظر : السنة قبل التدوين ص ٣٠٨-٣٠٩ ، السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام ص ١٧٠-١٧١ ، الحديث والمحدثون ص ١٢٣-١٢٤ .

ومن هنا فقد قام جملة من الصحابة بكتابة ماسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم كتب ذلك في صحف كالصحيفة الصادقة لعبد الله ابن عمرو بن العاص ، وكصحيفة جابر بن عبد الله وغير ذلك .

وقد ذكر الدكتور عجاج الخطيب جملة كبيرة مما كتبه الصحابة رضى الله عنهم في صدر الإسلام ، ومما كتبه التابعون رحمهم الله كصحيفة همام ابن منبه ، حتى كثرت الكتب بينهم وتفشت (١).

وهناك أمر تجدر الإشارة إليه ، وهو أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يتمتعون بأذهان صافية ، وحوافظ وقادة ، وذكاء مفرط ، ولذلك كانوا يعتمدون على الذاكرة اعتماداً تاماً ، فحفظوا حديث النبي صلى الله عليه وسلم مع حفظهم لكتاب الله ، فكانت صدورهم مستودعاً للحديث استغنوا بها عن استيداعه القراطيس . ومع ذلك كما أسلفنا وجد من يكتب فسار الحفظ والكتابة جنباً إلى جنب (٢).

ثم انتقلت كتابة الأحاديث إلى مرحلة أخرى وهى تدوين الحديث تدويناً رسمياً ليكون مرجعاً يعتمد عليه ويتداوله الناس ، وكان ذلك على رأس المائة الأولى بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، كما أورد ذلك الإمام البخارى ، فإنه قال :

(١) انظر : السنة قبل التدوين ص ٣٤٣-٣٥٧ ، السنة وحجيتها ومكانتها في الإسلام ص ١٧٦-١٧٩ .

(٢) انظر : الحديث والمحدثون ص ١٢٣ ، منهج النقد في علوم الحديث ص ٤٣٠-٤٣٨ ، السنة وحجيتها ومكانتها في الإسلام ص ١٧٣-١٧٨ .

"وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم (١): انظر ماكان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه ، فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولايقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وليفشوا العلم ، وليجلسوا حتى يعلم من لايعلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً" (٢).

وأول من استجاب إليه ابن شهاب الزهري رحمه الله ، كما قال الحافظ ابن حجر :

"وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهري على رأس المائة بأمر عمر ابن عبد العزيز ، ثم كثر التدوين ثم التصنيف ، وحصل بذلك خير كثير" (٣).

وهذا التدوين كما سبق تدويناً رسمياً عاماً لاينفى ماكتبه الصحابة وقيده التابعون من قبل ، إذ أن تقييد الحديث لم ينقطع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن أودع في المؤلفات المختلفة (٤).

ثم اشتد نشاط العلماء في التأليف في النصف الأول من القرن الثاني الهجرى ، وظهرت مصنفات رتبت فيها الأحاديث على الأبواب بعد أن كانت تجمع الأحاديث المختلفة في الصحف والكراريس ثم ظهرت المسانيد والجوامع ثم أفردت الأحاديث الصحاح مرتبة على الأبواب الفقهية (٥).

(١) أبو بكر بن حزم :

هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى البخارى ، المدنى ، القاضى ، اسمه وكنيته واحد ، وقيل إنه يكنى أبا محمد . ثقة عابد . روى عن السائب بن يزيد وخالته عمرة . وعنه ابنه عبد الله ومحمد ، والأوزاعى . مات سنة ١٢٠هـ وقيل غير ذلك .

انظر : الجرح والتعديل ٣٣٧/٩ ، الكاشف ٣١٦/٣ ، تقريب التهذيب ٣٩٩/٢ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب العلم (٣) ، باب كيف يقبض العلم (٣٤) ٣٣/١ . فى الترجمة* .

(٣) فتح البارى ٢٠٨/١ ، وانظر : مقدمة تحفة الأحوذى ص ٤٠ .

(٤) انظر : السنة قبل التدوين ص ٣٣٢ ، منهج النقد فى علوم الحديث ص ٤٢ .

(٥) انظر : السنة قبل التدوين ص ٣٤١-٣٤٢ .

ثم بدأ التأليف للمصنفات الحديثية يتطور ويأخذ في التحسين طبقة بعد طبقة وعصراً بعد عصر حتى بلغ ذروة الكمال ومنتهى الجودة في الاتقان (١).

ثم انتشرت بعد ذلك المؤلفات وتعددت أنواعها ، فما من علم من علوم الحديث أو جانب من جوانبه إلا وفيه من المصنفات ما يعجز الإنسان عن حصره .

وبعد هذا السرد الموجز لأمر التدوين يتضح لنا أن الحديث حفظ منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم في الصدور وكتب بعضه في الصحف ، ثم دون تدويناً عاماً بأمر عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، ثم انتشر التأليف بعد ذلك ، وقد اعتنى به المسلمون اعتناء منقطع النظير في مختلف العصور ، وتنقلت الأجيال حفظاً ودراسة مشافهة ، وعن طريق الكتابة ، وبذل علماء الإسلام غاية الجهد في خدمته ، فمازوا صحيحه من ضعيفه ، وأودعوا ذلك كتباً كانت موضع احترام الأمة وقبولها كالصحيحين (٢) ، فما يدعيه المستشرقون ليس له مثقال ذرة من الصحة ، بل هو ضلال وبهتان ، ودعاوى لم تبين على أساس متين ، ولم تقم على أرض صلبة .

(١) انظر : الحديث والمحدثون ص ٢٤٥ .

(٢) انظر : السنة قبل التدوين ص ٣٨٠ .

(٦) العلماء والوضع :

(أ) التابعون وأصحاب المذاهب :

قال جولد زيهر :

"ولانستطيع أن نعزوا الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها ، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم ، وهذه إما قالها الرسول أو هي من عمل رجال الإسلام القدامى ، ولكن من ناحية أخرى فإنه ليس من السهل تبين هذا الخطر المتجدد عن بعد الزمان والمكان من المنبع الأصلي ، بأن يخترع أصحاب المذاهب النظرية والعملية أحاديث لا يرى عليها شائبة في ظاهرها ، ويرجع بها إلى الرسول وأصحابه .

فالحق إن كل فكرة ، وكل حزب ، وكل صاحب مذهب ، يستطيع دعم رأيه بهذا الشكل ، وأن المخالف له في الرأي يسلك أيضاً هذا الطريق ومن ذلك لا يوجد في دائرة العبادات أو العقائد أو القوانين الفقهية أو السياسية مذهب أو مدرسة لاتعزز رأيها بحديث أو جملة من الأحاديث ظاهرها لاتشوبه أى شائبة" (١).

(ب) الامام الزهري وبنو أمية :

قال زيهر :

"وقد استغل هؤلاء الأمويون أمثال الإمام الزهري بدهائهم في سبيل وضع الحديث" .

وقال : "إن عبد الملك بن مروان (٢) منع الناس من الحج أيام فتنة

(١) العقيدة والشرعة ص ٤٩-٥٠ .

(٢) عبد الملك بن مروان :

هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي ، أبو الوليد المدني ثم الدمشقي . كان فقيهاً واسع العلم ، متعبداً ناسكاً . انتقلت إليه الخلافة بعد موت أبيه فاضبط أمورها وظهر بمظهر القوة . اجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل أبناء الزبير . توفي سنة ٨٦ هـ .

ابن الزبير^(١) وبني قبة الصخرة في المسجد الأقصى ليحج الناس إليها ويطوفوا حولها بدلاً من الكعبة ، ثم أراد أن يحمل الناس على الحج إليها بعقيدة دينية ، فوجد الزهري وهو ذائع الصيت في الأمة الإسلامية مستعداً لأن يضع له أحاديث في ذلك ، فوضع أحاديث ، منها حديث : "لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى"^(٢). ومنها حديث : "الصلاة في المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة في ماسواه"^(٣).

وأمثال هذين الحديثين ، والدليل على أن الزهري هو واضع هذه الأحاديث ، أنه كان صديقاً لعبد الملك وكان يتردد عليه ، وأن الأحاديث التي وردت في فضائل بيت المقدس مروية من طريق الزهري فقط"^(٤). (ج) علماء الحديث والفقهاء :

قال زهير :

"ونظراً لما وقع في أيديهم - أي العلماء - من ذلك - أي من الأحاديث - لم يكن ليسعفهم في تحقيق أغراضهم ، أخذوا يخترعون من

= انظر : تاريخ بغداد ٣٨٨/١٠ - ٣٩١ ، ميزان الاعتدال ٦٦٤/٢ ، سير أعلام النبلاء ٢٤٦/٤ - ٢٤٩ ، البداية والنهاية ٢٦٠/٨ ، ٦١/٩ ، فوات الوفيات ٤٠٢/٢ - ٤٠٤ ، تهذيب التهذيب ٤٢٢/٦ - ٤٢٣ ، تقريب التهذيب ٥٢٣/١ ، الأعلام ١٦٥/٤ . (١) فتنة ابن الزبير :

لما عهد معاوية بالخلافة لابنه يزيد امتنع عبد الله بن الزبير عن مبايعته ، وأوى إلى مكة وبويع له بالخلافة ، وقوى أمره بعد موت يزيد فاستقل بالحجاز واليمن ومصر والعراق وخرسان وبعض الشام .

ولما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان عقب أبيه ، سير الجيوش لقتال ابن الزبير ، بقيادة الحجاج بن يوسف فحوصر في مكة ثم قتل سنة ٧٣ هـ واستوثق الأمر لعبد الملك .

انظر : العبر ٦٠، ٥١/١ ، سير أعلام النبلاء ٣٦٤/٣ .

(٢) الحديث يأتي تخريجه والكلام عنه .

(٣) الحديث يأتي تخريجه والكلام عنه .

(٤) السنة ومكانتها في التشريع ص ١٩١ .

عندهم أحاديث رأوها مرغوباً فيها ولاتنافى الروح الإسلامية ، وبرروا ذلك أمام ضمائرهم بأنهم إنما يفعلون هذا في سبيل محاربة الطغيان والالحاد والبعد عن سنن الدين. "(١).

(١) السنة ومكانتها في التشريع ص ٢٠١ .

الجواب على ذلك :

(أ) التابعون وأصحاب المذاهب :

لقد أثنى الله سبحانه على التابعين بإحسان ، الذين سلكوا مسلك الصحابة رضى الله عنهم وساروا على نهجهم ، وتمثلوا بأخلاقهم ، وزادوا عن حمى الدين ، وبذلوا نفوسهم فى الدفاع والذب عنه ، فقد ترضى سبحانه عليهم كما ترضى على صحابة نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم} (١).

وهم الذين يشنون على الصحابة خيراً ، ويلهجون بالدعاء لهم ، وقد صفت قلوبهم وصدورهم من كل حقد وضغينة لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فعرفوا لهم حقهم وأدوا إليهم ما يجب عليهم ، وما ذلك إلا لإيمانهم الراسخ بهذا الدين وحبهم العظيم لنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ، قال سبحانه فى وصفهم : {والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم} (٢).

ومدحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم خير القرون بعد قرنه وقرن صحابته فقال : "خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" (٣).

وقد اتهمهم جولد زيهـر بالوضع فى الحديث كما اتهم صحابة النبي صلى الله عليه وسلم من قبل بقوله : "أوهى - أى الأحاديث - من عمل

(١) سورة التوبة : آية ١٠٠

(٢) سورة الحشر : آية ١٠

(٣) سبق تخريجه . انظر ص : ٥١٩ - ٥٢٠

رجال الإسلام القدامى" ، ولا شك أنه يدخل في ذلك الصحابة دخولاً أولياً ، كما يدخل التابعون وخاصة الكبار منهم .

وكما نفينا الوضع عن الصحابة الأجلاء ننفيه عن كبار التابعين ، وعلمائهم ، وذلك لقرب عهدهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ، إذ لاتزال القلوب متأثرة بتوجيهاته ، تعمها التقوى ، وتغمرها الخشية والورع ، ووجود الصحابة رضى الله عنهم له أبلغ الأثر في القضاء على الكذب في الحديث ، وقد كانوا بالمرصاد لمن تحدثه نفسه بذلك ، كما أن دواعى الوضع وأسبابه كانت ضيقة محدودة لاتزال في نشأتها الأولى^(١).

قال السخاوى :

"إن احتمال الضعف في الوسطة حيث كان تابعياً - لاسيما الكذب - بعيد جداً ، فإنه صلى الله عليه وسلم أثنى على عصر التابعين وشهد له بعد الصحابة بالخيرية"^(٢).

وقال :

"ولا يكاد يوجد في القرن الأول الذى انقضى في الصحابة وكبار التابعين ضعيف إلا الواحد بعد الواحد كالحارث الأعور ، والمختار الكذاب^(٣) ، فلما مضى القرن الأول ودخل الثانى ، كان في أوائله من

(١) انظر : السنة ومكانتها في التشريع ص ٧٨ ، السنة قبل التدوين ص ١٩٣ ، أصول الحديث ص ٤١٧ .

(٢) فتح المغيث ١٤١/١ .

(٣) المختار :

هو المختار بن أبى عبيد بن مسعود الثقفى ، أبو إسحاق من الزعماء الثائرين على بنى أمية . كان يوالى بنى هاشم ، فلما قام عبد الله بن الزبير بالخلافة عاهده على النصرة ، فبعثه إلى الكوفة ، فقوى أمره ودعا إلى إمارة محمد بن الحنفية ، وتتبع قتلة الحسين بن على فقتلهم ، وقتل عبيد الله بن زياد والى الأمويين ، ثم ادعى النبوة ونزول الوحي عليه ، وكان كذاباً ، فلما علم ابن الزبير بمكره أرسل إليه جيشاً بقيادة أخيه مصعب فقتله في عام ٦٧ هـ .

انظر : أسد الغابة ١٢٢/٥ ، الكامل في التاريخ ٢٦٧، ٢١١/٤ ، سير أعلام النبلاء ٥٣٨/٣ ، البداية والنهاية ٢٨٩/٨ ، الإصابة ٥١٨/٣ - ٥٢٠ ، شذرات الذهب ٧٤/١ الأعلام ١٩٢/٧ .

أوساط التابعين جماعة من الضعفاء الذين ضعفوا غالباً من قبل تحملهم وضبطهم للحديث ، فتراهم يرفعون الموقوف ويرسلون كثيراً ولهم غلط" (١). ولم يقف نقاد الحديث وصيارفته من أولئك مكتوفي الأيدي بل كشفوا حالهم وبينوه ، ودونوا ذلك . فالتابعون رواة الأحاديث أمرهم معلوم وحالهم معروف من حيث العدالة والأمانة ، ومن كان ضعيفاً منهم فحاله بين وأمره واضح لالبس فيه ، وبالتالي ماوضع من حديث أو أخطأ فيه ناقله أيضاً معلوم مدون في الكتب المعتمدة" (٢).

وقد سبق أن ذكرنا جهود التابعين التي بذلت في صيانة الحديث وحفظه من أيدي العابثين (٣)، ومحال أن يوجد بين صفوفهم كذاب أو وضاع ولم يفتضح أمره وتظهر حقيقته ، بل يستحيل أن يوجد من يخطيء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ويسكت عنه أئمة التابعين وعلمائهم ، لأنهم ربوا على أيدي الصحابة رضى الله عنهم ، وحسبك بتلك التربية ، فإنها كافية في غرس كل فضيلة وخصلة حميدة وصفة كريمة في نفوس التابعين .

فرميتهم بالاختلاق والوضع من قبل هذا المستشرق جور وظلم ، وتجنى عليهم رحمهم الله .

وأما أصحاب المذاهب وفي مقدمتهم الأئمة الأربعة رحمهم الله كانوا أعلاماً للأمة ، شرفهم الله بحمل العلم ، والقيام بواجبه ، فتمسكوا بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فهم أئمة هدى ، مكنهم الله في فهم دينه بسبب تقواهم وخلوص نياتهم ، وكدهم واجتهادهم في طلب العلم ، وقد أجمعت الأمة على أمانتهم وعدالتهم (٤).

(١) فتح المغيث ٣/٣٥١ ، الإعلان بالتوبيخ ص ١٦٣ .

(٢) انظر : السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام ص ٢٣٧ .

(٣) انظر ص ، ٤٨٧ في يدها .

(٤) انظر : موقف الأمة من اختلاف الأئمة ص ١١٧ .

وقد كانوا أئمة مجتهدين توفرت عندهم لوازم الاجتهاد وأدواته ، وكان لكل منهم تلاميذ وأتباع ساروا على منهجه وسلكوا مسلكه من غير تقليد ولا تعصب^(١).

وكانوا رحمهم الله على قدر عظيم من احترام سنة النبي صلى الله عليه وسلم والاعتماد عليها بعد كتاب الله ، والاحتجاج بها ، وعدم التقدم بين يديها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :
 "وليُعلم أنه ليس لأحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً يعتمد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من سنته دقيق ولا جليل ، فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ... ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد أن يكون له من عذر في تركه"^(٢).

بل قد جاءت أقوالهم تترى في تمسكهم بالسنة والتزامها . قال أبو حنيفة رحمه الله : "إذا صح الحديث فهو مذهبي"^(٣).

وقال : "إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه ، قال : اتركوا قولي لكتاب الله" فقيل : إذا كان خبر الرسول صلى الله عليه وسلم يخالفه؟ قال : "اتركوا قولي لخبر الرسول صلى الله عليه وسلم"^(٤).

وقال مالك رحمه الله : "إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه"^(٥).

(١) انظر : المرجع السابق ص ٥٤ .

(٢) رفع الملام عن الأئمة الأعلام ص ٤ ، ط / مطبعة السنة المحمدية .

(٣) إيقاظ أولى الأبصار ص ٧٣ ، ط / دار الشعب ١٩٧٧ م .

(٤) المرجع السابق ص ٧١ .

(٥) جامع بيان العلم ٣٩/٢ ، أصول الأحكام لابن حزم ١٤٩/٦ - ١٥٠ .

وقال الشافعي رحمه الله : "كل ماقلته فكان من رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف قولي مما صح ، فهو أولى ، ولا تقلدوني" (١).

وقال : "مامن أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقرب عنه . فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ماقلت ، فالقول ماقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قولي" (٢).

وقال الإمام أحمد : "أنتم أعلم بالحديث والرجال مني فإذا كان الحديث صحيحاً فأعلموني كوفياً كان أو بصرياً أو شامياً حتى أذهب إليه إذا كان صحيحاً" (٣).

وقال أحمد رحمه الله : "ليس أحد إلا يؤخذ من رأيه ويترك ماخلا النبي صلى الله عليه وسلم" (٤).

وقال : "لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا" (٥).

فهذه أقوالهم وغيرها الكثير مما يدل على اهتمامهم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم والتشبه به ، وتعظيمه .

وماوقع بينهم من اختلافات لم تكن في أصول الدين ، وإنما تدور في فلك النصوص ، إثباتاً ونفيًا ، دلالة واحتمالاً ، استدلالاً واستنباطاً (٦).

(١) آداب الشافعي ص ٦٧، ٦٨ ، حلية الأولياء ١٠٦/٩-١٠٧ ، سير أعلام النبلاء ٣٣/١٠ .

(٢) إيقاظ أولى الأبصار ص ١٣٠-١٣١ .

(٣) آداب الشافعي لابن أبي حاتم ص ٩٤-٩٥ .

وانظر : المدخل ص ١٧٢-١٧٣ ، سير أعلام النبلاء ٣٣/١٠ .

(٤) مسائل الإمام أحمد لأبي داود ص ٢٧٦ .

(٥) إيقاظ أولى الأبصار ص ١٤٥-١٤٦ .

(٦) انظر موقف الأمة من اختلاف الأئمة ص ٥٧ .

ولم تكن مبنية على هوى في النفوس ، وتعصب في الرأي حتى يلجأ أحدهم إلى الوضع في الحديث لنصرة مذهبه أو لدحض حجة مخالفه وإنما وجدت لأسباب كثيرة منها : وصول الأحاديث إلى بعضهم دون بعض ، أو وصولها إلى الجميع ولكنها ثبتت عند قوم ولم تثبت عند غيرهم ، أو إنها ثبتت عند الجميع ولكنهم اختلفوا في الاستنباط منها، إلى غير ذلك (١).

وليس بين أسباب تلك الخلافات ، الوضع في الحديث كما يزعم زيهري وإنما ذلك لأسباب علمية عرفها أهل العلم وحصروها ، نعم وقع الوضع من بعض جهلة المذاهب تعصباً لأئمتهم ولبعض آرائهم ، ولكن تلك الأحاديث بينت وفضح أمر واضعيها، ودونت مع أسماء من وضعها في كتب الموضوعات . بل من استند من أئمة المذاهب وأتباعها إلى حديث موضوع أو ضعيف بغير علم ، رد عليه وبين له عدم صحة دليله ، فكيف بمن يضع (٢) يقول الدكتور محمد عجاج الخطيب :

"إن تعميم جولد زيهري لم يبن على دراسة موضوعية للمذاهب الفقهية والعقائدية بل اكتفى بما وجدته عند أهل الأهواء من الأحاديث الموضوعية ، أو بما رآه في كتب بعض أتباع المذاهب الفقهية التي دس فيها بعض الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية ، ثم ألصق هذا بأصحاب هذه المذاهب جرياً وراء هواه ، لدعم رأيه في وضع أكثر الأحاديث" (٣).

(ب) الإمام الزهري وبنو أمية :

لكي نجيب عما ألصقه جولد زيهري بالإمام الزهري رحمه الله وبنو أمية من وضع الحديث ، لابد أن تقدم بين يدي ذلك بمقدمة نتعرف من خلالها على هذا العلم الفذ من حيث علمه وحفظه وثناء أهل العلم عليه .

(١) انظر : رفع الملام ص ٥ فمابعدا ، تدوين السنة ص ٢٥٢ .

(٢) انظر : السنة وحجيتها ومكانتها في الإسلام ص ٢٣٩، ٢٤٠ .

(٣) السنة قبل التدوين ص ٢٥٣ .

عرفه ابن حبان فقال : "محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب الزهرى القرشى ، كنيته أبو بكر ، رأى عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقاً لمتون الأخبار ، وكان فقيهاً فاضلاً روى عنه الناس" (١).

وقال عنه الذهبي (فى سير أعلام النبلاء) : "الإمام العلم ، حافظ زمانه" (٢).

وقال فى تذكرة الحفاظ : "الزهرى أعلم الحفاظ" (٣).

وقال الحافظ ابن حجر :

"الفقيه الحافظ ، متفق على جلالته وإتقانه" (٤).

هذه بعض أقوال علماء الجرح والتعديل فيه ، وقد أثنى عليه كثير من جهابذة العلم وأئمة علم الحديث وبينوا مكانته من هذا الفن ، وأنه بلغ منزلة عظيمة فيه .

قال الليث بن سعد (٥) : "مارأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب ، يحدث فى الترغيب ، فتقول : لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن العرب والأنساب ، قلت : لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن القرآن والسنة ، كان حديثه" (٦).

(١) الثقات ٣٤٩/٥ .

(٢) ٣٢٦/٥ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١٠٨/١ .

(٤) تقريب التهذيب ٢٠٧/٢ .

(٥) الليث بن سعد :

هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى ، أبو الحارث ، المصرى ، ثقة ثبت فقيه ، إمام مشهور ، روى عن عطاء ، وابن أبي ملكية ونافع . وعنه قتيبة ، ومحمد بن ربح . مات سنة ١٧٥ هـ .

انظر : الجرح والتعديل ١٧٩/٧-١٨٠ ، الكاشف ١٣/٣-١٤ ، تقريب التهذيب ١٣٨/٢ .

(٦) سير أعلام النبلاء ٣٢٨/٥ ، وانظر : تذكرة الحفاظ ١٠٩/١ .

وقال أبو الزناد : "كنا نكتب الحلال والحرام ، وكان ابن شهاب يكتب كل ماسمع ، فلما احتيج إليه ، علمت أنه أعلم الناس" (١).
وقال أحمد بن حنبل الإمام : "الزهري أحسن الناس حديثاً ، وأجود الناس إسناداً" (٢).

وقال مالك الإمام : "قدم ابن شهاب المدينة فأخذ بيد ربيعة (٣) ، ودخلا إلى بيت الديوان ، فما خرجا إلى العصر ، فقال ابن شهاب ماظننت أن بالمدينة مثلك ، وخرج ربيعة وهو يقول : ماظننت أن أحداً بلغ من العلم مابلغ ابن شهاب" (٤).

وقال ابن المديني : "دار علم الثقات على ستة ، فكان بالحجاز الزهري وعمر بن دينار (٥) ، وبالبصرة قتادة ، ويحيى بن أبي كثير (٦) ، وبالكوفة

(١) سير أعلام النبلاء ٣٣٢/٥ ، وانظر : تذكرة الحفاظ ١٠٩/١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٣٥/٥ .

(٣) ربيعة :

هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، التيمي مولاهم ، أبو عثمان المدني ، المعروف بريعة الرأي ، واسم أبيه فروخ ، ثقة ، فقيه مشهور . قال ابن سعد : كانوا يتقونه لموضع الرأي . روى عن أنس والسائب بن يزيد وابن المسيب ، وعنه مالك والليث والدروردي . مات سنة ١٣٦هـ على الصحيح .
الكاشف ٣٠٧/١ ، تقريب التهذيب ٢٤٧/١ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٣٤٣/٥ ، وانظر : تذكرة الحفاظ ١١٠/١ .

(٥) عمرو بن دينار :

هو عمرو بن دينار المكي ، أبو محمد الأثرم ، الجمحي مولاهم ، ثقة ثبت . روى عن ابن عباس وابن عمر وجابر . وعنه شعبة والسفيانان ومالك . مات سنة ١٢٦هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٢٣١/٦ ، الكاشف ٣٢٨/٢ ، تقريب التهذيب ٦٩/٢ .
يحيى بن أبي كثير :

(٦) هو يحيى بن أبي كثير الطائي ، مولاهم ، أبو نصر اليمامي ، ثقة ، ثبت ، لكنه يدلّس ويرسل . قال الذهبي : كان من العباد العلماء . روى عن جابر وأبي سلمة وأنس مرسلًا . وعنه هشام الدستوائي وهمام . مات سنة ١٣٢هـ وقيل قبل ذلك .
تاريخ الثقات ص ٤٧٥ ، الكاشف ٢٦٦/٣ ، تقريب التهذيب ٣٥٦/٢ .

أبو إسحاق (١)، والأعمش (٢)(٣).

وهذا غيظ من فيض مما قيل في هذا الإمام الجهمي الذي قل نظيره في سعة العلم ، وقوة الحفظ ، ويكفيه فخراً أنه أول من دون الحديث وكتبه ، كما سبق (٤).

ورمى هذا المستشرق اليهودي الزهري بالوضع لم يشركه فيه أحد من العلماء ، ولم يؤثر عن أحد منهم تشكيك في أمانته وثقته ودينه ، بل كان من الثقة والتثبت والتقوى والورع بمكان عظيم (٥).

ومثله يستحيل أن يستغله الأمويون في وضع الحديث كما يدعى زيهر فما كان يخاف في الحق لومة لائم .

وهذه حادثة تبين جرأته في الحق وعدم سكوته على الباطل مهما كان

قائله :

(١) أبو إسحاق :

هو عمرو بن عبد الله الهمداني ، أبو إسحاق السبيعي ، مكث ، ثقة عابد ، اختلط بآخره ، روى عن جرير ، وعدى بن حاتم ، وزيد بن أرقم وابن عباس . وعنه ابنه يونس وحفيده إسرائيل والسفيانان . مات سنة ١٢٩هـ وقيل قبل ذلك . انظر : الجرح والتعديل ٢٤٢/٦ - ٢٤٣ ، الكاشف ٣٣٤/٢ ، تقريب التهذيب ٧٣/٢ .

(٢) الأعمش :

هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي ، أبو محمد الكوفي الأعمش ، ثقة حافظ ، عارف بالقراءة ، ورع ، ولكنه يدلّس . روى عن ابن أبي أوفى ، وزر ، وأبي وائل ، وعنه شعبة ووکیع . مات سنة ١٤٧هـ أو ١٤٨هـ .

انظر : الجرح والتعديل ١٤٦/٤ - ١٤٧ ، الكاشف ٤٠١/١ ، تقريب التهذيب ٣٣١/١ . سير أعلام النبلاء ٣٤٥/٢ ، وانظر : جامع بيان العلم ٢٠٥/٢ ، تذكرة الحفاظ ١١١/١ .

(٤) انظر : المرجع السابق ٣٣٤/٥ ، وانظر ص ٥٧١ .

(٥) انظر : السنة ومكانتها في التشريع ص ٢١٣ .

قال الشافعى : حدثنا عمى (١) قال : "دخل سليمان بن يسار (٢) على هشام بن عبد الملك (٣) فقال : ياسليمان : من الذى تولى كبره منهم؟ قال : عبد الله بن أبى بن سلول ، قال : كذبت هو على بن أبى طالب . قال : أمير المؤمنين أعلم بما يقول .

فدخل ابن شهاب فقال : يا ابن شهاب من الذى تولى كبره منهم؟ فقال له : عبد الله بن أبى ، فقال له : كذبت هو على بن أبى طالب فقال له : أنا أكذب!! لا أبالك ، فوالله لو نادى مناد من السماء ، أن الله أحل الكذب ،

(١) عم الشافعى :

هو محمد بن على بن شافع المطلبى ، المكى ، وثقه الشافعى . روى عن عبد الله ابن على بن السائب والزهرى ، وعنه سبطه إبراهيم بن محمد ، والشافعى ، ويونس بن محمد .

الكاشف ٨٠/٣ ، تقريب التهذيب ١٩٢/٢ .

(٢) سليمان بن يسار :

هو سليمان بن يسار الهلالى ، المدنى ، مولى ميمونة ، وقيل أم سلمة ، ثقة فاضل أحد الفقهاء السبعة . روى عن مولاته ، وأبى هريرة . وعنه يحيى بن سعيد وربيعه الرأى وصالح بن كيسان . مات بعد المائة وقيل قبلها .

انظر : الجرح والتعديل ١٤٩/٤ ، الكاشف ٤٠٢/١ ، تقريب التهذيب ٣٣١/١ .

(٣) هشام بن عبد الملك :

هو هشام بن عبد الملك بن مروان ، أبو الوليد القرشى الأموى الدمشقى ، الخليفة الأموى . تولى الخلافة بعد أخيه يزيد سنة ١٠٥هـ ، كان حريصاً جماعاً للمال ، عاقلاً حازماً ، سائساً ، فيه ظلم مع عدل ، خرج عليه زيد بن الحسين بن على ، فوجه إليه من قتله . مات سنة ١٢٥هـ .

انظر : الكامل فى التاريخ ٢٦١/٥ ، سير أعلام النبلاء ٣٥١/٥-٣٥٣ ، البداية والنهاية ٣٥١/٩-٣٥٤ ، فوات الوفيات ٢٣٨/٤-٢٣٩ ، شذرات الذهب

١٦٣/١-١٦٥ ، الأعلام ٨٦/٨ .

ماكذبت ، حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله (١) ، وعلقمة بن وقاص (٢) كلهم عن عائشة أن الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي .

فلم يزل القوم يغرون به ، فقال له هشام : ارحل فوالله ما كان ينبغي لنا أن نحمل على مثلك " (٣) .

فرجل يواجه خليفة المؤمنين بهذه الصلابة لأنه كذبه في حقيقة تاريخية تمس حياة الصحابة وفي تفسير آية ، ويخاطب الخليفة بقوله : "لأبالك" وهي كلمة عظيمة ، ويزداد عظمها إذا خاطب بها أمير المؤمنين رجل من رعاياه . موقف فريد من نوعه ، لا يحمل عليه إلا الخوف من الله والعلم به ، وذلك هو الذي دفع الزهري ليقف هذا الموقف المهيّب .

أبعد هذا يمكن أن يقال إن الأمويين استغلوا هذا الإمام الفذ في وضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

وبنو أمية الذين أولع المستشرقون بالطعن فيهم والافتراء عليهم لم يكونوا كما يزعمون ، وإن كان في بعض خلفائهم هنات إلا أن عصرهم من العصور التي مدحها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجملة في قوله :
"خير"

(١) عبيد الله بن عبد الله :

هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ، أبو عبد الله المدني ، ثقة فقيه ، ثبت . روى عن عائشة ، وأبي هريرة ، وابن عباس . وعنه الزهري ، وأبو الزناد ، وصالح بن كيسان . مات سنة ٩٤هـ وقيل ٩٨هـ وقيل غير ذلك . انظر : الجرح والتعديل ٣١٩/٥ - ٣٢٠ ، الكاشف ٢٢٨/٢ ، تقريب التهذيب ٥٣٥/١ .

(٢) علقمة بن وقاص :

هو علقمة بن وقاص ، الليثي المدني ، ثقة ثبت ، أخطأ من زعم أن له صحبة . وقيل إنه ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . روى عن عمر وعائشة ، وعنه ابنه ، ومحمد بن إبراهيم التيمي والزهري . مات في خلافة عبد الملك بن مروان . انظر : الجرح والتعديل ٤٠٥/٦ ، الكاشف ٢٧٨/٢ ، تقريب التهذيب ٣١/١ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٣٩/٥ .

الناس قرنى ثم الذين يلونهم ... الحديث (١).

ومن خلفائهم معاوية الصحابي الفاضل رضى الله عنه وعمر بن عبد العزيز وهو الذى أمر بتدوين الحديث . ومنهم عبد الملك بن مروان الذى قذفه هذا المستشرق بالدعوة إلى الوضع ، وقد كان عابداً ومهتماً بالعلم حريصاً على إرشاد العلماء وطلاب العلم إلى تتبع السنن والآثار ، حتى قال للزهري : "أت الأنصار فإنك تجد عندهم علماً كثيراً" ، ولما بويج بالخلافة كان يتلو القرآن على مصباح ضئيل . وقد ازدادت رقعة الإسلام في عهدهم بسبب ما قاموا به من فتوحات . وأكثر ما وضع في شأنهم من أخبار كان من صنائع العباسيين الذين كان عصرهم مشبع بالعداوة لبني أمية إضافة إلى ما وضعه غلاة الشيعة والروافض (٢).

أما زعم جولد زيهـر أن عبد الملك بنى قبة الصخرة ليصرف الناس عن الحج ، ووضع له صديقه الزهري من الأحاديث ما يؤيد فعله . فقد استفاد هذه الفكرة مما أورده اليعقوبى (٣) في تاريخه حيث قال : "ومنع عبد الملك أهل الشام من الحج ، وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجوا بالبيعة ، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة ، فضج الناس ، وقالوا تمنعنا من حج بيت الله الحرام وهو فرض من الله علينا ، فقال لهم : هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . المسجد الحرام ومسجدي ومسجد بيت المقدس" (٤) ، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام . وهذه الصخرة التى يروى

(١) سبق تخريجه . انظر ص : ٥١٩ - ٥٢٠

(٢) انظر : السنة ومكانتها في التشريع ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٣) اليعقوبى :

هو أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبى . مؤرخ جغرافى كثير الأسفار ، من أهل بغداد . مات سنة ٢٩٢ هـ .

من آثاره : "تاريخ اليعقوبى" ، "البلدان" ، "أخبار الأمم السالفة" وغير ذلك . انظر : معجم المؤلفين ١/١٦١ ، الأعلام ١/٩٥ .

(٤) يأتي تخريج الحديث والكلام عنه .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء
تقوم لكم مقام الكعبة ، فبنى على الصخرة قبة ، وعلق عليها ستور الديباج
وأقام لها سدنة ، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة
، وأقام بذلك أيام بني أمية" (١).

واليعقوبى مؤرخ من أعيان الشيعة .

والعداء بين الشيعة والأمويين معلوم ، وما وضعه الشيعة في مناقب على
ومثالب الأمويين كثير جداً فلا يبعد أن تكون هذه الرواية من اختلاقاتهم
لتشويه الأمويين (٢).

ويجاب على ما ذكر جولد زيهري بالآتي :

- (١) لقد اختلفت أقوال العلماء في من بنى قبة الصخرة :
- فذهب ابن الأثير (٣) ، وابن كثير (٤) إلى أن الذى بناها هو الوليد بن
عبد الملك (٥) . بينما يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أنه عبد الملك (٦) .
فعلى القول الأول تكون القصة كلها موضوعة (٧) . وعلى القول الثانى
فقد بين شيخ الإسلام العلة فى ذلك فقال :

- (١) تاريخ اليعقوبى ٢/٢٦١ ، ط/دار بيروت . نشر دار صادر ، بيروت ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م
(٢) انظر : السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص ٢٤٩ .
(٣) انظر : الكامل فى التاريخ ٤/١٣٧-١٣٨ .
(٤) انظر : البداية والنهاية ٩/١٦٥ ، السنة ومكانتها فى التشريع ص ٢١٧ .
(٥) الوليد بن عبد الملك :

هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، أبو العباس الدمشقى ، الخليفة
الأموى . ولى الخلافة بعد وفاة أبيه عام ٨٦هـ . كان ولوعاً بالبناء والعمران ، بنى
المسجد النبوى ، والمسجد الأقصى ، ومسجد دمشق الكبير وغير ذلك . وكثرت
الفتوحات فى عهده وتوسعت الدولة الإسلامية . مات سنة ٩٦هـ .

تاريخ الطبرى ٦/٤٩٥ ، الكامل فى التاريخ ٥/٨ ، سير أعلام النبلاء
٤/٣٤٧-٣٤٨ ، البداية والنهاية ٩/٧٠ ، فوات الوفيات ٤/٢٥٤-٢٥٥ ، شذرات
الذهب ١/١١١ ، الأعلام ٨/١٢١ .

- (٦) انظر : الفتاوى ١٧/١٢ .
(٧) انظر : السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص ٢٤٩ .

"لما تولى ... عبد الملك الشام ، ووقع بينه وبين ابن الزبير الفتنة كان الناس يحجون فيجتمعون بابن الزبير ، فأراد عبد الملك أن يصرف الناس عن ابن الزبير فبنى القبة على الصخرة ، وكساها في الشتاء والصيف ، ليرغب الناس في "زيارة بيت المقدس" ويستقلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير ، وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يكونوا يعظمون الصخرة فإنها قبله منسوخة" (١).

والفرق شاسع بين مزاعم جولد زيهري واليعقوبى وبينما قاله شيخ الإسلام ، ويتضح ذلك من قراءة النصين .

(٢) زعمه بأن عبد الملك بناها ليحج الناس إليها ويطوفوا من حولها . لا يمكن ذلك أن يصدر من عبد الملك أبداً ، لأنه كفر ، وهو الذى أعاد بناء الكعبة مرة أخرى على ما كانت عليه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بعد مقتل ابن الزبير ، كما أن العلماء لا يمكن أن يسكتوا عن فعله ذلك أبداً ، إضافة إلى أن خصوم الأمويين له بالمرصاد ، ومع ذلك لم يوردوا ذلك في مطاعنهم عليه (٢).

(٣) إن الزهري رحمه الله لم يلتق بعبد الملك إلا بعد مقتل ابن الزبير . فقد نقل الذهبي عن الليث بن سعد أنه قال :

"قدم ابن شهاب على عبد الملك سنة اثنين وثمانين" (٣).
وقد نص على أن ابن الزبير قتل سنة اثنين وسبعين (٤).
وبعد مقتله استوثقت الممالك لعبد الملك (٥).

(١) الفتاوى ١٢/٢٧ .

(٢) انظر : السنة ومكائنها في التشريع ص ٢١٨ ، السنة حجيتها ومكائنها في الإسلام ص ٢٤٩-٢٥٠ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٢٨/٥ .

(٤) انظر المرجع السابق ٢٤٧/٤ .

(٥) انظر المرجع السابق ٢٤٧/٤ .

فليس هو في حاجة لمن يضع له أحاديث لصرف الناس عن الحج .
والزهري لم يكن عند مقتل ابن الزبير ذائع الصيت عند الأمة الإسلامية
بحيث تتقبل منه حديثاً موضوعاً يلغى به فريضة الحج الثابتة بالقرآن
والأحاديث الصحيحة ، وذلك لصغر عمره ، فإنه قد ولد بعد الخمسين من
الهجرة (١).

وصداقته بعبد الملك وتردده عليه لا يقدح في أمانته ودينه ، وليس
ذلك بالأمر الذي يدعه إلى وضع الحديث محابة له ، وهو العالم المعتر بدينه
وعلمه ومكانته ، الذي لا يأبه بمجابهة الخليفة في أى وقت لبيان الحق ، وقد
سبق موقعه مع هشام . ومتى كان التردد على الخلفاء ومصادقتهم يقدح في
عدالة الإنسان وأمانته ، وقد تردد الصحابة على معاوية قديماً ، وكذا
التابعون ترددوا على الأمويين ، وأبو حنيفة تردد على المنصور (٢) ، وأبو
يوسف (٣) كان ملازماً

(١) انظر : منهج النقد عند المحدثين ص ١٢٨-١٢٩ ، السنة ومكانتها في التشريع ص ٢١٨

(٢) المنصور :

هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي المنصور ، ثاني خلفاء
بني العباس ، ولى الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦هـ . وهو والد الخلفاء
العباسيين جميعاً . كان ذا رأى وحزم ، ودهاء وجبروت . تاركاً للهو واللعب ،
كامل العقل ، حسن المشاركة في الفقه والأدب والعلم . بنى مدينة بغداد ، وقد
قتل خلقاً كثيراً حتى توطد ملكه . مات سنة ١٥٨هـ .

انظر : تاريخ الطبري ٤٧١/٧-٤٧٣ ، تاريخ بغداد ٥٣/١٠-٦١ ، الكامل في التاريخ
٤٦١/٥ ، سير أعلام النبلاء ٨٣/٧-٨٩ ، البداية والنهاية ١٢١/١٠-١٢٩ ، فوات
الوفيات ٢١٦/٢-٢١٧ ، الأعلام ١١٧/٤ .

(٣) أبو يوسف :

هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي ، أبو يوسف ،
صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه ، وأول من نشر مذهبه . كان فقيهاً عالماً من
حفاظ الحديث . ولى القضاء ببغداد . مات سنة ١٨٢هـ .

انظر : تاريخ بغداد ٢٤٢/١٤-٢٦٢ ، وفیات الأعيان ٣٧٨/٦-٣٩٠ ، تذكرة الحفاظ
٢٩٢/١ ، ميزان الاعتدال ٤٤٧/٤ ، سير أعلام النبلاء ٥٣٥/٨-٥٣٩ ، الأعلام
١٩٣/٨ .

لهارون الرشيد (١)، وماطعن أحد فيهم بذلك (٢).
 وإمام الزهري رحمه الله لم يكن من الذين يتزلفون للحكام طلباً
 لمال أو جاه وهو الذى قال عنه عمرو بن دينار :
 "مارأيت أحداً أنص للحديث من الزهري ، ومارأيت أحداً أهون
 عنده الدراهم منه ، كانت عنده بمنزلة البعر" (٣).
 هذا عن المال ، وأما الجاه فقد اعترف هذا المستشرق بأنه كان ذائع
 الصيت فى الأمة الإسلامية ، فأى دافع آخر يدفعه لمجاملة ومحابة عبد
 الملك (٤).
 وأما حديث شد الرحال (٥) فهو صحيح . رواه البخارى ومسلم

(١) هارون الرشيد :

هو هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي . الخليفة العباسي الخامس
 ولى الخلافة بعد أخيه الهادي سنة ١٧٠هـ ، كان من أنبل الخلفاء ، ذا حج وجهاد ،
 وغزو وشجاعة ، ورأى ، وفصاحة ، وعلم وبصر بأعباء الخلافة ، وله نظر جيد فى
 الأدب والفقه . وقد ازدهرت الدولة الإسلامية فى عهده وتوسعت . وكان عادلاً
 جواداً محباً للعلماء . مات سنة ١٩٣هـ .

انظر : الطبرى ٢٣٠/٨ ، تاريخ بغداد ١٤/٥-١٣ ، الكامل فى التاريخ ١٠٦/٦ ، سير
 أعلام النبلاء ٢٨٦/٩-٢٩٥ ، شذرات الذهب ١/٣٣٤ ، الأعلام ٦٢/٨ .

(٢) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص ٢٢٢ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٥/٣٣٤ ، وانظر : تذكرة الحفاظ ١/١٠٩ .

(٤) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص ٢١٦ .

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة فى كتاب فضل الصلاة فى

مسجد مكة والمدينة (٢٠) ، باب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة (١) ٥٦/٢ .

ومن حديث أبى سعيد الخدرى ، فى باب مسجد بيت المقدس (٦) ٥٧/٢-٥٨ ،

وفى كتاب جزاء الصيد (٢٨) ، باب حج النساء (٢٦) ٢٢٠/٢ . وفى كتاب

الصوم (٣٠) ، باب الصوم يوم النحر (٦٧) ٢٤٩/٢-٢٥٠ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد . فى كتاب الحج (١٥) ، باب سفر

المرأة مع محرم الى حج وغيره (٧٤) برقم ٨٢٧ ، ٩٧٥-٩٧٦ .

ومن حديث أبى هريرة ، فى باب لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (٩٥) برقم

- = وأخرجه أبو داود في سننه عن أبي هريرة ، كتاب المناسك ، باب في اتيان المدينة برقم ٢٠٣٣ ، ٢١٦/٢ .
- وأخرجه الترمذى في سننه عن أبي سعيد ، أبواب الصلاة (٢) ، باب ماجاء في أى المساجد أفضل (٢٤٣) ، برقم ٣٢٦ . وقال : "هذا حديث حسن صحيح" ١٤٨/٢ .
- وأخرجه النسائى في سننه عن أبي هريرة ، كتاب المساجد ، باب ماتشد الرحال إليه من المساجد ٣١/٢ ، وعن بصرة بن أبي بصرة الغفارى ، كتاب الجمعة ، باب ذكر الساعة التى يستجاب فيها الدعاء ٩٤/٣ .
- وأخرجه ابن ماجه في سننه عن أبي هريرة برقم ١٤٠٩ ، وعن أبي سعيد وعبد الله بن عمرو بن العاص برقم ١٤١٠ ، كتاب إقامة الصلاة (٥) ، باب ماجاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس (١٩٦) ، ٤٥٢/١ .
- وأخرجه الدارمى في سننه عن أبي هريرة ، كتاب الصلاة ، باب لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ٣٣٠/١ .
- وأخرجه البيهقى في سننه عن أبي سعيد ، كتاب الصلاة ، باب النهى عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس ٤٥٢/٢ .
- وعن أبي هريرة ، كتاب الحج ، باب الخروج إلى المدينة ٢٤٤/٥ .
- وأخرجه مالك في الموطأ عن بصرة بن أبي بصرة الغفارى ، كتاب الجمعة (٥) ، باب ماجاء في الساعة التى في يوم الجمعة (٧) برقم ١٦ ، ١٠٩/١ .
- وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، كتاب الصلاة (٩) ، باب المساجد (٦) ، عن أبي سعيد برقم ١٦١٧ ، ٤٩٥-٤٩٦ .
- وعن أبي هريرة برقم ١٦١٩ ، ٤٩٨/٤ ، وبرقم ١٦٣١ ، ٥٠٩-٥١٠ .
- وأخرجه الحميدى في مسنده عن أبي هريرة برقم ٩٤٣ ، وعن بصرة برقم ٩٤٤ ، ٤٢١/١ .
- وأخرجه أحمد في المسند عن أبي هريرة ٥٠١،٢٧٨،٢٣٨،٢٣٤/٢ .
- وعن أبي سعيد ٩٣،٧٨،٧٧،٧١،٦٤،٥٣،٥١،٤٥،٣٤،٧/٣ .
- وعن بصرة ٣٩٨-٣٩٧،٧/٦ .
- وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه ، باب ماتشد إليه الرحال عن أبي هريرة برقم ٩١٥٨ ، وعن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم برقم ٩١٥٩ ، وعن ابن عمر موقوفاً برقم ٩١٦٠ ، ١٣٢/٥ ، وبرقم ٩١٧١ ، وعن بصرة برقم ٩١٦٢ ، ١٣٥/٥ .
- وأخرجه ابن أبى شيبة في مصنفه عن أبي سعيد ٣٧٤/٢ ، والطحاوى في مشكل الآثار عن أبي سعيد ٢٤٢/١ ، وعن أبي هريرة ٢٤٤/١ .
- =

وأصحاب السنن الأربعة والإمام أحمد وغيرهم من العلماء . وقد روى عن جمع من الصحابة منهم : أبو سعيد الخدري ، وأبو بصري الغفاري ، وأبو هريرة ، وابن عمر ، وعلى ، وعبد الله بن عمرو . وتكاثر الطرق عن هؤلاء حتى قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية :

"وهو حديث مستفيض ، متلقى بالقبول ، أجمع أهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول والتصديق" (١).

فلم ينفرد الزهري رحمه الله برواية هذا الحديث حتى يتهم بوضعه . والحديث ليس فيه فضل قبة الصخرة ، وليس فيه الدعوة إلى الحج إليها والطواف حولها بدلاً عن الكعبة كما يدعى زيهري ، وغاية ما فيه فضل الصلاة في بيت المقدس وزيارته (٢).

وذلك أمر دلت عليه النصوص ، فقد أورد ابن القيم جملة من الأحاديث الصحيحة التي تدل على فضله والصلاة فيه (٣).

= والبغوى في شرح السنة عن أبي سعيد برقم ٤٥٠ ، ٣٣٦/٢ ، وعن أبي هريرة برقم ٤٥١ ، ٣٣٧/٢ ، باب فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد المدينة والأقصى .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . عن أبي بصرة وقال : "رواه أحمد والبزار بنحوه والطبراني في الكبير والأوسط ، ورجال أحمد ثقات أثبات" .

وعن أبي سعيد الخدري .

وعن علي بن أبي طالب . وقال : "رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه إبراهيم ابن إسماعيل بن يحيى بن كهيل وهو ضعيف" .

وعن عمران . وقال : "رواه البزار ورجاله رجال الصحيح إلا أن البزار قال : أخطأ فيه حبان بن هلال" .

وعن ابن عمر . وقال : "رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات" .

وعن أبي الجعد الضمري . وقال : "رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح . ورواه البزار أيضاً" . ٧-٦/٤ .

(١) الفتاوى ٦-٥/٢٧ .

(٢) انظر : السنة ومكانتها في التشريع ص ٢١٩ ، منهج النقد عند المحدثين ص ١٣٠ .

(٣) انظر : المنار المنيف ص ٩١-٩٤ .

وذكر شيخ الإسلام اتفاق علماء المسلمين على استحباب السفر إليه للعبادة المشروعة فيه (١).

وأما الصخرة فقد ذكر الإمام ابن القيم أن كل حديث فيها فهو كذب مفترى (٢).

وأما حديث "الصلاة في المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة فيما سواه" رواه الطحاوي (٣). ولم يأت عن طريق الزهري حتى يتهم بوضعه .

(١) انظر : الفتاوى ٦/٢٧ .

(٢) انظر : المنار المنيف ص ٨٧ ، وتعليق المحقق عليه في الهامش .

(٣) مشكل الآثار عن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولفظه أنها سألته - أى النبي صلى الله عليه وسلم - فقالت : افتنا في بيت المقدس . فقال : "أرض المحشر والمنشر ، وأتوه فصلوا فيه فإن الصلاة فيه كألف صلاة في غيره . فقلت : رأييت إن لم أستطع أن أحمل عليه ، قال : فلتتهدى له زيتاً يسرج فيه ، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه" . ٢٤٩/١ .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد بلفظ مقارب لرواية الطحاوي وقال : "رواه أبو يعلى بتمامه من حديث ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . والله أعلم . ورجاله ثقات" . ١٠-٩/٤ .

وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "صلاة الرجل في بيته بصلاة ، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة ، وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسائة صلاة ، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته في مسجدى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة" . كتاب إقامة الصلاة (٥) ، باب ماجاء في الصلاة في المسجد الجامع (١٩٨) برقم ١٤١٣ ، ٤٥٣/١ .

قال في الزوائد : "إسناده ضعيف" .

وروى البزار عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة ، وفي مسجدى ألف صلاة ، وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة" .

قال البزار : "لأنعلمه يروى بهذا اللفظ مرفوعاً إلا بهذا الإسناد" .

كتاب الصلاة ، باب الصلاة في المساجد الثلاثة برقم ٤٢٢ . كشف الأستار

(ج) علماء الحديث والفقهاء :

إذا كان بعض أهل الأهوا والبدع ، والمصالح الدنيوية ، والمغالون في العصبية والجهلة بدين الله أجازوا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن علماء الأمة من أهل الحديث والفقهاء أرفع درجة وأسمى منزلة من أن يكذبوا في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين حفظ الله لنا بهم الدين ، ورفع مقامهم في عليين {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات} (١).

وهم أتقى لله وأخشى من أن يزيدوا في دين الله مالم يس منه وقد قال سبحانه فيهم : {إنما يخشى الله من عباده العلماء} (٢).

وهم حماة الدين والذابون عنه ، الباذلون أنفسهم وأموالهم وأوقاتهم في الدفاع عنه ، ولقد رأينا فيما سبق ما بذلوه من جهود لحفظ الحديث وصيانتة (٣)، فحرصوا على حفظه كل الحرص ، ونفوا عنه كل شائبة

= وحديث البزار ذكره الطحاوي في مشكل الآثار من حديث أبي الدرداء أيضاً ٢٤٨/١ . إلا أن الشيخ ناصر الدين الألباني ضعف إسناده . انظر : إرواء الغليل ٣٤٣/٤ .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : "رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات وفي بعضهم كلام وهو حديث حسن" . ١٠/٤ .

وضعه الشيخ ناصر الدين الألباني . انظر ضعيف الجامع ٢٨٧/٣ . وأورده السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالحسن وأقره المناوي . انظر فيض القدير ٢٢٨/٤ .

إلا أن الشيخ ناصر الدين الألباني قال عنه : "ضعيف جداً" . ضعيف الجامع ٢٧٧/٣ .

وقال ابن القيم رحمه الله :

"وقد روى في بيت المقدس التفضيل بخمس مائة . وهو أشبه " .

المنار المنيف ص ٩٣ . وانظر تعليق المحقق في الهامش .

(١) سورة المجادلة : آية ١١

(٢) سورة فاطر : آية ٢٨

(٣) انظر ص : ٤٩١ فإيعدها .

تكدر صفوه ، صابرين على الأذى ، متحملين المشاق ، وقد عرف فضلهم أهل الإسلام ، وشكروا لهم سعيهم ، وحفظوا لهم منزلتهم ، ورفعوا قدرهم .

قال الطحاوى رحمه الله :

"وعلماء السلف من السابقين ، ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر . وأهل الفقه والنظر - لا يذكرون إلا بالجميل ، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل" (١) .

وقال ابن أبي العز الحنفى رحمه الله :

"قال تعالى : {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً} (٢) . فيجب على كل مسلم بعد موالاته الله ورسوله موالاته المؤمنين ، كما نطق به القرآن ، خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمزلة النجوم ، يهتدى بهم فى ظلمات البر والبحر ، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم ، إذ كل أمة قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم علماؤها شرارها ، إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم ، فإنهم خلفاء الرسول من أمته ، والمحيون لما مات من سنته ، فبهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، وكلهم متفقون اتفاقاً يقيناً على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ... فلهم الفضل علينا والمنة بالسبق وتبليغ ما أرسل به الرسول صلى الله عليه وسلم إلينا ، وإيضاح ما كان منه يخفى علينا ، فرضى الله عنهم وأرضاهم . {ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم} (٣) (٤) .

(١) العقيدة الطحاوية ص ١٩ .

(٢) سورة النساء : آية ١١٥

(٣) سورة الحشر : آية ١٠

(٤) شرح الطحاوية ص ٤٩١-٤٩٢ .

هكذا عرفت الأمة فضل علمائها ودونت لهم آثارهم ، فما لهذا وأهل الاستشراق ، فإنهم لم يعرفوا مقام علمائها وسمو منزلتهم ، لأنهم لم تخالط قلوبهم بشاشة الإيمان التي خالطت قلوب ورثة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يتصوروا خوفهم من الله وخشيتهم منه ، وليس ذلك بمستغرب على قوم فقدت قلوبهم طعم الإيمان ، ونفوسهم أخلاق الإسلام ، وضاع بينهم الحق ، وغاب عندهم العدل ، وتفشى فيهم الظلم ، وانحطت أخلاقهم ، وفسدت طبائعهم ، فليس لأحد بينهم حرمة ، ولا لكريم بينهم مكرمة ، فلم يفهموا عن غيرهم إلا ما يدور بينهم ، وذلك مقياس خاطيء ، فإن خصائص أهل الإسلام وصفات علمائه لا توجد عند محرفي الأديان ، من عبدة الطاغوت والصلبان ، فالبون شاسع والفرق عظيم ، ولذا لا يقبل منهم حكم في حملة القرآن والسنة ، وهم الغرباء المبعدون .

وأمة الإسلام لا تنتظر دجاجة الغرب لكي يقوموا لها علماءها ، لأنها تعرف ما بذلك التقويم من حيف وجور ، تحف به الدسائس وتحيط به الأحقاد ، ومتى كان الظلم ينتج عدلاً والباطل يخرج حقاً؟ وإذا أردت أن تعرف حقيقة ما ذكرنا فقارن بين قول جولد زيهر السابق وبين قول ابن حبان رحمه الله في بيان حديث النبي صلى الله عليه وسلم : "لا يزال ناس من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة" (١).

(١) أخرج البخاري في صحيحه نحوه: من حديث المغيرة بن شعبة ، ومن حديث معاوية بن أبي سفيان ، في كتاب المناقب (٦١) ، باب (٢٨) ، ١٨٧/٤ . ونحوه من حديثيهما في كتاب الاعتصام (٩٦) ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين (١٠) ، ١٤٩/٨ .

وأخرج مسلم في صحيحه نحوه : من حديث جابر بن عبد الله ، في كتاب الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم (٧١) برقم ١٥٦ ، ١٣٧/١ ، ومن حديث ثوبان برقم ١٩٢٠ ، والمغيرة برقم ١٩٢١ ، وجابر بن سمرة برقم ١٩٢٢ ، وجابر بن عبد الله برقم ١٩٢٣ ، ومعاوية برقم ١٠٣٧ ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وعقبة بن عامر برقم ١٩٢٤ ، وسعد بن أبي وقاص برقم ١٩٢٥ . كتاب الإمارة (٣٣) =

فقال : "ومن أحق بهذا التأويل من قوم فارقوا الأهل والأوطان ، وقنعوا بالكسر والأطمار^(١) في طلب السنن والآثار ، وطلب الحديث والأخبار يجولون في البرارى والقفار ، ولا يبالون بالبؤس والاقتار ، المتبعون لآثار السلف من الماضين ، والسالكون ثبج^(٢) محجة الصالحين ورد الكذب عن رسول رب العالمين ، وذبح الزور عنه حتى وضع للمسلمين المنار ، وتبين لهم الصحيح من بين الموضوع والزور من الآثار ... الخ ماذكر^(٣) .

فهذا هو الذى يليق بعلماء الإسلام ، ولا عبرة بقول المستشرقين . وأما زعم زيهر أن بعض الوضاعين برروا وضعهم بأنهم يفعلون ذلك لمحاربة الطغيان والإلحاد والبعد عن الدين . هذا أمر بينه علماء الإسلام قديماً قبل أن يخلق جولد زيهر ، فإنهم نصوا على أن هنالك جماعة أجازت وضع الحديث رغبة في الخير والصلاح ، ولم يسكت علماء الحديث عنهم بل كشفوا أمرهم وبينوا جهلهم وحذروا الأمة من خطرهم ، ودونوا أسماءهم وما وضعوه من أحاديث^(٤) .

فلسنا نحن في حاجة إلى أن ينيهنا زيهر إلى ذلك . وقد نبهنا إليه علماؤنا الأجلاء .

قال ابن كثير رحمه الله :

= باب قوله صلى الله عليه وسلم : "لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم" (٥٣) ، ٣/١٥٢٣-١٥٢٥ .

(١) الأطمار :

جمع طمر وهو الثوب الخلق ، أو الكساء البالى من غير الصوف .
انظر : القاموس المحيط ص ٥٥٤ .

(٢) ثبج : وسط الشئ ومعظمه .

انظر : القاموس المحيط ص ٢٣٣ ، الفائق ١/١٦٢ ، النهاية ١/٢٠٦ .

(٣) كتاب المجروحين ١/٨٩ .

(٤) انظر : المرجع السابق ١/٦٤ ، الكامل في ضعفاء الرجال ١/١٤٤ ، تدريب الراوى ١/٢٨١-٢٨٣ ، الوضع في الحديث ١/٢٦٣-٢٦٩ .

"والوضاعون أقسام كثيرة : منهم الزنادقة ، ومنهم متعبدون يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، يضعون أحاديث فيها ترغيب وترهيب ، وفي فضائل الأعمال ، ليعمل بها .

..... وهم من أشر ما فعل هذا لما يحصل بضررهم من الغرر على كثير ممن يعتقد صلاحهم ، فيظن صدقهم ، وهم شر من كل كذاب في هذا الباب .

وقد انتقد الأئمة كل شيء فعلوه من ذلك ، وسطروه عليهم في زبرهم عاراً على واضعي ذلك في الدنيا ، وناراً وشناراً^(١) في الآخرة^(٢).

(١) الشنار : أقبح العيب ، والعار ، والأمر المشهور بالشنعة .

القاموس المحيط ص ٥٣٩ .

(٢) اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص ٧٤ .

(٧) مطاعن المستشرقين فى منهج المحدثين :

(أ) وجهة النقد عند المحدثين :

قال جولد زيهر :

"ولم يستطع المسلمون أنفسهم أن يخفوا هذا الخطر - أى خطر الوضع فى الحديث ، ومن أجل هذا وضع العلماء علماً خاصاً له قيمته وهو علم نقد الحديث ، لكى يفرقوا بين الصحيح وغير الصحيح من الأحاديث ، إذا أعوزهم التوفيق بين الأقوال المتناقضة .

ومن السهل أن يفهم أن وجهات نظرهم فى النقد ليست كوجهات النظر عندنا ، تلك التى نجد لها مجالاً كبيراً فى النظر فى تلك الأحاديث التى اعتبرها النقد الإسلامى صحيحة غير مشكوك فيها ، ووقف حيالها لا يحرك ساكناً .

ولقد كان من نتائج هذه الأعمال النقدية الاعتراف بالكتب الستة أصولاً ، وكان ذلك فى القرن السابع الهجرى ، فقد جمع فيها علماء من رجال القرن الثالث الهجرى أنواعاً من الأحاديث كانت مبعثرة رأوها أحاديث صحيحة .

وقد أصبحت هذه الكتب مراجع مجزوماً بها لسنة النبى ، ويعتبر فى المقام الأول منها الصحيحان^(١) .

ويرى جب^(٢) أن ما قام به المحدثون من جهود تجاه السنة المدونة هو

(١) العقيدة والشرعية ص ٥٠ .

(٢) جب :

هو السير هاملتون جب المولود عام ١٨٩٥م . من أعلام المستشرقين المعاصرين . كان عضواً للمجمع العلمى العربى فى دمشق ، والمجمع اللغوى فى القاهرة . ودرس اللغة العربية وقواعدها وترس فيها . ثم عمل أستاذاً لها فى عدد من الجامعات الأوربية ، وقد تولى إدارة مركز دراسات الشرق الأوسط . من آثاره : "المدخل إلى تاريخ الأدب العربى" ، "وما هو الإسلام" ، "الاتجاهات الحديثة فى الإسلام" وغيرها الكثير .

انظر : المستشرقون ٥٥١/٢ - ٥٥٤ ، الاستشراق ص ٣١ .

عبث لقله حذرهم وتدقيقهم (١).

(ب) التباين فى التوثيق والتضعيف :

قال جوينبل :

"والحكم على قيمة المحدث قد يختلف اختلافاً بيناً ، فربما كان ثقة عند قوم ، ولكن غيرهم كانوا يعدونه فى منتهى الضعف وربما اعتبروه كاذباً فى روايته" (٢).

(ج) وجود الأسانيد اعتباراً ، ولم تجد اعتناء من المحدثين :

قال شاخت :

"إن أكبر جزء من أسانيد الأحاديث اعتباراً ... ومعلوم لدى الجميع أن الأسانيد بدأت بشكل بدائى ووصلت إلى كمالها فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ... وكانت الأسانيد كثيراً لا تجد أقل اعتناء . وأى حزب يريد نسبة آرائه إلى المتقدمين كان يختار تلك الشخصيات ويضعها فى الإسناد" (٣).

(د) نقد المحدثين لا يتعدى إسناد الحديث :

قال غاستون ويت (٤) :

"وقد درس رجال الحديث السنة بإتقان إلا أن تلك الدراسة كانت موجهة إلى السند ومعرفة الرجال والتقاءهم وسماع بعضهم من بعض " ، ثم قال : "لقد نقل لنا الرواة حديث الرسول مشافهة ثم جمعه الحفاظ ودونوه إلا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن ، لذلك لسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله ، من غير أن يضيف إليه الرواة شيئاً عن حسن نية فى أثناء روايتهم الحديث" (٥).

(١) انظر : دراسات فى حضارة الإسلام ص ١٤٨ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٣٣٥/٧ .

(٣) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ١/٨٣، ١٠٤ .

(٤) غاستون ويت : لم أقف له على ترجمة .

(٥) السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص ٢٤٠ نقلاً عن "التاريخ العام للديانات -

الإسلام" ص ٣٦٥ .

الجواب على ذلك :

(أ) وجهة النقد عند المحدثين :

لقد شمل منهج المحدثين النقدي جميع الاحتمالات في جوانب الحديث من حيث السند والمتن ، وأول الأمور في ذلك أداء الراوى للحديث . فقد درسوا الرواة دراسة متنوعة ومستوفية ودقيقة ، فوضعوا لهم شروطاً من حيث التوثيق والتضعيف ، ثم وضعوا من العلوم ما يكشف أحوالهم ، فبينوا أسماءهم ، وتواريخهم ، وأماكنهم ، وما يتصل بذلك من فروع ومسائل ، كما درسوا صيغ الاتصال بين الرواة في حالة الأخذ والأداء ، ومادل منها على الاتصال ومالم يدل ، وتناولوا متون الأحاديث بالفحص والتدقيق وتتبعوا ما بها من علل وشذوذ وغير ذلك ، بقواعد رصينة محكمة . فجاءت أحكامهم على الحديث واضحة جلية ، شاملة لكل أنواعه ، من حيث قبوله ورده ، فتدرجوا في ذلك بدءاً من قمة الصحة فيما أسموه أصح الأسانيد وما حقه من قرائن ، ثم مراتب الصحيح ، ثم الحسن لذاته فالحسن لغيره ، فالضعيف ضعف يسير ، فالضعيف ضعف شديد ، إلى الموضوع الذى لا تجوز روايته إلا على سبيل القدرح فيه (١).

فهذا منهج كامل شامل لكل جوانب الحديث مادي منها وماجل ، والمنصف لا يسعه إلا أن يقف إجلالاً واحتراماً ، لهذا المنهج القويم ، ولهذا الجهد المضني الذى بذله علماؤنا الأفاضل ، حتى خرجوا بأحكام سليمة على الأحاديث النبوية ، حفظت بها السنة المطهرة من عبث كل عابث .

ولم يأت ذلك المنهج إلا بعد عمل دؤوب ، وبذل جهد منقطع النظير ، وشدة انتباه وحرص ، ودقة تطبيق ، وقوة تمييز ، أذهلت العالم بأسره ، وما ذلك إلا بتوفيق من الله سبحانه الذى أراد حفظ سنة نبيه فهياً لها من الأسباب ما أدى إلى بقائها .

(١) انظر : منهج النقد في علوم الحديث ص ٤٣٣-٤٣٤ .

والذى يريد أن يقف على متانة منهج المحدثين فعليه أن يلقى نظرة على هذه المؤلفات التى لا تحصى عدداً فى كل فن من فنون الحديث ، وما بذل فيها من عناية فائقة لامثيل لها ، فإنه لا يملك - إن كان منصفاً - إلا أن يسجل اعترافاً لأولئك القوم الأماجد بكمال منهجهم وشموليته ووضوحه ودقته . وما يدعيه جولد زيهر بأن وجهة نظرهم فى النقد ليست كوجهة نظر علماء الإسلام ، فهذا صحيح ، فلا شك إن البعد بين منهج المحدثين وبين منهج المستشرقين بعد ساحق كالبعد بين المحدثين والمستشرقين .

قال دكتور محمد عجاج الخطيب :

"إن وجهة نظر النقاد المسلمين مبنية على القواعد والأصول التى وضعوها فى تقدمهم ، وقد رأينا دقتها وعرفنا قيمتها ، فمن الطبيعى أن تختلف عن وجهة نظر النقاد الأجانب ، الذين لا يؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يعتقدون بالإحياء إليه ، فنحن مختلفون معهم من نقطة البداية ، لأن كثيراً من الأحاديث التى تتناول العقائد والغيبيات سلمنا بصحتها بعد التحقيق العلمى ، وسلمنا بكل ما جاء فيها لأنها عن الصادق المصدوق ، فاختلف وجهة نظرهم لا يضيرنا مادماً قد سلكنا فى تقدنا وبحثنا أسلم طرق البحث العلمى وأدقها ، وقد شهد لنا بذلك المنصفون منهم" (١) . وما زعمه جب من أن جهود المحدثين تجاه السنة المدونة عبث لقلّة حذرهم وتدقيقهم ، زعم متهافت وعبث ، ولولا خشية أن يتأثر به خفاف العقول ما أجبت عنه لسقوطه وشدة ضعفه . وأضرب لجب مثلاً يعكس له دقة علمائنا ، ورصانة منهجهم ، وشدة تحريهم ، وجودة خبرتهم التى اكتسبوها بالممارسة وطول الملازمة ، مع مشقة الطريق وصعوبة السير فيه .

قال ابن أبى حاتم الرازى :

"تعرف جودة الدينار بالقياس إلى غيره ، فإن تخلف عنه فى الحمرة والصفاء علم أنه مغشوش . ويعلم جنس الجواهر بالقياس إلى غيره فإن خالفه

فى الماء والصلافة علم أنه زجاج ، ويقاس صحة الحديث بعدالة ناقله وأن يكون كلاماً يصلح أن يكون من كلام النبوة" (١).

إنه منهج بنى على علم ودراية ، وتولى تطبيقه أطباء مهرة يجيدون الصنعة ، كما يجيد الصيرفى استخراج الدرهم الجيد من البهرج ، بل وأبلغ من ذلك ، لأن الأمر فى شأن الحديث دين وهو أولى بالتحرى والدقة من أمر الدراهم والدنانير . وهم فيه أشد حذراً وأكثر تثبثاً .

سئل أبو زرعة "ما الحجة فى تعليلكم الحديث؟ فقال : الحجة أن تسألنى عن علة حديث ، فأذكر علة ، ثم تقصد ابن وارة - يعنى محمد بن مسلم بن وارة (٢) - فتسأله عنه فيذكر علة ، ثم تقصد أبا حاتم فيعله . ثم تميز كلامنا على ذلك الحديث ، فإن وجدت بيننا خلافاً ، فاعلم أن كلامنا تكلم على مراده ، وإن وجدت الكلمة متفقة ، فاعلم حقيقة هذا العلم . ففعل الرجل ذلك ، فاتفقت كلمتهم ، فقال : أشهد أن هذا العلم إلهام" (٣).

إنه علم محكم دقيق لا يوحى إلى أصحابه ، ولكنهم ينطلقون من قواعد ثابتة وأصول محكمة ، تقذف بأحكام متوافقة منسجمة لا اختلاف بينها ولا تباين .

قال الدكتور محمد مصطفى الأعظمى :

"ففى الواقع كان معيار المحدثين دقيقاً وشديداً . فما كانوا يقبلون شيئاً نظيفاً إلا من يد نظيفة ، لذلك كانوا ينظرون أولاً إلى الرواة فإذا ثبت فيهم الضعف رموا بالحديث ولم يقبلوه ولو كان المتن صحيحاً ، لأنه يجب فى

(١) مقدمة الجرح والتعديل ٣٥١/١ .

(٢) محمد بن مسلم بن وارة :

هو محمد بن مسلم بن عثمان بن عبد الله الرازى ، المعروف بابن وارة ، ثقة حافظ . روى عن أبى عاصم والفريابى . وعنه النسائى وابن أبى حاتم والمحاملى . مات سنة ٢٧٠هـ وقيل قبلها .

انظر : الجرح والتعديل ٧٩/٨ - ٨٠ ، الكاشف ٩٧/٣ ، تقريب التهذيب ٢٠٧/٢ .

(٣) الباعث الحثيث ص ٦٣ ، وانظر : الجرح والتعديل ٣٤٩/١ - ٣٥١ .

نظرهم لقبول الرواية أن يكون شطرا الرواية : الإسناد والمتن كلاهما صحيحين ، ولايكفى صحة أحدهما لقبولها" (١).

وقال الدكتور مصطفى السباعي :

"لايستطيع من يدرس موقف العلماء - منذ عصر الصحابة إلى أن تم تدوين السنة - من الوضع والوضايع وجهودهم في سبيل السنة وتمييز صحيحها من فاسدها ، إلا أن يحكم بأن الجهد الذي بذلوه في ذلك لامتزيد عليه ، وأن الطرق التي سلكوها هي أقوم الطرق العلمية للنقد والتمحيص ، حتى لنستطيع أن نجزم بأن علماءنا رحمهم الله ، هم أول من وضعوا قواعد النقد العلمي الدقيق للأخبار والمرويات بين أمم الأرض كلها ، وأن جهدهم في ذلك جهد تفاخر به الأجيال وتتيه به الأمم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم" (٢).

وأما قدحه في الكتب الستة بما فيها الصحيحان قد أجاب عنه الدكتور محمد عجاج الخطيب ، إضافة إلى ما ذكرنا في موضوع التدوين وكيف حفظت السنة حتى ضمنت في المؤلفات المتنوعة .

قال :

"أما رأيه في الكتب الستة أنها مجموعة من الأحاديث التي ضمها مؤلفوها بعد أن كانت مبعثرة في القرن الثالث ، ورأوا أنها صحيحة ، فهذا رأى مردود ، فيه إنكار لجهود العلماء الجبارة التي بذلوها خلال القرن الأول والثاني في سبيل صيانة السنة وحفظها ، فالسنة لم تكن مبعثرة متفرقة ، بل كان معظمها عملياً ، يطبقه المسلمون ، ويسيرون تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم على هدايه ، ولم يقتصر هذا على عهد الصحابة والتابعين ، أو على موطن الإسلام الأول ، بل انتشرت سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام في القرن الأول والقرون التالية ، وذاعت في الآفاق عندما حرر المسلمون

(١) منهج النقد عند المحدثين ص ٨٥ .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع ص ٩٠ .

الأوائل البلاد المجاورة من طغيان الحكام ، وانتقلت السنة العملية والقولية والتقريرية ، جيلاً عن جيل ، تحفظها صدور الحفاظ وصحفهم إلى أن جمعت في كتب مصنفة ، وفي أجزاء مبوبة في منتصف القرن الثاني الهجرى على أيدي كبار العلماء والحفاظ ، وإن ما جمعه البخارى ومسلم وغيرهما في القرن الثالث لم يكن مبعثراً ، وإنما اختير من ألوف الأحاديث التي كانت عند الحفاظ متوخين الأحاديث الصحيحة" (١).

وهو كلام رصين ، دحض به شبهة هذا المستشرق الذى يهدف من وراء ذلك إلى التشكيك فى الكتب الستة وفى مقدمتها الصحيحان ، حتى تزول الثقة بهذه الكتب التى جمع مؤلفوها فيها عدداً لا يستهان به من الأحاديث ، وقد ركز فى طعنه على الصحيحين لأن فى انهيارهما انهياراً لبقية كتب الحديث الأخرى ، لأن الصحيحين يتبوأن منزلة عظيمة بين كتب السنة قاطبة فهما أصح الكتب بعد كتاب الله جل وعلا (٢).

لأن البخارى ومسلماً رحمهما الله لم يدخلا فيهما إلا ماصح ، قال البخارى : "مأدخلت فى كتاب الجامع إلا ماصح وتركت من الصحاح لملال الطول".

وقال مسلم : "ليس كل شىء عندى صحيح وضعته هنا - يعنى فى كتاب الصحيح - إنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه" (٣).

وأحاديثهما فى أعلى مراتب الصحيح ، فما اتفقا عليه يتبوأ المرتبة الأولى ثم ما انفرد به البخارى ثم ما انفرد به مسلم (٤).

إضافة إلى أن ما اتفقا عليه أو انفرد به أحدهم مقطوع بصحته والعلم اليقيني النظرى واقع به (٥).

(١) السنة قبل التدوين ص ٢٥٣-٢٥٤ .

(٢) انظر : مقدمة ابن الصلاح ص ٩ ، تقريب النووى مع التدريب ٩١/١ ، اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص ٢٣ .

(٣) مقدمة ابن الصلاح ص ١٠ .

(٤) انظر المرجع السابق ص ١٤ .

(٥) انظر المرجع السابق ص ١٤ .

وذلك لما احتف بأحاديثهما من قرائن منها : جلالتهما في علم الحديث وتقدمهما في تمييز الصحيح على غيرهما ، وتلقى العلماء لكتابيهما بالقبول ، وهذا التلقى وحده أقوى في إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر (١).

فما قاله جولد زيهر حولهما وحول الكتب الستة ، لاصحة له بحال من الأحوال ، وإنما يستهدف من ذلك كما أسلفت أن يقوض صرح السنة الشاخ ، ويشاركه في هذا الهدف أعداء الإسلام من المستشرقين الذين شرقوا وغصت حلوقهم بالمد الإسلامي الهائل ولذلك تراهم يركزون طعونهم في مواضع مهمة تركز عليها دعامة السنة ، فقد طعنوا في أبي هريرة رضى الله عنه لعلمهم بأنه أكثر من روى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طعنوا في الزهري رحمه الله لما تبين لهم أنه أول من دون الحديث وجمع من العلم مافاق به أقرانه ، ثم قدحوا في الصحيحين وبقية الكتب الستة لما حوته من عدد هائل من الأحاديث ، وهى كتب معتمدة عند الأمة الإسلامية .

فإذا تهاوت الأحاديث التى حدث بها أبو هريرة وتلك التى جمعها الزهري ، وما جاء فى الكتب الستة فماذا بقى بعد ذلك لأمة الإسلام من إرث نبينهم .

إنه مخطط إجرامى رهيب يستهدف إسلامنا ، فهل ياترى عقل ذلك أبناء الإسلام ؟ والمتقفون منهم بالذات ؟ أرجو ذلك !!
(ب) التباين فى التوثيق والتضعيف :

لقد اعتبر جوينيل أن اختلاف علماء الحديث فى توثيق الرجل وتضعيفه مطعن فى منهجهم ، ويلزم من ذلك أن يوثقوا من لا يستحق التوثيق ، ويضعفوا من لا يستحق التضعيف ، وينتج عنه تصحيح أحاديث لم تبلغ درجة الصحة ، ولذا حكموا على كثير من الأحاديث بالصحة وهى ليست كذلك.

هذه لوازم تؤخذ من عباراته ومن مفهوم كلامه ، إذ القصد التشكيك في السنة .

وما وضعه علماء الحديث من قواعد وأصول ثابتة لتوثيق الرواة وتضعيفهم ، ينفى ما قال ، ولم ينطلقوا رحمهم الله في تعديل الرواة وتجريحهم من هوى ، أو حسب الأمزجة ، وإنما كانوا يفعلون ذلك حسبة لله وتديننا ، ولذلك كثر قولهم "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم" (١).

ولقد قام علم عظيم وضعت له القواعد وأسست له الأسس ، وجعل مقياساً دقيقاً ضبطت به أحوال الرواة من حيث التوثيق والتضعيف ، ذلك علم الجرح والتعديل الذي لانظير له عند أمة من الأمم .
والذي يطلع في كتب علوم الحديث يقف مبهوراً أمام هذا العلم الفائق الدقة ، البالغ الإحكام ، الذي لا يمكن أن يكون وضع صدفة أو جاء عفواً ، وإنما بذلت فيه جهود ، وتعبت فيه أجسام ، وسهرت فيه أعين حتى بلغ إلى قمة الحسن ومنتهى الجودة .
ونتناول من هذا العلم أموراً ثلاثة يتضح من خلالها فساد زعم هذا المستشرق وبطلانه .

أولها : من هو الراوى الذى يقبل حديثه؟

ثانيها : كيف يوثق؟

ثالثها : إذا تعارض فيه توثيق وتضعيف ، ما العمل إذاً؟ وما الذى أدى

إلى ذلك؟

والجواب على هذه الأسئلة :

أولها : لقد نص علماء الحديث على صفات معينة متى توفرت تلك

الصفات فى شخص معين قبلت روايته واحتج بحديثه .

قال ابن الصلاح رحمه الله :

"وأجمع جماهير أئمة الحديث والفقهاء على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلاً ضابطاً لما يرويه . وتفصيله أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة متيقظاً غير مغفل حافظاً إن حدث من حفظه ، ضابطاً لكتابه إن حدث من كتابه . وإن كان يحدث بالمعنى اشترط فيه مع ذلك أن يكون عالماً بما يحيل المعاني" (١).

فهذا هو الثقة الذي تقبل روايته وهو الذي جمع بين شرطى العدالة والضبط .

ثانيها : يوثق الراوى إذا ثبتت عدالته بالاستفاضة ، أو باشتهاره بين أهل العلم بالثناء والخير ، أو بتعديل عالم أو أكثر بالتعديل (٢) ، وثبت ضبطه بموافقة روايته للثقات المتقنين في الغالب (٣).

ويقبل تعديل الراوى ولو لم يذكر سببه وذلك لكثرة أسباب التعديل ومشقة ذكرها .

وأما جرحه فلا يقبل إلا إذا بين سببه ، لأنه يحصل بأمر واحد ، ولا مشقة في ذكره ، إضافة إلى اختلاف الناس في أسبابه (٤).

ثالثها : إذا تعارض جرح وتعديل في راو معين قدم الجرح ولو زاد عدد المعدلين ، وعلى ذلك جمهور العلماء ، لأن مع الجرح زيادة علم خفيت عن المعدل ، فالمعدل يخبر عن ظاهر حال الراوى ، والمجرح يخبر عن أمر باطن (٥).

-
- (١) مقدمة ابن الصلاح ص ٤٩-٥٠ ، وانظر : التقريب مع التدريب ٣٠٠/١-٣٠١ ، اختصار علوم الحديث مع الباعث ص ٨٧ ، كتاب المجروحين ٨/١ .
- (٢) انظر : مقدمة ابن الصلاح ص ٥٠ ، التقريب مع التدريب ٣٠١/١ ، اختصار علوم الحديث مع الباعث ص ٨٨ .
- (٣) انظر : مقدمة ابن الصلاح ص ٥٠ ، التقريب مع التدريب ٣٠٤/١ ، اختصار علوم الحديث مع الباعث ص ٨٩ .
- (٤) انظر : مقدمة ابن الصلاح ص ٥٠-٥١ ، التقريب مع التدريب ٣٠٥/١ ، اختصار علوم الحديث مع الباعث ص ٨٩ .
- (٥) انظر : مقدمة ابن الصلاح ص ٥٢ ، تدريب الراوى ٣٠٩/١ ، الباعث الحثيث ص ٩١ ، منهج النقد في علوم الحديث ص ٩١ .

قال الدكتور نور الدين العتر :

"لكن هذه القاعدة ليست على إطلاقها في تقديم الجرح ، فقد وجدناهم يقدمون التعديل على الجرح في مواطن كثيرة ، ويمكننا أن نقول : إن القاعدة مقيدة بالشروط الآتية :

- (١) أن يكون الجرح مفسراً ، مستوفياً لسائر الشروط .
- (٢) أن لا يكون الجرح متعصباً على المجروح أو متعنّياً في جرحه .
- (٣) أن لا يبين المعدل أن الجرح مدفوع عن الراوى ، ويثبت ذلك بالدليل الصحيح .

وهذا يدل على أن اختلاف ملحظ النقاد يؤدي إلى اختلافهم في الجرح والتعديل ، لذلك قال الذهبي وهو من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال :

"لم يجتمع اثنان من علماء هذا الشأن قط على توثيق ضعيف ولا على تضعيف ثقة" . أى لأن الثقة إذا ضعف يكون ذلك بالنظر لسبب غير قاذح ، والضعيف إذا وثق يكون توثيقه من الأخذ بمجرد الظاهر" (١).

وقال الحافظ ابن حجر :

"والجرح مقدم على التعديل ، وأطلق ذلك جماعة ولكن محله إن صدر مبيناً من عارف بأسبابه ، لأنه إن كان غير مفسر لم يقدر فيمن ثبتت عدالته ، وإن صدر من غير عارف بالأسباب لم يعتبر به أيضاً ، فإن خلا المجروح عن تعديل قبل الجرح فيه مجملأً غير مبين السبب إذا صدر من عارف على المختار ، لأنه إذا لم يكن فيه تعديل فهو في حيز المجهول ، وإعمال قول المجرح أولى من إهماله" (٢).

كما أنه يجب أن يراعى عند الاختلاف حال المعدل والمجرح ، لأن ذلك من القرائن التي يرجح بها عند الاختلاف في التوثيق والتضعيف .

(١) منهج النقد في علوم الحديث ص ٩١-٩٢ .

(٢) شرح نخبة الفكر ص ١٥٥ .

قال الإمام الذهبي مبيناً أقسام المتكلمين في الرجال من حيث التعنت والتوسط والاعتدال في الجرح والتعديل :

"١ - قسم منهم متعنت في الجرح ، مثبت في التعديل ، يغمز الراوى بالغلطين والثلاث ، ويلين بذلك حديثه ، وهذا إذا وثق شخصاً فعض على قوله بناجذيك ، وتمسك بتوثيقه ، وإذا ضعف رجلاً فانظر هل وافقه غيره على تضعيفه ، فإن وافقه ، ولم يوثق ذاك أحد من الحذاق ، فهو ضعيف ، وإن وثقه أحد فهذا الذى قالوا فيه : لا يقبل تجريحه إلا مفسراً ، يعنى لا يكفى أن يقول فيه ابن معين مثلاً : هو ضعيف ، ولم يوضح سبب ضعفه ، وغيره قد وثقه ، فمثل هذا يتوقف في تصحيح حديثه ، وهو إلى الحسن أقرب . وابن معين وأبو حاتم والجوزجاني متعنتون .

٢ - وقسم في مقابلة هؤلاء ، كأبى عيسى الترمذى ، وأبى عبد الله الحاكم ، وأبى بكر البيهقى : متساهلون .

٣ - وقسم كالبخارى ، وأحمد بن حنبل ، وأبى زرعة ، وابن عدى : معتدلون منصفون" (١).

وأما اختلافهم في صحة حديث أو تضعيفه ، فيرجع ذلك إلى أمرين : الأول : اختلافهم في استيفاء الحديث لشروط الصحة ، فحكم كل ماأداه إليه اجتهاده .

الثانى : اختلافهم في لزوم بعض تلك الشروط للصحة ، كالحديث المرسل ، فالبعض يصححه إذا استوفى بقية الشروط ، وبعضهم يضعفه لعدم الاتصال (٢).

(١) ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل ص ١٥٨-١٥٩ ، ضمن أربع رسائل بتحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، وانظر الجواب على السؤال الرابع من كتاب الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة ص ١٦١ فما بعدها .

(٢) منهج النقد في علوم الحديث ص ٢٢٥ بتصرف . وانظر : مقدمة ابن الصلاح ص ٨ التقييد والإيضاح ص ٢٠ .

وبعد فعلماء الحديث لم ينطلقوا في توثيقهم وتجريحهم ، وتصحيحهم وتضعيفهم من خواء وتخبط ، وإنما انطلقوا من قواعد متينة وأرض صلبة ، في أحكامهم. ولذلك برزت هذه الأحكام إلى الوجود في منتهى الدقة ، متفقة فيما بينها ، متحدة لاشذوذ فيها ، منسجمة لاتباين يعترئها . ويعجز كل دعي أن ينقد ماأصلوه بنقد علمي لامطعن فيه وبحكم لا قادح فيه .
وإن كان جوينبل قد أساء في حكمه وظلم ، فهناك من أحسن وعدل ، ذلك هو محمد أسد (ليوبولد فايس) عندما قال :

"إننا نتخطى نطاق هذا الكتاب إذا نحن أسهبنا في الكلام على وجه التفصيل في الأسلوب الدقيق الذي كان المحدثون - علماء الحديث - الأولون يستعملونه للتثبت من صحة كل حديث ، ويكفى - من أجل ما نحن هنا بصدد - أن نقول إنه نشأ من ذلك علم تام الفروع غايته الوحيدة البحث في معاني أحاديث الرسول وشكلها وطريقة روايتها . ولقد استطاع هذا العلم في الناحية التاريخية أن يوجد سلسلة متماسكة لتراجم مفصلة لجميع الأشخاص الذين ذكروا عن أنهم رواة أو محدثون ، إن تراجم هؤلاء الرجال والنساء قد خضعت لبحث دقيق من كل ناحية ، ولم يعد منهم في الثقافات إلا أولئك الذين كانت حياتهم وطريقة روايتهم للحديث تتفق تماماً مع القواعد التي وضعها المحدثون ، تلك القواعد التي تعتبر على أشد ما يمكن أن يكون من الدقة . فإذا اعترض أحد اليوم من أجل ذلك على صحة حديث بعينه أو على الحديث جملة ، فإن عليه هو وحده أن يثبت ذلك" (١).

(ج) وجود الأسانيد اعتباراً ، ولم تجد اعتناء من المحدثين :

لم يلق علم من العلوم في جميع جوانبه وفروعه مالقى علم الحديث من العناية والاهتمام من علماء الأمة الإسلامية بدءاً من عهد الصحابة رضی الله عنهم إلى يومنا هذا ، وأصدق شاهد على ذلك هذه المؤلفات الكثيرة الماثلة

أمام أعين الجميع ، ومامن جزئية من جزئياته إلا وتجد أن العلماء أشبعوها بحثاً وأوفوها دراسة .

ومن ذلك إسناد الحديث الذى بدأ مع بداية رواية الحديث ، أى منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان الشاهد يبلغ الغائب ، وكان الصحابة رضى الله عنهم يحضرون مجلسه ثم ينقل من حضره إلى من غاب عنه ماسمع ، كما سبق فى قصة عمر مع جاره الأنصارى (١).

وما كان الصحابة رضى الله عنهم يكذب بعضهم بعضاً إذ الثقة بينهم كانت متوفرة ، ولكن لما ركب الناس الصعب والذلّول أصبحوا يشددون فى الإسناد ويلتزمون فى رواية الحديث ، روى مسلم بسنده إلى مجاهد قال : جاء بشير العدوى إلى ابن عباس ، فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه ، فقال : يا ابن عباس مالى لأراك تسمع لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله ولا تسمع؟ فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا ، وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلّول ، لم نأخذ من الناس إلا مانعرف" (٢).

قال ابن سيرين :

"لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم" (٣).

وتشدد التابعون من بعدهم فى التمسك بالإسناد والتزامه فى الرواية ، وما كانوا يقبلون خبراً عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا مسنداً .

(١) انظر : الوضع فى الحديث ١٣/٢-١٥ ، وانظر ص ٤٧٩

(٢) صحيح مسلم ، المقدمة ١٣/١ .

(٣) المرجع السابق ١٥/١ ، الدارمى ١١٢/١ .

سمع الإمام الزهري أهل الشام وهم يقولون : قال رسول الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : "يا أهل الشام :مالي أرى أحاديثكم ليست لها أزمة ولا خطم؟ قال الوليد بن مسلم^(١) : فتمسك أصحابنا بالأسانيد من يومئذ"^(٢).

وكان إذا حدث رحمه الله أتى بالإسناد ويقول : "لا يصح أن يرقى السطح إلا بدرجه"^(٣).

وكان هشام بن عروة^(٤) يوصي تلاميذه بطلب الإسناد فيقول : "إذا حدثك رجل بحديث فقل عمن هذا؟"^(٥)

وقد أخذ الإسناد المتصل نصيبه من العناية والاهتمام البالغ في عهد التابعين ، حتى أصبح من واجب كل من يروى حديثاً ، أن ينسب ما يروى ، وهو بإسناده الحديث يرفع العهدة عن نفسه ، ويطمئن سامعه إلى صحة نقله^(٦).

(١) الوليد بن مسلم :

هو الوليد بن مسلم ، القرشي مولا هم ، أبو العباس الدمشقي ، ثقة ، لكنه كثير التدليس . روى عن الأوزاعي ، وثور بن يزيد ، وعنه أحمد وإسحاق بن منصور ودحيم . مات سنة ١٩٤هـ أو ١٩٥هـ .

انظر : الجرح والتعديل ١٦/٩ - ١٧ ، الكاشف ٢٤٢/٣ ، تقريب التهذيب ٣٣٦/٢ سير أعلام النبلاء ٣٣٤/٥ .

(٢) والأزمة : جمع زمام . والخطم جمع خطام . والزمام والخطام بمعنى واحد وهو مايوضع في أنف البعير فيقاد به .

انظر : القاموس المحيط ص ١٤٢٦ ، ١٤٤٤ .

(٣) الجرح والتعديل ١٦/٢ .

(٤) هشام بن عروة :

هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي ، ثقة فقيه ، ربما دلس . سمع عمه ابن الزبير وأباه ، وعنه شعبة ، ومالك ، والقطان . مات سنة ١٤٥هـ أو ١٤٦هـ . انظر : الجرح والتعديل ٦٣/٩ ، الكاشف ٢٢٣/٣ ، تقريب التهذيب ٣١٩/٢ .

(٥) الجرح والتعديل ٣٤/١ .

(٦) السنة قبل التدوين ص ٢٢٦ بتصرف ، وانظر : أصول الحديث ص ٤٣٠ .

وظل الإسناد من بعد ذلك يلقي عناية عظيمة من علماء الحديث وجهابذته ، بل أصبح طلبه عندهم تديناً لله تعالى .

قال عبد الله بن المبارك :

"الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء" (١).

وبالتالى لا يعتمدون حديثاً ليس مسنداً .

يقول ابن المبارك :

"بيننا وبين القوم القوائم" . يعنى الإسناد (٢).

قال النووى فى معناه :

"إن جاء بإسناد صحيح قبلنا حديثه وإلا تركناه فجعل الحديث كالحيوان لا يقوم بغير إسناد كما لا يقوم الحيوان بغير قوائم" (٣).

ولذا إذا ورد إليهم حديث لا يقبلونه مهما كان مقام من رواه إلا إذا أسنده ، وصح إسناده .

روى مسلم بسنده إلى أبى إسحق إبراهيم بن عيسى الطالقانى (٤) قال : قلت لعبد الله بن المبارك : يا أبا عبد الرحمن! الحديث الذى جاء "إن من البر بعد البر ، أن تصلى لأبويك مع صلاتك ، وتصوم لهما مع صومك" (٥).

(١) صحيح مسلم ، المقدمة ١٥/١ .

(٢) المرجع السابق ١٥/١ .

(٣) شرح النووى على مسلم ٨٨/١ .

(٤) أبو إسحق الطالقانى :

هو إبراهيم بن إسحاق بن عيسى البنانى ، مولاهم ، أبو إسحاق الطالقانى ، نزيل مرو . صدوق ، يغرب . وقال الذهبي : "ثبت ، مرجىء" . روى عن الدراوردي وابن المبارك . وعنه سمويه ، والدورى ، والصاغانى . مات سنة ٢١٥هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٨٦/٢ ، الكاشف ٧٥/١-٧٦ ، تقريب التهذيب ٣١/١ .

(٥) والحديث أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه من حديث الحجاج بن دينار . كتاب الجنائز ، باب ما يتبع الميت بعد موته ٣٨٧/٣ .

قال فقال عبد الله : يا أبا اسحق عمن هذا ؟ قال : قلت له : هذا من حديث شهاب بن خراش (١) . فقال ثقة . عمن ؟ قال : قلت : عن الحجاج بن دينار (٢) . قال ثقة عمن ؟ قال : قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا إسحاق إن بين الحجاج بن دينار وبين النبي صلى الله عليه وسلم مفاز ، تنقطع فيها أعناق المطى ، ولكن ليس فى الصدقة اختلاف " (٣) .

بل لم يقف البحث عن الإسناد والتشدد فيه عند العلماء وطلبة العلم فحسب ، بل أصبح أمراً مسلماً به عند عامة الناس . قال الأصمى : " حضرت ابن عيينة وأتاه أعرابى فقال : كيف أصبح الشيخ يرحمه الله ؟ فقال سفيان : بخير بحمد الله ، قال : ماتقول فى امرأة من الحاج حاضت قبل أن تطوف بالبيت ؟ فقال تفعل مايفعل الحاج غير إنها لا تطوف بالبيت . فقال : هل من قدوة ؟ قال : نعم ، عائشة حاضت قبل أن تطوف بالبيت ، فأمرها

(١) شهاب بن خراش : هو شهاب بن خراش بن حوشب الشيبانى ، أبو الصلط الواسطى ، نزل الكوفة . صدوق يخطىء . روى عن عمه العوام ، وعمرو بن قرّة ، وقتادة . وعنه آدم وعلى بن حجر وقتيبة . انظر : الجرح والتعديل ٣٦٢/٤ ، الكاشف ١٥/٢-١٦ ، تقريب التهذيب ٣٥٥/١ .

(٢) الحجاج بن دينار : هو الحجاج بن دينار الواسطى ، لأبأس به . روى عن معاوية بن مرة ، والحكم ابن عتيبة . وعنه شعبة ، ويعلى بن عبيد . انظر : الجرح والتعديل ١٥٩/٣-١٦٠ ، الكاشف : ٢٠٦/١ ، تقريب التهذيب ١٥٣/١ .

(٣) صحيح مسلم ، المقدمة ١٦/١ .

النبي صلى الله عليه وسلم أن تفعل مايفعل الحاج غير الطواف (١)، قال : هل من بلاغ عنها؟ قال : نعم ، حدثني عبد الرحمن بن القاسم (٢) عن أبيه (٣) عن عائشة بذلك ؟

قال الأعرابي : "لقد استسمنت القدوة ، وأحسننت البلاغ والله ، لك بالرشاد" (٤).

ولقد عظم إهتمام علماء الحديث بالإسناد ، حفاظاً على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن تنالها يد العابثين ، وأن تتطرق إليها أهواء

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه . ولفظه : "فافعل مايفعل الحاج غير أن لاتطوفى بالبيت حتى تطهرى" . كتاب الحيض (٦) ، باب تقضى الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت (٧) ، ٧٩/١ .

وفى كتاب الحج (٢٥) ، باب تقضى الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت (٨١) ، ١٧١/٢ . وأخرج نحوه فى كتاب العمرة (٢٦) ، باب العمرة ليلة الحصة وغيرها (٥) ، وباب عمرة التمتع (٦) ، وباب الاعتمار بعد الحج بغير هدى (٧) ٢٠١-٢٠٠/٢ .

وفى كتاب الأضاحى (٧٣) ، باب الأضحية للمسافر والنساء (٣) ، ٢٣٥/٦ . وأخرجه مسلم فى صحيحه مكرراً بعدة ألفاظ . فى كتاب الحج (١٥) ، باب بيان وجوه الإحرام (١٧) ، ٨٧٣/٢-٨٧٤ .

(٢) عبد الرحمن بن القاسم :

هو عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، التيمى ، أبو محمد المدنى . ثقة جليل . قال ابن عيينة : كان أفضل أهل زمانه . سمع أباه وابن المسيب وأسلم مولى عمر . وعنه شعبة ومالك وابن عيينة . مات سنة ١٢٦هـ وقيل بعدها .

انظر : الجرح والتعديل ٢٧٨/٥-٢٧٩ ، الكاشف ١٨١/٢ ، تقريب التهذيب ٤٩٥/١ .

(٣) القاسم :

هو القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق التيمى ، ثقة ، أحد الفقهاء بالمدينة ، قال أيوب : مارأيت أفضل منه . روى عن عائشة وأبى هريرة وفاطمة بنت قيس وعنه الزهرى ، وأبو الزناد . مات سنة ١٠٦هـ على الصحيح .

انظر : الجرح والتعديل ١١٨/٧ ، الكاشف ٣٩٣/٢ ، تقريب التهذيب ١٢٠/٢ . (٤) الكفاية ص ٥٧٠ ، وانظر أصول الحديث ص ٤٢٩ .

الجاهلين ، فبه حموا جناب السنة من الزيادة والنقصان ، وبسببه دفعوا كل كذب عنها وبهتان .

قال أبو حاتم بن حبان :

"ولو لم يكن الإسناد وطلب هذه الطائفة له لظهر في هذه الأمة من تبديل الدين مظهر في سائر الأمم ، وذاك أنه لم يكن أمة لنبي قط حفظت عليه الدين عن التبديل ما حفظت هذه الأمة ، حتى لا يتهياً أن يزداد في سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف ولاواو ، كما لا يتهياً زيادة مثله في القرآن فحفظت هذه الطائفة السنن على المسلمين ، وكثرت عنايتهم بأمر الدين ، ولولاهم لقال من شاء بما شاء" (١).

وقال الحاكم :

"فلولا الإسناد وطلب هذه الطائفة له وكثرة مواظبتهم على حفظه لدرس منار الإسلام ولتمكن أهل الإلحاد والبدع فيه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد ، فإن الأخبار إذا تعرت عن وجود الأسانيد كانت براء" (٢).

وما أصدق ما قال الثوري رحمه الله في وصف الإسناد ، إذ يقول :
"الإسناد سلاح المؤمن ، إذا لم يكن معه سلاح فبأى شيء يقاتل" (٣). ومن هنا درس المحدثون الإسناد دراسة مستوفية ، فدرسوه من حيث اتصاله ، فوضعوا قواعد تتناول كافة أحوال الاتصال ، وسائر وجوهه ، فنظروا إليه من حيث مبدئه وانتهائه ، ووضعوا لذلك اسماً ، ودرسوا صيغه وبيّنوا شروطها ، ونظروا إلى مسافة السند من حيث الطول والقصر ، وإلى حال الرواة عند الأداء . ونقدوا الأسانيد في الحديث الواحد وما فيها من زيادة ونقص . كما درسوا الإسناد من حيث الانقطاع وأنواعه ، فبحثوا موضعه من أوله أو وسطه أو آخره ، كما بحثوه من حيث طبيعته

(١) كتاب المجروحين ٢٥/١ .

(٢) معرفة علوم الحديث ص ٦ .

(٣) كتاب المجروحين ٢٧/١ ، شرف أصحاب الحديث ص ٤٢ .

فى الظهور والخفاء ، وبلغوا الغاية ومنتهى الدقة فى ذلك . واستوفوا بذلك كل أوجه الاحتمالات فى اتصال الحديث وانقطاعه مما أدى إلى بروز أحكامهم على الأحاديث فى غاية الصحة والدقة والسداد^(١) .

وقد عرفوا الحديث الصحيح بما نقله عدل تام الضبط ، متصل السند غير معلل ولا شاذ^(٢) .

فاختص الإسناد من ذلك بثلاثة شروط وشارك متن الحديث فى الشرطين الآخرين ، فدل هذا على أهميته البالغة ، واعتنائهم به . بل أكثروا من الترحال والتنقل فى طلب الأسانيد وتتبعها والوقوف على مافيه من علل ، وبذلك حرصوا على قرب الأسانيد وقلة النقلة والوسائط .

وبعد هذا يتبين لنا أن مازعمه شاخى لم يبن على دراسة سابقة ، ولا معرفة ، وإنما ادعاء قصر فيه بصر صاحبه ، أو أغمض قصداً حتى لا يشاهد الحقائق الثابتة البينة لكل منصف ، وذلك أمر فقد عند المستشرقين .

(د) نقد المحدثين لا يتعدى السند :

هذه فرية أخرى ، وكذب مكشوف يوجه إلى منهج المحدثين ، لينفذ من خلاله إلى حصن السنة فيحدث فيه شرخاً ، ويقوض بنيانه ، إذ التشكيك فى السنة هو الهدف الرابط بين هذه الشبهة وسابقتها ، وقد تساقط ماسبق وتبين فساده ، ولن تصمد هذه أبداً لأنها عارية عن الحقيقة وما كان كذلك ما أسرع ما يكشف عدم صدقه ويفضح أمره ، وبيان ذلك :

لقد اهتم علماء الحديث اهتماماً بالغاً بدراسة متن الحديث ، واستوفوا تلك الدراسة ، وبذلوا قصارى جهدهم فى العناية به بحيث لا يوجد مزيد على ما قدموه .

(١) انظر : منهج النقد فى علوم الحديث ص ٣٦٧-٣٧٠ .

(٢) شرح نخبة الفكر ص ٣٠ .

وماسبق مما أشرنا إليه من دراسة للإسناد إنما يهدفون من وراء كل ذلك إلى الوصول إلى صحة المتن لكي يتعرفوا على الصحيح مما نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، هذا هدفهم وهذه غايتهم (١).

وتقدمهم للسند مرتبط ارتباطاً وثيقاً بنقد المتن ، وقد بينا أن توثيق الراوى لا يتم إلا بثبوت عدالته وضبطه ، وهذا الأخير إنما يعرف بمقارنة مرويات الراوى مع مرويات الثقات الآخرين (٢).

وصحة إسناد الحديث لاتعنى صحة الحديث ، لأن من شروط الصحيح ألا يكون شاذاً ولا معللاً ، والشذوذ والعلة يكونان في السند كما يكونان في المتن ، فقد يصح إسناد حديث ما ويكون في متنه علة قاذحة تقدح في صحته وهكذا الشذوذ . ولذا لم تكن دراستهم قاصرة على الأسانيد ، وإنما بحثوا في علل المتن وشذوذها، وضمن ذاك كتب المصطلح وكتب العلل وهى كثيرة . وهنالك كثير من علوم الحديث لم يكتف فيها بدراسة الإسناد فقط ، وإنما درس الإسناد والمتن جميعاً ، من ذلك : الحديث المقلوب (٣) ، والمضطرب (٤) ،

(١) انظر : السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام ص ٢٤٠ .

(٢) انظر : منهج النقد في علوم الحديث ص ٤٤٣-٤٤٤ .

(٣) المقلوب : هو أن يقدم الراوى ويؤخر في اسم أحد الرواة واسم أبيه ، أو يبدل شخصاً بآخر . أو يقدم ويؤخر في بعض متن الحديث ، أو يجعل متن حديث على إسناد آخر ، ويجعل إسناده لمتن آخر .

انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص ٨٢-٨٥ ، شرح نخبة الفكر ص ٨٧ ، تيسير مصطلح الحديث ص ١٠٥-١٠٧ ، أصول الحديث ص ٣٤٥-٣٤٧ .
(٤) المضطرب :

هو أن يأتي الحديث على أوجه مختلفة ، في متنه أو في سنده من راو واحد أو أكثر ، وتساوت رواياته في القوة بحيث لا يمكن الترجيح بينها بوجه من وجوه الترجيح .

انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص ٦٨ ، شرح نخبة الفكر ص ٨٩-٩١ ، تيسير مصطلح الحديث ص ١١٢-١١٤ ، أصول الحديث ص ٣٤٤-٣٤٥ .

والمدرج (١)، والمعلل ، والمصحف (٢)، والموضوع ، وزيادة الثقة (٣)(٤).
كما أنشئت علوم كثيرة تتعلق بدراسة المتن خاصة ، من ذلك غريب
الحديث (٥)، أسباب وروده (٦)،

-
- (١) المدرج :
هو ما وقعت في إسناده أو متنه زيادة من بعض الرواة ليست من أصل الحديث ،
بلا فصل .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص ٦٩-٧٣ ، شرح نخبة الفكر
ص ٨٥-٨٦ ، تيسير مصطلح الحديث ص ١٠٣-١٠٦ ، أصول الحديث ص ٣٧٠-٣٧٣
المصحف : (٢)
هو ما غيرت فيه كلمة أو أكثر في إسناده أو متنه إلى غير مارواها الثقات ، لفظاً
أو معنى .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص ١٦٥-١٦٩ ، شرح نخبة الفكر
ص ٩٢-٩٣ ، تيسير مصطلح الحديث ص ١١٤-١١٧ ، أصول الحديث ص ٣٧٣-٣٧٥
زيادة الثقة : (٣)
هى أن يروى الثقة حديثاً فيزيد فيه لفظة أو أكثر لم يروها غيره من الثقات
الذين رووا الحديث نفسه .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص ٥٨-٦٠ ، شرح نخبة الفكر
ص ٤٥-٤٩ ، تيسير مصطلح الحديث ص ١٣٧-١٤٠ .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص ٨٥-٨٦ . (٤)
غريب الحديث : (٥)
هو ما يقع في الحديث من لفظة غامضة تبعد عن الفهم لقلة استعمالها .
انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص ١٦٢-١٦٣ ، شرح نخبة الفكر
ص ٩٤-٩٥ ، تيسير مصطلح الحديث ص ١٧٤-١٧٥ ، أصول الحديث ص ٢٨٠-٢٨٢ .
أسباب ورود الحديث : (٦)
هى المناسبات التى ذكرت فيها الأحاديث أو الوقائع التى من أجلها سيقى
الأحاديث .
انظر : أصول الحديث ص ٢٩٠ .

ناسخه ومنسوخه (١)، مشكله ، ومحكمه (٢)(٣).

وفي هذه بذل المحدثون جهداً لانظير له ولا مثيل ، ومن جهودهم في دراسة المتن ما وضعوه من علامات وضوابط يعرف بها وضع الحديث من غير رجوع إلى سنده ، من ذلك :

(١) ركاقة اللفظ في المروى :

فيدرك من له المام باللغة ومعرفتها أن ذلك لا يمكن أن يكون من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا صرح الراوى بأنه لفظه ، وإلا فمدار الركة على المعنى وإن لم ينضم إليها ركة اللفظ (٤).

(٢) فساد المعنى :

كالأحاديث التي يكذبها الحس . كحديث "الباذنجان لما أكل له" (٥). ومنها سماجة الحديث وكونه مما يسخر منه كحديث "من اتخذ ديكاً أبيض لم يقربه شيطان ولا سحر" (٦).

(١) ناسخ الحديث ومنسوخه :

النسخ هو : رفع الشارع حكماً منه متقدماً بحكم منه متأخر . وعلم ناسخ الحديث ومنسوخه هو العلم الذي يبحث عن الأحاديث المتعارضة التي لا يمكن التوفيق بينها فيسمى ماتقدم منها منسوخاً ، وماتأخر ناسخاً .

انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص ١٦٤-١٦٥ ، شرح نخبة الفكر ص ٦٠-٦٢ ، تيسير مصطلح الحديث ص ٥٩-٦٠ ، أصول الحديث ص ٢٨٧-٢٩٠ .

(٢) مشكل الحديث ومحكمه :

مشكل الحديث أو مختلفه هو ما عارضه غيره من الأحاديث . أو أشكل فهمه وتصوره .

ومحكم الحديث هو الذي سلم من معارضة غيره ، ولم يشكل معناه .

انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص ١٦٩-١٧١ ، شرح نخبة الفكر ص ٥٨-٥٩ ، تيسير مصطلح الحديث ص ٥٦-٥٨ ، أصول الحديث ص ٢٨٣-٢٨٦ .

(٣) انظر : منهج النقد في علوم الحديث ص ٣١٠-٣١٩ .

(٤) انظر : تدريب الراوى ١/٢٧٥-٢٧٦ ، الباعث الحثيث ص ٧٧-٧٨ ، السنة قبل

التدوين ص ٢٤٢ ، أصول الحديث ص ٤٣٣ .

(٥) انظر : المنار المنيف ص ٥١ .

(٦) انظر المرجع السابق ص ٥٤-٥٥ .

ومادل على إباحة المفسد والجري وراء الشهوات ، كحديث "النظر إلى الوجه الجميل عبادة" (١).

وماشتمل على مجازفات لاتصدر عن العقلاء ، كحديث "المجرة التي في السماء من عرق الأفعى التي تحت العرش" (٢).

وماقامت الشواهد الصحيحة على بطلانه ، كحديث عوج بن عنق الطويل (٣).

(٣) مخالفة الحديث لنص القرآن أو السنة المتواترة :

فما يخالف القرآن كحديث "مقدار الدنيا وإنها سبعة ألف سنة" فهو مخالف لقوله تعالى : {يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت فى السموات والأرض ، لاتأتىكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها ، قل إنما علمها عند الله" (٤)(٥).

وما يخالف السنة كأحاديث مدح من اسمه محمد أو أحمد ، وأن كل من يسمى بهذه الأسماء لا يدخل النار . والنار لا يجار منها بالأسماء والألقاب وإنما بالإيمان والعمل الصالح (٦).

(٤) مادل على تواطؤ الصحابة على كتمان أمر وعدم نقله :

كما يدعى الشيعة أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد على وهم راجعون من حجة الوداع فأقامه بين جميع الصحابة وعرفه لهم بقوله : "هذا وصي وأخى ، والخليفة من بعدى فاسمعوا له وأطيعوا" ثم اتفق الجميع على

(١) انظر : المنار المنيف ص ٦٢ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٥٩ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٧٦ .

(٤) سورة الأعراف : آية ١٨٧

(٥) انظر المرجع السابق ص ٨٠ .

(٦) انظر المرجع السابق ص ٥٦-٥٧ .

كتمان ذلك (١).

(٥) ماخالف الحقائق التاريخية التي جرت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم واقترن بقرائن دلت على بطلانه .

كحديث "وضع الجزية عن أهل خير" (٢).

(٦) ماوافق مذهب الراوى وهو غال في تعصبه :

مثل أن يروى رافضى حديثاً في فضل أهل البيت ، أو مرجىء حديثاً في الإرجاء (٣).

(٧) ماكان عن أمر جسيم تتوفر الدواعى على نقله :

كحصر العدو للحاج عند البيت ثم لاينقله إلا واحد منهم (٤).

(٨) مااشتمل على مجازفات وإفراط في الثواب العظيم على الأمر الصغير ، أو وعيد عظيم على فعل يسير :

كحديث "من قال لاإله إلا الله خلق الله من تلك الكلمة طائراً له سبعون ألف لسان ، لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون الله له" (٥).

وقد اكتسب الجهابذة من علماء الحديث مهارة فائقة في التمييز بين الموضوع والصحيح من الحديث بمجرد نظرهم إلى المتن من غير دراسة للإسناد وذلك لملازمتهم لعلم الحديث ومعرفتهم بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم . قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

(١) انظر المرجع السابق ص ٥٧ .

وحديث "هذا وصى ... الخ" ذكره ابن الجوزى في الموضوعات ٣٧٥/١ .

والملا على القارى في الأسرار المرفوعة برقم ١٠٢٣ ، ص ٢٥٨ .

والقيسراني في تذكرة الموضوعات ص ٢١٩ وقال : "فيه خالد بن عبيد العتكى لايجتج به" .

(٢) انظر : المنار المنيف ص ١٠٢ .

(٣) انظر : السنة قبل التدوين ص ٢٤٦ ، أصول الحديث ص ٤٣٦ .

(٤) انظر : السنة قبل التدوين ص ٢٤٦ ، أصول الحديث ص ٤٣٦ .

(٥) انظر : المنار المنيف ص ٥٠-٥١ .

"سئلت : هل يمكن معرفة الحديث الموضوع بضابط ، من غير أن ينظر في سنده؟

فهذا سؤال عظيم القدر ، وإنما يعلم ذلك من تضلع في معرفة السنن الصحيحة ، واختلطت بلحمه ودمه ، وصار له فيها ملكة ، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ، ومعرفة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه ، فيما يأمر به وينهى عنه ، ويخبر عنه ويدعو إليه ، ويحبه ويكرهه ، ويشعره للأمة ، بحيث كأنه مخالط للرسول صلى الله عليه وسلم كواحد من أصحابه .

فمثل هذا يعرف من أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه وكلامه ، وما يجوز أن يخبر به ، وما لا يجوز : ما لا يعرفه غيره وهذا شأن كل متبع مع متبوعه ، فان للأخص به ، الحريص على تتبع أقواله وأفعاله من العلم بها ، والتمييز بين ما يصح أن ينسب إليه وما لا يصح مالم لا يكون كذلك .

وهذا شأن المقلدين مع أئمتهم ، يعرفون أقوالهم ونصوصهم ومذاهبهم والله أعلم^(١).

وبفضل الله قد تكون عند أكثر علماء الحديث تلك الملكات الخاصة التي مكنتهم من تمييز ما صح من حديث النبي صلى الله عليه وسلم مما لم يصح ، وذلك لممارستهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم وعنايتهم الفائقة به .

قال الربيع بن خثيم^(٢) رحمه الله :

(١) المنار المنيف ص ٤٣-٤٤ .

(٢) الربيع بن خثيم :

هو الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبد الله الثوري ، أبو يزيد الكوفي ، ثقة عابد مخضرم ، قال له ابن مسعود : "لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك" روى عن ابن مسعود وأبي أيوب . وعنه الشعبي وإبراهيم . مات سنة ٦١ هـ وقيل ٦٣ هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٤٥٩/٣ ، الكاشف ٣٠٤/١ ، تقريب التهذيب ٢٤٤/١ .

"إن من الحديث حديثاً له ضوء كضوء النهار نعرفه به ، وإن من الحديث حديثاً له ظلمة كظلمة الليل نعرفه بها"(١).

وقال ابن الجوزي :

"الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم ، وينفر منه قلبه في الغالب"(٢).

وقال ما أحسن قول القائل : "إذا رأيت الحديث يباين المعقول ، أو يخالف المنقول ، أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع"(٣).

فعلماء الحديث رحمهم الله درسوا متن الحديث دراسة وافية يعرف قدرها من نظر إلى مؤلفات القوم وماتركوه من ميراث عظيم سارت على ضوئه الأجيال ، واعترف بذلك المنصفون ، فلا عبرة بما قاله غاستون ويت ، ولا بما قاله كل حاقد هالك يريد شراً بديننا القويم ، فنحن المسلمون بحمد الله نشق في علمائنا الأجلاء ونقدر لهم جهودهم ، ونشكر لهم ما بذلوه من جهود في خدمة سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، ونشهد لهم بذلك ، وبسلامة منهجهم واستقامته ، ولانلتفت إلى طعن طاعن ، أو قول مبغض فيهم أبداً ، بل نكشف قوله ، ونرد كيده ، ونحو أثره ، وصدق الله إذ يقول : {بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون}(٤).

(١) معرفة علوم الحديث ص ٦٢ ، الكفاية ص ٦٠٥ .

(٢) الموضوعات ١٠٣/١ ، تدريب الراوى ٢٧٥/١ ، الباعث الحثيث ص ٧٨ .

(٣) تدريب الراوى ٢٧٧/١ . وانظر الموضوعات ٩٩/١ .

(٤) سورة الأنبياء : آية ١٨

الباب الثالث

موقف المدرسة العقلية الحديثة

من السنة النبوية

وفيه فصلان :

الفصل الأول : تأثر المدرسة العقلية الحديثة بالمدرسة
القديمة وأثر ذلك في رد الأحاديث
النبوية .

الفصل الثاني : تأثر المدرسة العقلية الحديثة
بالمستشرقين وأثر ذلك في إثارة
الشبه حول السنة .

الفصل الأول

تأثر المدرسة العقلية الحديثة بالمدرسة القديمة وأثر ذلك فى رد الأحاديث النبوية

لعل الكثيرين من أبناء الإسلام يظنون أن أفكار المعتزلة طواها الزمان واندثرت فى أعماق التاريخ ، وهذا ظن لاحقيقة له ، والواقع يخالفه .
فهناك الكثيرون ممن وجدوا فى هذا العصر وحسبهم الناس من أهل العلم وحماة الإسلام ، يجدون أهل الاعتزال ، ويلتزمون نهجهم ، ويدافعون عن ذلك ، مستميتين فى الدفاع عنهم ، متبنين لآرائهم وأقوالهم ، يذبون عنها طعن كل طاعن ، ويذمون بسببها كل معترض .
يقول أحمد أمين :

"وكان للمعتزلة الفضل الأكبر فى علم الكلام ، لأنهم كانوا أكبر المدافعين عن الإسلام لما كان يثيره اليهود والنصارى الوثنيون من هبوب .
حتى لقد كانوا فيما روى يرسلون أتباعهم الكثيرين إلى البلدان الأخرى لرد هذا الهجوم رداً عقلياً .

وذاع صيتهم ، وعلا شأنهم بوجود طائفة ممتازة منهم ، مثل واصل ابن عطاء وأبى الهذيل العلاف ، والنظام والجاحظ ، وغيرهم ، بسبب ما أثير من مسألة خلق القرآن" (١) .

ويقول زهدى جبار الله :

"المعتزلة وقفوا أنفسهم على الدفاع عن الدين الإسلامى بالرد على خصومه ، وحمله إلى أقاصى الأرض للتبشير به ، وأنهم تحملوا فى سبيل ذلك العناء والمشقات ، وسهروا الليالى الطوال يضعون الكتب والمصنفات ، ومنهم من لقى حتفه ، وليس يذكر التاريخ أن أحداً من المسلمين كان أشد منهم تحمساً لتلك العناية ، ولا أعظم حرصاً عليها" (٢) .

(١) ظهر الإسلام ٥٠/٢ .

(٢) المعتزلة ص ٤٦ .

ويقول :

"لعل من أهم ما يسترعى انتباه الباحث في تاريخ المعتزلة تلك الضخامة في شخصياتهم ، وذلك السمو في صفاتهم . فقد جمعوا في أنفسهم بين التبحر في العلم ، والشغف بالفلسفة ، والكلف بالأدب ، والتحلى بالفضائل ، والانصراف إلى العبادة ، والزهد في متاع الحياة الدنيا . فكانوا في الدولة العربية الإسلامية طبقة مثقفة ثقافة عالية ، ومشكاة^(١) باعثة نور العرفان ، وحماسة الإيمان"^(٢).

ولم يقف عند ذلك ، بل وصفهم بأنهم دعاة حرية الرأي والإرادة في الإسلام ، الذين دافعوا عن العدالة الإلهية ، ورفعوا شأن الإنسان لأنهم اعتبروه حراً في اختيار أفعاله^(٣).

واعتبرهم النشار أهل الإبداع الفلسفي الذين تكمن فيهم فلسفة الإسلام الحقيقية^(٤).

ويحيطهم محمود قاسم بهالة من الصفات والسمات التي لا توجد عند غيرهم من طوائف الإسلام : فهم الذين نشروا الإسلام في خراسان وأرمينيا وهم أهل الزهد والتقوى ، وأكثر الناس منطقاً لأنهم ينكرون الجسمية والجهة والرؤية ، لأنهم يأبون أن يماثلوا بين الله وخلقه . وهم أقرب إلى التنزيه من أى طائفة إسلامية أخرى^(٥).

فهذا شأن أهل الابتداع من المعتزلة عند هؤلاء ، يعظمون ويكرمون ، ويرفع من شأنهم ، ويعلى من قدرهم . وفي المقابل يذم أهل الحديث ، ويساء إليهم ، ويطعن في نهجهم ، وتعاب طريقتهم .

يقول الشيخ محمد عبده :

(١) المشكاة : هي الكوة غير النافذة . القاموس المحيط ص ١٦٧٨ .

(٢) المعتزلة ص ٢٢٢ .

(٣) انظر : المرجع السابق ص ١١٢ .

(٤) انظر : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١٨/١ .

(٥) انظر : مقدمة مناهج الأدلة في عقائد الملة ص ٨١، ٨٠، ٧٧ .

".. اللهم إلا فئة زعمت أنها تقضت غبار التقليد ، وأزالت الحجب التي كانت تحول بينها وبين النظر في آيات القرآن ومتون الأحاديث لتفهم أحكام الله منها ، ولكن هذه الفئة أضيق عطفاً وأخرج صدراً من المقلدين وإن أنكرت كثيراً من البدع ، ونحت عن الدين كثيراً مما أضيف إليه وليس منه ، فإنها ترى وجوب الأخذ بما يفهم من لفظ الوارد والتقييد به ، بدون التفات إلى ما تقتضيه الأصول التي قام عليها الدين ، وإليها كانت الدعوة ، ولأجلها منحت النبوة ، فلم يكونوا للعلم أولياء ، ولاللمدنية السليمة أحياء" (١).

هكذا يرمى أهل الحديث وشيعة الرحمن ، من رجل أنيط باسمه لقب الأستاذ الإمام ، ولم يكن ذنبهم إلا أنهم تشبثوا بنصوص الوحي ، ولم يقدموا عليها غيرها من حثالة الأذهان وترهاتها .
ويقول محمود أبو رية :

"فترى ماذا تكون حال كثيرين من الذين يزعمون اليوم أنهم من المحدثين ، أولئك الذين يتسللون بين أشباههم من العامة - ومبلغ علمهم أنهم قرءوا بعض كتب الحديث واستظهروا عدداً مما فيها ، يجترونه ليؤيدوا به باطل المعتقدات وسوء العادات ويروجوا به مافشى بين الناس من الترهات والخرافات ، لكى يحتلسوا احترام الدهماء وثقتهم ، ويأكلوا بالباطل والإثم أموالهم .

على أنهم لو عرفوا قدر أنفسهم ، وأن ما يحفظونه مما لا يزيد أكثره عند أحفظهم عن عشرات من الأحاديث ، وأن كتاباً من كتب الحديث لا يزيد ثمنه عن بضعة قروش يغنى عنهم جميعاً ! لو أنهم عرفوا ذلك كله واستيقنوه لقبعوا في جحورهم ، ولأراحوا الناس من نقيقتهم .

ورحم الله أستاذنا الإمام محمد عبده رحمه الله حيث قال : فى رجل وصفوه بأنه قد جد واجتهد ، حتى بلغ مالم يبلغه أحد - فحفظ متن البخارى كله - 'لقد زادت نسخة فى البلد' . حقاً والله ما قال الإمام - أى أن قيمة

هذا الرجل - الذى أعجب الناس جميعا به لأنه حفظ البخارى - لا تزيد عن قيمة نسخة من كتاب البخارى لا تتحرك ولا تعي" (١).

أهكذا بلغ الأمر بحفظة حديث النبى صلى الله عليه وسلم وحملة سنته حتى يسخر بهم أفراخ المعتزلة وتلاميذ الغرب ، وما الذى قدموه هم للإسلام غير الطعن فيه ، والإساءة إليه ، وهذه كتبهم شاهدة على انتكاس عقولهم وانحراف منهجهم ، فكان الأولى بهم أن يكفوا ألسنتهم ويعيدوا النظر فيما دونوه وكتبوه من مخازى وأباطيل يندى لها جبين المسلم .

وهاهم يتباكون حزنا على ظهور أهل الحديث وقمع المعتزلة على يد المتوكل العباسى (٢) ، وذلك ما لا يرضاه هؤلاء ولا يحمدونه .

يقول أحمد أمين :

"ولئن كان للمحدثين محامد من ناحية الجد فى الجمع والنقد ، وعدم الاكتراث بالمتاعب ، والصبر على الفقر ، ونحو ذلك ، فقد كان لهم والحق يقال بعض الأثر السىء فى المبالغة فى الاعتماد على المنقول دون المعقول ، خصوصا بعدما مات المعتزلة ، فقد كان المعتزلة هؤلاء حاملى لواء العقل . والمحدثون حاملى لواء النقل . وكان عقل المعتزلة يلطف من نقل المحدثين . فلما نكل بالمعتزلة على يد المتوكل ، علا منهج المحدثين ، وكاد العلم كله يصبح رواية . وكان نتيجة هذا ، مانرى من قلة الابتكار ، وتقديس عبارات المؤلفين ، وإصابة المسلمين غالبا بالعقم ، حتى لا تجد كتابا جديدا ، أو رأيا جديدا بمعنى الكلمة . بل تكاد العقول كلها تصب فى قالب واحد جامد . واتخذت التراجم شكل تراجم المحدثين من ذكر وقائع وأحداث من غير تجديد ، كالذى نراه فى الأغاني . ومن الأسف أن منهجهم ساد منهج المعتزلة وغلبهم . وكان منهج المعتزلة منهجا متينا دقيقا حتى لم يستطع أن يفر منه إلا القليل" (٣).

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ٣٢٩ .

(٢) المتوكل العباسى : هو أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد هارون العباسى ، وهو الذى أحيا السنة وأظهرها ونصر أهلها ، وأمات التجهم ورفع محنة خلق القرآن . قتل سنة ٢٤٧هـ .

انظر : تاريخ بغداد ١٦٥/٧-١٧٢ ، وفيات الأعيان ٣٥٠/١-٣٥٦ ، العبر ٣٥٣/١ ، سير أعلام النبلاء ٣٠/١٢-٤١ .

(٣) ظهر الإسلام ٤٨/٢ ، وانظر : ٤٩/٢ .

وقال زهدى جار الله :

"إن هذه الحركة الفلسفية العلمية التحررية بدأت تتقوى وتنتشر . وأخذت تلقى أنصاراً وأعواناً . وإني لأعتقد أنها لو تركت تسير في مجراها الطبيعي لاستطاعت أن تقضى على الروح الرجعية في الأمة على قوتها وعنفها ، ولكتب لها الفوز والنجاح" (١).

وقال : "ولم يقتصر ضرر الرجعية الخبيلية على مهاجمة المتكلمين والفلاسفة ، بل إنه جعل الخبالة يتطرفون في أقوالهم تطرفاً أدى بهم إلى التجسيم والتشبيه" (٢).

إنهم لا يريدون لنصوص الشرع أن تعلو وتسود ، ولالأهل الحق أن يظهروا ، لأن نصوص الوحي تزعجهم ، وتفسد عليهم بضاعتهم ، وتكشف للناس ضحالة علمهم ، وقلة زادهم . ما الفائدة التي جناها الإسلام من أهل الاعتزال ومخلفاتهم ، غير أنهم أقحموا فيه ما هو غريب عنه من فلسفات اليونان وعصارة أذهان أعداء الإسلام ، التي يعاني من آثارها المسلمون حتى اليوم ؟ ولماذا يتباكى على فقدهم هؤلاء وقد عانى الإسلام منهم الأمرين ؟ أنسى هؤلاء فتنة خلق القرآن التي كادت أن تأتى على الإسلام برمته لولا لطف الله ونصرته لأهل الحق ؟ أم يريد هؤلاء أن نلقى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف أظهرنا لانعباً به ولانأبه له ، ونطلق لعقولنا العنان ، فنحكمها فيما شئنا من دين الإسلام ؟

وإن لم يكن الأمر كذلك ، فلماذا يزهدون الناس في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ويزجرونهم من قراءته وروايته ؟ يقول الشيخ محمد الغزالي :

"ونحن هنا نذود المرويات الواهية ، والأحاديث المعلولة كما نذود عن القرآن نفسه التفاسير المنحرفة والأفهام المختلفة ، ليبقى الوحي الإلهي نقياً .

إن ركاماً من الأحاديث الضعيفة ملأ آفاق الثقافة الإسلامية بالغيوم ،
وركاماً مثله من الأحاديث التي صحت . وسطا التحريف على معناها . أو
لابسها كل ذلك جعلها تنبو عن دلالات القرآن القريبة والبعيدة .
وقد كنت أزجر بعض الناس عن رواية الحديث الصحيح حتى يكشفوا
الوهم عن معناه ! إذا كان هذا المعنى موهماً ، مثل حديث "لن يدخل أحد
الجنة بعمله... الخ" .
إن طوائف من البطالين والفاشليين وقفت عند ظاهره المرفوض " (١) .

(١) السنة النبوية ص ١١٩ .

والحديث أخرجه البخارى بسنده إلى أبى هريرة ولفظه : قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : "لن يدخل أحداً عمله الجنة" . قالوا ولأنت يارسول
الله ؟ قال : "ولأنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل ورحمة فسدوا وقاربوا ولا يمتنين
أحدكم الموت إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً وإما مسيئاً فلعله أن يستعذب" .
كتاب المرضى (٧٥) ، باب تمنى المريض الموت (١٩) ١٠/٧ .
وأخرج نحوه من حديث أبى هريرة أيضاً ومن حديث عائشة رضى الله عنهما .
كتاب الرقاق (٨١) ، باب القصد والمداومة على العمل (١٨) ١٨٢، ١٨١/٧ .
وأخرج مسلم فى صحيحه نحوه من حديث أبى هريرة وجابر وعائشة رضى الله
عنهم . كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله
بل برحمة الله تعالى (١٧) برقم ٢٨١٦، ٢٨١٨ ، ٢١٦٩/٤ - ٢١٧١ .
قال النووى رحمه الله :

"وفى ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة
بطاعته . وأما قوله تعالى : {ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون} (سورة النحل : آية
٣٢) ، {وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون} (سورة الزخرف : آية ٧٢)
ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة فلا يعارض هذه
الأحاديث بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال ثم التوفيق للأعمال
والهداية للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله . فيصح أنه لم يدخل
بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث ، ويصح أنه دخل بالأعمال أى بسببها وهى
من الرحمة" .

شرح النووى على مسلم ١٦٠/١٧ - ١٦١ .

إنها لجرأة بالغة الحد أن توصف أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بأنها ركام من المرويات ، تحقيراً لشأنها وتنفيراً منها ، وقد مر طرف من احترام الصحابة والتابعين وعلماء الأمة الخيرين وتوقيرهم لحديث النبي صلى الله عليه وسلم .

والأسوأ من ذلك أن يحذر الناس من روايتها وحملها ، وأى زهد أعظم من هذا ؟

إنه سير حثيث على خطى المعتزلة ، وتتبع لمنهجهم ، حذو القذة بالقذة (١).

وإنه لقبيح كل القبح أن ينسب إلى من جعل جل اهتمامه حمل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإبلاغه إلى الناس ، إلى البطالة والفشل !!

وعبارة "ظاهره المرفوض" ، تحمل بين طياتها إساءة بالغة إلى المصدر التشريعي الثاني لدين الإسلام .

ولم يقف الغزالي عند هذا الحد من التنفير من السنة ، والتحذير منها بل بلغ حنقه واشتدت نقمته على من بصروا الأمة الإسلامية بحديث نبينا صلى الله عليه وسلم ودونوه لها .
يقول :

"قرأت خمسين حديثاً ترغب في الفقر وقلة ذات اليد وما جاء في فضل الفقراء والمساكين والمستضعفين وحبهم ومجالستهم ، كما قرأت سبعة وسبعين حديثاً ترغب في الزهد في الدنيا والاكتفاء منها بالقليل وترهب من حبها والتكاثر فيها والتنافس . وقرأت سبعة وسبعين حديثاً أخرى فى عيشة

(١) القذة : ريش السهم وجمعها قذد . انظر : القاموس المحيط ص ٤٢٩ .

قال ابن الأثير : "وحذو القذة بالقذة : أى كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبته وتقطع . يضرب مثلاً للشئين يستويان ولايتفاوتان" . النهاية فى غريب الحديث ٢٨/٤ .

السلف ، وكيف كانت كفافاً . ذكر ذلك كله المنذرى^(١) في كتابه الترغيب والترهيب ، وهو من أمهات كتب السنة . ورحم الله المؤلف الحافظ وغفر لنا وله . فهو حسن النية ناصح للأمة . يبد أن الفقه الصحيح يقتضى منهجاً آخر . ومسلماً أرشد .

... أملك أكثر مما ملك قارون من المال ، وسيطر على أوسع مما بلغه سليمان من سلطات ، واجعل ذلك في يدك ، لتدعم به الحق حين يحتاج الحق إلى دعم ، وتتركه لله في ساعة فداء حين تحين المنية !! أما أن تعيش صعلوكاً . حاسباً أن الصعلكة طريق الجنة فهذا جنون وفتون"^(٢) . إلى أن يقول : "ولو جعلنا هذه المرويات محور حياة عامة لشاع الخراب في أرجاء الدنيا ... إن سعة الفقه لا بد منها لفهم مرويات شتى ! وقد وقف الحرفيون عند هذه الآثار فوقفوا بالعالم الإسلامى كما وقف حمار الشيخ في العقبة لا يتقدم ولا يتأخر ! بل لعله تراجع إلى العصر الحجرى في بعض جوانبه"^(٣) .

إن الغزالي يريد من علماء الإسلام أن يخفوا هذه الأحاديث لأنها إذا شاعت في الأمة أحدثت خراباً في أرجائها ، عجباً لهذا القول ! ومتى كانت السنة سبب فساد للمجتمعات ؟ بل الأمر على خلاف ذلك . إن أمة الإسلام مامكن الله لها في الأرض سابقاً ، وما بلغت ما بلغت من رقى وتقدم في

(١) هو عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله أبو محمد زكى الدين المنذرى . الشامى الأصل المصرى الشافعى .

كان إماماً في الحديث عالماً بالفقه واللغة والقراءات والتاريخ . ومن الحفاظ المؤرخين عكف على التصنيف والتخريج والإفادة والتحديث .

من آثاره : "الترغيب والترهيب" ، "التكملة لوفيات النقلة" ، "شرح التنبيه" ، "مختصر صحيح مسلم" ، "مختصر سنن أبي داود" . توفى سنة ٦٥٦ هـ .

انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء ٣١٩/٢٣-٣٢٢ ، تذكرة الحفاظ ١٤٣٦/٤-١٤٣٧ ، البداية والنهاية ٢١٢/١٣ ، معجم المؤلفين ٢٦٤/٥ ، الأعلام ٣٠/٤ .

(٢) السنة النبوية ص ١١٤ .

(٣) المرجع السابق ص ١١٧ .

عصورها الأولى ، وماغزت مجتمعات الكفر وزلزلت أركانها ، إلا عندما كانت متمسكة بكتاب ربها وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولكنها لما تنكبت الطريق ، وتحللت من دينها حل بها ماحل . فساءت حالها ، وضعفت قوتها ، ولاسعادة لها إلا إذا عادت إلى دينها مرة أخرى .

وهؤلاء الناس إنما يزيّدونها بأقوالهم هذه تدهوراً واخلالاً ، والأولى بهم حين جهلوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعجزوا عن فهمه واستيعابه أن يكفوا ألسنتهم ، ويكفوا أفواههم ، ويتركوا المجال لغيرهم ممن هم أولى وأرشد .

وفي الحقيقة لم أقف - فيما قرأت - على قول أحد ينسب إلى الإسلام أشد جرأة وأكثر هجوماً على السنة وأهلها من الغزالي ، بل لاتطيب نفسه في كتاب من كتبه إلا إذا نال من الحديث وتعرض لأتباعه بالغمز والطعن . مثال ذلك من أقواله :

"وأعرضت عن أحاديث أخرى توصف بالصحة ، لأنها في فهمي لدين الله ، وسياسة الدعوة لم تنسجم مع السياق العام" (١) . ويقول :

"وقد ضقت ذرعا بأناس قليلي الفقه في القرآن كثيры النظر في الأحاديث . يصدرّون الأحكام ، ويرسلون الفتاوى فيزيّدون الأمة بلبلة وحيرة .

ولازلت أحذر الأمة من أقوام بصرهم بالقرآن قليل ، وحديثهم عن الإسلام جرىء . واعتمادهم كله على مرويات لايعرفون مكانها من الكيان الإسلامي المستوعب لشؤون الحياة" (٢) . ويقول :

"كل ماخرص نحن عليه شد الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه ، فجملة غفيرة من أهل الحديث محجوبون عنها ، مستغرقون في شئون أخرى تعجزهم

(١) فقه السيرة ص ١٣ .

(٢) السنة النبوية ص ٢٢ .

عن تشرب الوحي "(١).

ويقول :

"السنة أصبحت كمتجر كبير للملابس وزعت فيه أنواعها على مختلف الجوانب ، هنا أغطية للرأس ، وهنا سراويل ، وهنا قمصان . وهنا حلل سابعة ... الخ .

والطبيعي أن من يريد كسوة كاملة يمر بهذه الجوانب كلها ليأخذ مايغطيه من رأسه إلى قدميه ، ولكن يحدث كثيراً أن ترى من يشتري قلنسوتين ويخرج حافياً ، أو من يشتري منديلاً ويخرج عارياً .

إن هذا مثل طوائف اشتغلت بالسنة ، ثم - بعد طول تطواف - خرجت على الناس ، وفي يديها من السنن سواك ، وعمامة مقطوعة الذنب اعتبروها شعار الإسلام ، وسر ذلك أنهم دخلوا المعرض الحافل ثم خرجوا منه بعد أن ظنوا الدين كله في حديث أو سنة محدودة ، فأساءوا بذلك إلى القرآن والسنة جميعاً"(٢).

ويقول :

"وشرع أنصاف وأعشار المتعلمين يتصدرون القافلة ويثيرون الفتن بدل إطفائها .

وانتشر الفقه البدوي ، والتصور الطفولي للعقائد والشرائع . وقد حاولت في كتابي "دستور الوحدة الثقافية" أن أقف هذا الانحدار ، بيد أن الأمر يحتاج إلى جهود متضافرة وسياسة علمية محكمة .

وفي هذا الكتاب جرعة قد تكون مرة للفتيان الذين يتناولون كتب الأحاديث النبوية ثم يحسبون أنهم أحاطوا بالإسلام علماً بعد قراءة عابرة أو عميقة .

ولعل فيه درساً لشيوخ يحاربون الفقه المذهبي لحساب سلفية مزعومة عرفت من الإسلام قشوره ونسيت جذوره"(٣).

(١) الطريق من هنا ص ٦٦ .

(٢) فقه السيرة ص ٤٣ .

(٣) السنة النبوية ص ١١ .

حرب شعواء لاهوادة فيها على السنة النبوية وأهلها ، الذين تمسكوا بها ودافعوا عنها ، وحافظوا عليها ، وتفقهوا فيها . وذلك أمر لا يروق للغزالي ، ولذلك حشد كتبه بالطعن في الحديث وكيل الشتائم والسباب لأهله .

وأحاديث الآحاد لم تكن أوفر حظاً مع هؤلاء المُحدِّثين مما كانت عليه مع المعتزلة . فقد ردوها كما ردها سلفهم من أهل الاعتزال ، وطعنوا وقدحوا فيها ، وواجهوها بعقولهم الكليلة وأفهامهم المعوجة ، واستهانوا بأمرها ، فهي معزولة عندهم فلا يستدلون بها في أصول الدين وعقائده ، لأنها تفيد ظناً ، ولا مجال للظن في أمور العقائد .

إنها شقشقة المعتزلة التي عرفناها من قبل والتي أَلقت بهم في مصاف أهل الابتداع . إنها تردد اليوم من قبل دعاة المدينة والحضارة ومواكبة الغرب ، وتهدر بسببها أصح الأحاديث وأقواها دلالة ، إنهم ولا شك معتزلة هذا العصر ، وسوف نقف على هذه الحقيقة عندما نسوق الأمثلة مما سطرته أقلامهم من عبث في نصوص السنة .

وهذه أقوالهم عن أحاديث الآحاد ليقف عليها من جهل مكر القوم وخفاء أمرهم .

قال الشيخ محمد عبده :

"وأما ماورد في حديث مريم وعيسى من أن الشيطان لم يمسهما وحديث إسلام شيطان النبي صلى الله عليه وسلم وحديث إزالة حظ الشيطان من قلبه فهو من الأخبار الظنية لأنه من رواية الآحاد ، ولما كان موضوعها عالم الغيب والإيمان بالغيب من قسم العقائد وهي لا يؤخذ فيها بالظن لقوله تعالى : {وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً} (١) ، كنا غير مكلفين بالإيمان بمضمون تلك الأحاديث في عقائدنا" (٢) .

(١) سورة النجم : آية ٢٨

(٢) تفسير المنار ٢/٢٩٢ ، انظر تخريج الأحاديث ص : ٦٤٩ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣

وقال الشيخ محمد رشيد رضا :

"الشريعة عندنا تشمل العقائد والعبرة فيها بالدلالة القطعية وجميع العقائد التي تتوقف عليها صحة الإسلام ثابتة بنصوص القرآن وإجماع المسلمين ، وإثبات الألوهية والنبوة منها مؤيد بالبراهين العقلية ، ولا يوجد شيء منها يتوقف على أحاديث الآحاد التي يمكن الارتياح في بعضها . وكذلك أصول العبادات كلها قطعية ثابتة بالقرآن والسنة العملية المتواترة التي لا تتوقف على أحاديث الآحاد . وما ثبت من أحكام العبادات بأحاديث الآحاد ولم يجمع عليه أئمة العلم فلا تتوقف عليه صحة الإسلام وإن كان صحيحاً في نفسه" (١).

وقال :

"أصول العقائد وقضايا الإيمان التي يكون بها المرء مؤمناً ... لا يتوقف شيء منها على أحاديث الآحاد" (٢).

وقال الشيخ محمود شلتوت :

"ومتى لحقت (الظنية) الحديث على أي نحو ... فلا يمكن أن تثبت به عقيدة يكفر منكرها ، وإنما يثبت الحديث العقيدة وينهض حجة عليها إذا كان قطعياً في وروده وفي دلالة" (٣).

وقال :

"نجد نصوص العلماء من متكلمين وأصوليين مجمعة على أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين ، فلا تثبت به عقيدة ، ونجد المحققين من العلماء يصفون ذلك بأنه ضروري لا يصح أن ينازع أحد في شيء منه ... فإن الله تعالى لم يكلف عباده عقيدة من العقائد عن طريق من شأنه ألا يفيد إلا الظن . ومن هنا يتبين أن ما قلناه في الفتوى من (أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٩ ، ص ٢٧-٢٨ ، أضواء على السنة المحمدية ص ٣٥٠ بتصرف

(٢) مجلة المنار ، المجلد ١٩ ، ص ٢٩ .

(٣) مجلة الرسالة ، العدد ٥١٤ ، ٦ جمادى الأولى ١٣٦٢ هـ ، ١٠ مايو ١٩٤٣ م ، السنة

الحادية عشرة ، ص ٤٤٣ .

ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات) قول مجمع عليه وثابت بحكم
الضرورة العقلية التي لا مجال للخلاف فيها عند العقلاء" (١).
وقال محمود أبو رية :

"أحاديث الآحاد التي لم يعمل بها جمهور السلف ، هي محل اجتهد في
أسانيدھا ومتونها ودلالاتھا ، لأن ماصح سنده منها يكون خاصاً بصاحبه -
ومن صح عنده شيء منها رواية ودلالة عمل به - ولا تجعل تشريعاً عاماً
تلزمه الأمة إلزاماً ، تقليداً لمن أخذ به" (٢).

وقال :

"كان الأستاذ والإمام محمد عبده لا يأخذ بحديث الآحاد مهما بلغت
درجته من الصحة في نظر المحدثين ، إذا ما خالف العقل أو القرآن أو
العلم" (٣).

وقال المودودي :

"بما أن الأحاديث ظنية ، والشيء الظني لا يثبت ، ولكن كون الشيء
غير ثابت لا يعني أنه لا يكون إلا جديراً بالرفض" (٤).

وقال :

"إن رفض المظنونات من حيث الكل أيضاً خطأ مثل تلقيها بالقبول من
حيث الكل" (٥).

وقال محمد الغزالي :

"والآحاد يفيد الظن ... وكون أحاديث الآحاد لا تستقل بإنشاء عقيدة ،

(١) المرجع السابق ص ٤٤٣-٤٤٤ .

وقد تبين عدم صحة هذا الإجماع المزعوم فيما سبق . انظر ص ١٢٥ فما بعدها .

(٢) أضواء على السنة ص ٣٥١ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٥٩ .

وهذا يخالف ماسبق من قول محمد عبده انظر ص ٦٣٨ .

(٤) موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي ص ٥٧ .

نقلاً عن التفهيمات للشيخ المودودي ١/٣٥٠-٣٥١ .

(٥) المرجع السابق ص ٥٨ ، نقلاً عن التفهيمات ١/٣٥١ .

هذا أيضاً موجود عندنا لأن العقائد تؤخذ من اليقينيّات ، ويساعد حديث الآحاد في التفسير لما أجمل أو أغمض ، ولكن لإنشاء عقيدة فلا" (١).
وقال :

"إن العقائد أساسها اليقين الخالص الذى لا يتحمل أثارة من شك . وعلى أى حال فإن الإسلام تقوم عقائده على المتواتر النقلى والثابت العقلى ، ولا عقيدة لدينا تقوم على خبر واحد ، أو تخمين فكر" (٢).
وقال دكتور محمد عمارة :

"لقد رأيت فى أمريكا كثيراً من المكتبات التى تعرض الكتاب المقدس وخدمته بوسائل مذهشة ، فلماذا لانغير من ذلك ، ونهتم بالمصدر الأول لدينا وتشريعاتنا بدلا من التقاتل حول أحاديث الآحاد وهى لاتفيد كثيراً فى مجال العقائد والتشريعات ؟" (٣).

وقد تجرأ بعضهم فأعلن إخضاع أحاديث الآحاد لحكم عقله صراحة ، وإن كان القوم مجمعين على ذلك خفية ، وهو ما يتبين من خلال ماردوه من أحاديث صحيحة .

قال محمود أبو رية :

"لما أنشأت أدرس دينى درس العقل والفكر ، بعد أن تلقيته تلقيناً من نواحى العاطفة والتقليد ، رأيت أن أرجع إلى مصادره الأولى وأسانيده الصحيحة ، ولما وصلت من دراستى إلى كتب الحديث ألفيت فيها من الأحاديث ما يبعد أن يكون - فى ألفاظه أو معانيه أو أسلوبه - من محكم قوله ، وبارع منطقته صلوات الله عليه ، ومما راعنى أنى أجد فى معانى كثير من الأحاديث ما لا يقبله عقل صريح ، ولا يشبهه علم صحيح ، ولا يؤيده حس ظاهر أو كتاب متواتر" (٤).

(١) جريدة المسلمون ، السنة السادسة ، العدد ٢٧٦ ، ٢٣-٢٩ شوال ١٤١٠هـ ١٨-٢٤

مايو ١٩٩٠م ، ص ١١ .

(٢) السنة النبوية ص ٦٥-٦٦ .

وانظر : الطريق من هنا ص ٦٢ ، فقه السيرة ص ٤٣ .

(٣) جريدة المسلمون ، العدد السابق ص ١١ .

(٤) أضواء على السنة ص ٦ .

وقال محمد عمارة :

"إذا وجدت حديثاً منسوباً إلى رواية عدول لألجم عقلى وأمنعه من النظر بحجة أن السند هو كل شيء ، لأنه لا بد أن يكون لعقلى مجال فى المتن ولا بد أن أحاكم هذا الذى هو ظنى الثبوت إلى ماهو قطعى الثبوت وهو كتاب الله وحقائق العلم" (١).

وقال :

"نحن نطالب أصحاب هذه الموجة التى جعلت حديث الآحاد هو كل شيء وتركت القرآن وراء ظهرها أن تعود إلى تحكيم العقل والتريث والاهتمام بالقرآن أولاً وهو النص اليقيني ثم بالمتواتر من الحديث كذلك لأنه نص يقينى ، ثم بعد ذلك بحديث الآحاد فى بعض الأعمال وليس فى نطاق التشريعات لأنه ظنى" (٢).

وقال الدكتور جمال الدين محمود :

"أحاديث الآحاد لا يحاول أحد أن يحجبها لسبب بسيط هو أن أمور الحياة كلها تقوم على الترابط فيما بينها ، فنحن لانرد حديث الآحاد ولانرد غيره ، ولكن إذا اعترض هذا الحديث بعض الظن بعقل أو قياس قطعى فلا يصح أن نتركه" (٣).

إنه منهج أهل الاعتزال لم يجد عنه القوم قيد أنملة ، بل كانوا أشد صلفاً وأبلغ جرأة .

وحديث الآحاد سبق أن تناولته بالبحث والتحقيق ، ومازعمه وقاله هؤلاء لا يخرج عما تناولته من قبل بالرد .

(١)، (٢) جريدة المسلمون ، العدد السابق ص ١١ .

(٣) جريدة المسلمون ، نفس العدد والصفحة .

وملخص ماسبق : أن خير الآحاد الصحيح حجة في جميع أبواب الدين لافرق بين عقيدة وغيرها ، وهو في الحجية كالقرآن والحديث المتواتر تماماً . والذي عليه جماهير العلماء من السلف والخلف أن خير الآحاد إذا تلقتهم الأمة بالقبول تصديقاً له وعملاً بموجبه أفاد العلم ، وعلى ذلك أهل الحديث قاطبة (١).

وهذا عرض لجملة من الأحاديث الصحيحة التي ردها هؤلاء المحدثون وسلطوا عليها عقولهم باعتبار أنها أحاديث آحاد .

(١) انظر ص ١٢٨ فما بعدها .

(١) حديث نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان (١).

-
- (١) انظر : جريدة الرسالة ، العدد ٥١٤ ، ٦ جمادى الأولى ١٣٦٢ هـ / ١٠ مايو ١٩٤٣ م السنة الحادية عشر ، ص ٣٦٥ .
والعدد ٥١٨ ، ٤ جمادى الآخرة ١٣٦٢ هـ / ٧ يونيو ١٩٤٣ م من نفس السنة ، ص ٤٤٥ .
والعدد ٥١٩ ، ١١ جمادى الآخرة ١٣٦٢ هـ / ١٤ يونيو ١٩٤٣ م من نفس السنة ، ص ٤٤٦ .
مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، ص ٢٤٥-٢٤٦ ، والمجلد ٢٨ ، ص ٧٥٧،٧٥٦،٧٥٥ .
أضواء على السنة المهدية ص ١٤١ ، السنة النبوية ص ١٢٥ .
والحديث سوف يأتي تخريجه والكلام عنه .

(٢) أحاديث الدجال والجلساسة (١).

(١)

انظر : مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، ص ٢٤٦ ، والمجلد ١٩ ، ص ٩٩ .
أضواء على السنة المحمدية ص ١٤٠، ١٤١ ، موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي ص ٣٩ ، السنة النبوية ص ١٢٢-١٢٥ .

وحديث الجلسة المشار إليه كما رواه مسلم بسنده إلى فاطمة بنت قيس . وكانت من المهاجرات الأول قالت : ... سمعت نداء المنادى ، منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى : الصلاة جامعة ، فخرجت إلى المسجد ، فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت في صف النساء التي تلى ظهور القوم ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ، جلس على المنبر وهو يضحك . فقال : "ليلزم كل إنسان مصلاه" . ثم قال : أتدرون لم جمعتكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال "إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة . ولكن جمعتكم لأن تقيماً الدار ، كان رجلاً نصرانياً ، فجاء فبايع وأسلم . وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال . حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لحم وجماد فلعب بهم الموج شهراً في البحر ، ثم أرقوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس ، فجلسوا في أقرب السفينة ، فدخلوا الجزيرة ، فلقاهم دابة ألب كثير الشعر ، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر ، فقالوا : ويلك ما أنت ؟ فقالت أنا الجلسة . قالوا : وما الجلسة ؟ قالت : أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير . فإنه إلى خبركم بالأشواق . قال : لما سمعت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة . قال فانطلقنا سراعاً ، حتى دخلنا الدير ، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً ، وأشدّه وثاقاً ، مجموعة يده إلى عنقه ، مابين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد . قلنا : ويلك ما أنت ؟ قال : قد قدرتم على خبري ، فأخبروني ما أنتم ؟ قالوا : نحن أناس من العرب ، ركبنا في سفينة بحرية ، فصادفنا البحر حين اغتم - حاج - فلعب بنا الموج شهراً ، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه ، فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة ، فلقينا دابة ألب كثير الشعر ، لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا : ويلك ما أنت ؟ فقالت : أنا الجلسة . قلنا : وما الجلسة ؟ قالت : اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير ، فإنه إلى خبركم بالأشواق ، فأقبلنا إليك سراعاً ، وفزعنا منها ، ولم نأمن أن تكون شيطانة . فقال : أخبروني عن نخل بيسان . قلنا عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : أسألكم عن نخلها هل يشمر ؟ قلنا له : نعم . قال : أما إنه يوشك أن لا تثمر .

قال : أخبروني عن بحيرة الطبرية . قلنا عن أى شأنها تستخير ؟ قال : هل فيها ماء قالوا : هى كثيرة الماء . قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب .
قال : أخبروني عن عين زغر . قالوا : عن أى شأنها تستخير ؟ قال : هل فى العين ماء ؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا له : نعم ، هى كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها .

قال : أخبروني عن نبي الأميين ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ونزل يثرب . قال : أقاتله العرب ؟ قلنا : نعم . قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه . قال لهم : قد كان ذلك ؟ قلنا : نعم . قال : أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه . وإني مخبركم عنى . إني أنا المسيح ، وإني أوشك أن يؤذن لى فى الخروج ، فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة ، غير مكة وطيبة فهما محرمتان على . كلتاها . كلما أردت أن أدخل واحدة ، أو واحداً منهما ، استقبلنى ملك بيده السيف صلتا . يصدنى عنها ، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها .

قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطعن بمخصرته فى المنبر : " هذه طيبة . هذه طيبة . هذه طيبة " يعنى المدينة " ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟ " فقال الناس : نعم . " فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة . ألا إنه فى بحر الشام أو بحر اليمن . لابل من قبل المشرق ، ماهو . من قبل المشرق ، ماهو . من قبل المشرق ماهو " وأوماً بيده إلى المشرق . قالت : فحفظت هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراف الساعة (٥٢) ، باب قصة الجساسة (٢٤) ، حديث رقم ٢٩٤٢ ، ٢٢٦١/٤ - ٢٢٦٤ .

وانظر أحاديث الدجال فى صحيح البخارى ، كتاب فضائل المدينة (٢٩) ، باب لا يدخل الدجال المدينة (٩) ، ٢٢٢/٢ - ٢٢٣ ، كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة فى السماء آمين (٧) ، ٨٤/٤ - ٨٥ ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل (٥٠) ، ١٤٣/٤ ، كتاب الفتن (٩٢) ، باب ذكر الدجال (٢٦) ، ١٠١/٨ - ١٠٣ ، باب لا يدخل الدجال المدينة (٢٧) ، ١٠٣/١ ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى { ولتصنع على عيني } (١٧) ، ١٧١/٨ - ١٧٢ ، باب فى المشيئة والإرادة (٣١) ، ١٩٢/٨ .

وفى صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراف الساعة (٥٢) ، باب ذكر الدجال وصفته ومامعه (٢٠) ، باب فى صفة الدجال وتحريم المدينة عليه (٢١) ، باب فى الدجال =

= وهو أهون على الله عز وجل (٢٢) ، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض (٢٣) ، باب قصة الجساسة (٢٤) ، باب في بقية من أحاديث الدجال (٢٥) ، ٢٢٤٧-٢٢٦٧/٤ .

قال القاضي عياض :

"هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقדרه على أشياء من مقدروات الله تعالى من إحياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهره واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتطمر والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدره الله تعالى ومشئته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى صلى الله عليه وسلم ويثبت الله الذين آمنوا . هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافاً لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة" . شرح النووي على مسلم ٥٨/١٨ .

(٣) حديث موسى عليه السلام وملك الموت (١).

(١) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص ١٩٨ ، السنة النبوية ص ٢٦-٢٩ .
والحديث سوف يأتي تخريجه والكلام عنه مفصلاً .

(٤) حديث عدم مس الشيطان لعيسى بن مريم وأمه عليهما السلام (١).

-
- (١) انظر : تفسير المنار ٢٩٢/٣ ، مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، ص ١٦٦ ، المجلد ١٩ ، ص ٥٣٦، ٥٣٧ ، أضواء على السنة المحمدية ص ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨ ، السنة النبوية ص ٩٧-٩٨ .
- والحديث المشار إليه كما رواه البخارى بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "ما من بنى آدم مولود إلا يمسّه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها" ، ثم يقول أبو هريرة : "وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم" .
- صحيح البخارى ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب قول الله تعالى : {واذكر في الكتاب مريم} (٤٤) ، ١٣٨/٤ .
- وانظر : كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة آل عمران ، باب {وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم} (٢) ، ١٦٦/٥ .
- وانظر : صحيح مسلم ، كتاب الفضائل (٤٣) ، باب فضائل عيسى عليه السلام (٤٠) ، حديث رقم ٢٣٦٦ ، ١٨٣٨/٤ .

(٥) حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم (١).

(١) انظر : تفسير جزء عم للأستاذ محمد عبده ص ١٨١-١٨٣ ، مجلة المنار ، المجلد ١٢ ، ص ٦٩٧ ، المجلد ٢٩ ، ص ١٠٤ ، جريدة المسلمون ، السنة السادسة ، العدد ٢٧٦ ، ٢٣-٢٩ شوال ١٤١٠ هـ ، ١٨-٢٤ مايو ١٩٩٠ م ، ص ١١ ، أضواء على السنة المحمدية ص ٢٥٩ .

والحديث المشار إليه كما رواه البخارى بسنده إلى عائشة رضى الله عنها قالت : "سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال : "أشعرت ياعائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه" . قلت : وماذا يارسول الله ؟ قال "جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ثم قال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب . قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق . قال : فيما ذا ؟ قال : في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر . قال : فأين هو ؟ قال : في بئر ذى أروان" . قال : فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخل ثم رجع إلى عائشة فقال : "والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين" . قلت يارسول الله أفأخرجته ؟ قال : "لأما أنا فقد عافاني الله وشفاني وخشيت أن أثور على الناس منه شراً وأمر بها فدفت" .

صحيح البخارى ، كتاب الطب (٧٦) ، باب السحر (٥٠) ، ، ٣٠/٧ .
وفي رواية عنها رضى الله عنها أنها قالت : "مكث النبي صلى الله عليه وسلم كذا وكذا يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي" .

صحيح البخارى ، كتاب الأدب (٧٨) ، باب قول الله تعالى : {إن الله يأمر بالعدل والإحسان} (٥٦) ، ٨٨/٧ .

وانظر الحديث أيضاً في كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب صفة إبليس وجنوده (١١) ، ٩١/٤ ، كتاب الطب (٧٦) ، باب هل يستخرج السحر (٤٩) ، ٣٠-٢٩/٧ ، كتاب الدعوات (٨٠) ، باب تكرير الدعاء (٥٧) ، ١٦٤/٧ .

صحيح مسلم ، كتاب السلام (٣٩) ، باب السحر (١٧) ، حديث رقم ٢١٨٩ ، ١٧٢١-١٧١٩/٤ .

قال الإمام المازرى رحمه الله :

"مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته ، وأضاف مايقع منه إلى خيالات باطلة لاحقائق لها وقد ذكره الله تعالى في كتابه وذكر أنه مما يتعلم وذكر مافيه إشارة إلى أنه مما يكفر به ، وأنه يفرق بين المرء وزوجه ، وهذا كله لا يمكن فيما لاحقيقة له .

= وهذا الحديث أيضا مصرح بإثباته وأنه أشياء دفنت... وهذا كله يبطل ما قالوه فأحالة كونه من الحقائق محال ... وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر فزعم أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع وهذا الذى ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك ، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل .

فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التى لم يبعث بسببها ولا كان مفضلا من أجلها وهو مما يعرض للبشر ، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا ملاحقيقة له وقد قيل إنه إنما كان يتخيل إليه أنه وطء زوجاته وليس بواطىء ، وقد يتخيل الإنسان مثل هذا فى المنام فلا يبعد تخيله فى اليقظة ولأحققيقة له . وقيل إنه يخيل إليه أنه فعله وما فعله ، ولكن لا يعتقد صحة ما يتخيله فتكون اعتقاداته على السداد" . قال القاضى عياض :

"وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على عقله وقلبه واعتقاده . ويكون معنى قوله فى الحديث : "حتى يظن أنه يأقى أهله ولا يأتينهن" . ويروى : "يخيل إليه" : أى يظهر له من نشاطه ومتقدم عاداته القدرة عليهن فإذا دنى منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتينهن ولم يتمكن من ذلك كما يعتزى المسحور . وكل ما جاء فى الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء لم يفعله ونحوه فمحمول على التخيل بالبصر لا للخلل تطرق إلى العقل ، وليس فى ذلك ما يدخل لبسا على الرسالة ولا طعنا لأهل الضلالة" .

شرح النووى على مسلم ١٧٤/١٤-١٧٥ . وانظر : كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١٨٠/٢-١٨٣ ، ط/دار الكتب العلمية .

وللدكتور أحمد ناصر الحمد بحث قيم فى موضوع سحر النبي صلى الله عليه وسلم ضمنه كتابه "كتاب السحر بين الحقيقة والخيال" . وقد أجاب فيه عن شبهات المعتزلة وغيرهم حول موضوع هذا الحديث . انظر ص ١١٢-١٢٦ من الكتاب المذكور .

(٦) حديث شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم وإخراج حظ الشيطان منه (١).

(١) انظر : تفسير المنار ٢٩٢/٣ ، مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، ص ١٦٦ ، المجلد ١٩ ، ص ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٦ ، أضواء على السنة المحمدية ص ١٤٥-١٤٨ ، السنة النبوية ص ٩٨ .

والحديث المشار إليه كما رواه مسلم بسنده إلى أنس بن مالك أنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة . فقال : هذا حظ الشيطان منك . ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه . وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعنى ظئره) فقالوا : إن محمداً قد قتل . فاستقبلوه وهو منتقع اللون . قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره " .

كتاب الإيمان (١) ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم (٧٤) ، ١٤٧/١ ، وانظر أحاديث شق صدره صلى الله عليه وسلم في : صحيح البخارى ، كتاب الصلاة (٨) ، باب كيف فرضت الصلاة (١) ، ٩١/١-٩٣ ، كتاب الحج (٢٥) ، باب ماجاء في زمزم (٧٦) ، ١٦٧/٢ ، كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم (٦) ، ٧٧/٤-٧٨ ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب ذكر إدريس عليه السلام (٥) ، ١٠٦/٤-١٠٨ ، كتاب مناقب الأنصار (٦٣) ، باب المعراج (٤٢) ، ٢٤٨/٤-٢٥٠ ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قوله {وكلم الله موسى تكليماً} (٣٧) ، ٢٠٣/٨-٢٠٥ . صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم (٧٤) ، ١٤٧/١-١٥١ .

(٧) حديث إسلام شيطان النبي صلى الله عليه وسلم (١).

- (١) انظر : تفسير المنار ٢٩٢/٣ ، مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، ص ١٦٦ ، أضواء على السنة المحمدية ص ١٤٧-١٤٨ ، السنة النبوية ص ٩٨ .
- والحديث المشار إليه كما رواه مسلم بسنده إلى عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن" . قالوا : وإياك ؟ يارسول الله قال : "وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير" .
- كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) ، باب تحريش الشيطان (١٦) ، حديث رقم ٢٨١٤ ، ٢١٦٧/٤-٢١٦٨ .
- وروى نحوه من حديث عائشة رضی الله عنها برقم ٢٨١٥ ، من نفس الكتاب والباب والجزء ص ٢١٦٨ .
- قال النووي رحمه الله :
- "فأسلم" : برفع الميم وفتحها وهما روايتان مشهورتان ، فمن رفع قال : معناه أسلم أنا من شره وفتنته . ومن فتح قال : إن القرين أسلم من الإسلام ، وصار مؤمناً لا يأمرني إلا بخير . واختلفوا في الأرجح منهما . فقال الخطابي : الصحيح المختار الرفع . ورجح القاضي عياض الفتح . وهو المختار لقوله صلى الله عليه وسلم : "فلا يأمرني إلا بخير" .
- واختلفوا على رواية الفتح : قيل : أسلم بمعنى استسلم وانقاد . وقد جاء هكذا في غير صحيح مسلم ، فاستسلم . وقيل : معناه صار مسلماً مؤمناً . وهذا هو الظاهر . قال القاضي عياض : "واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه وخطره ولسانه" .
- وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه ، فأعلمنا بأنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان" .
- شرح النووي على مسلم ١٥٨/١٧ .

(٨) حديث المعراج (١).

- (١) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص ١٢٣-١٢٤ .
والحديث المشار إليه كما رواه البخارى بسنده إلى أنس بن مالك قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فتزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدرى ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء ..." الحديث .
وقد ذكر حديث المعراج الطويل . وفيه التقى النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء ، وفرضت عليه الصلاة ، وبلغ سدره المنتهى ، وأدخله الله الجنة .
كتاب الصلاة (٨) ، باب كيف فرضت الصلاة (١) ، ٩١/١-٩٣ .
وقد سبق ذكر مواضع أحاديث المعراج في الصحيحين . انظر ص ٦٥٢
قال الطحاوى رحمه الله :
"والمعراج حق ، وقد أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء ، ثم إلى حيث شاء الله من العلا ، وأكرمه الله بما شاء ، وأوحى إليه ما أوحى ، {ما كذب الفؤاد ما رأى} فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى " .
متن العقيدة الطحاوية ص ١٠-١١ ، والآية : ١١ من سورة النجم .
وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٣-٢٢٦ .

(٩) حديث وقوع الذباب فى الإناء(١).

(١) انظر : مجلة المنار ، المجلد ١٩ ، ص ٩٧-٩٩ ، المجلد ٢٩ ، ص ٤٨-٥١ ، أضواء على السنة المحمدية ص ١٩٩-٢٠١ .
وسوف يأتى تخريج الحديث والكلام عنه مفصلاً .

(١٠) حديث : إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة (١).

(١)

انظر : السنة النبوية ص ١٤٥-١٤٦، ١٥٩ .

والحديث المشار إليه كما رواه البخارى بسنده إلى عبد الله - هو ابن مسعود - قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال : "إن أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع : برزقه وأجله وشقى أو سعيد ، فوالله إن أحدكم أو الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها" .

، ٢١٠/٧ .

كتاب القدر (٨٢) ، باب (١٠١)

وانظر : كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم (٦) ، ٧٨/٤-٧٩ ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب خلق آدم وذريته (١) ، ١٠٣/٤-١٠٤ ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين} (٢٨) ، ١٨٨/٨ ، صحيح مسلم ، كتاب القدر (٤٦) ، باب كيفية الخلق الآدمى (١) ، رقم الحديث ٢٦٤٣ ، ٢٠٣٦/٤ .

وروى مسلم بسنده إلى سهل بن سعد الساعدي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، وهو من أهل النار . وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار ، فيما يبدو للناس ، وهو من أهل الجنة" .

كتاب القدر (٤٦) ، باب كيفية الخلق الآدمى (١) ، رقم الحديث ٢٦٥١ ، ٢٠٤٢/٤ ، وهو جزء من حديث له قصة أورده فى كتاب الإيمان (١) ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (٤٧) ، ورقمه ١١٢ ، ١٠٦/١ .

وانظر : صحيح البخارى ، كتاب الجهاد والسير (٥٦) ، باب لا يقول فلان شهيد (٧٧) ، ٢٢٦/٣ ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب الأعمال بالخواتيم (٣٣) ، ١٨٧/٧-١٨٨ ، كتاب القدر (٨٢) ، باب الأعمال بالخواتيم (٥) ، ٢١٢/٧-٢١٣ . والحديث دال على إثبات قدر الله السابق . وقد سبق بيان ذلك مفصلاً .

(١١) حديث : تحاجت الجنة والنار (١).

(١) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص ١٩٨ .
والحديث المشار إليه كما رواه البخارى بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه قال :
قال النبى صلى الله عليه وسلم : "تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت
بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة مالى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم ؟
قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتى أرحم بك من أشياء من عبادى ، وقال
لنار إنما أنت عذاب أعذب بك من أشياء من عبادى ولكل واحدة منهما ملؤها .
فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله فتقول قط قط فهناك تمتلىء ويزوى بعضها إلى
بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً . وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ
لها خلقاً" .

كتاب التفسير (٦٥) ، سورة ق (٥٠) ، باب قوله : {وتقول هل من مزيد} (١) ،
٤٨/٦ .

وانظر : كتاب التوحيد (٩٧) ، باب ماجاء فى قول الله تعالى : {إن رحمة الله
قريب من المحسنين} (٢٥) ، ١٨٦/٨ .
صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٥١) ، باب النار يدخلها
الجارون ، والجنة يدخلها الضعفاء (١٣) ، حديث رقم ٢٨٤٦، ٢٨٤٧ ،
٢١٨٦-٢١٨٧/٤ .

هذا حديث على ظاهره ، وأن الله تعالى جعل فى الجنة والنار تميزاً تدركان به .
انظر : شرح النووى على مسلم ١٨١/١٧ .
أى أن الحاجة بينهم بلسان المقال لالسان الحال ، وماتقوله حقيقة ، وأن الله
جعل لهما شعوراً ، وتميزاً ، وعقلاً ، ونطقاً ، والله لا يعجزه شىء . وذلك
كتسبيح المخلوقات فى قوله تعالى : {تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن
وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً} .
سورة الإسراء : آية ٤٤ .

انظر : شرح كتاب التوحيد ص ١٩٠، ١٩١ .
والحديث من أحاديث الصفات لأن فيه إثبات صفة الرجل لله تعالى كما يليق به
من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل .

هذه بعض الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم
والتي ردها أولئك القوم بعقولهم وطعنوا فيها بحجة إنها أحاديث آحاد
مفادها الظن فلا تبني على مثلها العقائد الثابتة .
ولكى يتضح لنا منهج هذه المدرسة في معاملتها للنصوص الثابتة ،
وإقحامها عقولها القاصرة عن فهم النصوص الثابتة ، وجعلها حكماً عليها ،
وسيرهم على نهج أهل الاعتزال في رد أحاديث الآحاد الصحيحة . أمثل
بثلاثة أحاديث مما سبق ، مع إيراد شبههم حولها ودحض تلك الشبه
وكشفها ، لتكون نماذج لبقية ماذكر من أحاديث .

الحديث الأول :

حديث نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان .

قال الشيخ المراغى :

"هذه الأحاديث - أى أحاديث نزول عيسى - لم تبلغ درجة الأحاديث المتواترة التى توجب على المسلم عقيدة ، والعقيدة لا تجب إلا بنص من القرآن أو بحديث متواتر" .

ثم قال : "وعلى ذلك فلا يجب على المسلم أن يعتقد أن عيسى عليه السلام حى بجسمه وروحه ، والذى يخالف فى ذلك لا يعد كافراً فى نظر الشريعة الإسلامية" (١) .

وذكر الأستاذ محمد عبده للحديث تخريجين ، فقال :

"أحدهما : أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادى لأنه من أمور الغيب والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطع لأن المطلوب فيها هو اليقين وليس فى الباب حديث متواتر .

وثانيهما : تأويل نزوله وحكمه فى الأرض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس وهو ماغلب فى تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها وهو حكمتها وماشرعت لأجله ، فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهود بشريعة جديدة ولكنه جاءهم بما يرحزحهم عن الجمود على ظواهر ألفاظ شريعة موسى عليه السلام ويوقفهم على فقهاها والمراد منها ويأمرهم بمراعاته وبما يجذبهم إلى عالم الأرواح بتحرى كمال الآداب ، أى ولما كان أصحاب الشريعة الأخيرة قد جمدوا على ظواهر ألفاظها بل وألفاظ من كتب فيها معبراً عن رأيه وفهمه وكان ذلك مزهقاً لروحها ذاهباً بحكمتها كان لابد لهم من إصلاح عيسوى يبين لهم أسرار الشريعة وروح الدين وأدبه الحقيقى وكل ذلك مطوى فى القرآن الذى حجبوا عنه بالتقليد الذى هو آفة الحق وعدو الدين فى كل زمان .

(١) مجلة الرسالة ، العدد ٥١٩ ، ١١ جمادى الآخرة ١٣٦٢هـ / ١٤ يونيو ١٩٤٣م ، السنة

فزمان عيسى على هذا التأويل هو الزمان الذى يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الإسلامية لإصلاح السرائر من غير تقييد بالرسوم والظواهر" (١).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا :

" ليس فى القرآن نص صريح فى أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء حيا حياة دنيوية بهما بحيث يحتاج بحسب سنن الله تعالى إلى غذاء .. وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء وإنما هذه عقيدة أكثر النصارى ، وقد حاولوا فى كل زمان منذ ظهر الإسلام إلى الآن بثها فى المسلمين وممن حاولوا ذلك بادخالها فى التفسير وهب بن منبه ، الركن الثانى بعد كعب الأخبار (٢) لتشويه تفسير القرآن بما بثه فيه من الخرافات ... والأحاديث الواردة فى نزوله عليه السلام كثيرة فى الصحيحين والسنن وغيرها ، وأكثرها واردة فى أشراط الساعة وممزوجة بأحاديث الدجال . وفى تلك الأشراف ولاسيما أحاديث الدجال والمهدى اضطراب واختلاف وتعارض كثير " .

ثم قال :

-
- (١) مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .
 (٢) وكعب الأخبار : هو ابن ماتع الحميرى ، أبو إسحاق ، المعروف بكعب الأخبار ، ثقة مخضرم ، كان من أهل اليمن فسكن الشام .
 قال الذهبى فى الكاشف : " أسلم زمن الصديق وسمع عمر ، سكن الشام وعنه أبو هريرة وابن المسيب ، مات أيام عثمان " . وقال فى السير : " وكان حسن الإسلام ، متين الديانة ، من نبلاء العلماء " .
 انظر : الجرح والتعديل ١٦١/٧ ، الكاشف ٩/٣ ، سير أعلام النبلاء ٤٨٩/٣ - ٤٩٤ ، تقريب التهذيب ١٣٥/٢ .

"والخلاصة إنه لا يجب على مسلم أن يقف على تلك الأحاديث وأمثالها لأنها ليست من أركان الإيمان ولا من أركان الإسلام ... ولا يضره في إيمانه وإسلامه الاشتباه في صحتها وعدم القطع بروايتها ودلالاتها على مقال الجمهور" (١).

وقال الشيخ محمود شلتوت :

"إن حياة عيسى ورفعته بجسمه إلى السماء ونزوله منها إلى الأرض آخر الزمان لم يثبت شيء منها بدليل قطعي يكون عقيدة يطمئن إليها القلب حتى يكفر من أنكرها" (٢).

وقال :

"ولعل أحقر مارأينا من أسباب الإسراف في وصف الأحاديث بالتواتر أن قوماً من المرتزقة باسم الدين وباسم الغيرة على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم استباحوا لأنفسهم في سبيل أغراضهم الدنيا أن يصطنعوا كل أساليب التلبيس والتمويه في شأن أحاديث عيسى التي لا يمكن أن يكون منها متواتر حتى على أوسع الآراء في تحقيقه ، وهي مع آحاديثها يكثر ويشدد في معظمها ضعف الرواة واضطراب المتون ونكارة المعاني ... وهكذا يخلعون عليها ثوباً مهلهلاً من القداسة لارغبة في علم ولاغيرة على حق ، ولكن مكابرة وعناداً ، وإصراراً على التضليل ، وليقال على السنة العامة وأشباه العامة إنهم حفاظ وإنهم محدثون ... إن تلك الأحاديث كيفما كانت ليست من قبيل المحكم الذي لا يحتمل التأويل حتى تكون قطعية الدلالة ، فقد تناولتها أفهام العلماء قديماً وحديثاً ولم يجدوا مانعاً من تأويلها" (٣).

● لقد دلت الآيات على أن عيسى عليه السلام رفع من الأرض إلى السماء كقوله تعالى : {بل رفعه الله إليه} (٤) وأن اليهود عليهم لعائن الله لم

(١) مجلة المنار ، المجلد ٢٨ ، ص ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧ .

(٢) مجلة الرسالة ، العدد ٥١٤ ، ٦ جمادى الأولى ١٣٦٢ هـ / ١٠ مايو ١٩٤٣ م ، السنة

الحادية عشرة ص ٣٦٥ .

(٣) مجلة الرسالة ، العدد ٥١٨ ، ٤ جمادى الآخرة ١٣٦٢ هـ / ٧ يونيو ١٩٤٣ م ، السنة

الحادية عشرة ، ص ٤٤٥ .

(٤) سورة النساء : آية ١٥٨

يتمكنوا من قتله ولاصلبه كما اعتقد ذلك النصارى ، وأنه رفع عليه السلام بروحه وجسده وأنه حى عند الله تعالى ، وذلك مقتضى الأدلة ، وسوف ينزل بمشيئة الله عز وجل فى آخر الزمان ، دلالة وعلامة على قرب قيام الساعة كما قال سبحانه : {وإنه لعلم للساعة فلا تترن بها} (١). فينزل حاكماً بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يفسد لها ، فلا ينزل برسالة مستقلة ، وإنما حاكم من حكام هذه الأمة (٢) فيكسر الصليب ، بإبطالاً لما يزعمه النصارى من تعظيمه ، ويضع الجزية فلا يقبل من الكفار إلا الإسلام ، ويفيض المال ويكثر وتنزل البركات والخيرات بسبب العدل وعدم التظالم (٣).

روى البخارى (٤) ومسلم (٥) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم صلى الله عليه وسلم حكماً مقسطاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد" .

ويمكن أن نجمل مآثره المحدثون من شبه حول نزوله عليه السلام فى النقاط التالية :

(١) ليس فى القرآن نص صريح فى رفعه إلى السماء بروحه وجسده ليحيا حياة دنيوية يحتاج معها إلى غذاء .

(٢) ليس فيه نص صريح على نزوله وإنما تلك عقيدة النصارى .

(١) سورة الزخرف : آية ٦١

(٢) انظر : تأويل مختلف الحديث ص ١٨٨ ، شرح النووى على مسلم ١٩٠/٢ ، فتح البارى ٤٩١/٦ .

(٣) انظر : شرح النووى على مسلم ١٩٠/٢ ، ١٩١ .

(٤) انظر : كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام (٤٩) ، ١٤٣/٤ .

(٥) كتاب الإيمان (١) ، باب نزول عيسى بن مريم (٧١) ، حديث رقم ١٥٥ ، ١٣٥/١ .

(٣) أحاديثه لم تبلغ درجة التواتر حتى يؤخذ منها عقيدة بزوله، بل هي أحاديث آحاد مضطربة في متونها، منكرة في معانيها، في معظمها يشتد ضعف الرواة، وليست بمحكمة الدلالة ولذا أولها العلماء قديماً وحديثاً.

(٤) لا يجب على المسلم أن يعتقد أنه حي بروحه وجسده ومن خالف لا يعد كافراً.

ويجاب على ذلك :

(١) لقد جاءت آيات في كتاب الله عز وجل تدل على رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، وقد بين العلماء أنه رفع بروحه وجسده .
الآية الأولى :

قوله تعالى : {إِذ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا فَارْفَعْكَ إِلَى الْسَّمَاءِ} (١).

وقد لخص الشيخ محمد خليل هراس آراء المفسرين في بيان معنى هذه الآية فقال :

١ - رأى الجمهور الذى اختاره ابن كثير ورواه عن الحسن وهو الرأى الذى يفسر التوفى بالإنامة .

٢ - رأى قتادة وهو أن فى الكلام تقديمًا وتأخيرًا والتقدير "إني رافعك ومتوفيك" أى بعد النزول .

٣ - رأى ابن جرير فى أن المراد بالتوفى هو نفس الرفع . والمعنى أنى قابضك من الأرض ومستوفيك ببدنك وروحك . وينسب هذا التفسير إلى ابن زيد (٢).

(١) سورة آل عمران : آية ٥٥

(٢) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن زيد، شهاب الدين، أبو العباس. فاضل دمشقى، من علماء الحنابلة، عارفاً بالفقه والعربية. مات سنة ٨٧٠هـ.
من آثاره : "محاسن المساعي فى مناقب أبى عمر الأوزاعى"، "تحفة السارى إلى زيارة تميم الدارى"، "ديوان خطب"، "اختصار سيرة ابن هشام" وغير ذلك .
الضوء اللامع ٧١/٢-٧٢، الأعلام ٢٣٠/١.

وهو الذى حكاه ابن كثير عن مطر الوراق (١) .
وهذه الأقوال الثلاثة متفقة على أنه رفع حياً وإن كان بعضها أصح وأولى
بالقبول من بعض ، فأصحها الأول وهو قول الجمهور ، ويليه قول قتادة ،
ويليه قول ابن جرير " (٢) .

وكلمة " الوفاة " كما تطلق على الموت تطلق على النوم أيضاً ، لأن
معناها فى اللغة من استيفاء الحق وافية أى كاملاً لانقص فيه . ولذا قال
صاحب القاموس :

" أوفى فلاناً حقه : أعطاه وافيةً ، كوفاه ووافاه فاستوفاه وتوفاه " (٣) .
وقد جاءت فى القرآن الكريم بمعنى النوم فى قوله تعالى : (وهو الذى
يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) (٤) .

كما جاءت على المعنيين فى قوله تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها
والتي لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى
أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (٥) .
فالمراد بالوفاة فى الآية النوم وليس الموت .

-
- (١) هو مطر بن طهمان الوراق ، أبو رجاء ، السلمى مولاهم ، الخراسانى ، سكن
البصرة ، صدوق كثير الخطأ ، وحديثه عن عطاء ضعيف . روى عن شهر
والحسن ، وعنه الحمادان وهمام . مات سنة ١٢٥هـ ، ويقال ١٢٩هـ .، انظر :
الجرح والتعديل ٢٨٧/٨ ، الكاشف ١٤٩/٣ ، تقريب التهذيب ٢٥٢/٢ .
(٢) مشكلات الأحاديث ص ١٦٧ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ٣٦٦/١ .
(٣) القاموس المحيط ص ١٧٣١ .
(٤) سورة الأنعام : آية ٦٠ .
(٥) سورة الزمر : آية ٤٢ .

وانظر : تفسير القرآن العظيم ٣٦٦/١ ، مشكلات الأحاديث ص ١٧٥ .

قال ابن كثير رحمه الله :

"فأخبر تعالى أنه رفعه - أى عيسى عليه السلام - بعدما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان" (١).

الآية الثانية :

قوله تعالى : {وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً} (٢).

قال الهراس رحمه الله :

"فالآية صريحة في أنه رفعه حياً لأنه ذكر الرفع وأثبتته مكان الذى نفاه من القتل والصلب . ولو كان عيسى عليه السلام قد مات في الأرض ودفن وأن المراد بالرفع رفع روحه أو منزلته كما يزعم المنكرون لما حسن ذكر الرفع في مقابل نفى القتل والصلب ، لأن الذى يناسب نفى القتل والصلب عنه هو رفعه حياً لاموته ، وإلا لقال وماقتلوه وماصلبوه بل الله هو الذى أماته .

وكيف يتوهم متوهم أن المراد بقوله تعالى {بل رفعه الله إليه} هو رفع روحه ، وهو إنما ذكر لإبطال ما زعموه من قتله وصلبه ، ورفع الروح لا يبطل القتل والصلب بل يجامعهما ، فإنهم لو قتلوه فرضاً لرفعت روحه إلى الله ، على أن في إخباره عز وجل بأنه رفعه إليه ما يشعر باختصاصه بذلك ، والذى يمكن أن يختص به عيسى هو رفعه حياً بجسده وروحه ، لأن أرواح جميع الأنبياء بل المؤمنين ترفع إلى الله بعد الموت لافرق بين عيسى وغيره فلا تظهر فيه الخصوصية" (٣).

(١) البداية والنهاية ٩١/٢ .

(٢) سورة النساء : آية ١٥٧، ١٥٨ .

(٣) مشكلات الأحاديث ص ١٦٧، ١٦٨ .

وحياته عليه السلام ليست كحياة من على الأرض يحتاج إلى الطعام والشراب ويخضع للسنن والنواميس الكونية كسائر الأحياء ، وإنما حياته حياة خاصة عند الله عز وجل لا يشعر بالضرورات الجسدية من طعام أو شراب أو نحوهما (١).

(٢) وقد جاءت آيات أيضاً تدل على نزوله إلى الأرض في آخر الزمان .
من ذلك :

(أ) قال تعالى :

{ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين} (٢)
وقوله تعالى : {تكلم الناس في المهد وكهلاً} (٣).

نقل الشيخ الهراس عن ابن جرير: أن عيسى عليه السلام كلم الناس في المهد وسيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل (٤). ثم قال :
"وهذا الذى نقلناه عن ابن جرير هو قول عامة أهل التفسير كلهم يفسرون الآية به ويجعلونها دليلاً على نزول عيسى عليه السلام . وهذا هو الحق الذى لامرية فيه ، فإن قوله سبحانه (وكهلاً) معطوف على متعلق الظرف قبله داخل معه فى حكمه ، والتقدير : ويكلم الناس طفلاً فى المهد ويكلمهم كهلاً ، فإذا كان كلامه فى حال الطفولة عقب الولادة مباشرة آية فلا بد أن المعطوف عليه وهو كلامه فى حال الكهولة كذلك ، وإلا لم يحتج إلى التنصيص عليه لأن الكلام من الكهل أمر مألوف معتاد فلا يحسن الإخبار به لاسيما فى مقام البشارة ، بل لابد أن يكون المراد بهذا الخبر أن كلامه كهلاً سيكون آية ككلامه طفلاً ، بمعنى أنه سيرفع إلى السماء قبل أن يكتهل ثم ينزل فيبقى فى الأرض إلى أن يكتهل ويكلم الناس كهلاً ، وقد ذهب جمهور المحدثين والمؤرخين إلى أنه عليه السلام رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وأنه سيمكث فى الأرض إذا نزل أربعين سنة كما جاء فى الحديث

(١) مشكلات الأحاديث ص ١٨١، ١٨٢ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٤٦

(٣) سورة المائدة : آية ١١٠

(٤) جامع البيان ٢٧٣/٣ .

الصحيح" (١).

(ب) قال الله تعالى :

{وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم} (٢).
الصحيح أن الضمير في قوله "وإنه" يعود على عيسى عليه السلام ،
أى أن خروجه من أعلام الساعة وأماراتها لأنه ينزل قبيل قيامها (٣).
والذى يدل على ذلك أن سياق الآيات في ذكره ، وصرف الكلام عما
هو في سياقه إلى غيره بغير حجة غير جائز ، ويؤيد هذا المعنى القراءة
الأخرى (وإنه لعلم للساعة) أى أمانة ودليل على وقوع الساعة (٤).

(١) مشكلات الأحاديث ص ١٧٠ .

والحديث المشار إليه رواه أبو داود بسنده إلى أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "ليس بيني وبينه نبي - يعنى عيسى - وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ، بين ممصرتين ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيقاتل الناس على الإسلام ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك المسيح الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون" .

كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال ، برقم ٤٣٢٤ ، ٤/١١٧-١١٨ .
وأخرج أحمد في المسند نحوه بزيادة يسيرة . ٢/٤٠٦، ٤٣٧ ولم يذكر عدد السنين .
وأخرج الحاكم في المستدرك نحوه بزيادة يسيرة ، وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبي ٢/٥٩٥ .

وأخرج ابن حبان نحوه وفيه الزيادة السابقة ، في كتاب التاريخ (٦٠) ، باب إخباره صلى الله عليه وسلم عما يكون في أمته من الفتن (١٠) ، ذكر البيان بأن عيسى ابن مريم إذا نزل يقاتل الناس على الإسلام ، برقم ٦٨٢١ ، ١٥/٢٣٣-٢٣٤ الإحسان .

وأخرج نحوه عبد الرزاق في مصنفه ، وليس فيه ذكر "الأربعين سنة" ، باب نزول عيسى ابن مريم ، ورقمه ٢٠٨٤٥ ، ١١/٤٠١-٤٠٢ .

وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ٦/٤٩٣ ، والشيخ ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/٢١٤ أن إسناده صحيح . وزاد الثاني : "أنه على شرط مسلم" . وقال في صحيح سنن أبي داود ٣/٨١٦ : "صحيح" .

(٢) سورة الزخرف : آية ٦١

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦/١٠٥ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/١٣٢ .

(ج) قال تعالى :

{وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً} (١).

قوله : "قبل موته" :

ذكر العلماء فيها وجهين في عود الضمير :

الأول : قبل موت عيسى عليه السلام .

الثاني : قبل موت الكتابي .

قال ابن جرير :

"وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال : تأويل ذلك : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى" (٢).

وقال ابن كثير :

"ولاشك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة لذلك فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ثم إنه رفعه إليه وإنه باق حى وإنه سيتزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة ... فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية يعنى لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم" (٣).

قال عبد الله الغماري :

(١) سورة النساء : آية ١٥٩

(٢) جامع البيان ٢١/٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٥٧٧/١ .

وانظر : البداية والنهاية ٩٢/٢ ، مسند الإمام أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر

٢٨، ٢٧/١٥ في الهامش ، مشكلات الأحاديث ص ١٧١، ١٧٠ .

"إن احتمال عود الضمير في (موته) على الكتابي ضعيف واحتمال عوده في (به) على غير عيسى باطل ، والاحتمالات الضعيفة والباطلة لاتنهض للحجية ولا تقوى للاستمساك ، فتكون الآية الكريمة نصاً في حياة عيسى ونزوله بمعونة ماذكر . واللفظ يكون نصاً بنفسه تارة وبما ينضم إليه من القرائن تارة أخرى ، وليس كل احتمال في اللفظ يؤثر في نصيته كما يتوهم كثير ممن لم يحكموا قواعد علم الأصول" (١).

وقد روى الإمام أحمد بسنده من حديث أبي هريرة ما يؤيد هذا التفسير . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"ينزل عيسى بن مريم ، فيقتل الخنزير ، ويمحو الصليب ، وتجمع له الصلاة ، ويعطى المال حتى لا يقبل ، ويضع الخراج ، وينزل الروحاء (٢) ، فيحج منها أو يعتمر ، أو يجمعهما ، قال - القائل حنظلة (٣) - : وتلا أبو هريرة { وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً } . فزعم حنظلة أن أبا هريرة قال : يؤمنن به قبل موته : عيسى فلا أدري . هذا كله حديث النبي صلى الله عليه وسلم أو شيء قاله أبو هريرة ؟ " (٤).

(٣) وأما أحاديث نزوله عليه السلام فقد نص العلماء على تواترها (٥).

(١) مشكلات الأحاديث ص ١٦٩ .

(٢) الروحاء : قرية جامعة على بعد أحد وأربعين ميلاً من المدينة . معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ٦٨١/١ ، وانظر : معجم البلدان ٧٦/٣ .

(٣) هو حنظلة بن علي الأسقع الأسلمي المدني . روى عن أبي هريرة وخفاف ، وعنه الزهري وأبو الزناد . ثقة .

انظر : الكاشف ٢٦١/١ ، تهذيب التهذيب ٦٢/٣ ، تقريب التهذيب ٢٠٦/١ . مسند أحمد ٢٩٠/٢ - ٢٩١ .

قال أحمد محمد شاكر : "إسناده صحيح" .

مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ٢٧/١٥ في الهامش .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم ٥٨٢، ٥٧٧/١ ، زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم ٣٣١، ٣٣٠/١ ، مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ٢٥٧/١٢ الهامش ، ٢٨/١٥ الهامش .

قال ابن كثير رحمه الله بعد ذكره الأحاديث الدالة على نزوله . قال :
 "فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية
 أبي هريرة وابن مسعود وعثمان بن أبي العاص وأبي أمامة والنواس بن
 سمعان وعبد الله بن عمرو بن العاص ومجمع بن حارثة وأبي شريحة
 وحذيفة بن أسيد رضى الله عنهم ، وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه من
 أنه بالشام بل بدمشق عند المنارة الشرقية وأن ذلك يكون عند إقامة صلاة
 الصبح ... وهذا إخبار من النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وتقرير وتشريع
 وتسويغ له على ذلك في ذلك الزمان" (١).

وقال عبد الله الغماري بعد أن استوعب كل ماورد من أحاديث
 وآثار ، وذكرها بطرقها وأسانيدها :

"فهذه ستون حديثاً يروونها عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية
 وعشرون صحابياً وثلاثة تابعين بألفاظ مختلفة وأسانيد متعددة كلها تصرح
 بنزول عيسى عليه السلام تصريحاً لا يَحْتَمَلُ تأويلاً ولا روغاناً" (٢).

فأحاديث نزوله عليه السلام ثابتة بالتواتر المعنوي ، ولو كانت آحاداً
 لوجب علينا التسليم لها والإيمان بمضمونها متى ثبتت صحتها عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وإن دلت على عقيدة خلافاً لمن أبى ذلك .

وأما زعم شلتوت بأنها أحاديث مضطربة في متونها منكورة في معانيها ،
 أجاب عن ذلك عبد الله الغماري في رده عليه فقال :

"وهذا غير صحيح فإن تلك الأحاديث أو الروايات - على حد تعبيره -

كلها متفقة على الإخبار بنزول عيسى وأنه يقتل الدجال والخزير ، ويكسر
 الصليب ... الخ ماجاء فيها ، غاية ما في الأمر أن بعضاً منها يفصل ، وآخر
 يجمع ، وبعضاً يوجز وآخر يطنب ، وهذا كما يفعل القرآن العظيم إذ يورد
 القصة الواحدة في سور متعددة بأساليب مختلفة يزيد بعضها على بعض بحيث
 لا يمكن جمع أطراف القصة إلا بقراءة السور التي ذكرت فيها ، فلعل صاحب

(١) تفسير القرآن العظيم ٥٨٢/١ - ٥٨٣ .

(٢) مشكلات الأحاديث ص ١٧٧ - ١٧٨ .

الفتوى ظن مثل هذا التخالف الذى يقوى شأن الحديث ويدل على تعدد مخارجه تعارضاً فأخطأ ، وأضعف خطأه حيث ادعى أنه لا مجال معه للجمع بينها . وذلك أنه على فرض وجود تعارض فالجمع ممكن لو أمعن فكره وأمضى نظره وأخلص فى بحثه ، لكنه أرسل قوله بتعذر الجمع دعوى تتعثر فى أذيال الخجل" (١).

والزعم بأنها ليست محكمة الدلالة ولذا أولها العلماء قديماً وحديثاً ، زعم لا أساس له من الصحة .

ودعوة باطلة ، ليس لها مايسندها ، كيف وقد نصت الأحاديث صراحة على نزوله عليه السلام ، ولم يأت مايعارض ذلك تصريحاً أو تلميحاً ، وأجمعت الأمة على ما دلت عليه .

وتأويل من أولها إنما هو تحريف وتبديل ورد للنصوص الثابتة الصريحة ولا حجة فى قوله .

يقول الشيخ أحمد محمد شاكر :

"وقد لعب المجددون ، أو المجردون فى عصرنا الذى نغيا فيه ، بهذه الأحاديث الدالة صراحة على نزول عيسى ابن مريم عليه السلام فى آخر الزمان ، قبل انقضاء الحياة الدنيا بالتأويل المنطوى على الإنكار تارة ، وبالإنكار الصريح أخرى ! ذلك أنهم - فى حقيقة أمرهم - لا يؤمنون بالغيب أو لا يكادون يؤمنون . وهى أحاديث متواترة المعنى فى مجموعها ، يعلم مضمون مافيه من الدين بالضرورة ، فلا يجديهم الإنكار ولا التأويل" (٢).

(٤) لاشك أن النصوص من القرآن والسنة دلت على رفعه إلى السماء وأنه حتى بروحه وجسده وأنه سيتزل فى آخر الزمان ، وانعقد الإجماع على ذلك فوجب على كل مسلم أن يؤمن بما دلت عليه تلك النصوص وأن يجمع قلبه على اعتقاد ما جاء فيها ، ومن المعلوم أن إنكار ما ثبت من الدين بالضرورة يعد كفراً .

(١) مشكلات الأحاديث ص ١٧٨ .

(٢) مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ٢٥٧/١٢ الهامش .

قال الشيخ الشنقيطى :

"يجب شرعاً اعتقاد أن عيسى عليه الصلاة والسلام لازال حياً إلى الآن وأنه لابد أن ينزل في آخر الزمان حاكماً بشرع نبينا عليه الصلاة والسلام ومجاهداً في سبيل الله تعالى كما تواتر عن الصادق المصدوق ، وإنما وجب اعتقاد ذلك لأن الله تعالى أخبر في كتابه العزيز ... {وماقتلوه يقيناً} بل رفعه الله إليه^(١). وقد وردت الأحاديث المتواترة كما سبق ... ولم يصح حديث بموته تمكن معارضته لما صح بالتواتر من نزوله في آخر الزمان ، وإذا أخبر القرآن أنه رفع ولم يقتل وبين النبي صلى الله عليه وسلم لنا أنه سينزل في آخر الزمان وفصل لنا أحواله بعد نزوله تفصيلاً رافعاً لكل احتمال ، وجب اعتقاد ذلك على كل مسلم ، ومن شك فيه فيكون كافراً بإجماع الأمة ، لأنه مما علم من الدين ضرورة بلانزاع ، وكل إيراد عليه من الملاحدة والجهلة باطل لا ينبغي لكل من اتصف بالعلم أن يلتفت إليه"^(٢)

وقال عبد الله الغمارى فى رده على شلتوت :

"وبعد فإنى أرى أن كل من يمارى فى هذا الأمر بعد هذا البيان فإنه مبتدع ضال إن لم يكن كافراً والعياذ بالله ، فالواجب أن يهجر ويحتنب ، وليست المسألة مسألة خلاف يعذر فيها المخالف ، بل هى مسألة إجماع أجمعت عليه الأمة وتواترت به النصوص ، كما أنها من جنس الأخبار التى لا مجال فيها للرأى والاجتهاد"^(٣).

(١) سورة النساء : آية ١٥٧، ١٥٨

(٢) زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم ٣٣١/١ - ٣٣٢ .

(٣) مشكلات الأحاديث ص ١٨٢ .

الحديث الثانى :

حديث موسى عليه السلام وملك الموت .

عد محمود أبو رية حديث موسى وملك الموت من الأحاديث المشككة ، وزعم أن راحة الإسرائيلية تفوح منه (١) .

وقال الشيخ محمد الغزالى :

"وقد وقع لى وأنا بالجزائر أن طالباً سألنى : أصحيح أن موسى عليه السلام فقأ عين ملك الموت عندما جاء لقبض روحه ، بعدما استوفى أجله ؟ فقلت للطالب وأنا ضائق الصدر : وماذا يفيدك هذا الحديث ؟ إنه لا يتصل بعقيدة ، ولا يرتبط به عمل ! والأمة الإسلامية اليوم تدور عليها الرحى (٢) ، وخصومها طامعون فى إخماد أنفاسها ! اشتغل بما هو أجدى !

قال الطالب : أحببت أن أعرف هل الحديث صحيح أم لا ؟ فقلت له متبرماً : الحديث مروى عن أبى هريرة ، وقد جادل البعض

فى صحته .

وعدت لنفسى أفكر : إن الحديث صحيح السند ، لكن متنه يثير الريبة . إذ يفيد أن موسى يكره الموت ، ولا يحب لقاء الله بعدما انتهى أجله ، وهذا المعنى مرفوض بالنسبة إلى الصالحين من عباد الله كما جاء فى الحديث الآخر "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه" (٣) . فكيف بأنبياء الله ؟ وكيف بواحد من أولى العزم ؟ إن كراهيته للموت بعد ما جاء ملكه أمر مستغرب ! ثم هل الملائكة تعرض لهم العاهات التى تعرض للبشر من عمى أو عور ؟ ذاك بعيد .

(١) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص ١٩٨ .

(٢) الرحى : وتكتب بالمد . قال ابن الأثير : "يقال دارت رحا الحرب إذا قامت على ساقها . وأصل الرحا التى يطحن بها" .

النهاية فى غريب الحديث ٢/٢١١ . وانظر القاموس المحيط ص ١٦٦٠ .

(٣) سوف يأتى تخريج الحديث والكلام عنه .

قلت : لعل متن الحديث معلول ، وأياً ماكان الأمر فليس لدى مايدفعني إلى إطالة الفكر فيه .

فلما رجعت إلى الحديث في أحد مصادره ساءنى أن الشارح جعل رد الحديث إلحاداً ! وشرع يفند الشبهات الموجهة إليه فلم يزد لها إلا قوة^(١). ثم ذكر قول المازرى^(٢) رحمه الله في بيان الحديث وتوجيهه ثم قال : "نحن نقول : هذا الدفاع كله خفيف الوزن ، وهو دفاع تافه لايساغ، ومن وصم منكر الحديث بالإلحاد فهو يستطيل في أعراض المسلمين . والحق : أن في متنه علة^(٣) قاذحة تنزل به عن مرتبة الصحة .

ورفضه أو قبوله خلاف فكرى ، وليس خلافاً عقائدياً . والعلة في المتن يبصرها المحققون ، وتخفى على أصحاب الفكر السطحى ، وقد رفض الأئمة أحاديث صح سندها واعتل متنها فلم تستكمل بهذا الخلل شروط الصحة"^(٤).

❁ روى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : "أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام . فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال : أرسلتنى إلى عبد لايريد الموت . قال فرد الله إليه عينه وقال : ارجع إليه . فقل له : يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل

(١) السنة النبوية ص ٢٦-٢٧ .

(٢) هو الإمام العلامة محمد بن على بن عمر التميمى المازرى أبو عبد الله من فقهاء المالكية ، نسبته إلى مازر بجزيرة صقلية . كان محدثاً ، فقيهاً ، أصولياً ، أدبياً ، وله دراية بالطب .

من آثاره : "المعلم بفوائد شرح مسلم" ، "شرح كتاب التلقين لعبد الوهاب المالكى" ، "الكشف والأنباء" ، "إيضاح المحصول فى برهان الأصول" . توفى عام ٥٣٦ هـ .

انظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ١/٦١٥ ، سير أعلام النبلاء ٢٠/١٠٤-١٠٦ ، معجم المؤلفين ١١/٣٢ ، الأعلام ٦/٢٧٧ .

(٣) العلة فى الحديث : سبب غامض خفى . قاذح فى الحديث ، مع أن الظاهر السلامة منه . الباعث الحثيث ص ٦٢ .

(٤) السنة النبوية ص ٢٩ .

شعرة سنة . قال : أى رب ثم مه ؟ قال : ثم الموت . قال : فالآن . فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فلو كنت ثم ، لأريتكم قبره إلى جانب الطريق ، تحت الكثيب الأحمر" (١).

هذا حديث صحيح حكم أهل الحديث بصحته ، وقد حمله أهل السنة على ظاهره ، وأن موسى عليه السلام فقاً عين ملك الموت المتمثل فى تلك الصورة حقيقة ، وقد فعل ذلك بإذن من الله تعالى (٢).

(١) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه بلفظ مقارب موقوفاً على أبى هريرة . كتاب الجنائز (٢٣) ، باب من أحب الدفن فى الأرض المقدسة (٦٩) ، ٩٣-٩٢/٢ ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب وفاة موسى (٣١) ، ١٣١-١٣٠/٤ . ثم قال : "وأخبرنا معمر عن همام قال حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه" .

وأخرجه مسلم فى صحيحه واللفظ له موقوفاً على أبى هريرة برقم ٢٣٧٢ ، وأخرج نحوه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم من طريق معمر عن همام عن أبى هريرة .

كتاب الفضائل (٤٣) ، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم (٤٢) ، ١٨٤٣-١٨٤٢/٤ .

وأخرجه النسائى فى سننه بلفظ مقارب من حديث أبى هريرة . كتاب الجنائز ، باب نوع آخر من التعزية ٩٦/٤ .

وأخرج أحمد فى مسنده نحوه من حديث أبى هريرة موقوفاً عليه ٣٥١،٢٦٩/٢ . ومرفوعاً من حديث النبي صلى الله عليه وسلم ٥٣٣،٣١٥/٢ .

وأخرج نحوه ابن حبان فى صحيحه من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم برقم ٦٢٢٣ . كتاب التاريخ (٦٠) ، باب بدء الخلق (١) ، ١١٣-١١٢/١٤ . الإحسان .

وأخرج نحوه عبد الرزاق فى مصنفه من طريق معمر عن ابن طاوس - الطريق السابق عند ابن حبان - مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم برقم ٢٠٥٣٠ ثم قال قال معمر : وأخبرنا همام عن أبى هريرة مثله برقم ٢٠٥٣١ . وأشار إلى رواية عن الحسن مرسله برقم ٢٠٥٣٢ ، باب موسى وملك الموت ٢٧٥-٢٧٤/١١ .

وأخرج ابن قتيبة نحوه من حديث عمار بن أبى عمار عن أبى هريرة مرفوعاً . تأويل مختلف الحديث ص ٢٧٦ .

وهذا خبر إنما يدرك معناه من لم يحرم التوفيق لإصابة الحق .
فإن الله أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام رسالة ابتلاء واختبار ، وهو سبحانه لا يريد إمضاء ما أمر به ، كما أمر إبراهيم عليه السلام من قبل بذبح ابنه أمر ابتلاء واختبار . وقد جاءه الملك في صورة لا يعرفه عليها ، وكان موسى عليه السلام غيوراً ، وقد رأى رجلاً في داره لا يعرفه ، فلطمه ففقأ عينه .

ومن المعلوم في شرعنا أن من فقأ عين الداخل داره بغير إذنه أو الناظر إلى بيته من غير أمره ، لاحرج عليه . فما فعله موسى كان مباحاً له لاحرج عليه في فعله ، لأن ذلك مما يجوز اتفاق الشرائع فيه .
فرجع ملك الموت إلى ربه وأخبره بما فعل موسى عليه السلام فأمره أمر ابتلاء واختبار آخر لموسى عليه السلام ، بأن يضع يده على متن ثور ، وله بما غطت يده من شعره بكل شعرة سنة ، فلما علم موسى عليه السلام أنه ملك الموت ، وأنه جاء بأمر من عند الله طابت نفسه بالموت ولم يستمهل وقال : فالآن .

فلو علمه موسى عليه السلام في المرة الأولى لما فعل معه ما فعل .
هذا ما ذهب إليه أصحاب الحديث خلافاً لمن زعم أنهم حمالة الخطب ، ورعاة الليل ، يجمعون ما لا ينتفعون به ، ويروون ما لا يؤجرون عليه ، ويقولون بما يبطله الإسلام ، جهلاً منه لمعاني الأخبار ، وترك التفقه في الآثار ، معتمداً منه على رأيه المنكوس ، وقياسه المعكوس (١) .

قال النووي رحمه الله :

"قال المازري : وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكر تصويره ، قالوا : كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت ؟ قال : وأجاب العلماء عن هذا بأجوبة :

أحدها : أنه لا يمتنع أن يكون موسى صلى الله عليه وسلم قد أذن الله تعالى له في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحاناً للملطوم والله سبحانه وتعالى يفعل في خلقه ما شاء ويمتحنهم بما أراد .

والثاني : أن هذا على المجاز والمراد أن موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة ، ويقال فقاً فلان عين فلان إذا غلبه بالحجة ، ويقال عورت الشيء إذا أدخلت فيه نقصاً ، قال : وفي هذا ضعف لقوله صلى الله عليه وسلم "فرد الله عينه" فإن قيل أراد رد حجته كان بعيداً .

والثالث : أن موسى صلى الله عليه وسلم لم يعلم أنه ملك من عند الله وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فأدت المدافعة إلى فقء عينه لأنه قصدها بالفقء ، وتؤيده رواية صكه . وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازرى والقاضى عياض ، قالوا : وليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه . فإن قيل فقد اعترف موسى حين جاءه ثانياً بأنه ملك الموت . فالجواب : أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت فاستسلم بخلاف المرة الأولى^(١) .

وبعد هذا يمكن أن نجمل مآثره محمود أبو رية ومحمد الغزالي من شبهات حول الحديث في النقاط التالية :

(١) إنه مروى عن أبي هريرة (وقد جادل البعض في صحته) ، (فلعل متنه معلول) ، (إن في متنه علة قاذحة تنزل به عن مرتبة الصحة) . والعلة في المتون يبصرها المحققون وتخفى على أصحاب الفكر السطحي .

(٢) إنه مشكل وتفوح منه رائحة الإسرائيليات .

(٣) إنه لا يفيد شيئاً فهو لا يتصل بعقيدة ولا يرتبط به عمل . والاشتغال بغيره أجدى . ورفضه أو قبوله خلاف فكري وليس خلافاً عقائدياً .

(٤) متنه يثير الريبة لأنه يفيد أن موسى يكره الموت ، ولا يحب لقاء الله ، وهذا معنى مرفوض عند الأنبياء والصالحين لما جاء في الحديث الآخر "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه" .

(٥) الملائكة لا تعرض لهم العاهات التي تعرض للبشر من عمى وعور .

(٦) من جعل إنكار الحديث إلحاداً فهو يستطيل في أعراض المسلمين ، ومن دافع عنه فدفاعه كله خفيف الوزن ، وهو دفاع تافه لا يساغ .

ويجاب على ذلك بالآتى :

(١) أولاً : هذا حديث صحيح تلقاه علماء الحديث بالقبول والتسليم لأنه ورد إليهم عن طريق الثقات الأثبات المأمونين ، ولذا أوردوه في دواوين الإسلام من صحاح وسنن وجوامع مسلمين بصحته معتقدين بمضمونه (١) .

وقد رواه البخارى ومسلم في صحيحيهما ، والنسائى في سننه ، والإمام أحمد في مسنده ، وابن حبان في صحيحه ، وعبد الرزاق في مصنفه ، وابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث وغيرهم (٢) .

وقد تصدى جمع من علماء الإسلام والأئمة الأعلام للرد على من طعن فيه بالتكذيب ، ودحضوا شبهاتهم وكشفوا عوارهم فلم يبق لدعى حجة بوجه (٣) .

ثانياً : لم يبين الغزالى من هؤلاء الذين جادلوا في صحته ، ولعله يعنى من وصفهم المازرى بالملحدين ؟

فهؤلاء لاحجة في قولهم ، ولو أجمعوا على ذلك ، كيف وهم ملحدون ، ومن العار بل من الضلال أن يكون سلف الغزالى في تصحيح الأحاديث وتضعيفها هؤلاء .

(١) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص ١٨٧ .

(٢) انظر تخريج الحديث السابق .

(٢) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص ١٨٧ .

ثالثاً : ماهى العلة القادحة التى ادعاها الغزالى فى متن هذا الحديث ؟
ومن سبقه عليها من علماء الإسلام الذين يؤخذ بقولهم ويعتمد على
تصحيحهم وتضعيفهم ؟

ولعله يعنى فقهاء الإسلام الذين كثيراً ما يتبجح بهم ، فمن منهم أعل
هذا الحديث ، وقدح فى متنه ؟

إنها مزاعم تلقى على عواهنها لاسند لها ولا مؤيد من أهل الحق
وحملة الشريعة ، ولا تجد رواجاً إلا عند كليلى البصائر ومعتلى العقول .
وقد تناقض الغزالى فى إصدار حكمه على هذا الحديث ، فتردد أولاً فى
الحكم بصحته ، ثم ذكر قولاً محتملاً فقال : "فلعل متنه معلول" ثم جزم
أخيراً بأن فيه علة قادحة (١). وعلة ذلك أن الأمر عنده خاضع للذوق وليس
أمراً علمياً يخضع للقواعد والأصول .

والغزالى رجل له جهوده فى جانب الفكر ، ولكن لا يحق له أن يقحم
نفسه فى مجال لا قدرة له على اقتحامه ، ويواجه معركة حامية وهو مجرد عن
السلاح ، وهو ما علمته قليل البضاعة فى الحديث والفقه أيضاً ، وأصدق
شاهد على ذلك كتبه ، والحديث والفقه لهما رجال يعرفون بهما .

وفن علل الحديث فن غامض عميق الجذور لا يتصدى له إلا جهابذة
علماء الحديث ، ولا يقتحم لجته إلا المتضلعون فى علم الحديث رواية ودراية .

قال ابن الصلاح رحمه الله :

"اعلم أن معرفة علل الحديث من أجل علوم الحديث وأدقها وأشرفها
وإنما يضطلع بذلك أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب وهى عبارة عن أسباب
خفية غامضة قادحة فيه" (٢).

وقال ابن كثير رحمه الله :

"وهو فن خفى على كثير من علماء الحديث ، حتى قال بعض حفاظهم
معرفتنا بهذا كهانة عند الجاهل .

(١) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص ١٨٣ .

(٢) مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضاح ص ١١٦ .

وإنما يهتدى إلى تحقيق هذا الفن الجهابذة النقاد منهم ، يميزون بين صحيح الحديث وسقيمه ، ومعوجه ومستقيمه ، كما يميز الصيرفي البصير بصناعته بين الجياد والزيوف ، والدنانير والفلوس . فكما لا يتمارى هذا ، كذلك يقطع ذاك بما ذكرناه ، ومنهم من يظن ومنهم من يقف ، بحسب مراتب علومهم وحذقهم واطلاعهم على طرق الحديث ، وذوقهم حلاوة عبارة الرسول صلى الله عليه وسلم التى لا يشبهها غيرها من ألفاظ الناس^(١) . وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

"وهذا الفن أغمض أنواع الحديث وأدقها مسلكاً ، ولا يقوم به إلا من منحه الله تعالى فهماً غايصاً واطلاعاً حاوياً وإدراكاً لمراتب الرواة ومعرفة ثاقبة ، ولهذا لم يتكلم فيه إلا أفراد أئمة هذا الشأن وحذاقهم وإليهم المرجع فى ذلك لما جعل الله فيهم من معرفة ذلك ، والاطلاع على غوامضه دون غيرهم ممن لم يمارس ذلك"^(٢) .

والذى جعل هذا العلم وعراً حتى على كثير من علماء الحديث ، خفاء العلة فيه وصعوبة الوصول إلى معرفتها ، فهى عبارة عن سبب غامض قادح فى صحة الحديث مع أن ظاهره السلامة منها ، ويتطرق ذلك إلى الإسناد الجامع لشروط الصحة ظاهراً ، وتدرك بتفرد الراوى ومخالفته لغيره مع قرائن أخرى .

والطريق إلى معرفة ذلك جمع طرق الحديث والنظر فى اختلاف رواته وضبطهم وإتقانهم . وهى تقع فى الإسناد وهو الأكثر وقد تقع فى المتن^(٣) . وما كان للشيخ الغزالى أن يرد هذا المورد وهو لا يعد من فرسانه حتى لا يتهم بالجهل وقلة العلم ، أو على الأقل عدم المبالاة . ولعله يتشبث بالفقهاء ههنا كما هو ديدنه ، ولكن الفقهاء فى الحقيقة لا يشترطون لصحة الحديث

(١) اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص ٦٠-٦١ .

(٢) النكت على كتاب ابن الصلاح ٧١١/٢ .

(٣) تقريب النووى مع شرحه التدريب ٢٥٢/١-٢٥٣ .

وجود العلة فيه كما لا يشترطون وجود الشذوذ أيضاً^(١).

بل كانوا رحمهم الله يلجؤون إلى أهل الحديث في كشف العلل ، لأن المحدثين هم أهل هذا الشأن . ولذا كان الإمام الشافعي رحمه الله مع إمامته وجلالة قدره وسعة علمه يحيل القول على أئمة الحديث في كتبه فيقول " وفيه حديث لا يثبت به أهل العلم بالحديث " ^(٢).

هذا هو شأن العلماء المحققين الذين يتكلمون بعلم وروية .
رابعاً : قوله " العلة في المتون يبصرها المحققون وتخفى على أصحاب الفكر السطحي " .

من هم المحققون الذين يعينهم الغزالي ؟ لعله يعني النظام وشيعته الذين كشف ضلالهم ابن قتيبة وابن خزيمة وغيرهم حول هذا الحديث ، أو لعله يعني من سماهم المازري بالملحدين ، فإن لم يكونوا هؤلاء فلم لم يكشف لنا عن أسمائهم أو على الأقل اسم واحد منهم ؟
ثم من هم أصحاب الفكر السطحي ؟ أظنه يعني الإمام أحمد والبخاري ومسلماً والنسائي وابن قتيبة وابن خزيمة والمازري والقاضي عياض والنووي وغيرهم من أئمة الإسلام وعلمائهم ممن روى هذا الحديث وحكم بصحته وآمن به ورد كيد الطاعنين فيه ^(٣).

إنها إساءة بالغة توجه لعلماء الإسلام وأئمتهم ممن اعترفت لهم الأمة بالفضل وأجمعت على جلالتهم وعلو قدرهم . وعلى النقيض من هذا يمدح أهل البدع والضلال ويمجدون ، إنه جور وظلم وتجنى على العلم وأهله ، نسأل الله السلامة والعافية .

(٢) الزعم بأنه مشكل وأنه تفوح منه رائحة الإسرائيليات .
لا إشكال في الحديث كما توهم أبو رية ، وسوف يجاب على مازعم أنه إشكال فيما يأتي .

(١) انظر : التقييد والايضاح ص ٢٠ ، تدريب الراوى ٦٥/١ .

(٢) انظر : النكت على كتاب ابن الصلاح ٧١١/١ ، وقول الشافعي في كتابه الأم ١٣/١ .

(٣) انظر : كشف موقف الغزالي من السنة ص ١٨٤ ، حوار هاديء ص ٩٦، ٩٥ .

والحديث مرفوع ثابت رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في رواية همام بن منبه ، ورواية طاوس أيضاً لها حكم الرفع لأنه مما لا مجال للرأى فيه ، وما كان كذلك فله حكم الرفع ، فهذا يبعد كونه من الإسرائيليات (١) .

ولو كان كذلك لما خفى على علماء الأمة وجهابذتها ولسارعوا ببيان ذلك وإيضاحه ، وهم أعلم بذلك وأوعى .

قال الشيخ المعلمى فى رده على أبى رية :

" قد علمنا أن كلام الأنبياء كله حق من مشكاة واحدة ، وأن الرب الذى أوحى إلى أنبياء بنى إسرائيل هو الذى أوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو جاز الحكم بالرائحة لما ساغ أدنى تشكك فى حكم البخارى لأنه أعرف الناس برائحة الحديث النبوى ، وبالنسبة إليه يكون أبو رية أخشم فاقد الشم أو فاسده " (٢) .

(٣) الزعم بأنه لايفيد شيئاً ، زعم مناف للصواب ، وإلا لما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم لأنه لا يذكر مالا فائدة فيه ، وهو الذى يعلم صلوات الله وسلامه عليه أن أقواله وأفعاله وتقريراته شرع للعباد .

(١) انظر : دفاع عن السنة ص ١٩٤ .
قال الحافظ : " أورده - أى البخارى - موقوفاً من طريق طاوس عنه ، ثم عقبه برواية همام عنه مرفوعاً . وهذا هو المشهور عن عبد الرزاق ، وقد رفع محمد بن يحيى عنه رواية طاوس أيضاً أخرجه الإسماعيلي " . فتح البارى ٤٤١/٦ .
(٢) الأنوار الكاشفة ص ١٩٤ .

وإن جهل الشيخ الغزالي فوائد هذا الحديث فقد علمها غيره وإليك جملة من فوائده :

(أ) ابتلاء الإنسان بالإيمان بالغيب . وذلك من خصائص المؤمنين قال تعالى {الذين يؤمنون بالغيب} الآية (١).

(ب) ربط الإنسان بالأجيال السابقة من خلال تفصيلات النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يذكر لأصحابه كثيراً من قصص الماضين ليربطهم بالسابقين ، وليبين لهم أن أمة الإسلام أمة واحدة .

(ج) الكشف عن طبيعة الإنسان ، وإن كان نبياً مختاراً فإنه لا يخرج عن بشريته .

(د) فضل الموت في الأرض المقدسة ، وهذه فائدة فقهية (٢).

قال النووي رحمه الله :

"قال بعض العلماء : وإنما سأل الإدناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لأنه خاف أن يكون قبره مشهوراً عندهم فيفتتن به الناس وفي هذا استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة" (٣).

وفيه أيضاً فائدة أخرى وهى سد الذرائع عن الوقوع في المعاصي وخاصة الشرك بالله تعالى ، ولذا أخفى قبره حتى لا يقصده الناس بالعبادة والناس مولعون بالاعتقاد في قبور الأنبياء والصالحين .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

"وفيه أن الملك يتمثل بصورة الإنسان ، وقد جاء ذلك في عدة أحاديث . وفيه فضل الدفن في الأرض المقدسة ... واستدل بقوله "فلك بكل شعرة سنة" على أن الذى بقى من الدنيا كثير جداً لأن عدد الشعر الذى تواريه اليد قدر المدة التى بين موسى وبعثة نبينا صلى الله عليه وسلم مرتين

(١) سورة البقرة : آية ٣

(٢) انظر : حوار هادىء ص ٩٤، ٩٥ .

(٣) شرح النووي على مسلم ١٢٨/١٥ .

وأكثر . واستدل به على جواز الزيادة في العمر "(١).

وقد ذكر الله تعالى قصصاً كثيرة في القرآن من أخبار الماضين ، كقصة النملة والهدد ، وقصة يوسف عليه السلام ، وقصة ذى القرنين وغير ذلك الكثير وهى من قبيل ماجاء في الحديث . فهل يقال أيضاً أن ذكر هذه لفائدة فيه ؟

والقول بأنه لا يتصل بعقيدة ولا يرتبط به عمل ، قول يؤدى إلى تهوين أمر الحديث والاستخفاف به ، وهو منفذ يلج من خلاله الملحدون ليشككوا في دين الله تعالى بالطعن في كثير مما ورد في القرآن والسنة النبوية (٢). ولو لم يكن فيه إلا الإيمان بالغيب لكفى ذلك عقيدة لكل مسلم ، واستحباب الدفن في الأرض المقدسة أمر ينبى عليه عمل .

وقوله "الاشتغال بغيره أجدى" . فيه تزهد كامل في حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وصد الناس عن تعلمه ومعرفته . وفى ذلك أيضاً استدراك على النبى صلى الله عليه وسلم الذى أخبر بذلك الصحابة ، وكان على هذا الزعم يجب عليه أن يشغلهم بغيره .

والزعم بأن رفضه أو قبوله خلاف فكرى وليس خلافاً عقائدياً . زعم فيه استطالة على السنة النبوية ، وإحياء لمذهب النظام وأمثاله من المعتدين عليها ، وعبث يفضى إلى الاستهانة بأمرها والتحقير من شأنها (٣).

ولكى يكون الغزالي دقيقاً في تعبيراته كان أحرى به أن يقول : "خلاف علمى" ، إذ الخلاف الفكرى أمر تجول فيه خواطر العقل التى لا تلتزم بأصل ولا قاعدة ، وإنما تخضع لقواعد المنطق العام ، التى تتباين وتختلف فيها وجهات النظر فى العموم ، بينما الخلاف العلمى ينبى على قواعد وأصول ، تتعارض فيه الأدلة فى خصوصيات مضبوطة ، وهذا الأليق بالحديث النبوى ، إذ المفكر لا مجال له فى الخوض فى قبول الحديث ورده ،

(١) فتح البارى ٤٤٣/٦ .

(٢) انظر : كشف موقف الغزالي من السنة ص ١٧٣ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ص ١٨٣ .

وإنما ذلك أمر يتعلق بأهل الاختصاص ، وإن خالف فخلافه غير معتبر ولا يلتفت إليه (١).

ولا يسلم للغزالي بوجود خلاف أصلاً في صحة الحديث وعدمها ، إذ الحديث صحيح ولا خلاف في ذلك .

ولا يسلم له بنفى الخلاف العقائدى عنه ، وإلا لما رمى العلماء المنكرين المخالفين فيه بالإلحاد .

(٤) إن كراهية الموت أمر فطرى فى البشر ، وقد شرع الله الدفاع عن النفس ، ونهى عن القائها فى التهلكة .

وقد اتخذ الأنبياء - مع أنهم أكثر الناس شجاعة - من الأسباب الواقية المشروعة ما يدفعون به الأخطار وغوائل الأعداء .

فالنبي صلى الله عليه وسلم هاجر خفية ، واختفى فى الغار ، وأعمى أخباره عن الأعداء ، واتخذ حراساً يحرسونه حتى نزل قول الله تعالى : {والله يعصمك من الناس} (٢) ، فصرفهم عن حراسته ، وظاهر يوم أحد بين درعين .

وقد وقع لموسى عليه السلام من ذلك أمور ، كما قال تعالى : {وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب ياموسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين} (٣).

وقال تعالى : {وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى إن الملائكة يأترون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين . فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين} (٤).

وهذا كله من الأسباب الشرعية المعقولة التى لا تخدش فى مقام الأنبياء ولا مكانتهم (٥).

(١) انظر : أزمة الحوار الدينى ص ٤٢، ٤١ .

(٢) سورة المائدة : آية ٦٧

(٣) سورة القصص : آية ٣١

(٤) سورة القصص : آية ٢٠، ٢١

(٥) انظر : كشف موقف الغزالي من السنة ص ١٧٨، ١٧٩ .

وموسى عليه السلام لم يعلم أن ذلك المعتدى عليه ملك الموت ولذلك لطمه دفاعاً عن نفسه ورداً لغائلته لافراً من موت ولا رغبة في حياة . ولذا لما علم في المرة الثانية أنه ملك الموت رغب في لقاء ربه ، واختار الموت دون الحياة^(١).

ولامعارضة بين هذا الحديث وبين حديث "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه" . وهذا بيانه :

روى مسلم بسنده إلى عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه . ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه" . فقلت : يا بنى الله : أكرهية الموت ؟ فكلنا نكره الموت . فقال : "ليس كذلك . ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته ، أحب لقاء الله ، فأحب الله لقاءه . وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه ، كره لقاء الله ، وكره الله لقاءه"^(٢).

وروى بسنده عنها رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . والموت قبل لقاء الله"^(٣).

وروى بسنده أيضاً عن شريح بن هانئ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه . ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه" . قال فأتيت عائشة فقلت : يا أم المؤمنين ! سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله حديثاً . إن كان كذلك فقد هلكنا

(١) انظر : مشكلات الأحاديث ص ١٩٥ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء (٤٨) ، باب من أحب لقاء الله (٥) برقم ٢٦٨٤ ، ٢٠٦٥-٢٠٦٦ .

وأخرج نحوه البخارى في صحيحه من حديث عبادة بن الصامت ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب من أحب لقاء الله (٤١) ، ١٩١/٧ .

(٣) صحيح مسلم ، في الكتاب والباب والجزء السابق ص ٢٠٦٦ .

فقلت : إن الهالك من هلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم . وماذاك؟ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه" وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت . فقلت : قد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم . وليس بالذى تذهب إليه . ولكن إذا شخص البصر ، وحشرج^(١) الصدر ، واقشعر^(٢) الجلد ، وتشنجت^(٣) الأصابع . فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه"^(٤).

قال النووى رحمه الله :

"هذا الحديث يفسر آخره أوله ويبين المراد بباقي الأحاديث المطلقة ، من أحب لقاء الله ، ومن كره لقاء الله ، ومعنى الحديث أن الكراهة المعتبرة هى التى تكون عند التزع فى حالة لا تقبل توبته ولا غيرها فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه وماأعد له ويكشف له عن ذلك"^(٥). ومن هنا يتبين أن حب لقاء الله وكراهيته ليسا على إطلاقهما ، وإنما ذلك مقيد بوقت محدود وزمن معين وهو الذى نص عليه الحديث "إذا شخص البصر... الخ" وبين ذلك النووى رحمه الله . وليست هى كراهية الموت التى طبع عليها البشر قبل تلك الحال ، وقد خطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من فهم ذلك . والحال التى جابه فيها موسى ملك الموت

(١) الحشرجة : هى الغرغرة عند الموت وتردد النفس . النهاية ٣٨٩/١ .

(٢) اقشعر : أى تقبض وتجمع . انظر : النهاية ٦٦/٤ .

(٣) تشنجت : أى انقبضت وتقلصت . النهاية ٥٠٣/٢ .

(٤) صحيح مسلم ، فى الكتاب والباب والجزء السابق ص ٢٠٦٦ برقم ٢٦٨٥ .

وشريح بن هانئ : هو ابن يزيد الحارثى المذحجى ، أبو المقدام الكوفى ، مخضرم ، ثقة معمر عابد .

صاحب على ، وسمع من عمر ، وروى عنه الحكم بن عتيبة والقاسم بن مخيمرة . قتل سنة ٧٨ هـ مع ابن أبى بكرة بسجستان .

انظر : الجرح والتعديل ٣٣٣/٢ ، الكاشف ٩/٢ ، تقريب التهذيب ٣٥٠/١ .

(٥) شرح النووى على مسلم ٩/١٧-١٠ .

عليهما السلام ليست هي الحال التي عناها النبي صلى الله عليه وسلم بذكر الحديث (١).

(٥) القول بأن الملائكة لا تعرض لهم العاهات التي تعرض للبشر ، دعوى تحتاج إلى دليل . وما المانع في ذلك ؟

وهم خلق من خلق الله وجدوا من عدم فوهب الله لهم الحياة ، ثم يموتون ويفنون بقدرة الله تعالى ، فمن جاز عليه الموت فغيره مما هو دونه من العاهات أولى بالجواز (٢).

وقد جاء في القرآن والسنة ما يثبت أن الملائكة يتمثلون في صور البشر كما جاءوا إلى إبراهيم عليه السلام (٣)، ولوط عليه السلام (٤)، وكما تمثل الملك لمريم عليها السلام في صورة رجل كما قال سبحانه : {فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً} (٥). وقد كان جبريل عليه السلام يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي ، وفي صورة رجل من الأعراب ، فما المانع أن يتمثل ملك الموت في صورة رجل ثم يأتي إلى موسى عليه السلام وهو لا يعرفه (٦). وقد ظنه عادياً يريد الاعتداء عليه فدافعه عن نفسه ، فلطمه ، ففقأ عينه (٧).

(١) انظر : كشف موقوف الغزالي ص ١٨٠، ١٨١ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ص ١٨١ .

(٣) انظر : سورة هود : آية ٦٩، ٧٠ ، الحجر : آية ٥١ فما بعدها ، الذاريات : آية ٢٤ فما بعدها .

(٤) انظر : سورة هود : آية ٧٧ فما بعدها ، الحجر : ٦١ فما بعدها ، العنكبوت : آية ٣٣ .

(٥) سورة مريم : آية ١٧ .

(٦) انظر : تأويل مختلف الحديث ص ٢٧٧ ، الحجة في بيان المحجة ٤٠٨/٢ ، فتح الباري ٤٤٢/٦ ، الأنوار الكاشفة ص ٢١٩ ، مشكلات الأحاديث ص ١٩٤ ، دفاع عن السنة ص ١٩٤ .

(٧) انظر : مشكلات الأحاديث ص ١٩٥ ، دفاع عن السنة ص ١٩٤ .

وليس ذلك بغريب على موسى عليه السلام ، فقد وكز القبطى فقضى عليه ، ولم يكن يريد ذلك ، كما قال سبحانه : {فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين . قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم} (١).

واللطمة إنما أذهبت العين التى هى تخيل وتمثيل وليست حقيقة ، فلما عاد ملك الموت إلى حقيقته ، لم ينتقص منه شيء ، فتأثير اللطمة إنما كان على ذلك الجسد العارض ، وفقء العين عبارة عن عاهة عارضة للصورة التى تمثل بها الملك وليست للصورة التى خلق عليها (٢).

ونفى الحقيقة هنا ليس نفيًا لحقيقة اللطمة ، ولالتأثيرها ، وإنما هو نفى لوقوعها على ذات الملك فى خلقته الحقيقية .

(٦) من هم المسلمون الذين أنكروا هذا الحديث واستطال فى عرضهم من وصم منكره بالإلحاد ؟ لماذا لم يذكرهم الغزالى ؟ وهل الاستطالة على السنة النبوية الصحيحة الثابتة المتلقاة بالقبول من الأمة الإسلامية سهل على الغزالى حتى انبرى يدافع ويناضل عن المستطيلين عليها؟ (٣) إن العلماء الذين وصموا أولئك بالإلحاد يعرفون قدر السنة ومقامها ولذلك يأبى عليهم إيمانهم وعقيدتهم السكوت عنهم . إنهم حماة الدين والذابون عنه ، وإن لم يرض ذلك الغزالى .

وكيف جاز له أن يسمى دفاعهم بأنه خفيف الوزن ، تافه ، لايساغ ، أليس هذا قدح واستطالة على علماء أجلاء شهدت لهم الأمة بالفضل والعلم . إن لحوم العلماء ياشيخ مسمومة ، وأقوالهم محترمة مقدرة وإن لم يؤخذ بها ، فالواجب علينا التأدب معهم وتكريمهم لاالإساءة إليهم وتسفيه أقوالهم .

(١) انظر : مشكلات الأحاديث ص ١٩٤ ، كشف موقف الغزالى من السنة ص ١٧٤ . والآيات هى : ١٦، ١٥ من سورة القصص .

(٢) انظر : تأويل مختلف الحديث ص ٢٧٨ ، الحجة فى بيان المحجة ٤٠٨/٢ ، فتح البارى ٤٤٣/٦ ، الأنوار الكاشفة ص ٢٢٠ ، دفاع عن السنة ص ١٩٥ ، حوار هادىء ص ٩٥ .

(٣) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص ١٨٢، ١٨٣ .

الحديث الثالث :

حديث وقوع الذباب فى الإناء .

قال الشيخ محمد رشيد رضا :

"وحديث الذباب المذكور غريب عن الرأى وعن التشريع جميعاً .
أما التشريع فى مثل هذا فإن تعلق بالنفع والضرر فمن قواعد الشرع
العامة أن كل ضار قطعاً فهو محرم قطعاً ، وكل ضار ظناً فهو مكروه كراهة
تحريمية أو تنزيهية على الأقل إن كان الظن ضعيفاً .

فغمس الذباب فى المائع الذى يقع فيه لا يتفق مع قاعدة تحريم الضار
ولامع قاعدة اجتناب النجاسة .

وأما الرأى فلا يمكن أن يصل إلى التفرقة بين جناحى الذبابة فى أن
أحدهما سام ضار والآخر ترياق واق من ذلك السم .
وإننا لم نر أحداً من المسلمين ولم نقرأ عن أحد منهم العمل بهذا
الحديث ، فالظاهر أنهم عدوه مما لادخل له فى التشريع كغيره من الأحاديث
المتعلقة بالمعالجات الطبية والأدوية ...

وإن إخراج البخارى لهذا الحديث فى جامعہ لا يعصمه من التماس علة
فى رجاله تمس مناعة صحته ، فإن مداره عنده على عبيد بن حنين^(١) مولى
بنى زريق انفرد به وليس له غيره فهو ليس من أئمة الرواة المشهورين

(١) هو عبيد بن حنين ، أبو عبد الله المدنى ، روى عن أبى موسى وزيد بن ثابت
وطائفة ، وعنه أبو الزناد ويحيى بن سعيد ، ثقة قليل الحديث . مات سنة ١٠٥ هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٤٠٤/٥ ، الكاشف ٢٣٧/٢ ، تهذيب التهذيب ٦٣/٧ ،
تقريب التهذيب ٥٤٢/١ .

ولم أقف على أحد اتهمه أو رماه بما رماه به رشيد رضا . أو أعل هذا الحديث أو
غيره بسببه .

وماذكره رشيد رضا مردود بتوثيق العلماء له .

الذين تخضع الرقاب لعدالتهم وعلمهم وضبطهم كمالك عن نافع^(١) عن ابن عمر مثلاً ، ومن الغريب أنه لم يذكر في تهذيب التهذيب أن له رواية عن أبي هريرة ، فإن كان بينهما واسطة يكون منقطعاً ، ولكن لم يذكر الحافظ ذلك على تحريه لمثل هذه العلل . وفيه أن أبا حاتم قال فيه كان صالح الحديث وهى من أدنى مراتب التوثيق حتى قدم الحافظ الذهبي وغيره عليها كلمة لا بأس به .

فإذا غلب على قلب مسلم أن رواية ابن حنين هذا غير صحيحة وارتاب بغرابة موضوع حديث الذباب لا يكون قد ضيع من دينه شيئاً ، ولا يقتضى ارتيابه هذا أو جزمه بعدم صدق ابن حنين فيه الطعن في البخارى لأنه قبل روايته لأنه لم يعلم جارحاً يجرحه فيه إلا هذا الشذوذ الذى يجبره حديث أبى سعيد عند النسائى وابن ماجه بمعناه ... وكل من ظهر له علة في رواية حديث فلم يصدق رفعه لأجلها فهو معذور شرعاً ، ولا يصح أن يقال في حقه أنه مكذب لحديث كذا ...

تنبيه : أن ابن حنين راوى حديث الذباب من مسلمة الأعاجم والظاهر أنه من النصارى^(٢).

وقال : "وإننى أعلم بالاختيار أيضاً أن ذلك المسلم الغيور - يعنى محمد توفيق صدقى^(٣) - لم يطعن في صحة هذا الحديث كتابة إلا لعلمه بأن

(١) هو نافع أبو عبد الله المدنى ، مولى ابن عمر ، ثقة ثبت فقيه ، مشهور . وهو من أئمة التابعين وأعلامهم .

روى عن ابن عمر وأبى هريرة وعائشة ، وعنه أيوب ومالك والليث . قال مالك "إذا سمعت نافعاً يحدث عن ابن عمر لأبأى أن لأسمع من غيره" . مات سنة ١١٧هـ أو بعدها .

انظر : الجرح والتعديل ٤٥٢/٨ ، الكاشف ١٩٧/٣ ، تقريب التهذيب ٢٩٦/٢ .

(٢) مجلة المنار ، المجلد ٢٩ ، ص ٤٨-٥٠ .

(٣) وهو من الذين طعنوا في حديث الذباب وردوه بالعقل .

انظر مجلة المنار ، المجلد ١٩ ، ص ٩٧ .

تصحيحه من المطاعن التي تنفر الناس عن الإسلام ، وتكون سبباً لردة بعض ضعفاء الإيمان ، وقليلى العلم الذين لا يجدون مخرجاً من مثل هذا المطعن إلا بأن فيه علة في المتن تمنع صحته ، وكان هو يعتقد هذا . وماكلف الله مسلماً أن يقرأ صحيح البخارى ويؤمن بكل ما فيه وإن لم يصح عنده أو اعتقد أنه ينافى أصول الإسلام ... يكفر مسلم من خيار المسلمين علماً وعملاً ودفاعاً عن الإسلام ودعوة إليه بدليل أو شبهة على صحة حديث رواه البخارى عن رجل يكاد يكون مجهولاً واسمه يدل على أنه لم يكن أصيلاً في الإسلام وهو عبد الله بن حنين .

وموضوع متنه ليس من عقائد الإسلام ولا من عباداته ولا من شرائعه ولا التزم المسلمون العمل به ^(١).

ويرى محمود أبو رية أن الإنسان وصل في هذا العصر إلى مخترعات ومكتشفات من العلوم التي تدهش العقول ، فلا ينبغي للإنسان أن يشغل الناس بالأبحاث العقيمة التي لا تنفع ولا تفيد بل هي إلى الإساءة أدنى وإلى ضرر الناس أقرب .

ومثال لذلك بحث حديث الذباب الذى يفتح على الدين شبهة يستغلها أعداء الإسلام ، ويتوارى عن ذلك أولياؤه ، بل يجب أن يترك هذا البحث إلى ماوصل إليه العلم بأبحاثه الدقيقة وتجاربه الصحيحة التي لا يمكن نقضها ولا يرد حكمها .

ثم قال :

"وماذا يضر الدين إذا أثبت العلم ما يخالف حديثاً من الأحاديث التي جاءت من طريق الآحاد وبخاصة إذا كان هذا الحديث في أمر من أمور الدنيا التي ترك النبي صلوات الله عليه أمرها إلى علم الناس . وهل أوجب علينا الدين أن نأخذ بكل حديث حملته كتب السنة أخذ تسليم وإذعان وفرض علينا أن نصدقها ونعتقد بها اعتقاداً جازماً .

الأخبار التي جاءت من طريق الآحاد وحملتها كتب الحديث فإنها لا تعطى اليقين وإنما تعطى (الظن) والظن لا يغنى من الحق شيئاً . وللمسلم أن يأخذ بها ويصدقها إذا اطمأن قلبه بها وله أن يدعها إذا حاك في صدره شيء منها . وهذا أمر معروف عند النظار من علماء الكلام والأصول والفقه ولم يعارض فيه إلا (زوامل الأسفار)^(١) من الحشوية الذين لا يقيم لهم وزن . وإذا نحن أخذنا حديث الذباب على إطلاقه ولم نسلط عليه أشعة النقد فإننا نجده من أحاديث الآحاد وهى التى تفيد الظن - وإذا لم يسعنا ذلك فى رده بعد أن أثبت العلم بطلانه فليسعنا ما وضعه العلماء من قواعد عامة - ومن هذه القواعد (أنه ليس كل ماصح سنده يكون متنه صحيحاً ، ولا كل مالم يصح سنده يكون متنه غير صحيح - بل قالوا - إن الموضوع من حيث الرواية قد يكون صحيحاً فى الواقع . وإن صحيح السند قد يكون موضوعاً فى الواقع . ومن القواعد المشهورة : إن من علامة الحديث الموضوع مخالفته لظاهر القرآن أو القواعد المقررة فى الشريعة أو للبرهان العقلى أو للحس والعيان وسائر اليقينيات .

وإذا قيل إن هذا الحديث قد رواه البخارى وهو لا يروى إلا ما كان صحيحاً ، فإننا نرد على ذلك بأن البخارى قد روى فى كتابه ما اعتبره هو صحيحاً عملاً بظاهر الإسناد لا ما ثبت فى الواقع أنه صحيح . ومن أجل ذلك لا يلزم غيره بما اعتبره هو . وإذا قالوا حديث (متفق عليه) فليس معنى ذلك أن الأمة كلها قد اتفقت على صحته وإنما معنى ذلك أن البخارى ومسلماً قد

(١) الزاملة : هى التى يحمل عليها من الإبل وغيرها .

انظر : القاموس المحيط ص ١٣٠٦ .

وأسفار : جمع سفر وهو الكتاب الكبير .

انظر : المرجع السابق ص ٥٢٣ .

والمراد أنهم حملة كتب لا يفقهون مافيهما .

اتفقا على روايته (١).

على إننا إذا سلمنا كما قلنا بأن النبي صلوات الله عليه قد نطق بهذا الحديث ثم أثبت العلم ضرر الذباب فليس علينا من بأس في الرجوع عنه ، وعدم الأخذ به ، لأنه من أمور الدنيا . ولنا في ذلك أسوة حسنة بما فعل النبي صلوات الله عليه حينما رأى أهل المدينة يؤبرون النخل فأشار عليهم بأن لا يؤبروه (٢) ، ثم ذكر حديث التأبير . وذكر أن الحديث من رواية أبي هريرة وقد ردوا له أحاديث كثيرة .

● روى البخارى بسنده إلى أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه ، فإن في إحدى جناحيه شفاء وفي الآخر داء" (٣).

(١) قال ابن الصلاح : "أعلاها - أى مراتب الصحيح - الأول وهو الذى يقول فيه أهل الحديث كثيراً صحيح متفق عليه . يطلقون ذلك ويعنون به اتفاق البخارى ومسلم لاتفاق الأمة عليه . لكن اتفاق الأمة عليه لازم من ذلك وحاصل معه لاتفاق الأمة على تلقى ما اتفقا عليه بالقبول" .

مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضاح ص ٤١ .

(٢) أضواء على السنة المحمدية ص ١٩٩-٢٠١ فى الهامش . وسوف يأتي تخريج حديث تأبير النخل والكلام عنه .

والتأبير : هو التلقيح من أبرت النخلة إذا لقحتها فهى مأبورة ومؤبرة أى ملقحة . انظر : النهاية فى غريب الحديث ١٣/١ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الطب (٧٦) ، باب إذا وقع الذباب فى الإناء (٥٨) من رواية عبيد بن حنين عن أبي هريرة ٣٣/٧ .

وأخرج نحوه من رواية عبيد بن حنين أيضاً فى كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم (١٧) ، ١٠٠/٤ .

وأخرج أبو داود فى سننه نحوه من رواية سعيد المقبرى عن أبي هريرة ، كتاب الأطعمة ، باب فى الذباب يقع فى الطعام ، ورقمه ٣٨٤٤ ، ٣٦٥/٣ .

وأخرج النسائى فى سننه نحوه من حديث أبي سعيد الخدرى ، كتاب الفرع والعتيرة ، باب الذباب يقع فى الإناء ١٥٨/٧ .

وأخرج ابن ماجه فى سننه نحوه من رواية عبيد بن حنين عن أبي هريرة برقم ٣٥٥ ، ومن حديث أبي سعيد الخدرى برقم ٣٥٠٤ ، كتاب الطب (٣١) ، باب

يقع الذباب فى الإناء (٣١) ، ١١٥٩/٢ . =

= وأخرج الدارمى فى سننه نحوه من رواية عبيد بن حنين وثاممة بن عبد الله بن أنس عن أبى هريرة ، كتاب الأطعمة ، باب الذباب يقع فى الطعام ، ٩٨-٩٩ . وأخرج البيهقى فى سننه نحوه من رواية عبيد بن حنين وسعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة . وأشار إلى رواية أبى صالح عن أبى هريرة . وأخرج نحوه من حديث أبى سعيد الخدرى . كتاب الطهارة ، باب مالانفس له سائلة إذا مات فى الماء القليل ٢٥٣،٢٥٢/١ .

وأخرج نحوه ابن خزيمة فى صحيحه من رواية سعيد المقبرى عن أبى هريرة ، باب ذكر الدليل على أن سقوط الذباب فى الماء لا ينجسه (٨٠) ، ٥٦-٥٥/١ .

وأخرج الإمام أحمد فى مسنده نحوه من رواية : سعيد المقبرى عن أبى هريرة ٢/٢٢٩،٢٣٠،٢٤٦،٤٤٣ ، وثاممة بن عبد الله بن أنس عنه ٢/٢٦٣،٣٥٥،٣٨٨ ، وأبى صالح عنه ٢/٣٤٠ ، ومحمد بن سيرين عنه ٢/٣٨٨،٣٥٥ ، وعبيد بن حنين عنه ٢/٣٩٨ ، وأبى سعيد الخدرى ٣/٢٤،٦٧ .

وأخرج ابن حبان فى صحيحه نحوه من رواية سعيد المقبرى عن أبى هريرة برقم ١٢٤٦ ، كتاب الطهارة (٨) ، باب المياه (١٠) ، ذكر ما يعمل المرء عند وقوع مالانفس له تسيل ٤/٥٣ .

ومن حديث أبى سعيد الخدرى برقم ١٢٤٧ ، فى الكتاب والباب السابقين ، ذكر الأمر بغمس الذباب فى الإناء ٤/٥٥-٥٦ (الإحسان) .

وأخرج البغوى فى شرح السنة نحوه من رواية عبيد بن حنين عن أبى هريرة برقم ٢٨١٣،٢٨١٤ ، ومن رواية سعيد المقبرى عنه .

ومن حديث أبى سعيد الخدرى برقم ٢٨١٥ ، كتاب الصيد ، باب الذباب يقع فى الشراب ، ١١/٢٥٩-٢٦١ .

وأخرج نحوه ابن الجارود فى المنتقى من رواية عبيد بن حنين عن أبى هريرة برقم ٥٥ ، باب فى طهارة الماء والقدر الذى ينجس ولا ينجس ص ٢٩ .

وذكر الهيثمى نحوه فى مجمع الزوائد من حديث أنس بن مالك . وقال : " رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبرانى فى الأوسط " . ٥/٤١ .

هذا حديث ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تلقته الأمة بالقبول وآمنت بمضمون ما جاء فيه .

وهو معجزة من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى {إن هو إلا وحي يوحى} (١).

وقد طعن أهل البدع والضلال قديما فى صحته بحجة أنه مخالف للعقل والواقع ، وأثاروا الشبه من حوله فانبرى للرد عليهم وكشف شبههم ودحضها علماء أجلاء فواجهوهم بالحجج الدامغة والأدلة البينة ، فأزالوا تلك الشبه وبيّنوا فسادها .

من أولئك العلماء الأفاضل الإمام ابن قتيبة الدينورى رحمه الله ، فقد ذكر فى كتابه "تأويل مختلف الحديث" أنه حديث صحيح وأنه روى بالفاظ ، ثم قال :

"إن من حمل أمر الدين على ما شاهد ، فجعل البهيمة لا تقول ، والطائر لا يسبح ... والذباب لا يعلم موضع السم وموضع الشفاء ، واعترض على ما جاء فى الحديث ، مما لا يفهمه ... فإنه منسلخ من الإسلام ، معطل ... مخالف لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولما درج عليه الخیار من صحابته والتابعون .

ومن كذب ببعض ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان كمن كذب به كله ... وما علمت أحدا ينكر هذا إلا قوما من الدهرية (٢) ، وقد اتبعهم على ذلك قوم من أهل الكلام والجهمية (٣).

ومن أولئك أيضا الإمام الطحاوى رحمه الله فى كتابه "مشكل الآثار" فقال بعد ذكره للحديث ومن رواه من الصحابة رضى الله عنهم :

(١) سورة النجم : آية ٤

(٢) قال فى اللسان : "ورجل دهرى : ملحد لا يؤمن بالآخرة ، يقول ببقاء الدهر" .

لسان العرب ٢٩٣/٤ .

(٣) ص ٢٢٩ .

"قال قائل من أهل الجهل بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبوجوهها : وهل للذباب من اختيار حتى يقدم أحد جناحيه لمعنى فيه ويؤخر الآخر لمعنى فيه خلاف ذلك المعنى ؟

فكان جوابنا في ذلك له بتوفيق الله عز وجل وعونه أنه لو قرأ كتاب الله عز وجل قراءة متفهم لما يقرأ منه لوجد فيه ما يدل على صدق قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا وهو قوله عز وجل : {وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس} (١) وكان وحى الله إليها هو إلهامه إياها أن تفعل ما أمرها به ... فمثل ذلك الذباب ألهمه عز وجل ما ألهمه مما يكون سبباً لإتيانه لما أراده منه من غمس أحد جناحيه فيما يقع فيه مما فيه الداء والتوقى بجناحه الآخر الذى فيه الشفاء" (٢).

وجاء المحدثون فطعنوا في هذا الحديث كما طعن فيه أسلافهم أهل الابتداع من قبل ، ولم يتزجروا بردود العلماء السابقين ، فزادوا شبه أولئك شبهاً أخرى انتجتها عقولهم التى جهلت حرمة النصوص وران عليها ظلام قاتم فلم تستوعب ولم تع معانى تلك النصوص فسارعت إلى الإنكار والرد والطعن كما هو ديدنها ، ومنهجها بكل نص جهلت معناه .

(١) سورة النحل : الآيات ٦٨، ٦٩

(٢) ٢٨٤-٢٨٣/٤ .

وهذا ملخص ماسبق من عرض لشبه هؤلاء المحدثين حول هذا

الحديث :

(١) أخرجه البخارى ، ولا يمنعه ذلك من التماس علة في رجاله تمنع من صحته ، والعلة هي :

(أ) انفرد به ابن حنين . ثم طعن فيه بأوجه .

(ب) من رواية أبي هريرة وقد ردوا له أحاديث كثيرة .

(٢) إنه حديث آحاد يفيد الظن ، فلا إشكال في رده ، وهو غريب عن التشريع لأنه يناقض قاعدة تحريم الضار ، واجتناب النجاسة ، وغريب عن الرأي لأنه يفرق بين جناحي الذباب ، فيدعى أن أحدهما به سم ضار ، والآخر ترياق نافع .

(٣) أثبت العلم بطلانه ، لأن العلم يقطع بمضار الذباب .

(٤) موضوع متنه ليس من عقائد الإسلام ولا من عباداته ، ولا من شرائعه ، ولا التزم المسلمون العمل به ، بل لم يعمل به أحد منهم لأنه لا دخل له في التشريع ، وإنما هو في أمر من أمور الدنيا كحديث "تأبير النخل" ، وبالتالي من ارتاب فيه لم يضع من دينه شيئاً .

(٥) تصحيحه من المطاعن التي تنفر عن الإسلام ، وتكون سبباً في ردة

بعض ضعفاء الإيمان ، ويفتح على الدين شبهة يستغلها أعداء الإسلام .

(٦) البحث فيه عقيم ، لا يجب أن يشغل الناس به ، وقد وصلوا إلى

مخترعات ومكتشفات من العلوم . ولذا يجب ترك البحث فيه إلى

ما وصل إليه العلم من أحكام لا تنقض ولا ترد .

ويجاب على هذه الشبه بما يلي :

(١) أولاً : لم ينفرد البخارى رحمه الله بإخراج هذا الحديث ، كما أن أبا

هريرة لم ينفرد بروايته عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعبيد بن

حنين لم ينفرد بروايته عن أبي هريرة أيضاً .

فقد أخرجه البخارى وأبو داود وابن ماجه والدارمى والبيهقى وابن

خزيمة وأحمد وابن حبان والبلغوى وابن الجارود من حديث أبي هريرة

رضى الله عنه .

وأخرجه النسائي وابن ماجه والبيهقي وأحمد وابن حبان والبخاري
من حديث أبي سعيد رضى الله عنه ، وأخرجه البزار والطبراني من حديث
أنس بن مالك رضى الله عنه .

ورواه عن أبي هريرة جماعة من التابعين (١).

ولو لم يرد هذا الحديث إلا في صحيح البخارى ، لكان صحيحاً ،
مقبولاً ، إذ البخارى هو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى وأحاديثه في أعلى
درجات الصحة .

ومن العجيب أن هذا الحديث لم يستدركه على البخارى أحد من أئمة
الحديث ولم يقدح في سنده أحد منهم ، بل هو عندهم مما جاء على شرط
البخارى في أعلى درجات الصحة (٢).

ولو تفرد به أبو هريرة رضى الله عنه لما وجدوا إلى الطعن في صحته
سبيلاً .

يقول الشيخ ناصر الدين الألبانى بعد إخراج الحديث :

"فقد ثبت الحديث بهذه الأسانيد الصحيحة ، عن هؤلاء الصحابة
الثلاثة : أبى هريرة وأبى سعيد وأنس ، ثبوتاً لا مجال لرده ، ولالتشكيك فيه
كما ثبت صدق أبى هريرة رضى الله عنه في روايته إياه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم خلافاً لبعض غلاة الشيعة من المعاصرين ، ومن تبعهم
من الزائغين ، حين طعنوا فيه رضى الله عنه لروايته إياه ، واتهموه بأنه
يكذب فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاشاه من ذلك ، فهذا هو
التحقيق العلمى يثبت أنه برىء من كل ذلك ، وأن الطاعن فيه هو الحقيق
بالطعن فيه ، لأنهم رموا صحابياً بالبهت ، وردوا حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم لمجرد عدم انطباقه على عقولهم المريضة !

(١) وهم : عبيد بن حنين وسعيد المقبرى وثامة بن عبد الله بن أنس وأبو
صالح ومحمد بن سيرين .

(٢) انظر : مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٢٤/١٢ الهامش ، دفاع عن السنة
ص ٢٠٠ .

وقد رواه عنه جماعة من الصحابة كما علمت ، وليت شعري هل علم هؤلاء بعدم تفرد أبي هريرة بالحديث ، وهو حجة لو تفرد ، أم جهلوا ذلك فإن كان الأول فلماذا يتعللون برواية أبي هريرة إياه ، ويوهمون الناس أنه لم يتابعه أحد من الأصحاب الكرام ؟ وإن كان الآخر فهلا سألوا أهل الاختصاص والعلم بالحديث الشريف ؟ وما أحسن ما قيل :

فإن كنت لاتدرى فتلك مصيبة وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم" (١)
وعبيد بن حنين (٢) ثقة لامطعن فيه ، ولم يذكره الحافظ فيمن تكلم فيهم من رجال البخارى في مقدمته ، ولم أقف على من طعن في توثيقه من العلماء . ولعمري لو تفرد برواية الحديث عن أبي هريرة لقبل تفرده ، فإن تفرد مثله لا يقدح في صحة الحديث .

قال ابن الصلاح رحمه الله :

"إذا انفرد الراوى بشيء نظر فيه فإن كان ما انفرد به مخالفاً لما رواه من هو أولى منه بالحفظ لذلك وأضبط كان ما انفرد به شاذاً مردوداً ، وإن لم تكن فيه مخالفة لما رواه غيره وإنما أمر رواه هو لم يروه غيره فينظر في هذا الراوى المنفرد فإن كان عدلاً حافظاً موثقاً بإتقانه وضبطه قبل ما انفرد به ولم يقدح الانفراد فيه ... وإن لم يكن ممن يوثق بحفظه وإتقانه لذلك الذى انفرد به كان انفراده خارماً له مزحزحاً له عن حيز الصحيح" (٣).

ولو رد الحديث الصحيح بتفرد الراوى الثقة له لرد كثير من الأحاديث ، وتعطلت كثير من المسائل عن دلائلها (٤).

(٢) كونه حديث آحاد ومن أجل ذلك سهل رده ، قول مردود ، وحجة داحضة ، وقد سبق الكلام عن ذلك فلا إعادة ههنا .

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الأول ٦٠/١ .

(٢) عبيد بن حنين سبقت ترجمته . انظر : ص ٦٩٠ .

(٣) مقدمة ابن الصلاح مع التقييد والإيضاح ص ١٠٤ .

(٤) انظر : اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث ص ٥٥ .

وانظر : تدريب الراوى ٢٣٤/١ .

وقول رشيد رضا بأنه غريب عن التشريع لأنه ينافى قاعدة تحريم الضار ، واجتناب النجاسة ، يرد عليه : بأن الحديث لم ينف ضرر الذباب بل أثبت ذلك ، فذكر أن في أحد جناحيه داء ، ولكنه زاد ببيان أن في الآخر شفاء ، وأن ذلك الضرر يزول إذا غمس الذباب كله (١).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

"واعلم أن في الذباب عندهم قوة سمية يدل عليها الورم ، والحكة العارضة عن لسعه ، وهي بمنزلة السلاح ، فإذا سقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله سبحانه في جناحه الآخر من الشفاء ، فيغمس كله في الماء والطعام فيقابل المادة السمية المادة النافعة ، فيزول ضررها ، وهذا طب لايهتدى إليه كبار الأطباء وأئمتهم ، بل هو خارج من مشكاة النبوة ، ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج ، ويقر لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الإطلاق ، وأنه مؤيد بوحي إلهي خارج عن القوة البشرية" (٢).

وقال الشوكاني رحمه الله :

"والفائدة في الأمر بغمسه جميعاً هي أن يتصل مافيه من الدواء بالطعام أو الشراب كما اتصل به الداء ، فيتعادل الضار والنافع فيندفع الضرر" (٣).

والقول بنجاسة الذباب لادليل عليه لأنه لاملزمة بين الضرر والنجاسة ولذا كان هذا الحديث من أدلة العلماء على أن الماء القليل لاينجس بموت مالانفس له سائلة فيه ، إذ لم يفصل الحديث بين موت الذباب وحياته عند غمسه (٤).

(١) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الأول ٦١/١ .

(٢) زاد المعاد ١١٢/٤ .

(٣) نيل الأوطار ٧١/١ .

(٤) انظر : فتح الباري ٢٥١/١٠ ، نيل الأوطار ٧١/١ .

قال الخطابي رحمه الله :

"فيه من الفقه : أن أجسام الحيوان طاهرة ، إلا ما دلت عليه السنة من الكلب وما لحق به في معناه .

وفيه دليل : على أن ما لانفس له سائلة إذا مات في الماء القليل لم ينجسه . وذلك أن غمس الذباب في الإناء قد يأتى عليه ، فلو كان نجسه إذا مات فيه لم يأمره بذلك . لما فيه من تنجس الطعام ، وتضييع المال ، وهذا قول عامة العلماء" (١).

وقال ابن القيم رحمه الله :

"هذا الحديث فيه أمران : أمر فقهي ، وأمر طبي ، فأما الفقهي ، فهو دليل ظاهر الدلالة جداً على أن الذباب إذا مات في ماء أو مائع ، فإنه لا ينجسه ، وهذا قول جمهور العلماء ، ولا يعرف في السلف مخالف في ذلك . ووجه الاستدلال به أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بمقله ، وهو غمسه في الطعام ، ومعلوم أنه يموت من ذلك ، ولا سيما إذا كان الطعام حاراً ، فلو كان ينجسه لكان أمراً بإفساد الطعام ، وهو صلى الله عليه وسلم إنما أمر بإصلاحه ، ثم عدى هذا الحكم إلى كل ما لانفس له سائلة ، كالنحلة والزنبور ، والعنكبوت وأشباه ذلك ، إذ الحكم يعم بعموم علته ، وينتفى لانتهاء سببه ، فلما كان سبب التنجس هو الدم المحتقن في الحيوان بموته ، وكان ذلك مفقوداً فيما لادم له سائل انتفى الحكم بالتنجس لانتهاء علته" (٢). والقول بأنه لا فرق بين جناحي الذباب بأن يحمل أحدهما سماً والآخر شفاء قول يناهض الحديث ، بل ويخالف الواقع من اجتماع كثير من المتضادات في الجسم الواحد كما هو مشاهد معروف .

(١) معالم السنن للخطابي مع مختصر سنن أبي داود للمنذرى وتهذيب ابن القيم

. ٣٤١-٣٤٠/٥ .

(٢) زاد المعاد ١١٢-١١١/٤ .

ومقله : أى غمسه في الماء وغواه . انظر : النهاية ٣٤٧/٤ .

والأمر الطبي سبق إيراد قريياً .

وانظر : شرح السنة للبغوى ٢٦٠/١١ .

وقد أجاب عن ذلك العلماء في السابق ، ولا أدري أجهل ذلك الشيخ رشيد رضا - مع سعة اطلاعه - أم تجاهله ؟ وكلا الأمرين ذميم في حقه ، وقد ذكر ذلك معاصروه (١).

قال الخطابي :

"وقد تكلم في هذا الحديث بعض من لاخلاق له . وقال : كيف يكون هذا ؟ وكيف يجتمع الداء والشفاء في جناحي الذباب ؟ وكيف تعلم ذلك من نفسها حتى تقدم جناح الداء ، وتؤخر جناح الشفاء ، ومأربها إلى ذلك ؟ قلت : وهذا سؤال جاهل ، أو متجاهل . وإن الذى يجد نفسه ونفوس عامة الحيوان قد جمع فيها بين الحرارة والبرودة ، والرطوبة واليبوسة ، وهى أشياء متضادة ، إذا تلاقت تفسدت ، ثم يرى أن الله سبحانه قد ألف بينها ، وقهرها على الاجتماع ، وجعل منها قوى الحيوان التى بها بقاؤها وصلاحتها : يجدير أن لا ينكر اجتماع الداء والشفاء في جزأين من حيوان واحد ، وأن الذى ألهم النحلة أن تتخذ البيت العجيب الصنعة وأن تعسل فيه ، وألهم الذرة أن تكتسب قوتها وتدخره لأوان حاجتها إليه هو الذى خلق الذبابة ، وجعل لها الهداية أن تقدم جناحاً وتؤخر جناحاً ، لما أراد من الابتلاء الذى هو مدرجة التعبد والامتحان الذى هو مضمار التكليف . وفي كل شىء عبرة وحكمة . وما يذكر إلا أولوا الألباب" (٢).

وقال ابن قتيبة رحمه الله :

"فما ينكر من أن يكون في الذباب سم وشفاء ، إذا نحن تركنا طريق الديانة ، ورجعنا إلى الفلسفة ؟

وهل الذباب في ذلك إلا بمنزلة الحية ؟ فإن الأطباء يذكرون أن لحمها شفاء من سمها ، إذا عمل منه الترياق الأكبر ، ونافع من لدغ العقارب

(١) انظر : مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٢٨/١٢ في الهامش ، دفاع عن السنة ص ٢٠٠ .

(٢) معالم السنن مع مختصر سنن أبي داود للمنذرى وتهذيب ابن القيم ٣٤١/٥ - ٣٤٢ . وأربها - وتكسر الهمزة - أى حاجتها لذلك .

انظر : القاموس المحيط ص ٧٥١ ، النهاية ٣٥/١ .

وعض الكلاب الكلبة ... الخ .
وكذلك قالوا في العقرب : إنها إذا شق بطنها ، ثم شدت على موضع
اللسعة نفعت ...

والأطباء القدماء ، يزعمون أن الذباب إذا ألقى في الإثمد ، وسحق
معه ، ثم اكتحل به زاد ذلك في نور البصر ، وشد مراكز الشعر من
الأجفان ، في حافات الجفون ... وقالوا في الذباب : إذا شدخ ، ووضع على
موضع لسعة العقرب ، سكن الوجع .
وقالوا : من عضه الكلب ، احتاج إلى أن يستر وجهه من سقوط
الذباب عليه ، لئلا يقتله .

وهذا يدل على طبيعة فيه شفاء أو سم "(١).
(٣) والقول بأن العلم يثبت بطلانه لأنه يقطع بمضار الذباب ، قول من
جهل معنى الحديث ، وعجز عن فهمه .
والحديث كما أسلفت لم ينف ضرر الذباب بل نص على ذلك صراحة .
وهل علماء الطب وغيرهم أحاطوا بكل شيء علما ، حتى يصبح
قولهم هو الفصل الذي لا يجوز مخالفته . بل هم معترفون كل الاعتراف بأنهم
عاجزون عن الإحاطة بكثير من الأمور (٢).
وهناك نظريات كانت تؤخذ على وجه التسليم تبين فسادها فيما بعد ،
إذ علومهم خاضعة للتجارب والاختبارات .
بينما الذي نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحى من عند
الله تعالى ، العليم بخفاء ما غاب عن الخلق جميعا .
ولازال علماء الطب يطلون على العالم في كل يوم باكتشافات جديدة
لعقاقير طبية وأدوية واقية لم تكن عرفت من قبل .

(١) تأويل مختلف الحديث ص ٢٣٠-٢٣١ .
قال ابن الأثير : "الكلب بالتحريك : داء يعرض للإنسان من عض الكلب الكلب
فيصيبه شبه الجنون ، فلا يعرض أحدا إلا كلب ، وتعرض له أعراض رديئة ، ويمتنع
من شرب الماء حتى يموت عطشا" . النهاية ١٩٥/٤ . وانظر : لسان العرب ٧٢٣/١
، الصحاح ٢١٤/١ مادة (كلب) .
(٢) انظر : الأنوار الكاشفة ص ٢٢١ .

فلماذا لا يكون ما يحمله الذباب على جناحه من شفاء مما خفى علمه
عن الأطباء حتى اليوم ؟

إذ عدم العلم بالشئ لا يستلزم العلم بعدمه .

ثم هل يتوقف إيماننا بصدق كل حديث ورد فيه أمر طبي عن النبي
صلى الله عليه وسلم حتى يكشف لنا الأطباء بتجاربيهم صدقه أو بطلانه ؟
وأين إيماننا إذن بصدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووحى الله
إليه ؟

إن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم برهان قائم بنفسه لا يحتاج
إلى دعم خارج عنه ، فعلى الأطباء بل والناس جميعاً التسليم بما جاء في هذا
الحديث والتصديق به إن كانوا مسلمين ، وإن لم يكونوا كذلك فيلزمهم
التوقف إن كانوا عقلاء . والمسلم لايهمه كثيراً ثبوت الحديث من وجهة نظر
الطب مادام ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .
هذا كله يقال على فرض أن الطب الحديث لم يشهد لهذا الحديث
بالصحة .

ومع ذلك فقد وجد من الأطباء المعاصرين من أيد مضمون ما جاء في
هذا الحديث من الناحية الطبية ، وهنالك كثير من البحوث والمقالات في
هذا الجانب ، منها المطول ومنها المختصر .
أختار من بينها ما ذكره أحدهم في محاضرة بجمعية الهداية الإسلامية
بمصر حيث قال :

"يقع الذباب على المواد القذرة المملوءة بالجراثيم التي تنشأ منها
الأمراض المختلفة ، فينقل بعضها بأطرافه ، ويأكل بعضاً ، فيتكون في جسمه
من ذلك مادة سامة يسميها علماء الطب بـ"مبعد البكتريا" وهي تقتل كثيراً
من جراثيم الأمراض ، ولا يمكن لتلك الجراثيم أن تبقى حية أو يكون لها
تأثير في جسم الإنسان في حال وجود مبعد البكتريا . وأن هناك خاصية في
أحد جناحي الذباب ، هي أنه يحول البكتريا إلى ناحيته ، وعلى هذا فإذا

سقط الذباب فى شراب أو طعام وألقى الجراثيم العالقة بأطرافه فى ذلك الشراب ، فإن أقرب مبيد لتلك الجراثيم وأول واق منها هو مبيد البكتريا الذى يحمله الذباب فى جوفه قريباً من أحد جناحيه . فإذا كان هناك داء فدواؤه قريب منه ، وغمس الذباب كله وطرحه كاف لقتل الجراثيم التى كانت عالقة ، وكاف فى ابطال عملها" (١).

فالعالم الحديث يؤيد ماجاء فى الحديث ويعضده ، فهل بقى للمتشبهين بذلك من حجة يحتجون بها ؟ اللهم إلا الهوى .

(٤) الزعم بأن موضوعه ليس من عقائد الإسلام ولا من عباداته ... الخ . زعم قصد ماوراءه ، من تحقير للحديث وتهوين لأمره ، وتنفير الناس عنه ، وهى دعوى تردد وتكرر كلما عجزوا عن إقامة الدليل على عدم صحة حديث ما ، ولذلك يكثر من ذكر هذه العبارات التى لاتدل إلا على تنصل صاحبها من اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعمل بها . والإسلام دين كامل ، بعقائده وعباداته ومعاملاته وأخلاقه ، لا يحقر جزء من جزئياته ، ولا فرع من فروعه ، ولا يستهان به . وقد أمر الله المؤمنين بالتمسك بكل شعب الإيمان وشرائع الإسلام من غير تفريط فى جانب منها مع القدرة على ذلك .

قال تعالى : {ياأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين} (٢).

قال ابن كثير رحمه الله فى معنى هذه الآية :

"يقول الله تعالى آمراً عباده المؤمنين المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك" (٣).

(١) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ٥٥/٤ الهامش ، دفاع عن السنة ص ٢٠٠-٢٠١

سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الأول ٦١/١ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٠٨

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٤٧/١ .

والقول بأنه لم يعمل به أحد من المسلمين ، قول عار عن الصحة ،
ودعوى جريئة جاء الحق بخلافها .

روى عبد الله بن المثنى عن عمه ثامة أنه حدثه قال : "كنا عند أنس
، فوقع ذباب في إناء فقال أنس بأصبعه فغمسه في ذلك الإناء ثلاثا ثم قال :
بسم الله . وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يفعلوا
ذلك" (١).

(١) ذكره الحافظ في الفتح .

ثم قال :

"ورجاله ثقات ، ورواه حماد بن سلمة عن ثامة فقال : "عن أبي هريرة" ورجحها
أبو حاتم ، وأما الدارقطني فقال : "الطريقان محتملان" . فتح الباري ١٠/٢٥٠-٢٥١
وقوله : قال أنس : يراد به الفعل . لأن العرب تجعل القول عبارة لجميع الأفعال
وتطلقه على غير اللسان والكلام فتقول : قال بيده : أى أخذ . وقال برجله : أى
مشى ... الخ .

انظر : النهاية ٤/١٢٤ ، القاموس المحيط ص ١٣٥٨ .

وعبد الله بن المثنى هو ابن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصارى ، أبو المثنى
البصرى ، روى عن عمومته والحسن وعنه ابنه محمد ومسدد وعبد الواحد بن
قياس .

قال ابن معين وأبو زرعة : صالح . وقال الحافظ ابن حجر : صدوق كثير الغلط .
انظر : الجرح والتعديل ٥/١٧٧ ، الكاشف ٢/١٢٣ ، تقريب التهذيب ١/٤٤٥ .
وعمه ثامة هو ابن عبد الله بن أنس بن مالك ، الأنصارى ، البصرى ، قاضيا .
روى عن جده والبراء وعن أبي هريرة مرسلًا . وعنه عبد الله بن المثنى ومعمار .
قال أبو حاتم والذهبي : ثقة . وقال الحافظ ابن حجر : صدوق .

انظر : الجرح والتعديل ٢/٤٦٦ ، الكاشف ١/١٧٤ ، تقريب التهذيب ١/١٢٠ .

وروى أحمد من طريق سعيد بن خالد قال : "دخلت على أبي سلمة فأتانا بزبد وكتلة فأسقط ذباب في الطعام ، فجعل أبو سلمة يمقله بأصبعه فيه فقلت : يا خال ! ماتصنع ؟ فقال : إن أبا سعيد الخدري حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أحد جناحي الذباب سم والآخر شفاء ، فإذا وقع في الطعام ، فأمقلوه ، فإنه يقدم السم ، ويؤخر الشفاء" (١).

فأنس صحابي ، وأبو سلمة تابعي ، وقد عملا بمضمون هذا الحديث ، فكيف يزعم بأن أحداً من المسلمين لم يعمل به ؟

هذ دعوى وغيرها الكثير يطلقها أولئك القوم من غير علم ولا تحقيق ليخضعوا بها السذج من الناس ، ويحدث من جرائمها شر وفساد عريض . والقول بأنه لادخل له في التشريع وأنه من أمور الدنيا قول يحتاج إلى مايدل عليه ، فالحديث فيه أمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو تكليف على العباد بفعل ذلك ، ولم يأت ما يخالفه ، وثبت العمل به ، فما الذي يحظر دخوله تحت أمور التشريع ؟

(١) مسند أحمد ٦٧/٣ .

وأخرج البيهقي في سننه نحوه ، كتاب الطهارة ، باب ما لانفس له سائلة إذا مات في الماء القليل ٢٥٣/١ .

قال الشيخ ناصر الدين الألباني (عن إسناد أحمد) :

"وهذا سند صحيح رجاله ثقات - رجال الشيخين غير سعيد بن خالد وهو القارظي وهو صدوق كما قال الذهبي والعسقلاني" .

سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الأول ٦٠/١ .

والكتلة : هي ما جمع من التمر والطين واللحم وغير ذلك .

انظر : القاموس المحيط ص ١٣٥٩ . وانظر : النهاية ١٥٠/٤ .

وسعيد بن خالد : هو ابن عبد الله بن قارظ ، الكنانى ، المدنى ، حليف بنى زهرة

روى عن ربيعة بن عباد وابن المسيب ، وعنه ابن أبي ذئب وابن إسحق . صدوق

انظر : الكاشف ٣٥٨/١ ، تهذيب التهذيب ٢٠/٤ ، تقريب التهذيب ٢٩٤/١ .

وأبو سلمة : هو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، المدنى ، قيل اسمه عبد

الله ، وقيل : إسماعيل . أحد الأئمة الثقات المكثرين . روى عن أبيه وعائشة

وأبى هريرة ، وعنه ابنه عمر والزهرى ومحمد بن عمرو . مات سنة ٩٤هـ .

انظر : الكاشف ٣٤٢/٣ ، تهذيب التهذيب ١١٥/١٢ ، تقريب التهذيب ٤٣٠/٢ .

والزعم بأن الأمور الدنيوية من الآراء المحضة ، وجعل ذلك قاعدة عامة ، لا يصح ، لأن أمور الدنيا منها ما هو خاضع لأحكام الشرع . فهي داخلة تحت الأمر بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنهي عن مخالفته وأمره صلى الله عليه وسلم قد يكون واجباً وقد يكون مستحباً (١) .

وقياس حديث الذباب بحديث تأبير النخل غير صحيح ، وبيان ذلك :
 روى مسلم من حديث طلحة بن عبيد الله قال : مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على رؤوس النخل . فقال : " ما يصنع هؤلاء؟ " فقالوا : يلحقونه . يجعلون الذكر في الأنثى فيتلقح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أظن يغنى ذلك شيئاً " . قال : فأخبروا بذلك فتركوه . فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : " إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه . فإنى إنما ظننت ظناً . فلاتؤاخذونى بالظن . ولكن إذا حدثكم عن الله شيئاً ، فخذوا به ، فإنى لن أكذب على الله عز وجل " (٢)

وفى حديث رافع بن خديج ، قال صلى الله عليه وسلم : " إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به . وإذا أمرتكم بشيء من رأى فإنما أنا بشر " . قال عكرمة : " أو نحو هذا " (٣) .

وفى حديث عائشة وأنس رضى الله عنهما ، قال صلى الله عليه وسلم " أنتم أعلم بأمر ديناكم " (٤) .

-
- (١) انظر : الأنوار الكاشفة ص ٢٨ .
 (٢) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، رقم ٤٣ ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معاش الدنيا على سبيل الرأى ، رقم ٣٨ ، حديث رقم ٢٣٦١ ، ١٨٣٥/٤ .
 (٣) صحيح مسلم ، الكتاب والباب السابقان ، حديث رقم ٢٣٦٢ ، ١٨٣٥/٤-١٨٣٦ .
 (٤) صحيح مسلم ، الكتاب والباب السابقان ، حديث رقم ٢٣٦٣ ، ١٨٣٦/٤ .

قال النووى رحمه الله :

"قال العلماء : قوله صلى الله عليه وسلم "من رأى" : أى فى أمر الدنيا ومعاشها لاعلى التشريع ، فأما ماقاله باجتهاده صلى الله عليه وسلم ورآه شرعاً يجب العمل به . وليس أبار النخل من هذا النوع بل من النوع المذكور قبله ، مع أن لفظة "الرأى" إنما أتى بها عكرمة على المعنى لقوله فى آخر الحديث : قال عكرمة : "أو نحو هذا" فلم يخبر بلفظ النبى صلى الله عليه وسلم محققاً . قال العلماء : ولم يكن هذا القول خيراً وإنما كان ظناً كما بينه فى هذه الروايات . قالوا : ورأيه صلى الله عليه وسلم فى أمور المعاش وظنه كغيره فلا يمتنع وقوع مثل هذا ولانقص فى ذلك، وسببه تعلق همهم بالآخرة ومعارفها" (١).

فما وقع فى حديث التأيير كان ظناً منه صلى الله عليه وسلم ، وهو صادق فى ظنه ، وخطأ الظن ليس كذباً ، ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "فإنى لن أكذب على الله" ، وفى ذلك دليل على امتناع أن يكذب على الله خطأ ، لأن السياق فى احتمال الخطأ (٢).

وقد رجع عن ظنه الذى ظنه فى حديث تأيير النخل وذلك فى قوله : "إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه" .

وهذا بخلاف ماجاء فى حديث الذباب ، فإنه أخبر بأن فى أحد جناحيه داء والآخر شفاء وهذا لا يكون إلا بوحى من الله تعالى ، وهو أمر لا يَحتمل خلاف ماأخبر به ، ثم أمر بغمس الذباب ، وهذا حكم بنى على العلة السابقة ، ثم لم يأت ماينقض هذا الأمر ولاذاك الخبر فوجب التسليم والإذعان ، وعدم الرد والإنكار .

(١) شرح النووى على مسلم ١١٦/٥ .

(٢) انظر : الأنوار الكاشفة ص ٢٩ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

"وهو لم ينههم عن التلقيح لكن هم غلطوا فى ظنهم أنه نهاهم ، كما غلط من غلط فى ظنه أن (الخيطة الأبيض) و(الخيطة الأسود) هو الحبل الأبيض والأسود" .

(٥) والقول بأن تصحيحه من المطاعن التي تنفر عن الإسلام ... الخ مذكروا .

قول ساقط يحمل بين طياته استدراكاً على النبي صلى الله عليه وسلم الذى كان أحرص الناس على دين الله عز وجل ، وأنصح الخلق إلى الخلق ، وأكثر العباد خشية وتقوى صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى حمى جناب الإسلام وسد كل منافذ الطعن والقدح فيه ، وهو أعلم الناس بذلك ، وأحرص على هدايتهم وإبلاغهم دين الله عز وجل .

وليس فى شريعة الله تعالى ماينفر إذ هى شريعة تقبلها القلوب السليمة وتقتنع بها العقول الصحيحة والتنفير لا يكون فيها وإنما يكون فى الحاملين لها القائمين بأمرها .

ففى حديث أبى موسى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحداً من أصحابه فى بعض أمره قال : "بشروا ولا تنفروا . ويسروا ولا تعسروا" (١).

ولذلك كان يغضب صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً إذا فعل أحد أصحابه ماينفر .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير (٣٢) ، باب فى الأمر بالتيسير وترك التنفير (٣) ، برقم ١٧٣٢ ، ١٣٥٨/٣ .

وفى الصحيحين من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا" هذا لفظ البخارى . ورواية مسلم "سكنوا" بدلا من "بشروا" .

صحيح البخارى ، كتاب العلم (٣) ، باب ماكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة (١١) ، ٢٥/١ .

صحيح مسلم ، فى الكتاب والباب والجزء السابق ، برقم ١٧٣٤ ، ص ١٣٥٩ . وفيهما من حديث أبى موسى عندما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذاً إلى اليمن قال : "يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا" .

صحيح البخارى ، كتاب الجهاد والسير (٥٦) ، باب مايكراه من التنازع والاختلاف فى الحرب (١٦٤) ، ٢٦/٤ .

صحيح مسلم ، الكتاب والباب والجزء والصفحة السابقة ، برقم ١٧٣٣ .

من ذلك ماجاء في حديث أبي مسعود الأنصارى ، قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان ، مما يطيل بنا. فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ . فقال : "ياأيها الناس إن منكم منفرين . فأياكم أم الناس فليوجز . فإن من وراءه الكبير والضعيف وذو الحاجة"(١). هذه حاله صلى الله عليه وسلم إذا حدث من أصحابه ماينفر ، فهل يعقل أن تكون أقواله التى نطق بها ، وأفعاله التى فعلها منفرة للناس ؟ وأين موضع التنفير في هذا الحديث ؟ لأنه أثبت أن في جناح الذباب شفاء ؟ أيكون هذا تنفيراً ؟ ياخفة العقول ! وأين هذه الشبهة التى يفتحها على الدين حتى يستغلها أعداء الإسلام ؟

وهل وقف أعداء الإسلام فيما يثرونه من شبه عند حديث الذباب وحده ؟ بل قد أثاروا شبهاً لاحصر لها في أمور لا تخفى على أحد ، بل حتى القرآن الذى نقل بالتواتر جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر هل سلم وسلمت أحكامه من شبه أعداء الإسلام ؟

وهل إذا رددنا حديث الذباب بل ورددنا السنة كلها ، يكف ذلك عنا شبههم ؟ ويستجيبون بعد ذلك لديننا ويلتزمون بشريعتنا ؟ بل لو تتبعنا شبههم - قاتلهم الله - ورددنا كل أمر اشتبهوا فيه مابقى لنا من ديننا مانتمسك به .

ولماذا هذه المجاملة ، وهذا التنازل لأعداء الإسلام على حساب ديننا ؟ وما الذى يضرنا من شبههم ونحن موقنون بأن ماجاءنا به رسول الله صلى

(١) أخرج البخارى نحوه في صحيحه ، في كتاب العلم (٣) ، باب الغضب في الموعظة والتعليم (٢٨) ، ٣١/١ ، وكتاب الأذان (١٠) ، باب تخفيف الإمام في القيام (٦١) وباب من شك إمامه إذا طول (٦٣) ، ١٧٢/١-١٧٣ ، وكتاب الأدب (٧٨) ، باب مايجوز من الغضب والشدة لأمر الله عز وجل (٧٥) ، ٩٨/٧ ، وكتاب الأحكام (٩٣) ، باب هل يقضى الحاكم أو يفتى وهو غضبان (١٣) ، ١٠٩/٨ . وأخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له ، في كتاب الصلاة (٤) ، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام (٣٧) ، برقم ٤٦٦ ، ٣٤٠/١ .

الله عليه وسلم هو الحق الذى لامرية فيه ، وما يقذف به أعداء الإسلام شبه باطلة داحضة لاقيمة لها من الصحة .

وهل بعد ظهور ما يؤيد صدق الحديث من الناحية الطبية ، تظل شبههم عالقة به ؟

وماموقف رشيد رضا وأبى رية ومن على شاكلتهم حينئذ ؟ ألا يصبح رد هذا الحديث والطعن فيه شبهة يستغلها أعداء الإسلام ؟ لأن الطعن فيه حينئذ يكون طعنًا فيما ثبت بالعلم الحديث .

(٦) القول بأن البحث فيه عقيم ... الخ .

قول من جهل مقام النصوص وضعف احترامه لها إن لم يكن قد عدم تماماً .

إن ما بذله بعض الأطباء الأفاضل من جهود حول تأييد هذا الحديث من الناحية الطبية ، يجب أن يشكروا عليه ولا يذموا بما قدموا ، إذ كانوا يهدفون من وراء ذلك دفع الشبه التى ألصقت بهذا الحديث ، وبيان أن العلم الحديث لا ينافيه .

والحقيقة إن هذه البحوث وإن كانت تزيد الإنسان إيماناً بصدق الحديث ، إلا أن الإيمان به لا يتوقف عليها ، إذ الحديث حجة قائمة بنفسه . ويكفى فى فضل هذه البحوث أنها تقضت مازعمه أبو رية من وجوب ترك البحث فى هذا الحديث إلى ما وصل إليه العلم بأبحاثه الدقيقة وتجاربه الصحيحة التى لا يمكن نقضها ولا يرد حكمها .

والذى يعجب منه الإنسان أن نظريات الغرب المتناقضة المختلفة التى لا تستقر على حال ، تصبح عند هؤلاء أحكاماً مسلمة لا تنقض ولا ترد ، وحديث النبى صلى الله عليه وسلم الصادق الذى لا ينطق عن الهوى يطعن فيه ويرد بغير حجة ولا دليل .

يقول الشيخ أحمد محمد شاكر :

"والحق أنه لم يعجبهم هذا الحديث ، لما وقر فى نفوسهم من أنه ينافى المكتشفات الحديثة ، من المكروبات ونحوها ، وعصمهم إيمانهم عن أن يجرؤوا على المقام الأسمى ، فاستضعفوا أبا هريرة .

والحق أيضا أنهم آمنوا بهذه المكتشفات الحديثة أكثر من إيمانهم بالغيب ، ولكنهم لا يصرحون ! ثم اختطوا لأنفسهم خطة عجيبة : أن يقدموها على كل شيء ، وأن يؤولوا القرآن بما يخرج منه عن معنى الكلام العربى ، إذا ما خالف ما يسمونه "الحقائق العلمية" وأن يردوا من السنة الصحيحة ما يظنون أنه يخالف حقائقهم هذه ! افتراء على الله ، وحباً في التجديد" (١).

(١) مسند أحمد ، بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٢/١٢٥ . الهامش .

الفصل الثانى تأثر المدرسة العقلية الحديثة بالمستشرقين وأثر ذلك فى إثارة الشبه حول السنة

إن الله عز وجل حذر رسوله صلى الله عليه وسلم عن اتباع أهواء أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وذلك لتنبههم عن الطريق وانحرافهم عن الحق .

فقال سبحانه : {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير} (١).

والخطاب له خطاب لأئمة ، كما قال الإمام ابن كثير رحمه الله فى تفسير قوله : {ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير} قال :

"فيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعدما علموا من القرآن والسنة عياداً بالله من ذلك فإن الخطاب مع الرسول والأمر لأئمة" (٢).

وقد جاءنا صلى الله عليه وسلم بالهداية التامة والشرعية الكاملة التى لا تحتاج بعدها إلى ما عند اليهود أو النصارى ، لأنهم لا هداية عندهم وهم الذين ضلوا الطريق ، وتشعبت بهم الأهواء .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"فهدى الله الناس ببركة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به من البينات والهدى ، هداية جلت عن وصف الواصفين ، وفاقت معرفة العارفين ، حتى حصل لأئمة المؤمنين عموماً ، ولأولى العلم منهم خصوصاً ، من العلم النافع ، والعمل الصالح ، والأخلاق العظيمة ، والسنن المستقيمة

(١) سورة البقرة : آية ١٢٠

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/١٦٣ .

مالو جمعت حكمة سائر الأمم ، علماً وعملاً ، الخالصة من كل شوب ، إلى الحكمة التي بعث بها ، لتفاوتاً متفاوتاً يمنع معرفة قدر النسبة بينهما ، فله الحمد كما يحب ربنا ويرضى" (١)

ويستحيل على من ضل الطريق ، وتاه في دياجر الظلمات أن يهدي غيره ، لأن الضلال لا ينتج هدى ، والظلام لا يبعث نوراً ، والباطل لا يقذف حقاً .

وأناس يتربصون بنا الدوائر ، ويحكون لنا الدسائس ، ويبذلون كل ما في وسعهم ليطفئوا دين الله لا يمكن أبداً أن يكون منهم نصرة لهذا الدين ، فيجب الحذر من كل كلمة يقولونها وعبارة يتفوهون بها ، لأن هدفهم إضلالنا ، وإبعادنا عن إسلامنا كما قال سبحانه : {ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم} (٢).

هذا الحسد وذاك الحقد هو الذي دفعهم إلى أن يتطاولوا على الإسلام بشيء من الشبه . فمنذ أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى يومنا هذا ، لم تحمد نار عداوتهم ولم ينطف لهيبها ، ولم يتركوا طريقاً إلا وأرادوا أن ينفذوا من خلاله للنيل من الإسلام .

ومما يؤسف له أن يجد أعداء الإسلام من اليهود والنصارى بين أبناء المسلمين من تفلتت عن قيود الشرع عقولهم فافترسوا تلك العقول الذاهلة عن الحقيقة فانساقوا وراءهم ممسكة بأذيالهم ، تتلمس في ظلامهم أشعة النور ، وفي ضلالهم طريق الهداية ، وصدق فيهم قوله صلى الله عليه وسلم : "لتتبعن سنن الذين من قبلكم شيراً بشيراً وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم" .

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٦٤/١ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٠٩

قلنا يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : "فمن؟" (١).

فقد تتبع هؤلاء خطوات أعداء الإسلام ، وتلقفوا شبهاتهم ، يرددونها كالبيغاوات في كل وقت ويدندنون بها في كل محفل ، فكانوا ساعداً أئمن لأولئك الحاقدين .

وما هذا إلا لجهلهم بمكائد الغرب التي انطوت عليها نفوسهم . وفي الحقيقة لا يعرف خطر الغرب إلا أصحاب العقول النيرة التي جعلت من الشرع ميزاناً تميز به معالم الحق من بين غياهب الضلال ، ومن لم يستتر عقله بنور الوحي سهل انقياده لكل ناعق ، واستجابته لكل زاعق ، واخذع ببهارج الغرب وزخارفه ، فظن الحياة عند الموتى ، والسعادة عند الأشقياء ، والنجاة عند الهلكى حيث تهيمن المادة وتنقطع الروح . قال محمد أسد "ليوبولد فايس" :

"فالمدينة الغربية إذن لا يمكن أن تكون الوسيلة الصحيحة لإيقاظ العالم الإسلامى من سباته العقلى والاجتماعى ، ذلك السبات الذى أدى إلى الخلل مظاهر الدين حتى أصبحت عادة مجردة لاحياة لها ولا باعث أخلاقياً فيها . فأين يجب على المسلمين إذن أن يبحثوا عن الباعث الروحى والعقلى الذى هم اليوم فى أشد الحاجة إليه؟ إن الجواب على ذلك سهل سهولة السؤال عنه ، بل إنه متضمن فى السؤال نفسه .

إن الإسلام ليس اعتقاداً بالجنان فقط ولكنه فوق ذلك منهاج ظاهر الحدود تمام الظهور للحياة الفردية والاجتماعية .

(١) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه بلفظ مقارب من حديث أبى سعيد الخدرى ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل (٥٠) ١٤٤/٤ . وفى كتاب الاعتصام (٩٦) ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لتتبعن سنن من كان قبلكم (١٤) ، ١٥١/٨ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى أيضاً . واللفظ له . كتاب العلم (٤٧) ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٣) برقم ٢٦٦٩ ، ٢٠٥٤/٤ .

ويمكن أن يهدم الإسلام باتخاذ المسلمين ثقافة أجنبية تختلف عنه اختلافاً جوهرياً في أسسها الأخلاقية ، وكذلك يمكن أن ينتعش حالما يرجع به إلى الحقيقة الخاصة به ، وتنسب إليه قيمة هي العنصر الذى يقرر ثم يؤلف كياناً الفردى والاجتماعى فى جميع نواحيه" (١).

إن الانبهار بالغرب هو الذى أثر فى تلك العقول فانحرف أصحابها يقلدون دعاة المادية والإلحاد فى كل شىء حتى فى معرفة ديننا ، وبيان إسلامنا .

إن خطر الغرب بين ، وانحرافه واضح ، وإن تعددت أساليبه التى يحارب بها الإسلام ، فهو على كل حال عدو خارج عن نطاق الإسلام ، ولكن يكمن الخطر ويزداد أمره إذا استعملت أسلحة الغرب بأيد تنتمى إلى الإسلام يظن كثير من أبنائه أن أصحابها حادبون على نصرة الإسلام والذود عنه .

فهؤلاء الذين هجموا على حصن السنة بأسلحة الغرب يريدون تهشيمه إنما يقدمون خدمة جليلة لاتقدر بقيمة لأعداء الإسلام من المستشرقين ، لأنهم يهدمون السنة من داخل حصونها .
يقول محمد أسد :

"إن أمثال هؤلاء الناس من الذين ينكرون السنة ويحاربون المسلمين إنما هم أنصار للمستشرقين والاستشراق بصورة غير مباشرة لأنهم بشهرة التسلط ، وبحكم تجاهلهم لحقيقة الإسلام يخدمون نفس الغرض الذى يسعى إليه المستشرقون والمستعمرون على السواء ، فمن ينكر بعض أركان الإسلام وتعاليمه ومن يعمل على الطعن فى سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم إنما يعمل ذلك خوفاً على زهاب سلطانه ، وإن من ينكر السنة إنما مصدره الشعور بالنقص والحذلان مما يدعوه إلى التعالى على دين الله سبحانه وتعالى وعلى شريعته لتظهر نفسه الدنيئة فوق الحق ولكن الحق يظهر أبلج وإن

طال الأمد" (١).

وقال : "ذلك لأن التأثير بأسلوب الحياة ومناهج التفكير في الغرب يأخذ مكانه في نفس كل شخص يجهل حقيقة دين الإسلام وحقيقة الحضارة الإسلامية وكل منهم يتأثر بنوع الحياة التي عاشها في الغرب" (٢).

وقال : "إن الجيل المسلم الحاضر مستعد لأن يكبر كل شيء غربى وأن يتصد لكل مدنية أجنبية لأنها أجنبية ولأنها قوية وبراقة من الناحية المادية . هذا التفرنج كان أقوى الأسباب التي جعلت أحاديث النبي وجعلت جميع نظام السنة معها لا تجد قبولا في يومنا هذا . إن السنة تعارض الآراء الأساسية التي تقوم عليها المدنية الغربية معارضة صريحة ، حتى إن أولئك الذين خلبتهم الثانية لا يجدون مخرجاً من مأزقهم هذا إلا برفض السنة على أنها غير واجبة الاتباع على المسلمين ، ذلك لأنها قائمة على أحاديث لا يوثق بها . وبعد هذه المحاكمة الوجيزة يصبح تحريف تعاليم القرآن الكريم ، لكي تظهر موافقة لروح المدنية الغربية ، أكثر سهولة" (٣).

فهذا وصف دقيق لرجل خبر ما عند الغرب وعرف موضع الداء ، فكان ناصحاً لأبناء الإسلام حتى لا يغتروا بما يقذفه لهم الغرب من شبهات ومطاعن تحت ستار خفى سموها تحقيقاً علمياً . وهي أبعد ما تكون عن العلم ، وقد انخدع بذلك كثيرون فكانوا وبالاً على الإسلام وأهله . ونشروا تلك الشبهات بين المسلمين فانخدع بها ضعاف الأحلام ، قليلوا البضاعة من علم الكتاب والسنة وفقههما ، فروجوا لها ، وشاع أمرها ، حتى أصبح كثير منها مادة تدرس ضمن مناهج التعليم في كثير من الأقطار الإسلامية ، فيتربى عليها أجيال من أبناء المسلمين ، ونتج عن ذلك شر وفساد عظيم ، وخاصة إذا وسد إلى بعض هؤلاء الذين أشربت أفكارهم وأدمغتهم تلك الشبه ، أمور التوجيه والتربية والتعليم .

(١) الإسلام على مفترق الطرق ص ٧٤-٧٥ .

(٢) المرجع نفسه ص ٧٧ .

(٣) المرجع نفسه ص ٩٧-٩٨ .

فكان الواجب أن تكشف تلك الشبهات ، ويبين فسادها ، ويحذر من مروجيها والدعاة إليها ، خاصة أولئك الذين حازوا على شهرة وصيت في بعض الأوساط الإسلامية ، واغتر بهم كثير من شباب الإسلام ، بل ومن عامة المسلمين . ولاشك أنه قد بذلت جهود من علماء أفاضل دحضوا بها ما ألصق بالسنة النبوية من شبهات المستشرقين وأذيالهم تقف على بعضها من خلال تتبع تلك الشبه وكشفها .

وسوف يتبين لنا بعد عرض تلك الشبه أن أكثرها تكرار لشبه
المستشرقين السابقة وترداد لمزاعمهم الباطلة .
وما كان من هؤلاء المحدثين إلا أن أخذوا شبه الاستشراق فعضدوها
وزادوا عليها أموراً غفل عنها أولئك أو جهلوها .
وهؤلاء وإن كانوا ينسبون إلى الإسلام ويعدون من أبنائه إلا إنهم
يفكرون بعقول غريبة ، ويكتبون بأقلام استشراقية . ولا شك أنهم يعلمون
من الإسلام أكثر مما يعلمه المستشرقون ، ولذلك كان خطرهم أعظم ،
وشرهم أشد .
وسوف أتناول بالرد الأمور التي لم يسبق الرد عليها ، وأشير إلى
المواضع التي سبق التعرض إليها ، خشية الإطالة والتكرار .

عرض شبه المدرسة العقلية الحديثة والرد عليها:

(١) التشكيك فى صحة الحديث بالوضع والاختلاط :

قال محمد توفيق صدقي :

"ولع الناس فى الأعصر الأولى بالروايات القولية ولوعاً ، وتفأخروا بكثرة جمعها جموعاً ، حتى ملأت الأحاديث الآفاق ، وكثر فيها التضارب والاختلافات .

نظر المجتهدون فى الأحاديث نظرة فعلموا مافيهما من الاختلاف . وتحققوا أن أكثرها موضوعات ، ولما أراد كل منهم أن يستخرج مذهبه اضطر أن يرفض منها ماصح عند غيره . فهل يعقل أن الله يدين العالمين بشيء لا يمكن لأحد أن يميز حقه من باطله؟

فلو كان العمل بما فى الأحاديث واجباً للزم كل مكلف أن يترك أى شغل آخر ويقضى الليالى الطويلة فى مطالعة المجلدات الضخمة من كتب الحديث ، ليعرف الضعيف والصحيح ، والموضوع ، والحسن ، والموقوف والمرفوع ، والناسخ والمنسوخ .

فهل فى شرعه الإنصاف أنى أكلف خطة لاتستطاع" (١)

وقال :

"هل كل ماتواتر عن النبى أنه فعله وأمر به يكون واجباً على الأمة الإسلامية فى جميع الأزمنة والأمكنة وإن لم يرد له ذكر فى القرآن؟ رأى إنه لايجب" (٢).

وقال : "وخلاصة القول فى هذا الموضوع إننا يجب علينا الاقتصار على كتاب الله تعالى مع استعمال العقل والتصرف أو بعبارة أخرى (الكتاب

(١) مجلة المنار ، المجلد ٩ ، ص ٥١٦ .

وبيت الشعر يعكس صورة مماثلة لعقيدة المعتزلة فى العدل الإلهى .

(٢) المرجع السابق ، نفس المجلد ، ص ٥١٧ .

والقياس) وأما السنة فما زاد منها عن الكتاب إن شئنا عملنا به وإن شئنا تركناه . وما فيها من الحكم الكثيرة نقبلها على العين والرأس . وكذلك أى حكم من أى مصدر آخر" (١).

وقال سيد أمير على :

"إن الإصلاح يجب أن يسبقه التعليم وتحرر العقل من القيود ويجب أن نطرح التمسك بالظواهر تمسكاً صورياً لأنه أصبح عديم الأثر ويجب أن تكون أحكامنا صادرة عن استعمال العقل وعما نستشعر أنه حق وملائم في ظرف ما ، للإسلام قدرة على صبغ ماعداه بصبغته ، وسيبقى جوهره ، وإن تغير مظهره - ولو أن الأئمة كانوا أحراراً في استعمال رأيهم ونبذوا بشجاعة خمسمائة ألف من الأحاديث واستبقوا منها ثمانية آلاف إذاً جعلنا لأنفسنا مثل هذه الحرية ، ولماذا يظن إنسان أن الإسلام صار مسبوكة في قالب لا يتغير بعد الإجماع على الكتب الستة؟" (٢).

وقال أحمد أمين :

"فقد روى عن الإمام أحمد بن حنبل : ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم ، والمغازي ... وظاهر هذه الجملة أن الأحاديث التي وردت في التفسير لأصل لها وليست بصحيحة ، والظاهر - كما قال بعضهم - أنه يريد الأحاديث المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في التفسير ، أما الأحاديث المنقولة عن الصحابة والتابعين فلا وجه لإنكارها ، وقد اعترف هو نفسه ببعضها" (٣).

(١) مجلة المنار ، المجلد ٩ ، ص ٥٢٢ .

(٢) أضواء على السنة المحمدية ص ١٤٩ الهامش .

نقلًا عن كتاب (روح الإسلام) لمحمد عبد الهادي أبو ريدة ص ١٢٦ . وهو

ترجمة لكتاب (وجهة الإسلام) لسيد أمير على .

وقد نقل أبو ريدة هذه الكلمة واستحسنها .

(٣) ضحى الإسلام ١٤١/٢ .

وللإجابة على ذلك :

- (١) يمكن أن أجمل ماأثير من شبه حول هذه الحيثية في النقاط الآتية :
كثر التضارب والاختلاف في الأحاديث (١).
 - (٢) إن أكثر الأحاديث موضوعة ، ولو كان الأئمة أحرارا لنبذوا بشجاعة خمسمائة ألف من الأحاديث واستبقوا منها ثمانية آلاف (٢).
 - (٣) لا يدين الله العالمين بشيء لا يمكن لأحد أن يميز حقه من باطله (٣).
 - (٤) يجب الاقتصار على الكتاب والقياس أو الكتاب والعقل . ومازاد من السنة على الكتاب إن شئنا عملنا به وإن شئنا تركناه (٤).
 - (٥) لا يجب العمل بالأحاديث ، ولا يجب على الأمة أن تعمل بكل ماتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم .
ولو كان العمل بها واجبا للزم كل مكلف أن يتعرف على الصحيح والضعيف والموضوع ... الخ .
 - (٦) أراد كل من المجتهدين أن يستخرج مذهبه فاضطر أن يرفض من السنة ماصح عند غيره .
 - (٧) قول الإمام أحمد : "ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازي" .
- ويجاب على ما لم تسبق الإجابة عنه بالآتي :
- أولا : القول بعدم وجوب العمل بالأحاديث ، قول مخالف للحق بجانب للصواب .
- فقد جاءت آيات كثيرة في كتاب الله تأمر بالتمسك بالسنة والالتزام بها (٥) . والقصد من ذلك العمل لا العلم وحده .

(١) انظر ص ٥٥٨، ٤٦٤ للجواب عن ذلك .

(٢) انظر ص ٥١٢ فما بعدها للجواب عن ذلك .

(٣) انظر ص ١٢٢ فما بعدها للجواب عن ذلك .

(٤) انظر ص ٢٠ فما بعدها للجواب عن ذلك .

(٥) انظر ص ٨ فما بعدها .

كما جاءت الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم تأمر بالتمسك بالسنة والعمل بها^(١).

والسنة كالكتاب تماماً في أخذ الأحكام والعمل .

وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على الاحتجاج بالأحاديث والعمل بها ولو لم يوجد لها أصل في القرآن ، ولا يعلم عن أحد خالف في ذلك ، فكان أحدهم إذا عرض له أمر طلب حكمه في القرآن فإن لم يجد ففى السنة ، فإن لم يجد اجتهد في حدود القرآن والسنة وأصول الشريعة^(٢).

قال الشيخ عبد الرحمن المعلمي :

"أما ما لم يثبت منها - أى الأحاديث - ثبوتاً تقوم به الحجة فلا قائل بوجوب قبوله والعمل به . وأما الثابت فقد قامت الحجج القطعية على وجوب قبوله والعمل به ، وأجمع علماء الأمة عليه .. فمنكر وجوب العمل بالأحاديث مطلقاً تقام عليه الحجة ، فإن أصر بان كفره . ومنكر وجوب العمل ببعض الأحاديث إن كان له عذر من الأعذار المعروفة بين أهل العلم وما في معناها فمعذور ، وإلا فهو عاص لله ورسوله ، والعاصي آثم فاسق . وقد يتفق ما يجعله في معنى منكر وجوب العمل بالأحاديث مطلقاً"^(٣).

ثانياً : الزعم بأن كلاً من المجتهدين رفض من السنة ما صح عند غيره زعم مخالف لما كان عليه أولئك المجتهدون من تعظيم السنة واحترامها وعدم الاستهانة بها .

ومعاذ الله أن يوصف الأئمة العلماء برفض السنة ، وهم حملتها وحمايتها ، والذابون عنها كل دخيل وغريب عنها ، وقد سبقت أقوال الأئمة الأربعة في التمسك بالسنة وعدم تركها لقول كائن من كان^(٤).

(١) انظر ص ١١١ فما بعدها .

(٢) دفاع عن السنة ص ١٥ بتصرف .

(٣) الأنوار الكاشفة ص ٨١-٨٢ .

(٤) انظر ص ٥٨٠ فما بعدها .

وكون أحد العلماء المجتهدين لم يعمل بحديث صحيح عمل به غيره ، أو أنه أفتى بخلافه ، لا يدل ذلك على رفضه للحديث ، فلعل الحديث لم يبلغه أو بلغه ولكن لم يصح عنده ، أو صح ولكنه عارضه عنده ما هو أقوى منه ، أو رآه منسوخاً . إلى غير ذلك من الاعتبارات الشرعية ، وهو معذور بذلك (١).

وقد يرى العالم اشتهاً حديث ما فيظن أن له أصلاً صحيحاً فيأخذ به فيأتي غيره فيبحث فيه فيجده ضعيفاً فيدعه ، وقد يبلغ العالم حديث فيرى أن أهل العلم خالفوه فيمسك عنه ظاناً أنه ضعيف ، فيأتي آخر فيتبين له صحة الحديث ، وأن هنالك من العلماء من أخذ به ، ومن لم يأخذ به لم يقف عليه فيأخذ به ويفتي بموجبه (٢). وهذا لا يسمى رفضاً للسنة أبداً .

ثالثاً : قول الإمام أحمد يجاب عنه بما يلي :

(١) لا يطمئن إلى صحة هذا القول ، وذلك أن الإمام أحمد رحمه الله أورد كثيراً من أحاديث التفسير في مسنده ، فكيف يعقل أن يذكر تلك الأحاديث ويثبتها في مسنده ثم يزعم بأنه لم يثبت شيء منها؟ ويلزم من عبارته أن يكون كل ما روى من أخبار العرب ومغازي المسلمين مكذوباً ، ولا أحد يقول بذلك .

(٢) على فرض صحته ، لا يلزم من نفي الصحة ، الوضع ، فقد تنتفى الصحة ولا ينتفى الحسن .

وقد عرف عنه رحمه الله أنه نفي الصحة عن أحاديث وهي مقبولة ، وقيل إن هذا اصطلاح خاص به .

(٣) لم يقل الإمام أحمد لم يصح في التفسير شيء ، وإنما قال ثلاثة ليس لها أصل ، والظاهر أنه يريد كتباً خاصة بهذه العلوم ، وقد جاء مصرحاً في رواية : "ثلاثة كتب".

(١) انظر : الحديث والمحدثون ص ٢١٢ .

(٢) انظر : الأنوار الكاشفة ص ٢٤٥ .

(٤) يحتمل أن يريد بذلك أن الذى صح فى التفسير من الأحاديث قليل بالنسبة لما لم يصح (١).

نقل السيوطى عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال :
 "وأما القسم الذى يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود كثير ولله
 الحمد ، وإن قال الإمام أحمد : ثلاثة ليس لها أصل : التفسير ، والملاحم ،
 والمغازى ، وذلك لأن الغالب عليها المراسيل" (٢).

وقال بدر الدين الزركشى :
 "لطالب التفسير مآخذ كثيرة ، أمهاتها أربعة : الأول : النقل عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 وهذا هو الطراز الأول ، لكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع
 فإنه كثير ...

قال الميمونى (٣) : سمعت أحمد بن حنبل يقول : "ثلاث (٤) كتب ليس
 لها أصول : المغازى والملاحم والتفسير" .
 قال المحققون من أصحابه : "ومراده أن الغالب أنها ليس لها أسانيد
 صحاح متصلة ، وإلا فقد صح من ذلك الكثير" (٥).

(١) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٢٤٤، ٢٤٥ .

(٢) الإتيقان فى علوم القرآن ٣٩١/٢ .

(٣) الميمونى : هو عبد الملك بن عبد الحميد بن عبد الحميد بن ميمون بن مهران
 الجزرى ثم الرقى ، أبو الحسن الميمونى ، ثقة فاضل ، لازم الإمام أحمد أكثر من
 عشرين سنة ، مات سنة ٢٧٤ هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٣٥٨/٥ ، تذكرة الحفاظ ٦٠٣/٢-٦٠٤ ، سير أعلام النبلاء
 ٨٩/١٣-٩٠ ، تهذيب التهذيب ٤٠٠/٦ ، تقريب التهذيب ٥٢٠/١ .

(٤) هكذا فى المطبوع . والصحيح : "ثلاثة" .

(٥) البرهان فى علوم القرآن ١٥٦/٢ .

(٢) كتابة الحديث :

ويمكن أن نجمل أقوالهم في النقاط التالية :

(١) جاءت أحاديث صحيحة تنهى عن كتابة الأحاديث ، وهي أصح من أحاديث الأمر بالكتابة^(١). بل هي ناسخة لها لأنها المتأخرة^(٢).

(٢) لو كانت السنة ضرورية لحفظها الله كما حفظ القرآن في قوله : {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} . ولأمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابتها كما أمر بكتابة القرآن^(٣).

(٣) لم تكتب الأحاديث إلا بعد عهده صلى الله عليه وسلم بمدة تكفى لأن يحصل فيها من التلاعب والفساد ما قد حصل^(٤).

ولذا حصل في السنة التبديل والزيادة ككتب أهل الكتاب ، لعدم كتابتها في عهده ، وعدم حصر الصحابة لها في كتاب معين ، وعدم تبليغها للناس بالتواتر ، وعدم حفظهم لها جيداً في صدورهم^(٥). ولا يمكن بغير كتابة أن يحصر ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة وعشرين عاماً . مما سهل على قوم أن يستبيحوا الكذب وينسبوه إليه^(٦).

(٤) قوله "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه" :

لو كان صحيحاً لما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابتها ولأمر بتدوينها كما دون القرآن . ولا يمكن أن يدع نصف ما أوحى إليه بين الناس بغير كتابة . ولا يكون حينئذ قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة كاملة إلى أهلها . ولماذا ترك الصحابة نصف الوحي ولم يدونوه؟ فيلهم إياه يصبحون جميعاً من الآثمين^(٧).

(١) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص ٢٣-٢٥ .

(٢) انظر : مجلة المنار : المجلد ١٠ ، ص ٧٦٧-٧٦٨ .

(٣)، (٤) انظر : المرجع السابق ، المجلد ٩ ، ص ٥١٥ .

والآية هي (٩) من سورة الحجر .

(٥) المرجع السابق ، المجلد ٩ ، ص ٩١١ .

(٦) انظر : فجر الإسلام ص ٢١٠-٢١١ .

(٧) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص ٢٥١-٢٥٢ . والحديث سبق تخريجه ص ١١

- (٥) لم يكتب الصحابة الأحاديث (١). وما كتبه بعضهم وإنما كتبه لنفسه ليحفظه ثم يحوه (٢). بل قد رغب كبار الصحابة عن التحديث ونهوا عنه لأنهم لا يريدون أن تكون الأحاديث ديناً عاماً (٣).
- (٦) تأخر التدوين إلى ما بعد المائة الأولى وصدر كبير من المائة الثانية مما أدى إلى اتساع أبواب الرواية ، وبالتالي فاضت أنهار الوضع ، حتى بلغت الأحاديث الموضوعية عشرات الألوف . وأكثرها مثبت في كتب السنة المنتشرة بين المسلمين ، ويتعذر التمييز بينها (٤).
- (٧) لم يكن لأمر عمر بن عبد العزيز بالتدوين أثر فلعله عوجل عنه ، ولم يأبه لذلك الذين من خلفه (٥).

(١) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص ٢٢٣ .
(٢) انظر : مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، ص ٧٦٧-٧٦٨ ، فجر الإسلام ص ٢٢٢ .
(٣) انظر : مجلة المنار ، المجلد ١٠ ص ٧٦٨ ، أضواء على السنة ص ٢٩ .
(٤) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص ٢٣٣ ، ٨٠ .
(٥) انظر : فجر الإسلام ص ٢٢١-٢٢٢ .

والجواب على ذلك :

لقد سبق الحديث عن كتابة الحديث وتدوينه بشيء من التفصيل ، وكثير من هذه الشبه أجيب عنها هنالك ^(١) وبقيت جزئيات تحتاج إلى نقد وبيان .

الأولى : زعمهم أن حديث (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) ليس بصحيح ولو كان صحيحاً لما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابتها ولأمر بتدوينها كمادون القرآن ... الخ ماجاء في هذه الشبهة .

والجواب عن ذلك :

إن الحديث صحيح ثابت لامطعن فيه لامن جهة نقله وروايته ، ولامن جهة فهمه ودرايته ^(٢) .

أما النقل والرواية فقد سبق تخريجه ^(٣) . وأما الفهم والدراية فقد دل عليها القرآن الكريم والأحاديث المتكاثرة التي تؤيد هذا المعنى . من ذلك قوله تعالى : {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم} ^(٤) . وقوله تعالى {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا} ^(٥) ، وقوله تعالى : {من يطع الرسول فقد أطاع الله} ^(٦) .

وقال صلى الله عليه وسلم : "تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي" ^(٧) .

وكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بكتابة السنة كما أمر بكتابة القرآن وتدوينه . أجاب عن ذلك الشيخ عبد الرحمن المعلمي بعد حديثه

(١) انظر ص : ٥٦٥ فما بعدها .

(٢) انظر : دفاع عن السنة ص ٣٥٤ .

(٣) انظر ص : ١١

(٤) سورة النحل : آية ٤٤

(٥) سورة الحشر : آية ٧

(٦) سورة النساء : آية ٨٠

(٧) سبق تخريجه ص : ٤٧٤

عن جمع القرآن وكتابته ، ثم قال :
 "فأما السنة فمخالفة لذلك في أمور :

الأول : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعن بكتابتها بل اكتفى بحفظهم في صدورهم وتبليغهم منها أى بنحو الطريقة الأولى في القرآن -
 يعنى طريقة الحفظ - .

الثانى : أنها كانت منتشرة لا يمكن جمعها كلها بيقين .

الثالث : أنه لم يتفق لها في عهد الصحابة ما اتفق للقرآن ، إذ استحر القتل بحفاظه من الصحابة قبل أن يتلقاه التابعون ، فإن الصحابة كانوا كثيراً ولم يتفق أن استحر القتل بحفاظ السنة منهم قبل تلقى التابعين .

الرابع : أنهم كانوا إذا هموا بجمعها رأوا أنه لن يكون كما قال عمر في جمع القرآن : "هو والله خير" ، أى خير محض لا يترتب عليه محذور . كانوا يرون أنه يصعب جمعها كلها ، وإذا جمعوا ما أمكنهم خشوا أن يكون ذلك سبباً لرد من بعدهم ما فاتهم منها ... وخشوا أيضاً من جمعها في الكتب قبل استحكام أمر القرآن أن يقبل الناس على تلك الكتب ويدعوا القرآن ... فلذلك رأوا أن يكتفوا بنشرها بطريق الرواية ويكلوها إلى حفظ الله تعالى الذى يؤمنون به "(١)".

وأمر القرآن يختلف عن السنة من حيث إنه متعبد بتلاوته ، معجز بنظمه ، ولا تجوز روايته بالمعنى ، بل لابد من الحفاظ على لفظه المنزل ، فلو ترك للحواظ فقط ما أمن أن يزداد فيه حرف أو ينقص منه ، أو تبدل كلمة بأخرى ، فيختل عند ذلك أحد أركانه وهو النظم . بينما السنة المقصود منها المعنى دون اللفظ ، ولذا لم يتعبد الله الخلق بتلاوتها ، ولم يتحداهم بنظمها ، وتجوز روايتها بالمعنى . وفي روايتها بالمعنى تيسير على الأمة وتخفيف عنها في تحملها وأدائها "(٢)".

(١) الأنوار الكاشفة ص ٤٥ .

(٢) انظر : الحديث والمحدثون ص ٢٠١، ٢٠٠ .

ومن المعلوم أن العرب كانوا أمة أمية ، وكان يندر فيهم الكتابة ، وأدوات الكتابة عزيزة ، حتى إن القرآن كان يكتب على جريد النخل ، والعظام ، والجلود كما قال زيد بن ثابت في جمعه للقرآن : "فتتبع القرآن أجمعه من العصب واللخاف ، وصدور الرجال ..." الحديث (١). ولذا كان التزام كتابة السنة في عهده صلى الله عليه وسلم فيه مشقة عظيمة لأنها تشمل أقواله وأفعاله وتقريرياته ، وقد هيا الله لها من أسباب الحفظ ما هياً حتى دونت في الكتب والمؤلفات (٢).

وقد بلغ صلى الله عليه وسلم الدين كله وشهد الله له بهذا البلاغ فقال : {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس} (٣). ووجود السنة بين الأمة جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم فيه أبلغ دلالة على تبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم إياها لأمته .

وبالتالى لم يضع نصف ما أوحاه الله إليه - كما زعم - لأنه صلى الله عليه وسلم يعلم أن أصحابه يتمتعون بحوافظ قوية ، وقلوب واعية ، وذكاء مفرط ، مما يعينهم على حفظ السنة وتبليغها ، وقد حثهم على ذلك بقوله

(١) وهو جزء من حديث أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب فضائل القرآن (٦٦) ، باب جمع القرآن (٣) ، ٩٨/٦-٩٩ .

وأخرج نحوه فى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة براءة (٩) ، باب قوله : {لقد جاءكم رسول من أنفسكم} (٢٠) ، ٢١٠/٥-٢١١ . وفى كتاب الأحكام (٩٣) ، باب يستحب للكاتب أن يكون أميناً عاقلاً (٣٧) ، ١١٨/٨-١١٩ .

والعصب : جمع عَصَبٍ وَعُصْبٍ : جريدة من النخل ، وهى السعفة مما لا ينبت عليه الخوص . النهاية ٢٣٤/٣ .

وانظر : غريب الحديث لابن قتيبة ٦٦٨/٣ ، الفائق ٤٣١/٢ .

واللخاف : جمع لَخْفَةٍ وهى حجارة بيض رقاق .

انظر : غريب الحديث لابن قتيبة ٦٦٩/٣ ، الفائق ٤٣١/٢ ، النهاية ٢٤٤/٤ .

(٢) انظر : الأنوار الكاشفة ص ٣٢، ٣٣ .

(٣) سورة المائدة : آية ٦٧

"نضر الله امرءاً سمع مني مقالة فحفظها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع" (١). وقد تم ماأراده النبي صلى الله عليه وسلم من حفظ السنة وتبليغها ، ويكون بذلك أيضاً قد بلغ دين الله عز وجل كاملاً ولم ينقص منه شيئاً (٢).

الثانية : زعمهم بأن الصحابة لم يكتبوا الأحاديث ، وماكتبه بعضهم إنما كتبه لنفسه ليحفظه ثم يحوه . وقد رغب كبارهم عن التحديث ونهوا عنه لأنهم لا يريدون أن تكون الأحاديث ديناً عاماً .
والجواب عن ذلك :

لقد كتب بعض الصحابة رضى الله عنهم الأحاديث ، وقد مر طرف من ذلك (٣). ولو كانت الكتابة من أجل الحفظ فقط ثم محوها لما بقيت بعض الصحف كصحيفة على رضى الله عنه .

ومافعله بعض الصحابة من محو ماكتبوه ، أو أمرهم بذلك ليس لأن الكتابة منهي عنها ، بل إنما فعلوا ذلك خشية أن يشتغل بها الناس عن القرآن في وقت لم يحفظوا فيه القرآن بعد ، أو لأنهم كانوا يعولون على الحفظ وتنمية ملكتهم فيه شأنهم شأن العرب ، أو أن تلك الصحف التي محيت كانت منقولة عن أهل الكتاب فخيف اشتغال الناس بها عن دينهم (٤). وعلى كل فإن الذين كانوا يكتبون الشيء من أجل حفظه ثم يحوه . بعض الصحابة ولم يكن ذلك حال الجميع ، فقد كان جماعة منهم يكتبون ويبقون كتبهم .

والصحابة رضى الله عنهم لم يرغبوا عن التحديث ولم ينهوا عنه ، وما جاء محتملاً عن بعضهم ، إنما كان خشية الوقوع في الخطأ ، أو أن ذلك لعدم تعين وقت الحاجة ، أو أن النهي كان منصباً على الإكثار من التحديث .

وما من أحد من الصحابة إلا وقد حدث بجملة من الأحاديث منهم المكثر والمقل (٥).

(١) الحديث سبق تخريجه . انظر ص : ١٣

(٢) انظر : دفاع عن السنة ص ٢٥٥ .

(٣) انظر ص : ٥٧٠ .

(٤) انظر : الحديث والمحدثون ص ٢٣٢ .

(٥) انظر : الأنوار الكاشفة ص ٤٦ .

وقول الشيخ رشيد إن الصحابة لم يريدوا أن تكون الأحاديث ديناً عاماً . قول لأساس له ، والقرآن يفضح أمره ويكشف ستره ، بل قد فهم الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم أنه يريد أن تكون السنة ديناً عاماً دائماً ، وذلك للأدلة الكثيرة من القرآن والسنة الدالة على التمسك بالسنة وعدم مخالفتها كقوله صلى الله عليه وسلم : "فمن رغب عن سنتي فليس مني" (١).

قال الشيخ محمد أبو زهو :

"الحق إن الصحابة فهموا أن السنة دين عام دائم كالقرآن ، وكان هذا أمراً بدهياً عندهم لا يحتاج إلى استدلال ، بل هو ضرورة من ضرورات الدين وبدهى عند عامة المسلمين في جميع الأزمان حتى اليوم" (٢).

وقال :

"فهذه الدعوى من الشيخ - عفا الله عنه - لأساس لها بل هي تهدم نفسها بنفسها فضلاً عن أنها تخالف نصوص القرآن الكريم وتتعارض مع ماتواتر من سنة الرسول الأمين ولا تتفق وما أجمع عليه المسلمون في كافة الأزمان من عهد النبي عليه الصلاة والسلام إلى اليوم" (٣).

الثالثة : الزعم بأن أمر عمر بن عبد العزيز بالتدوين لم يكن له أثر ... الخ زعم لاحقيقة له . وقد بينا من قبل استجابة ابن شهاب الزهري لأمر عمر بالتدوين ، واعتبار العلماء له بأنه أول من دون الحديث (٤).

(١) الحديث جزء من حديث أخرجه البخارى في كتاب النكاح (٦٧) ، باب الترغيب في النكاح (١) ، ١١٦/٦ .

وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب النكاح (١٦) ، باب استحباب النكاح (١) برقم ١٤٠١ ، ١٠٢٠/٢ .

(٢) الحديث والمحدثون ص ٢٣٧ .

(٣) المرجع نفسه ص ٢٤٢ .

(٤) انظر ص ٥٧١ .

وقد ذكر ابن عبد البر أن ابن شهاب قال :
"أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبتها دفترأً دفترأً ، فبعث إلى
كل أرض له عليها سلطان دفترأً" (١).
وهذا نص قوى فى دحض هذا الزعم .

(١) جامع بيان العلم ٩١/١-٩٢ .

(٣) رواية الأحاديث بالمعنى :

قال محمود أبو رية - بعد أن ذكر أنه بذل جهداً كبيراً في الدراسة في المصادر الصحيحة - :

".. حتى انتهيت إلى حقائق عجيبة ونتائج خطيرة ، ذلك أني وجدت أنه لا يكاد يوجد في كتب الحديث كلها مما أسموه صحيحاً ، أو ما جعلوه حسناً - حديث - قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه . كما نطق الرسول به ، ووجدت أن الصحيح على اصطلاحهم إن هو إلا معان مما فهمه بعض الرواة! وقد يوجد بعض ألفاظ مفردة بقيت على حقيقتها في بعض الأحاديث القصيرة وذلك في الفلته والندرة ، وتبين لي أن ما يسمونه في اصطلاحهم حديثاً (صحيحاً) إنما كانت صحته في نظر رواة ، لأنه صحيح في ذاته . ومن أجل ذلك جاءت أكثر الأحاديث وليس عليها من ضياء بلاغته صلوات الله عليه إلا شعاع ضئيل" (١).

وقال :

"لما انكشف لي ذلك كله وغيره - مما يحمله كتابنا - وبدأت لي حياة الحديث المحمدى في صورة واضحة جلية تتراءى في مرآة مصقولة ، أصبحت على بينة من أمر مانسب إلى الرسول من أحاديث ، آخذ ما آخذ منه ونفسي راضية وأدع ما أدع وقلبي مطمئن ، ولاعلى في هذا أو ذلك أي حرج أو جناح" (٢).

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ٧ ، وانظر : ص ٥٤-٥٥ ، ٢٢٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣ .

ولكى أجيب على هذه الشبهة لابد من عرض موجز لأقوال أهل العلم في حكم الرواية بالمعنى .

فقد ذهب كثير من السلف إلى عدم جواز الرواية بالمعنى ، ونصوا على وجوب تأدية الحديث بلفظه ، ولم يوردوا في ذلك تفصيلاً . وجوز بعضهم ذلك بشروط^(١).

قال ابن الصلاح رحمه الله :

"إذا أراد رواية ماسمعه على معناه دون لفظه فإن لم يكن عالماً عارفاً بالألفاظ ومقاصدها خبيراً بما يحيل معانيها بصيراً بمقادير التفاوت بينها فلا خلاف أنه لا يجوز له ذلك وعليه أن لا يروى ماسمعه إلا على اللفظ الذى سمعه من غير تغيير ، فأما إذا كان عالماً عارفاً بذلك فهذا مما اختلف فيه السلف وأصحاب الحديث وأرباب الفقه والأصول فجوزه أكثرهم ولم يجوزه بعض المحدثين وطائفة من الفقهاء والأصوليين من الشافعيين وغيرهم . ومنعه بعضهم في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجازه في غيره ، والأصح جواز ذلك في الجميع إذا كان عالماً بما وصفناه قاطعاً بأنه أدى معنى اللفظ الذى بلغه لأن ذلك هو الذى تشهد به أحوال الصحابة والسلف الأولين ، وكثيراً ما كانوا ينقلون معنى واحداً في أمر واحد بألفاظ مختلفة وما ذلك إلا لأن معولهم كان على المعنى دون اللفظ"^(٢).

ورواية الحديث بالمعنى بالشروط السابقة هو الذى عليه جمهور الناس سلفاً وخلفاً ، وعليه العمل^(٣).

ومع هذا فقد أثر عن كثير من الصحابة رضى الله عنهم التشدد في رواية الحديث بلفظه ، خشية الوقوع في الخطأ ، وخوفاً من التحريف فكانوا يتحرون ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أعطاهم الله سبحانه وتعالى

(١) انظر : كتاب الكفاية ص ٣٠٠ .

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص ١٠٥ .

وانظر : تدريب الراوى ٩٩، ٩٨/٢ .

(٣) انظر : اختصار علوم الحديث مع شرحه الباعث الحثيث ص ١٣٦ .

حوافظ قوية ، مكنتهم من ضبط الألفاظ النبوية كما هي (١).
والذين أجازوا الرواية بالمعنى إنما أجازوها على أنها رخصة تقدر بقدرها
لأنها أصل يتبع ويلتزم في الرواية (٢).
وهؤلاء الذين أجازوا كانوا عرباً أقحاحاً خلصاً ، وكانوا أهل فصاحة
وبلاغة ، وكانوا على علم بمواقع الخطاب ، ومحامل الكلام ، وقد علموا أن
الذى يروونه دين من عند الله تعالى يحرم فيه الكذب على الله وعلى رسوله
صلى الله عليه وسلم (٣).
ومع ذلك فإن الرواية بالمعنى إنما تكون في الكلمة والكلمتين والثلاث
من الحديث وقل أن تقع في جميعه (٤).
ولم تكن كل الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم قولية ،
بل منها ما هو إخبار عن أفعاله صلى الله عليه وسلم وذلك كثير ، ومنها
ما كان أصله قولى ، فيورده الصحابى من غير ذكر القول فيقول : أمرنا بكذا
أو نهينا عن كذا (٥).
وليس كل الأحاديث يجوز روايتها بالمعنى ، بل منها ما لا يجوز فيه
ذلك ، كالأحاديث التى من باب التعبد ، كالأذان والتشهد والتكبير والتسليم ،
والتي تكون من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، أو التى بها معنى خفى
يمكن أن يقع الاختلاف فيه (٦).
كما لا تجوز فى الكتب المدونة ، والصحف المكتوبة ، لأن الترخيص فى
ذلك لوقوع الحرج والنصب فى ضبط الألفاظ وذلك لا وجود له فيما اشتملت
عليه المصنفات (٧).

-
- (١) انظر : الأنوار الكاشفة ص ٧٩ ، السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص ١٥٨ .
(٢) انظر : دفاع عن السنة ص ٧٣ .
(٣) انظر : المرجع نفسه ص ٣٧ .
(٤) انظر : المرجع نفسه ص ٥٢ .
(٥) انظر : الأنوار الكاشفة ص ٧٩ .
(٦) انظر : الحديث والمحدثون ص ٢٠١ ، السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص ١٦٠ .
(٧) انظر : مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضاح ص ٢٢٦ ، تدريب الراوى
١٠٢/٢ .

وحفظ الحديث بلفظه أمر لا يستغرب ولا يستنكر من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وعلماء الأمة الأجلاء ، لما توفر فيهم من الوسائل التى تعينهم على ذلك .

وحفظهم قد اعتمد عليه فى القرآن قبل أن يدون ، وحتى الذى كتب فى تلك القطع فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم كان مفرقاً عند بعض أصحابه لا يعرفه إلا من هو عنده ، وسائرهم إنما كان يعتمد على حفظه (١). ودعوى أبى رية أن الأحاديث كلها رويت بالمعنى دعوى لأساس لها من الصحة ، بل كثير من الأحاديث ورد بلفظه ، واتفقت فيه الروايات ، والمتذوق للكثير منها لا يشك فى أنها صدرت من كلام أفصح العرب صلى الله عليه وسلم ، وأنها لم تخرج إلا من مشكاة النبوة ، ولذا أدرك ذلك أئمة اللغة والبيان فألفوا كتباً فى البلاغة النبوية (٢).

وقد ذهب ابن مالك رحمه الله إلى جواز الاحتجاج بما ورد فى الأحاديث على القواعد النحوية ، والاستشهاد بها كشواهد الشعر (٣). وقول أبى رية أنه يأخذ ما يأخذ من الأحاديث ونفسه راضية ويدع ما يدع وقلبه مطمئن ، وجهه الشيخ عبد الرحمن المعلمى توجيهاً يلائم حال أبى رية وموقفه من الأحاديث النبوية فقال :

"فهذه دعوى تحتل تفسيرين :

الأول : أنه أصبح يعرف بنظرة واحدة إلى الحديث من الأحاديث حقيقة حاله من الصحة قطعاً أو ظناً أو احتمالاً أو البطلان كذلك .

الثانى : أنه ساء ظنه بالحديث النبوى - إن لم يكن بالدين كله - فصار لا يراه إلا أداة يستغلها الناس لأهوائهم ، فأصبح يأخذ منه ما يوافق هواه ، ويرد ما يخالف هواه ، بدون اعتبار لما فى نفس الأمر من صحة أو بطلان .

(١) انظر : الأنوار الكاشفة ص ٧٧ .

(٢) انظر : دفاع عن السنة ص ٥٢ .

(٣) انظر : الباعث الحثيث ص ١٣٨ .

من الجور أن تزعم أن مراد أبي رية هو ماتضمنه التفسير الأول لأن ذلك باطل مكشوف^(١).

(١) الأنوار الكاشفة ص ١١ .

(٤) عرض الحديث على القرآن :

استدلوا على ذلك بحديث : "إذا جاءكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق فخذوه وماخالف فاتركوه" (١).

قال محمد الغزالي :

"انظر موقف عائشة رضى الله عنها عندما سمعت حديث "إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه" لقد أنكرته . وحلفت أن الرسول ما قاله . وقالت : - بياناً لرفضها إياه - "أين منكم قول الله سبحانه : {ولا تزر وازرة وزر أخرى} (٢).

إنها ترد ما يخالف القرآن بجرأة وثقة . ومع ذلك فلن هذا الحديث المرفوض من عائشة ما يزال مثبتاً في الصحاح بل إن "ابن سعد" في طبقاته الكبرى كرره في بضعة أسانيد ... وعندى أن ذلك المسلك الذى سلكته أم المؤمنين أساس لمحاكمة الصحاح إلى نصوص الكتاب الكريم ، الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

من أجل ذلك كان أئمة الفقه الإسلامى يقررون الأحكام وفق اجتهاد رحب ، يعتمد على القرآن أولاً ، فإذا وجدوا في ركام المرويات ما يتسق معه قبلوه ، وإلا فالفرقان أولى بالاتباع" (٣).

(١) الحديث : يأتى الحديث عنه .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٦٤ ، سورة الإسراء : آية ١٥ ، سورة فاطر : آية ١٨ ، سورة الزمر : آية ٧ .

وسوف يأتى تخريج الحديث والكلام عنه في موضعه .

(٣) السنة النبوية ص ١٦-١٨ .

والجواب على ذلك :

لقد أجمعت الأمة على أن الحديث الصحيح لا يخالف القرآن أبداً ،
لأن الحديث بيان للقرآن كما قال تعالى : {لتبين للناس ما نزل إليهم} (١) ،
وهو وحى من عند الله فلا يمكن أن يخالف القرآن وإلا فسد الدين
بالمعارضة.

وما جاء في السنة من أحكام ليس لها أصل مستقل غير الآيات الآمرة
بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في الجملة ، لا تكون مخالفة للقرآن ، ولم
يدع ذلك أحد من العلماء المجتهدين (١).

وما يدعيه المعارضون من معارضة السنة للقرآن دعوى لا تصح لأن
الأحاديث متى ثبتت فلا تخالف القرآن بحال من الأحوال ولا تعارضه .

قال الشافعي رحمه الله :

"كل ما سن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع كتاب الله من سنة
فهى موافقة كتاب الله فى النص بمثله ، وفى الجملة بالتبيين عن الله والتبيين
يكون أكثر تفسيراً من الجملة ، وما سن مما ليس فيه نص كتاب الله فبفرض
الله طاعته عامة فى أمره تبعناه" (٣).

وقال :

"إن سنة رسول الله لا تكون مخالفة لكتاب الله بحال ولكنها مبينة
عامة ، وخاصة" (٤).

وقال ابن القيم رحمه الله فى رده على من يرد السنة بما فهمه من
القرآن خطأ :

"والسنة مع القرآن ثلاثة أوجه :

أحدها : أن تكون موافقة له من كل وجه ، فىكون توارد القرآن

(١) سورة النحل : آية ٤٤

(٢) انظر : السنة حجيتها ومكانتها فى الإسلام ص ٨٠ .

(٣) الرسالة ص ٢١٢ .

(٤) المرجع نفسه ص ٢٢٨ .

والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها .

الثاني : أن تكون بياناً لما أريد بالقرآن وتفسيراً له .

الثالث : أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه ، أو محرمة لما سكت عن تحريمه ، ولا تخرج عن هذه الأقسام الثلاثة فلا تعارض القرآن بوجه ما" (١).

ومن المعلوم أن معارضة السنة بالقرآن مذهب رديء تبناه أهل البدع والضلال من المعتزلة ومن سار على منوالهم ، وأما السلف رحمهم الله فكانوا متزهين عنه (٢).

وذكر الآجري أن سعيد بن جبير حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل : إن الله عز وجل قال في كتابه كذا وكذا ، فقال : "لا أراك تعارض حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الله عز وجل ، رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بكتاب الله عز وجل" (٣). وقد رد العلماء قديماً على من عارض السنة بالقرآن ، وبينوا فساد منهجه ، وضلاله .

قال الإمام الآجري رحمه الله :

"باب التحذير من طوائف تعارض سنن النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب الله عز وجل وشدة الإنكار على هذه الطبقة" .

ثم قال : "ينبغي لأهل العلم والعقل إذا سمعوا قائلًا يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء قد ثبت عند العلماء ، فعارض إنسان جاهل ، فقال : لأقبل إلا ما كان في كتاب الله عز وجل ... قيل له : يا جاهل إن الله عز وجل أنزل فرائضه جملة ، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبين للناس ما أنزل إليه ، قال الله عز وجل : { وأنزلنا إليك الذكر

(١) أعلام الموقعين ٢/٢٢٨ .

(٢) انظر : كشف موقف الغزالي من السنة ص ١٢٤ .

(٣) الشريعة ص ٥١ .

لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون" (١).

وتعلييل الحديث بمخالفته للقرآن لا يسلكه العلماء إلا في التعامل مع الأحاديث الموضوعية المختلفة ، وقد سبق ذكر ذلك في قواعد ضبط المتن (٢).

وأما حديث "إذا جاءكم عنى حديث فأعرضوه على كتاب الله فما وافق فخذوه وما خالف فتركوه" .

فقد بين علماء الحديث أنه موضوع محتلق ، وضعه الزنادقة بغرض إهمال الأحاديث . وقد عارضه بعض الأئمة فقالوا : عرضنا هذا الحديث الموضوع على كتاب الله فوجدناه مخالفاً له ، لأننا وجدنا فى كتاب الله : {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا} (٣) ، ووجدنا فيه {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله} (٤) ، وفيه {من يطع الرسول فقد أطاع الله} (٥) ، فبان كذبه (٦).

وأما حديث : "إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه" . فهو حديث ثابت رواه البخارى (٧) ،

(١) الشريعة ص ٤٩ . والآية ٤٤ من سورة النحل .

(٢) انظر ص : ٦٢٤

وانظر : كشف موقف الغزالي من السنة ص ١٠٧ .

(٣) سورة الحشر : آية ٧

(٤) سورة آل عمران : آية ٣١

(٥) سورة النساء : آية ٨٠

(٦) دفاع عن السنة ص ١٧ بتصرف .

وانظر : إرشاد الفحول ص ٣٣ ، ط / مصطفى الحلبي ، الأولى ١٣٥٦ هـ ، وانظر تضعيف الحديث فى الفتاوى ٣٨٢/١٨ .

(٧) صحيح البخارى بلفظه من حديث عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر . إلا أنه قال فى رواية عمر "ببعض بكاء أهله" . كتاب الجنائز (٢٣) ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه (٣٣) . وأخرج نحوه من حديث عمر رضى الله عنه فى الكتاب والباب السابقين ٨٠/٢-٨١ . وأخرجه بمعناه من حديث المغيرة بن شعبة وابن عمر فى الكتاب السابق ، باب ما يكره من النياحة على الميت (٣٤) ، ٨١/٢-٨٢ .

ومسلم (١)، وأبو داود (٢)، والترمذى (٣)، والنسائى (٤)، وابن ماجه (٥)، والإمام أحمد (٦).

- = وأخرجه من حديث ابن عمر في الكتاب نفسه ، باب البكاء عند المريض (٤٥) ، ٨٥/٢ .
- وأخرج نحوه من حديث ابن عمر أيضاً ، في كتاب المغازى (٦٤) ، باب قتل أبي جهل (٨) ، ٩/٥ .
- (١) صحيح مسلم بلفظه وبمعناه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه برقم ٩٢٧ وعبد الله بن عمر برقم ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢ .
- وبمعناه من حديث المغيرة بن شعبة برقم ٩٣٣ ، كتاب الجنائز (١١) ، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه (٩) ، ٦٣٨/٢ - ٦٤٤ .
- (٢) سنن أبي داود . بلفظه من حديث ابن عمر ، كتاب الجنائز ، باب في البكاء على الميت برقم ٣١٢٩ ، ١٩٤/٣ .
- (٣) سنن الترمذى . بلفظ مقارب من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كتاب الجنائز (٨) ، باب ماجاء في كراهية البكاء على الميت (٢٤) ، برقم ١٠٠٢ . وقال الترمذى : "وفي الباب عن ابن عمر وعمران بن حصين" . وقال : "حديث عمر حديث حسن صحيح" . ٣٢٦/٣ .
- وبلفظ مقارب من حديث ابن عمر في الكتاب السابق ، باب ماجاء في الرخصة في البكاء على الميت (٢٥) ، برقم ١٠٠٤، ١٠٠٦ .
- وقال : "وفي الباب عن ابن عباس ، وقرظة بن كعب ، وأبي هريرة ، وابن مسعود ، وأسامة بن زيد" . ٣٢٧/٣ - ٣٢٩ .
- (٤) سنن النسائى . نحوه من حديث عمر وعمران بن حصين . كتاب الجنائز ، باب النهى عن البكاء على الميت .
- ومن حديث عمر وابنه عبد الله وعمران بن حصين . في الكتاب السابق ، باب النياحة على الميت ١٦-١٣/٤ .
- (٥) سنن ابن ماجه ، نحوه من حديث عمر بن الخطاب برقم ١٥٩٣ ، وأبي موسى الأشعري برقم ١٥٩٤ ، كتاب الجنائز (٦) ، باب ماجاء في الميت يعذب بما نوح عليه ٥٠٨/١ .
- (٦) مسند أحمد بلفظه من حديث عمر بن الخطاب ٥٤، ٤٥/١ ، ونحوه من حديثه رضى الله عنه ٣٦/١، ٤٧، ٤١، ٣٨ ، ولفظه من حديث ابن عمر ٤٢، ٤١/١ ، ٣٨/٢ .
- وبنحوه من حديثه رضى الله عنه ١٣٤، ٣١/٢ ، ومن حديث عمران بن حصين ٤٣٧/٤ .

وقد عد السيوطى هذا الحديث من الأحاديث المتواترة.

انظر : قطف الأزهار المتناثرة ص ١٢٣ .

وهو مروي عن جماعة من الصحابة وهم : عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمر ، وأبو موسى الأشعري ، والمغيرة بن شعبة ، وعمران بن حصين .

وقد قرر عمر رضى الله عنه على سماعه من النبي صلى الله عليه وسلم صهيياً^(١)، وحفصة أم المؤمنين^(٢)، وجماعة أخرى من الصحابة^(٣).
وأخرج البخارى بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال :
"فلما مات عمر - رضى الله عنه - ذكرت ذلك لعائشة رضى الله عنها فقالت : يرحم الله عمر ، والله ما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه ، وقالت : حسبكم القرآن {ولاتزر وازرة وزر أخرى} ... الحديث^(٤).
إن إنكار عائشة لحديث تعذيب الميت وتخطئتها لعمر في روايته إياه لا يصح ، لأنه قد وافق عمر رضى الله عنه جماعة من الصحابة ، ولا يمكن أن يهمل هؤلاء جميعاً^(٥).

-
- (١) صحيح البخارى ، كتاب الجنائز (٢٣) ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه (٣٣) ، ٨١/٢ .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز (١١) ، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه (٩) ، ٦٤٢-٦٣٩/٢ .
(٣) المرجع السابق فى الكتاب والباب السابقين ٦٤٠،٦٣٨/٢ .
(٤) المرجع نفسه ، فى الكتاب والباب السابقين ٦٣٩/٢ .
(٥) كتاب الجنائز (٢٣) ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه (٣٣) ، ٨١-٨٠/٢ .
وأخرج نحوه مسلم فى صحيحه ، كتاب الجنائز (١١) ، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه (٩) برقم ٩٢٩ ، ٦٤٢-٦٢١/٢ .
(٥) انظر : فتح البارى ١٥٤/٣ ، كشف موقف الغزالي من السنة ص ٨٨ ، حوار هادىء ص ٩١ .

وما فعلته عائشة رضى الله عنها اجتهاد منها وهو معارض بالنص الصحيح ، والنص مقدم على اجتهاد الصحابي مهما بلغ من العلم والفقه (١). واجتهادها رضى الله عنها بنى على ظن منها أن الآية تعارض ذلك ، وهو ظن مردود لمعارضته الحديث الثابت (٢).

وقد جمع العلماء بين حديث عمر وعائشة رضى الله عنهما بضروب من الجمع نص عليها الحافظ ابن حجر فى الفتح ، نلخصها فيما يلى :

الأول : يعذب ببعض بكاء أهله إذا كان النوح من سنته .

الثانى : إذا وصى أهله بذلك .

الثالث : إذا أهمل نهى أهله عن ذلك .

الرابع : "يعذب بكاء أهله" : أى بنظير ما يبكيه أهله به .

الخامس : معنى التعذيب توبيخ الملائكة له بما يندبه أهله به .

السادس : معناه تألم الميت بما يقع من أهله من النياحة وغيرها .

وهذا الأخير اختاره ابن جرير الطبرى ورجحه جماعة من العلماء منهم القاضى عياض ونصره ابن تيمية وجماعة من المتأخرين (٣).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله بعد عرضه للأقوال السابقة :

"ويحتمل أن يجمع بين هذه التوجيهات فيتزل على اختلاف الأشخاص بأن يقال مثلاً : من كانت طريقته النوح فمشى أهله على طريقته أو بالغ فأوصاهم بذلك عذب بصنعه ، ومن كان ظالماً فندب بأفعاله الجائرة عذب بما ندب به ، ومن كان يعرف من أهله النياحة فأهمل نهيهم عنها فإن كان راضياً بذلك التحق بالأول وإن كان غير راض عذب بالتوبيخ كيف أهمل النهى ، ومن سلم من ذلك كله واحتاط فنهى أهله عن المعصية ثم خالفوه

(١) انظر : دفاع عن السنة ص ١٣٥ .

(٢) انظر : تأويل مختلف الحديث ص ٢٥٣ .

(٣) انظر : فتح البارى ٣/ ١٥٢-١٥٥ .

وانظر : شرح النووى على مسلم ٦/ ٢٢٨-٢٢٩ .

وفعلوا ذلك كان تعذيبه تألمه بما يراه منهم من مخالفة أمره وإقدامهم على معصية ربهم" (١).

وقد حمل الإمام ابن قتيبة قوله تعالى {ولا تزر وازرة وزر أخرى} على أحكام الدنيا ، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطلبون بشأ القتل ، فيقتل أحدهم أخاه ، أو أباه ، أو أحداً من أرحامه فإن لم يقدر على ذلك قتل رجلاً من عشيرته (٢).

والحق إن الآية نفت نفيّاً عاماً أن تحمل نفس مذنب ذنب أخرى . وهذا في حق من لم يكن له تسبب في شيء من ذلك ، أما إن كان له تسبب في فعل غيره فإنه يشاركه العذاب ، كما دل عليه قوله تعالى : {وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم} (٣). وقوله صلى الله عليه وسلم : "فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين" (٤)، وهو ما دل عليه الحديث (٥).

وقوله "الحديث المرفوض من عائشة" ، تعبير مرفوض ، مناف لاحتزام أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيرها .

ومافعلته عائشة رضى الله عنها إنما هو اجتهاد منها وظن لم تتابع عليه لامن قبل المحدثين ولا الفقهاء ، ولم تجعل ذلك منهجاً لها في رد الأحاديث والاعتراض عليها كما فهم الغزالي (٦). وهى التى عرفت بشدة ردها لمن خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . روى مسلم بسنده عن معاذة قالت : «سألت عائشة فقلت : ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة؟

(١) فتح البارى ١٥٥/٣ .

(٢) انظر : تأويل مختلف الحديث ص ٢٤٩ .

(٣) سورة العنكبوت : آية ١٣

(٤) وهو جزء من حديث هرقل الطويل . وقد سبق تخريجه ص : ٣٦٤

والأريسيين : هم الخدم والخول . انظر النهاية ٣٨/١ .

وقيل هم : الأكارون . والأكار هو الفلاح .

انظر : غريب الحديث للخطابى ٥٣٦/٢ ، الفائق ٣٦/١ .

(٥) انظر : فتح البارى ١٥٣/٣ .

(٦) انظر : كشف موقف الغزالي من السنة ص ٨٧ .

فقلت : أحرورية أنت ؟ قلت : لست بحرورية ولكنى أسأل . قالت : كان يصيينا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة" (١).

واستنكار الغزالي لإثبات الحديث فى الصحاح قول منكر فى حد ذاته ، لأن الحديث صحيح ثابت لا غبار عليه ، ومؤلفوا الصحاح محقون فى إثباتهم إياه فيها ، وأثبتوا معه حديث عائشة أيضاً . وتلك أمانة العلم . والذى يفهم من استنكار الغزالي هذا أنه لو سلب على هذا الحديث لحذفه من كتب الصحاح ، وذلك أمر له خطورته (٢).

ولعل الباب لو فتح على مصراعيه للغزالي ومن على نهجه لغابت كثير من الأحاديث الصحيحة من دواوين السنة ، لأن هؤلاء لا يعتمدون على القواعد السليمة التى وضعها علماء الحديث لتصحيح الأحاديث وتضعيفها ، وإنما يعتمدون على عقول جهلت الكثير من قواعد العلم وأصوله . وزعمه أن أئمة الفقه كانوا يقررون الأحكام وفق اجتهاد ربح يعتمد على القرآن أولاً ، فإذا وجدوا فى ركाम المرويات ما يتسق معه قبلوه . زعم مناف لما كان عليه أئمة الفقه ، فما كانوا رحمهم الله ينظرون إلى السنة نظرة الغزالي لها ، تلك النظرة التى تبنى على تهميشها وتهوين أمرها ، وإنما

(١) انظر : المرجع نفسه ص ١٤٦ .

والحديث : فى كتاب الحيض (٣) ، باب وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة (١٥) برقم ٣٣٥ ، ٦٥/١ .

وأخرج نحوه البخارى فى صحيحه : كتاب الحيض (٦) ، باب لا تقضى الحائض الصلاة (٢٠) ، ٨٣/١ .

وحرورية نسبة إلى حروراء وهى قرية بظاهر الكوفة ، وقيل على موضع ميلين منها نزل بها الخوارج الذين خالفوا علياً فنسبوا إليها .

معجم البلدان ٢/٢٤٥ .

ومعاذة هى بنت عبد الله العدوية ، أم الصهباء البصرية . ثقة . روت عن عائشة وعلى . وعنهما قتادة وأيوب . ماتت سنة ٨٣ هـ .

الكاشف ٣/٤٨٢ ، تقريب التهذيب ٢/٦١٤ .

(٢) انظر : أزمة الحوار الدينى ص ٤٤ .

كانوا يقررون الأحكام وفق اجتهاد ربح يعتمد على القرآن الكريم والسنة المطهرة ، لاعتقادهم أن السنة الثابتة لا تخالف القرآن (١).

وفي الحقيقة أن علماء الفقه لم يقفوا من هذا الحديث كما وقف الغزالي منه ، وألصق ذلك بهم ، وقد مر آنفاً ما وفقوا به بين الحديث والآية مما دل على أن الغزالي لم يطلع على تلك الأقوال ، ولم يكلف نفسه بالاطلاع عليها ، وذلك تقصير مخل ، ويزداد خلله إذا نسب إلى الإنسان ما هو برىء منه ، وقد جاء عنه ما يخالفه .

ولاشك أن عمر رضى الله عنه من أكابر فقهاء الصحابة رضى الله عنهم ، ومن أئمة الاجتهاد ، وهو من رواة هذا الحديث وقد نهل من مدرسته عبد الله بن مسعود الذى نشر العلم والفقه بالكوفة ، وكان أصل فقه الأحناف الذين يعتمد الغزالي على فقههم كثيراً . فأين إذن أهل الفقه ههنا؟ (٢)

(١) انظر : كشف موقف الغزالي من السنة ص ٨٩ .

(٢) انظر : حوار هادىء ص ٩٣ ، دفاع عن السنة ص ١٣٤ .

(٥) السنة العملية :

قال الشيخ محمد رشيد رضا :

"إن سنته التي يجب أن تكون أصل القدوة هي ما كان عليه هو وخاصة أصحابه عملاً وسيرة فلا تتوقف على الأحاديث القولية ... جعلهم الأحاديث القولية من السنن ، وهو اصطلاح للعلماء توسعوا فيه بمعنى السنة فجعلوها أعم مما كان يريد الصحابة من هذا اللفظ (السنة) وهي الطريقة المتبعة التي جرى عليها العمل" (١).

وقال : "ومن العجائب أن يغيب بعض المحدثين أحياناً عن الفرق بين السنة والحديث في عرف الصحابة الموافق لأصل اللغة فيحملوا السنة على اصطلاحهم الذي أحدثوه بعد ذلك" (٢).

وقال :

"فالعمدة في الدين هو القرآن وسنن الرسول المتواترة وهي السنن العملية كصفة الصلاة والمناسك مثلاً وبعض الأحاديث القولية التي أخذ بها جمهور السلف . وماعدا هذا من أحاديث الآحاد التي هي غير قطعية الرواية أو غير قطعية الدلالة فهي محل اجتهاد" (٣).

وقال محمود أبو رية :

"وسنن الرسول المتواترة - وهي السنن العملية - وما أجمع عليه مسلمو الصدر الأول ، وكان معلوماً عندهم بالضرورة - كل ذلك قطعي لا يسع أحد جرده أو رفضه ، بتأويل ولا اجتهاد ككون الصلاة المعروفة خمساً ... هذه هي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وأما إطلاقها على ما يشمل الأحاديث فاصطلاح حادث" (٤).

(١) مجلة المنار ، المجلد ١٠ ، ص ٨٥٢ .

(٢) المصدر نفسه ، المجلد السابق ، ص ٨٥٣ .

(٣) المصدر نفسه ، المجلد ٢٧ ، ص ٦١٦ .

(٤) أضواء على السنة المحمدية ، ص ٣٥١ .

والجواب على ذلك :

لقد سبق أن بينت أن السنة تشمل أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته ، وهذا الذى عليه أهل العلم قديماً وحديثاً (١) . كما تطلق على الأحاديث المتواترة والآحاد (٢) .

والقول بأن السنة هى السنة العملية المتواترة فقط ، قول لاصحة له ، بل هو اصطلاح حادث لا يخفى بطلانه (٣) .

ولو قصرت السنة على السنة المتواترة العملية لفرط في كثير من الأحاديث القولية التي نقلت عنه صلى الله عليه وسلم في جميع جوانب الدين ، في الأحكام والأخلاق والمواظظ (٤) .

بل وفرط في السنن العملية التي لم يداوم على فعلها النبي صلى الله عليه وسلم ، أو لم يثبت استمراره عليها ، كصوم يوم عاشوراء (٥) ، وصلاة القيام التي صلاها بالناس ثلاث ليالى من رمضان (٦) فقط ، وكالصيغ المختلفة

(١) انظر : ص : ٦٤ ، ٦٥

وانظر : موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوى ص ٦٨-٧٠ فقد نقل فيه مؤلفه سبعة عشر قولاً من أقوال أهل العلم مما يدل على إطلاق السنة على أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته .

(٢) انظر : الأنوار الكاشفة ص ٢١ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ص ٥٧ .

(٤) انظر : دفاع عن السنة ص ٢٩١ .

(٥) حديث صيام عاشوراء سبق تخريجه . انظر ص : ٤١٢

(٦) روى البخارى بسنده إلى عائشة رضى الله عنها أنها قالت : "إن رسول الله صلى

الله عليه وسلم صلى ذات ليلة في المسجد فصلى بصلاته ناس ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح قال : "قد رأيت الذى صنعتم ولم يمنعنى من الخروج إليكم إلا أنى خشيت أن تفرض عليكم وذلك في رمضان" .

كتاب التهجد (١٩) ، باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل (٥)

. ٤٤/٢

وأخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب ، كتاب صلاة المسافرين (٦) ، باب الترغيب في قيام رمضان (٢٥) برقم ٧٦١ ، ٥٢٤/١ .

لدعاء الاستفتاح (١).

وإطلاق السنة على الأحاديث القولية ليس اصطلاحاً حادثاً كما يزعمون وإنما هو أمر معهود في الصدر الأول (٢).

(١) انظر : موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي ص ٧٥ .

(٢) انظر : دفاع عن السنة ص ٢٩١ .

(٦) عدالة الصحابة :

قال محمود أبو رية :

"إنهم - أى العلماء - قد جعلوا جرح الرواة وتعديلهم واجباً تطبيقه على كل راو مهما كان قدره - فإنهم قد وقفوا دون عتبة الصحابة فلم يتجاوزوها إذ اعتبروهم جميعاً عدولاً لا يجوز عليهم نقد ، ولا يتجه إليهم تجريح ، ومن قولهم فى ذلك (إن بساطهم قد طوى) - ومن العجيب أنهم يقفون هذا الموقف ، على حين أن الصحابة أنفسهم قد انتقد بعضهم بعضاً" (١).

وقال : "وإذا كان الجمهور على أن الصحابة كلهم عدول ولم يقبلوا الجرح والتعديل فيهم كما قبلوه فى سائر الرواة واعتبروهم جميعاً معصومين من الخطأ والسهو والنسيان . فإن هناك كثيراً من المحققين لم يأخذوا بهذه العدالة (المطلقة) لجميع الصحابة وإنما قالوا كما قال العلامة المقبلى (٢) : إنها (أغلبية) لاعامة، وأنه يجوز عليهم مايجوز على غيرهم من الغلط والنسيان والسهو ، بل والهوى ، ويؤيدون رأيهم بأن الصحابة إن هم إلا بشر يقع منهم مايقع من غيرهم ، مما يرجع إلى الطبيعة البشرية ، وأن سيدهم الذى اصطفاه الله صلوات الله عليه و{الله أعلم حيث يجعل رسالته} (٣) قد قال : "إنما أنا بشر أصيب وأخطئ" (٤).

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ٣١٠ .

(٢) هو صالح بن مهدى بن على المقبلى . من علماء اليمن . تفقه على المذهب الزيدى وكان ممن ينبذ التقليد ويحط على بعض الفرق الإسلامية ، وعلى أهل الحديث . رحل إلى مكة واستقر بها حتى مات فى سنة ١١٠٨ هـ . من آثاره : "العلم الشاخ" ، "الأبحاث المسددة فى مسائل متعددة" ، "الإتحاف لطلبة الكشاف" ، "المنار على البحر الزخار" فى فقه الزيدية ، "الأرواح النوافخ" .

انظر : البدر الطالع ١/ ٢٨٨-٢٩٢ ، الأعلام ٣/ ١٩٧ .

(٣) سورة الأنعام : آية ١٢٤

(٤) الحديث جزء من حديث أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد من حديث ابن عباس . كتاب العلم ، باب الاجتهاد . وقال : "رواه البزار وإسناده حسن" ١/ ١٨٣ . =

ويعززون حكمهم بمن كان منهم في عهده صلوات الله عليه من المنافقين والكاذبين وبأن كثيراً منهم قد ارتد عن دينه بعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى ، بله ماوقع منهم من الحروب والفتن التي أهلكت الحرث والنسل ، ولا تزال آثارها - ولن تزال إلى اليوم ومابعد اليوم وكأن الرسول صلوات الله عليه قد رأى بعيني بصيرته النافذة ماسيقع من أصحابه بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، فقال في حجة الوداع : "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" (١).

= وأخرج نحوه ابن ماجه من حديث طلحة بن عبيد الله وفيه : "فلما أنا بشر مثلكم وإن الظن يخطيء ويصيب . ولكن ماقلت لكم . قال الله : فلن أكذب على الله" كتاب الرهون (١٦) ، باب تلقيح النخل (١٥) برقم ٢٤٧٠ ، ٨٢٥/٢ .
وأخرج نحوه الإمام أحمد من حديث طلحة أيضاً ١٦٢/١ - ١٦٣ . وإسناده صحيح كما ذكر الشيخ أحمد محمد شاكر . مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر ٣٦٦/٢ الهامش .
وأورده السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة . فيض القدير ٥٦٧/٢ .
وقال الشيخ ناصر : "صحيح" . صحيح الجامع ٢٨٣/١ ، وأصله عند مسلم ١٨٣٥/٤ برقم ٢٣٦١ .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم (٣) ، باب الإنصات للعلماء (٤٣) ٣٨/١ ، وفي كتاب الحج (٢٥) ، باب الخطبة أيام منى (١٣٢) ١٩١/٢ ، وفي كتاب المغازي (٦٤) ، باب حجة الوداع (٧٧) ١٢٦/٥ ، وفي كتاب الأضاحي (٧٣) ، باب من قال الأضحى يوم النحر (٥) إلا أنه قال : "ضلالاً" ٢٣٦/٦ . وفي كتاب الأدب (٧٨) ، باب ماجاء في قول الرجل ويلك (٩٥) ١١٢/٧ ، وفي كتاب الحدود (٨٦) ، باب ظهر المؤمن حمى إلا في حد أو حق (٩) ١٦١/٨ ، وفي كتاب الفتن (٩٢) باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفاراً (٨) ٩١/٨ ، وفي كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى "وجوه يومئذ ناضرة" (٢٤) ، إلا أنه قال : "ضلالاً" ١٨٦/٨ .

وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (١) ، باب بيان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : "لا ترجعوا بعدي كفاراً" (٢٩) برقم ٦٦، ٦٥ ، ٨١/١ - ٨٢ . وفي كتاب القسامة (٢٨) ، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (٩) برقم ١٦٧٩ ، ١٣٠٥/٣ - ١٣٠٦ .

وروى البخارى عن ابن عباس عن النبى قال : "إنكم تحشرون حفاة عراة وإن ناساً من أصحابى يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : أصحابى! أصحابى! فيقول : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول كما قال العبد الصالح : {وكنتم عليهم شهيذاً ما دمت فيهم} (١)(٢) .

وقال أحمد أمين :

"ويظهر أن الصحابة أنفسهم فى زمنهم كان يضع بعضهم بعضاً موضع النقد . ويزلون بعضاً منزلة أسمى من بعض ، فقد رأيت قبل أن منهم من كان إذا روى له حديث طلب من المحدث برهاناً ، بل روى ما هو أكثر من ذلك ، فقد روى أن أبا هريرة حدث بحديث جاء فى الصحيحين وهو : "متى استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يضعها فى الإناء ، فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده" ، فلم تأخذ به عائشة ، وقالت : كيف نصنع بالمهراس" (٣) .

(١) سورة المائدة : آية ١١٧

(٢) أضواء على السنة المحمدية ص ٣٢٢-٣٢٣ . وانظر ص ١٩٦ .
والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب واذكر فى الكتاب مريم (٤٨) ١٤٢/٤-١٤٣ .

ولفظه : "عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تحشرون حفاة عراة غرلاً ثم قرأ : {كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين} فأول من يكسى إبراهيم ثم يؤخذ برجال من أصحابى ذات اليمين وذات الشمال فأقول أصحابى فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم . فأقول : كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم : {وكنتم عليهم شهيذاً ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم} .

وأخرج نحو الرواية السابقة فى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة المائدة (٥) ، باب "وكنتم عليهم شهيذاً" (١٤) ١٩١/٥-١٩٢ . وفى تفسير سورة الأنبياء (٢١) ، باب "كما بدأنا أول خلق نعيده" (٢) ٢٤٠/٥ . وفى كتاب الرقاق (٨١) ، باب كيف الحشر (٤٥) ١٩٥/٧ .

(٣) فجر الإسلام ص ٢١٦ . وانظر أضواء على السنة المحمدية ص ٤٩ فما بعدها .
والحديث يأتى تخريجه والكلام عليه .

والجواب على ذلك :

لقد سبق الحديث عن عدالة الصحابة رضى الله عنهم ، وأنهم معدلون من قبل الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع من يعتد به في الإجماع على ذلك (١).

وقد أجت على شبه المستشرقين هنالك ، وفي الإجابة عنها إجابة على بعض شبه المحدثين هنا ، وقد بقى بعض شبه هؤلاء تحتاج إلى جواب هنا . ويمكن إجمال ذلك في النقاط التالية :

(١) لم يقبل الجمهور الجرح والتعديل فيهم كما قبلوه في سائر الرواة واعتبروهم جميعاً معصومين . وهناك كثير من المحققين لم يأخذوا بهذه العدالة ، كالمقبلي .

(٢) إنهم بشر يجوز عليهم مايجوز على غيرهم من الغلط والنسيان والسهو بل والهوى ، مما يرجع إلى الطبيعة البشرية ، علماً بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان بشراً ، وقد قال : "إنما أنا بشر أصيب وأخطئ" (٢)

(٣) ارتد كثير منهم عن دينه ، ووقعت بينهم الحروب والفتن التي أهلكت الحرث والنسل . ومن ذلك ما دل عليه حديث الحوض (٣).

(٤) كانوا يضع بعضهم بعضاً موضع النقد ، ويتزلون بعضاً منزلة أسمى من بعض . من ذلك ما رواه أبوهريرة "متى استيقظ أحدكم من نومه ... الحديث . فلم تأخذ به عائشة وقالت : "وكيف نصنع بالمهراس"؟ (٤)

والجواب على تلك الشبه :

-
- (١) انظر ص ٥١٩ فما بعدها .
 (٢) الحديث سبق تخريجه . انظر ص ٧٥٤ ، ٧٥٥
 (٣) سوف يأتي تخريج الحديث والكلام عنه .
 (٤) سوف يأتي تخريج الحديث والكلام عنه .

(١) المراد بعدالة الصحابة أنهم لا يعتمدون الكذب لما اتسموا به من قوة الإيمان ، والتزام التقوى والصدق ، وحسن الأخلاق ، والبعد عن السفاسف مما يخل بالمروءة . لأنهم معصومون رضى الله عنهم من المعاصى أو من السهو والغلط ، إذ العصمة لا تكون إلا للأنبياء ، ولم يقل أحد من أهل العلم بعصمتهم ، وعدم العصمة لا ينافى العدالة (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"فلا يعرف من الصحابة من كان يعتمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان فيهم من له ذنوب لكن هذا الباب مما عصمهم الله فيه من تعمد الكذب على نبيهم" (٢).

ومراد به بالعصمة أن الله تعالى حفظهم من تعمد الكذب حفظاً للشرعية وحماية لجنايتها ، لأنهم هم الوسائط في نقلها .

قال عبد الرحمن المعلمي :

"ومن الحكمة في اختصاص الله تعالى أصحاب رسوله بالحفظ من الكذب عليه أنه سبحانه كره أن يكونوا هدفاً للطعن من بعدهم لأنه ذريعة إلى الطعن في الإسلام جملة ، وليس هناك سبب مقبول للطعن إلا أن يقال : نحن مضطرون إلى بيان أحوالهم ليعرف من لا يحتج بروايته منهم ، فاقترضت الحكمة حسم هذا لقطع العذر عمن يحاول الطعن في أحد منهم" (٣).

والصحابة رضى الله عنهم لا تقاس حالهم بحال الرواة الآخرين ، لكى تقبل روايتهم أو ترد ، لأن شرط قبول الرواية متوافران فيهم ، وهما العدالة والضبط (٤).

أما العدالة فلما طعن فيهم من جهتها ، وأما الضبط فإن علماء الحديث نظروا في رواية من يحتمل أن يتطرق إليه الشك والتهمة ، فوجدوا ذلك

(١) انظر : دفاع عن السنة ص ١٠٩ .

(٢) الرد على الأخنائي ص ١٠٣-١٠٤ ط / المطبعة السلفية .

(٣) الأنوار الكاشفة ص ٢٧٤ .

(٤) انظر : منهج النقد عند المحدثين ص ١١٦، ١١٧ .

موافقاً لرواية من لا تتجه إليه تهمة ويتخلل إليه شك . ووجدوا أن عامة ما يرويه هؤلاء قد رواه غيرهم من الصحابة^(١).

قال أبو حاتم بن حبان رحمه الله :

"فإن قال قائل : فكيف جرحت من بعد الصحابة؟ وأبيت ذلك في الصحابة والسهو والخطأ موجود في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وجد فيمن بعدهم من المحدثين؟ يقال له : إن الله عز وجل نزه أقدار أصحاب رسوله عن ثلب قاذح ، وصان أقدارهم عن وقیعة متنقص ، وجعلهم كالنجوم يقتدى بهم ... من شهد التنزيل وصحب الرسول صلى الله عليه وسلم فالثلب لهم غير حلال ، والقذح فيهم ضد الإيمان ، والتنقيص لأحدهم نفس النفاق ، لأنهم خير الناس قرناً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وإن من تولى رسول الله صلى الله عليه وسلم إيداعهم ما ولاه الله بيانه الناس لبالحرى من أن لا يجرح ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يودع أصحابه الرسالة وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب إلا وهم عنده صادقون جائزو الشهادة ، ولو لم يكونوا كذلك لم يأمرهم بتبليغ من بعدهم ماشهدوا منه ، لأنه لو كان كذلك لكان فيه قدحاً في الرسالة ، وكفى بمن عدله رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفاً ، وإن من بعد الصحابة ليسوا كذلك ، لأن الصحابي إذا أدى إلى من بعده يحتمل أن يكون المبلغ إليه منافقاً ، أو مبتدعاً ضالاً ينقص من الخبر أو يزيد فيه ، ليضل به العالم من الناس ، فمن أجله مفرقنا بينهم وبين الصحابة ، إذ صان الله عز وجل أقدار الصحابة عن البدع والضلال"^(٢).

(١) انظر : الأنوار الكاشفة ص ٢٧١ .

(٢) كتاب المجروحين ١/٣٣-٣٤ .

والمحققون من علماء الأمة هم الذين قالوا بعدالة الصحابة كالأئمة الأربعة ، وأصحاب الكتب الستة ، وابن معين ، وابن المديني ، وأبي زرعة وأبي حاتم ، وابن حبان ، وابن تيمية ، وكافة أهل السنة والجماعة ، وقولهم هو الحق ، ومن خالف من المعتزلة والخوارج والرافضة وأفراخ الاستشراق ، لاعتبره بخلافهم ، وهو مردود عليهم^(١) .

والمقبلي لاحجة في قوله ، ولا يلتفت إلى ما قال ، خاصة إذا علمنا أنه ارتضع ثدى الاعتزال ، الذى نشأ في بيئته ، وارتقى في أحضان الفقه الشيعي الذى أثر في منهجه ، فجاء حكمه على الصحابة ممزوجاً بضلال الاعتزال ، وانحراف التشيع .

قال عبد الرحمن المعلمي :

"والمقبلي نشأ في بيئة اعتزالية المعتقد ، هادوية الفقه ، شيعية تشيعاً مختلفاً ، يغلظ في أناس ويخف في آخرين ، فحاول التحرر فنجح تقريباً في الفقه ، وقارب التوسط في التشيع ، أما الاعتزال فلم يكد يتخلص إلا من

(١) انظر : منهج النقد عند المحدثين ص ١٠٥، ١٠٦ .

تكفير أهل السنة مطلقاً" (١).

(٢) ولا شك أن الصحابة رضى الله عنهم بشر معرضون للسهو والنسيان والخطأ كغيرهم ، ولا يعارض ذلك تعديلهم ولكنهم يمتازون عن غيرهم حيث عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهدوا الحوادث ، فتجسدت في ذاكرتهم ، وطبقوا ذلك عملياً ، إضافة إلى أنهم كانوا يتذكرون ماسمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم ، مع الاحتياط البالغ الدقة وتجنب رواية ما شكوا فيه من حديث (٢).

قال عبد الله بن الزبير قلت للزبير : "إني لأسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان قال : أما إني لم أفارقه ولكني سمعته يقول : من كذب على فليتبوأ مقعده من النار" (٣).

وقال أنس : "إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من تعمد على كذباً فليتبوأ مقعده من النار" (٤).

ومع هذا فإن نقاد الحديث لم يسلموا للصحابة بكل شيء ، بل نبهوا على ما وقع منهم من خطأ أو وهم ، وبينوا ذلك (٥).

بل ما كان الصحابة رضى الله عنهم يسكت بعضهم عن وهم بعض أو خطئه ، وإنما يبينون ذلك ويوضحونه.

روى البخارى بسنده عن مجاهد قال : "دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد فإذا عبد الله بن عمر جالس إلى حجرة عائشة وإذا أناس يصلون في المسجد صلاة الضحى . قال : فسألناه عن صلاتهم فقال بدعة ، ثم قال له كم اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم قال أربع إحداهن في رجب فكرهنا أن نرد عليه قال : وسمعنا استئذان عائشة أم المؤمنين في الحجرة فقال عروة :

(١) الأنوار الكاشفة ص ٢٧٩ .

(٢) انظر : منهج النقد عند المحدثين ص ١٢٤ .

(٣)، (٤) صحيح البخارى ، كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم (٣٨) ، ٣٥/١ .

(٥) انظر : منهج النقد عند المحدثين ص ١٢٦ .

يا أماءه ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن قالت ما يقول ؟ قال : يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمرات إحداهن فى رجب . قالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر عمرة إلا وهو شاهده وما اعتمر فى رجب قط" (١) .

قال الحافظ ابن حجر :

" وفى هذا الحديث أن الصحابى الجليل المكثّر الشديد الملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم قد يخفى عليه بعض أحواله ، وقد يدخله الوهم والنسيان لكونه غير معصوم " (٢) .

(٣) لاشك أن من ارتد من الصحابة عن الإسلام ومات على الردة ، لا يعد صحابياً ، لأنه يشترط فى الصحابى أن يلقى النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ، ويموت على الإسلام (٣) .

- (١) صحيح البخارى ، كتاب العمرة (٢٦) ، باب كم اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم (٣) ، ١٩٩/٢ .
وأخرج نحوه فى كتاب المغازى (٦٤) ، باب عمرة القضاء (٤٣) ، ٨٦-٨٥/٥ .
وأخرج نحوه مسلم فى صحيحه ، كتاب الحج (١٥) ، باب إهلال النبي صلى الله عليه وسلم وهديه (٣٤) برقم ١٢٥٥ ، ٩١٦-٩١٧ .
(٢) فتح البارى ٦٠٢/٣ .
(٣) انظر : التقييد والإيضاح ص ٢٩٢ ، شرح نخبة الفكر ص ١١٤ ، تدريب الراوى ٢٠٩/٢ .

ولاشك أنه قد وقعت بين بعض الصحابة حروب وفتن ، ولكن ذلك لا ينفى عدالتهم .

قال ابن الصلاح :

"ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ومن لابس الفتن منهم فذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع إحساناً للظن بهم ، ونظراً إلى ما قُتِلَ لهم من المآثر ، وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح للإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة" (١).

والذين لابسوا الفتن كانوا مجتهدين يعتقد كل منهم أن الحق معه ، وعليه أن يدافع عنه ، والمجتهد مأجور على اجتهاده أخطأ أم أصاب (٢). ومع ذلك فإن الذين لابسوا الفتن عدد قليل منهم ، وجمهورهم قد تأخر عنها (٣).

قال محمد بن سيرين :

"هاجت الفتن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف فما خف لها منهم مائة ، بل لم يبلغوا ثلاثين" (٤).

والصحابة رضی الله عنهم أعظم حرمة ، وأجل قدراً ، وأنزله أعراضاً وقد ثبت من فضائلهم ما لم يثبت لغيرهم ، فلا يجوز ذمهم على ما شجر بينهم ، لأن في ذلك إثماً عظيماً (٥).

وكثير مما نسب إليهم لم يصح عنهم ، وما صح له من المخارج ما يدفعه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

"وإن ما ينقل عن الصحابة من المثالب نوعان :

-
- (١) مقدمة ابن الصلاح ص ١٤٧ .
 - (٢) انظر : الحديث والمحدثون ص ١٥١ .
 - (٣) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٣٢٦، ٣٢٧ .
 - (٤) المرجع السابق ص ٣٢٧ .
 - (٥) المرجع نفسه ص ٢٧٥ .

أحدهما : إما كذب كله وإما محرف قد دخله من الزيادة والنقصان ما يخرج به إلى الذم والطعن . وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب ، يرويها الكذابون المعروفون بالكذب ...

النوع الثاني : ما هو صدق ، وأكثر من هذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها عن أن تكون ذنباً وتجعلها من موارد الاجتهاد التي إن أصاب المجتهد فيها فله أجران وإن أخطأ فله أجر . وعامة المنقول الثابت عن الخلفاء الراشدين من هذا الباب ، وما قدر من هذه الأمور ذنباً محققاً فإن ذلك لا يقدح فيما علم من فضائلهم وسوابقهم وكونهم من أهل الجنة ، لأن الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب متعددة ... فما من ذنب يسقط به الذم والعقاب عن أحد من الأمة إلا والصحابة أحق بذلك ، فهم أحق بكل مدح ونفى كل ذم ممن بعدهم من الأمة" (١).

أما حديث الحوض فهو حديث متواتر (٢). والمراد بهم من ارتد عن الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء لا يعدون من صحابته صلى الله عليه وسلم .

وقد جاء في روايات الحديث ما يؤيد ذلك ، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم" (٣). وقوله صلى الله عليه وسلم : "إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري" (٤).

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٢٧٠-٢٧١ .

(٢) انظر : فتح الباري ٤٦٧/١١ ، قطف الأزهار المتناثرة ص ٢٩٧ ، منهج النقد عند المحدثين ص ١٢٠ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب قول الله تعالى : {واتخذ الله إبراهيم خليلاً} (٨) ، ١١٠/٤ ، وفي باب واذكر في الكتاب مريم (٤٨) ، ١٤٣/٤ ، وفي كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة المائدة (٥) ، باب {وكنتم عليهم شهداء} (١٤) ، ١٩٢/٥ ، وفي كتاب الرقاق (٨١) ، باب كيف الحشر (٤٥) ، ١٩٥/٧ . صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) ، باب فناء الدنيا (١٤) برقم ٢٨٦٠ . ٢١٩٥/٤ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب في الحوض (٥٣) ، ٢٠٨/٧ .

قال قبيصة :

"هم المرتدون الذين ارتدوا على عهد أبي بكر فقاتلهم أبوبكر رضى الله عنه" (١).

وقال الخطابي :

"لم يرتد من الصحابة أحد وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب ممن لانصرة له في الدين ، وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين . ويدل قوله (أصيحابي) (٢) بالتصغير على قلة عددهم" (٣).
وقد يراد بهم المرتدون والمنافقون (٤).

إذ إن المنافقين كانوا منقسمين بين صفوف الصحابة يشهدون مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد ، ويحضرون الغزوات للإعلاء كلمة الله ، وإنما لأغراض أخرى .

وكانوا في الظاهر معدودين من الصحابة وفي الواقع كانوا كفاراً لم يخلصوا الإيمان . قال تعالى : {ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم} (٥).

(١) المرجع السابق ١٤٣/٤ .

وقبيصة هو ابن عقبة بن محمد بن سفيان السوائي ، أبو عامر الكوفي . أحد مشايخ البخارى . عابد . صدوق ربما خالف .

الجرح والتعديل ١٢٦/٧-١٢٧ ، الكاشف ٣٩٦/٢ ، تقريب التهذيب ١٢٢/٢ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة المائدة (٥) ، باب وكنت عليهم شهيداً (١٤) ، ١٩١/٥ . وفي كتاب الرقاق (٨١) ، باب كيف الحشر (٤٥) ، ١٩٥/٧ .

(٣) فتح البارى ٣٨٥/١١ .

(٤) انظر : شرح النووى على مسلم ١٣٦/٣ .
ولكن حمل الحديث على المنافقين فيه نظر ، لأن نفاق المنافقين وقع في حياته صلى الله عليه وسلم وليس بعد موته .

(٥) انظر : الحديث والمحدثون ص ١٥٣ .
والآية هي (١٠٤) من سورة التوبة .

فحديث الحوض لا يعنى صحابته رضى الله عنهم الذين أخلصوا دينهم لله ، والذين نقلوا لنا شريعة الإسلام ، فهؤلاء لا قدح فى عدالتهم بحال من الأحوال .

(٤) ماكان الصحابة رضى الله عنهم يكذب بعضهم بعضاً ، بل ماكان يتهم أحدهم الآخر بالكذب ، كما جاء عن أنس رضى الله عنه (١). بل كانت الثقة متوفرة بينهم ، ولا يمنع ذلك أن يراجع بعضهم بعضاً فى بعض الأمور إذ الخطأ والنسيان والسهو وارد فيهم ، فهم بشر لم يخرجوا عن بشريتهم .

قال محمد أبو شهبة :

"وفى بعض الأحيان كان يراجع - أى الصحابة - بعضهم بعضاً فيما يرويه ، إما للتثبت والتأكد لأن الإنسان قد ينسى أو يسهو أو يغلط عن غير قصد ، وإما لأنه ثبت عنده ما يخالفه أو ما يخصه أو يقيده ، أو لأنه يرى مخالفته لظاهر القرآن أو لظاهر ما حفظه من سنة إلى غير ذلك ، فليس من الإنصاف أن نتخذ من هذه المراجعة دليلاً على اتهام الصحابة بعضهم لبعض وتكذيب بعضهم لبعض ، إلى غير ذلك من الدعاوى الكاذبة التى يطنطن بها المبشرون والمستشرقون ومن تابعهم من الكتاب المعاصرين الذين جعلوا من أنفسهم أبواقاً لترديد كلامهم" (٢).

ومادار بينهم من مراجعات مدون ومحصور فى كتب الحديث ، ومشفوع بأجوبته (٣).

والمحق منهم من كان معه الدليل ، ولا يدل ذلك على طعن فيمن أخطأ منهم . بل كلهم عدول رضى الله عنهم .

(١) انظر ص : ٥٢٢ - ٥٢٣

(٢) دفاع عن السنة ص ١٣٤ .

(٣) انظر : الأنوار الكاشفة ص ٢٧٧ .

وأما ما رواه أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم حيث قال : "إذا استيقظ أحدكم من نومه ، فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً ، فإنه لا يدرى أين باتت يده " . فهو حديث صحيح أخرجه البخارى (١) ، ومسلم (٢) ، وأبو داود (٣) ، والترمذى (٤) ، والنسائى (٥) ، وابن ماجه (٦) ، والدارمى (٧) ، والدارقطنى (٨) ، والإمامان مالك (٩) ، وأحمد (١٠) وغيرهم .

- (١) صحيح البخارى . نحوه من حديث أبى هريرة ، ولم يذكر العدد . كتاب الوضوء (٤) ، باب الاستجمار وترأ (٢٦) ، ٤٨/١-٤٩ .
 - (٢) صحيح مسلم ، بلفظه من حديث أبى هريرة . كتاب الطهارة (٢) ، باب كراهة غمس المتوضىء وغيره يده (٢٦) برقم ٢٧٨ .
 - (٣) سنن أبى داود . نحوه من حديث أبى هريرة ، كتاب الطهارة ، باب فى الرجل يدخل يده فى الإناء قبل أن يغسلها برقم ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢٥/١-٢٦ .
 - (٤) سنن الترمذى . نحوه من حديث أبى هريرة ، أبواب الطهارة ، باب ماجاء إذا استيقظ أحدكم من منامه . ورقمه ٢٤ . وقال : "وهذا حديث حسن صحيح " . وقال : "وفى الباب عن ابن عمر وجابر وعائشة " . ٣٦/١ .
 - (٥) سنن النسائى . بلفظ مقارب عن أبى هريرة . كتاب الطهارة ، باب تأويل قوله عز وجل : {إذا قمتم إلى الصلاة} الآية ١٢/١ .
 - (٦) سنن ابن ماجه . نحوه من حديث أبى هريرة برقم ٣٩٣ . ومن حديث عبد الله ابن عمر برقم ٣٩٤ . ومن حديث جابر بن عبد الله برقم ٣٩٥ . ومن حديث على ابن أبى طالب من فعله صلى الله عليه وسلم برقم ٣٩٦ . كتاب الطهارة (١) ، باب الرجل يستيقظ من منامه (٤٠) ، ١٣٨/١-١٣٩ .
 - (٧) سنن الدارمى . نحوه من حديث أبى هريرة . كتاب الصلاة والطهارة ، باب إذا استيقظ أحدكم من منامه ١٩٦/١ .
 - (٨) سنن الدارقطنى . نحوه من حديث أبى هريرة وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر . كتاب الطهارة ، باب غسل اليدين لمن استيقظ من نومه ٤٩/١-٥٠ .
 - (٩) الموطأ . نحوه من حديث أبى هريرة ولم يذكر العدد . كتاب الطهارة (٢) ، باب وضوء النائم إذا قام إلى الصلاة (٢) ، ٢١/١ .
 - (١٠) مسند أحمد . بلفظه من حديث أبى هريرة فى موضعين . إلا أنه قال فى الموضع الأول "فى إنائه" ٢٤١/٢ . وفى الثانى قال : "من منامه" ٤٧١/٢ .
- وأخرج نحوه عنه رضى الله عنه فى مواضع : ٢٥٣/٢ ، ٢٥٩/٢ ، ٢٦٥/٢ ، ٢٧١/٢ ، ٢٨٤/٢ ، ٣١٦/٢ ، ٣٤٨/٢ ، ٣٨٢/٢ ، ٣٩٥/٢ ، ٤٠٣/٢ ، ٤٥٥/٢ ، ٤٦٥/٢ ، ٥٠٠/٢ ، ٥٠٧/٢ .

وجاء من رواية أبي هريرة وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر ،
وعائشة رضى الله عنهم . فلم ينفرد بروايته أبو هريرة .
وعائشة رضى الله عنها لم تعترض على أبي هريرة في هذا الحديث أبداً ،
ولا يعقل ذلك عنها وهى من رواة الحديث (١).
والذى يذكر عنه ذلك رجل من التابعين من أصحاب عبد الله بن
مسعود يدعى قيس الأشجعى (٢).
فقد روى الإمام أحمد أنه قال لأبي هريرة لما ذكر الحديث : "يا أبا
هريرة فكيف إذ جاء مهراسكم؟" قال : "أعوذ بالله من شرك ياقيس" (٣).
ولعل قيساً كان يريد الاستفسار لا الإنكار ، ولو سلمنا أنه يريد ذلك ،
فإنكار التابعى على الصحابى لا يقدر فى عدالته (٤).

(١) انظر : الأنوار الكاشفة ص ١٧١ .

(٢) انظر : الإصابة فى تمييز الصحابة ٢٨٥/٣ . وذكر أن اسمه قين الأشجعى .

والذى فى مسند أحمد "قيس" .

ولذا قال الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب :

"قيس بن رافع القيسى ، الأشجعى ، المصرى ، مقبول ، من الثالثة ، وهم من
ذكره فى الصحابة" . ١٢٨/٢

(٣) مسند أحمد ٣٨٢/٢ .

(٤) انظر : دفاع عن السنة ص ١٣٨ .

(٧) أبو هريرة :

وهذه جملة من الشبه التي ألصقت به :

(١) أكثر أحاديثه لم يسمعها من النبي صلى الله عليه وسلم لتأخر إسلامه ، وإنما سمعها من الصحابة والتابعين (١) ، ومراسيل الصحابة ليست بحجة (٢) .

(٢) اعترف بأنه صاحب النبي صلى الله عليه وسلم من أجل ملء بطنه ، فلم يكن مخلصاً في صحبته له (٣) .

(٣) جرحه كبار الصحابة وشكوا في روايته لأجل إكثاره من الحديث (٤) . واتهمه بالكذب عمر وعثمان وعلى (٥) .

(٤) ضربه عمر بالدرة وأوعده إن لم يترك الحديث ليلحقه بأرض دوس أو بأرض القردة (٦) . ولذا لم يحدث إلا بعد قتل عمر (٧) .

(٥) كان كثير النسيان لضعف ذاكرته ، فاخترق قصة ليسوع بها كثرة أحاديثه ، ويثبت صحة ما يرويه في أذهان السامعين (٨) .

(٦) ذكر أبو جعفر الإسكافي في شرح نهج البلاغة أن معاوية حمله على وضع أحاديث في على (٩) .

(١) انظر : مجلة المنار ، المجلد ٢٩ ، ص ٤٣ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ، المجلد ١٩ ، ص ٩٩ .

(٣) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص ١٥٤-١٥٥ .

(٤) انظر : فجر الإسلام ص ٢١٩ ، أضواء على السنة المحمدية ص ١٩٦ .

(٥) انظر : المرجع السابق ص ١٦٦ .

(٦) انظر : المرجع نفسه ص ١٦٣ .

والدرة هي التي يضرب بها . عربية معروفة .

انظر : الصحاح للجوهري ٦٥٦/٢ ، لسان العرب ٢٨٢/٤ .

(٧) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص ١٩٧ .

(٨) انظر : المرجع نفسه ص ١٧٧ .

(٩) انظر : المرجع نفسه ص ١٩٠ . =

- (٧) لم يكن له علم ولا فقه ولا رأى ولا نصيحة، ولذا لم يجعله عمر في أهل شورته (١).
- (٨) كان من عامة الصحابة ، ولم يكن بينهم في العير ولا في النفير (٢).
- ولم يذكر في طبقة من طبقاتهم ، ولم يرد في فضله حديث (٣).
- (٩) كانت به غفلة وغرة وسذاجة ، ولذا استغله أعداء الإسلام في بث الخرافات والأوهام في الدين الإسلامي (٤).
- (١٠) انتهز الوضع كثرة أحاديثه فزوروا عليه أحاديث لاتعد (٥).
- (١١) انفرد بأحاديث كانت موضع الإنكار لغرابتها (٦)، فصدقها قلوب المسلمين وسيطرت على عقولهم ، وجعلوها من تمام دينهم على ما بها من مشكلات تحير العقول ، وشبهات وخرافات تتخذ مطاعن على الدين ، وأسانيد يعتمد عليها في إثبات الإسرائيليات والمسيحيات وغيرها (٧).
- وإليك أمثلة لأحاديث طعن بها على أبي هريرة رضى الله عنه :

-
- = وأبو جعفر الإسكافي :
- هو محمد بن عبد الله أبو جعفر الإسكافي . من متكلمي المعتزلة وأحد أئمتهم تنسب إليه الطائفة الإسكافية . وهو بغدادى أصله من سمرقند ، وكان يتشيع . مات سنة ٢٤٠ هـ .
- من آثاره : "نقد كتاب حسين النجار" ، "الرد على من أنكر خلق القرآن" ، "تفضيل على" .
- الأنساب ٢٣٤/١-٢٣٥ ، طبقات المعتزلة ص ٧٤ ، سير أعلام النبلاء ٥٥٠/١٠-٥٥١ ، لسان الميزان ٢٢١/٥ ، الأعلام ٢٢١/٦ .
- (١) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص ٢٠٣ الهامش .
- (٢) انظر : المرجع نفسه ص ١٥٢ .
- (٣) انظر : المرجع نفسه ص ١٨٤-١٨٥ .
- (٤) انظر : المرجع نفسه ص ١٧٢-١٧٣ .
- (٥) انظر : فجر الإسلام ص ٢٢٠ .
- (٦) انظر : مجلة المنار ، المجلد ١٩ ، ص ٩٧ .
- (٧) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص ١٥٢ .

الحديث الأول : مثال لكذبه .

أورد أبو رية حديث خلق التربة (١) ثم قال :

" من العجيب أن أبا هريرة قد صرح فى هذا الحديث بسماعه من النبى صلى الله عليه وسلم وأنه قد أخذ بيده حين حدثه به - وإنى لأتحدى الذين يزعمون فى بلادنا أنهم على شىء من علم الحديث ، وجميع من هم على شاكلتهم فى غير بلادنا أن يحلوا لنا هذا المشكل ، وإن يخرجوا بعلمهم الواسع شيخهم من الهوة التى سقط فيها !

إن الحديث صحيح السند على قواعدهم - لاختلاف فى ذلك - وقد رواه مسلم فى صحيحه ولم يصرح من النبى فقط ، بل زعم أن رسول الله قد أخذ بيده وهو يحدثه به ، وقد قضى أئمة الحديث بأن هذا الحديث مأخوذ عن كعب الأبحار وأنه مخالف للكتاب العزيز ، فمثل هذه الرواية تعد ولاريب كذباً صراحاً ، وافتراء على رسول الله ، فما حكم من يأت بها ؟ وهل تدخل تحت حكم حديث الرسول " من كذب على فليتبوأ مقعده من النار " (٢) . أم هنالك مخرج لراوى هذا الحديث بذاته !

إنى والله لفى حاجة إلى الانتفاع بعلمهم فى هذا الحديث وحده الذى يكشف ولاريب عن روايات أبى هريرة التى يجب الاحتياط فى تصديقها" (٣).

(١) الحديث يأتى تخريجه والكلام عنه .

(٢) سبق تخريجه ، أنظر : ص : ٥٢١-٥٢٢

(٣) أضواء على السنة المحمدية ص ١٧٥ - ١٧٦ .

الحديث الثاني : مثال على تدليسه .
 ذكر أبو رية أن أبا هريرة كان يدلس .
 وبين أن حكم التدليس كله مذموم ، وأن من الحفاظ من جرح من
 عرف به (١) .

- (١) انظر : أضواء على السنة المحمدية ص ١٦٤، ١٦٥ .
 التدليس : لغة : من الدلس وهو الظلمة ، أو اختلاط الظلام . سمي بذلك لأن
 المدلس يظلم أمر الحديث ويغطيه على الواقف عليه .
 وفي الاصطلاح : إخفاء عيب في الإسناد وتحسين لظاهره .
 وهو أنواع :
 ١ - تدليس الإسناد :
 وهو أن يروى الراوى عن من قد سمع منه مالم يسمع منه من غير أن يذكر أنه
 سمع منه .
 ٢ - تدليس الشيوخ :
 وهو أن يروى الراوى حديثاً عن شيخ سمعه منه فيسميه أو يكتبه أو ينسبه أو
 يصفه بما لا يعرف به كي لا يعرف .
 ٣ - تدليس التسوية :
 وهو أن يروى الراوى عن شيخه ثم يسقط ضعيفاً بين ثقتين لقى أحدهما الآخر
 ٤ - تدليس العطف :
 هو أن يروى الراوى عن شيخين ماسمعه من شيخ اشتركا فيه ، ويكون قد سمع
 من أحدهما دون الآخر ، فيصرح عن الأول بالسماع ويعطف الثانى عليه ،
 فيوهم أنه سمع من الثانى أيضاً .
 ٥ - تدليس السكوت أو القطع :
 كأن يقول : "حدثنا" أو "سمعت" . ثم يسكت . ثم يذكر اسم شيخه موهماً أنه
 سمع منه وليس كذلك .
 وهذه الأنواع الثلاثة الأخيرة ترجع إلى تدليس الإسناد .
 وأما حكم التدليس :
 فتدليس الإسناد مكروه جداً ، ذمه أكثر العلماء ، وذهب فريق منهم إلى أن من
 عرف به صار مجروحاً مردود الرواية .
 والصحيح التفصيل : فما صرح فيه بالسماع فيقبل . وما أتى فيه بلفظ محتمل
 فيرد . =

ثم قال :

"لما روى حديث (من أصبح جنباً فلاصوم عليه) (١) .. أنكرت عليه عائشة هذا الحديث فقالت : "إن رسول الله كان يدركه الفجر وهو جنب من غير احتلام فيغتسل ويصوم" (٢) ، وبعثت إليه بأن لا يحدث بهذا الحديث عن رسول الله ، فلم يسعه إزاء ذلك إلا الإذعان والاستخذاء! وقال : إنها أعلم مني ، وأنا لم أسمع من النبي ، وإنما سمعته من الفضل بن العباس فاستشهد ميتاً وأوهم الناس أنه سمع الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث" (٣) .

الحديث الثالث : مثال على ضعف ذاكرته ونسيانه .

قال أبو رية :

كان أبو هريرة يذكر عن نفسه أنه كان كثير النسيان لا تكاد ذاكرته تمسك شيئاً مما يسمعه ثم زعم أن النبي دعا له فأصبح لا ينسى شيئاً يصل إلى أذنه ، وقد ذكر ذلك لكى يسوغ كثرة أحاديثه ، ويثبت في أذهان السامعين صحة ما يرويه .

روى مسلم عن الأعرج قال : سمعت أبا هريرة يقول :

= وأما تدليس الشيوخ فكراهته أخف ، والأسباب الحاملة عليه أكثر .

انظر موضوع التدليس في :

مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضاح ص ٩٥-١٠٠ ، اختصار علوم الحديث مع شرحه الباعث الحثيث ص ٥٠-٥٣ ، شرح نخبة الفكر ص ٧١-٧٤ ، تدريب الراوى ١/ ٢٢٣-٢٣١ ، تيسير مصطلح الحديث ص ٧٩-٨٤ .

(١) الحديث يأتي تخريجه والكلام عنه .

(٢) الحديث أخرجه البخارى بلفظ مقارب في صحيحه ، كتاب الصوم (٣٠) ، باب اغتسال الصائم (٢٥) ، ٢/ ٢٣٤ .

وأخرجه مسلم بلفظ مقارب في صحيحه ، كتاب الصوم (١٣) ، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب (١٣) برقم ١١٠٩ ، ٢/ ٧٨٠ .

(٣) أضواء على السنة المحمدية ص ١٦٧-١٦٨ .

وانظر : فجر الإسلام ص ٢١٩ .

"إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله - والله الموعد - ... - فذكر الحديث (١) ... على أن هذه الذاكرة القوية التي اختص بها أبو هريرة من دون الصحابة جميعاً . بل من دون ماذراً الله من الطباع الإنسانية ، قد خانتها في مواضع كثيرة وأن ثوبه الذي بسطه قد تمزق فتناثر ماكان قد ضمه بين أطرافه ..

روى الشيخان عن أبي هريرة أن النبي قال : "لاعدوى ولاطيرة ولاهامة" (٢) . قد روى هذا الحديث بألفاظ مختلفة . ولكن الصحابة عملوا بما يخالفه ، فقد روى البخاري عن أسامة بن زيد أن رسول الله قال : "إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها" (٣) .

وقد جاء هذا الحديث كذلك عن عبد الرحمن بن عوف (٤) . ولما سمع عمر هذين الحديثين وحديث "لايوردن ممرض على مصح" (٥) .

-
- (١) سبق تخريجه . انظر ص ٥٣٤ - ٥٣٥
 (٢) يأتي تخريجه والكلام عنه .
 (٣) الحديث : في صحيح البخاري ، كتاب الطب (٧٦) ، باب ما يذكر في الطاعون (٣٠) ، ٢١/٧ .
 وأخرج نحوه بزيادة في أوله في كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب (٥٤) ، ١٥٠/٤ .
 وأخرج نحوه مسلم في صحيحه ، كتاب السلام (٣٩) ، باب الطاعون والطيرة (٣٢) برقم ٢٢١٨ ، ١٧٣٧/٤ - ١٧٣٩ .
 (٤) وحديث عبد الرحمن بن عوف أخرجه البخاري وهو نحواً من حديث أسامة السابق وفيه قصة رجوع عمر لما أخبر بخبر الطاعون . كتاب الطب (٧٦) ، باب ما يذكر في الطاعون (٣٠) ، ٢١/٧ - ٢٢ .
 وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب السلام (٣٩) ، باب الطاعون والطيرة (٣٢) ، برقم ٢٢١٩ ، ١٧٤٠/٤ - ١٧٤٢ .
 (٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الطب (٧٦) ، باب لاهامة (٥٣) ، وبلفظ مقارب في باب لاعدوى (٥٤) ، ٣١/٧ .
 وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب السلام (٣٩) ، باب لاعدوى ولاطيرة (٣٣) برقم ٢٢٢١ ، ١٧٤٣/٤ - ١٧٤٤ .

وهو مما رواه أبو هريرة وكان قد خرج إلى الشام ووجد الوباء ،
عاد بمن معه .

وقد اضطر أبو هريرة إزاء هذه الأخبار القوية إلى أن يرجع عما
حدث ، وأن يعترف بنسيانه ، ثم أنكر روايته الأولى .

وفي رواية يونس . قال الحارث بن ذباب^(١) (ابن عم أبي هريرة) قد
كنت أسمعك يا أبا هريرة تحدثنا مع حديث "لا يوردن ... الخ" حديث :
لا عدوى . فأنكر معرفته لذلك !! ووقع عند الإسماعيلي - وكذا عند مسلم -
من رواية شعيب فقال الحارث (ابن عم أبي هريرة) إنك حدثتنا! فأنكر أبو
هريرة وغضب وقال : لم أحدثك ماتقول^(٢) .

الحديث الرابع : مثال رد الصحابة لروايته .
قال أحمد أمين :

"روى أنه حدث بحديث جاء في الصحيحين وهو : "متى استيقظ
أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يضعها في الإناء ، فإن أحدكم لا يدري
أين باتت يده"^(٣) ، فلم تأخذ به عائشة ، وقالت : كيف نضع بالمهراس^(٤)
الحديث الخامس : رد العلماء لحديثه لعدم فقهه .

قال أحمد أمين :

"والحنفية يتركون حديثه أحياناً إذا عارض القياس ، كما فعلوا في
حديث المصراة ، فقد روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الحارث بن ذباب : هو الحارث بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد بن أبي ذباب
الدوسي ، المدني ، صدوق يهم . وقال أبو حاتم : "ليس بالقوى" . روى عن ابن
المسيب وجماعة ، وعنه محمد بن فليح وأنس بن عياض .

الجرح والتعديل ٧٩/٣-٨٠ ، الكاشف ١/١٩٥ ، تقريب التهذيب ١/١٤٢ .

(٢) أضواء على السنة المحمدية ص ١٧٧-١٧٩ .

(٣) سبق تخريجه والكلام عنه انظر ص ٧٦٧-٧٦٨

(٤) فجر الإسلام ص ٢١٦ .

قال : "لاتصروا الإبل والغنم ، من ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها ، فإن رضيها أمسكها وإن سخطها ردها وصاعاً من تمر" (١).
قالوا : "أبو هريرة غير فقيه ، وهذا الحديث مخالف للأقيسة بأسرها
فإن حلب اللبن تعد ، وضمان التعدي يكون بالمثل أو القيمة ، والصاع من
التمر ليس بواحد منها" (٢).

-
- (١) الحديث يأتي تخريجه والكلام عنه .
قال الزمخشري : "التصرية : تفعيل ، من الصرى ، وهو الحبس . يقال : صرى
الماء : إذا حبسه ، ومنه المصرة ، وذلك أن يريد بيع الناقة أو الشاة فيحقن اللبن
في ضرعها أياماً لا يحتلبه ليرى أنها كثيرة اللبن" . الفائق ٢/٢٩٣ .
وانظر : النهاية ٣/٢٧ .
(٢) فجر الإسلام ص ٢٢٠ .

والجواب على ذلك :

لقد سبق الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه (١)، وأجيب عن مطاعن المستشرقين فيه ، وقد ردد المحدثون كثيراً من تلك المطاعن وافتعلوا غيرها ، وأيدوها ببعض مازعموا أنه يقوى من شأنها ، ويعضد من أمرها . وفي الحقيقة ماأوردوه من شبه لايقول ضعفاً عما سبق إن لم يكن أشد وأوهى .

وسأتناول مما ذكروه مالم تسبق الإجابة عنه .
أولاً :

زعمهم بأن أكثر أحاديثه لم يسمعها من النبي صلى الله عليه وسلم وإنما سمعها من الصحابة والتابعين .

هذه دعوى لا دليل عليها بل الدليل خلافها ، وذلك أن المتتبع لما رواه عن غيره من الصحابة يجده يسيراً ، وأكثر مارواه ولم يصرح فيه بالسماع من النبي صلى الله عليه وسلم يعلم من متنه أنه كان في المدة التي أدركها ، وقد شهد له الصحابة بكثرة الحديث لملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم وسماعه منه . ولا يعرف له حديث رواه عن تابعي . وقد تتبع الحافظ العراقي مارواه الصحابة عن التابعين فجمع عشرين حديثاً ، فيها مالا يصح ، وباقيها من رواية صغار الصحابة (٢).

وقد سبقت الإشارة إلى مرسل الصحابي وأنه مما يحتج به (٣).

ثانياً :

زعمهم أنه اتهمه بالكذب عمر وعثمان وعلى .
هذا زعم حكاه ابن قتيبة عن النظام المعتزلى (٤)، بعد أن وصفه بقوله "وجدنا النظام شاطراً من الشطار ، يغدو على سكر ويروح على سكر ويبيت

(١) انظر ص ٥٣٠ فما بعدها .

(٢) انظر : الأنوار الكاشفة ص ٢١٧ . وانظر التقييد والإيضاح : ص : ٧٦ - ٧٩

(٣) انظر ص : ٥٢٦ فما بعدها .

(٤) انظر : تأويل مختلف الحديث ص ٢٢ .

على جرائمها ، ويدخل في الأدناس ، ويرتكب الفواحش والشائعات" (١). ثم ذكر آراءه المخالفة للحق ، وطعنه في كبار الصحابة . وقد أجاب رحمه الله عن ذلك جميعا (٢).

فتلقف أبورية تلك الشبهة الساقطة المردود عليها وأوهم القارىء أن ذلك من كلام ابن قتيبة ، تضليلا عن الحق ومنافاة للأمانة (٣). وما ذكره النظام ونقله أبو رية زعم باطل لاصحة له البتة (٤). ولو كان شيء من ذلك لاشتهر ونقله الثقات الأثبات ، وكونه لا يوجد إلا من دعاوى أعداء السنة والصحابة ، دلالة واضحة على بطلانه وعدم ثبوته ، وقد أثنى عليه كبار الصحابة ، وروى كثير منهم عنه ، وأطبق أئمة التابعين على جلالته ، وأكثروا من الرواية عنه والاحتجاج بأخباره ، فلا صحة لما ذكر (٥).

ثالثا :

زعمهم أن عمر ضربه بالدرة وأوعده إن لم يترك الحديث ليلحقه بأرض دوس أو بأرض القردة ، ولذا لم يحدث إلا بعد قتل عمر . والجواب عن ذلك :

أما ضرب عمر له بالدرة ، فهي رواية ضعيفة ، لاصحة لها ، لأنها من طريق أبي جعفر الإسكافي وهو ضعيف (٦).

وأما وعد عمر له بالنفى ، ذكره ابن كثير رحمه الله فقال : "عن السائب بن يزيد قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة : لتتركن

(١) انظر : تأويل مختلف الحديث ص ١٧ .

والجرائر : واحدها جريرة وهي الجنابة والذنب . انظر : لسان العرب ١٢٩/٤ ، الصحاح ٦١١/٢ ، مادة (جرر) . وانظر النهاية ٢٥٨/١ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٨-٤٢ .

(٣) انظر : دفاع عن السنة ص ١٣٣ .

(٤) انظر : دفاع عن أبي هريرة ص ١٢٢، ١٢٣ ، السنة قبل التدوين ص ٤٥٨-٤٦٠ .

(٥) انظر : الأنوار الكاشفة ص ١٦٦ .

(٦) انظر : السنة قبل التدوين ص ٤٥٧ ، دفاع عن أبي هريرة ص ١٢٣ .

الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لألقنك بأرض دوس ، وقال لكعب الأحبار : لتترك الحديث عن الأول أو لألقنك بأرض القردة وهذا محمول من عمر على أنه خشى من الأحاديث التي قد تضعها الناس على غير مواضعها ، وأنهم يتكلمون على ما فيها من أحاديث الرخص ، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ فيحملها الناس عنه أو نحو ذلك . وقد جاء أن عمر أذن له بعد ذلك في التحديث "(١)".

وكلام ابن كثير في توجيه الرواية على فرض صحتها ، ولكن دون ذلك مفاوز وقفار تنقطع فيها أعناق المطى (٢).

وفي متنه نكارة ، وذلك إن أرض دوس التي يريد عمر رضى الله عنه أن ينفى إليها أبا هريرة ألا تحتاج من عمر إلى حماية من أحاديث أبي هريرة الضعيفة كغيرها من البلدان؟ (٣)

والنفي لا يمنع أبا هريرة من التحديث خاصة إذا كان في موضع أمن فيه من مراقبة عمر كأرض دوس . وكان الأولى بعمر رضى الله عنه أن يحبس بدلاً من نفيه ، ويفرض عليه مراقبة صارمة تمنعه من التحديث .

(١) البداية والنهاية ١٠٦/٨ .

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن المعلمي عقب ذكره للخبر : "هذا وسند الخبر غير صحيح ، ولفظه في البداية : "قال أبو زرعة الدمشقي حدثني محمد بن زرعة الرعيني حدثنا مروان بن محمد حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن إسماعيل بن عبد الله عن السائب ... الخ" .

ومحمد بن زرعة لم أجد له ترجمة ، والمجهول لا تقوم به حجة ، وكذلك إسماعيل ، إلا أن يكون الصواب إسماعيل بن عبيد الله "بالتصغير" ابن المهاجر فثقة معروف لكن لا أدري أسمع من السائب أم لا ؟

وفي البداية عقبه : "قال أبو زرعة : وسمعت أبا مسهر يذكره عن سعيد بن عبد العزيز نحواً منه ولم يسنده" .

أقول : وسعيد لم يدرك عمر ولا السائب . هذا ومخرج الخبر شامى " .

الأنوار الكاشفة ص ١٥٤ .

(٣) انظر : دفاع عن أبي هريرة ص ١٢٢ .

وأبو رية لم يلتزم بالأمانة العلمية في نقله لهذا الخبر ، وذلك أن الرواية كما أوردها ابن كثير تبين أن الذى ينفى إلى أرض القردة هو كعب الأحبار لأبا هريرة ، فحذف أبو رية كعب الأحبار وجمع الموضعين لأبي هريرة .

ولو ثبتت هذه الرواية أيضاً لاشتهر أمرها ، خاصة في المدينة ، وعند الصحابة الذين أثنوا على أبي هريرة ورووا عنه . وقد اعترف أبو رية بأن كعباً ظل يحدث طيلة حياة عمر رضى الله عنه (١) ، فكيف رخص له ومنع أبا هريرة وقد أوعدهما جميعاً بالنفى . ومما يدل على عدم صحتها أيضاً أن عمر رضى الله عنه بعث أبا هريرة في أواخر أيام إمارته إلى البحرين على القضاء والصلاة ، ولاشك أن ذلك يفتح لأبي هريرة المجال فيعلمهم ويفتيهم ويحدثهم (٢) .

رابعاً :

ما ذكره أبو جعفر الإسكافى من أن معاوية حمّله على وضع أحاديث في على .

يجاب عن ذلك :

إنه لاجحة في قول الإسكافى وهو معتزلى يعادى أهل الحديث ، وشيعى هالك ، ولم يورد لها سنداً ، ولم تذكر في مصدر موثوق ، وهذا كاف في الدلالة على وضعها (٣) .

ومعاوية رضى الله عنه أرفع منزلة وأعلى مقاماً من أن يحمل أحداً على وضع حديث في على أو غيره ، وهو الذى صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من الدين والأمانة رضى الله عنه بالمكان الذى يمنعه من القدوم على ذلك الأمر الخطير والفعل الشنيع ، فيستحل الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . والصحابة أكرم من أن يستجيبوا لأمر يعلمون

(١) انظر : البداية والنهاية ١٨/١ .

(٢) انظر : الأنوار الكاشفة ص ١٥٥ .

(٣) انظر : السنة قبل التدوين ص ٤٤٣ ، دفاع عن السنة ص ١٩٠ .

سوء عاقبته ، وفظاعة جرمه ، وجميع ماورد من ذلك فهى أخبار باطلة ، لم ترد إلا من طريق أهل الأهواء والضلال (١).

وأبو هريرة لم يتشيع للأمويين ، ولم يكن على صلة وثيقة بهم ، وقد كان معاوية يوليه على المدينة ثم يعزله كل ماغضب عليه . وقد ثبتت معارضته للأمويين فى كثير من تصرفاتهم وموالاته لأهل البيت (٢).

ومما يدل على كذب هذه الفرية أن أبا هريرة رضى الله عنه روى كثيراً من الأحاديث فى فضائل أهل البيت عامة وفضل على خاصة ، ومنها ما هو فى الصحيحين (٣).

ثم أين تلك الأحاديث التى رواها أبو هريرة فى ذم على ؟ وماذا قال علماء الحديث عنها؟ وهل عدوها سبباً للقدح فى أبى هريرة؟

إن ما ذكره الإسكافى دسيمة شيعية يستهدف من ورائها الطعن فى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخاصة معاوية وأبو هريرة رضى الله عنهما .

وهذا أمر ليس بعجيب فى وروده من شيعى هالك ، ولكن الغريب فيه أن يتلقفه أبو رية فيسود به صفحات كتابه ، ويضلل بذكره من لا علم له . وهل التحقيق العلمى الذى يدعيه أبو رية يسمح له بإيراد أمثال هذه الأخبار الواضحة السقوط والبطلان ، فى موضع الاستدلال ، ثم بناء الأحكام الجائرة عليها؟

إن التحقيق العلمى يفرض على الإنسان البحث عن الدليل أولاً ، والتأكد من صحته ، ثم أخذ ما دل عليه من حكم ، بعيد عن الغلو والجفاء ، وقد كان أبو رية بعيداً كل البعد عن ذلك .

(١) انظر : السنة قبل التدوين ص ٤٤٣ ، الأنوار الكاشفة ص ٩٣ ، دفاع عن السنة ص ١٩٠ .

(٢) انظر : السنة قبل التدوين ص ٤٣٩ ، سير أعلام النبلاء ٦٠٥/٢ .

(٣) انظر : الأنوار الكاشفة ص ٢١٢ ، الحديث والمحدثون ص ١٦٩ ، دفاع عن السنة ص ١٩١ ، دفاع عن أبى هريرة ص ١٧١ .

خامسا :

زعمهم بأنه كان من عامة الصحابة ، ولم يذكر في طبقة من طبقاتهم ، ولم يرد في فضله حديث .

ويجاب عليه :

لقد كان أبو هريرة رضى الله عنه من حفاظ الصحابة إن لم يكن أحفظهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد له بعض الصحابة بالعلم . وقد مر طرف من ذلك (١). وكان من المفتين فيهم (٢)، وقد ولاه عمر البحرين (٣) لرجاحة عقله ، وولاه معاوية على المدينة كذلك عدة مرات (٤).

والزعم بأنه لم يذكر في طبقة من طبقات الصحابة ، زعم يدل على ضحالة علم صاحبه ، فإن أبا هريرة ممن هاجر بين الحديبية والفتح في العام السابع من الهجرة (٥).

والزعم بأنه لا فضل له ولم يرد حديث في فضله ، زعم شبه الريح . فقد كان صاحبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لازمه ما يربو على ثلاث سنين ويكفيه ذلك فضلا . وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم له ولأمة أن يحببهما إلى عباد الله المؤمنين (٦).

(١) انظر ص ٥٣٦ فما بعدها .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء ٦٠٧/٢ .

(٣) انظر : المرجع السابق ٦١٢/٢ .

(٤) انظر : المرجع السابق ٦١٣/٢ .

(٥) انظر : دفاع عن السنة ص ١٨٣ .

(٦) الحديث : أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة (٤٤) ، باب من فضائل أبي هريرة (٣٥) برقم ٢٤٩١ وفيه : قال - أبو هريرة - قلت يا رسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمتي إلى عباده المؤمنين ، ويحببهم إلينا . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اللهم حبب عبيدك هذا - يعنى أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين ، وحبب إليهم المؤمنين" . فما خلق مؤمن يسمع بى ، ولا يرانى إلا أحبنى . ١٩٣٩/٤ .

وقد كان عريف أهل الصفة^(١)، وهم أضياف الإسلام ، وأحباب النبي عليه الصلاة والسلام ، وقد دعا فأمن النبي صلى الله عليه وسلم على دعائه^(٢). وذكره مسلم فيمن له فضائل من الصحابة^(٣)، وعقد له الإمام النووي باباً في شرحه على مسلم^(٤)، ونص الحاكم على جملة من مناقبه في مستدركه^(٥).

والبخاري مع أنه لم يعقد له ترجمة في صحيحه إلا أنه ضمن كتاب العلم من صحيحه بعض فضائله^(٦). وإليك الأجوبة الصحيحة لما مثلنا به من أحاديث طعن في أبي هريرة بروايته لها :

الحديث الأول :

حديث خلق التربة .

والحديث كما رواه الإمام مسلم بسنده إلى أبي هريرة أنه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : "خلق الله عز وجل التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم عليه السلام بعد

(١) الصفة : موضع مظل في المسجد النبوي كان يبيت فيه أضياف الإسلام .

انظر : القاموس المحيط ص ١٠٧٠ .

(٢) انظر : م : ٥٣٥ .

(٣) انظر : صحيح مسلم ١٩٣٨/٤ - ١٩٤١ .

(٤) انظر : شرح النووي على مسلم ٥٢/١٦ - ٥٤ .

(٥) انظر : المستدرک ٥٠٦/٣ - ٥١٤ .

(٦) انظر : صحيح البخاري ، كتاب العلم (٣) ، باب الحرص على الحديث (٣٣) ،

٣٣/١ ، باب حفظ العلم (٤٢) ، ٣٧/١ - ٣٨ .

دفاع عن السنة ص ١٨٣ بتصرف .

وانظر : الأنوار الكاشفة ص ٢٠٥ .

العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق . في آخر ساعة من ساعات الجمعة ،
فيما بين العصر إلى الليل" (١).

وقد تباينت أقوال أهل العلم في رفع هذا الحديث إلى النبي صلى الله
عليه وسلم والحكم بصحة نسبه وإليه :
قال ابن كثير رحمه الله :

"وقد تكلم في هذا الحديث على بن المديني والبخاري والبيهقي وغيرهم
من الحفاظ . قال البخاري في التاريخ : "وقال بعضهم عن كعب وهو أصح"
يعنى أن هذا الحديث مما سمعه أبو هريرة وتلقاه من كعب الأحبار فإنهما
كانا يصطحبان ويتجالسان للحديث ، فهذا يحدثه عن صحفه ، وهذا يحدثه
بما يصدقه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فكان هذا الحديث مما تلقاه أبو
هريرة عن كعب عن صحفه ، فوهم بعض الرواة فجعله مرفوعاً إلى النبي -
صلى الله عليه وسلم - وأكد رفعه بقوله "أخذ رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - بيدي" . ثم في متنه غرابة شديدة . فمن ذلك أنه ليس فيه ذكر خلق
السموات ، وفيه ذكر خلق الأرض ومافيهما في سبعة أيام . وهذا خلاف
القرآن لأن الأرض خلقت في أربعة أيام ثم خلقت السموات في يومين من
دخان" (٢).

(١) صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٥٠) ، باب ابتداء الخلق وخلق
آدم عليه السلام (١) ، رقم الحديث ٢٧٨٩ ، ٢١٤٩/٤ - ٢١٥٠ .

(٢) البداية والنهاية ١٧/١ .

وانظر : تفسير القرآن العظيم ٩٤/٤ .

والآيات المشار إليها هي قوله سبحانه في سورة (فصلت) : {قل أنكم لتكفرون
بالذى خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها
رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين . ثم
استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا
طاعين . فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء
الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم} (٩-١٢)

وذكر شيخ الإسلام خلاف العلماء في تصحيح وتضعيف رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم . ثم أيد قول من ضعفه (١).

وذهب السهيلي إلى صحة هذا الحديث ، وعدم مخالفته للقرآن وأنكر قول من ضعفه ، وبين أنه لا دليل في القرآن ولا السنة على أن يوم الأحد هو أول أيام الأسبوع وإنما ذلك قول اليهود ، ولا دلالة على أن ترتيب الأيام المذكور في الحديث هو الذى نص القرآن عليه في شأن خلق السموات والأرض ، لأنه في القرآن لم يورد أسماء تلك الأيام (٢).

كما ذهب الشيخ عبد الرحمن المعلمى إلى صحته ، وأنه لا يعارض ما جاء في القرآن ، وأجاب على أوجه الإشكال فقال :

"أما الوجه الأول (٣)، فيجيب عنه بأن الحديث وإن لم ينص على خلق السماء ، فقد أشار إليه بذكره في اليوم الخامس النور وفي السادس الدواب وحياة الدواب محتاجة إلى الحرارة ، والنور والحرارة مصدرهما الأجرام السماوية . والذى فيه أن خلق الأرض نفسها كان في أربعة أيام ، كما في القرآن والقرآن إذ ذكر خلق الأرض في أربعة أيام ، لم يذكر ما يدل أن من جملة ذلك خلق النور والدواب ، وإذ ذكر خلق السماء في يومين لم يذكر ما يدل أنه في أثناء ذلك لم يحدث في الأرض شيئاً ، والمعقول أنها بعد تمام خلقها أخذت في التطور بما أودعه الله تعالى فيها ، والله سبحانه لا يشغله شأن عن شأن .

ويجيب عن الوجه الثانى (٤): بأنه ليس في هذا الحديث أنه خلق في اليوم السابع غير آدم ، وليس في القرآن ما يدل أن خلق آدم كان في الأيام الستة ، ولا في القرآن ولا السنة ولا المعقول أن خالق الله عز وجل وقفت

(١) انظر : الفتاوى ١٨/١٨-١٩ .

(٢) انظر : الروض الأنف ١٥٨/٢ .

(٣) وهو : "أنه لم يذكر خلق السموات ، وجعل خلق الأرض في ستة أيام".
الأنوار الكاشفة ص ١٩٠ .

(٤) وهو : "أنه جعل الخلق في سبعة أيام" .

انظر : الأنوار الكاشفة ص ١٩٠ .

بعد الأيام الستة ، بل هذا معلوم البطلان . وفى آيات خلق آدم أوائل البقرة (١) . وبعض الآثار مايؤخذ منه أنه قد كان فى الأرض عمار قبل آدم عاشوا فيها دهرأ فهذا يساعد القول بأن خلق آدم متأخر بمدة عن خلق السموات والأرض .

فتدبر الآيات والحديث على ضوء هذا البيان يتضح لك إن شاء الله أن دعوى مخالفة هذا الحديث لظاهر القرآن قد اندفعت ولله الحمد " (٢) . وماذكره رحمه الله تخريج جيد للحديث ، وهو أولى من القدرح فيه . ومن هنا يتبين لنا أن أبا هريرة رضى الله عنه برىء من تهمة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فعلى قول من ضعف الحديث يكون الخطأ ممن هو دون أبى هريرة من الرواة ، فوهم بعضهم فى رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو من قول كعب الأحبار .

ذكر الذهبى وابن كثير عن بسر بن سعيد أنه قال : " اتقوا الله وتحفظوا من الحديث ، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحدثنا عن كعب ، ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب ، ويجعل حديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٣) .

وحاصل ذلك أن أبا هريرة ذكر حديثين أحدهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء فيه قوله : " أخذ رسول الله ييدى فقال " . والثانى حديث الترية ، فذكره عن كعب ، فجعل بعض الرواة مقول كعب موضع

(١) انظر : الآية (٣٠) فما بعدها من سورة البقرة .

(٢) الأنوار الكاشفة ص ١٩٠ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٦٠٦/٢ ، البداية والنهاية ١٠٩/٨ .

مقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (١).

وعلى القول بصحة الحديث - وهو الذى تطمئن إليه النفس - فلا إشكال حينئذ .

وفيما اطلعت عليه من أقوال العلماء حول هذا الحديث لم أجد أحداً منهم قدح في أبي هريرة رضى الله عنه بروايته له ، ومن ضعف الحديث إنما وهم من هو دونه كما أسلفت . والذى انفرد بالطعن في أبي هريرة هو أبو رية ومن على منواله . وقوله مردود ، وزعمه باطل .

وكان عليه قبل أن يتجبح بتلك العبارات التى جانبت الصواب ، والأدب ، أن يطلع على أقوال العلماء المحققين حول هذا الحديث .

فشيخ المحدثين - ياهذا - لم يسقط في هوة كما زعمت ، ولم يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ادعيت ، وقد بين لك العلماء بعلمهم الواسع الذى عجزت أنت وأمثالك عن الوصول إلى معشاره ، الحق في ذلك . وإن كنت صادقاً فيما زعمت أنك في حاجة إلى الانتفاع بعلمهم ، ولم تكن مستهزئاً ، فقد نقلت لك ما قالوا فخذ به .

الحديث الثانى :

روى مسلم بسنده إلى أبى بكر بن عبد الرحمن أنه قال : «سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقص ، يقول في قصصه ، من أدركه الفجر جنباً فلا يصم . فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث (لأبيه) فأنكر ذلك . فانطلق عبد الرحمن وانطلقت معه . حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما فسألتهما عبد الرحمن عن ذلك . قال فكلتا هما قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم . قال فانطلقنا حتى دخلنا على مروان . فذكر ذلك له عبد الرحمن . فقال مروان : عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبى هريرة فرددت عليه ما يقول . قال فجئنا أبا هريرة . وأبو بكر حاضر ذلك كله . قال : فذكر له عبد الرحمن . فقال أبو هريرة : أهما

قالتاه لك ؟ قال : نعم . قال : هما اعلم . ثم رد أبو هريرة ماكان يقول فى ذلك إلى الفضل بن العباس فقال : سمعت ذلك من الفضل ولم أسمعه من النبى صلى الله عليه وسلم . قال : فرجع أبو هريرة عما كان يقول فى ذلك" (١) .

لقد رمى أبو رية أبا هريرة رضى الله عنه بالتدليس لروايته هذا الحديث،
وبيّن أن حكم التدليس كله مذموم .

وأبو هريرة رضى الله عنه برىء من التدليس كل البراءة . نعم ! قد ذكر
الذهبى وابن كثير عن يزيد بن هارون أنه قال : سمعت شعبة يقول :

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصيام (١٣) ، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب (١٣) حديث رقم ١١٠٩ ، ٧٧٩/٢-٧٨٠ .
وأخرج نحوه البخارى فى صحيحه كتاب الصوم (٣٠) ، باب الصائم يصبح جنباً (٢٢) ، ٢٣٢/٢-٢٣٣ .
وأبو بكر هو ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى المدنى ، قيل اسمه محمد ، وقيل المغيرة ، وقيل أبو بكر ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، وقيل اسمه كنيته . أحد الفقهاء السبعة . ثقة ، عابد يسمى الراهب لكثرة صلاته .
روى عن أبى هريرة وعائشة ، وعنه بنوه والزهرى . مات سنة ٩٤ هـ .
انظر : الجرح والتعديل : ٣٣٦/٩ ، الكاشف : ٣١٥/٣ ، تقريب التهذيب ٣٩٨/٢ .
وأبوه هو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى ، أبو محمد المدنى ، له رؤية ، وكان من كبار ثقات التابعين . وكان أحد من نديهم عثمان لكتابة المصحف . روى عن عمر وعثمان ، وعنه بنوه وأبو قلابة الجرمى . مات سنة ٤٣ هـ .
الجرح والتعديل ٢٢٤/٥ ، الكاشف ١٦٠/٢ ، تقريب التهذيب ٤٧٦/١ .

"كان أبو هريرة يدلس" (١).

زاد ابن كثير : "وكان شعبة يشير بهذا إلى حديث "من أصبح جنباً فإصيام له" فإنه لما حقق عليه قال : أخبرني مخبر ولم أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وما ذكره شعبة مخالف لما جرى عليه عمل أكثر العلماء فإنهم لا يصفون الصحابة رضي الله عنهم بالتدليس ، وإنما ذكر ذلك فئة قليلة جداً ، ومع ذلك لم يريدوا التدليس المعروف عند علماء الحديث (٢).

ولذا قال الذهبي بعد ذكره لقول شعبة السابق :

"تدليس الصحابة كثير ، ولا عيب فيه ، فإن تدليسهم عن صاحب أكبر منهم ، والصحابة كلهم عدول" (٣).

والصحابة رضي الله عنهم بريئون مما يؤخذ على المدلسين ، فإن المدلس يوهم السماع ممن لم يسمع منه . وهذا منتف في حق الصحابة ، لأن الصحابي إذا قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم ، فيحتمل أن يكون سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم أو من صحابي آخر ، وليس في ذلك إيهام .

أو أن المدلس لم يبين لعلمه بأن الوساطة غير مرضى .

وهذا أيضاً منتف في حقهم رضي الله عنهم لأنهم كلهم عدول .

أو أنه يأنف من الرواية عن حدثه . وهذا لا يعهد في الصحابة رضي الله عنهم ، لأنه ليس من شأنهم .

(١) سير أعلام النبلاء ٦٠٨/٢ ، البداية والنهاية ١٠٩/٨ .

ويزيد هو ابن هارون بن زاذان ، أبو خالد السلمى مولا هم الواسطى ، ثقة ، متقن ، عابد . أحد الأعلام . قال ابن المدينى : مارأيت أحفظ منه . روى عن حميد والجريرى . وعنه الذهلى والحاترث بن أبى أسامة . مات سنة ٢٠٦ هـ .

الجرح والتعديل ٢٩٥/٩ ، الكاشف ٢٨٧/٣ ، تقريب التهذيب ٣٧٢/٢ .

(٢) انظر : دفاع عن السنة ص ١٣٠ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٦٠٨/٢ .

أو أنه يوهم علو الإسناد . وهذا منتف عنهم أيضاً .
أو أنه يعدل من الكشف إلى الاحتمال . وهذا لا ضرر فيه لأن
الواسطة إن وجدت فهو صحابي (١).

والدليل على أن شعبة لم يرد بقوله ذلك التدليس المذموم أنه رحمه
الله كان من المكثرين من رواية حديث أبي هريرة . ويزيد بن هارون الذي
ذكر ذلك عن شعبة لم يعمل بما تقتضيه عبارة شعبة ، وروى من حديث أبي
هريرة ما لم يصرح فيه بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢).
والذي عليه المحدثون في الاصطلاح أن مارواه الصحابي ولم يسمعه
من النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يسمونه تدليساً ، وإنما يسمونه إرسالاً (٣).
وهو حجة ، كما سبق بيانه (٤).

وأبو هريرة خرج من العهدة بنسبته الحديث للفضل بن عباس ، وأنه
هو الذي حدثه به عن النبي صلى الله عليه وسلم (٥) ، فهو لم يغلط فيه كما
توهم ذلك بعض العلماء (٦).

وقد أجاب العلماء عن حديث الفضل بأجوبة ، أحسنها جوابان :
الأول : أنه معارض بما هو أقوى منه ، فيترك العمل به إلى الأرجح
منه وهو حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما (٧).

الثاني : أنه كان عند ابتداء فرض الصوم ، إذ كان يمنع الصائم من
الأكل والشرب والجماع بعد النوم ، ثم أباح الله ذلك كله إلى طلوع

(١) انظر : الأنوار الكاشفة ص ١٦٠، ١٦١ .

وانظر : الأحوال التي تقتضي ذم المدلس وتوهمه في الكفاية ص ٥١٠-٥١١ .

(٢) انظر : دفاع عن أبي هريرة ص ١٢٦، ١٢٧ .

(٣) انظر : فتح الباري ١٤٨/٤ ، الأنوار الكاشفة ص ١٦٤ ، دفاع عن أبي هريرة
ص ١٣١، ١٢٦ .

(٤) انظر : ص : ٥٣٦ ما يعدها .

(٥) انظر : فتح الباري ١٤٥/٤ ، دفاع عن أبي هريرة ص ٢٢٨ .

(٦) انظر : فتح الباري ١٤٧/٤ .

(٧) انظر : شرح النووي على مسلم ٢٢٠/٧ ، فتح الباري ١٤٨/٤ ، الحديث والمحدثون
ص ١٥٥ .

الفجر . فيلزم حينئذ أن يقع اغتسال الصائم بعد طلوع الفجر . فدل ذلك على أن حديث عائشة وأم سلمة ناسخ لحديث الفضل ، ولم يبلغ الفضل ولا أبا هريرة الناسخ فاستمر أبو هريرة على الفتيا بحديث الفضل . ثم لما بلغه النسخ رجع عنه (١) .

وقد استدل على دعوى النسخ بقوله تعالى : {أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ...} (٢) الآية . حيث إن الآية تتضمن إحلال الجماع في آخر جزء من الليل حيث ينتهى بانتهاء الليل ، ويلزم حينئذ أن يصبح الصائم جنباً (٣) .

ومما يعضد دعوى النسخ بقاء جماعة من علماء التابعين على العمل بحديث الفضل ، ثم ارتفع الخلاف ، واستقر الإجماع على خلافه (٤) .

فأبو هريرة رضى الله عنه لم يكن مدلساً في ذكره لهذا الحديث ، وهو إنما كان يفتى بما أخبره به الفضل ، فلما تبين له الحق ، رجع إليه ، ولذلك عد الحافظ ابن حجر رجوع أبي هريرة من فضائله (٥) .

وزعم أبي رية أنه استشهد ميتاً وأوهم أنه سمع الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم كما قال ابن قتيبة .

فيه تدليس منكر من أبي رية ، حيث أوهم أن قائل ذلك هو ابن قتيبة وابن قتيبة إنما أورد ذلك حكاية عن النظام المعتزلى ثم رد عليه (٦) .

(١) انظر : شرح النووى على مسلم ٢٢١/٧ ، فتح البارى ١٤٧/٤ ، الحديث والمحدثون ص ١٥٥ ، دفاع عن السنة ص ١٣٦ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٨٧

(٣) انظر : فتح البارى ١٤٦/٤ ، الأنوار الكاشفة ص ١٦٩ .

(٤) انظر : شرح النووى على مسلم ٢٢٢/٧ ، فتح البارى ١٤٧/٤ ، الأنوار الكاشفة ص ١٦٩ .

(٥) انظر : فتح البارى ١٤٨/٤ .

(٦) انظر : تأويل مختلف الحديث ص ٢٣ ، الأنوار الكاشفة ص ١٧٠ .

الحديث الثالث :

روى مسلم بسنده إلى ابن شهاب أن أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف حدثه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لاعدوى" ويحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لايورد ممرض على مصح".

قال أبو سلمة : كان أبو هريرة يحدثهما كلتيهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صمت أبو هريرة بعد ذلك عن قوله "لاعدوى" وأقام على "أن لايورد ممرض على مصح" قال فقال الحارث بن أبي ذياب (وهو ابن عم أبي هريرة) : قد كنت أسمعك ياأبا هريرة تحدثنا مع هذا الحديث حديثاً آخر . قد سكت عنه . كنت تقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لاعدوى" فأبى أبو هريرة أن يعرف ذلك . وقال : "لايورد ممرض على مصح" فما رآه الحارث في ذلك حتى غضب أبو هريرة فرطن بالحشية . فقال للحارث أتدرى ماذا قلت؟ قال : لا . قال أبو هريرة : قلت : أبيت .

قال أبو سلمة : ولعمري لقد كان أبو هريرة يحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لاعدوى" فلاأدرى أنسى أبوهريرة أو نسخ أحد القولين الآخر؟^(١)

وهنا أمور يجب التنبيه عليها :

أولاً : إن حديث "لاعدوى" : أخرجه البخارى^(٢) ،

(١) صحيح مسلم ، كتاب السلام (٣٩) ، باب لاعدوى ... الخ (٣٣) حديث رقم ٢٢٢١ ، ١٧٤٣/٤ - ١٧٤٤ .

وأخرج نحوه البخارى في صحيحه ، كتاب الطب (٧٦) ، باب لاهامة (٥٣) ، ٣١/٧ .

(٢) صحيح البخارى : من حديث أبي هريرة ، كتاب الطب (٧٦) ، باب الجذام (١٩) ١٧/٧ ، وباب لاصفر (٢٥) ، ١٨/٧ - ١٩ ، وفي باب لاهامة (٤٥) ، ٢٧/٧ ، وفي باب لاهامة (٥٣) ، ٣١/٧ ، وفي باب لاعدوى (٥٤) ، ٣١/٧ .

ومن حديث ابن عمر : كتاب البيوع ، (٣٤) ، باب شراء الإبل الهيم أوالأجرب (٣٦) ، ١٦-١٥/٣ ، كتاب الطب (٧٦) ، باب الطيرة (٤٣) ، ٢٦/٧ - ٢٧ ، وفي باب لاعدوى (٥٤) ، ٣١/٧ .

ومن حديث أنس بن مالك : كتاب الطب (٧٦) ، باب الفأل (٤٤) ، ٢٧/٧ ، وفي باب لاعدوى (٥٤) ، ٣١/٧ - ٣٢ .

ومسلم (١)، وأبو داود (٢)، والترمذى (٣)، وابن ماجه (٤)، والإمام أحمد (٥). وهو مروي عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم وهم : أبو هريرة ، وابن عمر ، وأنس بن مالك ، والسائب بن يزيد ، وجابر بن عبد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص .

فأبو هريرة لم يخطئ في رواية هذا الحديث ، وقد شاركه هذا العدد من الصحابة رضى الله عنهم .

-
- (١) صحيح مسلم . من حديث : أبي هريرة برقم ٢٢٢٠، ٢٢٢١ .
- السائب بن يزيد ، وجابر بن عبد الله برقم ٢٢٢٢ ، كتاب السلام (٣٩) ، باب لاعدوى ولا طيرة (٣٣) ، ١٧٤٢/٤ - ١٧٤٥ .
- ومن حديث أبي هريرة برقم ٢٢٢٣ ، وأنس بن مالك برقم ٢٢٢٤ ، وعبد الله بن عمر برقم ٢٢٢٥ ، في باب الطيرة والفأل (٣٤) ، ١٧٤٥/٤ - ١٧٤٧ .
- (٢) سنن أبي داود من حديث أبي هريرة برقم ٣٩١٢، ٣٩١١ ، وأنس بن مالك برقم ٣٩١٦ ، وسعد بن أبي وقاص برقم ٣٩٢١ ، كتاب الطب ، باب في الطيرة ١٧/٤ - ١٩ .
- (٣) سنن الترمذى : من حديث أنس بن مالك ، كتاب السير (٢٢) ، باب ماجاء في الطيرة (٤٧) ، برقم ١٦١٥ . وقال الترمذى : " هذا حديث حسن صحيح " ١٣٨/٤ .
- ومن حديث ابن مسعود ، كتاب القدر (٣٣) ، باب ماجاء لاعدوى ولا هامة ولا صفر (٩) ، برقم ٢١٤٣ .
- وقال : " وفي الباب عن أبي هريرة وابن عباس وأنس " . ٣٩٢/٤ .
- (٤) سنن ابن ماجه : من حديث ابن عمر في المقدمة ، باب في القدر (١٠) برقم ٨٦ ، ٣٤/١ .
- ومن حديث أنس برقم ٣٥٣٧ ، وابن عباس برقم ٣٥٣٩ ، وابن عمر برقم ٣٥٤٠ ، كتاب الطب (٣١) باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة (٤٣) ، ١١٧٠/٢ - ١١٧١ .
- (٥) مسند أحمد : من حديث : سعد بن أبي وقاص ١٨٠، ١٧٤/١ ، وابن عباس ٣٢٨، ٢٦٩/١ ، وابن مسعود ٤٤٠/١ ، وابن عمر ١٥٣، ٢٤/٢ ، وعبد الله بن عمرو ابن العاص ٢٢٢/٢ ، وأبي هريرة ٢٦٧/٢، ٣٩٧، ٤٢٠، ٤٣٤، ٤٨٧، ٥٠٧ ، وأنس ابن مالك ١٣٠/٣، ١٥٤، ١٧٣، ١٧٨، ٢٥١، ٢٧٦، ٢٧٨ ، وجابر بن عبد الله ٣٨٢، ٣١٢، ٢٩٣/٣ ، والسائب بن يزيد ٤٤٩/٣ - ٤٥٠ .

ثانياً : لقد جمع العلماء بين حديث "لاعدوى" وحديث "لايورد ممرض على مصحح" بأوجه كثيرة^(١)، أولاها ما ذكره الإمام النووي عن جمهور العلماء ، ورجحه . حيث قال :

"قال جمهور العلماء يجب الجمع بين هذين الحديثين وهما صحيحان . قالوا : وطريق الجمع أن حديث لاعدوى المراد به نفى ما كانت الجاهلية تزعمه وتعتقده أن المرض والعاهة تعدى بطبعها لا بفعل الله تعالى . وأما حديث "لايورد ممرض على مصحح" فأرشد فيه إلى مجانبته ما يحصل الضرر عنده في العادة بفعل الله تعالى وقدره . فنفى في الحديث الأول العدوى بطبعها ، ولم ينف حصول الضرر عند ذلك بقدرة الله تعالى وفعله وأرشد في الثاني إلى الاحتراز مما يحصل عنده الضرر بفعل الله وإرادته وقدره . فهذا الذي ذكرناه من تصحيح الحديثين والجمع بينهما هو الصواب الذي عليه جمهور العلماء ويتعين المصير إليه"^(٢).

ثالثاً : ليس في الحديث ما يدل دلالة صريحة على نسيان أبي هريرة . وإنما كان ذلك ظناً من أبي سلمة^(٣).

ولذا تردد في إثبات النسيان لأبي هريرة بقوله : "لاأدرى أنسى أبو هريرة أو نسخ أحد القولين الآخر" .

فسكوت أبي هريرة وإعراضه عن رواية حديث "لاعدوى" ليس من قبيل النسيان كما ظن أبو سلمة ، فيحتمل أن سكوته من باب مراعاة حال من يحدثهم كخوفه مثلاً أن يعتقد جاهل بتناقض الحديثين ، فسكت عن أحدهما ، ثم إذا أمن ذلك حدث بهما جميعاً^(٤).

(١) انظر : فتح الباري ١٠/١٦٠-١٦٢ .

(٢) شرح النووي على مسلم ١٤/٢١٣-٢١٤ .

وانظر : مشكلات الأحاديث ص ٢٣٣ ، الحديث والمحدثون ص ١٥٦ ، دفاع عن السنة ص ١٧٠ .

(٣) انظر : فتح الباري ١٠/٢٤٢ .

(٤) انظر : فتح الباري ١٠/٢٤٣ ، الحديث والمحدثون ص ١٥٧ .

ولعل أبا هريرة خشى من وقوع بعض الناس فى الشك والارتياب إذا حدث بالحديثين لعجزهم عن الجمع بينهما ، فاقصر على رواية ما يتعلق به حكم عملى منهما ، وسكت عن الآخر (١).

ولو ثبت النسخ - كما ادعى ذلك بعض العلماء - لكان الأولى بحمل سكوت أبى هريرة عليه - ولكن النسخ لا يصار إليه بالاحتمال ، والجمع بين الحديثين لم يتعذر . وقد تم الجمع بينهما ، كما أنه يشترط فى النسخ معرفة التاريخ وتأخر النسخ وذلك غير موجود هنا (٢).

رابعاً : روى البخارى بسنده إلى سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : "قلت يارسول الله ، إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه . قال : أبسط ردائك فبسطته . قال ففرق بيديه ثم قال : ضمه ، فضمته ، فما نسيت شيئاً بعده" (٣).

قال الحافظ ابن حجر :

"قوله : "فما نسيت شيئاً بعد" ... تنكير شيئاً بعد النفى ظاهر العموم فى عدم النسيان منه لكل شىء من الحديث وغيره . ووقع فى رواية ابن عيينة وغيره عن الزهرى ... "فوالذى بعثه بالحق مانسيت شيئاً سمعته منه" (٤). وفى رواية يونس عند مسلم : "فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً"

(١) انظر : الأنوار الكاشفة ص ٢٠٠، ٢٠١ .

(٢) انظر : شرح النووى على مسلم ٢١٤/١٤ ، فتح البارى ٢٤٣، ٢٤٢/١٠ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب العلم (٣) ، باب حفظ العلم (٤٢) ، ٣٨/١ .

وأخرجه بلفظ مقارب فى كتاب المناقب (٦١) ، باب (٢٨) ١٨٨/٤ .

وسعيد هو ابن أبى سعيد كيسان المقبرى ، أبو سعد المدنى ، ثقة تغير قبل موته بأربع سنين . وقال أحمد : ليس به بأس . روى عن أبيه وأبى هريرة ، وروايته عن عاتشة وأم سلمة مرسلة . وروى عنه الليث ومالك . مات سنة ١٢٣هـ وقيل ١٢٥هـ .

الجرح والتعديل ٥٧/٤ ، الكاشف ٣٦١-٣٦٢ ، تقريب التهذيب ٢٩٧/١ .
(٤) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة (٤٤) ، باب من فضائل أبى هريرة (٣٥) برقم ٢٤٩٢ . إلا أنه قال : "ثم ضمته إلى فما نسيت شيئاً سمعته منه" ١٩٣٩/٤ .

حدثني به "(١)". وهذا يقتضى تخصيص عدم النسيان بالحديث . ووقع في رواية شعيب : "فما نسيت من مقالته تلك من شيء" (٢). وهذا يقتضى عدم النسيان بتلك المقالة فقط ، لكن سياق الكلام يقتضى ترجيح رواية يونس ومن وافقه ، لأن أبا هريرة نبه به على كثرة محفوظه من الحديث فلا يصح حمله على تلك المقالة وحدها ، ويحتمل أن تكون وقعت له قضيتان : فالتى رواها الزهرى مختصة بتلك المقالة ، والقضية التى رواها سعيد المقبرى عامة "(٣)".

فعلى تقدير أن عدم نسيان أبي هريرة مقيد بتلك المقالة ، فلامانع عندئذ أن ينسى غيرها . وعلى تقدير أن عدم النسيان يعم تلك المقالة

(١) صحيح مسلم ، فى الكتاب والباب السابقين برقم ٢٤٩٢ ، ١٩٤٠/٤ .
ويونس هو ابن يزيد بن أبى النجاد ، الأيلى ، أبو يزيد مولى آل أبى سفيان .
ثقة .

روى عن الزهرى ، وفى روايته عنه وهم قليل ، وعن القاسم وعكرمة . وعنه ابن المبارك وابن وهب . مات سنة ١٥٩هـ .

انظر الجرح والتعديل ٢٤٧/٩-٢٤٩ ، الكاشف ٣٠٥/٣-٣٠٦ ، تقريب التهذيب ٣٨٦/٢

(٢) صحيح البخارى ، كتاب البيوع (٣٤) ، باب ماجاء فى قول الله تعالى : { فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض } (١) ، إلا أنه قال : "فما نسيت من مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك من شيء" . ٣/٣ .
وأخرج نحوه من رواية إبراهيم بن سعد فى كتاب الحرث والمزارعة (٤١) ، باب ماجاء فى الفرس (٢١) ، ٧٣/٣ .

وشعيب هو ابن أبى حمزة الأموى ، مولاهم ، واسم أبيه دينار ، أبو بشر الحمصى حافظ ، ثقة ، عابد .

روى عن نافع والزهرى - وكان من أثبت الناس فيه - وعن ابن المنكدر ، وعنه ابنه بشر وأبو اليمان وعلى بن عياش . مات سنة ١٦٢هـ وقيل بعدها .

انظر الجرح والتعديل ٣٤٤/٤-٣٤٥ ، الكاشف ١٢/٢ ، تقريب التهذيب ٣٥٢/١ .

(٣) فتح البارى ٢١٥/١ ، وانظر : الأنوار الكاشفة ص ١٩٦-١٩٧ .

وغيرها - وهو الذى رجحه الحافظ ابن حجر وغيره - فلامانع من أن ينسى بعض الأحاديث قبل حادثة بسط الثوب (١).

وفى كلا الحالين لاحجة لأبى رية فيما زعم .

خامساً : دعوى أبى رية أن الصحابة عملوا بما يخالف هذا الحديث ، دعوى ممنوعة ، إذ لا دليل عليها ، والمنقول عن عمر رضى الله عنه أنه رجع لخبر عبد الرحمن بن عوف وحده ، ولم ينقل عنه أنه كان على علم بخبر أسامة أو خبر "لايورد ممرض على مصح" (٢). فبطل استدلاله .

الحديث الرابع :

حديث "متى استيقظ أحدكم من نومه ... " الحديث .
وقد سبق الكلام عنه (٣).

الحديث الخامس :

روى البخارى (٤) بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : "لاتصروا الإبل والغنم ، فمن ابتاعها بعد فإنه بخير النظرين بين أن يحتلبها إن شاء أمسك وإن شاء ردها وصاع تمر " .
هذا حديث ثابت اتفق على صحته البخارى ، ومسلم (٥)،

(١) انظر : دفاع عن السنة ص ١٦٨ .

(٢) انظر : الأنوار الكاشفة ص ١٩٩ .

وقد سبق تخريج الأحاديث ، انظر من : ١٢١ ، ٧٧٤

(٣) انظر ص : ٧٦٧ ، ٧٦٨ .

(٤) صحيح البخارى ، كتاب البيوع (٣٤) ، باب النهى للبائع أن لا يحفل بالإبل والبقر والغنم (٦٤) .

وأخرج نحوه عنه رضى الله عنه فى نفس الكتاب والباب السابقين ، وفى باب إن شاء رد المصرة (٦٥) ، ٢٥/٣ - ٢٦ .

وأخرجه بمعناه من حديثه رضى الله عنه . كتاب الشروط (٥٤) ، باب الشروط فى الطلاق (١١) ، ١٧٦/٣ .

(٥) صحيح مسلم ، بلفظ مقارب من حديث أبى هريرة . وبمعناه من حديثه رضى الله عنه . كتاب البيوع (٢١) ، باب تحريم بيع الرجل على بيع أخيه (٤) ، برقم ١٥١٥

ورواه أبو داود (١)، والترمذى (٢)، والنسائى (٣)، وابن ماجه (٤)،
والدارمى (٥)، والإمامان مالك (٦)، وأحمد (٧).

= وأخرج نحوه من حديثه رضى الله عنه فى الكتاب نفسه ، وباب حكم بيع المصرة
(٧) برقم ١٥٢٤ ، ١١٥٨/٣-١١٥٩ .

(١) سنن أبى داود . بلفظ مقارب من حديث أبى هريرة . كتاب البيوع ، باب من
اشتري مصراه فكرهها برقم ٣٤٤٣ .

وأخرج نحوه : من حديثه رضى الله عنه برقم ٣٤٤٤، ٣٤٤٥ ، ومن حديث عبد
الله بن عمر برقم ٣٤٤٦ ، فى الكتاب والباب السابقين ٢٧٠/٣-٢٧١ .

(٢) سنن الترمذى . نحوه من حديث أبى هريرة . كتاب البيوع (١٢) ، باب ماجاء فى
المصرة (٢٩) برقم ١٢٥١، ١٢٥٢ وقال : "وفى الباب عن أنس ورجل من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم" .

وقال : "هذا حديث حسن صحيح . والعمل على هذا الحديث عند أصحابنا . منهم
الشافعى وأحمد وإسحاق" . ٥٥٣/٣-٥٥٤ .

وأخرجه بمعناه من حديث ابن عباس - فى الكتاب السابق ، باب ماجاء فى بيع
المحفلات (٤١) برقم ١٢٦٨ .

وقال : "وفى الباب عن ابن مسعود وأبى هريرة . وحديث ابن عباس حديث
حسن صحيح . والعمل على هذا عند أهل العلم . كرهوا بيع المحفلة . وهى المصرة
لا يخلبها صاحبها أياماً أو نحو ذلك ، ليجتمع اللبن فى ضرعها . فيغتر بها المشتري .
وهذا ضرب من الخديعة والضرر" . ٥٦٨/٣ .

(٣) سنن النسائى . نحوه من حديث أبى هريرة . كتاب البيوع ، باب المحفلة ، وباب
النهى عن المصرة ٢٢٢/٧-٢٢٣ .

(٤) سنن ابن ماجه . نحوه من حديث : أبى هريرة برقم ٢٢٣٩ ، وعبد الله بن عمر
برقم ٢٢٤٠ . وبمعناه من حديث عبد الله بن مسعود برقم ٢٢٤١ ، كتاب التجارات
(١٢) ، باب بيع المصرة (٤٢) ، ٧٥٣/٢ .

(٥) سنن الدارمى : نحوه من حديث أبى هريرة . كتاب البيوع ، باب فى المحفلات
٢٥١/٢ .

(٦) موطأ مالك . نحوه من حديث أبى هريرة ، كتاب البيوع (٣١) ، باب ماينهى عنه
من المساومة والمبايعه (٤٥) ، برقم ٩٦ ، ٦٨٣/٢-٦٨٤ .

(٧) مسند أحمد . نحوه من حديث أبى هريرة : ٢/٢٤٢، ٢٤٨، ٢٥٩، ٢٧٣، ٣١٧، ٣٨٦،
٣٩٤، ٤٠٦، ٤١٠، ٤١٧، ٤٢٠، ٤٣٠، ٤٦٣، ٤٦٥، ٤٦٩، ٤٨١، ٤٨٣، ٥٠٧ .

ومن حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ٣١٤/٤ .

وأبو هريرة لم ينفرد بروايته ، فقد شاركه جماعة من الصحابة منهم :
عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، وأنس بن مالك ،
ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يسم .
قال ابن عبد البر :

"هذا الحديث مجمع على صحته وثبوته من جهة النقل ، واعتل من لم
يأخذ به بأشياء لاحقيقة لها" (١).

وقد أخذ بهذا الحديث جمهور أهل العلم وأفتى به ابن مسعود وأبو
هريرة ، ولم يخالفهما أحد من الصحابة ، وقال به عدد من التابعين لا يحصى .
وخالف في ذلك أكثر الحنفية ، وخالفهم البعض فقالوا بقول الجمهور (٢).
ومن المعلوم أن النص متى ثبتت صحته صار أصلاً من أصول الشرع
فلا يعارض بقياس ولا عقل .

قال ابن السمعاني :

"متى ثبت الخبر صار أصلاً من الأصول ولا يحتاج إلى عرضه على أصل
آخر ، لأنه إن وافقه فذاك ، وإن خالفه لم يجوز رده ، لأنه رد للخبر بالقياس
وهو مردود بالاتفاق ، فإن السنة مقدمة على القياس بلا خلاف" (٣).

وقد نقل عن كبار الصحابة رضى الله عنهم تركهم القياس لخبر
الواحد ، وهذا الذى عليه جماهير العلماء سلفاً وخلفاً (٤).

وفى مقدمة أولئك العلماء أئمة المذاهب فإنهم ماكانوا يقدمون على
الحديث رأياً أو قياساً . بل كانوا يقدمون الحديث الضعيف على القياس ،
ولم يشذ عن ذلك أبو حنيفة رحمه الله (٥).

قال ابن القيم :

(١) التمهيد ، ٢٠٨ / ١٨

(٢) انظر : فتح الباري ٣٦٤ / ٤ ، شرح النووي على مسلم ١٦٧ / ١٠ .

(٣) فتح الباري ٣٦٦ / ٤ .

(٤) انظر : دفاع عن السنة ص ١٤٣ .

(٥) انظر : أعلام الموقعين ٣٣ ، ٣٢ / ١ .

"وأصحاب أبي حنيفة رحمه الله مجمعون على أن مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث عنده أولى من القياس والرأى ، وعلى ذلك بنى مذهبه كما قدم حديث القهقهة مع ضعفه على القياس والرأى" (١).

وقول بعض الحنفية إن حديث المصراة مخالف للقياس ، ولذا تركوا العمل به ، قول فاسد ، وزعم مردود .

وقد أورد الإمام ابن القيم رحمه الله شبهاتهم حول الحديث ومازعموه من مخالفته القياس ، ثم أجاب عن ذلك بأدلة دامغة تدحض تلك الشبه ، وتبين أن الحديث موافق للقياس ، ليس معارضاً له بحال من الأحوال (٢).

(١) اعلام الموقعين ٨١/١ .

وحديث القهقهة : رواه عبد الرزاق عنه هشام بن حسان عن حفصة بنت سيرين عن أبي العالية قال : "كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى بأصحابه يوماً ، فجاء رجل ضرير البصر ، فوقع في ركية فيها ماء ، فضحك بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من ضحك فليعد وضوءه ، ثم ليعد صلاته" .

وروى نحوه من طريق معمر عن قتادة عن أبي العالية .

باب الضحك والتبسم في الصلاة برقم ٣٧٦٠، ٣٧٦١ ، ٣٧٦/٢ .

وذكر الشيخ شعيب الأرناؤوط أن إسناده على إرساله صحيح . سير أعلام النبلاء ٦٢١/٢ الهامش .

وقد أخرج الدارقطني مجموعة كبيرة من أحاديث إعادة الوضوء والصلاة من القهقهة ، وبين ما فيها من علل . وأنه لم يثبت منها شيء مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

انظر : سنن الدارقطني ، كتاب الطهارة ، باب أحاديث القهقهة في الصلاة وعللها ١٦١/١-١٧٥ .

وذكر الزيلعي أن تلك الأحاديث وردت من طرق مسنده : عن أبي هريرة ، وابن عمر ، وأنس ، وجابر ، وعمران بن الحصين ، وأبي المليح .

ومرسلة : وأشهرها عن أبي العالية ، ومعبد الجهني ، وإبراهيم النخعي ، والحسن البصري . ثم بين ما في تلك الأحاديث من علل وضعف . انظر نصب الراية ٤٧/١-٥٤ .

(٢) انظر : اعلام الموقعين ٤٧٤/١-٤٧٧ . وانظر : القياس في الشرع الإسلامي ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٦-٣٧ .

وفي جوابه رحمه الله جواب لما استشكله أحمد أمين من أن حلب اللين تعد ، وضمان التعدي يكون بالمثل أو القيمة ، والصاع من التمر ليس بواحد منها ، وهى شبهة تمسك بها من الأحناف من رد الحديث . فقال في جوابه :

"وأما اللين هاهنا . فإنه كان موجوداً حال العقد ، فهو جزء من المعقود عليه ، والشارع لم يجعل الصاع عوضاً عن اللين الحادث ، وإنما هو عوض عن اللين الموجود وقت العقد في الضرع . فضمانه هو محض العدل والقياس . وأما تضمينه بغير جنسه ففي غاية العدل ، فإنه لا يمكن تضمينه بمثله البتة . فإن اللين في الضرع محفوظ ، غير معرض للفساد ، فإذا حلب صار عرضة لحمضه وفساده ، فلو ضمن اللين الذى كان في الضرع بلبن مخلوب في الإناء ، كان ظلماً تنزه الشريعة عنه .

وأيضاً فإن اللين الحادث بعد العقد اختلط باللين الموجود وقت العقد فلم يعرف مقداره حتى يوجب نظيره على المشتري ، وقد يكون أقل منه أو أكثر ...

وأيضاً فلو وكلناه إلى تقديرهما أو تقدير أحدهما لكثير النزاع والخصام بينهما، ففصل الشارع الحكيم صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله النزاع وقدره بحد لا يتعديانه قطعاً للخصومه ، وفصلاً للمنازعة . وكان تقديره بالتمر أقرب الأشياء إلى اللين .

... فهو يقتات به بلاصنعة ولا علاج بخلاف الخنطة والشعير والأرز . فالتمر أقرب الأجناس التى كانوا يقتاتون بها إلى اللين" (١).

والزعم بأن أبا هريرة غير فقيه، فلا يؤخذ بما رواه مخالفاً للقياس . زعم واه لا يقل ضعفاً عما سبق .

ولذا قال الحافظ ابن حجر :

(١) أعلام الموقعين ١/٤٧٦-٤٧٧ . وانظر : شرح النووى على مسلم ١٠/١٦٧ .

"وهو كلام آذى قائله به نفسه ، وفي حكايته غنى عن تكلف الرد عليه" (١).

وفي الحقيقة أن أبا هريرة رضى الله عنه كان من فقهاء الصحابة وعلمائهم ، وكيف لا يكون كذلك وهو الذى لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من ثلاث سنوات فحفظ من أقواله وشاهد من أفعاله ما لم يحفظه غيره ويشهده سواه ، وقد عمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم طويلاً ، مما أتاح له أن يقف على كثير من المسائل والفتاوى التى كان يفتى بها كبار الصحابة رضى الله عنهم .

وقد كان من علماء الصحابة من يرجع إليه فى الفتوى .

روى مالك بسنده إلى معاوية بن أبى عياش الأنصارى ، أنه كان جالساً مع عبد الله بن الزبير ، وعاصم بن عمر بن الخطاب . قال : فجاءهما محمد بن إياس بن البكير . فقال : «إن رجلاً من أهل البادية طلق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها . فماذا تريان؟ فقال عبد الله بن الزبير : إن هذا الأمر مالنا فيه قول . فاذهب إلى عبد الله بن عباس ، وأبى هريرة . فإني تركتهما عند عائشة . فسلهما . ثم ائتنا فأخبرنا . فذهب فسألهما . فقال ابن عباس لأبى هريرة : أفته ياأبا هريرة ، فقد جاءتك معضلة ، فقال أبو هريرة الواحدة تبينها ، والثلاثة تحرمها حتى تنكح زوجاً غيره . وقال ابن عباس مثل ذلك" (٢).

(١) فتح البارى ٣٦٤/٤ .

(٢) الموطأ : كتاب الطلاق (٢٩) ، باب طلاق البكر (١٥) برقم ٣٩ ، ٥٧١/٢ . وذكر الأرنؤوط أن إسناده صحيح . انظر سير أعلام النبلاء ٦٠٧/٢ الهامش . وانظر : جامع بيان العلم ٢٠١/٢ .

ومعاوية : هو ابن أبى عياش الزرقى ، أخو النعمان ، مدنى روى عن محمد بن إياس بن البكير . ووهب بن الجند بن قيس ، وروى عنه بكير بن عبد الله بن الأشج ، ومحمد بن إسحاق .

الجرح والتعديل ٣٨٠/٨ .

وعاصم هو ابن عمر بن الخطاب العدوى . ولد فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم سمع أباه . وعنه ابنه حفص وعبيد الله وعروة . مات سنة سبعين وقيل بعدها =

فقد دفع ابن عباس رضى الله عنهما الفتوى إلى أبى هريرة لما كان يعلمه عنه من فقهه وسعة علمه .
ولذا قال الذهبي :

"احتج المسلمون قديما وحديثا بحديثه ، لحفظه وجلالته وإتقانه وفقهه ، وناهيك أن مثل ابن عباس يتأدب معه ، ويقول : افت يا أبا هريرة" (١).
وقد ذكره ابن سعد في النفر من الصحابة الذين صارت إليهم الفتوى بالمدينة . وهم ابن عباس ، وابن عمر ، وأبو سعيد الخدرى ، وأبو هريرة ، وجابر (٢).

كما ذكره ابن حزم في المتوسطين من الصحابة رضى الله عنهم ممن روى عنهم الفتيا (٣).

وذكر ذلك أيضا ابن القيم (٤).

بل من الأحناف من نص على فقه أبى هريرة .
قال ابن الهمام في التحرير : "وأبو هريرة فقيه" (٥).
وقال شارحه ابن أمير الحاج :

"لم يعدم شيئا من أسباب الاجتهاد ، وقد أفتى في زمن الصحابة ، ولم يكن يفتى في زمنهم إلا مجتهد ، وروى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من بين صحابى وتابعى ، منهم ابن عباس ، وجابر ، وأنس ، وهذا هو الصحيح" (٦).

= الجرح والتعديل ٣٤٦/٦ ، الكاشف ٥١/٢ ، تقريب التهذيب ٣٨٥/١ .
ومحمد هو ابن إياس بن البكير ، الليثى المدنى ، ثقة ، روى عن أبى هريرة وجماعة . وعنه أبو مسلمة وغيره . وهم من ذكره في الصحابة .
الكاشف ٢٣/٣ ، تقريب التهذيب ١٤٦/٢ .

- (١) سير أعلام النبلاء ٦٠٩/٢ .
- (٢) انظر : الطبقات الكبرى ٣٧٢/٢ .
- (٣) انظر : الإحكام في أصول الأحكام ٩٢/٥ .
- (٤) انظر : أعلام الموقعين ١٣/١ .
- (٥) التحرير في أصول الفقه ص ٣١٩ طبعة مصطفى الحلبي .
- (٦) تيسير التحرير ٥٣/٣ طبعة مصطفى الحلبي .

وقد عمل الصحابة رضى الله عنهم والتابعون وأئمة المذاهب بحديث
أبى هريرة فى كثير من المسائل التى تخالف القياس^(١).
والحنفية حين توقفوا فى بعض أحاديث أبى هريرة لم يتهموا بالكذب ،
ولاطعنوا فى عدالته ، وإنما كان توقفهم بناء على أصل من أصولهم لم يكن
عندهم باتفاق . وهم مع ذلك محجوجون فى هذا . والتفرقة بين الراوى
الفقيه وغيره أمر مستحدث لاعهد للسلف به^(٢).
ومن أقوى ما يستدل به على الأحناف هنا أن ابن مسعود رضى الله
عنه ، وهو ممن قال الأحناف بأنه فقيه ، ذهب إلى القول بحديث المصراة .
ولذا أورد البخارى قوله عقب حديث أبى هريرة . فقد روى بسنده إليه
رضى الله عنه أنه قال : " من اشترى شاة محفلة فردها فليرد معها صاعاً " ^(٣).
وذلك ملحظ فقهى دقيق من الإمام البخارى رحمه الله .

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ٢/٦٢٠، ٦٢١ .

(٢) انظر : دفاع عن السنة ص ١٤٣ .

(٣) صحيح البخارى : كتاب البيوع (٣٤) ، باب النهى للبائع أن لا يحفل الإبل (٦٤)
٢٦/٣ .

وأخرج نحوه فى باب النهى عن تلقى الركبان (٧١) ، ٢٨/٣ .
والمحفلة هى : المصراة .

انظر : الفائق ١/٢٩٦ ، النهاية ١/٤٠٨-٤٠٩ .

(٨) الصحيحان :

قال الشيخ محمد رشيد رضا :

"ودعوى وجود أحاديث موضوعة في أحاديث البخارى المسنده بالمعنى الذى عرفوا به الموضوع في علم الرواية ممنوعة لايسهل على أحد إثباتها . ولكنه لا يخلو من أحاديث قليلة في متونها نظر قد يصدق عليه بعض ماعدوه من علامات الوضع ... وإن في البخارى أحاديث في أمور العادات والغرائز ليست من أصول الدين ولا فروعه ... فإذا تأملت هذا وذاك علمت أنه ليست من أصول الإيمان ولا من أركان الإسلام أن يؤمن المسلم بكل حديث رواه البخارى مهما يكن موضوعه ، بل لم يشترط أحد في صحة الإسلام ولا من معرفته التفصيلية الاطلاع على صحيح البخارى والإقرار بكل ما فيه - وعلمت أيضاً أن المسلم لا يمكن أن ينكر حديثاً من هذه الأحاديث بعد العلم به إلا بدليل يقوم عنده على عدم صحته متناً أو سنداً ، فالعلماء الذين أنكروا صحة بعض تلك الأحاديث لم ينكروها إلا بأدلة قامت عندهم قد يكون بعضها صواباً وبعضها خطأ ، ولا يعد أحدهم طاعناً في دين الإسلام" (١).

وقد تحدث محمود أبو رية عن البخارى ومسلم وصححيهما مدلاً على أنه لا يعتمد على كل ما فيهما وأن بهما أحاديث ضعيفة وأن العلماء انتقدوا كثيراً مما فيهما (٢).

ثم قال :

"إنهم - أى العلماء - أعلوا أحاديث كثيرة مما رواه البخارى ومسلم وكذلك نجد في شرح ابن حجر للبخارى والنووى لمسلم استشكالات كثيرة ، وألف عليهما مستخرجات (٣) متعددة ، فإذا كان البخارى ومسلم - وهما

(١) مجلة المنار : المجلد ٢٩ ، ص ١٠٤-١٠٥ . وانظر ص ٥١ .

(٢) أضواء على السنة المحمدية ص ٢٧٣-٢٨٥ .

(٣) المستخرج : أن يأتى مصنف إلى كتاب فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب ، فيجتمع معه في شيخه أو من فوقه .
انظر : الباعث الحثيث ص ٢٥ .

الصحيحان - كما يسمونها - يحملان كل هذه العلل والانتقادات وقيل فيهما كل هذا الكلام - دع ما وراء ذلك من تسرب بعض الإسرائيليات إليهما ، وخطأ النقل بالمعنى ، وغير ذلك في روايتهما - فترى ماذا يكون الأمر في غير البخارى ومسلم من كتب الأحاديث" (١) .

وقال : "الأحاديث الصحيحة مفيدة لغلبة الظن الذى عليه مدار الصحة ... ولا فرق فى ذلك بين الشيخين البخارى ومسلم ، هذا هو الصحيح ، خلافاً لمن قال (إن خير الواحد يوجب العلم) ... ولا يلزم من إجماع الأمة على العمل بما فى البخارى ومسلم ، إجماعهم على القطع بأنه كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا على أن مافيهما مجزوم بصحة نسبته إلى النبى ، وأن تقدير مافيهما إنما كان للذين أوتوا بعدهما" (٢) .

وقال الشيخ المودودى :

"الكتاب الذى وصلت إلينا محتوياته بأسانيد صحيحة غاية الصحة هو صحيح البخارى ، وذلك لأن مؤلفه قام بتمحيص أسانيده أكثر من تمحيص أى مؤلف آخر . وهذا الحكم عليه بالصحة بناحية الإسناد فقط ، وهو صحيح من هذا الجانب قطعاً . أما نقد أحاديثه بالنظر إلى الدراية فقد أشرت آنفاً إلى أنه لم يكن يتعلق بفن أهل الدراية إلى حد كبير . ولهذا لا يصح الادعاء بأن تقبل جميع الأحاديث الواردة فى صحيح البخارى كما هى من غير النقد والتمحيص" (٣) .

وقال فى خطاب له فى (١٥ مايو سنة ١٩٥٥م) :

"لا يقول الرجل الشريف إن مجموعة الأحاديث التى وصلت إلينا صحيحة قطعاً حتى إن صحيح البخارى الذى قيل فى حقه أصح الكتب بعد كتاب الله ، لا يقول أحد مع غاية علوه فى الحديث أن مجموع ستة آلاف

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ٢٩٠-٢٩١ .

(٢) المرجع نفسه ص ٣٥١ .

(٣) موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوى ص ١٥ .

نقلًا عن "الرسائل والمسائل ٢/٤٣-٤٤ ط/ثالثة بدلهى ١٩٧٩م .

من الأحاديث التي فيه ، كلها صحيحة" (١).

وقال الشيخ محمد الغزالي :

"لو تقينا هذا العدد - أى عدد ما في البخارى من أحاديث - من بضع
أحاديث قليلة ماذا سيجرى سواء كان هذا في البخارى أو مسلم" (٢).

أمثلة لما طعن فيه من أحاديث الصحيحين :

قال أحمد أمين :

"نرى البخارى نفسه على جليل قدره ودقيق بحثه يثبت أحاديث دلت
الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصاره على نقد
الرجال ، كحديث "لا يبقى على ظاهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة" ،
وحديث "من اصطبح كل يوم سبع تمرات من عجوة لم يضره سم ولا سحر
ذلك اليوم إلى الليل" (٣).

(١) موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوى ص ٣٧ .

نقلًا عن جريدة الاعتصام الصادرة في ٢٧ مايو سنة ١٩٥٥م و ٣ يونيو سنة ١٩٥٥م

(٢) جريدة "المسلمون" السنة السادسة - العدد (٢٧٦) ٢٣-٢٩ شوال ١٤١٠هـ / ١٨-٢٤

مايو ١٩٩٠م ص ١١ .

(٣) فجر الإسلام ص ٢١٨ . يأتي تخريج الحديثين والكلام عنهما .

الجواب على ذلك :

لقد سبق الحديث عن الصحيحين من حيث منزلتهما بين كتب السنة الأخرى ، وصحة أحاديثهما ، وأنهما في أعلى مراتب الصحيح ، وماتفيده تلك الأحاديث من علم^(١).

وبقيت شبه في أقوال هؤلاء المحدثين انتخب منها ما أرى أنه بحاجة إلى رد وإبطاله . وأجمل ذلك فيما يلي :

(١) إن العلماء انتقدوا كثيراً من أحاديثهما ، فلا يعتمد على كل مافيهما لما ورد بهما من أحاديث ضعيفة .

(٢) يوجد في شرح ابن حجر والنووي اشكالات كثيرة عليهما .

(٣) ألف عليهما مستخرجات متعددة .

(٤) تسربت بعض الإسرائيليات إليهما .

(٥) صحة البخاري من حيث الأسانيد ، ولا يتعلق بفن الدراية ، ولذا تحتاج أحاديثه إلى نقد وتمحيص من ناحية متونها .

ويجاب عن ذلك :

(١) لا شك أن صحيح البخاري ومسلم أصح كتب الحديث بعد كتاب الله تعالى ، ولا مطعن في صحة حديث فيهما .

وقد تلقت الأمة هذين الكتابين بالقبول علماً وعملاً . وبذلك صرح كثير من العلماء .

قال النووي رحمه الله :

"اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم ، وتلقتهما الأمة بالقبول ، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة"^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

(١) انظر ص : ٦٠٧ ، ٦٠٨

(٢) شرح النووي على مسلم ١٤/١ .

"فليس تحت أديم السماء كتاب أصح من البخارى ومسلم بعد القرآن" (١).

وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله :

"وهما أصح الكتب بعد القرآن الكريم، وهما اللذان لامطعن في صحة حديث من أحاديثهما عند العارفين من أهل العلم" (٢).

ولا يحق لأحد أن يقدر فيهما أو يهون من أمرهما ، وإلا كان من أهل الابتداع المخالفين لما عليه أمة الإسلام .

قال الدهلوى رحمه الله :

"أما الصحيحان فقد اتفق المحدثون على أن جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع ، وأنهما متواتران إلى مصنفيهما ، وأنه كل من يهون أمرهما فهو مبتدع متبع غير سبيل المؤمنين" (٣).

ومن وجد حديثاً فيهما أو في أحدهما فعليه أن يأخذه مأخذ التسليم ، ولا يبحث في صحته .

قال النووى رحمه الله :

"وإنما يفترق الصحيحان وغيرهما من الكتب في كون ما فيهما صحيحاً لا يحتاج إلى النظر فيه بل يجب العمل به مطلقاً وما كان في غيرهما لا يعمل به حتى ينظر وتوجد فيه شروط الصحيح" (٤).

ومن المعلوم أن بعض العلماء كالدارقطنى وغيره انتقدوا بعض أحاديث الصحيحين ، وتكلموا فيها (٥).

وانتقادهم لم يكن من قبل الطعن فيها بالضعف وعدم الصحة ، وإنما كان من قبل أنها لم تبلغ الدرجة العليا في الصحة التى اشتراطها صاحبها الصحيحين .

(١) الفتاوى ٧٤/١٨ .

(٢) مشكلات الأحاديث ص ١٥٨ .

(٣) حجة الله البالغة ٢٨٢/١ .

(٤) شرح النووى على مسلم ٢٠/١ .

(٥) انظر : مقدمة ابن الصلاح مع التقييد والإيضاح ص ٤٢ .

ولذا قال النووى :

"قد استدرك جماعة على البخارى ومسلم أحاديث أخلا بشرطهما فيها ونزلت عن درجة ماالتزمها" (١).

وقال الشيخ أحمد شاکر :

"الحق الذى لامرية فيه عند أهل العلم بالحديث من المحققين ، وممن اهتدى بهديهم وتبعهم على بصيرة من الأمر : أن أحاديث الصحيحين صحيحة كلها ، ليس فى واحد منها مطعن أو ضعف . وإنما انتقد الدارقطنى وغيره من الحفاظ بعض الأحاديث . على معنى أن ماانتقدوه لم يبلغ فى الصحة الدرجة العليا التى التزمها كل واحد منهما فى كتابه . وأما صحة الحديث فى نفسه فلم يخالف أحد فيها . فلايهولنك إرجاف المرجفين . وزعم الزاعمين أن فى الصحيحين أحاديث غير صحيحة . وتتبع الأحاديث التى تكلموا فيها ، وانقدها على القواعد الدقيقة التى سار عليها أئمة أهل العلم ، واحكم عن بينة والله الهادى إلى سواء السبيل" (٢).

وقد أجاب على هذه الأحاديث المنتقدة الحافظ ابن حجر فى مقدمة الفتح ، والإمام النووى فى شرحه على مسلم (٣).

قال الحافظ ابن حجر :

"والجواب عنه على سبيل الإجمال أن نقول : لاريب فى تقديم البخارى ثم مسلم على أهل عصرهما ومن بعده من أئمة هذا الفن فى معرفة الصحيح والمعلل ... فإذا عرف وتقرر أنهما لايجرجان من الحديث إلا مالاغلة له أو له علة إلا أنها غير مؤثرة عندهما فبتقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضاً لتصحيحهما ولاريب فى تقديمهما فى ذلك على

(١) شرح النووى على مسلم ٢٧/١ .

(٢) الباعث الحثيث ص ٣٣ .

وانظر : مسند أحمد بتحقيق أحمد شاکر ١٢/١٢٤، ١٢٦ الهامش ، دفاع عن السنة ص ٢٧٨ .

(٣) انظر : دفاع عن السنة ص ٢٧٨ .

غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة . وأما من حيث التفصيل ... " (١) .
ثم أجاب عنها حديثاً حديثاً ثم قال في الختام :

"هذا جميع ماتعقبه الحفاظ النقاد العارفون بعلم الأسانيد ، المطلعون على خفايا الطرق ... وليست كلها قاذحة بل أكثرها الجواب عنه ظاهر والقدح فيه مندفع وبعضها الجواب عنه محتمل واليسير منه في الجواب عنه تعسف كما شرحته مجملًا في أول الفصل وأوضحته مبيناً أثر كل حديث منها فإذا تأمل المصنف ما حررته من ذلك عظم مقدار هذا المصنف في نفسه وجل تصنيفه في عينه وعذر الأئمة من أهل العلم في تلقيه بالقبول والتسليم وتقديمهم له على كل مصنف في الحديث والقديم وليس سواء من يدفع بالصدر فلا يأمن دعوى العصبية ، ومن يدفع بيد الإنصاف على القواعد المرضية ، والضوابط المرعية" (٢) .

(٢) إن استشكل بعض الأحاديث الصحيحة لا يدل على بطلانها ، إذ الناس تختلف مداركهم وأفهامهم وخاصة إذا كان المستشكل يتعلق بأمر غيبي لقصور علم الناس في جانب علم الله تعالى وحكمته .

وفي القرآن آيات كثيرة يشكل أمرها على كثير من الناس ، والقرآن كله حق لا يتطرق إليه باطل . فهل يعد ذلك طعنًا في القرآن؟

ثم إن الإشكالات التي ترد في نصوص الكتاب والسنة ، لم تأت عفواً ، وإنما هو أمر قصد ، ليلو الله به عباده فيمحص مافي النفوس ويمتحن مافي الصدور ، ويفتح بذلك باب جهاد علمي لعلماء الأمة ليتسابقوا في الفوز بحل ما يشكل وينالوا بذلك أرفع الدرجات وأعلى المقامات (٣) .

وهل ما استشكله النووي أو الحافظ ابن حجر حكما عليه بالضعف وعدم الصحة حتى يتخذ ذلك وسيلة للطعن في الصحيحين؟ أم هو الادعاء

(١) مقدمة فتح الباري ص ٣٤٦-٣٤٧ .

(٢) المرجع نفسه ص ٣٨٣ .

(٣) انظر : الأنوار الكاشفة ص ٢٢٣، ٢٥٩ .

الباطل الذى لا يمت إلى الحقيقة بصلة؟ وقد رأينا كيف دافع النووى وابن حجر عن أحاديث الصحيحين بحيث لم يدعيا لطاعن فيهما مجالا .
(٣) وجود المستخرجات على الصحيحين لا يؤدى إلى طعن فيهما ، ولا قدح فى أحاديثهما .

وقد هدف مؤلفوها إلى تقديم خدمات جليلة للصحيحين ، لما تحويه المستخرجات من فوائد جمة ، ومنافع عدة ، ومن تلك الفوائد :
علو الإسناد ، الزيادة فى الصحيح ، بيان الرواية عن المختلط ، بيان الرواية عن المدلس ، تعيين المبهم^(١) ، تقوية الحديث بكثرة الطرق للترجيح ، تمييز المهمل^(٢) ، وكل علة أعل بها حديث فى أحد الصحيحين جاءت رواية المستخرج سالمة منها ، وغير ذلك من الفوائد^(٣) .

فلا أدري كيف اعتبر أبو رية وجود المستخرجات على الصحيحين عللاً تقدح فى أحاديثهما وتطعن فى صحتها؟
فلعله جهل موضوع المستخرجات ، أو فهمه فهماً خاطئاً ، ولذلك جاءت عبارته منافية للحق ، مجافية للصواب ، دالة على ضحالة علم صاحبها وقلة معرفته .

(٤) لقد جاء الإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث عن بنى إسرائيل ورواية أخبارهم .

روى البخارى بسنده إلى عبد الله بن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ، ومن

(١) هو من أبهم اسمه فى المتن أو الإسناد من الرواة أو ممن له علاقة بالرواية .
تيسير مصطلح الحديث ص ٢١٣ .

(٢) هو : أن يروى الراوى عن شخصين متفقين فى الاسم فقط أو مع اسم الأب أو نحو ذلك ، ولم يتميزا بما يخص كل واحد منهما .
تيسير مصطلح الحديث ص ٢١٢ .

(٣) انظر : النكت على كتاب ابن الصلاح ٣٢١/١ - ٣٢٣ ، تدريب الراوى ١١٤/١ - ١١٦

كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (١).

قال الحافظ ابن حجر في معنى قوله : "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" :

"أى لاضيق عليكم فى الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه صلى الله عليه وسلم الزجر عن الأخذ عنهم والنظر فى كتبهم ثم حصل التوسع فى ذلك ، وكأن النهى وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة ، ثم لما زال المحذور وقع الإذن فى ذلك لما فى سماع الأخبار التى كانت فى زمانهم من الاعتبار" (٢).

وقد عقد الإمام ابن كثير رحمه الله فى كتابه "البداية والنهاية" باباً فى بيان الإذن فى الرواية عن أخبار بني إسرائيل . ثم ساق مجموعة من الأحاديث التى تدل على ذلك .

ثم قال :

"إذا تقرر جواز الرواية فهو محمول على ما يمكن أن يكون صحيحاً ، فأما ما يعلم أو يظن بطلانه لمخالفته الحق الذى بأيدينا عن المعصوم فذاك متروك مردود لا يعرج عليه ، ثم مع هذا كله لا يلزم من جواز روايته أن نعتقد صحته لما رواه البخارى ... عن أبى هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون" (٣).

(١) صحيح البخارى ، كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٥٠) ، ١٤٥/٤ .

(٢) فتح البارى ٤٩٨/٦ .

(٣) البداية والنهاية ١٣٣/٢ . =

وقد ذكر في القرآن كثير من أخبار بني إسرائيل منها ما هو حق ومنها ما هو باطل مع بيان بطلانه (١).

وقد تلقى الصحابة الإسرائيليات ، ولكنهم لم يأخذوها مسلمين بصحة كل ما جاء فيها ، وإنما كانوا يزنونها بميزان الشرع ، فما وافق القرآن والسنة صدقوه ، وما خالفهما كذبوه ، وما لم يأت تصديقه أو تكذيبه فيهما ، لم يكذبوه ولم يصدقوه ووكّلوا فيه العلم إلى الله (٢).

وقد كان عمر رضى الله عنه يستمع لكعب الأحبار فيما ينقله عن أهل الكتاب ويستحسن بعض ما ينقله ، لما يصدقه من الحق (٣).

ورواية الإسرائيليات لا خطر منها إذا وزنت بميزان الشرع (٤).

وقد بذل علماء الحديث جهداً مشكوراً في الكشف عن الإسرائيليات وتمييز صحيحها من سقيمها ، واحتاطوا في روايتها كل الاحتياط ، وبلغوا غاية التحري في روايتها ، ومن بالغ احتياطهم وتحريمهم أن ذكروا أن قول الصحابي فيما لا مجال للرأى فيه له حكم الرفع ، شريطة ألا يكون معروفاً بالأخذ عن أهل الكتاب (٥).

ولاشك أن البخارى ومسلماً كان لهما القدح المعلن في تمييز الصحيح من الضعيف من الأخبار ، فلم يوردا في صحيحيهما إلا ما ثبتت روايته ،

= والحديث : في صحيح البخارى ، كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة البقرة (٢) ، باب {قولوا آمنا بالله} [١١] ، ١٥٠/٥ . وفي كتاب الاعتصام (٩٦) ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء" (٢٥) ، ١٦٠/٨ . وفي كتاب التوحيد (٩٧) ، باب ما يجوز من تفسير التوراة (٥١) ، ٢١٣/٨ . إلا أنه لم يذكر الآية بتمامها في هذه المواضع . وأخرج نحوه في كتاب الشهادات (٥٢) ، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها (٢٩) ، ١٦٣/٣ .

(١) انظر : الأنوار الكاشفة ص ١٢١ .

(٢) انظر : الحديث والمحدثون ص ١٨٥ .

(٣) انظر : البداية والنهاية ١٣٤/٢ .

(٤) انظر : الحديث والمحدثون ص ١٨٥ .

(٥) انظر : دفاع عن السنة ص ٨٤ .

وصح مخرجه ، ووافقه الشرع أو سكت عن إبطاله .
 فلا يعد مذكراه قدحاً في الصحيحين أو طعنأ فيهما خلافاً لما زعمه أبو
 رية ومن كان على شاكلته .

(٥) لم يكن البخارى رحمه الله محدثاً فحسب ، بل كان من الأئمة
 المجتهدين الذين سلمت الأمة بإمامتهم وسبقهم غيرهم . وأقوى دليل على
 فقهه واجتهاده كتابه الصحيح الذى بوبه على أبواب العلم والفقه ، وقصد
 من ذلك أن يبرز فقه الحديث وفوائده ، ولذا قطع الأحاديث على حسب
 الاستدلالات الفقهية ، وكررها فى مواضع كثيرة حسب الاستنباطات والفوائد
 وذكر فى تراجم الأبواب كثيراً من الآيات والأحاديث وفتاوى الصحابة
 والتابعين ، ليبين فقه الباب والاستدلال له ، حتى ذاع بين العلماء أن فقه
 البخارى فى تراجمه (١) .

وقد شهد له معاصروه وشيوخه برسوخ قدمه فى الفقه وبروزه فيه ،
 وتقدمه على أقرانه .

قال يعقوب بن إبراهيم الدورقي ونعيم بن حماد الخزازي :
 "محمد بن إسماعيل البخارى فقيه هذه الأمة" (٢) .

(١) انظر : معالم السنة النبوية ص ٢٠٠ ، الحديث والمحدثون ص ٣٨٠ .

(٢) مقدمة فتح البارى ص ٤٨٣ .

ويعقوب هو ابن إبراهيم بن كثير بن أفلح الدورقي ، البغدادي ، العبدى مولاهم
 الحافظ ، ثقة ، روى عن هشيم والد داودى . وعنه المحاملى وأبو زرعة . له مسند
 مات سنة ٢٥٢ هـ .

الجرح والتعديل ٢٠٢/٩ ، الكاشف ٢٩٠/٣ ، تقريب التهذيب ٣٧٤/٢ .

وقال حاشد بن إسماعيل (١):

"رأيت إسحاق بن راهويه جالساً على المنبر ، والبخارى جالس معه ، وإسحاق يحدث ، فمر بحديث فأنكره محمد فرجع إسحاق إلى قوله ، وقال : يامعشر أصحاب الحديث انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن البصرى لاحتاج إليه لمعرفة بالحديث وفقهه" (٢). وأقوال العلماء في ذلك كثيرة جداً .

ولذا جاء كتابه الصحيح كتاب حديث وفقه واستنباط ، غير مقتصر على سرد الأحاديث بل يتعدى ذلك إلى فقهه وشرحه ودراسته (٣). ولذا تناوله العلماء بالشروح والتأليف حول رجاله وألفاظه ومعانيه ، حتى فاق ما ألف فيه على خمسمائة كتاب (٤).

فزعم المودودي أن مؤلفه قام بتمحيص أسانيده ولم يعتن بفن أهل الدراية ، زعم بجانب للصواب لا يلتفت إليه ، ولا يعول عليه . وزعمه أن أحاديثه لا تقبل من غير نقد ولا تمحيص ، زعم أوهى من سابقه . إذ إن الأمة تلقت تلك الأحاديث بالتسليم والقبول . وفي الأمة علماء أجلاء يفوقون المودودي علماً وفقهاً واستنباطاً ، وقد مرت بهم تلك الأحاديث ، ووقفوا عليها ، فلم يكن موقفهم موقف المودودي منها . وأما ما قدحوا به في الصحيحين من أحاديث ، يجاب عنها بالآتي :

(١) حاشد بن إسماعيل بن عيسى الغزال ، من أقران البخارى ، روى عنه الفربرى ومحمد بن إسحاق السمرقندى وغيرهم . قال أبو جعفر المسدى : حفاظ بلدنا ثلاثة فذكره منهم . مات سنة ٢٠١هـ وقيل ٢٠٢هـ .

لسان الميزان ١٦٢/٢ - ١٦٣ .

(٢) مقدمة فتح البارى ص ٤٨٣ .

(٣) انظر : معالم السنة النبوية ص ٢٠٤ .

(٤) انظر : كشف موقف الغزالى من السنة ص ١٢٧ .

الحديث الأول :

روى البخارى^(١) بسنده إلى عبد الله بن عمر قال : صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم العشاء في آخر حياته ، فلما سلم قام فقال : "أرأيتم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد" .
ورواه مسلم عن عبد الله بن عمر^(٢) ، وجابر بن عبد الله^(٣) ، وأبي سعيد الخدري^(٤) .

والحديث عند أبي داود^(٥) ، والترمذي^(٦) ، والإمام أحمد^(٧) ،

وغيرهم

وقد بين مراد النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الحديث ما جاء في رواية عبد الله بن عمر رضى الله عنهما في الصحيحين .

(١) صحيح البخارى ، كتاب العلم (٣) ، باب السمر في العلم (٤١) ، ٣٧/١ ، وكتاب مواقيت الصلاة (٩) ، باب ذكر العشاء والعتمة (٢٠) ، ١٤١/١ ، ولفظ مقارب في باب السمر في الفقه (٤٠) ، ١٤٩/١ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة (٤٤) ، باب قوله صلى الله عليه وسلم : "لاتأتى مائة سنة وعلى الأرض نفس منقوسة اليوم" (٥٣) ، برقم ٢٥٣٧ ، ١٩٦٥/٤ .

(٣) المرجع السابق ، نحوه ، في الكتاب والباب السابقين برقم ٢٥٣٨ ، ١٩٦٦-١٩٦٧/٤ .

(٤) المرجع نفسه ، نحوه ، في الكتاب والباب السابقين برقم ٢٥٣٩ ، ١٩٦٧/٤ .

(٥) سنن أبي داود ، بلفظ مقارب من حديث عبد الله بن عمر ، كتاب الملاحم ، باب قيام الساعة ، برقم ٤٣٤٨ ، ١٢٥/٤ .

(٦) سنن الترمذي ، بلفظ مقارب من حديث ابن عمر ، كتاب الفتن (٣٤) ، باب (٦٤) ، برقم ٢٢٥١ ، ٤٥١/٤ .

وأخرج نحوه من حديث جابر بن عبد الله ، في الكتاب والباب السابقين برقم ٢٢٥٠ ، ٤٥٠-٤٥١/٤ .

وقال : "وفي الباب عن ابن عمر وأبي سعيد وبريدة" . وقال عن حديث جابر : "هذا حديث حسن" .

(٧) مسند أحمد بلفظ مقارب عن عبد الله بن عمر ١٣١،١٢١،٨٨/٢ .

وبنحوه من حديث علي بن أبي طالب ٩٣/١ .

ومن حديث جابر بن عبد الله ٣٨٥،٣٧٩،٣٤٥،٣٢٦،٣٢٢،٣١٤،٣٠٥/٣ .

قال عبد الله : "صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء في آخر حياته ، فلما سلم قام النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "أرأيتم ليلتكم هذه فإن رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد" . فوهل الناس في مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما يتحدثون في هذه الأحاديث عن مائة سنة . وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم : "لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض" يريد بذلك أنها تحرم ذلك القرن" (١).

فالنبي صلى الله عليه وسلم إنما عني بمقالته تلك من كان على ظهر الأرض حينئذ ، فإنه لا يبقى منهم أحد بعد مائة عام . وهذا مادل عليه كلام العلماء أيضاً .

قال ابن قتيبة رحمه الله :

".. "لا يبقى على الأرض منكم يومئذ نفس منقوسة" : يعني ممن حضره في ذلك المجلس ، أو يعني الصحابة" (٢).

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله :

"إن رسول الله عليه السلام إنما كان قصد بكلامه ذلك لمن هو يومئذ على الأرض من الناس ، لا لمن سواهم" (٣).

وقال النووي رحمه الله :

"هذه الأحاديث قد فسر بعضها بعضاً وفيها علم من أعلام النبوة ، والمراد أن كل نفس منقوسة كانت تلك الليلة على الأرض لاتعيش بعدها

(١) صحيح البخارى ، كتاب مواقيت الصلاة (٩) ، باب السمر في الفقه (٤٠) ، ١٤٩/١ .

وأخرج مسلم نحوه في صحيحه : كتاب فضائل الصحابة (٤٤) ، باب قوله صلى الله عليه وسلم "لاتأتى مائة سنة ..." (٥٣) ، برقم ٢٥٣٧ ، ١٩٦٥-١٩٦٦ . وهل : أى ذهب وهمه إلى ذلك . ويجوز أن يكون بمعنى سها وغلط .

انظر : غريب الحديث لابن قتيبة ٤٧٢/٢ ، الفائق ٨٥/٤ ، النهاية ٢٣٣/٥ .

(٢) تأويل مختلف الحديث ص ٩٩ .

(٣) شرح مشكل الآثار ٣٤٨/١ .

أكثر من مائة سنة سواء قل أمرها قبل ذلك أم لا ، وليس فيه نفى عيش أحد يوجد بعد تلك الليلة فوق مائة سنة. ومعنى نفس منفوسة : أى مولودة" (١).

وقال ابن بطال رحمه الله :

"إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذه المدة تحتزم الجليل الذى هم فيه ، فوعظهم بقصر أعمارهم ، وأعلمهم أن أعمارهم ليست كأعمار من تقدم من الأمم ليجتهدوا فى العبادة" (٢).

وقال الحافظ ابن حجر :

"وقد بين ابن عمر فى هذا الحديث مراد النبى صلى الله عليه وسلم وإن مراده: أن عند انقضاء مائة سنة من مقالته تلك ينخرم ذلك القرن فلا يبقى أحد ممن كان موجوداً حال تلك المقالة ، وكذلك وقع بالاستقراء فكان آخر من ضبط أمره ممن كان موجوداً حينئذ أبو الطفيل عامر بن واثلة ، وقد أجمع أهل الحديث على أنه كان آخر الصحابة موتاً ، وغاية ما قيل فيه إنه بقى إلى سنة عشر ومائة وهى رأس مائة سنة من مقالة النبى صلى الله عليه وسلم" (٣).

هذه بعض أقوال شراح الحديث فيه . وكان على أحمد أمين قبل أن يطلق قوله المشين ذاك ، وفهمه الخاطيء للحديث أن يطلع على أقوال أهل العلم فيه ، ويبانهم له .

فالحديث لم يعن قيام الساعة ولانهاية الدنيا ، كما تبين واتضح ، وإنما يعنى نهاية من كان حياً فى ذاك الوقت .

(١) شرح النووى على مسلم ٩٠/١٦ .

(٢) فتح البارى ٢١٢/١ .

(٣) المرجع نفسه ٧٥/٢ .

وانظر : السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٢٧٩-٢٨٢ فيه نقد مستفيض لكلام أحمد أمين السابق حول الحديث .

الحديث الثانى :

روى البخارى ومسلم بسنديهما إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر" (١).

- (١) أخرجه البخارى فى صحيحه بلفظ مقارب ، كتاب الأطعمة (٧٠) ، باب العجوة (٤٣) ، ٢١٢/٦ ، وفى كتاب الطب (٧٦) ، باب الدواء بالعجوة للسحر (٥٢) ، ٣١-٣٠/٧ ، وفى باب شرب السم والدواء به (٥٦) ، ٣٣/٧ . وأخرجه مسلم بلفظه ، وبلفظ مقارب ، كتاب الأشربة (٣٦) ، باب فضل تمر المدينة (٢٧) ، برقم ٢٠٤٧ ، ١٦١٨/٣ . وأخرجه أبو داود فى سننه بلفظه من حديث سعد بن أبى وقاص ، كتاب الطب ، باب فى تمر العجوة برقم ٣٨٧٦ ، ٨/٤ . وأخرجه الترمذى فى سننه من حديث أبى هريرة . ولفظه : "العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم" . وفى رواية أخرى : "وهى شفاء من السم" ، كتاب الطب (٢٩) ، باب ماجاء فى الكمأة والعجوة (٢٢) ، برقم ٢٠٦٦، ٢٠٦٨ . وقال : "وفى الباب عن سعيد بن زيد وأبى سعيد وجابر" . ٣٥١-٣٥٠/٤ . وأخرجه ابن ماجه من حديث أبى هريرة ، بمثل رواية الترمذى الثانية ، كتاب الطب (٣١) ، باب الكمأة والعجوة (٨) برقم ٣٤٥٥ ، ١١٤٣/٢ . وأخرجه الدارمى من حديث أبى هريرة مثل رواية الترمذى وابن ماجه السابقة ، كتاب الرقاق ، باب فى العجوة ٣٣٨/٢ . وأخرج الإمام أحمد فى مسنده نحوه من حديث سعد بن أبى وقاص ١٨١، ١٧٧، ١٦٨/١ . ومن حديث أبى هريرة ولفظه : "والعجوة من الجنة وماؤها شفاء من السم" ٣٠١/٢ . ومن حديثه أيضاً مثل رواية الترمذى ٥١١، ٤٩٠، ٤٨٨، ٤٢١، ٣٥٧، ٣٥٦، ٣٢٥، ٣٠٥/٢ . ومن حديث جابر بن عبد الله وأبى سعيد الخدرى ، مثل رواية الترمذى وابن ماجه ٤٨/٣ . ومن حديث عائشة رضى الله عنها ولفظه : "إن فى تمر العالية شفاء أو قال ترياقاً أول بكرة على الريق" ٧٧/٦ . وانظر ١٥٢، ١٠٥/٦ . وفى رواية عنها : "فى عجوة العالية أول البكرة على ريق النفس شفاء من كل سحر أو سم" ١٠٥/٦ .

لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى أن من أكل صبح كل يوم سبع تمرات من العجوة لن يصاب خلال ذلك اليوم بسحر أو بسم . فوجب الإيمان بذلك واعتقاد صدق ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد ذهب بعض العلماء على أن ذلك عام فى كل عجوة ، لأن السموم مفرطة فى البرودة والتمر حار ، فيدفع برودتها^(١).

وقد بين الإمام ابن القيم رحمه الله فوائد التمر الطبية فقال : "وهو مقو للكبد ، ملين للطبع ، يزيد فى الباه ... ويبرىء من خشونة الحلق ... وهو من أكثر الثمار تغذية للبدن بما فيه من الجوهر الحار الرطب ، وأكله على الريق يقتل الدود ، فإنه مع حرارته فيه قوة ترياقية ، فإذا أديم استعماله على الريق ، خفف مادة الدود ، وأضعفه وقلله ، أو قتله ، وهو فاكهة وغذاء ، ودواء وشراب وحلوى"^(٢).

والأكثرون ذهبوا إلى أن ذلك خاص بعجوة المدينة^(٣).

وهو الذى تؤيده الروايات الصحيحة .

من ذلك رواية مسلم : "من أكل سبع تمرات ، مما بين لابتيها - يعنى حرقى المدينة - حين يصبح لم يضره سم حتى يمسي"^(٤).

ومنها أيضاً حديث عائشة رضى الله عنها عند مسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن فى عجوة العالية - موضع بالمدينة - شفاء ، أو إنها ترياق أول البكرة"^(٥).

قال النووى رحمه الله :

(١)، (٣) انظر : السنة ومكانتها فى التشريع ص ٢٨٣ .

(٢) زاد المعاد ٤/٢٩١-٢٩٢ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الأشربة (٣٦) ، باب فضل تمر المدينة (٢٧) حديث رقم ٢٠٤٧ ، ٣/١٦١٨ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الأشربة (٣٦) ، باب فضل تمر المدينة (٢٧) حديث رقم ٢٠٤٨ ، ٣/١٦١٩ .

"وفي هذه الأحاديث فضيلة تمر المدينة وعجوتها وفضيلة التصبح بسبع تمرات منه وتخصيص عجوة المدينة دون غيرها وعدد السبع من الأمور التي علمها الشارع ولانعلم نحن حكمتها فيجب الإيمان بها وإعتقاد فضلها والحكمة فيها وهذا كأعداد الصلوات ونصب الزكاة وغيرها فهذا هو الصواب في هذا الحديث" (١).

وقال ابن القيم :

"وقد قيل : إن هذا في عجوة المدينة ، وهي أحد أصناف التمر بها ، ومن أنفع تمر الحجاز على الإطلاق ، وهو صنف كريم ، ملذذ ، متين للجسم والقوة ، مع ألين التمر وأطيبه وألذّه" (٢).

ولا يقصد بهذا الحديث التحدى والتجربة ، لأن العبد لا يمتحن ربه ، وإنما ذلك إخبار من النبي صلى الله عليه وسلم بأن من تصبح بذلك العدد من ذلك النوع من التمر كفاه الله به شر السم والسحر (٣).

والطب لا يلجأ إليه في إثبات صحة حديث النبي صلى الله عليه وسلم أو ضعفه ، لأنه خاضع للتجارب والنظريات ، وفيها ما يصيب ، ومنها ما يخطئ ، وهل وصل الطب إلى اكتشاف جميع خواص العجوة حتى يعتمد عليه في رد الحديث ؟

وإن زعم أحمد أمين بأن التجارب أثبتت خلو العجوة من ترياق للسم والسحر ، فتلك تجارب خاطئة لاتعتمد ، عارضها غيرها فأثبت أن في العجوة علاجاً للسم .

قال محمد أبو شهبه رحمه الله :

"إن الحديث يعتبر من المعجزات النبوية فقد اطلعت على بحث قيم للدكتور الكيمائي محمود سلامة عن فائدة العجوة في مجلة "الدكتور" وأنها

(١) شرح النووي على مسلم ٣/١٤ .

(٢) زاد المعاد ٣٤١/٤ .

(٣) انظر : مشكلات الأحاديث ص ٢٤٣ .

عامل قوى فى دفع السموم من الجسم والتخلص منها كما كتب غيره فى هذا مؤيداً للحديث فقلت : ياسبحان الله ، لقد قال الرسول الكريم هذا ولم يكن طبيباً ولا متطبباً ، وفى وقت لم تكن تقدمت فيه المباحث الطبية إلى إدراك هذا ، ألا فاعتبروا ياأولى الأبصار!! فما رأى المعارضين على هذا الحديث فيما قاله العلم اليوم فى خواص العجوة؟" (١).

(١) دفاع عن السنة ص ٢١٨ .

(٩) منهج المحدثين :

(أ) اعتناء المحدثين بإسناد الحديث دون متنه :

إن علماء الحديث وقفوا مع الإسناد ولم يتعدوه إلى غيره ، فقد اهتموا اهتماماً بالغاً بنقد الأسانيد وتمحيصها ، ولكنهم لم يعتنوا بنقد المتن ، ولو فعلوا لقضى نقد المتن على كثير من الأحاديث التي ثبتت صحة أسانيدها^(١).

مثال لعدم نقد المحدثين للمتن :

قال أحمد أمين :

"وفي الحق أن المحدثين عنوا عناية بالنقد الخارجى ولم يعنوا هذه العناية بالنقد الداخلى ، فقد بلغوا الغاية فى نقد الحديث من ناحية روايته جرحاً وتعديلاً ... ولكنهم لم يتوسعوا كثيراً فى النقد الداخلى ، فلم يعرضوا لمتن الحديث هل ينطبق على الواقع أو لا ؟ مثال ذلك ما رواه الترمذى عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "الكمأة من المن ، وماؤها شفاء العين ، والعجوة من الجنة ، وهى شفاء من السم"^(٢) فهل اتجهوا فى نقد الحديث إلى امتحان الكمأة ؟ وهل فيها مادة تشفى العين ؟ أو العجوة وهل فيها ترياق ؟ نعم ، إنهم رووا أن أباً هريرة قال : "أخذت ثلاثة أكمؤ أو خمساً أو سبعة فعصرتهن فى قارورة وكحلت به جارية لى عمشاء فبرأت"^(٣) ولكن هذا لا يكفى لصحة الحكم ، فتجربة جزئية نفع فيها شيء

(١) انظر : تفسير المنار ١٤١/٣ ، مجلة المنار : المجلد ٩ ، ص ٤٨٦ ، المجلد ١٩ ، ص ٣٤٨ المجلد ٢٩ ، ص ٤٠ ، فجر الإسلام ص ٢١٧-٢١٨ ، ضحى الإسلام ١٣٠/٢ ، ١٣٢/٢ ظهر الإسلام ٤٨/٢ ، أضواء على السنة المحمدية ص ٤-٥ ، ٣٤٢ ، السنة النبوية ص ١٥-١٦ ، ٢٤ .

(٢) يأتي تخريجه والكلام عنه .

(٣) أخرجه الترمذى عن أبى هريرة ولفظه : "أخذت ثلاثة أكمؤ أو خمساً أو سبعة فعصرتهن فجعلت ماءهن فى قارورة فكحلت به جارية لى فبرأت " . كتاب الطب (٢٩) ، باب ماجاء فى الكمأة والمن (٢٢) ، ٣٥١/٤ .

مرة لا تكفى منطقياً لإثبات الشيء في ثبت الأدوية ، إنما الطريقة أن تجرب مراراً ، وخير من ذلك أن تحلل لتعرف عناصرها ، فإذا لم يكن التحليل في ذلك العصر ممكناً فلتكن التجربة مع الاستقراء . فكان مثل هذا طريقاً لمعرفة صحة الحديث أو وضعه "(١).

(ب) قلة فقه علماء الحديث بالمرويات :

قال الغزالي :

"وقد ضقت ذرعاً بأناس قليلي الفقه في القرآن كثيرى النظر في الأحاديث ، يصدرن الأحكام ، ويرسلون الفتاوى ، فيزيدون الأمة بلبلة وحيرة" (٢).

وقال :

"وقد كان الفقهاء على امتداد تاريخنا العلمى هم القادة الموثقين للأمة ، الذين أسلمت لهم زمامها عن رضا وطمأنينة ، وقنع أهل الحديث بتقديم مايتناقلون من آثار كما تقدم مواد البناء للمهندس الذى يبنى الدار ، ويرفع الشرفات" (٣).

ويعرض بأهل الحديث في موضع آخر فيقول :

"إن أهل الفقه هم الذين يتحدثون عن الإسلام ، ويشرحون المرويات التى حفلت بها الكتب ووقع عليها الدهماء كما يقع الذباب على العسل . وقد كان أهل الفقه قديماً هم المتحدثين عن الإسلام ، وأعرف الناس بتراث النبوة" (٤).

ثم ذكر مثلاً لذلك فقال :

(١) ضحى الإسلام ١٣٠/٢-١٣١ .

(٢) السنة النبوية ص ٢٢ .

(٣) المرجع نفسه ص ٢٤ .

(٤) المرجع نفسه ص ١١١ .

وانظر : مجلة المنار : المجلد ٣٤ ، ص ٦٢٠ .

"إن القاصرين من أهل الحديث يقعون على الأثر لا يعرفون حقيقته ولا أبعاده ، ثم يشغبون به على الدين كله دون وعى . خذ مثلاً ما يقطع الصلاة .

فقد تشبثوا بحديث يقول : "إن الصلاة تقطعها المرأة ، والحمار ، والكلب الأسود!" (١)

وجمهرة الفقهاء رفضت هذا الحديث ، واستدلّت بأحاديث أخرى تفيد أن الصلاة لا يقطعها شيء ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يصلى وزوجته عائشة مضطجعة أمامه (٢) ، كما أن ابن عباس مر بحمار كان يركبه أمام جماعة تصلى ، فلم تفسد لها صلاة (٣) ، والكلاب أبيضها وأسودها سواء!

عندما كتبت في أحد مؤلفاتنا أنه لاسنة بلافقه كنا نريد أن نمنع أناساً يشتركون أحد كتب الحديث ، ثم يطالعون أثراً لا يدرون ما قبله ولا ما بعده ،

(١) يأتي تخرجه والكلام عنه .

(٢) الحديث : أخرجه البخارى في كتاب الصلاة (٨) ، باب الصلاة إلى السرير (٩٩) وفي باب الصلاة خلف النائم (١٠٣) ، باب التطوع خلف المرأة (١٠٤) ، باب من قال لا يقطع الصلاة شيء (١٠٥) ، باب هل يغمز الرجل امرأته عند السجود (١٠٨) ، ١٢٨/١ - ١٣١ .

وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة (٤) ، باب الاعتراض بين يدي المصلى (٥١) برقم ٥١٢ ، ٣٦٦/١ - ٣٦٧ .

(٣) روى البخارى بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهما قال : "أقبلت راكباً على حمار أتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بمنى إلى غير جدار فمررت بين يدي بعض الصف وأرسلت الأتان ترتع ودخلت الصف فلم ينكر ذلك على" . كتاب العلم (٣) ، باب متى يصح سماع الصغير (١٨) ، ٢٧/١ .

وأخرج نحوه في كتاب الصلاة (٨) ، باب سترة الإمام سترة من خلفه (٩٠) ، ١٢٦/١ ، وفي كتاب الأذان (١٠) ، باب وضوء الصبيان (١٦١) ، ٢٠٩/١ . وأخرج نحوه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة (٤) ، باب سترة المصلى (٤٧) ورقمه ٥٠٤ ، ٣٦١/١ - ٣٦٢ .

ثم يحدثون فوضى قد تراق فيها الدماء" (١).

(ج) اختلاف المحدثين في جرح الرواة وتعديلهم ، وفي الحكم على الحديث ؛
قال أحمد أمين :

"إن أحكام الناس على الرجال تختلف كل الاختلاف ، فبعض يوثق رجلاً وآخر يكذبه ، والبواعث النفسية على ذلك لاحصر لها ، ثم كان المحدثون أنفسهم يختلفون في قواعد التجريح والتعديل ، فبعضهم يرفض حديث المبتدع مطلقاً كالخارجي والمعتزلي ، وبعضهم يقبل روايته في الأحاديث التي لا تتصل ببدعته ، وبعضهم يقول إن كان داعياً لها لا تقبل روايته وإن كان غير داع قبلت ... إلى غير ذلك من أسباب يطول شرحها ، ومن أجل هذا اختلفوا اختلافاً كبيراً في الحكم على الأشخاص ، وتبع ذلك اختلافهم في صحة روايته والأخذ عنه" (٢).

وقال الشيخ المودودي :

"وبما أن هذا الشيء - يعني الحكم على الأحاديث - ذوقى محض ، ولم ولن يندرج تحت أى ضابط ، لأجل هذا مازالت فيه فسحة للاختلاف ولا تزال" (٣).

وقال :

"لا يمكن أن يعتبر علم الإسناد ، وعلم الجرح والتعديل صحيحاً بالكلية ، وبالضرورة يعتمد على مواد هذا العلم إلى أن يستمد به ويراعى في تحقيق السنة النبوية وآثار الصحابة ، ولكن لا يجدر أن يعتمد عليه بالكلية" (٤).

(١) السنة النبوية ص ١٢٨-١٢٩ .

(٢) ضحى الإسلام ١١٧/٢-١١٨ .

وانظر : أضواء على السنة المحمدية ص ٣٠٧-٣٠٩ .

(٣) موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوى ص ٦٢ .

نقلاً عن التفهيمات ٣٦٢/١ .

(٤) المرجع السابق ص ٦٣ الهامش .

نقلاً عن التفهيمات ٣٥٩/١-٣٦٠ .

الجواب على ذلك :

(أ) اعتناء المحدثين بإسناد الحديث دون متنه :

هذه شبهة استقاها هؤلاء القوم من أساتذتهم المستشرقين ، وقد رددت عليها من قبل (١)، وبينت أن ذلك زعم خاطيء ، وتجنى سافر على منهج المحدثين ، الذين تناولوا الحديث من كل جوانبه ، ولم يفرطوا في دراسة أى جزء من جزئياته ، سواء كان ذلك يتعلق بالإسناد أو المتن . وهذه مؤلفاتهم أعظم شاهد على ذلك .

والقول بأنهم لو نقدوا المتن لقضى ذلك على كثير من الأحاديث التى ثبتت صحة أسانيدھا . قول يحتاج إلى مايؤيده ، بل هى دعوى جريئة صادرة من غير تعقل وروية .

وأمثال هذه المجازفات فى الأحكام التى لاتستند إلى دليل لاتصلح فى الأمور العلمية ، وخاصة إذا كان ذلك فى موضع النقد ، لأن صاحبها يصبح حينئذ مكشوفاً أمام المنقود لتهافت زعمه وضعف قوله . مثاله هذه الدعوى التى أطلقها هؤلاء قاطعين بها من غير احتمال ، وهى تعكس صورة حقيقية لضحالة علمهم وتضعضع أحكامهم ، وعدم تثبتهم وتحريهم . فالعبرة بمن يعتد بأقوالهم ويثق فى بحوثهم الفجة .

ومع ضعف هذا الزعم يمكن أن يقال لهم : إن ماوضع علماء الحديث من شروط دقيقة لإثبات صدق الراوى وسلامته من الغلط من حيث توفر العدالة فيه بشروطها ، مع الضبط والحفظ والأمانة ، والأمن من الزيادة والتغيير . كان احتمال الكذب والضعف فى متن الحديث والاختلاف فيه بعيداً جداً ، إن لم يكن معدوماً ، وصحة الإسناد فى الغالب تغنى عن التنقيب فى المتن (٢).

(١) انظر ص : ٦٣٠ فمابينها .

(٢) انظر : دفاع عن السنة ص ٤٨ ، ٤٩ .

وأما الحديث الذى ذكره أحمد أمين للاستدلال به على عدم اعتناء المحدثين بنقد المتون ، فقد رواه البخارى ومسلم بسنديهما إلى سعيد بن زيد رضى الله عنه قال :

"سمعت النبی صلی الله علیه وسلم يقول : "الکماء من المن ، وماؤها شفاء للعين" (١).

ورواه أيضا الترمذی وابن ماجه والإمام أحمد .
فهو حديث صحيح لامطعن فى صحته من حيث إسناده ، ومرتبه .
وقد نص العلماء والأطباء على أن الکماء لها أثر بالغ فى شفاء العين ،
وقد جرب ذلك بعضهم ، وأيد بتجربته صدق الحديث .

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه من حديث سعيد بن زيد رضى الله عنه ، كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة البقرة (٢) ، باب قوله تعالى : {وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى} (٤) ، ١٤٨/٥ ، وفى تفسير سورة الأعراف (٧) ، باب {ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه} (٢) ، ١٩٧/٥ ، وفى كتاب الطب (٧٦) باب المن شفاء للعين (٢٠) ، ١٧/٧ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، من حديث سعيد بن زيد . كتاب الأشربة (٣٦) ، باب فضل الکماء ومداواة العين بها (٢٨) برقم ٢٠٤٩ .
وأخرجه الترمذی فى سننه من حديث أبى هريرة برقم ٢٠٦٦ ، ٢٠٦٨ ، ومن حديث سعيد بن زيد برقم ٢٠٦٧ ، كتاب الطب (٢٩) ، باب ماجاء فى الکماء والعجوة (٢٢) ، ٣٥١-٣٥٠/٤ .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه من حديث أبى سعيد الخدرى وجابر بن عبد الله برقم ٣٤٥٣ ، ونحوه من حديث سعيد بن زيد برقم ٣٤٥٤ ، وأبى هريرة برقم ٣٤٥٥ ، كتاب الطب (٣١) ، باب الکماء والعجوة (٨) ، ١١٤٣-١١٤٢/٢ .
وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده من حديث سعيد بن زيد ١٨٨، ١٨٧/١ ، وأبى هريرة ٣٠١/٢ ، ٣٠٥، ٣٢٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٤٢١، ٤٨٨، ٤٩٠، ٥١١ ، وجابر بن عبد الله وأبى سعيد الخدرى ٤٨/٣ ، ونحوه من حديث بريدة الأسلمى ٣٥١، ٣٤٦/٥ .
والکماء من المن " : أى هى مما من الله به على عباده .

وقيل شبهها بالمن ، والغسل الحلو ، الذى يتزل من السماء على بنى إسرائيل عفواً بلا علاج . وكذلك الکماء ، لامؤنة فيها ببذر ولاسقى .
انظر : الفائق ٣/٣٩٠ ، النهاية ٤/٣٦٦ .

قال النووى رحمه الله :

"وقوله صلى الله عليه وسلم "وماؤها شفاء العين" : قيل هو نفس الماء مجرداً ، وقيل معناه أن يخلط ماؤها بدواء ويعالج به العين ، وقيل إن كان لبرودة مافي العين من حرارة فماؤها مجرداً شفاء وإن كان لغير ذلك فمركب مع غيره . والصحيح بل الصواب أن ماءها مجرداً شفاء للعين مطلقاً فيعصر ماؤها ويجعل في العين منه . وقد رأيت أنا وغيرى في زمننا من كان عمى وذهب بصره حقيقة فكحل عينه بماء الكمأة مجرداً فشفى وعاد إليه بصره" (١).

وقال ابن القيم رحمه الله :

"والاكتحال بها نافع من ظلمة البصر والرمد الحار ، وقد اعترف فضلاء الأطباء بأن ماءها يجلو العين ، وممن ذكره المسيحي ، وصاحب القانون وغيرهما" (٢).

(١) شرح النووى على مسلم ٤/١٤-٥ .

(٢) زاد المعاد ٣٦١/٤ .

والمسيحي : هو عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني أبو سهل ، حكيم غلب عليه الطب علماً وعملاً . ولد بجرجان ، ونشأ وتعلم ببغداد ، وسكن خرسان . ومات سنة ٤٠١ هـ .

وعنه أخذ ابن سينا صناعة الطب . من آثاره : "إظهار حكمة الله تعالى في خلق الإنسان" ، "الطب الكلى" ، "كتاب المائة في الصناعة الطبية" . وغير ذلك . الأعلام ١١٠/٥ .

وصاحب القانون هو :

الفيلسوف الشهير ، أبو على ، الحسين بن عبد الله بن الحسن بن على بن سينا . البلخي ثم البخارى ، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق . كان من أهل دعوة الحاكم العبيدى ، من القرامطة الباطنيين ممن عرفوا بالإلحاد . مات سنة ٤٢٨ هـ . من آثاره : "القانون" ، "الشفاء" ، "الإشارات" ، "أسرار الصلاة" . وغيرها الكثير .

قال الذهبي في الميزان : "مأعلمه روى شيئاً من العلم ، ولو روى لما حلت الرواية عنه ، لأنه فلسفى النحلة ضال" .

وفيات الأعيان ١٥٧/٢-١٦٢ ، ميزان الاعتدال ٥٣٩/١ ، سير أعلام النبلاء ٥٣١/١٧-٥٣٦ ، العبر ٢٥٨/٢-٢٥٩ ، الوافى بالوفيات ٣٩١/١٢-٤١٢ ، الأعلام

ونقل عن الغافقى أنه قال :

"ماء الكمأة أصلح الأدوية للعين إذا عجن به الإثمد واكتحل به ،
ويقوى أجفانها ، ويزيد الروح الباصرة قوة وحدة ، ويدفع عنها نزول
النوازل" (١) .

وقد اعترف صاحب ضحى الإسلام بأن أبا هريرة قد جرب الكمأة
فوجدتها كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم .
ولكن هل جرب أحمد أمين ذلك فباءت تجربته بالفشل؟ إن العلماء
جربوا ، والأطباء أثبتوا أن فى الكمأة شفاء للعين ، ألايرضى ذلك كله
أحمد أمين لكى يقتنع بصحة الحديث؟ أم يريد من الخلق جميعاً أن يجربوا
الكمأة وتنقل إليه تجاربهم فإن نجحت جميعاً ، صح الحديث ، وإلا كان
كذباً؟

إن أحمد أمين يزعم أن التجارب المتتالية أو التحاليل الطبية هى التى
تثبت لنا صحة الحديث أو وضعه .

إنها قاعدة جديدة تضاف لعلم مصطلح الحديث لم أقف على من قال بها
من العلماء السابقين ، أو أشار إليها .

ولو حكمت أمثال هذه القواعد فى أحاديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعمت الفوضى سنة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولاختلط أمر الشرع
على العباد ، إذ تصبح الأحاديث حينئذ عرضة لآراء الناس وتجاربهم ، فكل
يقبل ما ثبت عنده عن طريق التجربة ويرد ما لم يثبت .

ويتهامى حينئذ مآقعه علماء الحديث من قواعد وأصول لإثبات صحة
الحديث وضعفه ، ويصبح الأطباء المسلمون منهم وغير المسلمين هم الذين

(١) زاد المعاد ٣٦٥/٤ . وانظر : فتح البارى ١٠/١٦٥ .

والغافقى هو :

عبد الكبير بن محمد بن عيسى بن محمد بن بقى الغافقى ، شيخ الفقهاء فى وقته
بالأندلس . من المالكية . مات سنة ٦١٧هـ .

من آثاره : كتاب فى التفسير ، جمع فيه بين تفسيرى الزمخشري وابن عطية ،
ومختصر فى الحديث جمع فيه بين صحيح مسلم وسنن أبى داود والترمذى .

الأنساب ٩/٣ الهامش ، الأعلام ٤٩/٤-٥٠ .

يرجع إليهم في الحكم على الأحاديث .
 وهل ياترى بلغ علم الطب إلى الحد الذى تصبح فيه أحكامه ثابتة
 لا تتبدل ولا تتغير ، حتى يحكم في غيره من العلوم ، خاصة في الشريعة التى
 جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بوحي من عند الله ؟
 إن علم الطب لازال قاصراً في اكتشاف كثير من الحقائق ، كما أنه
 لازال عاجزاً عن اكتشاف كثير من الأدوية الناجعة لعلاج كثير من الأمراض
 والأوبئة .

ومن الذى يدعى أن علم الطب بلغ كماله وغايته؟ لأظن أن أحداً
 من الأطباء يدعى ذلك دعك عن غيرهم .
 ومن الغريب أن أحمد أمين لم يأت بما يدل به من تجارب تثبت عدم
 صحة الحديث ، بل جاء بما يؤيده ، ومع ذلك شكك في صحة الحديث ،
 واتهم علماء الحديث بالتقصير في نقد المتن .
 إنها جرأة ، وتعد على حرمة النص دون مستند ولادليل ولا حجة قائمة .

(ب) قلة فقه علماء الحديث بالمرويات :

إن الطعن في علماء الحديث وأهله بقلة الفقه داء قديم أصيب به أهل
 الابتداع من قبل . وذلك لما جهلوا السنن وتشبثوا بآراء الرجال وقل علمهم
 بحديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وعجزوا أن يكونوا من حملته ، شنوا
 على أهل الحديث وعلمائه حرباً لا هوادة فيها ، تارة بالطعن والتسفيه ، وتارة
 بالتجهيل وعدم الفقه ، وأخرى بقصور منهجهم وقلة فهمهم ... الخ مذكروا
 في ذلك .

إن علماء الحديث عنوا بفقه الأحاديث وفهمها ، عنايتهم بحملها
 وروايتها ، فلم يكونوا زوامل للأخبار وحملة للأسفار فقط كما يزعمون :
 ومن الذى يدعى أن مالكا والشافعي وأحمد بن حنبل ، بل والزهرى
 وسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة والأوزاعي وحماد بن زيد

وعبدالرحمن بن مهدي وعبد الله بن المبارك ويحيى بن سعيد القطان ويحيى ابن معين والبخاري ومسلماً وأبا داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والدارقطني وأمثالهم ممن حمل علم الحديث ، ليسوا بفقهاء وإنما حملة أسفار، فإن لم يكن هؤلاء هم أئمة الفقه وجهابذته فمن يكون غيرهم؟ (١) قال ابن قتيبة :

"فأما أصحاب الحديث فإنهم التمسوا الحق من وجهته ، وتتبعوه من مظانه ، وتقربوا من الله تعالى ، باتباعهم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطلبهم لآثاره وأخباره ، براً وبحراً ، وشرقاً وغرباً .
يرحل الواحد منهم راجلاً مقوياً في طلب الخير الواحد ، أو السنة الواحدة ، حتى يأخذها من الناقل لها مشافهة .

ثم لم يزالوا في التنقيب عن الأخبار والبحث لها ، حتى فهموا صحيحها وسقيمها ، وناسخها ومنسوخها ، وعرفوا من خالفها من الفقهاء إلى الرأي . فنبهوا على ذلك حتى نجم الحق بعد أن كان عافياً ، وبسق بعد أن كان دارساً ، واجتمع بعد أن كان متفرقاً ، وانقاد للسنن من كان عنها معرضاً ، وتنبه عليها من كان عنها غافلاً ، وحكم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن كان يحكم بقول فلان وفلان وإن كان فيه خلاف على رسول الله صلى الله عليه وسلم" (٢).

وفي الحقيقة لا يتوفر الفهم والذكاء والغوص على المعاني في طائفة من الطوائف كما يتوفران في أهل الحديث ، وخير شاهد على ذلك تراجمهم التي دونها العلماء الثقات ، وآثارهم التي خلدوها للأمة . بل لو رجعت إلى المتأخرين منهم ممن اهتم بالحديث كابن الصلاح والنووي وأبي شامة وابن دقيق العيد وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن رجب والزركشي والعراقي وابن حجر والسيوطي والدهلوي والشوكاني وابن عبد الوهاب

(١) انظر : دفاع عن السنة ص ٣٤، ٣٥ ، كشف موقف الغزالي من السنة ص ٨٠، ٨١ .

(٢) تأويل مختلف الحديث ص ٧٣-٧٤ ،

وغيرهم الكثير لوجدتهم أئمة في الفقه والأصول واللغة والتفسير وغير ذلك ، فما بالك بالأئمة السابقين الذين هم أكثر اجتهاداً وأبلغ استنباطاً وأحد ذكاء ، وأعمق فقهاً وعلماء ، من هؤلاء^(١) .

وهل طلب الحديث يبعد الإنسان عن الفقه في الدين ، ويمنعه من تدبر القرآن الكريم ، ويبعد فهمه ، حتى يوصف من طلبه واشتغل به بقلة الفقه ؟ إن علم الحديث لا يرغب فيه إلا فحول الرجال ، ونوابغ العلماء وأذكياء الأمة .

قال ابن الصلاح :

"هذا وإن علم الحديث من أفضل العلوم الفاضلة ، وأنفع الفنون النافعة . يحبه ذكور الرجال وفحولهم ، ويعنى به محققو العلماء وحملتهم . ولا يكرهه من الناس إلا رذالتهم وسفلتهم وهو من أكثر العلوم تولجاً في فنونها ، لاسيما الفقه الذي هو إنسان عيونها . ولذلك كثر غلط العاطلين منه من مصنفى الفقهاء ، وظهر الخلل في كلام المخلين به من العلماء"^(٢) .
والعجيب في الغزالي يطعن في علماء الحديث على حساب علماء الفقه ، وهي تفرقة ما أنزل الله بها من سلطان ، ومن فرق لم يقصد بذلك الإساءة إلى من يشتغل بالحديث أو بالفقه كما يفعل الغزالي .

بل علماء الحديث والفقه والتفسير وغيرهم كانوا دوماً موضع احترام الأمة وتقديرها وتبجيلها .

قال الطحاوى رحمه الله :

"وعلماء السلف من السابقين ، ومن بعدهم من التابعين - أهل الخير والأثر ، وأهل الفقه والنظر - لا يذكرون إلا بالجميل ، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل"^(٣) .

(١) انظر : كشف موقف الغزالي من السنة ص ٨١ .

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص ٣ .

(٣) متن العقيدة الطحاوية ص ١٩٠ ، وانظر : أعلام الموقعين ١٠/٩/١ .

وهل ياترى يصبح الإنسان فقيهاً في دين الله من غير أن يعتمد على المصدر التشريعى الثانى وهو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟
وهل برز من برز في الفقه من العلماء وخاصة الأئمة الأربعة إلا باتباعهم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واهتمامهم بحديثه؟
وهل يمكن أن يكون القرآن وحده - كما يدعى هذا الغزالى - مصدراً لاستنباط الأحكام دون السنة؟
هذا منهج خاطىء من التزمه ضل عن سواء السبيل ، وتنكب طريق العلماء من محدثين وفقهاء ، وألقى بنفسه بين أحضان أهل الابتداع وزمرة الضلال .

وهل الغزالى الذى يصدر هذه الأحكام في علماء الحديث ، ويوجه إليهم هذه الاتهامات الباطلة ، يعد من الفقهاء والعلماء الذين يقعدون القواعد ويشققون المسائل؟ ومن سبقه بهذه الاتهامات من العلماء الأجلاء الذين اعترفت الأمة بعلمهم وفقههم .

وما أشبه موقف الغزالى هذا بما حدث لعبد الله بن الحسن الهسنجاني^(١) بمصر . كما ذكر ذلك الخطيب البغدادي بسنده إليه أنه قال :
"كنت بمصر ، فرأيت قاضياً لهم في المسجد الجامع ، وأنا ممرض . فسمعت القاضى يقول : مساكين أصحاب الحديث لا يحسنون الفقه . فحبوت إليه ، فقلت : اختلف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في جراحات الرجال والنساء ، فأى شىء قال على بن أبى طالب ، وأى شىء قال زيد بن ثابت ، وأى شىء قال عبد الله بن مسعود؟ فأفحم . قال عبد الله : فقلت له : زعمت أن أصحاب الحديث لا يحسنون الفقه ، وأنا من أخس أصحاب الحديث ، سألتك عن هذه فلم تحسنها ، فكيف تنكر على قوم أنهم

(١) عبد الله بن الحسن الهسنجاني أبو محمد الرازى . روى عن إسماعيل بن عمر الواسطى ، وحسين الجعفى ، ومحمد بن بشر العبدى ، وغيرهم ، وعنه أبو حاتم وأبو زرعة ، ومحمد بن مسلم . قال أبو حاتم : "رازى صدوق" .
الجرح والتعديل ٣٤/٥ .

لا يحسنون شيئاً وأنت لا تحسنه؟" (١)

وهو رد مفحم ومناسب للشيخ الغزالي .

وإذا وجد بعض رواة الحديث ممن كان همهم الجمع والحفظ دون التبصر في المروى والتفقه فيه - وهم قلة - هل يشغب بهم على جملة أهل الحديث؟

إن المحققين من علماء الحديث نددوا بهؤلاء ، وحذروهم من أخذ الحديث بغير فهم ودراية ، بل وجعلوا الاهتمام بفقه الحديث من آداب طالب الحديث .

قال ابن الصلاح رحمه الله :

"ثم لا ينبغي لطالب الحديث أن يقتصر على سماع الحديث وكتبه دون معرفته وفهمه ، فيكون قد أتعب نفسه من غير أن يظفر بطائل وبغير أن يحصل في عداد أهل الحديث بل لم يزد على أن صار من المتشبهين المنقوصين المتحلين بما هم منه عاطلون" (٢).

ولماذا لا يهاجم الغزالي أناساً يدعون الفقه ثم يتهمون على بعض الأحاديث فيردونها ، إما لقصورهم في علم الرواية ، أو لتعصبهم لمن يقلدونه ، أو لجهلهم؟

وإذا كان الغزالي قد ابتلى ببعض طلبة العلم الذين يحتاجون إلى بعض التوجيه ، أو ينقصهم شيء من الحكمة ، فهل يكال بسببهم كل هذا الطعن وذلك الهجوم على علماء الحديث ومنهجهم؟

ولماذا لا يتخذ الغزالي أسلوباً رشيداً لتوجيه هؤلاء الشباب وتصحيح

مسارهم ، بدلاً من الطعن والإساءة لأناس أبرياء مما رموا به؟

وأما حديث ما يقطع الصلاة :

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٧٧ .

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص ١٢٦-١٢٧ ، وانظر : دفاع عن السنة ص ٢٨٤ .

فقد رواه مسلم من حديث أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا قام أحدكم يصلى ، فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرحل . فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود" .

قلت - القائل عبد الله بن الصامت - ياأبا ذر مabal الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ قال : ياابن أخى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتنى فقال : "الكلب الأسود شيطان" (١) .
ورواه أيضا أبو داود (٢) ، والترمذى (٣) ، والنسائى (٤) ، وابن ماجه (٥) ، والدارمى (٦) ،

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة (٤) ، باب قدر مايستر المصلى (٥٠) ، حديث رقم ٥١٠ ، ٣٦٥/١ .

وأخرجه بمعناه من حديث أبي هريرة فى الكتاب والباب السابقين ، برقم ٥١١ ، ٣٦٦-٣٦٥/١ .

وعبد الله بن الصامت هو الغفارى ، البصرى ، ثقة . روى عن عمه أبى ذر ، وعمر . وعنه أبو عمران الجونى ، وحמיד بن هلال . مات بعد السبعين .
الجرح والتعديل ٨٤/٥ ، الكاشف ٩٧/٢ ، تقريب التهذيب ٤٢٣/١ .

(٢) سنن أبى داود ، نحوه من حديث أبى ذر برقم ٧٠٢ ، وبمعناه من حديث ابن عباس برقم ٧٠٤،٧٠٣ ، كتاب الصلاة ، باب مايقطع الصلاة ١٨٧/١ .

(٣) سنن الترمذى ، نحوه من حديث أبى ذر ، أبواب الصلاة ، باب ماجاء أنه لايقطع الصلاة إلا الكلب والحمار والمرأة (٢٥٣) برقم ٣٢٨ .

وقال الترمذى : "وفى الباب عن أبى سعيد ، والحكم بن عمرو الغفارى ، وأبى هريرة وأنس" .

وقال : "حديث أبى ذر حديث حسن صحيح" . ١٦٢-١٦١/٢ .

(٤) سنن النسائى ، نحوه من حديث أبى ذر ، وبمعناه موقوفاً على ابن عباس ، كتاب القبلة ، باب ذكر مايقطع الصلاة ٥٠/٢ .

(٥) سنن ابن ماجه ، نحوه من حديث أبى ذر برقم ٩٥٢ . وبمعناه من حديث ابن عباس برقم ٩٤٩ ، وأبى هريرة برقم ٩٥٠ ، وعبد الله بن مغفل برقم ٩٥١ ، كتاب إقامة الصلاة (٥) ، باب مايقطع الصلاة (٣٨) ، ٣٠٦-٣٠٥/١ .

(٦) سنن الدارمى ، نحوه من حديث أبى ذر ، كتاب الصلاة ، باب مايقطع الصلاة وما لايقطعها ٣٢٩/١ .

والإمام أحمد (١).

وجاء عن جماعة من الصحابة منهم : أبو ذر ، وأبو هريرة ، وابن عباس ، وأنس ، وعائشة ، والحكم بن عمرو ، وعبد الله بن مغفل .
وقد ذهب إلى القول بمقتضى هذا الحديث جماعة من الصحابة والتابعين والأئمة . منهم : أبو هريرة وأنس وابن عباس في رواية عنه ، والحكم وعائشة - ولكنها استثنت المرأة - وعطاء والحسن وأحمد والظاهرية واختاره ابن تيمية وابن القيم والشوكاني وغيرهم (٢).
وجمهور العلماء على خلاف ذلك (٣). واستدلوا بحديث "لا يقطع الصلاة شيء" (٤).

(١) مسند أحمد ، نحوه من حديث أبي ذر ١٦١، ١٦٠، ١٥٥، ١٥١، ١٤٩/٥ .

وبمعناه من حديث ابن عباس ، ولم يذكر الحمار ٣٤٧/١ .
وأبي هريرة ٤٢٥، ٢٩٩/٢ ، وعبد الله بن مغفل ٨٦/٤ ، ٥٧/٥ ، وعائشة رضى الله عنها ٨٥/٦ .

وأورد نحوه الهيثمي من حديث أنس . وقال : "رواه البزار ورجاله رجال الصحيح" . ومن حديث الحكم بن عمرو الغفاري . وقال : "رواه الطبراني في الكبير" . مجمع الزوائد ٦٣/٢ .

(٢) انظر : حوار هادى ص ١٣٥ ، نيل الأوطار ١٢/٣ - ١٣ .

(٣) انظر : شرح النووي على مسلم ٢٢٧/٤ .

(٤) الحديث : أخرجه أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري ، مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وموقوفاً عليه . كتاب الصلاة ، باب من قال لا يقطع الصلاة شيء برقم ٧٢٠، ٧١٩ ، ١٩١/١ .

وإسناده : قال أبو داود : حدثنا محمد بن العلاء ، ثنا أبو أسامة ، عن مجالد ، عن أبي الوداك عن أبي سعيد .

ومجالد : هو ابن سعيد بن عمير الهمداني ليس بالقوى . وقد تغير في آخر عمره .
تقريب التهذيب ٢٢٩/١ .

وأبو الوداك : هو جبر بن نوف الهمداني البكالي . صدوق يهم . تقريب التهذيب ١٢٥/٢ .

وأخرجه الدارقطني في سننه من طريق مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد . كتاب الصلاة ، باب صفة السهو وأحكامه ... وأنه لا يقطع الصلاة شيء ٣٦٨/١ . =

وهو حديث ضعيف لا ينهض للحجية (١).

وحديث عائشة رضى الله عنها فى اضطجاعها بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم جاء فى الصحيحين وغيرهما بألفاظ متعددة عنها رضى الله عنها (٢).

وقد أجاب عنه العلماء بعدة أجوبة :

أحدها : أن العلة فى قطع الصلاة ما يحصل من التشويش وقد جاء فى رواية عنها "والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح" (٣). فانتفى المعلول بانتفاء علته .

ثانيها : المرأة فى حديث أبى ذر مطلقة ، وفى حديث عائشة مقيدة بالزوجة . فيقيد القطع بالأجنبية لحشية الافتتان بها بخلاف الزوجة .

ثالثها : حديث عائشة جاء واقعة حال يتطرق إليها الاحتمال ، بخلاف حديث أبى ذر فإنه مسوق مساق التشريع العام . وقد أشار بعضهم على أن ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم .

= وأورده ابن حزم فى المحلى وحكم بضعفه . انظر ١٨/٤ .
كما أخرج الدارقطنى نحوه من حديث أبى أمامة ، وأنس ، وابن عمر فى الكتاب والباب السابقين ٣٦٧/١-٣٦٨ .

قال ابن الجوزى : "ليس فى هذه الأحاديث شيء صحيح" . العلل المتناهية ٤٤٩/١ وأورد الهيثمى نحوه من حديث جابر وقال : "رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه يحيى بن ميمون التمار وهو ضعيف وقد ذكره ابن حبان فى الثقات" . كما أورد حديث أبى أمامة وقال رواه الطبرانى فى الكبير وإسناده حسن" . مجمع الزوائد ٦٥/٢ .
وذهب الشيخ أحمد شاكراً إلى تصحيح حديث أبى سعيد ، وزعم أنه ناسخ للأحاديث الأخرى . انظر سنن الترمذى ١٦٣/٢-١٦٦ الهامش .

(١) انظر : شرح النووى على مسلم ٢٢٧/٤ ، فتح البارى ٥٨٨/١ ، حوار هادى ص ١٣٥ ، نيل الأوطار ١٣/٣ .

(٢) سبق تخريجه انظر : ٨٢٦

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الصلاة (٨) ، باب الصلاة على الفراش (٢٢) ، ١٠١/١ ، وفى باب التطوع خلف المرأة (١٠٤) ، ١٣٠/١ .

وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة (٤) ، باب الاعتراض بين يدى المصلى (٥١) ، ٣٦٧/١ .

ورجح بعضهم أن المرأة يقطع مرورها دون لبثها ، لأن المرور بين
يدين المصلي حرام بخلاف الاستقرار^(١).

وأما حديث ابن عباس رضى الله عنهما في مروره بين يدي الصف
على حمار ، فهو مروي في الصحيحين وغيرهما^(٢).
وفيه دلالة على أن سترة الإمام سترة لمن خلفه^(٣) ، وابن عباس إنما مر
بين يدي المأمومين ، ولم يمر بين الإمام وسترته .

ولذا عنوان البخاري للحديث بـ: "باب سترة الإمام سترة من
خلفه"^(٤) ، وهذا أمر لاختلاف فيه بين العلماء^(٥).

فإذا تبين هذا ، يتضح أن قول الغزالي : "إن القاصرين من أهل
الحديث ... الخ" قول لا يليق ، ووصف مخل بالأدب مع صحابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم والتابعين وعلماء الأمة الأجلاء الذين ذهبوا إلى القول
بمقتضى الحديث .

إضافة إلى أن الخلاف لم يكن بين أهل الحديث وبين الفقهاء كما
تصوره الغزالي ، وإنما كان خلافاً بين من ذكرنا وبين جمهور العلماء ،
فتخصيصه ذلك بأهل الحديث قصور منه وتحامل لا ينبغي .

ثم وصف المخالف من العلماء بالقصور لخلافهم في مسألة علمية ،
مناف لما عليه أهل العلم في الأدب مع المخالف . ثم أين هو الشغب على
الدين كله الذي يزعمه الغزالي بوقوعه ممن تمسك بهذا الحديث ؟

إنها دعوى مبنية على الظن لاحقية لها في الخارج . وزعمه أن جمهور
الفقهاء رفض هذا الحديث ، زعم خاطيء ، فجمهور العلماء لم يرفضوا هذا
الحديث أبداً ، وإنما كان الخلاف في الحكم الذي دل عليه الحديث هل هو

(١) انظر : فتح الباري ٥٩٠/١ .

(٢) سبق تخريجه انظر ص : ٨٢٦ .

(٣) انظر : شرح النووي على مسلم ٢٢٣/٤ ، نيل الأوطار ١٤/٣ .

(٤) صحيح البخاري ١٢٦/١ .

(٥) فتح الباري ٥٧٢/١ .

باق ، أم منسوخ بغيره ، أم مقيد بسواه . وهذا لا يعد رفضاً للحديث كما فهم الغزالي (١).

وخلاف أهل العلم حول حديث ما لا يعد رداً للحديث أو طعناً في صحته ، وإنما ذلك لأسباب سبق ذكرها (٢).

والعلماء إنما عارضوا دلالة هذا الحديث بأحاديث أخرى ، ولم يعارضوه بعقل ورأى كما يفعل الغزالي ومن على نهجه .

فاتكاء الغزالي على الفقهاء هنا حجة غير نافقة ، ودليل لا يشفع له . ثم أين فقه الغزالي الذى يدعيه فى معارضته هذا الحديث بحديث عائشة رضى الله عنها وحديث ابن عباس ، أما علم أن حالة الاضطجاع بخلاف حالة المرور بين يدي المصلى ، وأن المرور بين صفوف المأمومين لا يؤثر على صلاة الإمام . إذ ستر الإمام ستره لمن خلفه ؟ كيف غاب ذلك عنه ، وهو الذى يتهم المحدثين بقصور فى الفقه ؟

وقوله : "والكلاب أبيضها وأسودها سواء" . قول مخالف للثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مناهض له . وقد استشكل ذلك أبو ذر فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم بأن الكلب الأسود شيطان ، فرضى أبو ذر رضى الله عنه بما أجيب به ، ثم أجاب من سألته عن ذلك . ألا يرضى هذا الجواب الغزالي كما أَرْضَى من هو خير منه ؟

أم لعله يريد جواباً عقلياً يعلل به ذلك ، فإليه ما ذكره ابن قتيبة رحمه الله ، قال :

"لأن الأسود البهيم منها ، أضرها وأعقرها ، والكلب إليه أسرع منه إلى جمعها ، وهو - مع هذا - أقلها نفعاً وأسوؤها حراسة ، وأبعدها من الصيد ، وأكثرها نعاساً .

(١) انظر : أزمة الحوار الدينى ص ٤٣ .

(٢) انظر ص ٥٨١ ، ٥٨٢ .

وقال : "هو شيطان" يريد : أنه أخبثها ، كما يقال فلان شيطان ، وماهو إلا شيطان مارد ، وماهو إلا أسد عاد ، وماهو إلا ذئب عاد - يراد : أنه شبيه بذلك .

وإن كانت الكلاب من الجن ، أو كانت ممسوخاً من الجن ، فإنما أراد أن الأسود منها ، شيطانها ، فاقتلوه ، لضره ، والشيطان هو مارد الجن" (١).

(ج) اختلاف المحدثين في الجرح والتعديل :

لقد سبق الجواب عن شبهة المستشرقين حول اختلاف المحدثين في الجرح والتعديل ، وفي الحكم على الحديث (٢)، ومقاله هؤلاء المحدثون هنا ماهو إلا تكرار لشبهة أساتذتهم السابقة ، وماأجيب به هنالك كاف للإجابة ههنا .

ولكن بقيت جزئية استشهد بهاأحمد أمين على اضطراب منهج المحدثين في التجريح والتعديل ، وهى رواية المبتدع (٣). ولاشك أنه قد وقع الخلاف بين علماء الحديث في حكم رواية المبتدع من حيث القبول والرد .

ولكن ماهو الراجح في ذلك الذى عليه العمل؟

وهل خلافهم في رواية المبتدع يقدر في صحة منهجهم؟

لقد لخص لنا الحافظ ابن حجر رحمه الله أقوال العلماء في حكم

رواية المبتدع والراجح منها فقال :

(١) تأويل مختلف الحديث ص ١٣٦ . وانظر : القياس فى الشرع الإسلامى لابن القيم ص ٩٢-٩٣ .

(٢) انظر : ص : ٦٠٨ فما بعدها .

(٣) البدعة فى اللغة : ما اخترع على غير مثال سابق . ومنه قوله تعالى : {بدع السموات والأرض} أى اخترعهما من غير مثال سابق .

وأما فى الاصطلاح فقد قال الشاطبى : "البدعة طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية". الاعتصام ٣٦/١-٣٧ . وهنالك تعريفات أخرى للبدعة . انظر كتاب "البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها" ص ١٩٣-٢٢٠ .

"ثم البدعة إما بمكفر أو بمفسق ، فالأول : لا يقبل صاحبها الجمهور ، والثاني يقبل من لم يكن داعية إلى بدعته في الأصح ، إلا أن روى ما يقوى بدعته فيرد على المختار" (١).

والخلاف المذكور في قبول رواية المبتدع لا يؤثر في منهج المحدثين في توثيق الرواة وتقدمهم ، لأن الأقوال في ذلك نظرية ، والقاعدة التي ينطلق منها في إثبات رواية الراوى ونفيها هي صدق الراوى وأمانته والثقة بدينه وخلقه ، فمتى ما ثبت ذلك في راو ما قبلت روايته . وقد تتبع أحوال كثير من أهل البدع فوجدت رواياتهم موضعاً للثقة والاطمئنان ، وإن روى ما يوافق رأيهم (٢).

ولذا قال الذهبي في ترجمة أبان بن تغلب الكوفي : "شيعى جلد ، لكنه صدوق ، فلنا صدقه ، وعليه بدعته" . ثم نقل توثيقه عن الإمام أحمد وغيره ثم قال :

"فلقائل أن يقول : كيف ساغ توثيق مبتدع ، وحد الثقة العدالة والإتقان ، فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعة؟

وجوابه : إن البدعة على ضربين : فبدعة صغرى ، كغلو التشيع ، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرق ، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق ، فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة الآثار النبوية ، وهذه مفسدة بينة . ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه ، والخط على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، والدعاء إلى ذلك ، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة . وأيضاً فما استحضر الآن في هذا الضرب رجلاً صادقاً ولأماًوناً ، بل الكذب شعارهم ، والتقية والنفاق دثارهم ، فكيف يقبل نقل من هذا

(١) نخبة الفكر مع شرحها ص ١٠١-١٠٣ .

وانظر : مقدمة ابن الصلاح مع شرحها التقييد والإيضاح ص ١٤٨-١٥٠ ، اختصار علوم الحديث مع شرحه الباعث الحثيث ص ٩٤-٩٥ ، تقريب النووى مع شرحه التدريب ١/ ٣٢٤-٣٢٥ ، تيسير مصطلح الحديث ص ١٢٣-١٢٤ .

(٢) انظر : الباعث الحثيث ص ٩٥ .

حاله؟ حاشا وكلا . فالشيعى الغالى فى زمان السلف وعرفهم : هو من تكلم فى عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب علياً رضى الله عنه ، وتعرض لسبهم . والغالى فى زماننا وعرفنا : هو الذى يكفر هؤلاء السادة ، ويتبرأ من الشيخين أيضاً ، فهذا ضال مفتر "(١).

وقال الحافظ ابن حجر :

"والتحقيق أنه لا يرد كل مكفر ببدعته لأن كل طائفة تدعى أن مخالفيها مبتدعة ، وقد تبالغ فتكفر مخالفها ، فلو أخذ ذلك على الإطلاق لاستلزم تكفير جميع الطوائف ، فالمعتمد أن الذى ترد روايته من أنكر أمراً متواتراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة وكذا من اعتقد عكسه ، فأما من لم يكن بهذه الصفة وانضم إلى ذلك ضبطه لما يرويه مع ورعه وتقواه فلا مانع من قبوله "(٢).

إذن : إن مدار قبول رواية الراوى وردھا يبنى على عدالته وضبطه لما يرويه فمتى كان كذلك قبلت روايته . وهذه قاعدة ثابتة عند المحدثين . وقد سبق بيان ذلك "(٣).

ونختم هذه الجزئية بكلمة ضافية للشيخ محمد أبى شهبه . إذ يقول : "فإذا اجتمع فى الراوى هذه الشروط - الإسلام ، التكليف ، العدالة ، الضبط - كان أهلاً لقبول روايته ، وليس من شك فى أن من توفرت فيه هذه الشروط ترجح ترجحاً قوياً صدقه على جانب كذبه ، بل من اطلع على منهج المحدثين فى النقد وطريقتهم فى التعديل والتجريح ومبالغتهم فى التحرى عن معرفة حقيقة الراوى وطوية نفسه ، والأخذ بالظنة والتهمة فى رد مروياته ، يكاد يجزم بأن تجويز الكذب على الراوى المستجمع لهذه الشروط أمر فرضى واحتمال عقلى ، وهذه الحقيقة قد تبدو لبعض من لم

يدرس كتب الرجال

(١) ميزان الاعتدال ١/٥-٦ .

(٢) شرح نخبة الفكر ص ١٠١ .

(٣) انظر ص : ٦١٠

والنقد عند المحدثين فيها شيء من المغالاة ولكن الحق مذكرت ، ومن أبعد
النجعة في كتب القوم عرف ، ومن عرف اعترف" (١).

(١) دفاع عن السنة ص ٣٢ .

الخاتمة

ومن خلال معالجتي لهذا الموضوع خرجتُ بالنتائج الآتية :

السنة :

- (١) السنة بيانٌ للقرآن ملازمةً له لا ينفصلُ أحدهما عن الآخر ، فالأخذُ بما فيها كالأخذُ بما في القرآن .
 - (٢) إجماعُ هذه الأمة على الأخذِ بها وعدمِ التقدمِ بين يديها بعقلٍ أو رأى أو اجتهادٍ .
 - (٣) اهتمَّ الصحابةُ بحفظِ السنة في الصدورِ والكراريس ، وأوصلوها إلى مَنْ بعدهم ببيضاء نقيةً ، فحملها التابعون عنهم واهتمُّوا بها كأسلافهم حتى دَوْنَتْ في الصحاح والجوامع والمسانيد وغيرها .
 - (٤) تقييُضُ اللهِ للسنة في كلِّ زمانٍ مِنَ العلماءِ المُخْلِصين الذين أفنَّوا أعمارَهم في خدمتها والدفاع عنها وذبِّ الكذب والوضع عن جنابها ودفعِ الشبهِ عن حياضها حتى وصلتْ إلينا نقيةً صافيةً .
- ولاسعادةً لأمةِ الإسلامِ إلا بالتمسكِ بها والعَضِّ عليها بالنواجذ وعدمِ التقدمِ بين يديها .

العقل :

- (١) اهتمامُ الإسلامِ بالعقلِ ، فلم يُنْقِصْهُ حقُّهُ ، ولم يرفعْهُ فوقَ مقامِهِ الذي وضعَهُ اللهُ فيه .
- (٢) العقلُ السليمُ لا يُمكنُهُ أن يخالفَ نصاً صحيحاً أبداً ، بل متى ما وُجِدَتْ مخالفةٌ بينهما ، فإما أن يكونَ النصُّ غيرَ صحيحٍ أو أن يكونَ العقلُ غيرَ صريحٍ .
- (٣) السلفُ رضوانُ اللهِ عليهم لم يُقدِّموا العقلَ على نصوصِ الوحي ، ولم يُلْغُوا عملَهُ ، بل وقفوا به عندَ حِدِّه الذي حَدَّهُ اللهُ له ، فأَعْمَلُوهُ حيثُ جازَ له أن يَعْمَلَ ، ووقفوا به حيثُ حُقِّقَ له أن يَقِفَ .

(٤) العقل ناقص عاجز عن إدراك كثير من حقائق الأشياء ، فلا يمكن أن يكون حكماً على دين الله ، إضافة إلى أن العقول مختلفة متباينة ، فلا تعطى أحكاماً منسجمة كأحكام الوحي .

(٥) أن دعوى وجود عقليات مخالفة للشرع ، لاحقيقة لها عند الاعتبار الصحيح ، بل هي أوهام وخيالات وشبه عارية عن الصواب ، إضافة إلى أنه لاضابط عند من يردُّ النصوص بالعقل يفرق بين ما يرد وما لا يرد .

(٦) ردُّ النصوص عقلاً أو جد أثراً بالغاً في زعزعة كثير من العقائد وعدم احترام نصوص الوحي الاحترام اللائق ، والتهوين من شأنها .

المعتزلة :

(١) تأثر المعتزلة بالفلسفة اليونانية ، وأعطوها صبغة إسلامية ليستعينوا بها على نظرياتهم وجدلهم ، فكان ذلك ذا أثر بالغ في ردِّ النصوص بالعقل ، وفتح باب شر عظيم على أمة الإسلام دخل منه كثيرون من أعداء الإسلام ، وتأثر بذلك جحافل من أبناء المسلمين .

(٢) مخالفة المعتزلة منهج السلف في فهم النصوص ، وعجز عقولهم عن الفهم الصحيح لها أدى بهم إلى الاضطراب وعدم الاستقرار المنهجي .

المستشرقون :

(١) المستشرقون امتداد لليهود والنصارى الأول الذين بذلوا كل ما في وسعهم لطمس الإسلام في مهده .

(٢) شدة عداوة المستشرقين للإسلام دفعتهم إلى تشويه وإظهاره بصورة الرجعية وعدم مواكبة الحضارة ، وزعزعة العقيدة في نفوس أبنائه بشتى السبل .

(٣) أن المستشرقين يتدثرون بثوب التبشير والاستعمار ، وإن كبسوا مسوح العلماء ، ويستهدفون من وراء ذلك محو الإسلام وإذلال أهله ، والاستيلاء على ثروات بلادهم .

- (٤) لم يَسْتَطِعْ أن يتخلصَ المستشرقون في دراسَتهم للإسلام من العصبية والعداء له مهما حاولوا الانقيادَ إلى المنهجية العلمية التي يزعمونها ، مما أدى إلى عدم الزاهة والتجرد والدقة في بحوثهم ، وكثرة الأخطاء وضحالة المعلومات .
- (٥) تأثرهم بالتيار المادي الذي يَسُودُ الحضارة الغربية وبعدهم عن الجانب الروحي كان له أثرٌ في إقحام عقولهم في الأمور الغيبية التي تخرج عن نطاق العقل .
- (٦) عدم تصديقهم بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم كان من أكبر الدوافع لهم في بث شكوكهم ومطاعنهم في بقية جوانب الإسلام .
- (٧) كانت الحروب الصليبية مُنْطَلَقَ عداءٍ جديدٍ للعالم الإسلامي ، حيث جعلت الغربَ المسيحيَ يبذلُ قصارى جهده في حرب الإسلام في كل الميادين وبشتى السبل .
- (٨) عَرَفَ المستشرقون أهمية السنة فركزوا طعونهم عليها ليتسنى لهم الطعن في القرآن ، ووجدوا في منهج المعتزلة ما يخدم أغراضهم فدافعوا عنه وتبكّوه وساروا على منواله في محاربة السنة ، مما يمكن أن يقال : إن المستشرقين امتدادٌ للمدرسة الاعتزالية في التعامل مع الأحاديث مع تباين هدف الرفض .
- (٩) جناح الاستشراق في استقطاب كثيرٍ من أبناء الإسلام الذين انخدعوا بأفكاره وآرائه وتأثروا بثقافته ومناهجه ، وكثيرٌ منهم يمثلون رموزاً بارزةً في بلدانهم ، فكان لذلك أثرٌ بالغٌ في نشر تلك الأفكار بين المسلمين وانخداع السذج منهم بها وتفلّت كثيرٌ منهم بسببها من التمسك بالشرع .
- (١٠) ضَعُفُ الأمة الإسلامية وبعدها عن دينها أدى إلى تشبّثها بالغرب وتبعية أفكاره واستجدائها وتسولها على موائده .

المدرسة العقلية الحديثة :

- (١) تأثر رواد المدرسة العقلية الحديثة بمنهج المعتزلة في التعامل مع نصوص الوحي ورديها بالعقل ، وسيرهم على منوالهم حذو القذة بالقذة ، مع كثرة جهلهم وقلة بضاعتهم .
 - (٢) تتلمذ أبناء المسلمين على المستشرقين جعل كثيراً منهم يحذو حذوهم . فكان خطرهم أعظم وإفسادهم أكبر ، لأنهم يهدمون حصون السنة من داخلها .
 - (٣) جهلهم بالسنة النبوية جعلهم يتلقفون شبهات المستشرقين وينخدعون بأقوالهم وآرائهم ، بل قلدوهم في كل شيء حتى في معرفة دين الإسلام .
 - (٤) ضعف الوازع الديني عند المسلم يجعله مستجيباً للضغوط المعاصرة ولو على حساب دينه .
- خلاصة :**

- (١) وجود صلة قوية تربط المعتزلة والمستشرقين والمدرسة العقلية الحديثة وهي اعتماد كل مدرسة على منهج سابقتها في رد نصوص السنة بالعقل .
- (٢) وجود قاسم مشترك بين المدارس الثلاث ، وهو الجهل بالسنة وعدم إدراك معانيها - إذا استبعد سوء القصد الذي وقع فيه كثير من المستشرقين .
- (٣) أعطت هذه المدارس العقل أكثر مما أعطاه الله من المكانة وسمت به فوق منزلة الوحي وقدمته عليه ، مما أدى إلى تهوين أمر السنة وتهميشها .



الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

فهرس الأعمال المترجم لهم

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

* فهرس الآيات القرآنية

الآية	الرقم	الصفحة
« سورة الفاتحة »		
« صراط الذين أنعمت عليهم »	٧	٤٦٠
« سورة البقرة »		
« الذين يؤمنون بالغيب »	٣	٦٨٣
« فلا تجعلوا لله أنداداً »	٢٢	١٥٤
« فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا »	٢٤	٢٠٤ ، ١٧٥
« كيف تكفرون بالله »	٢٨	٢٦٤ ، ٢٣٤
« الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم »	٤٦	١٢٨
« واتقوا يوماً لا تجزي نفس »	٤٨	٣١٧ ، ٣١٤
« لن نؤمن لك حتى نرى الله »	٥٥	٢٠٦ ، ٢٠٥
« وإن من الحجارة لما يتفجر »	٧٤	٣٣٤
« أفستطمعون أن يؤمنوا لكم »	٧٥	٤٠٥
« وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »	٨٣	١٤
« ولن يتمنوه أبداً »	٩٥	٢٠٦
« فتمنوا الموت إن كنتم صادقين »	٩٥	٢٠٧
« ما يود الذين كفروا »	١٠٥	٣٤٦
« والله يختص برحمته »	١٠٥	٣٧٧
« حسداً من عند أنفسهم »	١٠٩	٢٦١ ، ٢٣٤
« ود كثير من أهل الكتاب »	١٠٩	٧١٦ ، ٣٤٥ ، ٢٦٢
« ولن ترضى عنك اليهود »	١٢٠	٧١٥ ، ٣٤٥
« قولوا آمنا بالله »	١٣٦	٨١٤ ، ٧٩
« وكذلك جعلناكم أمة وسطاً »	١٤٣	١٠٠
« قد نرى تقلب وجهك »	١٤٤	٢١٧
« كما أرسلنا فيكم رسولاً »	١٥١	٣٩
« إن الذين يكتُمون ما أنزلنا »	١٥٩	٥٣٤

الصفحة	الرقم	الآية
٢٩٤	١٧٨	« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص »
١٨	١٨٠	« كتب عليكم إذا حضر أحدكم »
١٤	١٨٣	« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام »
٢٧٠	١٨٥	« يريد الله بكم اليسر »
٧٩١	١٨٧	« أحل لكم ليلة الصيام »
٢٧٩ ، ٢٧١ ، ٢٣٧	٢٠٥	« والله لا يحب الفساد »
٧٠٦	٢٠٨	« يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم »
٥٥٤	٢١٠	« هل ينظرون إلا أن يأتيهم »
٤٦٨	٢١٧	« يسألونك عن الشهر الحرام »
٤٦٩	٢١٧	« ولا يزالون يقاتلونكم »
٤٦٩	٢١٨	« إن الذين آمنوا والذين هاجروا »
٤١٠	٢٢٢	« ويسألونك عن المحيض »
١٨٩	٢٢٣	« واتقوا الله واعلموا »
١٨٩	٢٤٩	« قال الذين يظنون »
٢٧٠	٢٥٣	« ولكن الله يفعل ما يريد »
٣١٨ ، ٣١٤	٢٥٤	« يا أيها الذين آمنوا أنفقوا »
٣٢٦ ، ٢٢٥	٢٥٥	« من ذا الذي يشفع »
٢٦	٢٥٦	« لا إكراه في الدين »
٣١٨ ، ٣١٥	٢٧٠	« وما للظالمين من أنصار »
١٦	٢٧٥	« وأحل الله البيع »
٥٦	٢٧٥	« ذلك بأنهم قالوا إنما البيع »
٢٧٤	٢٨٦	« لا يكلف الله نفساً »
		« سورة آل عمران »
١٦٣	٧	« هو الذي أنزل عليك الكتاب »
٣٠١	٩	« ربنا إنك جامع الناس »

الصفحة	الرقم	الآية
٧٧٤ ، ١٠	٣١	« قل إن كنتم تحبون الله »
٤٠٤	٤٤	« ذلك من أنباء الغيب »
٦٦٦	٤٦	« ويكلم الناس في المهد »
٦٦٣	٥٥	« إذ قال الله يا عيسى »
٥٩	٦١	« فمن حاجك فيه »
٣١٨ ، ٣١٥	٧٢	« وما للظالمين من أنصار »
٢٦١	٧٣	« وما هو من عند الله »
٢٦٢	٧٣	« وإن منهم لفريقاً »
٢١٧	٧٧	« لا ينظر الله إليهم »
٢٣٤	٧٨	« وما هو من عند الله »
١٤	٩٧	« ولله على الناس حج البيت »
٤٦٤	١٠٥	« ولا تكونوا كالذين تفرقوا »
٢٧٩ ، ٢٣٧	١٠٨	« وما الله يريد ظلماً للعالمين »
١٠٠	١١٠	« كنتم خير أمة »
٥٤٢	١٥٩	« ولو كنت فظاً »
٢٦٠ ، ٢٣٤	١٦٥	« قل هو من عند أنفسكم »
٢٦١	١٦٥	« أولما أصابتكم مصيبة »
٢٥	١٩٠	« إن في خلق السموات »
٢٥	١٩١	« الذين يذكرون الله قياماً »
٣١٨ ، ٣١٥	١٩٢	« وما للظالمين من أنصار »
٣٠١	١٩٤	« ولا تخزنا يوم القيامة »
		« سورة النساء »
١٦	١١	« يوصيكم الله في أولادكم »
١٦	١١	« من بعد وصية »
٢٩٠	١٤	« ومن يعص الله ورسوله »

الآية	الرقم	الصفحة
« يريد الله ليبين لكم »	٢٦	٢٧.
« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم »	٢٩	١٩
« إن تجتنبوا كبائر »	٣١	٣٠.٨
« إن الله لا يغفر أن يشرك به »	٤٨	٢٩١، ٩٤، ٨١
		٢٩٨، ٢٩٧، ٢٩٥
		٣.٧
« ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً »	٥١	٤٥٥
« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله »	٥٩	٥٥٩، ٦٢، ٤٤، ٩
« فإن تنازعتم في شيء »	٥٩	٤٦٤، ١٢
« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك »	٦٥	٤٣، ٩
« وما أصابك من سيئة »	٧٩	٢٦٠، ٢٣٤
« من يطع الرسول »	٨٠	٧٣٠، ١٠١، ٢٢
		٧٤٤
« ولو كان من عند غير الله »	٨٢	٤٦٤، ١٦٤، ١٦٣
« ومن يقتل مؤمناً »	٩٣	٣٠٦، ٢٩٠
« وأنزل عليك الكتاب »	١١٣	٣٩
« ومن يشاقق الرسول »	١١٥	٥٩٧، ٣٥
« إن الله لا يغفر أن يشرك به »	١١٦	٢٩١، ٩٤، ٨١
		٢٩٨، ٢٩٧، ٢٩٥
« ويغفر ما دون ذلك »	١١٦	٢٩٨
« من يعمل سوء »	١٢٣	٢٩١
« أرنا الله جهرة »	١٥٣	٢٠٣
« يسألك أهل الكتاب »	١٥٣	٢٠٥
« وقولهم إنا قتلنا المسيح »	١٥٧	٦٦٥
« وماقتلوه يقينا »	١٥٧	٦٧٢

الآية	الرقم	الصفحة
« بل رفعه الله إليه »	١٥٨	٦٧٢ ، ٦٦١
« وإن من أهل الكتاب »	١٥٩	٦٦٨
« إنا أوحينا إليك »	١٦٣	٣٥٩
« رسلاً مبشرين »	١٦٥	٤٤
« لئلا يكون للناس »	١٦٥	٢٧٥
« لكن الله يشهد »	١٦٦	٣٦٠
« إن الذين كفروا وصدوا »	١٦٧	٣٦٠
« يا أهل الكتاب لا تغلوا »	١٧١	٤٠٥
« ويزيدهم من فضله »	١٧٣	٣١٧ ، ٣١٤
« سورة المائدة »		
« اليوم أكملت لكم دينكم »	٣	٥٠٧ ، ٣٧
« فيما نقضهم ميثاقهم »	١٣	٤٠٦
« فأغرينا بينهم العداوة »	١٤	٢٥٠
« قل فمن يملك من الله شيئاً »	١٧	٢٥٧
« بما استحفظوا من كتاب الله »	٤٤	١٠٠
« وأنزلنا إليك الكتاب »	٤٨	٤١١
« ولا تتبع أهواءهم »	٤٨	٤٥٩
« وأن أحكم بينهم »	٤٩	٤٥٩
« ذلك فضل الله »	٥٤	٢٧٩
« قل هل أنبئكم بشر »	٦٠	٤٠٥
« وألقينا بينهم العداوة »	٦٤	٢٥٠
« يا أيها الرسول بلغ »	٦٧	٧٣٢ ، ١١٣ ، ٣٧
« والله يعصمك »	٦٧	٦٨٥
« أنه من يشرك بالله »	٧٢	٨١
« تكلم الناس في المهد »	١١٠	٦٦٦

الآية	الرقم	الصفحة
« وكنت عليهم شهيداً »	١١٧	٧٥٦
« سورة الأنعام »		
« وإن كان كبر عليك إعراضهم »	٣٥	٢٦٧
« والذين كذبوا بآياتنا »	٣٩	٢٦٧
« إن اتبع إلا ما يوحى »	٥٠	١٠٠
« ولذلك فتنا بعضهم »	٥٣	٢٥٩
« كتب ربكم على نفسه الرحمة »	٥٤	٢٤٥
« وعنده مفاتيح الغيب »	٥٩	٧٨
« وهو الذي يتوفاكم »	٦٠	٦٦٤
« الذين آمنوا ولم يلبسوا »	٨٢	١٧
« ولو ترى إذ الظالمون »	٩٣	٣٣٦
« انظروا إلى ثمره »	٩٩	٢١٦
« لا تدركه الأبصار »	١٠٣	١٧٣ ، ٢٠٢ ، ٢١٦
		٢٢٩
« اتبع ما أوحى إليك »	١٠٦	٨٣
« ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة »	١١١	٢٦٧
« وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً »	١١٢	١٦٦
« إن يتبعون إلا الظن »	١١٦	١٢٧
« وإذا جاءتهم آية »	١٢٤	٤٣
« الله أعلم حيث يجعل رسالته »	١٢٤	٣٧٨ ، ٧٥٤
« فمن يرد الله أن يهديه »	١٢٥	٢٤٢ ، ٢٥٤ ، ٢٦٧
		٢٧٠
		٤٠
« قل هل عندكم من علم »	١٤٨	
« سيقول الذين أشركوا لو شاء الله »	١٤٨	٥٦ ، ١٢٨ ، ٢٣٧
		٢٨٠

الآية	الرقم	الصفحة
« كذلك كذب الذين من قبلهم »	١٤٨	٢٨٠
« لو شاء الله ما أشركنا »	١٤٨	٢٨٤
« قل فله الحجة البالغة »	١٤٩	٢٨١
« وأن هذا صراطي »	١٥٣	٤٦٤ ، ٣٤
« ولا تزر وازرة »	١٦٤	٧٤١
« سورة الأعراف »		
« أنا خير منه خلقتني من نار »	١٢	٥٥
« قال اخرج منها »	١٨	٥٥
« وإذا فعلوا فاحشة »	٢٨	٢٦٤ ، ٢٣٥
« كما بدأكم تعودون »	٣٠	٢٦٨
« قل إنما حرم ربي الفواحش »	٣٣	٦٠
« ولا يدخلون الجنة »	٤٠	١٧٦
« حتى يلج الجمل »	٤٠	٢٠٨
« هل ينظرون إلا تأويله »	٥٣	١٦٥
« وإلى عاد أخاهم هوداً »	٦٥	٨١
« لقد أرسلنا نوحاً »	٩٥	٨١
« ولما جاء موسى لميقاتنا »	١٤٣	٢٠٣ ، ١٨٥ ، ١٧٤
« لن تراني »	١٤٣	١٨٤
« ورحمتي وسعت كل شيء »	١٥٦	٥٦٤
« قل يا أيها الناس إني رسول الله »	١٥٨	٤١١
« وإذا أخذ ربك من بني آدم »	١٧٢	٨٤
« أأست بريكم »	١٧٢	٨٥
« أو تقولوا إنما أشرك »	١٧٣	٨٥
« ولله الأسماء الحسنى »	١٨٠	١٤٢
« أولم ينظروا في ملكوت »	١٨٥	٢١٦

الآية	الرقم	الصفحة
« لا يجليها لوقتها »	١٨٧	١٧٧
« يسألونك عن الساعة »	١٨٧	٦٢٤
« قل لا أملك لنفسي »	١٨٨	٥٥١
« سورة الأنفال »		
« إن شر الدواب »	٢٢	٢٤
« ولو علم الله فيهم خيراً »	٢٣	٢٥٩ ، ٢٤
« فاعلموا أن الله مولاكم »	٤٠	٧٩
« وإذا يريكموهم إذا التقيتم »	٤٤	٢٠٩
« ولو ترى إذ يتوفى »	٥٠	٣٣٦
« إن يكن منكم عشرون »	٦٥	٩٤
« سورة التوبة »		
« ويأبى الله إلا أن يتم نوره »	٣٢	٣٥٨
« يريدون أن يطفئوا نور الله »	٣٢	٣٨٤
« هو الذي أرسل رسوله »	٣٣	٣٨٤
« عفا الله عنك »	٤٣	٤٦٠
« ولو أرادوا الخروج »	٤٦	٢٧٣
« لو خرجوا فيكم »	٤٧	٢٧٣
« لكن الرسول والذين آمنوا معه »	٨٨	٥١٩
« أعد الله لهم جنات »	٨٩	٥١٩
« والسابقون الأولون »	١٠٠	٥٧٧ ، ٥١٩ ، ٥٠
« والذين اتبعوهم بإحسان »	١٠٠	١٠٥
« ومن حولكم من الأعراب »	١٠١	٧٦٥
« أفمن أسس بنيانه »	١٠٩	١٠٤
« وعلى الثلاثة الذين خلفوا »	١١٣	١٨
« فلولا نفر من كل فرقة »	١٢٢	١١٣

الصفحة	الرقم	الآية
١٢٥	١٢٢	« وما كان المؤمنون لينفروا »
١٥٧	١٢٥	« وأما الذين في قلوبهم مرض »
٤١	١٢٨	« لقد جاءكم رسول »
		« سورة يونس »
٣٢٦	٣	« ما من شفيع إلا من بعد إذنه »
٣٧٧	١٦	« قل لو شاء الله ما تلوته »
٢٥٠	٢٢	« هو الذي يسيركم »
١٨٨	٢٦	« للذين أحسنوا الحسنى »
٨٧	٣١	« قل من يرزقكم »
٢٥٨	٤٤	« إن الله لا يظلم الناس »
١٢٧	٦٦	« إن يتبعون إلا الظن »
٢٦٧	٩٩	« ولو شاء ربك لآمن من في الأرض »
		« سورة هود »
١٦٢	١	« ألر . كتاب أحكمت آياته »
٧٩	١٤	« فاعلموا أنما أنزل بعلم الله »
٥١٠	١٥	« من كان يريد الحياة الدنيا »
٥١٠	١٦	« أولئك الذين ليس لهم في الآخرة »
٥٥١	٣١	« ولا أقول لكم عندي خزائن الله »
٢٧٠ ، ٢٦٧	٣٤	« ولا ينفعكم نصحي »
١٨٦	٤٦	« إنني أعظك »
٤٠٤ ، ٣٨٥	٤٩	« تلك من أنباء الغيب »
٢٥٦	٥٦	« إن ربي على صراط مستقيم »
		« سورة يوسف »
٣٧٥	١٨	« بل سولت لكم أنفسكم أمراً »
٢١٣ ، ١٨١ ، ١٨٠	٨٢	« واسأل القرية »

الآية	الرقم	الصفحة
« هذا تأويل رؤياي »	١٠٠	١٦٥
« ذلك من أنباء الغيب »	١٠٢	٤٠٤
« ما كان حديثاً يفترى »	١١١	٣٩
« سورة الرعد »		
« أم جعلوا لله شركاء »	١٦	٢٤٧
« إن الله لا يخلف الميعاد »	٣١	٣٠١
« سورة إبراهيم »		
« إن نحن إلا بشر مثلكم »	١١	٢٥٨
« يثبت الله الذين آمنوا »	٢٧	٣٢٨ ، ٣٢٧
« سورة الحجر »		
« إنا نحن نزلنا الذكر »	٩	١٣ ، ٧٧ ، ١٠٠ ، ٤٧٤ ، ٤٩٩ ، ٧٢٨
« فاصدع بما تؤمر »	٩٤	٣٧٨
« سورة النحل »		
« ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً »	٣٦	٨٢
« وأنزلنا إليك الذكر لتبين »	٤٤	١٥ ، ٢١ ، ٧٣٠ ، ٧٤٣
« لتبين للناس »	٤٤	١٠٠ ، ٧٤٢
« والله أنزل من السماء ماء »	٦٥	٢٠٠
« وأوحى ربك إلى النحل »	٦٨	٦٩٧
« ثم كلي من كل الثمرات »	٦٩	٦٩٧
« فلا تضربوا لله الأمثال »	٧٤	١٥٤
« وهو كل على مولاه »	٧٦	٣٦١
« والله جعل لكم مما خلق ظلالاً »	٨١	٢٤٧
« إن الله يأمر بالعدل »	٩٠	٢٣٥ ، ٢٦٤

الآية	الرقم	الصفحة
« ولقد نعلم أنهم يقولون »	١٠٣	٤٠٣
« أدع إلى سبيل ربك »	١٢٥	٥٦٢
« سورة الإسراء »		
« وما كنا معذبين حتى نبعث »	١٥	٨٤ ، ٤٤
« ولا تزر وازرة »	١٥	٧٤١
« ولا تقف ما ليس لك به علم »	٣٦	٦١
« كل ذلك كان سيئه عند ربك »	٣٨	٢٧٩ ، ٢٧١ ، ٢٣٧
« وإن من شيء إلا يسبح »	٤٤	٣٣٥
« ويسألونك عن الروح »	٨٥	٧٨
« لن نؤمن لك حتى تفجر »	٩٠	٢٠٦
« ونحشرهم يوم القيامة »	٩٧	١٩٧
« سورة الكهف »		
« ومن يضل فلن تجد له ولياً »	١٧	٣٩٦
« واتبع هواه »	٢٨	٣٥٨
« فمن شاء فليؤمن »	٢٩	٢٧٦ ، ٢٦٨
« مامنع الناس أن يؤمنوا »	٥٥	٢٦٤ ، ٢٣٥ ، ٢
« وهم يحسبون أنهم يحسنون »	١٠٤	٢١٢
« فمن كان يرجو لقاء ربه »	١١٠	١٨٩
« قل إنما أنا بشر »	١١٠	٤٣٨
« سورة مريم »		
« فأرسلنا إليها روحنا »	١٧	٦٨٨
« فلن أكلم اليوم أنسياً »	٢٦	٢٠٧
« يا أبت لم تعبد ما لا يسمع »	٤٢	١٩٦
« وما نتنزل إلا بأمر ربك »	٦٤	٣٧٥
« هل تعلم له سمياً »	٦٥	١٥٤

الصفحة	الرقم	الآية
٤١	٨٩	« لقد جئتم شيئاً إداً »
٤١	٩٠	« تكاد السموات يتفطرن منه »
١٧٥	٩٠	« وتخر الجبال هداً »
		« سورة طه »
١٦٤ ، ١٣	٥	« الرحمن على العرش استوى »
١٩٦	٤٦	« قال لا تخافا »
٣٢٥	١٠٩	« يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن »
٦٤	١١٠	« ولا يحيطون به علماً »
٨٤	١٣٤	« ولو أهلكناهم بعذاب »
		« سورة الأنبياء »
٦٢٧ ، ٣٥٥	١٨	« بل نقذف بالحق »
٢٦٦	٢٣	« لا يسأل عما يفعل »
٨٣ ، ٨٢	٢٥	« وما أرسلنا من قبلك من رسول »
٣٢٦ ، ٣١٨ ، ٣١٥	٢٨	« ولا يشفعون إلا لمن ارتضى »
٣٠٦	٣٤	« وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد »
١٣	٤٥	« قل إنما أنذركم بالوحي »
٤١٦	٩٢	« إن هذه أمتكم »
٧٥٦	١٠٥	« كما بدأنا أول خلق نعيده »
٣٨٣	١٠٧	« وما أرسلناك إلا رحمة »
		« سورة الحج »
٥٩	٨	« ومن الناس من يجادل »
١٦٢	١٨	« ومن يهن الله فما له من مكرم »
٣٣٥	١٨	« ألم تر أن الله يسجد له »
٥١٠	٣٧	« لن ينال الله لحومها »
٢٣	٤٦	« أفلم يسيروا في الأرض »

الصفحة	الرقم	الآية
٢٤١	٧٠	« أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ »
٢٨	٧٣	« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ »
٢٠٣ ، ١٧٥	٧٣	« لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً »
٢٠٧	٧٣	« إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ »
		« سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ »
٤٤٢	٥١	« يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ »
٨٧	٨٤	« قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا »
٨٧	٨٥	« سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ »
٨٧	٨٦	« قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ »
٨٧	٨٧	« سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ »
٨٧	٨٨	« قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ »
٨٧	٨٩	« سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ »
٣٣٦ ، ٣٢٩	١٠٠	« وَمَنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ »
٣٢٩	١٠١	« فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ »
		« سُورَةُ النُّورِ »
٣٧٥	١٢	« لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ »
١٠١	٣٩	« كَسْرَابٌ بِقِيَعَةٍ »
٩	٦٢	« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا »
١٠	٦٣	« فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ »
		« سُورَةُ الْفُرْقَانِ »
٢٤٢ ، ٢٣٩	٢	« وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ »
٣٩٠	٩	« انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ »
٣٢١	٧٠	« إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ »
١٨٩	٧٥	« تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ »

الصفحة	الرقم	الآية
		« سورة الشعراء »
٢٠٢	٦١	« فلما تراءى الجمعان »
٣٧١	١٩٢	« وإنه لتنزيل رب العالمين »
٣٧١	١٩٣	« نزل به الروح الأمين »
٣٧١	١٩٤	« على قلبك لتكون من المنذرين »
٣٧١	١٩٥	« بلسان عربي مبين »
٣٦٠	٢١٤	« وأنذر عشيرتك »
١٩٦	٢١٥	« وتوكل على العزيز الرحيم »
٣٩٠	٢٢١	« هل أنبئكم على من تنزل الشياطين »
٣٩٠	٢٢٢	« تنزل على كل أفاك »
٣٩٠	٢٢٣	« يلقون السمع »
		« سورة النمل »
٢١٧	٣٥	« فناظرة بما يرجع المرسلون »
٥٥١ ، ٤٢٣	٦٥	« قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب »
٢٦٠ ، ٢٣٤	٨٨	« صنع الله الذي أتقن »
		« سورة القصص »
٦٨٩	١٥	« فوكزه موسى »
٦٨٩	١٦	« قال ربي إني ظلمت نفسي »
٦٨٥	٢٠	« وجاء رجل من أقصى »
٦٨٥	٢١	« فخرج منها خائفاً »
٦٨٥	٣١	« وأن ألق عصاك »
٤٠٤	٤٤	« وما كنت بجانب الغربي »
٥٨	٥٠	« فإن لم يستجيبوا لك »
٣٧٢	٨٦	« وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب »

الآية	الرقم	الصفحة
« سورة العنكبوت »		
« وليحملن أثقالهم »	١٣	٧٤٨
« وتخلقون إفكاً »	١٧	٢٦٣
« وتلك الأمثال نضربها »	٤٣	٢٨
« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن »	٤٦	٥٦٢
« أو لم يكفهم أنا أنزلنا »	٥١	٣٧
« سورة الروم »		
« ضرب لكم مثلاً »	٢٨	٢٨
« فأقم وجهك للدين »	٣٠	٨٥
« وكان حقاً علينا نصر المؤمنين »	٤٧	٢٤٥
« سورة لقمان »		
« إن الشرك لظلم »	١٣	١٧
« سورة السجدة »		
« ولو شئنا لآتينا كل نفس »	١٣	٢٦٨
« سورة الأحزاب »		
« يا أيها النبي قل لأزواجك »	٢٨	٤٤٧ ، ٤٣٩
« وإن كنتن تردن الله »	٢٩	٤٤٧ ، ٤٣٩
« فلا تخضعن بالقول »	٣٢	١٥٧
« إنما يريد الله ليذهب »	٣٣	٢٧٠
« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة »	٣٦	١٢٥ ، ٧٥
« وإذا تقول للذي أنعم الله عليه »	٣٧	٤٣٨
« وكان أمر الله قدراً »	٣٨	٢٣٩
« لا يحل لك النساء من بعد »	٥٢	٤٣٩
« سورة سبأ »		

الصفحة	الرقم	الآية
٦٠	٦	« ويرى الذين أوتوا العلم »
٣٩٢	٤٦	« قل إنما أعظكم بواحدة »
٤٤٦	٤٧	« قل ما سألتكم من أجر »
٤١	٥٠	« قل إن ضللت »
		« سورة فاطر »
٦٣	١٠	« إليه يصعد الكلم الطيب »
٧٤١	١٨	« ولا تزر وازرة »
٥٩٦	٢٨	« إنما يخشى الله »
٣	٤٣	« ولن تجد لسنة الله تحويلاً »
		« سورة يس »
٢٤٨	٤٢	« وآية لهم أنا حملنا ذريتهم »
٢١٧	٤٩	« ما ينظرون إلا صيحة »
٢٩	٧٧	« أو لم ير الإنسان أنا خلقناه »
٢٩	٧٨	« وضرب لنا مثلاً »
٢٩	٧٩	« قل يحييها الذي أنشأها »
٢٩	٨٠	« الذي جعل لكم من الشجر »
٢٩	٨١	« أوليس الذي خلق السموات »
٢٩	٨٢	« إنما أمره إذا أراد شيئاً »
٢٩	٨٣	« فسبحان الذي بيده ملكوت »
		« سورة الصافات »
٢٤٨ ، ٢٤٢	٩٦	« والله خلقكم »
٢٤٨	٩٦	« اتعبدون ما تنحتون »
١٤٥	١٨٠	« سبحان ربك ربك العزة »
١٤٥	١٨١	« وسلام على المرسلين »
١٤٥	١٨٢	« والحمد لله رب العالمين »

الآية	الرقم	الصفحة
« سورة ص »		
« يا إبليس ما منعك أن تسجد »	٧٥	١٤٠
« قل ما أسألكم عليه من أجر »	٨٦	٤٤٦
« سورة الزمر »		
« ما نعبدهم إلا ليقربونا »	٣	٨٧
« ولا يرضى لعباده الكفر »	٧	٢٧٩ ، ٢٧١ ، ٢٣٧
« ولا تزر وازرة »	٧	٧٤١
« أفأنت تنقذ من في النار »	١٩	٣١٨ ، ٣١٥
« الله نزل أحسن الحديث »	٢٣	١٦٣
« ولقد ضربنا للناس »	٢٧	٢٩
« الله يتوفى الأنفس »	٤٢	٦٦٤
« قل لله الشفاعة »	٤٤	٣٢٦
« الله خالق كل شيء »	٦٢	٢٦٥ ، ٢٤٧ ، ٢٣٥
« ولقد أوحى إليك »	٦٥	٨١
« سورة غافر »		
« ربنا وسعت كل شيء رحمة »	٧	٥٦٤
« اليوم تجزى كل نفس »	١٧	٢٧٤
« ما للظالمين من حميم »	١٨	٣١٨ ، ٣١٤
« وما الله يريد ظلماً »	٣١	٢٧٩ ، ٢٣٧
« فوقاه الله سيئات »	٤٥	٣٢٧
« النار يعرضون عليها »	٤٦	٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٨
		٣٤١
« فاصبر إن وعد الله حق »	٥٥	٢٨٤
« إن الذين يجادلون في آيات الله »	٥٦	٥٦٠
« لخلق السموات والأرض أكبر »	٥٧	٣٠

الصفحة	الرقم	الآية
٤٣	٨٣	« فلما جاءتهم رسلهم بالبينات »
٤٣	٨٤	« فلما رأوا بأسنا »
٤٣	٨٥	« فلم يك ينفعهم إيمانهم »
		« سورة فصلت »
٧٨٤	٩	« قل إنكم لتكفرون بالذي خلق »
٧٨٤	١٠	« وجعل فيها رواسي »
٧٨٤	١١	« ثم استوى إلى السماء »
٧٨٤	١٢	« فقضاهن سبع سماوات »
٤٧٤	٤١	« إن الذين كفروا بالذكر »
٤٧٤ ، ١٠٠ ، أ	٤٢	« لا يأتيه الباطل »
		« سورة الشورى »
٥٥٩	١٠	« وما اختلفتم فيه من شيء »
١٤٠ ، ١٣٩ ، ٦٣	١١	« ليس كمثله شيء »
١٥٤ ، ١٤٣		
٤١ ، أ	٥٢	« وكذلك أوحينا إليك روحاً »
٣٥	٥٢	« وإنك لتهدي »
		« سورة الزخرف »
٥٥	٣١	« وقالوا لولا نزل هذا القرآن »
٣٧٧	٣٢	« أهم يقسمون رحمة ربك »
٦٦٧ ، ٦٦٢	٦١	« وإنه لعلم للساعة »
٥١١	٧٢	« وتلك الجنة التي أورثتموها »
٢٩١	٧٤	« إن المجرمين في عذاب جهنم »
٢٠٦	٧٧	« ونادوا يا مالك ليقض »
٣٢٥	٨٦	« ولا يملك الذين يدعون من دونه »

الآية	الرقم	الصفحة
« سورة الأحقاف »		
« قل ما كنت بدعاً من الرسل »	٩	٣٥٩
« ولقد مكناهم »	٢٦	٣٢
« سورة محمد »		
« فاعلم أنه لا إله إلا الله »	١٩	٧٨٤ ، ٧٩
« ينظرون إليك نظر المغشي »	٢٠	٢١٧
« أولئك الذين لعنهم الله »	٢٣	١٦٢
« سورة الفتح »		
« ليففر لك ما تقدم »	٢	٤٤٠
« إنا أرسلناك شاهداً »	٨	٣٤
« هو الذي أرسل رسوله بالهدى »	٢٨	١٢٢
« محمد رسول الله »	٢٩	٥١٩
« سورة الحجرات »		
« يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا »	١	٧٥
« يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق »	٦	٤٧٥ ، ١١٣
« ولكن الله حبيب إليكم بالإيمان »	٧	٢٥٤
« وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا »	٩	٢٩٥
« إنما المؤمنون إخوة »	١٠	٢٩٥
« بل الله يمين عليكم »	١٧	٢٥٨
« سورة ق »		
« وما أنا بظلام للعبيد »	٢٩	٢٥٨
« لهم ما يشاءون فيها »	٣٥	١٨٨
« سورة الذاريات »		
« كذلك ما أتى الذين من قبلهم »	٥٢	٣٨٩
« أتواصوا به »	٥٣	٣٨٩

الآية	الرقم	الصفحة
« وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » « سورة الطور »	٥٦	٢٣٥ ، ٢٦٥
« فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن »	٢٩	٣٩٠ ، ٤٣٢
« وإن للذين ظلموا عذاباً » « سورة النجم »	٤٧	٣٢٧
« والنجم إذا هوى »	١	٤٥٩
« ما ضل صاحبكم »	٢	٤٥٩
« وما ينطق عن الهوى »	٣	١٠٠ ، ٣٦٧ ، ٤٥٩
« إن هو إلا وحي »	٤	١٠٠ ، ٣٦٧ ، ٤٥٩ ، ٦٩٦ ، ٥٥٥
« ولقد رآه نزلة أخرى »	١٣	٢٢٩
« إن يتبعون إلا الظن »	٢٣	١٢٧
« وكم من ملك في السموات »	٢٦	٣٢٦
« وما لهم به من علم »	٢٨	٤٠
« فأعرض عن من تولى »	٢٩	٤٠
« ذلك مبلغهم من العلم »	٣٠	٤٠
« وإنه هو أضحك »	٤٣	٢٤٨
« وإنه هو أمات » « سورة القمر »	٤٤	٢٤٨
« إنا كل شيء خلقناه بقدر »	٤٩	٢٣٩ ، ٢٤٢
« وكل شيء فعلوه في الزبر » « سورة الحديد »	٥٢	٢٣٥ ، ٢٦٥
« انظرونا نقتبس »	١٣	٢١٦
« ذلك فضل الله »	٢١	٢٥٨
« ما أصاب من مصيبة »	٢٢	٢٤١ ، ٢٨٤

الآية	الرقم	الصفحة
« لئلا يعلم أهل الكتاب »	٢٩	٢٥٨
« سورة المجادلة »		
« يرفع الله الذين آمنوا »	١١	٥٩٦
« سورة الحشر »		
« وما أتاكم الرسول فخذوه »	٧	١٢٥ ، ٣٢٨ ، ٧٣٠ ، ٧٤٤
« ربنا اغفر لنا ولاخواننا »	١٠	٥٩٧ ، ٥٢٩
« الذين جاءوا من بعدهم يقولون »	١٠	٥٧٧
« سورة الصف »		
« هو الذي أرسل رسوله بالهدى »	٩	١٢٢
« سورة الجمعة »		
« هو الذي بعث في الأميين رسولا »	٢	٤٢٦
« يا أيها الذين آمنوا إذا نودي »	٩	٤١٥
« سورة التغابن »		
« هو الذي خلقكم »	٢	٢٦٨
« فاتقوا الله ما استطعتم »	١٦	٢٧٤
« سورة التحريم »		
« يا أيها النبي لما تحرم ما أحل الله »	١	٤٦٠
« سورة الملك »		
« ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت »	٣	٢٦٠ ، ٢٣٤
« وقالوا لو كنا نسمع »	١٠	٥٩ ، ٣٩ ، ٢٤
« فاعترفوا بذنبهم »	١١	٢٤
« وأسروا قولكم »	١٤	٢٤٨
« سورة القلم »		
« وإنك لعلی خلق عظیم »	٤	٤٣٥

الآية	الرقم	الصفحة
« سورة الحاقة »		
« إني ظننت أني ملاق حسابية »	٢٠	١٢٨
« فهو في عيشة راضية »	٢١	١٢٨
« فلا أقسم بما تبصرون »	٣٨	٤٣٢
« وما لا تبصرون »	٣٩	٤٣٢
« إنه لقول رسول »	٤٠	٤٣٢
« وما هو بقول شاعر »	٤١	٤٣٢
« ولا بقول كاهن »	٤٢	٤٣٢
« تنزيل من رب العالمين »	٤٣	٤٣٢
« ولو تقول علينا »	٤٤	٤٦٠
« لأخذنا منه باليمين »	٤٥	٤٦٠
« سورة الجن »		
« ومن يعص الله ورسوله فإن له نار »	٢٣	٢٩٠
« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه »	٢٦	٥٥١
« إلا من ارتضى من رسول »	٢٧	٥٥١
« ليعلم أن قد أبلغوا »	٢٨	٥٥١
« سورة المدثر »		
« ما سلككم في سقر »	٤٢	٣٢٥
« قالوا لم نلئ من المصلين »	٤٣	٣٢٥
« ولم نلئ نطعم المسكين »	٤٤	٣٢٥
« وكنا نخوض مع الخائضين »	٤٥	٣٢٥
« وكنا نكذب بيوم الدين »	٤٦	٣٢٥
« حتى أتانا اليقين »	٤٧	٣٢٥
« فما تنفعهم شفاعة الشافعين »	٤٨	٣٢٥

الآية	الرقم	الصفحة
« سورة القيامة »		
« وجوه يومئذ ناضرة »	٢٢	٢١٣ ، ١٨٧ ، ١٧٩
« إلى ربها ناظرة »	٢٣	٢١٣ ، ١٨٧ ، ١٧٩
« وجوه يومئذ باسرة »	٢٤	١٨٠
« تظن أن يفعل بها »	٢٥	١٨٠
« سورة الإنسان »		
« وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً »	٢٠	١٨٩
« وما تشاؤون إلا أن يشاء الله »	٣٠	٢٧٢ ، ٢٦٩ ، ٢٦٨
« سورة عبس »		
« عبس وتولى »	١	٤٦١
« سورة التكويد »		
« إنه لقول رسول »	١٩	٣٧١
« ذي قوة »	٢٠	٣٧١
« مطاع ثم أمين »	٢١	٣٧١
« وما صاحبكم بمجنون »	٢٢	٣٧١
« ولقد رآه بالأفق »	٢٣	٣٧١ ، ٢٢٩
« وما هو على الغيب بضنين »	٢٤	٣٧١
« وما هو بقول شيطان »	٢٥	٣٧١
« فأين تذهبون »	٢٦	٣٧١
« إن هو إلا ذكر »	٢٧	٣٧١
« لمن شاء منكم أن يستقيم »	٢٨	٣٧١
« وما تشاؤون إلا أن يشاء الله »	٢٩	٢٦٨
« سورة الانفطار »		
« وإن انفجار لفي جحيم »	١٤	٢٩١

الصفحة	الرقم	الآية
		« سورة المطففين »
٢٢١ ، ١٩٣ ، ١٨٩	١٥	« كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون »
٢٢١	١٦	« ثم إنهم لصالوا الجحيم »
٢٢١	١٧	« ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون »
		« سورة الانشقاق »
٤٧	٧	« فأما من أوتي كتابه »
٤٧	٨	« فسوف يحاسب »
		« سورة الأعلى »
٢٣٩	٢	« الذي خلق فسوى »
٢٣٩	٣	« والذي قدر فهدى »
		« سورة الغاشية »
٢١٧	١٧	« أفلا ينظرون إلى الإبل »
		« سورة الفجر »
٥٥٤	٢٢	« وجاء ربك والملك صفاً »
		« سورة الضحى »
٣٧٤	١	« والضحى »
٣٧٤	٢	« والليل إذا سجي »
٣٧٤	٣	« ما ودعك ربك »
		« سورة العلق »
٤٢١	١	« اقرأ باسم ربك »
٤٢١	٢	« خلق الإنسان »
٤٢١	٣	« اقرأ وربك »
١٩٦	١٤	« ألم يعلم بأن الله يرى »
		« سورة البينة »
٥١٠	٥	« وما أمروا إلا ليعبدوا الله »

الآية	الرقم	الصفحة
« سورة الزلزلة »		
« فمن يعمل مثقال ذرة »	٧	٣٠٥
« ومن يعمل مثقال ذرة »	٨	٣٠٥
« سورة الهمزة »		
« يحسب أن ماله أخلده »	٣	٣٠٧
« سورة الإخلاص »		
« ولم يكن له كفواً أحد »	٤	١٥٤

* فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الحديث أو الأثر
	« أ »
٧٩٥	ابسط رداءك - لأبي هريرة -
٧٨٦	اتقوا الله وتحفظوا من الحديث ... بسر بن سعيد
٤٧٧	أتى عثمان المقاعد فدعا بوضوء ... بسر بن سعيد
٢٨١	احتج آدم وموسى ...
٣٧٦	أخبركم بما سألتكم عنه غداً ...
٨٢٤	أخذت ثلاثة أكمواً أبو هريرة
٩٧	إذا استأذن أحدكم ثلاثاً ...
٧٦٧	إذا استيقظ أحدكم ...
٧٤٤ ، ٧٤١	إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه ... موضوع
٣٠٨ ، ١٨٨	إذا دخل أهل الجنة الجنة ...
٧٧٤	إذا سمعتم بالطاعون بأرض ...
١٢١	إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ...
٨٣٧	إذا قام أحدكم يصلي ، فإنه يستره ...
٦٩٤	إذا وقع الذباب في إناء أحدكم ...
٨٠	أذهب بنعلي هاتين ...
٤٩	أراهم سيهلكون ... ابن عباس
٢٠	أرأيت إذا منع الله الثمرة ...
٨١٧	أرأيتكم ليلتكم هذه ...
١١٦	ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم
٦٧٤	أرسل ملك الموت إلى موسى
٢٤٠	الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ...
٦٥٠	اشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني ...
٤١٠	اصنعوا كل شيء إلا النكاح ...

الصفحة	الحديث أو الأثر
٧٦٥	أصحبابي ...
٤١٥	أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا ...
٣٣٥	اطلبوا فضلة من ماء ...
٧٦١	اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم أربع ... ابن عمر
٤٥٦	أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر لليهود ... ابن عمر
٨٠٢	أفته يا أبا هريرة ... ابن عباس
٨٢٦	أقبلت راكباً على حمار أتان ... ابن عباس
٥٦٦	اكتب فالوالذي نفسه بيده ما يخرج منه إلا حق ... لعبدالله بن عمرو
٥٦٥	اكتبوا لأبي فلان
١١٦	ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ...
٧٢٨ ، ٣٦٧	ألا إني أوتيت القرآن ...
٧٨٢	اللهم حبب عبيدك هذا - يعني أبا هريرة - ...
٣١٠	اللهم وليديه فاغفر
٤٠٨	أما الطيب الذي بك فاغسله ...
٥٣١	أمر بقتل الكلاب ابن عمر
٨٠	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا ...
٥٤٤	أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ... ابن عمر
٦١٨	أمر النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة أن تفعل ...
٣١٦	أنا أولى الناس بعيسى
٧٠٨	إن أحد جناحي الذباب سم
٣٤٢	إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده ...
٦٥٦	إن أحدكم يجمع في بطن أمه ...
٥٣٤	إن إخواني من الأنصار كان يشغلهم ... أبو هريرة
٥٤٣	إن إخواني من المهاجرين والأنصار ... أبو هريرة
٣٢٣	أنا سيد الناس يوم القيامة ...
٦١٤	إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً ... ابن عباس

الصفحة	الحديث أو الأثر
٤٣٩	إن الله انكحني في السماء ... زينب بنت جحش
٢٤٩	إن الله خالق كل صانع ...
٥٦٣ ، ٢٧٥	إن الله عز وجل خلق آدم ...
٢٢٦	إن الله عز وجل لا ينام ...
١٩	إن الله قد أعطى لكل ذي حق حقه ...
٢٧١	إن الله كره لكم ثلاثاً ...
٥٦٣	إن الله لما قضى الخلق كتب عنده ...
٤٢٦	إن الله نظر إلى أهل الأرض ...
٥١١	إن الله لا ينظر إلى صوركم ...
٣٠٤	إن الله يقبل توبة العبد ...
٧٠٩	أنتم أعلم بأمر دنياكم
٤٥١	إن الدنيا حلوة خضرة ...
٥٤٨	إن ربنا ينزل كل ليلة إلى السماء ...
٥٥٠	إن رحمتي تغلب غضبي ...
٦٥٢	إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل ... أنس بن مالك
٧٥٢	إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ذات ليلة . عائشة
٧٧٣	إن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب عائشة
٣١٦ ، ٣١٥	إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي
٨٢٦	إن الصلاة تقطعها المرأة
٣٣٠	إن العبد إذا وضع في قبره
٨٢١	إن في عجوة العالية شفاء
٤٤٨	إن كدتم أنفأ لتفعلون فعل فارس
٥٢١ ، ١٣١	إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد
٤٥٠	إن كنا آل محمد لنمكث شهراً عائشة رضي الله عنها
٤	إن كنت تريد السنة فهجرج بالصلاة سالم بن عبد الله
٧٧٤	إنكم تدعون أن أبا هريرة يكثّر الحديث أبو هريرة

الصفحة	الحديث أو الأثر
١٩١	إنكم سترون ربكم عياناً
١٩٥	إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس
٢١٩ ، ١٩٨ ، ١٩٥	إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر
٥٠٨ ، ٥٠٣	إنما الأعمال بالنيات
٧٠٩	إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء
٧٥٧ ، ٧٥٤	إنما أنا بشر أصيب وأخطيء
١٣١	إنما أنا بشر وإنكم تختصمون
٤٣٦	إنما حبيب إليّ من دنياكم النساء
٤٨	إنما ذلك العرض
١١	إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به
٢٣٠	إنما هو جبريل
٥٥٦	إن موسى قام خطيباً
٧٤٤ ، ٧٤١	إن الميت يعذب ببكاء أهله
٤٩	إنها لا تصيد صيداً
٣٦٣	إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة النجاشي
٣٩٥	إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء
١٧	إنه ليس بذلك ألا تسمعون إلى قول لقمان
٧٦٤	إنهم ارتدوا على أدبارهم
٣١٥	إنهما عيد المشركين
٥٠٧ ، ٣٧٤	إني تركت فيكم شيئين
٤٩١	إني مما أخاف عليكم من بعدي
٤٠٩	إن اليهود والنصارى لا يصبغون
٤٢١	أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا ...
٥٣٤	أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي ...
٢٣٨	الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ...

الصفحة	الحديث أو الأثر
	(ب)
٦٢٣	الباذنجان لما أكل له ...
٢٩٧	بايعوني على أن لا تشركوا ...
٧١١	بشروا ولا تنفروا ...
٨١٢	بلغوا عني ولو آية ...
١٤	بني الإسلام على خمس ...
١١٤	بيننا الناس بقاء في صلاة الصبح
٥٥٧	بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل
	(ت)
٦٥٧	تحتاج الجنة والنار ...
٧٥٦	تحشرون حفاة عراة ...
٧٣٠	تركت فيكم ما إن تمسكتكم به ...
٢٣٠ ، ٢٢٦ ، ١٨٤	تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه ...
٤٥٢	توفى رسول الله ﷺ وما في بيتي من شيء ...
	(ث)
٥١١	ثم يبعثون على نياتهم
	(ج)
٥	جلد النبي صلى الله عليه وسلم أربعين
١٩١	جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما
	(ح)
٤٥٢	حبب إلي من دنياكم النساء
٣٧٤	حتى فجئه الحق وهو في غار حراء
٤٨٤	حدثوا الناس بما يعرفون
	(خ)
٤٠٩	خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم
٢٧٥	خلق الله آدم حين خلقه

الصفحة	الحديث أو الأثر
٧٨٣	خلق الله عز وجل التربة
٥١٩ ، ٤٨٨	خير الناس قرني
	(ذ)
٨٥	ذرية ذراها فنثرهم بين يديه
	(ر)
٤٨٣	رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ابن عمر
٧	رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني عائشة
٢٢٥	رأيت نوراً
	(ز)
٣٧٣	زملوني زملوني
	(س)
٨٤٠	سترة الإمام سترة من خلفه
١٨١	سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر
٦٥٠	سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة
	(ش)
٣١٩	شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي
	(ص)
٣٤١	صدقنا إنهم يعذبون
٥٧٥	الصلاة في المسجد الأقصى
١٥ ، ٦	صلوا كما رأيتموني
٤١٣	صوموا يوم عاشوراء
	(ع)
٨٢٠	العجوة من الجنة
٢٤٤	العزة إزاره
٥٦٧	العقل وفكاك الأسير علي
٥	عليكم بسنتي

الصفحة	الحديث أو الأثر
٥٣٥	عودوا للذي كنتم فيه
	(ف)
٣٢٤	فأحمد ربي بحامد علمنيها
٤١٤	فإذا كان العام المقبل ... صمنا ..
٣٢٣	فأقول أمتي يا رب
٤١٢	فأنا أحق بموسى
٧٤٨	فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين
٣٩٥	فإن خلق النبي صلى الله عليه وسلم كان القرآن عائشة
٧٣٢	فتتبع القرآن أجمعه زيد بن ثابت
٣٣٢	فتعاد روحه إلى جسده
٣٧٣	فجثثت منه فرقاً
٢٩١	فخرج من النار قوم
٥٣٥	فدعوت أنا وصاحبي زيد بن ثابت
٦٥٤	فرج عن سقف بيتي
٥٢٤	فطفقت إذا خرجت في الناس كعب بن مالك
١١٥	فقمت إلى مهراس لنا فضربتها أنس
٥٢٢	فلأن آخر من السماء أحب إليّ من أن أكذب علي
٤١٤	فلم أزل أرجع بين ربي ... وبين موسى
٣٤٠	فلولا أن لا تدافنوا
٧٩٥	فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدثني به أبو هريرة
٧٩٦	فما نسيت من مقالته تلك من شيء أبو هريرة
٧٣٤	فمن رغب عن سنتي فليس مني
٤٥٧	فمن كان له مال بخبير فليلقه به عمر
٣٦١	فهتف يا صباحاه
٢٥٨	فهو فضلي أوتيته من أشياء
٣٠٩	فهو في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً

الصفحة	الحديث أو الأثر
٧٩٥	فوالذي بعثه بالحق ما نسيت شيئاً سمعته منه أبو هريرة
٨٢٠	في عجوة العالية شفاء عائشة
٣٩٣	فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال
٧٦٤	فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين
٣٣٨	فيقال للأرض التثمي عليه
٣٣٧	فينادي مناد من السماء أن صدق
	(ق)
٩٥	قال لم أنس ولم تقصر
٦	قل آمنت بالله فاستقم
	(ك)
٤١٢	كان رسول الله ﷺ أمر بصيام يوم عاشوراء عائشة
٣٣٥	كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل جابر
٥٣٧	كان ممن يحفظ حديث رسول الله ﷺ - لأبي هريرة - ابن عمر
٢٤١	كتب الله مقادير الخلاق
٣٩٦	كلا والله لا يخزيك الله خديجة
٨٢٩ ، ٨٢٤	الكمأة من المن
٢٢٤	كنا نخير بين الناس ابن عمر
٣٣٥	كنا نعد الآيات بركة ابن مسعود
٥٦٦	كنت أكتب كل شيء أسمعه عبدالله ابن عمرو
٤٧٩	كنت أنا وجار لي من الأنصار عمر
	(ل)
٤٥٧	لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب
١٥ ، ٦	لتأخذوا عني مناسككم
٧١٦	لتتبعن سنن الذين من قبلكم
٧٧٨	لتتركن الحديث عن رسول الله - لأبي هريرة - عمر
١٧	لعل الله يرفعك وينفع بك ناساً - لسعد -

الصفحة	الحديث أو الأثر
٣٧٣ ، ٣٦١	لقد خشيت على نفسي
٤٥٠	لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوي عمر
٣٢٠	لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني أحد أول منك
٣٢٠	لكل نبي دعوة مستجابة
٥١١	لك ما نويت يا يزيد
٤٤٣	لكنني أصوم وأفطر
٤٨٠	لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار ابن عباس
١١٩	لم أنس ولم تقصر
٦٣٣ ، ٣٠١	لن يدخل أحداً عمله الجنة
١٨٣	لن يرى الله أحد في الدنيا
٥٤٢	لولا آيتان في كتاب الله ما حدثت أبو هريرة
٤٧	ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك
٦٦٧	ليس بيني وبينه نبي - يعني عيسى
٥٢٦	ليس كل ما حدثنا به سمعناه أنس
٥٢٢	ليس كلنا سمع حديث رسول الله ﷺ البراء بن عازب
٦٤٥	ليلزم كل إنسان مصلاه
	(م)
٤٦٩	ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام
٤٨٤	ما أنت بمحدث قوماً حديثاً ابن مسعود
١١٧	ما بال هذه المرأة
٤٥١	ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهماً عمرو بن الحارث
٤٤٦	ما جنتكم بما جنتكم به أطلب أموالكم
٤٥٠	ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام عائشة
٩٦	مالك في كتاب الله شيء .. للجنة أبو بكر
٤٤٩	مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب ..
٥٦٦ ، ٥٣٣	ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً مني أبو هريرة

الصفحة	الحديث أو الأثر
٦٤٩	ما من بني آدم مولود إلا يمسسه الشيطان
٤٧٧	ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ
٢٩٦	ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات
٦٥٣	ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه
٨٦	ما من مولود إلا يولد على الفطرة
٣٧٥	ما يمنعك أن تزورنا - لجبريل -
٧٧٥ ، ٧٥٧ ، ٧٥٦	متى استيقظ أحدكم من نومه
٧٩٧	
٦٢٤	المجرة التي في السماء من عرق الأفعى
٧٠٩	مررت مع النبي ﷺ يقوم
٦٢٤	مقدار الدنيا وأنها سبعة ألف سنة
٦٢٣	من اتخذ ديكاً أبيض لم يقربه شيطان
٦٨٦ ، ٦٧٣	من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه
٧٨٧	من أدركه الفجر جنباً فلا يصم
٥٣٢	من أسعد الناس بشفاعتك
٨٠٤	من اشترى شاة محفلة
٧٧٣	من أصبح جنباً فلا صوم عليه
٨٠٧	من أصطحب كل يوم سبع تمرات
٨٢١	من أكل سبع تمرات
٣٠٩ ، ٢٩٣	من تردى من جبل
٨٢٠	من تصبح بسبع تمرات
٧٦١	من تعد عليّ كذباً
١٤٧	من حلف بغير الله
٤٨١	من ستر مؤمناً في الدنيا
١	من سن في الإسلام سنة
٢٩٩	من صلى صلاتنا

الصفحة	الحديث أو الأثر
٨٠٠	من ضحك فليعد وضوءه
٥١١	من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا
٦٢٥	من قال لا إله إلا الله خلق الله ... طائراً
٢٩٣ ، ٣١٥ ، ٣١٧	من قتل نفسه بحديدة
٣٢١	
٨٠	من كان آخر كلامه لا إله إلا الله
٢٩٥	من كانت عنده مظلمة لأخيه
٥٠	ابن مسعود من كان منكم متأسياً
٥٢١	ابن مسعود من كان منكم مستنأ
٧٧١ ، ٧٦١	من كذب عليّ فليتبوأ مقعده
٥٤٣ ، ٥٢٥	من كذب عليّ متعمداً
٨٠	من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله
٢٩٣	من يحتسي سماً
٣٣٧	من يعرف أصحاب هذه الأقبر
٥٦١	مهلاً يا قوم بهذا أهلكتم الأمم
	(ن)
١١ ، ٤٧٥ ، ٥٠٧	نضر الله امرءاً سمع مقالتي
٧٣٣	نضر الله امرءاً سمع مني مقالة
١١٤	نضر الله عبداً سمع مقالتي
٦٢٤	النظر إلى الوجه الجميل عبادة
٣٢٤	نعم هل تضارون في رؤية الشمس
٢٣٠ ، ١٨٤	نور أنى أراه
٢١٩	نور هو أنى أراه
	(هـ)
٣٦٢	ورقة بن نوفل هذا الناموس الذي نزل الله
٣٨	هل بلغت ؟

الصفحة	الحديث أو الأثر
١٩١	هل تضارون في القمر ليلة البدر
٥٥٠	هؤلاء للجنة ولا أبالي
	(و)
٤١١	والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد
٦٦٢	والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل
٤٨٣	والله ما أراكم منتهين
٥٢٣	والله ما كنا نكذب
٥٣٦	والله ما يشك أنه سمع - لأبي هريرة
٢٩٧	وإن زنى وإن سرق
٣٤٢	وإن كان من أهل النار
٨٣٩	والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح
٣٣١	وجدتم ما وعد ربكم حقاً
٢٥١	وقني شر ما قضيت
١١	وكل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى
١١٦	وما كانت لنا خمر
	(لا)
٧٤٣	لا أراك تعارض حديث رسول الله
٧٥٥	لا ترجعوا بعدي كفاراً
٥٩٩	لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين
٨١٤	لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء
٥٢٠	لا تسبوا أصحابي
٥٨٨ ، ٥٧٥	لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد
٨١٣ ، ٥٥٥	لا تصدقوا أهل الكتاب
٧٩٧ ، ٧٧٦	لا تصروا الإبل
٤٤٨	لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم
٥٦٨	لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن

الصفحة	الحديث أو الأثر
٤٨٢	لا تمنعوا نساءكم المساجد
٧٩٢ ، ٧٧٤	لا عدوى
٤٥٢	لا نورث ما تركناه فهو صدقة
١٦	لا نورث ما تركناه فهو صدقة
٨٠٧	لا يبقى على ظاهر الأرض نفس
٣٠٩ ، ٢٩٢	لا يدخل الجنة مدمن خمر
٣٢١ ، ٣١٧ ، ٣١٥	لا يدخل الجنة فنام
٥٩٨	لا يزال ناس من أمتني منصورين
٨٣٨	لا يقطع الصلاة شيء
٧٩٧ ، ٧٩٢	لا يورد ممرض على مصح
٧٧٤	لا يوردن ممرض على مصح
	(ي)
٥٣٧	يا أبا هريرة كنت ألزمنا ابن عمر
٤٧	يا أيها الناس اتهموا رأيكم سهل بن حنيف
٧١٢	يا أيها الناس إن منكم منفرين
٣٧٥	يا عاشة فإنه بلغني عنك كذا
٨٢	يا معاذ إنك تأتي قوماً
٣٢٢	يجمع الله المؤمنين يوم القيامة
٢٩٦	يخرج من النار من قال لا إله إلا الله
٧٤٦	يرحم الله عمر والله ما حدث رسول الله عائشة
٣٣٧	يعذبان وما يعذبان في كبير
٥٥٣	ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة
٦٦٩	ينزل عيسى بن مريم
١١	يوشك الرجل متكئاً على أريكته

* فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	الأعلام المترجم لهم
	« أ »
٤٩٦	١ - أبان بن أبي عياش
٦١٦	٢ - إبراهيم بن إسحاق الطالقاني
٧٢	٣ - إبراهيم بن سيار النظام
٢٧٨	٤ - إبراهيم بن محمد أبو إسحاق الاسفرائيني
٩٢	٥ - إبراهيم بن محمد أبو إسحاق الفزاري
٥٨٨	٦ - أحمد بن إسحاق اليعقوبي
٦٦٣	٧ - أحمد بن محمد بن أحمد بن زيد
٤٠٠	٨ - آريوس
١٥٥	٩ - إسحاق بن إبراهيم الحنظلي
٤٤٥	١٠ - الإسكندر
٣٦٢	١١ - أصحمة بن أبحر النجاشي
٣٦٩	١٢ - أمية بن أبي الصلت
	« ب »
٤٠٠	١٣ - بحيري الراهب
٤٧٦	١٤ - بسر بن سعيد المدني
٤٧٨	١٥ - بُشير بن كعب العدوي
٧٨٨	١٦ - أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث
٥٧١	١٧ - أبو بكر بن محمد بن حزم
٤٨٢	١٨ - بلال بن عبدالله بن عمر
	« ت »
٣٦٦	١٩ - توماس كارليل
٣٨٧	٢٠ - تيودور نولدكه

الصفحة	الأعلام المترجم لهم
	« ث »
٧٠٧	٢١ - ثمامة بن عبد الله بن أنس
	« ج »
٨٣٨	٢٢ - جبر بن نوف أبو الوداك
١٣٣	٢٣ - الجعد بن درهم
٥٩١	٢٤ - أبو جعفر المنصور
١٣٣	٢٥ - الجهم بن صفوان
٥٠٤	٢٦ - جوزيف شاخت
٣٨٦	٢٧ - جوستاف فايل
٣٥٦	٢٨ - جولد زهر
٥٣٠	٢٩ - جوينبل
	« ح »
٧٧٥	٣٠ - الحارث بن عبدالرحمن بن أبي ذباب
٤٩٩	٣١ - الحارث بن عبد الله الأعور
٨١٦	٣٢ - حاشد بن إسماعيل
٦١٧	٣٣ - الحجاج بن دينار
٤	٣٤ - الحجاج بن يوسف الثقفي
٣٦٧	٣٥ - حسان بن عطية
١٨٧	٣٦ - الحسن بن أبي الحسن البصري
٨٣٠	٣٧ - الحسين بن عبدالله بن سينا
٨	٣٨ - حماد بن زيد بن درهم
٤٩٨	٣٩ - حماد بن مالك المالكي
٤٩٨	٤٠ - حمزة بن حبيب الزيات
٥١٠	٤١ - حمزة بن محمد الكناني
٢٤٠	٤٢ - حميد بن عبدالرحمن الحميري

الصفحة	الأعلام المترجم لهم
٢٢٢	٤٣ - حنبل بن إسحاق بن حنبل
٦٦٩	٤٤ - حنظلة بن علي الأسقع
	« د »
٤٤٤	٤٥ - دافيد مرجليوث
٣٨٠	٤٦ - دبليو منتجمري وات
	« ذ »
٢٦١	٤٧ - ذكوان بن عبدالله أبو صالح السمان
	« ر »
٦٢٦	٤٨ - الربيع بن خثيم
١٩٢	٤٩ - الربيع بن سليمان المرادي
٥٨٤	٥٠ - ربيعة بن أبي عبد الرحمن
٤٨٩	٥١ - رفيع بن مهران أبو العالية
٤٠٧	٥٢ - رينهارت دوزي
	« ز »
٤٨٣	٥٣ - الزبير بن عري
٥٣٨	٥٤ - أبو الزعيرة
٤٩٢	٥٥ - زيد بن أبي أنيسة
	« س »
٤	٥٦ - سالم بن عبدالله بن عمر
٤٨٩	٥٧ - سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف
٥٥٦	٥٨ - سعيد بن جبير
٧٠٨	٥٩ - سعيد بن خالد القارظي
٧٩٥	٦٠ - سعيد بن أبي سعيد المقبري
٤٩٠	٦١ - سعيد بن المسيب
٧	٦٢ - سفيان بن سعيد الثوري
١٢٤	٦٣ - سفيان بن عيينه

الصفحة	الأعلام المترجم لهم
٧٠٨	٦٤ - أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف
٥٨٥	٦٥ - سليمان بن مهران الأعمش
٤٨٨	٦٦ - سليمان بن موسى الأموي
٥٨٦	٦٧ - سليمان بن يسار
	« ش »
٣٤٧	٦٨ - شارل مارتل
٦٨٧	٦٩ - شريح بن هانئ
٢٢٢	٧٠ - شريك بن عبدالله النخعي
٩٢	٧١ - شعبة بن الحجاج الواسطي
٧٩٦	٧٢ - شعيب بن أبي حمزة
٦١٧	٧٣ - شهاب بن خراشي
	« ص »
٢٧٧	٧٤ - الصاحب بن عباد
٧٥٤	٧٥ - صالح بن مهدي المقبلي
	« ض »
٣٢٨	٧٦ - ضرار بن عمر القطفاني
	« ط »
٤٨٨	٧٧ - طاوس بن كيسان اليماني
	« ع »
٨٠٢	٧٨ - عاصم بن عمر بن الخطاب
٢٢٢	٧٩ - عباد بن العوام الكلابي
٦٩	٨٠ - عبد الجبار بن أحمد الهمداني
٥٤٥	٨١ - عبدالرحمن بن أبي أنعم البجلي
٧٨٨	٨٢ - عبدالرحمن بن الحارث بن هشام
٨	٨٣ - عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي

الصفحة	الأعلام المترجم لهم
٦١٨	٨٤ - عبدالرحمن بن القاسم بن محمد
٧	٨٥ - عبدالرحمن بن مهدي بن حسان
٦٣٥	٨٦ - عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري
٨٣١	٨٧ - عبدالكبير بن محمد الغافقي
٤٩٣	٨٨ - عبدالله بن جعفر المديني
٨٣٥	٨٩ - عبدالله بن الحسن الهسنجاني
٤٨٨	٩٠ - عبدالله بن ذكوان القرشي أبو الزناد
٨٣٧	٩١ - عبدالله بن الصامت الغفاري
١٠٢	٩٢ - عبدالله بن المبارك
٧٠٧	٩٣ - عبدالله بن المثنى
٣٠٢	٩٤ - عبدالملك بن قريب الأصمعي
٥٧٤	٩٥ - عبدالملك بن مروان
٦٩٠	٩٦ - عبيد بن حنين
١٦٠	٩٧ - عبيد الله بن عبدالكريم أبوزرعة الرازي
٥٨٧	٩٨ - عبيد الله بن عبدالله بن عتبة المسعودي
٤٩	٩٩ - عروة بن الزبير
٤٨١	١٠٠ - عطاء بن أبي رباح
٤٨٧	١٠١ - عقبة بن نافع الفهري
١٨٧	١٠٢ - عكرمة بن عبدالله
٥٨٧	١٠٣ - علقمة بن وقاص الليثي
١٠٧	١٠٤ - علي بن عبدالله المديني
٤٩٦	١٠٥ - عمران بن حدير
٥٢	١٠٦ - عمر بن عبدالعزيز بن مروان
٧٣	١٠٧ - عمرو بن بحر الجاحظ
٥٨٤	١٠٨ - عمرو بن دينار

الصفحة	الأعلام المترجم لهم
٥٨٥	١٠٩ - عمرو بن عبدالله أبو إسحاق السبيعي
٢٣١	١١٠ - عمرو بن عبيد
٣٠٢	١١١ - أبو عمرو بن العلاء
٤٨٦	١١٢ - عمرو بن ميمون الأودي
٨٣٠	١١٣ - عيسى بن يحيى المسيحي
	« ق »
٦١٨	١١٤ - القاسم بن محمد بن أبي بكر
٧٦٥	١١٥ - قبيصة بن عقبة
٥٢٢	١١٦ - قتادة بن دعامة السدوسي
	« ك »
٣٦٩	١١٧ - كارل بروكلمان
٥٦٧	١١٨ - كسرى
٦٦٠	١١٩ - كعب الأخبار
	« ل »
٥٨٣	١٢٠ - الليث بن سعد
	« م »
٥٠٣	١٢١ - ماكdonald
٣٩٤	١٢٢ - ماكس مايرهوف
٥٣٦	١٢٣ - مالك بن أبي عامر
٨٣٨	١٢٤ - مجالد بن سعيد
٢٦٤	١٢٥ - مجاهد بن جبر المكي
١٦١	١٢٦ - محمد بن أدریس أبو حاتم الرازي
٨٠٣	١٢٧ - محمد بن إياس بن البكير
٤٩٤	١٢٨ - محمد بن خلاد أبو بكر
٤٨٧	١٢٩ - محمد بن سيرين الأنصاري

الصفحة	الأعلام المترجم لهم
٦٤	١٣٠ - محمد بن عبدالكريم الشهرستاني
٧٧٠	١٣١ - محمد بن عبدالله أبو جعفر الإسكافي
٧٠	١٣٢ - محمد بن عبد الوهاب أبو علي الجبائي
٧١	١٣٣ - محمد بن علي أبو الحسين البصري
٥٨٦	١٣٤ - محمد بن علي بن شافع
٦٧٤	١٣٥ - محمد بن علي بن عمر المازري
٦٣	١٣٦ - محمد بن عمر الرازي
١٤٩	١٣٧ - محمد بن عيسى برغوث
٤	١٣٨ - محمد بن مسلم بن شهاب
٦٠٥	١٣٩ - محمد بن مسلم بن وارة
٣٥١	١٤٠ - محمد بن موسى الدميري
٧٢	١٤١ - محمد بن الهذيل أبو الهذيل العلاف
٥٧٨	١٤٢ - المختار بن أبي عبيد الثقفي
٤٩٩	١٤٣ - مرة بن شراحيل الهمداني
٥٣٧	١٤٤ - مروان بن الحكم بن أبي العاص
١٢٩	١٤٥ - مسروق بن الأجدع
٤٨٨	١٤٦ - مسعر بن كدام بن ظهير
٦٦٤	١٤٧ - مطر بن طهمان الوراق
٧٤٩	١٤٨ - معاذة بنت عبدالله العدوية
٨٠٢	١٤٩ - معاوية بن أبي عياش
٢٣١	١٥٠ - معبد بن عبدالله الجهني
٥٦٧	١٥١ - المقوقس
٣٤٧	١٥٢ - مكسيم رودنسون
٤٩٦	١٥٣ - المكّي بن إبراهيم

الصفحة	الأعلام المترجم لهم
	« ن »
٤٤٥	١٥٤ - نابليون بونابارت
٦٩١	١٥٥ - نافع مولى بن عمر
١٥٥	١٥٦ - نعيم بن حماد الخزاعي
٥٥٦	١٥٧ - نوف بن فضالة البكالي
	« ه »
٥٩٢	١٥٨ - هارون الرشيد
٦٠١	١٥٩ - هاملتون جب
٣٦٣	١٦٠ - هرقل
٥٨٦	١٦١ - هشام بن عبد الملك بن مروان
٦١٥	١٦٢ - هشام بن عروة بن الزبير
٥٦٥	١٦٣ - همام بن منبه
٣٨١	١٦٤ - هوبرت جريمي
	« و »
١٣٤	١٦٥ - واصل بن عطاء
٤٠١	١٦٦ - ورقة بن نوفل
١٦١	١٦٧ - وكيع بن الجراح الرؤاسي
٥٨٩	١٦٨ - الوليد بن عبد الملك بن مروان
٦١٥	١٦٩ - الوليد بن مسلم
٥٦٦	١٧٠ - وهب بن عبد الله السوائي أبو جحيفة
٥٦٥	١٧١ - وهب بن منبه
٣٨٦	١٧٢ - الويز شبرنجبر
	« ي »
٤٩٣	١٧٣ - يحيى بن سعيد القطان
٥٨٤	١٧٤ - يحيى بن أبي كثير

الصفحة	الأعلام المترجم لهم
٢٢٠	١٧٥ - يحيى بن معين
٢٣٩	١٧٦ - يحيى بن يعمر
٤٨٩	١٧٧ - يزيد بن أبي حبيب المصري
٧٨٩	١٧٨ - يزيد بن هارون
٨١٥	١٧٩ - يعقوب بن إبراهيم الدورقي
٥٩١	١٨٠ - يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف
٧٩٦	١٨١ - يونس بن يزيد الأيلي

* فهرس المراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة - لعبد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي . تحقيق رضا بن نعسان معطي ، مطبعة دار الراهية . الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م ، الرياض .
- ٣ - الإبانة في أصول الديانة : أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري . إدارة الطباعة المنيرية ، الأزهر ، القاهرة .
- ٤ - الأبطال - تأليف توماس كارليل ، عربيه محمد السباعي ، الناشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر . المطبعة المصرية بالأزهر . الطبعة الثالث ، ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م .
- ٥ - الإتيقان في علوم القرآن - جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر السيوطي ، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م . لبنان .
- ٦ - إثارة الحق على الخلق - أبو عبدالله محمد بن المرتضى اليماني ، مطبعة الآداب المؤيد ، مصر . «مكرر برقم ٥٥»
- ٧ - الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة لأبي الحسنات محمد عبدالحى اللكنوي ، تعليق عبدالفتاح أبو غدة . الناشر مكتبة المطبوعات الإسلامية ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م . حلب .
- ٨ - الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان . للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي . تحقيق شعيب الارنؤوط ، الناشر : مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .
- ٩ - الإحكام في أصول الأحكام ، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، تقديم : الأستاذ الدكتور إحسان عباس . الناشر : منشورات دار الآفاق الجديدة . الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - بيروت .

- ١٠ - أخبار عمرو بن عبيد ، لعل بن عمر أبي الحسن الدارقطني ، تحقيق : الدكتور يوسف فان إس . المطبعة الكاثوليكية . ١٩٦٧م - بيروت .
- ١١ - آداب الشافعي ومناقبه . لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، تحقيق عبد الغني عبد الخالق . الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ..
- ١٢ - أدب الحديث النبوي . بكر شيخ أمين ، مطبعة دار الشروق .
- ١٣ - الأدب المفرد ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، نشره قصي محب الدين الخطيب . الطبعة الثانية . ١٩٧٩ م القاهرة .
- ١٤ - الأدلة على صدق النبوة المحمدية ورد الشبهات عنها ، هدى عبد الكريم ، رسالة دكتوراه ١٤٠٦هـ - ١٩٨٩ م ، جامعة أم القرى .
- ١٥ - الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد لسليم الهلالي . المطبعة : شركة المطابع النموذجية المساهمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦ م .
- ١٦ - أديان الهند الكبرى الهندوسية - الجينية - البوذية ، الدكتور أحمد شلبي . مكتبة النهضة المصرية الطبعة السابعة ١٩٨٤ م .
- ١٧ - آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره ، الدكتور عمر بن إبراهيم رضوان . اشرف الدكتور مصطفى مسلم ، الناشر : دار طيبة للنشر ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .
- ١٨ - الأربعين في أصول الدين ، لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ، الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية .
- ١٩ - إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول . محمد بن علي الشوكاني . المطبعة : مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .
- ٢٠ - إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، لمحمد ناصر الدين الألباني . اشرف محمد زهير الشاويش ، الناشر : المكتب الإسلامي . الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م .

- ٢١ - أزمة الحوار الديني ، لجمال سلطان ، الناشر : دار الوطن للنشر ، الرياض .
- ٢٢ - أساس التقديس في علم الكلام . لفخر الدين أبي عبدالله محمد بن عمر الحسين الرازي ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، ١٤٥٤ هـ مصر .
- ٢٣ - الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم . الدكتور مصطفى السباعي . مطبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ٢٤ - الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر . عدنان محمد وزان . منوعات رابطة العالم الإسلامي ضمن سلسلة دعوة الحق ، العدد ٢٤ السنة الثالثة .
- ٢٥ - الاستقامة ، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود ، الطبعة الأولى .
- ٢٦ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري ، مطبعة النهضة ، مصر ، القاهرة .
- ٢٧ - أسد الغابة في معرفة الصحابة . لعز الدين أبي الحسن ابن الأثير الجزري ، مطبعة الشعب ، القصر العيني ١٩٧٠ م . القاهرة .
- ٢٨ - الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة . لنور الدين علي بن محمد بن سلطان . الملا علي القاري . تحقيق محمد الصباغ ، الناشر دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ، طبعة مطابع دار القلم ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م بيروت - لبنان .
- ٢٩ - الإسلام على مفترق الطرق . محمد أسد ليبولد فايس ، تحقيق : عمر فروخ . مطبعة دار العلم للملايين - بيروت .
- ٣٠ - الإسلام والمستشرقون . نخبة من العلماء المسلمين ، مطبعة عالم المعرفة للنشر والتوزيع . الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م . جدة .
- ٣١ - الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية . للشيخ محمد عبده . الطبع والنشر مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ١٩٥٤ م - ١٣٧٣ هـ .
- ٣٢ - الإصابة في تمييز الصحابة . لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني . مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع - القاهرة .

٣٣ - أصول التخرّيج ودراسة الأسانيد للدكتور محمود الطحان ، مكتبة المعارف . الرياض .
الطبعة الثانية . ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .

٣٤ - أصول الحديث . الدكتور محمد عجاج الخطيب ، الناشر المكتبة الفيصلية ، مطبعة دار
الفكر ، الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، بيروت لبنان .

٣٥ - أصول السرخسي لأبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهيل السرخسي . تحقيق أبي
الوفاء الأفغاني ، نشر لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر أباد الدكن بالهند
، مطابع دار الكتاب العربي ، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م . مصر .

٣٦ - أصول الفقه لبدران أبو العينين
الناشر: مؤسسة شبّاب الجامعة . ١٩٨٤

٣٧ - أصول الفقه لمحمد أبي زهرة طبع ونشر دار الفكر العربي .

٣٨ - أصول الفقه وابن تيمية . صالح عبدالعزيز المنصور ، مطبعة دار النصر للطباعة
الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - مصر .

٣٩ - أضواء على السنة المحمدية ، تأليف محمود أبوريه . الناشر مطبعة التأليف بمصر ،
الطبعة الأولى ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م .

٤٠ - إظهار الحق ، رحمة الله خليل الرحمن العثماني ، مطبعة : إدارة إحياء التراث
الإسلامي ، ١٩٨٣ م . الدوحة - قطر .

٤١ - الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي ، تعريف محمد رشيد
رضا ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية .

٤٢ - الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد . لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي . عالم الكتب
- بيروت ، الطبعة الأولى .

٤٣ - الأعلام - خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، الطبعة السابعة ، مايو ١٩٨٦ م -
بيروت - لبنان .

- ٤٤ - أعلام الموقعين عن رب العالمين : لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ،
تحقيق : عبدالرحمن الوكيل . الناشر : دار الكتب الحديثة ، مطبعة السعادة ،
١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م . القاهرة .
- ٤٥ - أعلام النبوة . لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي ، الناشر دار الباز
للنشر والتوزيع . المطبعة : دار الكتب العلمية ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م ، بيروت ،
لبنان .
- ٤٦ - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، لمحمد بن عبدالرحمن السخاوي ، تحقيق أحمد باشا
تيمور القدسي ، دمشق .
- ٤٧ - إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق :
ناصر عبدالكريم العقل . مطبعة شركة العبيكان للطباعة والنشر ، الطبعة
الأولى ، ١٤٠٤ هـ - الرياض .
- ٤٨ - الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع . لعياض بن موسى اليحصبي ،
تحقيق السيد أحمد صقر ، دار التراث - القاهرة - المكتبة العتيقية تونس
١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م .
- ٤٩ - الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي ، إشراف وتصحيح محمد زهري النجار . دار
المعرفة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م بيروت .
- ٥٠ - الأنساب لعبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ، تصحيح وتعليق الشيخ
عبدالرحمن بن يحيى المعلمي ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ،
الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م - حيدر أباد .
- ٥١ - الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة . لعبد
الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، المطبعة السلفية ، ١٣٧٨ هـ القاهرة .
- ٥٢ - إثثار الحق على الخلق : لأبي عبدالله محمد بن المرتضى اليماني ، مطبعة الآداب المؤيد
بمصر .

٥٣ - إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ، لمحمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة . تحقيق وهبي سليمان - غاوجي الألباني ، مطبعة دار السلام . الطبعة

الأولى ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م - القاهرة .

٥٤ - إيقاظ همم أولى الأبصار لصالح بن محمد بن نوح الفلاني ، تحقيق وتصحيح محمد منير الدمشقي . إدارة الطباعة المنيرية ، ١٣٥٤هـ مصر .

٥٥ - باب ذكر المعتزلة من كتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل ، لأحمد بن يحيى ابن المرتضى ، مطبعة دار المعارف النظامية ، ١٣١٦ هـ حيدر أباد الدكن .

٥٦ - الباحث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، تأليف أحمد محمد شاكر ، واختصار علوم الحديث لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير ، الناشر : دار الكتب العلمية بيروت ، مطبعة دار الفكر الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م .

٥٧ - بحوث في أصول التفسير ، الدكتور محمد لطفي الصباغ ، المكتب الإسلامي . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م ، بيروت .

٥٨ - البدء والتاريخ ، لمطهر بن طاهر المقدسي ، مكتبة المثنى - بغداد .

٥٩ - بدائع الفوائد لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، طبعة دار الفكر .

٦٠ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد . لمحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ، صححها نخبة من العلماء الأجلاء ، الناشر المكتبة التجارية الكبرى - مصر .

٦١ - البداية والنهاية ، لأبي الفداء محمد بن إسماعيل بن كثير ، تحقيق هيئة بإشراف الناشر ، مكتبة المعارف ، الطبعة الخامسة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م بيروت .

٦٢ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . لمحمد بن علي الشوكاني . الناشر مكتبة ابن تيمية - القاهرة .

٦٣ - البدعة ، تحديدها وموقف الإسلام منها للدكتور عزت علي عيد عطية رسالة دكتوراه ، الناشر : دار الكتب الحديثة ، مطبعة المدني ١٩٧٣ م القاهرة .

٦٤ - البرهان في علوم القرآن ، لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

٦٥ - بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية ، تصحيح وتكميل وتعليق محمد بن عبدالرحمن بن قاسم . مطبعة الحكومة الطبعة الأولى ، ١٣٩١ هـ مكة المكرمة .

٦٦ - تاريخ الأدب العربي . لكارل بروكلمان ، ترجمة : عبدالحليم النجار . مطبعة دار المعارف ، الطبعة الثالثة . مصر .

٦٧ - تاريخ بغداد . لأحمد بن علي الخطيب البغدادي دار الكتاب العربي - بيروت .

٦٨ - تاريخ الثقات ، لأحمد بن عبدالله بن صالح العجلي ، توثيق الدكتور عبدالمعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤ م بيروت .

٦٩ - تاريخ دمشق لابن عساكر ، مخطوط .

٧٠ - تاريخ الشعوب الإسلامية ، لكارل بروكلمان ، مطبعة : دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة السادسة .

٧١ - التاريخ الصغير لمحمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، الناشر مكتبة دار التراث ، القاهرة ، دار الوعي ، الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م حلب .

٧٢ - تاريخ الطبري . محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ١٩٧٩ م .

٧٣ - تاريخ العرب ، دكتور فيليب حتى ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، الطبعة الثالثة ١٩٦١ م .

٧٤ - تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين لعلي مصطفى الغرابي ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر .

٧٥ - التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل البخاري ، الناشر والمطبعة والطبعة بدون .

- ٧٦- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية لمحمد أبي زهرة ، دار الفكر العربي .
- ٧٧- تاريخ اليعقوبي . لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ، الناشر دار صادر ، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠ م بيروت .
- ٧٨- تأويل مختلف الحديث ، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تصحيح : محمد زهري النجار ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م - ميدان الأزهر .
- ٧٩- التبيان في أقسام القرآن لابن قيم الجوزية ، تصحيح طه يوسف شاهين ، الناشر مكتبة القاهرة .
- ٨٠- تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ، للإمام جلال الدين السيوطي ، تحقيق الدكتور محمد بن لطفي الصباغ ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م ، بيروت .
- ٨١- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، ليوسف بن الزكي عبدالرحمن بن يوسف المزي ، تصحيح عبدالصمد شرف الدين ، الناشر الدار القيمة ، الهند ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة ، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
- ٨٢- تدريب الراوي في شرح تغريب النواوي ، لجلال الدين السيوطي . تحقيق : عبدالوهاب عبداللطيف ، المكتبة العلمية . الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م المدينة المنورة .
- ٨٣- تذكرة الحفاظ للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة السابعة .
- ٨٤- تذكرة الموضوعات ، لمحمد طاهر بن علي الهندي ، الناشر : أمين دمج بيروت ، الشيخ عبدالوكيل - دمشق .
- ٨٥- تراث الإسلام . لجوزيف شاخت ، ترجمة دكتور حسين مؤنس ، مطبعة إحسان صدقي الصمد ، القسم الثاني .

- ٨٦ - تراث الإسلام ، لشاخت وبوزورث ، تحقيق : شاكر مصطفى ، القسم الأول ، مطبعة عالم المعرفة .
- ٨٧ - التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨ م - القاهرة .
- ٨٨ - تفسير أبي السعود ، لأبي السعود محمد بن محمد العماري . الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان .
- ٨٩ - تفسير جزء عم ، لمحمد عبده ، الناشر : الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة . المطبعة الأميرية ، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٢هـ .
- ٩٠ - تفسير القرآن العظيم ، لإسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، مطبعة دار المعرفة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م - بيروت لبنان .
- ٩١ - التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، الناشر دار الكتب العلمية ، طهران ، الطبعة الثانية .
- ٩٢ - تفسير المنار ، لمحمد رشيد بن علي رضا ، دار المنار ، الطبعة الثالثة ١٩٦٧م ، مصر .
- ٩٣ - مقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ، عبدالرحمن بن أبي حاتم ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الدكن الهند .
- ٩٤ - تقريب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ، الناشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، المطبعة دار المعرفة - بيروت .
- ٩٥ - التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح لعبدالرحمن بن الحسين العراقي . تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤١٠هـ - ١٩٨١ م .
- ٩٦ - تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير لأحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : دكتور شعبان محمد إسماعيل ، الناشر مكتبة ابن تيمية .
- ٩٧ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري ، حققه وعلق على حواشيه جماعة من العلماء ، طبعة وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧ م المملكة المغربية .

- ٩٨ - تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني ، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف - عبدالله محمد الصديق ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٩٧٩م - ١٣٩٩هـ بيروت لبنان .
- ٩٩ - تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، دار صادر ، ١٩٦٨ م ، بيروت .
- ١٠٠ - تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، دار القومية للطباعة ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م القاهرة .
- ١٠١ - توثيق السنة في القرن الثاني الهجري لرفعت عبدالمطلب ، الناشر مكتبة الخانجي عيد .
- ١٠٢ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الخامسة ١٤٠٢هـ - بيروت - دمشق .
- ١٠٣ - تيسير مصطلح الحديث ، للدكتور محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الطبعة الثامنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م الرياض .
- ١٠٤ - جامع بيان العلم وفضله وماينبغي في روايته وحمله لأبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي ، تصحيح عبدالرحمن محمد عثمان ، الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، مطبعة العاصمة ، الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م - القاهرة .
- ١٠٥ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م - مصر .
- ١٠٦ - جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم . مطبعة المدني ، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ م - القاهرة المجموعة الأولى .
- ١٠٧ - الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تصحيح أحمد عبدالعليم البردوني ، الطبعة الثانية .

- ١٠٨ - الجرح والتعديل ، لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة الأولى ، حيدر أباد .
- ١٠٩ - جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي لخالد العلي ، مطبعة الإرشاد ، ١٩٦٥ م بغداد .
- ١١٠ - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح . لابن قيم الجوزية ، مطبعة المدني ، القاهرة .
- ١١١ - حجة الله البالغة لولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي ، تحقيق السيد سابق ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ومكتبة المثني - بغداد .
- ١١٢ - الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لإسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني ، تحقيق : محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي ، دار الراية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م - الرياض .
- ١١٣ - الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام لمحمد ناصر الدين الألباني ، مطبعة الدار السلفية للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ .
- ١١٤ - الحديث والمحدثون ، لمحمد محمد أبي زهو ، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية .
- ١١٥ - حضارة العرب - لجوستاف لبون ، نقله إلى العربية محمد عادل زعيتر ، الطبع والنشر : دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركاه . ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .
- ١١٦ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لابي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، الناشر : المكتبة السلفية ، مطبعة دار الفكر .
- ١١٧ - حوار هادي مع محمد الغزالي ، لسلمان بن فهد العودة ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الطبعة الأولى ، نوال القعدة ١٤٠٩ هـ .
- ١١٨ - حياة الرسول المصطفى ، لعبد الرزاق محمد أسود ، مطبعة الدار العربية للموسوعات ، بيروت .

- ١١٩ - حياة محمد ، لمحمد حسين هيكل ، مطبعة دار المعارف ، الطبعة الثالثة عشر ، مصر .
- ١٢٠ - خلق أفعال العباد ، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، تقديم وتخريج : بدر البدر ، الدار السلفية ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - الكويت .
- ١٢١ - دائرة المعارف الإسلامية ، نقلها إلى العربية مجموعة من العلماء .
- ١٢٢ - درء تعارض العقل والنقل : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق رشاد سالم ، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- ١٢٣ - دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه لمحمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي .
- ١٢٤ - دراسات في حضارة الإسلام ، لهاملتون جب ، دار العلم للملايين - بيروت .
- ١٢٥ - دفاع عن أبي هريرة لعبد المنعم صالح العلي العزي ، مكتبة النهضة ببغداد ، دار الشروق بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م .
- ١٢٦ - دفاع عن السنة ورد شبهة المستشرقين والكتاب المعاصرين للدكتور محمد محمد أبي شهبة ، دار اللواء للنشر ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - الرياض .
- ١٢٧ - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م بيروت لبنان .
- ١٢٨ - الديانات والعقائد في مختلف العصور ، لأحمد عبدالغفور عطار ، مطبعة : مكة المكرمة .
- ١٢٩ - ديوان حسان بن ثابت ، دار بيروت للطباعة والنشر .
- ١٣٠ - ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م .
- ١٣١ - ديوان عامر بن الطفيل ، رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، دار صادر ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣ م - بيروت

١٣٢ - ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل ، للإمام الذهبي ، ضمن أربع رسائل بتحقيق
عبدالفتاح أبوغدة ، توزيع مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الخامسة
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م . القاهرة .

١٣٣ - ذيل على طبقات الحنابلة ، لابن رجب عبدالرحمن بن أحمد البغدادي ، دار المعرفة
بيروت .

١٣٤ - رد الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد للإمام عثمان بن سعيد
الدارمي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مطبعة أنصار السنة المحمدية ، الطبعة
الأولى ١٣٥٨هـ ، مصر .

١٣٥ - رد شبهات الإلحاد عن أحاديث الأحاد لعبدالعزيز بن راشد ، مطبعة المكتب
الإسلامي ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م بيروت .

١٣٦ - الرد على الأخنائي لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق الشيخ عبدالملك بن إبراهيم
والشيخ محمد حسين نصيف ، المطبعة السلفية .

١٣٧ - رسائل الجاحظ من كتاب خلق القرآن - لعمر بن بحر الجاحظ ، الناشر مكتبة
الخانجي ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م مصر .

١٣٨ - رسائل العدل والتوحيد ليحيى بن الحسين ، مؤسسة دار الهلال ، ١٩٧١ م .

١٣٩ - الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ١٣٠٩هـ .

١٤٠ - الرسالة (مجلة) ، العدد ٥١٤ ، ٦ جمادى الأولى ١٣٦٢هـ / ١٠ مايو ١٩٤٣ م ،
السنة الحادية عشرة .

١٤١ - الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة للسيد محمد بن جعفر الكتاني ،
مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة .

١٤٢ - الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين ، نذير حمدان ، مطبوعات رابطة
العالم الإسلامي .

١٤٣ - رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ، مطبعة السنة المحمدية .

- ١٤٤ - الروح : لابن قيم الجوزية ، مطبعة دار الكتب العلمية .
- ١٤٥ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود الألوسي البغدادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ١٤٦ - الروض الأنف لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي ، طبع مطبعة الجمالية ، ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م . مصر .
- ١٤٧ - رؤية الله تعالى ، للدكتور أحمد بن ناصر بن محمد آل أحمد ، جامعة أم القرى ، مركز بحوث الدراسات الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
- ١٤٨ - الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة ، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي ، مكتبة المعارف ، الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م - الرياض .
- ١٤٩ - زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم لمحمد حبيب الله بن عبدالله الجكني الشنقيطي ، الناشر محمد بن محمد الشرنوبلي ، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية ١٩٥٤ م القاهرة .
- ١٥٠ - زاد المسير في علم التفسير ، لجمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، تحقيق وتخريج محمد بن عبدالرحمن عبدالله ، أبي هاجر السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، بيروت لبنان .
- ١٥١ - زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية ، تحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، مكتبة المنار الإسلامية ، بيروت الطبعة السادسة عشرة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ١٥٢ - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - دمشق - بيروت .
- ١٥٣ - سلسلة الأحاديث الضعيفة ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ - بيروت .

- ١٥٤ - السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام للدكتور محمد لقمان السلفي ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م ، بيروت .
- ١٥٥ - السنة قبل التدوين ، للدكتور محمد عجاج الخطيب ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، لبنان بيروت .
- ١٥٦ - السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث لمحمد الغزالي ، طبعة دار الشروق ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
- ١٥٧ - السنة والعلم الحديث ، لعبد الرزاق نوفل ، مطبعة الشعب ، القاهرة .
- ١٥٨ - السنة ومكانتها في الإسلام . للدكتور محمد محمد أبي زهو ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م ، بيروت .
- ١٥٩ - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، للدكتور مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م ، دمشق ، بيروت .
- ١٦٠ - سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد بن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر ، استانبول ، تركيا .
- ١٦١ - سنن أبي داود ، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث تعليق ومراجعة محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر للطباعة والنشر .
- ١٦٢ - سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
- ١٦٣ - سنن الدارقطني ، لعلي بن عمر الدارقطني ، تحقيق السيد عبدالله هاشم يماني المدني ، دار المحاسن للطباعة ، القاهرة .
- ١٦٤ - سنن الدارمي . لأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي ، الناشر دار إحياء السنة النبوية ، طبعة محمد أحمد دهمان ، الطبعة والتاريخ بدون .
- ١٦٥ - السنن الكبرى لأحمد بن الحسين البيهقي ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع مكة المكرمة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ، الطبعة الأولى ١٣٤٤ هـ حيدر أباد الدكن .

- ١٦٦ - سنن النسائي ، للحافظ عبدالرحمن بن شعيب النسائي ، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده ، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤ م مصر .
- ١٦٧ - سير أعلام النبلاء ، للإمام الذهبي تحقيق شعيب الأرنؤوط وحقق الجزء الأول حسين الأسد ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثامنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م . بيروت .
- ١٦٨ - السيرة النبوية ، لأبي الحسن على الحسن الندي مراجعة وطبع عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ، منشورات المكتبة المصرية دار عمر بن الخطاب ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م ، صيدا بيروت .
- ١٦٩ - السيرة النبوية . لمحمد عبدالملك بن هشام المعافري تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ، دار التراث العربي للطباعة والنشر .
- ١٧٠ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي ابن العماد الحنبلي ، تحقيق وطبع ادفست كونر وعراقير ، بيروت .
- ١٧١ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم لأبي القاسم بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي ، تحقيق : أحمد سعد حمدان ، المطبعة دار طيبة للنشر والتوزيع .
- ١٧٢ - شرح الأصول الخمسة . للقاضي عبدالجبار بن أحمد الهمداني ، الناشر مكتبة وهبة ، المطبعة : الاستقلال الكبرى ١٨٣٤ هـ - ١٩٦٥ م القاهرة مصر .
- ١٧٣ - شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، للإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤ م .
- ١٧٤ - شرح ديوان كعب بن زهير ، لأبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري ، مطبعة دار الكتب المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠ م .
- ١٧٥ - شرح ديوان لبید ، تحقيق دكتور إحسان عباس ، ١٩٦٢ م الكويت.
- ١٧٦ - شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق زهير الشاويش ، شعيب الأرنؤوط ، توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧١ م

- ١٧٧ - شرح العقيدة الطحاوية . لعلي بن علي بن أبي العز الحنفي . تحقيق جماعة من العلماء ، تخريج محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة التاسعة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م - بيروت.
- ١٧٨ - شرح علل الترمذي : لابن رجب الحنبلي ، تحقيق ودراسة الدكتور همام عبدالرحيم سعد ، مكتب المنار ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م - الأردن ، الزرقاء .
- ١٧٩ - شرح قصيدة الصاحب بن عباد في أصول الدين للقاضي جعفر بن احمد البهلولي اليماني المعتزلي ، الناشر ، المكتبة الأهلية ، مطبعة المعارف ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥ م - بغداد .
- ١٨٠ - شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للدكتور محمد بن عبدالله الغنيمات ، مكتبة لينة للنشر ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨ م .
- ١٨١ - شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، اللمعة : لموفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي والشارح الشيخ محمد صالح العثيمين ، الناشر : مكتبة الرشد - الرياض ، مطبعة : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م - بيروت .
- ١٨٢ - شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر العسقلاني ، راجعه وقدم له الشيخ محمد بن عوض - محمد غياث الصباغ ، مكتبة الغزالي .
- ١٨٣ - شرح النووي على صحيح مسلم ، للإمام محي الدين يحيى بن شرف النووي المطبعة المصرية ومكتبتها .
- ١٨٤ - شرف أصحاب الحديث ، لأحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، تحقيق : الدكتور محمد سعيد خطيب أوغلي - دار إحياء السنة النبوية .
- ١٨٥ - الشريعة لابي بكر محمد بن الحسيني الأجري ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠ م .
- ١٨٦ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن القيم ، مطبعة دار التراث القاهرة .

- ١٨٧ - الشفاعة ، لمقبل بن هادي الوادعي ، الناشر مكتبة دار الأرقم ، مطبعة المدني ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م - مصر .
- ١٨٨ - الصحاح ، لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م ، بيروت .
- ١٨٩ - صحيح البخاري ، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري موافق لطبعة العامرة استانبول ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر ، ١٣١٥هـ ، استانبول .
- ١٩٠ - صحيح الجامع الصغير ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م ، بيروت ، دمشق .
- ١٩١ - صحيح سنن ابن ماجه ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، إشراف المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦ م بيروت .
- ١٩٢ - صحيح سنن أبي داود ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، تعليق زهير الشاويش ، الناشر مكتب التربية العربية لدول الخليج ، الرياض . توزيع المكتب الإسلامي بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م ، الرياض .
- ١٩٣ - صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الحديث الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١ م القاهرة .
- ١٩٤ - صراع بين الحق والباطل ، لسعد صادق محمد ، دار السنة المحمدية ، الطبعة السادسة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م القاهرة .
- ١٩٥ - الصفات الإلهية ، للدكتور محمد أمان بن علي الجامي طبعة المجلس العلمي لاهياء التراث الإسلامي بالمدينة المنورة .
- ١٩٦ - ضحى الإسلام لأحمد أمين ، الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السادسة ، ١٩٦١ م القاهرة .
- ١٩٧ - الضعفاء الكبير ، لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي ، تحقيق وتوثيق عبدالمعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م بيروت لبنان .

١٩٨ - الضوء اللامع ، لأهل القرن التاسع ، لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .

١٩٩ - طبقات الشافعية ، لأبي نصر عبدالوهاب السبكي ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الطلو ، مطبعة عيسى البابي ، الطبعة الأولى .

٢٠٠ - الطبقات الكبرى ، لأبي عبدالله محمد بن سعد ، مطبعة دار صادر ، بيروت .

٢٠١ - الطريق من هنا لمحمد الغزالي

٢٠٢ - طريق الهجرتين وباب السعادتین لابن القيم ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م بيروت .

٢٠٣ - ظهر الإسلام ، لأحمد أمين ، الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٦٦ م ، القاهرة .

٢٠٤ - العبر في خبر من غبر ، للإمام الذهبي ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٠٥ - عقائد السلف لجماعة من الأئمة ، تحقيق علي سامي النشار ، عمار جمعي الطالبی ، الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية ، جلال مربي وشركاه ، شركة الاسكندرية للطباعة والنشر ، ١٩٧٠ م الاسكندرية .

٢٠٦ - عقيدة التثليث والصلب وموقف الإسلام منها ، رسالة ماجستير إعداد الطالب يونس توري ، جامعة أم القرى .

٢٠٧ - عقيدة السلف أصحاب الحديث ، لأبي عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني ، مطبعة المعارف ، الطائف ، الرسالة الثالثة من الرسائل الكمالية في التوحيد .

٢٠٨ - العقيدة والشريعة في الإسلام ، إجناس جولد زيهري ، الناشر دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثني ببغداد ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، الطبعة الأولى ١٩٤٦ م والطبعة الثانية .

٢٠٩ - العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، تحقيق إرشاد الحق الأثري ، الناشر : إدارة ترجمان السنة ، شادمان - لاهور . المكتبة الإمدادية ، مكة المكرمة .

٢١٠ - علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ، الناشر : دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية عشرة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م .

٢١١ - العلمانية : نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة للدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي ، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م .

٢١٢ - علم الكلام ومدارسه لفیصل بدير عون ، الناشر مكتبة سعيد رأفت ، ١٩٧٧ م .

٢١٣ - غريب الحديث لأحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ، تحقيق عبدالكريم إبراهيم الغرباوي ، دار الفكر ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م دمشق .

٢١٤ - غريب الحديث ، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري .
مطبعة إمامي بطراد . الطبعة الأولى : ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧ م
٢١٥ - الفائق في غريب الحديث ، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الثانية .

٢١٦ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، إشراف عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، تصحيح محب الدين الخطيب ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٢١٧ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، لعبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، الطبعة السابعة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧ م - القاهرة .

٢١٨ - فتح المغيـث شرح ألفية الحديث ، للعراقي ، الشارح الشيخ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع مكة المكرمة ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م ، بيروت ، لبنان .

- ٢١٩ - فجر الإسلام ، لأحمد أمين ، الناشر دار الكتاب العربي ، الطبعة الحادية عشرة ١٩٧٥ م بيروت لبنان .
- ٢٢٠ - الفرق بين الفرق لأبي منصور عبدالقاهر بن طاهر البغدادي ، الناشر مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر ، مطبعة المدني القاهرة .
- ٢٢١ - الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري ، مطبعة دار الفكر .
- ٢٢٢ - فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، للقاضي عبدالجبار . الدار التونسية للنشر .
- ٢٢٣ - فقه السيرة ، لمحمد الغزالي ، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني ، دار الكتب الحديثة ، الطبعة السابعة ، ١٩٧٦ م .
- ٢٢٤ - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، للدكتور محمد البهي ، الناشر مكتبة وهبة ، مطبعة دار غريب للطباعة ، الطبعة العاشرة .
- ٢٢٥ - الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة . لعبدالرحمن عبدالخالق ، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الثانية ، الكويت .
- ٢٢٦ - فهارس سنن الدارقطني . للدكتور يوسف عبدالرحمن المرعشلي ، دار المعرفة بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ هـ بيروت .
- ٢٢٧ - فهارس كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . الناشر عباس أحمد الباز ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م بيروت .
- ٢٢٨ - فهرس أحاديث مسند الإمام أحمد بن حنبل ، لأبي هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م بيروت .
- ٢٢٩ - فهرس أحاديث وآثار المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ، دار عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م بيروت .
- ٢٣٠ - فوات الوفيات والذيل عليها ، لمحمد بن شاكر الكتبي ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، ١٩٧٣ م بيروت .

٢٣١ - الفوائد لابن القيم ، تحقيق بشير محمد عيون ، الناشر : مكتبة المؤيد ، الطائف ، مكتبة البيان دمشق .

٢٣٢ - فيض القدير شرح الجامع الصغير ، لمحمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ - ١٩٧٢ م بيروت ، لبنان .

٢٣٣ - في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة تحليل ونقد الدكتور محمود أحمد خفاجي مطبعة الأمانة الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م القاهرة .

٢٣٤ - القاموس المحيط ، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م بيروت .

٢٣٥ - قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة ، لجلال الدين السيوطي ، تحقيق الشيخ خليل محي الدين عيسى ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .

٢٣٦ - قواعد التحديث . لجمال الدين القاسمي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٢٣٧ - القياس في الشرع الإسلامي ، لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ، الناشر قصي محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٥هـ القاهرة .

٢٣٨ - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للإمام الذهبي . تحقيق عزت علي عيد عطية وموسى محمد علي الموشى ، دار النصر للطباعة ، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢ م ، القاهرة .

٢٣٩ - الكامل في التاريخ ، لأبي الحسن عز الدين علي بن محمد بن الأثير الجزري ، دار صادر للطباعة والانشور ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥ م .

٢٤٠ - الكامل في ضعفاء الرجال ، لعبدالله بن عدي الجرجاني ، الطبعة الثالثة ١٩٨٨ م ١٤٠٩هـ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- ٢٤١ - كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي ، لأبي الحسين عبدالرحيم بن محمد عثمان الخياط المعتزلي ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٧ م ، بيروت .
- ٢٤٢ - كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، لمحمد بن إسحق بن خزيمة ، مراجعة وتعليق محمد خليل هراس ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨ م .
- ٢٤٣ - كتاب الثقات ، للإمام محمد بن حبان البستي ، الناشر مؤسسة الكتب الثقافية ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، حيدر آباد الدكن - الهند .
- ٢٤٤ - كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، تحقيق الدكتور محمد رأفت سعيد ، مكتبة الفلاح ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م - الكويت .
- ٢٤٥ - كتاب الكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي ، تقديم محمد الحافظ التيجاني ، مراجعة عبدالحليم محمد عبدالحليم وعبدالرحمن حسن محمود ، الناشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، ومكتبة المثني - بغداد ، مطبعة دار التراث ، الطبعة الثانية .
- ٢٤٦ - كتاب الكني والأسماء ، لمحمد بن أحمد بن حماد الدولابي ، دار الكتب العلمية . الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣ م ، بيروت .
- ٢٤٧ - كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ، لمحمد بن حبان ، تحقيق محمد إبراهيم زايد ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع .
- ٢٤٨ - كتاب المصنف في الأحاديث والآثار . لعبد الله بن محمد بن أبي شيبه ، تحقيق الأستاذ عامر العمري الأعظمي ، مطبعة الدار السلفية ، الهند .
- ٢٤٩ - كتاب النبوات ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٢ م - ١٤٠٢هـ ، بيروت ، لبنان .

٢٥٠ - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لمحمود بن عمر الزمخشري ، مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى ، الطبعة الاولى ١٣٥٤هـ - مصر .

٢٥١ - كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة ، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - بيروت .

٢٥٢ - كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها ونقد بعض آرائه ، للدكتور ربيع بن هادي المدخلي ، مكتبة ابن القيم ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م - المدينة المنورة .

٢٥٣ - الكواشف الجلية عن معاني الواسطية لعبد العزيز محمد السلطان ، شركة الراجحي للصرافة والتجارة ، الطبعة العاشرة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٢٥٤ - اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، لجلال الدين السيوطي ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

٢٥٥ - لسان العرب ، لابن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ، بيروت .

٢٥٦ - لسان الميزان ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الثانية ١٩٧١م - ١٣٩٠هـ .

٢٥٧ - لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها ، للدكتور محمد أمين المصري ، دار الفكر .

٢٥٨ - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرق المرضية ، لمحمد أحمد السفاريني ، الناشر مكتبة أسامه ، الرياض ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

٢٥٩ - مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة التاسعة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، بيروت .

- ٢٦٠ - متشابه القرآن ، القاضي عبد الجبار ، دار التراث .
- ٢٦١ - متن العقيدة الطحاوية ، للإمام أبي جعفر الطحاوي الحنفي ، الناشر : مكتبة ابن تيمية ، مطبعة هجر ، الجيزة .
- ٢٦٢ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، تحرير - العراقي وابن حجر - مكتبة المعارف ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م - بيروت ، لبنان .
- ٢٦٣ - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي ، طبع بإشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين ١٤٠٤ هـ .
- ٢٦٤ - محاسن التأويل ، لمحمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .
- ٢٦٥ - المحدث الفاصل بين الراوي والواعي لأبي محمد الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد الرامهرمزي ، تحقيق محمد عجاج الخطيب ، مطبعة دار الفكر ، بيروت .
- ٢٦٦ - المحلي ، لأبي محمد بن حزم ، تحقيق أحمد شاكر ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت .
- ٢٦٧ - محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمحمد رضا ، مطبعة دار الكتب العلمية ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، بيروت .
- ٢٦٨ - محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن ، إبراهيم خليل أحمد ، مكتبة الوعي العربي ، الفجالة .
- ٢٦٩ - مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر .
- ٢٧٠ - مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية ، اختصار الشيخ محمد بن موسى الموصلي ، دار الندوة الجديدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م بيروت .

- ٢٧١ - مدارج السالكين ، لابن قيم الجوزية ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .
- ٢٧٢ - المدخل إلى علوم الحديث ، نور الدين العتر ، مجلة العربي الكويتية ، عدد ٨٩ ، ص ١٣ .
- ٢٧٣ - مذكرة أصول الفقه ، لمحمد الأمين بن المختار الشنقيطي ، مطابع التوحيد .
- ٢٧٤ - مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع . لصفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م بيروت .
- ٢٧٥ - مسائل الإمام أحمد لأبي داود سليمان بن الأشعث ، الناشر محمد أمين دمج ، الطبعة الثانية ، بيروت .
- ٢٧٦ - المستدرک على الصحيحين ، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ، وبذيله تلخيص الذهبي ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب .
- ٢٧٧ - المستشرقون ، نجيب العقيقي ، دار المعرفة بمصر ، الطبعة الثالثة .
- ٢٧٨ - المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية ، جمع صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، الطبعة الثانية ١٩٨٢ ، بيروت ، لبنان .
- ٢٧٩ - المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة وشمولها ، دراسة وتطبيقاً ، للدكتور عابد محمد السفيناني ، نشر وتوزيع مكتبة المنارة . الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ٢٨٠ - المسلمون (جريدة) ، السنة السادسة العدد ٢٧٦ ، ٢٣ - ٢٩ شوال ١٤١٠ هـ . ١٨ - ٢٤ مايو ١٩٩٠ م .
- ٢٨١ - المسند للإمام أحمد بن محمد الشيباني ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت .
- ٢٨٢ - مسند الإمام أحمد بن حنبل ، شرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر .
- ٢٨٣ - مسند الحميدي ، لأبي بكر عبدالله بن الزبير الحميدي ، تحقيق وتعليق حبيب الرحمن الأعظمي ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبى ، القاهرة .

٢٨٤ - المسودة في أصول الفقه ، لآل تيمية ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة المدني ، القاهرة .

٢٨٥ - مشكاة المصابيح ، لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزي ، تحقيق وتخريج محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م - بيروت .

٢٨٦ - مشكلات الأحاديث ، لجماعة من نوابغ العلماء ، تصحيح زكريا علي يوسف ، توزيع مكتبة المتنبي ، مطبعة الإمام ، القاهرة .

٢٨٧ - مشكل الآثار ، لأبي جعفر الطحاوي ، الناشر دار صادر ، بيروت ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، الطبعة الأولى ١٣٣٣ هـ - حيدر آباد الدكن - الهند .

٢٨٨ - المصباح المنير ، لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٢٨٩ - المصنف ، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، بيروت .

٢٩٠ - معالم السنة النبوية . للدكتور عبدالرحمن عتر ، مكتبة المنار ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، الأردن ، الزرقاء .

٢٩١ - معالم على طريق السنة . للدكتور أحمد عمر هاشم ، كتب إسلامية يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، بإشراف محمد توفيق عويضة . العدد ١٨٦ السنة السادسة عشرة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

٢٩٢ - المعتزلة ، زهدي حسن جار الله . مطبعة مصر ، الطبعة الأولى ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م .

٢٩٣ - المعتمد في أصول الفقه ، لأبي الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت .

٢٩٤ - معجم ألفاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

٢٩٥ - معجم البلدان ، لياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٢٩٦ - المعجم الفلسفي ، للدكتور جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة ، ١٩٨٢ م بيروت .

٢٩٧ - معجم قبائل الحجاز ، تأليف المقدم عاتق بن غيث البلادي ، الناشر دار مكة للنشر والتوزيع ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٢٩٨ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لعبد الله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م ، القاهرة .

٢٩٩ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، رتبه لفيف من المستشرقين ونشره الدكتور أبي . ونسك . دار الدعوة ، وفقاً للطبعة الأصلية ١٩٣٦ م ، ١٩٨٦ م استانبول .

٣٠٠ - معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، مكتبة المتنبي ، بغداد ، ودار إحياء التراث العربي بيروت .

٣٠١ - المعجم الوسيط ، تأليف مجمع اللغة العربية ، مطبعة إحياء التراث الإسلامي ، قطر .
٣٠٢ - المعرفة ، تأليف اللجنة العلمية الاستشارية للمعرفة ، تحقيق مجموعة من العلماء ، مطبعة دار داغر ، ١٩٧٩ م ، لبنان .

٣٠٣ - معرفة علوم الحديث ، لمحمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ، تحقيق الدكتور السيد معظم حسين ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت .

٣٠٤ - المغني في أبواب التوحيد والعدل ، لأبي الحسن عبد الجبار الأسد آبادي ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، المطبعة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والاثباء والنشر .

٣٠٥ - مفاتيح العلوم لمحمد بن يوسف الخوارزمي ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، بيروت .

- ٣٠٦ - مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، السيوطي ، إدارة الطباعة المنيرية .
- ٣٠٧ - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية الله العلم والإرادة ، لابن القيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٣٠٨ - المفردات في غريب القرآن ، للقاسم حسين بن محمد الراغب الأصفهاني ، تحقيق وضبط محمد سعيد كيلاني ، بيروت دار المعرفة .
- ٣٠٩ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد . مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .
- ٣١٠ - مقاييس نقد متون السنة ، للدكتور مسفر عزم الله الدميني ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- ٣١١ - مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، لعثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري ، المعروف بابن الصلاح ، دار الحكمة ، دمشق .
- ٣١٢ - مقدمة تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي ، لمحمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري ، مراجعة وتصحيح عبدالرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
- ٣١٣ - الملل والنحل ، للشهرستاني ، تحقيق محمد سعيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ - بيروت .
- ٣١٤ - ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام ، دوزي مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه ، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ - ١٩٣٣م - مصر .
- ٣١٥ - المنار (مجلة) ، أنشأها محمد رشيد رضا ، مطبعة المنار بمصر .
- ٣١٦ - المنار المنيف ، تأليف ابن قيم الجوزية . حققه وخرج نصوصه وعلق عليه عبدالفتاح أبو غدة ، الناشر مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، مطابع دار القلم ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

- ٣١٧ - مناقب الشافعي لأحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مكتبة دار التراث ، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ - ١٩٧١ م ، القاهرة .
- ٣١٨ - مناهج الأدلة في عقائد الملة ، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد ، تقديم وتحقيق محمود قاسم ، الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٦٩ م - القاهرة .
- ٣١٩ - مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، جماعة من العلماء ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م - الرياض .
- ٣٢٠ - مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبدالعظيم الزرقاني ، مطبعة عيسى البابي ، الطبعة الثالثة .
- ٣٢١ - المنتقى ، لأبي محمد عبدالله بن علي بن الجارود النيسابوري ، الناشر المكتبة الأثرية ، جامع مسجد املحديت باغواي ، المطبعة العربية .
- ٣٢٢ - المنتقى من منهاج الاعتدال ، لابن تيمية والذهبي ، تحقيق محب الدين الخطيب ، دار الإفتاء ، ١٤٠٩هـ .
- ٣٢٣ - منتهى السؤل في علم الأصول ، لسيف الدين أبي الحسن الأمدي ، مطبعة محمد علي صبيح ، مصر .
- ٣٢٤ - منهج النقد عند المحدثين ، للدكتور محمد مصطفى الأعظمي ، مكتبة الكوثر ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م .
- ٣٢٥ - منهج النقد في علوم الحديث ، لنور الدين العتر ، دار الفكر .
- ٣٢٦ - الموافقات في أصول الأحكام لإبراهيم بن موسى اللخمي المشهور بالشاطبي ، تعليق : محمد الخضر حسين ، دار الفكر .
- ٣٢٧ - موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول . تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ، طبع ونشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .
- ٣٢٨ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، المؤلف الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م .

- ٣٢٩ - الموطأ ، للإمام مالك بن أنس ، تصحيح وتعليق ، محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .
- ٣٣٠ - موقف الأمة من اختلاف الأئمة ، للشيخ عطيه محمد سالم ، مكتبة دار التراث ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩ م ، المدينة المنورة .
- ٣٣١ - موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي ، لمحمد إسماعيل السلفي ، تقديم وتعليق صلاح الدين مقبول أحمد ، الدار السلفية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦ م ، الكويت .
- ٣٣٢ - موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها لأبي لبابة حسين ، دار اللواء ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م - الرياض .
- ٣٣٣ - ميزان الاعتدال ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق محمد علي البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣ م .
- ٣٣٤ - نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن ، لحسن ضياء الدين العتر ، مطبعة دار نصر ، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م - حلب - سوريا .
- ٣٣٥ - النبي محمد إنسان الإنسانية ، ونبي الأنبياء ، تأليف عبد الكريم الخطيب ، دار المعرفة للطباعة ، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، بيروت ، لبنان .
- ٣٣٦ - النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الدقيقة والحياة اللغوية المتجددة ، لعباس حسن ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة .
- ٣٣٧ - نداء للجنس اللطيف يوم المولد النبوي الشريف ، لمحمد رشيد رضا ، مطبعة دار المنار ، الطبعة الثانية ١٣٧٦هـ .
- ٣٣٨ - نزهة النظر ، شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، لابن حجر العسقلاني ، الناشر المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، مطبعة دار مصر للطباعة .
- ٣٣٩ - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، للدكتور علي سامي النشار ، الطبعة السابعة .

٣٤٠ - نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية ، لجمال الدين أبي محمد عبدالله بن يوسف الحنفي الزيلعي ، الناشر المكتبة الإسلامية ، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

٣٤١ - نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ، تأليف علي حسن عبدالقادر ، الناشر دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٥ م .

٣٤٢ - النكت على كتاب ابن الصلاح ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق دكتور ربيع بن هادي عمير المدخلي ، المجلس العلمي - إحياء التراث الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة .

٣٤٣ - نهاية الإقدام في علم الكلام ، لعبدالكريم بن أبي بكر بن أحمد الشهرستاني ، حرره وصححه الفرد جيوم .

٣٤٤ - النهاية في غريب الحديث ، لأبي السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، ١٨٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .

٣٤٥ - نيل الأوطار ، شرح منتقى الأخبار ، لمحمد بن علي الشوكاني ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي بمصر ، الطبعة الأخيرة .

٣٤٦ - وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق ، لجمال بن أحمد بن بشير بن بادي ، دار الوطن للنشر ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - الرياض .

٣٤٧ - الوحي المحمدي ، لمحمد رشيد رضا ، المكتب الإسلامي .

٣٤٨ - وفيات الأعيان أنباء أبناء الزمان ، لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان . تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، الطبعة بدون ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م - بيروت .

* فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	المقدمة
	التمهيد : وفيه مطلبان :
	المطلب الأول : السنة النبوية
١	١ - السنة في اللغة
٣	٢ - السنة في الشرع
٨	٣ - حجية السنة
١٣	٤ - منزلة السنة
	المطلب الثاني : العلاقة بين الشرع والعقل
	في الدين الإسلامي
٢٣	- ماهية العقل
٢٣	- وظيفته
٢٦	- اهتمام الإسلام بالعقل
٣١	- لا تعارض بين الشرع والعقل
٣٤	- وجوب انقياد العقل واستسلامه للشرع
٣٧	- إكمال الدين
٤٦	- الصحابة والسلف الصالح لم يعارضوا الشرع بالعقل
٥٤	- مزائق من عارض الشرع بالعقل
	الباب الأول
	موقف المدرسة العقلية القديمة (المعتزلة)
	من السنة النبوية وفيه فصلان :
	الفصل الأول
	موقف المعتزلة من العقل وعلاقته بذلك بالأصول الخمسة
٦٩	١ - موقف المعتزلة من العقل :

الصفحة	الموضوع
٦٩	أ - العقل هو أول الأدلة
٧٠	ب - حجة العقل وإعماله أول الواجبات على العباد ، وأن معرفة الله لا تكون إلا بالعقل
٧١	٢ - الأصول الخمسة هي التي كلف الله بها العباد
٧٢	الجواب على الشبه السابقة
	الفصل الثاني
	موقفهم من الحديث المتواتر وحديث الآحاد
٩٢	١ - ذم تعلم الحديث وأهله
٩٣	٢ - الحديث المتواتر
٩٤	٣ - حديث الآحاد :
٩٤	أ - تعريفه وأنه لا يعد من السنة
٩٤	ب - عدم الاحتجاج به مطلقاً في أمور الدين .
٩٧	ج - عدم الاحتجاج به إذا خالف العقل
٩٧	د - عدم الاحتجاج به في باب الاعتقاد
٩٨	هـ - عدم الاحتجاج به في الأعمال إلا بشروط
١٠٠	الجواب على الشبه السابقة :
١٠٢	١ - ذمهم تعلم الحديث وأهله
١٠٨	٢ - الحديث المتواتر
١١١	٣ - حديث الآحاد :
١١١	أ - تعريفه وأنه لا يعد من السنة
١١٢	ب - زعمهم أنه لا يحتج به مطلقاً في أمور الدين
١٢٥	ج - زعمهم أنه لا يحتج به إذا خالف العقل
١٢٥	د - زعمهم أنه لا يحتج به في العقيدة
١٣٠	هـ - زعمهم عدم الاحتجاج به في الأعمال إلا بشروط

الموضوع	الصفحة
أمثلة لمواضع ردوا فيه أحاديث الآحاد :	
١ - صفات الله تعالى	١٣٣
منهج السلف في صفات الله والرد على المعتزلة	١٣٧
٢ - رؤية الله تعالى	١٧٠
موقف السلف من رؤية الله ، والجواب عن شبه المعتزلة	١٨٤
٣ - أفعال العباد :	٢٣١
أولاً : خلق أفعال العباد	٢٣٢
ثانياً : إرادة أفعال العباد	٢٣٥
وجوب الإيمان بقدر الله تعالى والجواب على شبه المعتزلة :	٢٣٨
أولاً : خلق أفعال العباد	٢٤٦
ثانياً : إرادة أفعال العباد	٢٦٦
٤ - مرتكب الكبيرة :	٢٨٦
حكم صاحب الكبيرة في الدنيا	٢٨٦
حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة	٢٨٨
مذهب السلف في حكم صاحب الكبيرة والجواب عن شبه المعتزلة	٢٩٤
٥ - الشفاعة	٣١٢
الجواب عما أثاروه من شبه حول الشفاعة	٣١٦
٦ - عذاب القبر	٣٢٧
الجواب على ما أثاروه من شبه حول عذاب القبر	٣٣٠

الباب الثاني
موقف المستشرقين من السنة النبوية
وفيه نهيد وفصلان :
التمهيد

المستشرقون : صلتهم بالفكر الإسلامي وأثر تلك الصلة في إثارة
 الشبهات حول السنة النبوية

- ٣٤٣ - مفهوم الاستشراق ومن هم المستشرقون
 - ٣٤٣ - تاريخ الاستشراق
 - ٣٤٤ - أهداف الاستشراق
 - ٣٤٥ - منهج المستشرقين في دراسة الإسلام والدافع من وراءه
 - ٣٥٢ - وسائل المستشرقين
 - ٣٥٣ - صلتهم بالفكر الإسلامي وأثر تلك الصلة في إثارة الشبه حول السنة
- الفصل الأول**

شبهات المستشرقين حول الوحي النبوي

- ٣٥٨ عرض شبهاتهم حول الوحي النبوي والجواب عنها :
- ٣٦٩ (أ) المحور الأول : الوحي أمر من داخل نفس النبي صلى الله عليه وسلم :
- ٣٦٩ ١ - الوحي النفسي
- ٣٨٠ ٢ - إن الوحي ظاهرة للإصلاح الاجتماعي
- ٣٨٦ ٣ - إن الوحي عبارة عن أمراض عقلية ونفسية
- ٣٩٨ (ب) المحور الثاني : الوحي أمر خارج عن النبي ﷺ :
- ٣٩٨ ١ - إن الوحي مقتبس من اليهودية والنصرانية :
- ٤٠٠ أ - بحيري الراهب
- ٤٠١ ب - ورقة بن نوفل
- ٤٠٢ ج - الحاشية اليهودية والمسيحية

الصفحة	الموضوع
٤٠٣	١ - الجواب على أن الوحي مقتبس من اليهودية والنصرانية .
٤١٧	أ - الادعاء بأنه أخذ ذلك من بحيري الراهب
٤٢١	ب - الادعاء بأنه أخذ من ورقة بن نوفل
٤٢٣	ج - ادعاؤهم أنه أخذ من الحاشية اليهودية والمسيحية المسلمة
٤٢٥	٢ - إن الوحي مقتبس من العقائد والأديان القديمة
٤٣١	٣ - إن الوحي كهانة
٤٣٣	٤ - إن الوحي أسطورة
٤٣٥	(ج) مطاعن المستشرقين في شخص النبي ﷺ والجواب عنها :
٤٣٦	أ - انشغاله بالنساء
٤٤٤	ب - اهتمامه بالدنيا والغنائم وعيشه على التلصص والسلب
٤٥٨	ج - اتباعه لهواه
٤٦٢	د - تناقضه
	الفصل الثاني
	موقف المستشرقين من صحة الحديث
٤٧٤	(١) جهود الصحابة في خدمة السنة :
٤٧٥	أ - التثبت والاحتياط في نقل الأحاديث
٤٧٩	ب - تناوبهم في ملازمة مجلس النبي صلى الله عليه وسلم
٤٨٠	ج - تحملهم المشاق في تلقيه والرحلة في طلبه
٤٨٢	د - تعظيم الحديث وتوقيره
٤٨٤	هـ - نهيمهم عن بث الأحاديث الواهية والضعيفة
٤٨٥	و - الإقلال من الرواية والتحرز فيها احتياطاً
٤٨٧	(٢) جهود التابعين
٤٩١	(٣) جهود العلماء :
٤٩١	أ - التثبت في الحديث

الصفحة	الموضوع
٤٩٢	ب - بيان أحوال الرواة
٤٩٤	ج - الرحلة في طلبه
٤٩٥	د - مقاومة المضاعين وتمييز الموضوعات
٥٠١	(٤) عرض شبه المستشرقين حول صحة الحديث والجواب عنها
٥٠١	١ - السنة هي جماع العادات والتقاليد الوراثية
٥٠٣	٢ - الحديث النبوي وأثر الوضع فيه :
٥٠٣	أ - الحديث نتيجة للتطور الديني خلال القرون الأولى
٥٠٣	ب - الحديث نتيجة للجدل الديني في القرون الأولى
٥٠٤	ج - القسم الأعظم من الحديث أنشئ بعد قرنين من الزمان
٥٠٤	د - لم تصح نسبة حديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم
٥٠٥	هـ - إن الحديث تكون من العقائد والأديان والعادات والأفكار السابقة
	الجواب على ذلك :
٥٠٧	أ - زعمهم أن الحديث نتيجة للتطور الديني خلال القرون الأولى
	ب - ج - د - زعمهم أنه نتيجة للجدل الديني ، وأن القسم الأعظم منه نشأ
٥١٢	بعد قرنين من الزمان ، وأنه لم تصح نسبة حديث للنبي ﷺ
٥١٦	هـ - دعواهم أنه تكون من العقائد والأديان والعادات والأفكار السابقة
٥١٨	٣ - الصحابة والوضع
٥٣٠	٤ - أبو هريرة
٥٣٢	(١) حرصه على الحديث ورغبته في حصول العلم
٥٣٢	(٢) كثرة حديثه
٥٣٤	(٣) حفظه وسبب ذلك
٥٤٠	شبه المستشرقين حوله والجواب عنها
٥٤٨	٥ - الأمور التي تدل على الوضع في الحديث :
٥٤٨	أ - الأحاديث التي تدل على الأمور الغيبية

الصفحة	الموضوع
٥٤٨	ب - الأحاديث التي تدل على التجسيم
٥٤٨	ج - الأحاديث المتضمنة أخطاء تاريخية
٥٤٩	د - الأحاديث المتناقضة
٥٥٠	هـ - تأخر التدوين فتح مجالاً للوضع الجواب على ذلك :
٥٥١	أ - الأحاديث الدالة على الأمور الغيبية
٥٥٢	ب - الأحاديث التي تدل على التجسيم
٥٥٥	ج - الأحاديث التي تتضمن أخطاء تاريخية
٥٥٨	د - الأحاديث المتناقضة
٥٦٥	هـ - تأخر التدوين
٥٧٤	٦ - العلماء والوضع :
٥٧٤	أ - التابعون وأصحاب المذاهب
٥٧٤	ب - الإمام الزهري وبنو أمية
٥٧٥	ج - علماء الحديث والفقه الجواب على ذلك :
٥٧٧	أ - التابعون وأصحاب المذاهب
٥٨٢	ب - الإمام الزهري وبنو أمية
٥٩٦	ج - علماء الحديث والفقه
٦٠١	٧ - مطاعن المستشرقين في منهج المحدثين :
٦٠١	أ - وجهة النقد عند المحدثين
٦٠٢	ب - التباين في التوثيق والتضعيف
٦٠٢	ج - وجود الأسانيد اعتباري ولم تجد إعتناء من المحدثين
٦٠٢	د - نقد المحدثين لا يتعدى إسناد الحديث الجواب على ذلك :

الصفحة	الموضوع
٦٠٣	أ - وجهة النقد عند المحدثين
٦٠٨	ب - التباين في التوثيق والتضعيف
٦١٣	ج - وجود الأسانيد اعتباري ولم تجد اعتناء من المحدثين
٦٢٠	د - نقد المحدثين لا يتعدى إسناد الحديث
	الباب الثالث
	موقف المدرسة العقلية الحديثة من السنة النبوية
	وفيه فصلان :
	الفصل الأول
	تأثير المدرسة العقلية الحديثة بالمدرسة القديمة
٦٢٨	وَأثر ذلك في رد الأحاديث النبوية
	أمثلة لأحاديث ردت بالعقل :
٦٤٤	١ - حديث نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان
٦٤٥	٢ - أحاديث الدجال والجساسة
٦٤٨	٣ - حديث موسى عليه السلام وملك الموت
٦٤٩	٤ - حديث عدم مس الشيطان لعيسى بن مريم وأمه عليهما السلام
٦٥٠	٥ - حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم
٦٥٢	٦ - حديث شق صدر النبي ﷺ وإخراج حظ الشيطان منه
٦٥٣	٧ - حديث إسلام شيطان النبي ﷺ
٦٥٤	٨ - حديث المعراج
٦٥٥	٩ - حديث وقوع الذباب في الإناء
٦٥٦	١٠ - حديث « إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة »
٦٥٧	١١ - حديث « تحاجت الجنة والنار »
	دراسة لبعض الأحاديث التي ردت بالعقل :
٦٥٩	الحديث الأول : حديث نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان

الصفحة	الموضوع
٦٧٣	الحديث الثاني : حديث موسى عليه السلام وملك الموت
٦٩٠	الحديث الثالث : حديث وقوع الذباب في الإناء
	الفصل الثاني
	تأثر المدرسة العقلية الحديثة بالمستشرقين
٧١٥	وأثر ذلك في إثارة الشبه حول السنة
٧٢٢	عرض شبه المدرسة العقلية الحديثة والرد عليها :
٧٢٢	(١) التشكيك في صحة الحديث بالوضع والاختلاط
٧٢٨	(٢) كتابة الحديث
٧٣٦	(٣) رواية الأحاديث بالمعنى
٧٤١	(٤) عرض الحديث على القرآن
٧٥١	(٥) السنة العملية
٧٥٤	(٦) عدالة الصحابة
٧٦٩	(٧) أبو هريرة
٨٠٥	(٨) الصحيحان
٨٢٤	(٩) منهج المحدثين :
٨٢٤	أ - اعتناء المحدثين بإسناد الحديث دون متنه
٨٢٥	ب - قلة فقه علماء الحديث بالمرويات
٨٢٧	ج - اختلاف المحدثين في جرح الرواة وتعديلهم وفي الحكم على الحديث الجواب على ذلك :
٨٢٨	أ - اعتناء المحدثين بإسناد الحديث دون متنه
٨٣٢	ب - قلة فقه علماء الحديث بالمرويات
٨٤٢	ج - اختلاف المحدثين في الجرح والتعديل

الصفحة	الموضوع
	الخاتمة :
٨٤٦	وتشتمل على أهم النتائج
	الفهارس :
٨٥٠	١ - فهرس الآيات القرآنية
٨٧٦	٢ - فهرس الأحاديث والآثار
٨٨٩	٣ - فهرس الأعلام المترجم لهم
٨٩٨	٤ - فهرس المراجع
٩٣٠	٥ - فهرس الموضوعات